

New York University



31142010026436



Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

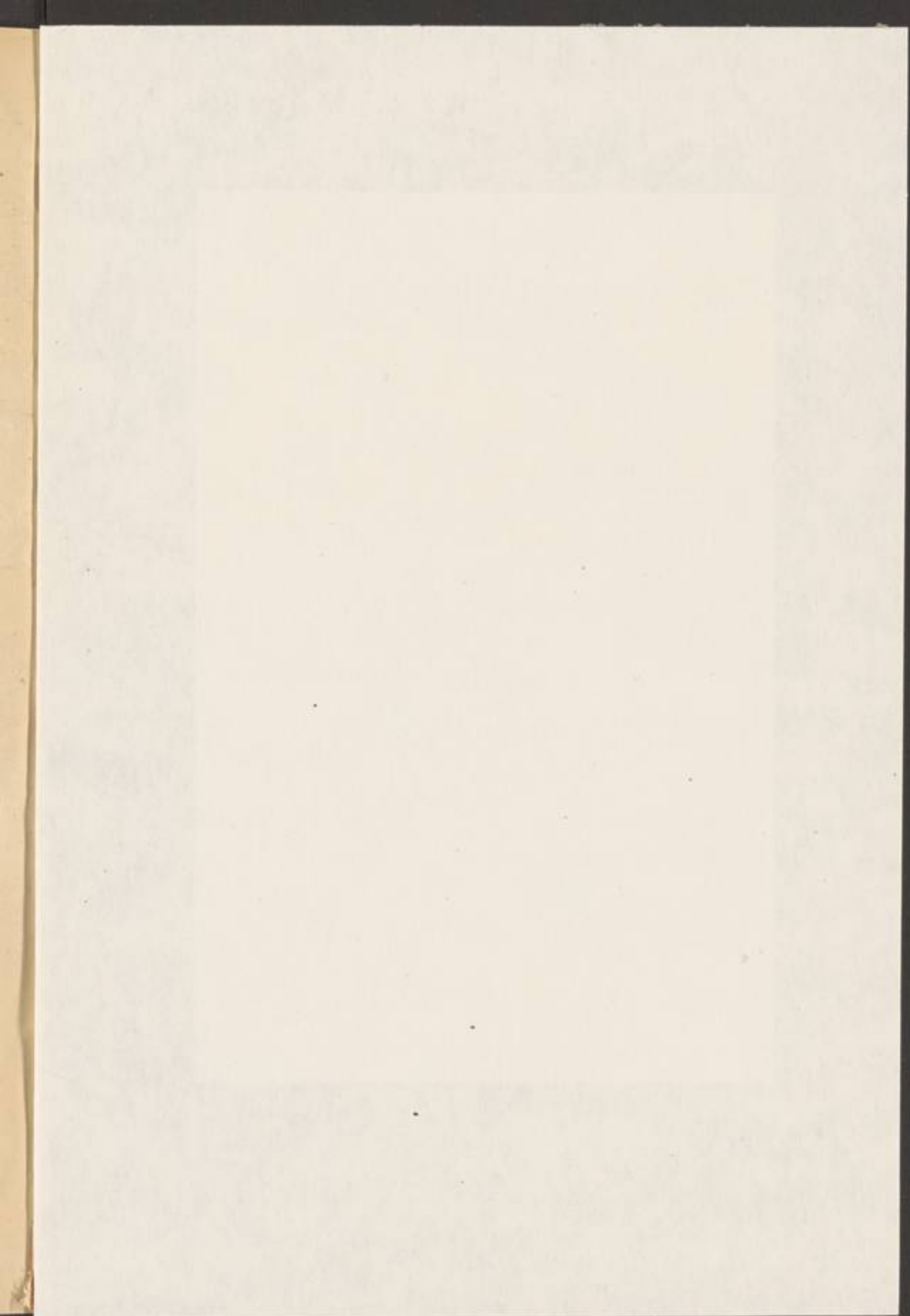
New York University
Bobst, Circulation Department
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

Web Renewals:
<http://library.nyu.edu>
Circulation policies
<http://library.nyu.edu/about>

THIS ITEM IS SUBJECT TO RECALL AT ANY TIME

<p>DUE DATE DEC 8 2007 BOBST LIBRARY CIRCULATION RECEIVED DEC 11 2007 BOBST LIBRARY</p>		

NOTE NEW DUE DATE WHEN RENEWING BOOKS ONLINE



أهديت هذا الكتاب إلى (مترجم) (مترجم)
وهذا الكتاب استخرته من مكتبة في ليج
عبد إبراهيم خطاب
بأمر
١٩٥٧

DATE DUE

|

عند ما اطلع على الكتاب حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول باشا
محيي مجد مصر ورافع لواء نهضتها تفضل فبعث الى المؤلف كتابه الذي هو آية البيان
ونقشة من سحر البلاغة .

حضرة صاحب السعادة اللواء ابراهيم رفعت باشا

تسلمت كتابكم "مرآة الحرمين" الذي تفضلتم باهداء نسخة
منه إلىّ، فأشكركم على إهدائه أوفر الشكر، وأهنيكم على ما وفقتم
اليه من وضعه في موضوع جليل القدر عظيم الفائدة، ومن تحرير
مسائله وتحقيق مباحثه في عبارات مهذبة ومع رسوم متقنة
في شكل جميل وطبع حسن، حتى جاء كتابا فيه هدى للسائلين،
وغنى للباحثين، ومسرة للناظرين، جزاكم الله عن جميع هؤلاء
أحسن الجزاء والسلام ما

سعد زغلول

مسجد وصيف في ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢٦

ملاحظة - أنظر باقي التقاريط بآخر الجزء الثاني .

Riḥlat, Ibrāhīm, amīr al-ḥajj

1 Mir'at
al-Haramayn

مِرَاةُ الْحَرَمَيْنِ

١٥

الرحلاتُ الحجازيةُ والمجتمعاتُ الدينيةُ

محمّلة

بمات الصور السنية

تأليف ورسم

اللواء

ابراهيم رفعت باشا

قومندان حرس الجبل في المنيا وأمير الحج في ١٩٠٢ و١٩٠٣ و١٩٠٤ و١٩٠٥ و١٩٠٦ و١٩٠٧ و١٩٠٨ م

(حقوق الطبع والرسم محفوظة للزلف)

الجزء الأول

(الطبعة الأولى)

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٢٥ - ١٩٢٤ م

BP

187

.3

R5

OCT 5 2006

v.1

c.1

(أنظر الفهرس الهجائی فی آخر الجزء)

محتويات الجزء الأول

صحيفة	صحيفة
٢٦ التزاور بمكة	١ مقدمة الكتاب
٤٠ غسل الكعبة	الرحلة الأولى سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م
٤١ فتح الكعبة	الأعمال التمهيدية قبل سفر المحل -
٤٢ السير الى عرفات - وصف الطريق ...	٥ ركب المحمل
٤٤ جبل عرفات وما بميدانه الفسيح ...	٥ صرة المحمل - الكسوة ووصفها -
٤٥ الوقوف بعرفات	٦ نص الاشهاد الشرعى بتسليم الكسوة
٤٧ الافاضة الى المزدلفة ...	٩ الاحتفال بالكسوة ...
السير الى منى - رمى جرة العتبة - نحر	١٢ سفر المحمل وركبه من القاهرة الى جدة
الهدى - السير الى مكة لطواف	١٥ الإحرام تجاه رابع ...
الافاضة والعودة الى منى - رمى	وصول المحمل الى جدة - نقل الأمتعة
٤٨ الجمار الثلاث	من البانعة الى ساحل جدة - عوائد
٤٩ الاحتفال بتلاوة القرمان السلطاني ...	١٦ الحجر الصحى وإجازة السفر ...
٥٢ التهيئة بالعيد فى منى ...	١٧ نقل الأمتعة من الساحل الى المعسكر ...
الزينات بمنى - ذبائح منى وسوفها -	١٩ الإقامة فى جدة ...
٥٣ الرجوع من منى الى مكة ...	تبادل الزيارات بمجدة - معارفنا بمجدة
٥٤ الاحتفال بفتح المسافر خانة السلطانية ...	ما يلزم الحاج بمجدة - وصف جدة
٥٦ زيارة نار حراء "جبل النور" ...	بشكلها الحاضر - ترجمة الطيب
٦٠ زيارة غار ثور الذى اختفى فيه النبي (ص)	محمد حسين افندى نائب مفصل اجلتر
٦٣ عادات المكئين بعد موسم الحج ...	٢١ للرباطيا الهنود ...
٦٤ الشريف عون الرفيق وسلطته بمكة ...	سكان جدة - تجارتها - ابتداء اخاذ
٦٥ أجر الجمال والمكوس ...	جده نغرا لمكة ...
٦٩ تاريخ المكوس ...	٢٤ السفر من جدة الى مكة - وصف الطريق
٧٠ ضيافات بمكة ...	الدخول الى مكة - ثبة كداء - المعلاة
٧١ إطاعة السكة الحديدية المجازية ...	وما بها من مقابر السلف ...
	٣٣ طواف القدوم ...

صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
١٢٧	منحر الهدى	٧٢	حبس الحجاج بمكة
١٢٨	الانتفاع بالهدى		مرتبات الأشراف والعربان والأهالي
	جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب	٧٣	وطريقة صرفها
١٢٩	الأزبية		القسم الديني
١٣١	حكم المناسك وأسرارها	٧٥	حجة الوداع
١٣٢	حكمة استلام الحجر الأسود		فقهاء المذاهب في الحج - الجنس الأول -
١٣٦	حكمة رمي الجمار		معرفة وجوب الحج وشروطه وعلى
	حكمة الرمل في الطواف والسعي بين الصفا		من يجب ومتى يجب - وجوب
١٣٩	والمروة	٩٧	الحج وشروطه
١٤٠	حكمة ذبائح النسك		متى يجب الحج - حكم العمرة - الجنس
١٤١	جملة القول في حكمة الحج والاعتبار به		الثاني في أفعال هذه العبادة نوعا نوعا
	فصل جغرافي موجز	٩٩	والتروك المشتركة فيها
	في وصف بلاد العرب	١٠٠	الإحرام ومبقاته
	حدودها - شواطئها	١٠١	مخطورات الأحرام
١٤٣	أهمية موقعها - الجو والنبات والحيوان	١٠٣	أنواع الأحرام
١٤٤	الوصف الطبوغرافي - بلاد العرب المتصلة	١٠٥	صفة الأحرام
١٤٥	بالبحر - الحجاز	١٠٧	الطواف بالبيت
١٤٦	عسير - اليمن - حضرموت	١٠٩	السعي بين الصفا والمروة
	مهرة - عمام - الأحساء - بلاد	١١٠	الخروج الى عرفة
١٤٧	العرب الداخلية - البادية	١١١	الوقوف بعرفة
	نجد - الدهناء - صيد - التقسيم	١١٣	أفعال المزدلفة - رمي الجمار
١٤٨	السياسي الحاضر	١١٥	الجنس الثالث في الأحكام - الأحصار
	فصل تاريخي موجز في حال العرب	١٦٦	أحكام جزاء الصيد والنبات
	قبل الإسلام وقيام الدولة الإسلامية	١١٩	حكم إتيان المخطورات في الأحرام
	واتسار الدين الإسلامي - الدول	١٢١	كفارة الممنوع - مفسدات الحج ومقوماته
١٤٩	العربية قبل الإسلام	١٢٤	الكفارات المسكوت عنها
	قيام الدولة الإسلامية وامتداد سلطانها	١٢٥	القول في الهدى - حكمه
١٥٥	نشأة مجد عليه الصلاة والسلام		جنسه - سنه - كيفية سوقه - من
		١٢٦	أين يساق

صفحة	صفحة
١٧٧ مكة المكرمة	١٥٦ فتح بلاد العرب - غزوة بدر
أمتاؤها - موقعها - جبالها - شوارعها -	غزوة أحد - غزوة الخندق - صلح
١٧٨ حاراتها - أقسامها الهامة	١٥٧ الحديبية
١٨٢ مياثها	كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى
١٨٤ مستشفى الغمام	المقوقس
١٨٥ التكية المصرية	١٥٩ فتح خيبر - فتح مكة
١٨٦ مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وداره	غزوة حنين - غزوة تبوك - حجة
١٨٩ دار خديجة بنت خويلد	١٦٠ الوداع ووفاته عليه الصلاة والسلام
١٩٣ دار الأرقم	انتشار الدين الاسلامي - الحرب بين
١٩٥ بستان الشريف عون الرقيق باشا	١٦١ العرب وبين الروم والفرس
١٩٧ تأثير السيول في مكة وتاريخها	١٦٢ فتح الشام - واقعة اليرموك
٢٠٣ سكان مكة	فتح القدس - فتح مصر والتوبة -
٢٠٦ جوق مكة - تجارتها	١٦٣ زحف عمرو على مصر
٢٠٧ تقودها - مياها - عين زبيدة	واقعة عين شمس - أخذ حصن بابلون
٢٢٤ الحرم - المواقيت - الأعلام	١٦٤ فتح الاسكندرية
المسجد الحرام	١٦٥ فتح بلاد المغرب - فتح الأندلس
٢٢٧ وصف عام للمسجد	قيام البحرية الاسلامية وفتح أكبر جزائر
٢٢٩ أبوابه	١٦٦ البحر الابيض المتوسط
٢٣٤ مآذنه	١٦٧ فتح العراق - واقعة القادسية
٢٣٥ توسعته وتاريخ ذلك	فتح فارس - فتح أواسط آسيا ودخول
٢٤٢ مقام إبراهيم	١٦٩ الاسلام فيها
٢٤٨ مواقف الأئمة	فتح الهند وانتشار الاسلام فيها
٢٥١ كيفية الصلاة فيها	١٧١ دخول الاسلام في جنوب أوروبا الشرق
٢٥٢ المشير	١٧٢ تمرد الدولة التركية
٢٥٥ يترززمز	الأقطار التي دخلها الاسلام بمجرد الدعوة
٢٥٩ سقاية العباس - الماشي الأربع - المزاول	ومقدار انتشار الاسلام في الوقت
٢٦٠ القناديل - الموظفون	الحاضر - الصحراء الكبرى
٢٦١ أعمدة المطاف - معلى النساء	١٧٤ السودان - غرب افريقية وشرقها
	١٧٥ روسيا
	١٧٦ الصين - ارنجيل الملايو

صحيفة	الكعبة المشرفة
حكم البناء بمبى - الحصيات بمبى -	اسماؤها ٢٦٢
المزدلفة ٣٣١	وصف الكعبة الآن ومقامها ٢٦٣
عرفقة - ميدانها وحبالها - عرفة موقف ... ٣٣٥	الخطيم ٢٦٦
مسجد نميرة ٣٣٦	الملزم - المعجن ٢٦٧
مسجد الصخرات - سوق عرفة -	بناء الكعبة وعمارتها ٢٦٨
مناظر الحج في عرفات ٣٣٧	الميزاب وتاريخه وما كتب فيه ٢٧٥
الطريق من مكة الى عرفات ومشاعر	باب الكعبة ٢٧٦
الحج فيه ٣٣٨	مخلة الكعبة ٢٧٧
التعميم ومساجد عائشة ٣٤١	معاليق الكعبة وما أهدى اليها من الخلي ... ٢٧٨
الطائف ٣٤٤	كسوة الكعبة ٢٨١
أمراء مكة ٣٥٤	صورة وفقية الكسوة سنة ٩٤٧ ٢٨٥
جدول المسافات بين مكة وأمهات المدن	تفصيل أجزاء كسوة الكعبة ٢٩٢
الاسلامية ٣٦٧	سدانة الكعبة ومفتاحها ٢٩٨
الاحتفال بسفر المحمل من مكة ٣٦٩	تطيب الكعبة ٣٠٠
السفر من مكة الى المدينة من الطريق	صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة ... ٣٠٠
الشرقي ٣٦٩	الحجر الأسود ٣٠١
دخول المدينة المنورة ٣٨٣	الخطيم والحجر ٣٠٥
وثيقة المحافظ - الاحتفال بإدخال المحمل	الحج في الجاهلية وما يتبعه ٣٠٨
الى المسجد النبوى ٣٨٤	الصفاء والمرورة ٣٢٠
زيارة شهداء أحد - غزوة أحد ٣٨٥	مبى - مسجد الخيف ٣٢٢
مسجد سيدنا حمزة بن عبد المطلب ٣٩٠	مسجد الكوثر ٣٢٥
زيارة مسجد قباء ٣٩٤	مسجد الكعبش ٣٢٦
انحراج المحمل من المسجد النبوى وزيارة	مسجد البيعة ٣٢٧
محافظ المدينة لنا ٣٩٩	مسجد منى - الجمار ٣٢٨
سلطان مكة والشحر ٤٠٠	المنحر ٣٢٩
المدينة المنورة ٤٠٧	المقجر ٣٣٠
مساجد المدينة - مسجد القبلتين ٤١٤	مبى موطن توحيد ٣٣٠
مسجد الفتح ٤١٦	
مسجد الأجابة - مسجد الراية ٤١٧	

محتويات الجزء الأول

(س)

صحيفة	صحيفة
٤٦٠ ... تاريخ المسجد النبوي	٤١٨ ... مسجد السقيا - مسجد الفضيخ...
٤٦٨ ... محاريب المسجد النبوي	٤١٩ ... مسجد بنى قريظة - مسجد بنى ظفر...
٤٧١ ... المنبر النبوي	مسجد أبي بن كعب - مسجد المنائفة -
٤٧٢ ... حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصورة	٤٢٠ ... مصلى العيد المعروف الآن بمسجد العمامة
٤٧٦ ... أبواب المسجد	٤٢٢ ... مكتبات المدينة...
٤٧٨ ... مأذن المسجد - تججير المسجد	٤٢٤ ... تكايا المدينة
٤٨٠ ... آداب زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم	٤٢٥ ... مقابر المدينة - البقيع
٤٨١ ... زيارة القبور	٤٢٧ ... أراضى المدينة وأوديتها وآبارها وزروعها
٤٨٢ ... السفر من المدينة في طريق الوجه	٤٣٨ ... أهالى المدينة
٤٩١ ... السفر من الوجه الى الطور	٤٤٠ ... التجارة بالمدينة...
٤٩٢ ... السفر من الطور الى السويس	٤٤٢ ... عادات أهل المدينة
٤٩٣ ... السفر من السويس الى القاهرة	٤٤٥ ... بحر المدينة
جدول خط السير من مصر الى الحجاز	٤٤٦ ... قرى المدينة وتوابعها
٤٩٤ ... الى مصر سنة ١٣١٨ و ١٣١٩	٤٤٧ ... حرم المدينة
٤٩٩ ... ختام الرحلة الأولى	٤٤٨ ... المسجد النبوي

Handwritten title at the top center of the page.

Handwritten entry 1	Handwritten number 101	Handwritten entry 2	Handwritten number 102
Handwritten entry 3	Handwritten number 103	Handwritten entry 4	Handwritten number 104
Handwritten entry 5	Handwritten number 105	Handwritten entry 6	Handwritten number 106
Handwritten entry 7	Handwritten number 107	Handwritten entry 8	Handwritten number 108
Handwritten entry 9	Handwritten number 109	Handwritten entry 10	Handwritten number 110
Handwritten entry 11	Handwritten number 111	Handwritten entry 12	Handwritten number 112
Handwritten entry 13	Handwritten number 113	Handwritten entry 14	Handwritten number 114
Handwritten entry 15	Handwritten number 115	Handwritten entry 16	Handwritten number 116
Handwritten entry 17	Handwritten number 117	Handwritten entry 18	Handwritten number 118
Handwritten entry 19	Handwritten number 119	Handwritten entry 20	Handwritten number 120
Handwritten entry 21	Handwritten number 121	Handwritten entry 22	Handwritten number 122
Handwritten entry 23	Handwritten number 123	Handwritten entry 24	Handwritten number 124
Handwritten entry 25	Handwritten number 125	Handwritten entry 26	Handwritten number 126
Handwritten entry 27	Handwritten number 127	Handwritten entry 28	Handwritten number 128
Handwritten entry 29	Handwritten number 129	Handwritten entry 30	Handwritten number 130
Handwritten entry 31	Handwritten number 131	Handwritten entry 32	Handwritten number 132
Handwritten entry 33	Handwritten number 133	Handwritten entry 34	Handwritten number 134
Handwritten entry 35	Handwritten number 135	Handwritten entry 36	Handwritten number 136
Handwritten entry 37	Handwritten number 137	Handwritten entry 38	Handwritten number 138
Handwritten entry 39	Handwritten number 139	Handwritten entry 40	Handwritten number 140
Handwritten entry 41	Handwritten number 141	Handwritten entry 42	Handwritten number 142
Handwritten entry 43	Handwritten number 143	Handwritten entry 44	Handwritten number 144
Handwritten entry 45	Handwritten number 145	Handwritten entry 46	Handwritten number 146
Handwritten entry 47	Handwritten number 147	Handwritten entry 48	Handwritten number 148
Handwritten entry 49	Handwritten number 149	Handwritten entry 50	Handwritten number 150

فهرس رسوم الجزء الأول

رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم
٣٠	٢٦	بئر طوى بمكة	١	١	المؤلف
٣٠	٢٧	طريق الحجون	١٠	٢	كيس مفتاح الكعبة
٣١	٢٨	قبة على قبر السيدة خديجة	١١	٣	جزء من كسوة الكعبة
٣٢	٢٩	قباب على مقابر أجداد النبي صلى الله عليه وسلم .	١٣	٤	الاحتفال بالكسوة بالقاهرة
٣٢	٣٠	مقبرة المعتلة	١٤	٥	المحمل بمحلة الاسماعيلية
٣٢	٣١	« » وبها قباب السيدة خديجة والسيدة آمنة وأجداد الرسول .	١٤	٦	الاحتفال بانزال المحمل الى البحر في السويس .
٣٣	٣٢	مجمع الحج لسامع خطبة يوم التروية	١٦	٧	مرفاً جدة
٣٣	٣٣	الكعبة المغطاة بالمسجد الحرام بمكة المكرمة .	١٥	٦٩	رجل وامرأة هنديان محرمان
٣٧	٣٣١	مسق بمنى	١٦	٨	مدينة جدة ومرفاها
٣٨	٣٤	محسن باشا وعبد الله باشا بلباس عربي .	١٦	٩	ديوان الحجر الصحي بجدة
	٣٥	محسن باشا وعبد الله باشا بلباس مكي		١٠	١٠
٣٨	٣٦	محسن باشا وعبد الله باشا وإبراهيم بك مصافى والمؤلف .	١٧	١١	ساحل جدة وبه الجمرك
٣٨	٢٦٧	جنانب (ركائب) أمير مكة	٢٠	١٢	احتفال أهل جدة بالمحمل
				١٣	مدير البريد والبرق ورئيس المحكمة ومدير الأوقاف بجدة .
٣٩	٣٧	عون الرفيق باشا أمير مكة وجلبه	٢٠	١٤	سليمان بن عبد الله البسام وأمير الحج محمد حسين الطيب
٤٠	٣٨	الوالي يصاغ الضباط بمكة		١٥	١٥
	٣٩	« والشريف في العربة بمكة	٢٢	١٦	منزل السيد عمر السقاف بجدة
٤٣	٤٠	خطاب تحديد أول ذي الحجة		١٧	١٧
٤٤	٤١	جبل عرفات	٢٢	١٨	ثكنة العساكر العثمانية بجدة
٤٥	٤٢	معسكر الحج بعرفات به مسجد الصخرات .		١٩	١٩
٤٥	٤٣	مسجد تيمرة	٢٦	٢٠	ركب المحمل بمحلة بحرة
٤٦	٤٤	الحجاج بجبل عرفات وبه الشيخ أبو النور طوموم .		٢١	٢١
			٢٧	٢٢	حدة ومسجدها
٤٦	٤٤	الحجاج بجبل عرفات وبه الشيخ أبو النور طوموم .	٢٨	٢٣	علم الحرم بالشمسي
			٢٨	٢٤	مؤخر الركب وبه أمير الحج بالشمسي

رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم
١٨٢	٦٨	بيوت مكة وبها سراى الشريف عبد المطلب .	٤٧	٤٥	المحملان المصرى والشامى بموقف عرفات .
١٥	٦٩	رجل وامرأة هنديان محرمان ...	٤٩	٤٦	أمير الحج الشامى حاملا وصية السلطان بالهجاج (الفرمان) .
١٧٩	٧٠	تكية محمد على باشا بمكة ...	٥٠	٤٧	كيس الوصية السابقة (الفرمان) ...
١٨٩	٧١	مولد النبي صلى الله عليه وسلم ...	٥٠	٤٨	وقاء الفرمان (بجته) ...
١٩٦	٧٢	حديقة الشريف عون الرفيق باشا ...	٥١	٤٩	الفرمان الشاهانى بالعربية ...
١٩٧	٧٣	المشير عثمان باشا نورى العادل ...	٥١	٥٠	عنوان ومقدمة الفرمان ...
٢٠٠	٧٤	الهجاج بجنازون السبل بمكة ...	٥١	٥١	الفرمان الشاهانى بالتركية ...
٢٠٥	٧٥	مسجد السيدة ميمونة ...	٥٥	٥٢	الاحتفال بسفر المحمل من مكة للدينة .
٢٣٧	٧٦	معسكر الهجاج بعرفات وبه حوض مياه .	٥٦	٥٣	المسافر خانة أو المضيفة المكية ...
٢١٢	٧٩	المفجر وبه آلة بخارية ...	٥٨	٥٤	جبل النور وناحراه ...
٢٠٨	٧٧	الأحواض بعرفات ...	٦٢	٥٥	جبل ثور وصعوبة مرقاته ...
٢١١	٧٨	خرية عرفات ...	١٧٨	٢٦٠	من جبل أبى قيس الى جبل ثور ...
٢١٣	٨٠	مجرى عين زبيدة ...	٦٢	٥٦	غار ثور وبه ناظر التكية ...
٢١٧	٨١	نقش خطية قايتباى بجبل عرفات ...	٧٦	٥٧	رسم تقريي للسير فى حجة الوداع ...
٢٢٦	٨٢	خرية المواقيت وأعلام الحرم ...	٨١	٥٨	صلاة الجمعة بالمسجد الحرام وبالرسم باب بنى شية .
٢٢٨	٨٣	المسجد الحرام بمكة المكرمة ...	٨٢	٥٩	الهجاج حول الكعبة وتقبيلهم الحجر الأسود .
	٨٤	عقود « بواكى » المسجد الحرام ...			
	٨٥	المسجد الحرام من جهة الشمال والغرب والجنوب وبه ٣ مآذن .			
٢٢٩	٨٦	اجتماع الهجاج لصلاة الجمعة ...	١٧٩	٦١	مقياس المياه بمجرول ...
	٨٧	حمام الحنى بالمسجد الحرام ...	١٥٨	٣٢٠	كتاب النبي صلى الله عليه للقوقس ...
٢٢٩	٣٢٩	سلم لدخول الكعبة ...	١٧٩	٦٠	خرية مكة ...
٢٣١	٨٨	باب سيدنا على ...	١٧٩	٦٢	بيوت مكة التى على الطراز الحديث
	٨٩	باب الصفا ...		٦٣	» » » » »
٢٣٣	٩٠	المسجد الحرام من جهة باب ابراهيم	١٧٩	٦٤	ثكنة المساكر الشاهانية بجياد ...
٢٣٥	٩١	داخل المسجد الحرام من الجهة الشمالية الغربية وبه ٦ مآذن	١٨٠	٦٥	بيوت مكة الجنوبية الغربية وبالرسم قلعة جياد
٢٥٠	٩٢	الكعبة بالمسجد الحرام ...	١٨١	٦٦	بيوت مكة وبها نارحراء ومثذنة ووة
٢٤٦	٩٣	كسوة مقام الخليل ...			مولد النبي صلى الله عليه وسلم .
٢٥٣	٩٤	منبر المسجد الحرام مصغرا كاملا ...			٦٧

رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة
٣٢٤	١٢٢	مسجد الخيف بمبنى مكبرا	٢٥٣	٩٥	منبر المسجد الحرام مكبرا	١٨
	١٢٣	« بواكى » مسجد الخيف	٢٥٤	٩٦	ستارة باب منبر المسجد الحرام	١
٣٢٥	١٢٤	مسجد الكوثر بمبنى وبالرسم عمود البرق	٢٥٥	٩٧	صلاة الجمعة بالمسجد الحرام	١٧
٣٢٧	٣٢٨	قبة الكيش			سنة ١٣٢٠ هـ	١٨
٣٢٩	١٢٥	رى الجمره الوسطى	٢٥٥	٩٨	صلاة الجمعة ونصف الكعبة	١٩
	١٢٦	« جمره العقبة		٩٩	زمزم يستقى منها الحجاج	١٩
٣٢٩	١٢٧	« الجمره الصغرى	٢٦١	١٠٠	الكعبة بالازار الأبيض من الجهه الغربيه	٢٠
٣٣٧	١٢٨	سوق عرفات	٢٦٢	١٠١	قنص النساء بالمسجد الحرام	٢٠
٣٣٣	٣٢٧	خرية المزدلفه			الكعبة من الجنوب والشرق وبالرسم بابها وتقيل الركن اليماني .	٢١
	١٢٩	الحجاج وخيامهم بعرفات وبالرسم رايح	٢٦٣	١٠٢	ستارة باب الكعبة	٢٠٨
٣٣٧	١٣٠	معسكر الحجاج بعرفات من الشرق وبه جبل الرحمة		١٠٣	« التوبة »	٢١
٣٤٢	١٣١	خرية مشاعر الحج	٢٦٤	١٠٤	عزباب الكعبة وما كتب فيه	٢١٢
٣٤٣	١٣٢	علها الحرم بالتعميم	٢٧٦	١٠٥	القسم الأعلى من ستارة باب الكعبة	٢١١
	١٣٣	مسجد السيدة عائشه ونها الحرم	٢٧٧	١٠٦	« الأوسط » « » « »	٢٢٠
٣٨٢	١٣٤	معسكر المحمل خارج باب العنبريه بالمدينه سنة ١٣٢٠ هـ		١٠٧	« الأدنى » « » « »	٢٢٨
٣٨٣	١٣٥	محافظة المدينه الفريق عثمان فريد باشا	٢٧٧	١٠٩	الكعبة من الجنوب والشرق وبالرسم بابها وسادن الكعبة .	٢٢٩
٣٨٤	١٣٦	الباب المصرى بالمدينه المتوره			حزام الكعبة القصبي	٢٢٨
	١٣٧	منظر المدينه من جهة جبل سلع وبه قبة السبق	٢٨٤	١١١	ستارة باب الكعبة مذهبه	٢٢٩
٣٨٩	١٣٨	جبل سلع وبه كتابه كوفيه		١١٢	كسوة الكعبة من الظاهر	٢٢٩
	١٣٩	جبل سلع به المؤلف وارايم حدى خروبوطى حافظ مكتبة عارف حكمت بك .	٢٩١	١١٣	كسوة الكعبة من الداخل باللون الأحمر كالأصل .	٢٢٩
	١٤٠	من جبل سلع الى جبل أحد		١١٤	حرف « س » كأصله فى الكسوة	٢٣١
٣٩٠	١٤١	ضريح سيدنا حمزة فيه المؤلف وسعودى وشيخ الضريح	٢٩٨	١١٥	« و » « » « »	٢٣٣
	١٤٢	مشهد سيدنا حمزة بالمدينه		١١٦	ستارة باب الكعبة مكبره	٢٣٥
	١٤٣	جبل أحد وفيه ضريح ومسجد سيدنا حمزة	٣٠١	١١٨	يا الله « أربع مرات »	٢٥٠
٣٩٣	١٤٤	قبة الثنايا وعندها سيدات مصرات	٢٢٤	١٢١	الحجر الأسود	٢٤٦
	١٤٥	« » وعندها الضباط والعسكر	٢٢٣	١٢٠	معسكر الحجاج بمبنى	٢٥٣

رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم
٤٢٦	١٧٠	بقيع الفرقد	٣٩٣	١٤٦	جبل أحد رسم سعودي أفندي
	١٧١	البقيع من الجهة الشرقية الجنوبية ...		١٤٧	داخل مسجد قباء به القبة والشرفات
٤٣٢	٣٣٠	دورق مياه مما في المسجد النبوي ...	٣٩٧	١٤٨	مسجد قباء به العسكرو إبراهيم بك مصطفى وعلى بك إسماعيل الخ
	١٧٢	معسكر الحمل بالداودية بالمدينة ...		١٤٩	مسجد السيدة فاطمة ويقال له مسجد الشمس بعوالى المدينة .
٤٣٩	١٧٣	اجتماع من أهل المدينة بمنزل السيد الحيشي	٣٩٨	١٥٠	مسجد قباء من الشمال والشرق
٤٣٨	٣٢٥	آثار قصر سعيد بن العاص		١٥١	منظر اخراج المياه من بئر الخاتم بقباء ...
٤٤٨	١٧٤	خرابة المسجد النبوي ملوثة	٣٩٩	١٥٢	« « « « سواقى المدينة
	١٧٥	« بواكى » المسجد النبوي		١٥٣	ساقية بالبقيع بها بقرتان ينظر اليهما سعودي أفندي .
٤٥٠	١٧٦	حمام الحى بالمسجد النبوي	١٥٤	١٥٤	نجيل سلطان مكة والشجر عمر بن عوض القعيطى .
	١٧٧	قسم من المسجد النبوي رسم من الجهة الشمالية		٤٠٢	١٥٥
٤٥١	١٧٩	قسم من المسجد النبوي رسم من الجهة القبلية وبه درابزين نحاس .	٤٠٦		١٥٦
	١٧٨	قبة النبي صلى الله عليه وسلم ومعها المنذمة الرئيسية		١٥٧	خرابة المدينة وما حولها
٤٦٠	١٨٠	الروضة بها النجفة الكبيرة	٤٠٩	١٥٨	أكبر فندق بالمدينة
	١٨١	أحد الأغوات بالمسجد النبوي		٤٠٨	١٥٩
٤٧٩	١٨٢	أما آخر « «	٤١٣		١٦١
	١٨٣	قبة النبي صلى الله عليه وسلم وثلاث مآذن		٤١٢	١٦٠
٤٦٩	١٨٤	الروضة الشريفة وفيها المحراب النبوي	٤١٤		١٦٢
	١٨٥	محراب عثمان بن عفان		٤٢٠	١٦٣
٤٧٠	١٨٦	المحراب السلطاني العثماني	٤٢٠		١٦٤
٤٧٦	١٨٧	كسوة الحجر النبوية من الداخل ...		٤٢٢	١٦٥
٤٧٥	١٨٨	قسم من الروضة والحجرة به السائر ...	٤٢٢		١٦٦
٤٧٧	١٨٩	باب الرحمة بالمسجد النبوي		٤٢٢	١٦٧
	١٩٠	باب السلام بالمسجد النبوي	٤٢٤		١٦٨
٤٧٩	١٩١	مآذن المسجد النبوي وبالرسم السور من الجهة الشرقية		٤٢٤	١٦٩
٤٨٥	١٩٢	قصر عبله في طريق الوجه			

ق
م

٤٢٦

٤٢٧

٤٢٨

٤٢٩

٤٣٠

٤٣١

٤٣٢

٤٣٣

٤٣٤

٤٣٥

٤٣٦

٤٣٧

٤٣٨

٤٣٩

٤٤٠

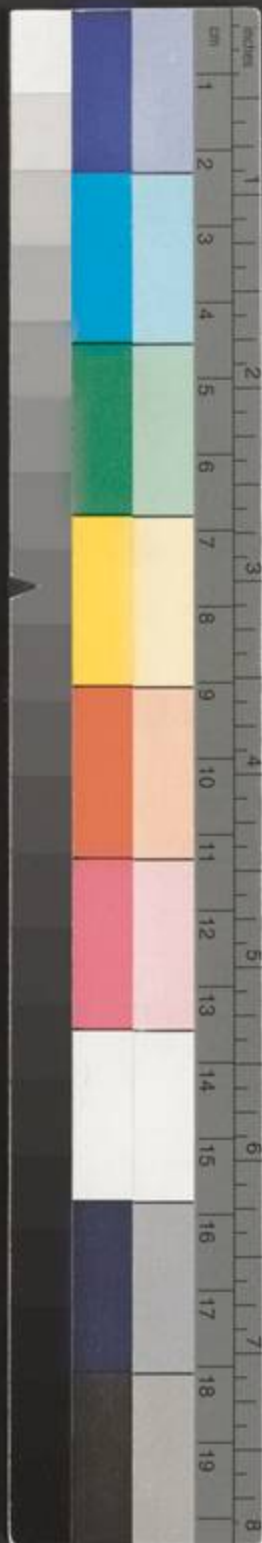
٤٤١

محمد فؤاد الأول



Sa Majesté Fouad I.
Roi d'Egypte

تصوير المسند هـ نزلان بمصر



تقديم الكتاب

الى حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم فؤاد الأول

أيد الله ملكه

مولاي

لقد تسمى عصركم على الأعصار . وزهت مصر في عهدكم على الأقطار فهذه نهضة العلوم والمعارف قد استوت . وتلك أفنانها قد اهترت وربت . وأكمامها قد تفتحت فآتت أكلها ضعفين . بهمة مليكها . شبل اسماعيل ومحيي مجد وادى النيل . وتلك مكة أم القرى . وطيبة مقر المهدي . والبيت المعمور وما إليها من معاهد . بارك الله حولها . وشاد في القرآن بذكرها . فجعلها مثابة للناس وأمنا . تلك المعاهد . تسدي اليك يا أبا الفاروق : شكران من جباها جلالته وآبائه الغر الميامن بفيض كرمهم وأسبغوا عليها وفيهم نعمهم . ونفروا خفافا لنصرتها فلما جأر الحجاز : رب أنى مسنى الضر . كان أسرع الأقطار لتأييده واعزازه مصر وما مصر إلا مآثر آباءك الصيد ومكارم كل غضنفر كبير القلب حديد قد اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الذكر الحميد في اعلاء شأن الاسلام والمسلمين .

فقديما حمى جدكم الأعلى حمى الحرمين . وعنى بقداسة القبلتين ثم درج على سنته أبوكم ابراهيم فاذا بتلك الأقطار وقد أمنت مسالكها وسهلت مباركها ومهايعها .

وجاءت رعايتكم السامية في أزمانكم الزاهية مصدقة لما بين يديها من عطف.
سام على الحرم الأقدس وعناية ملكية بالأثر الأشرف :

منن لكم ولآبائكم خالداً * وأياد على الدهر باقيات

يحفظها لجلالتكم المسامون بين طيات قلوبهم . ويردها الممجج في عرفة
يوم الحج الأكبر . وينقشها الزمان على جبين الكعبة تفيض نورا وتحدث عن
مآثركم أصائل وبكورا .

وهذا كتاب حملني على تأليفه حب شغف به قلبي لتلك البقعة المباركة التي أنزل
الله فيها على عبده الكتاب فدرج فيها الدين وأشرقت منها شمس الهداية على العالمين
جمعه وأنا أشرف كل عام بايصال رفق ببيتكم بيت اسماعيل و ابراهيم الى بيت رفع
قواعده ابراهيم واسماعيل ، وبالسفارة بين موالى وملوكي الأخيار وبين ساكن الروضة
الشريفة المعطار .

وليس فيه إلا كل نقيبة من نقائب المجد لديكم ومحمدة تنطق بالثناء عليكم فهو
منكم واليكم والحمد لله ان جاء مرآة صادقة للشاعر الطاهرة وصورة حقيقة برسومه
الوافرة .

وإني أرفعه لسدتكم العلية وأنزله بساحتكم السنية كلاً الله ذاتكم وحاط باليمن
أيامكم ورعى بتوفيقه سمو ولي العهد المحروس أمين ما

العبد المخلص المطيع لجلالتكم

(اللواء) ابراهيم باشا رفعت

مرآة الحرمين

أو

الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

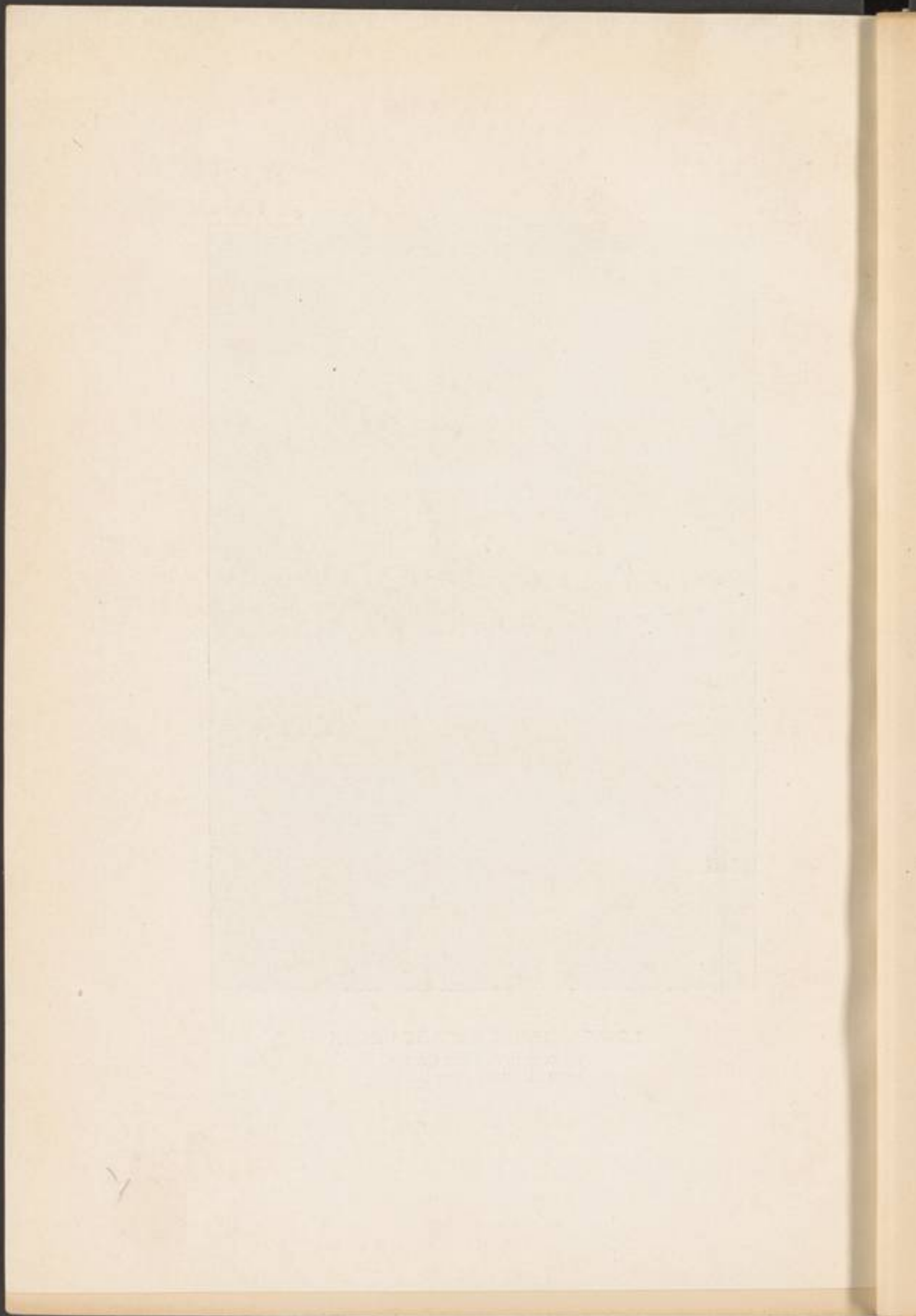
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

أما بعد
فإننا نحمد الله الذي هدانا
لهذا الدين القيم

والذي جعلنا من هذا الدين
مجالس يتلى فيها كتابه
الذي هو نور القلوب

والذي جعلنا من هذا الدين
مجالس يتلى فيها كتابه
الذي هو نور القلوب

والذي جعلنا من هذا الدين
مجالس يتلى فيها كتابه
الذي هو نور القلوب





LEWA IBRAHIM REFAAT PACHA

EX O. C. H. H. BODY GUARD
EMIR EL HAGG, YEAR 1325 H.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^(١) (١٤٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٤٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٤٩) (البقرة)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (١٥٠) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّنَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥١) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (١٥٢) (إبراهيم)

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٥٣) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (١٥٤) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَيْمَاتٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (١٥٥) (٢٨)

(١) أرقام الآيات حسب ما جاء في المصحف الذي تم طبعه في عهد صاحب الجلالة قواد الازل ملك مصر (٢) مكة المكرمة . (٣) أبلدن . (٤) جعلنا مكانه مائة لابراهيم ومرجعا يرجع اليه . (٥) وأعلم الناس بالحج . (٦) مشاة جمع راجل . (٧) بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله . (٨) طريق بعيد .

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ
حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ... ﴿٣٠﴾ (الحج)

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعَنَّ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَى رَبِّكَ
إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٣١﴾ (الحج)

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ
بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا . وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا . وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ آل عمران . (قرآن كريم)

الحمد لله على ما هدى إليه من شعائر الدين، وسنه من شرائع لإحياء العالمين
ومناسك يصمد إليها الدانون والقاصون ويتداعى إليها الموحدون، نحمده على بيت
جعله مثابة للناس وأمنا، وملاذا للاسلام وحصنا، حيث به الأمة العربية وذاع
صيتها في الأقطار العجمية، وطهرت به النفوس من أوزارها وضرعت فيه إلى ربها
فأفاض عليها من الهدايا الروحية والكمالات الخلقية والمنافع الدنيوية والأخروية،
ما لا يدخل تحت الضبط ولا يحصره العد . والصلاة والسلام على هادي الأمم من
عَوَاتِبِهَا، ومنقذها من ضلالتها، والآخذ بها عن اللطم إلى السبيل الأمم محمد بن عبدالله^(٧)
مطهر البيت من الأوثان، والناشر على ربوعه راية السلام الذي وحد بين المسلمين
في المنسك وسن لهم سنة التعارف على اختلاف أجناسهم، وتباين لغاتهم وتباعد
أقطارهم، فكانت بذلك وحدة لا تنفصم العرا، وألفة لا يدركها البلى، مادام المسلمون

(١) أي ليزيلوا ويحطموا بقص الشارب والاضطراب وتطهير النفوس من أدران المعاصي .

(٢) مبتعدا يقصدون إليه . (٣) مكة . (٤) موضع قيامه وهو بين البيت .

(٥) يقصد . (٦) الذنوب . (٧) الوسط .

بما هداهم إليه متمسكين، وبجبل الله معتمدين وبسنة رسوله مؤتمنين، وعلى آله وصحبه الذين سلكوا سبيله وارتسموا طريقه . (وبعد) فيقول «اللواء إبراهيم باشا رفعت» (في الرسم ١) : كنت ولوعا بالحج شعوقا بأداء هذا الفرض متضرعا إلى الله أن يوفقني لرؤية بيته الحرام وما اكتنفته من المناسك، فمن على بالإجابة بعد الإهابة^(١) وبارك في دعوتي كما بارك لإبراهيم في دعوته الطيبة التي أحييت أمة إلى يوم القيامة وعمرت قطرها الجذب ونشرت فيه المدنية الصادقة والشرعة القائمة، فعينت في سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) رئيس حرس المحمل (قومندانه) فرأيت أن نعمة الله على لا يفي بشكرها إلا تدوين رحلتي من أول خطوة فيها إلى آخر خطوة وإخراجها للناس لينتفعوا بها وليستضيئوا بنورها إذا حجوا إلى البيت الحرام أو قصدوا الجزيرة فلم أدع صغيرة ولا كبيرة مما رأيت أو سمعت إلا قيدتها، غير أني كنت أرى مناظر جميلة وآثارا ثمينة ومشاهد مهما دقت في وصفها لا أصل بك إلى الحقيقة ولا أدخل من الروعة في نفسك ما تدخله المشاهدة والرؤية وكنت أتمنى مصورا ماهرا يحبس ما نرى من المناظر وكنت أودّ أن أكون ذلك المصور فلما رجعت من حجتي الأولى تعلمت فن التصوير وجعلته مسلاتي في وقت فراغي ونزعت نفسي إلى حجة أخرى أقيد فيها الصور فأنالني الله بغيتي ومنّ على منة أخرى في سنة ١٣٣٢ هـ (١٩٠٣ م) إذ عينت أميرا للحج فكتبت على نفسي أن أسلك سبيلي الأول في تقييد كل ما أجد وتصوير كل ما يقع عليه النظر حتى أضيف إلى إخبارك — أُرشدك الله — المشاهدة فيتمتع السمع والبصر كأنك تشهد الأماكن المقدسة عن كُتُب . ومنّ على^(٢) بحجة ثالثة في سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٤ م) فكنت فيها أميرا للحج . وعمرني بعد ذلك بحجة رابعة عينت فيها أيضا أميرا للحج سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٨ م) فتلك حججات أربع

وإنها لنفحة كبيرة ومنحة جلييلة تستدعى شكرا جزيلًا وثناء عريضًا وما ذلك إلا بسط ما رأيت بعيني وسمعت أذني للناس في ثوب قشيب ومنظر بهيج فتقدمت إلى المسلمين بهذه الرحلات المصورة التي حوى كل منها ما لا يفنى عن الأخرى إذ كان من حسن حظي أني سلكت كل مرة من مكة إلى المدينة طريقًا غير التي كنت أسلكها من قبل فظفرت بمعلومات قيمة عن أرض الحجاز لا أظنك تظفر بجملتها في كتاب آخر.

ولقد كان من أكبر البواعث على إخراج هذه الرحلات وتكليف النفقات الباهظة في سبيلها أنها أين شرح لفرض من فروض الدين وأصدق لسان يصف مهد النبوة ومبعث التشريع وأنها لتكشف لك عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والأماكن التي شرفت به حتى كأنك تراها رأي العين .

وقد رأيت أن أذكر الرحل الأربع حسب ترتيبها في الموضوع ولما كانت السنة الأولى خالية من المناظر رأيت أن أضيف إليها من مناظر السنين الأخرى إذ هي أول ما تقرأ وأوسع ما خط كما رأيت أن أشبع الكلام على كل مكان شهير أو أثر عظيم أو أمر خطير يأتي ذكره في الرحلة في فصول مستقلة .

وأسال الله سبحانه أن يجعل عملي خالصًا من الرياء وأن ينفع به المسلمين .
 في مشارق الأرض ومغاربها (هُوَ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) .

(١) أبيض تظليل .

الرحلة الاولى

سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م

الأعمال التمهيدية قبل سفر المحمل

أمير الحج وقوة المحمل العسكرية - صدرت إرادة سنوية بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣١٨ (٢٦ ديسمبر سنة ١٩٠٠) بتعيين إسماعيل صبرى باشا الطويجي أميراً للحج وصدر أمر عسكري بتاريخ ٥ ذى القعدة بتعييني رئيساً (قومندان) لحرس المحمل وأمر آخر في التاريخ نفسه بتعيين ١٨٠ ضابط و ١٠٠٠ عسكري حرساً للمحمل وكان الضباط ستة، هم رئيس المائة (اليوزباشى) عبد الوهاب حبيب افندى من المشاة (البيادة)، ورئيس المائة سليمان كامل افندى الطبيب، والملازم الأول ابراهيم أحمد افندى من المشاة، والملازم الأول اسماعيل كامل افندى من المدفعية (الطويجية) والملازم الأول أحمد كامل افندى من الخيالة، والملازم الثانى محمد كامل افندى من المشاة ومن ضمن العسكر ١٤ موسيقياً .

ركب المحمل - صدرت إرادة سنوية بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣١٨ بتعيين محمد سليمان بك أمينا للصرة وقررت وزارة المالية تعيين الشيخ يوسف المرجاوى إماماً للحمل، وحسن حلمى افندى كاتباً أول للصرة، وسعيد أحمد افندى كاتباً ثانياً وحسن قاسم افندى كاتباً للقسم العسكرى وإمارة الحج، ومحمود يوسف افندى صرافاً للصرة، والسيدة صالحة افندى طبيبة، وجملة من كان فى خدمة المحمل فى هذه السنة ٤٧٣ ما بين ضباط وعسكر وموظفين وتوابعهم وقادة الجمال والخيول وحاملى المصابيح (المشاعل) والسقائين والفراشين والزامرین (القريجية) ولم يكن مع المحمل أحد من الأهالى غير عماله وأتباعهم .

صرة المحمل — كانت النقود التي أودعت صرة المحمل في سنة ١٣١٨ هـ وسلمت لأمين الصرة بمقتضى إشهاد شرعى رسمى عمل بمحضر ناظر المالية وأمير الحج وأمين الصرة وصرافها وصراف من المالية ومندوب من قبل حضرة صاحب الفضيلة قاضى قضاة مصر كما يأتى :

مليم	مليم	مليم	مليم	مليم	مليم	مليم	مليم
٥٩٦ ¼	٥٣٢٥	٢٩٧٢	٣٩٠٠٠	٣٥	٤٩	١٤٢٧٦	٥٠٠

وجملة ذلك بالجنبيه المصرى والمليم ما يأتى :

مليم جنيه
¼ ٢٦٢ ١٨٨٩٣ أى ربع مليم واثنان وستون ومائتا مليم وثلاثة وتسعون
وثمانمائة وثمانية عشر ألفا من الجنيهات المصرية .

والمبالغ المذكورة تشمل مرتبات رجال المحمل جميعهم مدة ثلاثة شهور وهى المدة المقدره لسفر المحمل ومرتب أمير مكة والمقدر لأشرافها وللعربان ولتكتيتى مكة والمدينة وجميع النفقات الأخرى اللازمة من أجرة جمال وثمان علف للدواب الخ — أنظر مالية المحمل فى آخر الكتاب .

الكسوة ووصفها — جرت العادة أن يكتب إشهاد شرعى بتسليم الكسوة من مأمور تشغيلها الى المحمل (من فى عهده المحمل والكسوة) ليوصلها الى البيت الحرام ويذكر فى هذا الإشهاد أجزاء الكسوة وأوصافها وقد رأينا أن ثبت هنا نص الإنشاد الشرعى الذى حرر فى سنة ١٣٢١ اذ هو أثر تاريخى يعرف منه القارئ تفاصيل الكسوة ومادتها وهى لا تختلف فى سنة عنها فى أخرى الا فى جودة ما تصنع منه واليك نص الإشهاد ،

بمحكمة مصر الكبرى الشرعية فى يوم الثلاثاء خامس عشر القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف الموافق ثانى فبراير سنة أربع وتسعمائة وألف أذن فضيلتو قاضى افندى مصر حالا لحضرة العلامة الشيخ محمد ناجى أحد أعضاء المحكمة المذكورة بسماع ما يأتى ذكره فيه ولكاتبه هما الشيخ محمد سعيد ومحمد مصطفى افندى

الكاتب كلاهما بالمحكمة المذكورة بكتابة ما يأتي ذكره فيه فلدى حضرة العضو المومى اليه بحضور الكاتين المذكورين بالجلس المنعقد بمسجد سيدنا ومولانا الامام أبى عبد الله الحسين رضى الله تعالى عنه الكائن بمصر المحروسة بالقرب من خان الخليلى والجامع الأزهر بقسم الجمالية فى الساعة العاشرة صباحا من اليوم المرقوم أشهد على نفسه الحاج محمد أحمد المحاملى الساكن بالدرب الأصفر بالقسم المذكور ابن المرحوم أحمد مصطفى بن مصطفى شهوده الإشهاد الشرعى وهو بأكل الأوصاف المعتبرة شرعا أنه قبض واستلم واستوفى ووصل اليه من حضرة عبد الله فائق بك مأمور تشغيل الكسوة الشريفة حالا الساكن بشارع الحجر بقسم الخليفة بمصر ابن المرحوم اسماعيل بك ابن المرحوم ابراهيم الحاضر هو معه بهذا المجلس جميع كسوة بيت الله الحرام المشتملة على ثمانية أحزمة وأربعة رنوكه - أى دوائر - مركبة على حملين من الثمانية أحمال الآتى ذكرها فيه ، مزركشة الثمانية أحزمة والأربعة رنوكه المذكورات بالخيش الأبيض والأصفر المطفى بالبندق الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر المبطن بالفت الأبيض والنوار القطن المربكات الثمانية أحزمة المذكورة على ثمانية أحمال حرير أسود مكتوب ومبطن بالفت الأبيض والنوار القطن ، اثنان من الثمانية أحمال المذكورة كل منهما تسعة أبواب كل ثوب منها طوله ستة وعشرون ذراعا بالذراع البلدى طول كل ذراع منها سبعة وخمسون سانتي متر وكسور من السانتي ، واثنان من الثمانية أحمال المذكورة كل منهما ثمانية أبواب من الأبواب المذكورة ، والأربعة أحمال باقى الثمانية أحمال المذكورة اثنان منها سبعة أبواب ونصف من الأبواب المذكورة والاثنان الباقيان كل منهما ستة أبواب ونصف من الأبواب المذكورة . وستارة بيت الله الحرام المعبر عنها بالبرقع المزركشة بالخيش الأبيض والأصفر المطفى بالبندق الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر والأحمر المبطن بالفت الأبيض والنوار القطن والأطلس الحرير الأخضر بها خمسة شراريب حرير أسود وقصب وكنتير وخيش وستة أذرة (كذا) فضة مطلية بالبندق الأحمر ، واثنى عشرة شرابة صغيرة حرير أحمر وقصب وكنتير واثنى عشرة شمسية

مزرکشة على الحرير الأحمر . وكسوة مقام سيدنا ومولانا ابراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم المبطنة بالبفت الأبيض المزرکشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر والأحمر، بها أربعة شراريب حرير أسود وقصب وكتير ومخيش وعشر شمسيات مزرکشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الحرير الأحمر وعشرة شراريب صغيرة حرير أحمر وقصب وخمسة أذرة فضة مطلية بالبندق الأحمر بها سبع قطن شبكة بقيطان قطن وأذرة شراريب من قطن هندي أحمر وأصفر وبها تترت أحمر . وكيس مفتاح بيت الله الحرام المزرکش بالمخيش الأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الأطلس الحرير الأخضر به تترملون وكتير أصفر مبطن بالأطلس الحرير الأخضر به شرابتان قصب وكتير وقيطان قصب . وستارة باب سطح بيت الله الحرام المعروف بباب التوبة داخل بيت الله الحرام المزرکشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الأخضر والأحمر المبطن بالبفت الأبيض والنوار القطن والأطلس الحرير الأخضر بها تترت . وستارة باب مقصورة سيدنا ومولانا ابراهيم الخليل المشار اليه المزرکشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الحرير الأسود والأخضر والأحمر، بها خمسة أذرة فضة مطلية بالبندق الأحمر وعشر شمسيات مزرکشة بالمخيش الأبيض والأصفر على الأطلس الحرير الأحمر، بها عشرة شراريب صغيرة حرير وقصب المبطن بالبفت الأبيض الحرير الأخضر . وستارة باب منبر الحرم الشريف المكي المزرکشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الحرير الأسود والأخضر المبطن بالبفت الأبيض والنوار القطن والأطلس الحرير الأخضر وثلاثة مجاديل — أى حبال قطن — احتياج تعليق الكسوة الشريفة على بيت الله الحرام وإحدى وأربعين عصفورة — أى حبل قطن مجدول — احتياج الحلق وغلايتين من النحاس مغطاتين مملوءتين بماء الورد الباش احتياج غسل بيت الله الحرام حسب المعتاد قبضا وتسليما واستيفاء ووصولاً شرعيات حسب اعتراف المشهد المذكور بذلك يوم تاريخه بهذا المجلس

بم حضور كل من سعادة إبراهيم رفعت باشا أمير الحج الشريف الساكن بالدويدارى بقسم الدرب الأحمر ابن المرحوم سوينى بن المرحوم عبد الجواد ، وحضرة أحمد زكى بك مدير الأموال المقررة بنظارة المالية المصرية حالا وأمين الصرة الشريفة فى هذا العام الساكن بشارع الظاهر بقسم الأزبكية ابن المرحوم السيد يوسف الحلبي ابن المرحوم السيد عثمان الحلبي ، وحضرة السيد محمود البلاوى شيخ مسجد ومقام سيدنا ومولانا أبى عبد الله الحسين رضى الله تبارك وتعالى عنه الساكن بحارة المناصرة بقسم الموسيقى ابن حضرة العلامة الهمام السيد الشريف على البلاوى شيخ الجامع الأزهر الشريف حالا نجل المرحوم السيد محمد البلاوى ومحمد عمر افندى الكاتب وأمين مخزن مصلحة الكسوة الشريفة الساكن بشارع مصر القديمة ابن عمر ابن محمد العارف كل منهم للشهد المذكور عينا واسما ونسبا وأنه الحاضر بهذا المجلس واتصافه بالأوصاف المعتبرة شرعا وعلى المشهد المذكور الخروج من عهدة ذلك جميعه وتسليمه لمن له ولاية تسلم ذلك بمكة المشرفة حسب المعتاد فى ذلك ، صدر ذلك بحضور وشهادة من ذكر أعلاه تحريرا فى يوم الأربعاء سادس عشر القعدة المذكور الموافق ثالث فبراير المرقوم . هـ .

ويعطى لمحرر الاشهاد الذى ينتدبه قاضى قضاة مصر ٣ جنيهات و ٢٨٠ مليم منها ٨٨٠ مليم نقدية و ١٤٠ قرش ثمن فروة و ١٠٠ قرش ثمن فرجية جوخ .

الاحتفال بالكسوة

فى يوم ٢٧ شوال سنة ١٣١٨ (١٦ فبراير سنة ١٩٠١) احتفل فى القاهرة بكسوة الكعبة المشرفة بالطريقة الآتية :

فى يوم ٢٦ شوال أتى بالمحمل من مقره بوزارة المالية ونقل داخل صناديق على عجلة الى «وكالة الست» بالجمالية حسب المعتاد من قديم ونقل جزء من كسوة الكعبة مع أحزمتها الحريرية المزركشة بالقصب من مصنعاها بالخرنفس الى

(١) عيوب من الفضة طليت بالذهب .

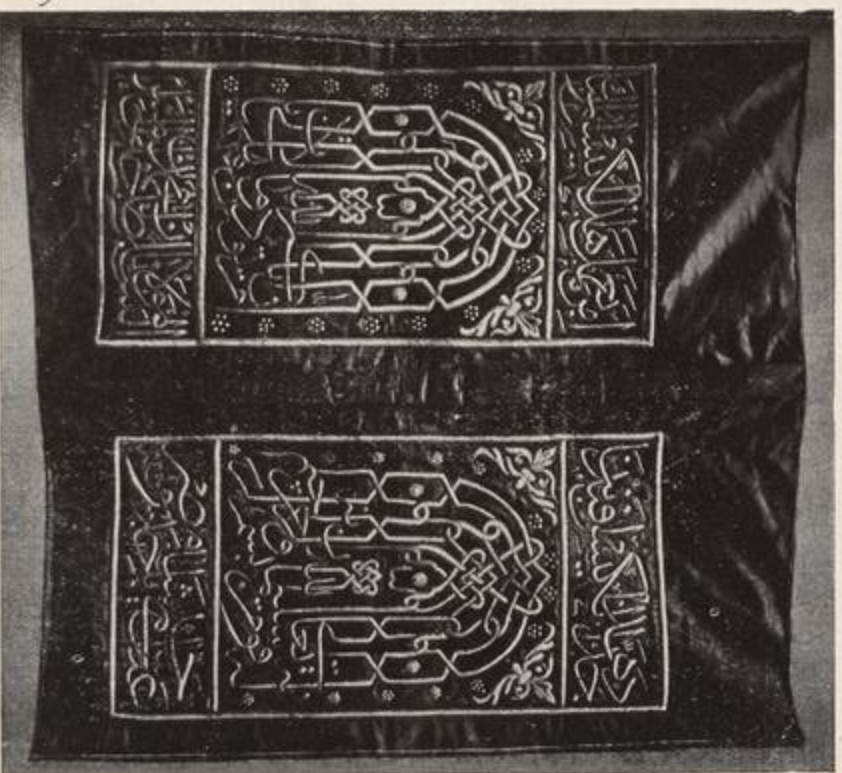
المصطبة بميدان صلاح الدين المعروف بميدان القلعة أو ميدان محمد علي وفي عصر هذا اليوم احتفل رسمياً بنقل كسوة مقام الخليل إبراهيم عليه السلام، والجزء الباقي من كسوة الكعبة من مصنعها بالخرنقش الى ميدان صلاح الدين السابق ، وكان نقل الكسوة على أكتاف الحمالين يحيط بها رجال الشرطة ويتقدمها قسم من الجيش مابين راجل وراكب معهم الموسيقى تصدح بالأناغام المطربة ويصحبه أرباب المزمار البلدى المعينون للسفر بصحبة المحمل ، وكذلك تقدم الكسوة مدير مصنعها - مأمور الكسوة - ممتطياً جواده مرتدياً لباسه الرسمي - بذلة التشريف الكبرى - وعلى يديه ميسوطين كيس مفتاح الكعبة (في الرسم ٢) . ويتلو كسوة الكعبة كسوة مقام الخليل محمولة على الأكتاف أيضاً، وسار الموكب بهذا النظام من المصنع الى «سبيل كتحدا» القريب من النحاسين حيث التقى به المحمل بكسوته الخضراء المعتادة آتياً من «وكالة الست» بالجمالية على ظهر حمل ، فسار وراء كسوة المقام وسار الموكب كله الى النحاسين فالغورية فباب زويلة (بوابة المتولى) فالدرب الأحمر فالتبانه فالمحجر بميدان صلاح الدين حيث أقيم هناك الاحتفال فوضع المحمل مع الكسوة في المحل المقابل لردهة (لصالة) الاستقبال حتى الصباح ووضعت كسوة المقام وسط الردهة المذكورة التي زينت جدرها بقطع من كسوة الكعبة وأحزمتها القصيبة وكيس مفتاح الكعبة وستارة بابها وباب التوبة ، ووضع حول كسوة المقام أربع مائلات (شمعدانات) من الفضة أحضرت من جامع القلعة ، ووضع بحجرة المحافظ التي بالجهة الغربية من ردهة الاستقبال أربع قطع يقال لها (كرداشيات) (في الرسم ٣) زينت بها جدر المحجرة ، وقد أحييت المحافظة الليلة المعقبة لهذا اليوم بتلاوة آى القرآن الكريم وانشاد المنشدين في مكان شرقى مكان الاحتفال ودعت العلماء والكبراء والأعيان لمشاركتها في إحياء الليلة ، ومنهم من دعتهم لتناول طعام العشاء قبل الغروب، ومنهم من دعى للاحياء بعد صلاة العشاء فحسب كما أنها دعت مشايخ الطرق من الرفاعية والسعدية والأحمدية والإبراهيمية والبيومية والقادرية والشاذلية

جزء من كسوة الكعبة توفيه البسملة والصدقية



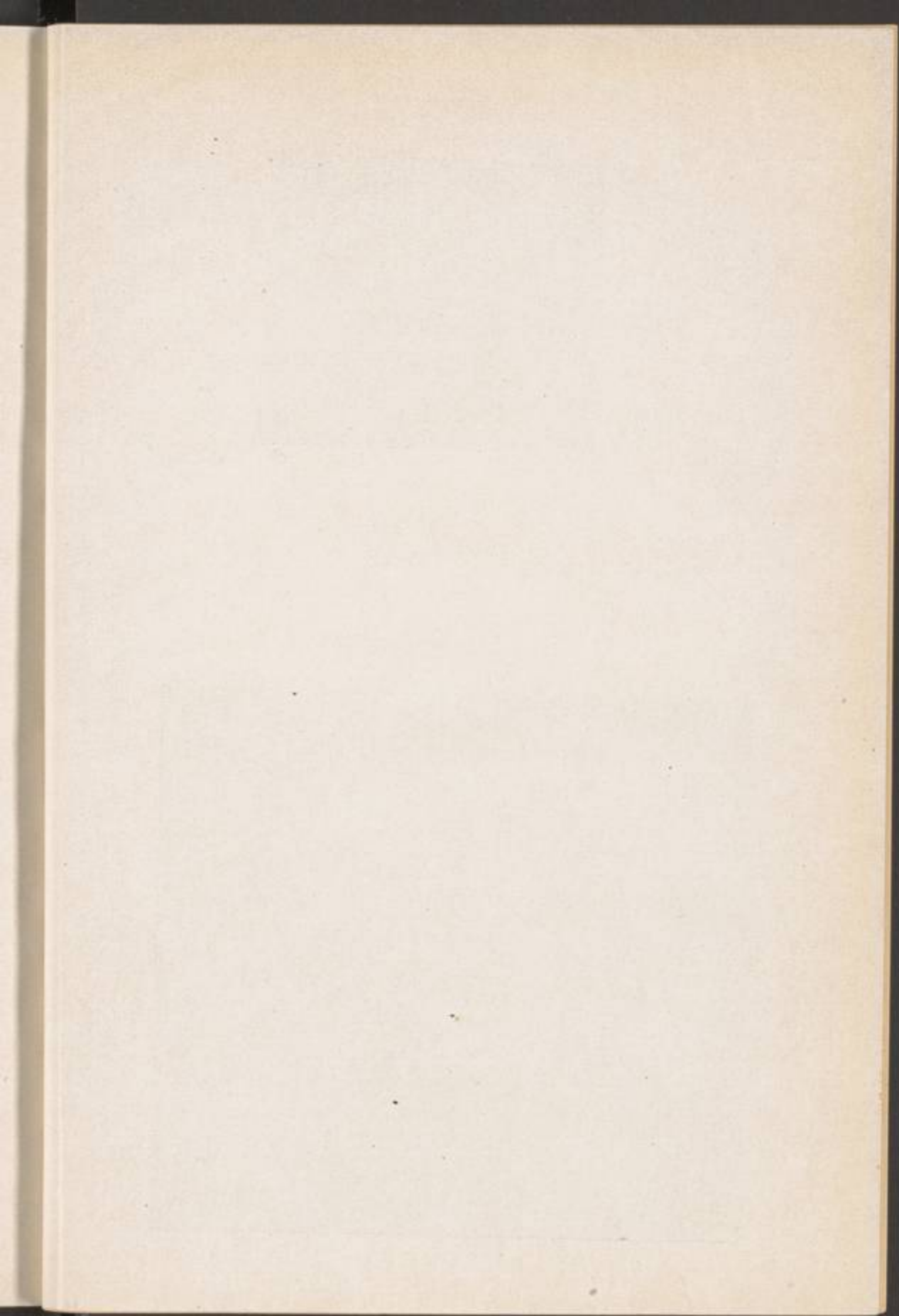
3. A view of a part of the carpet of El Kaaba containing a story from the Koran.

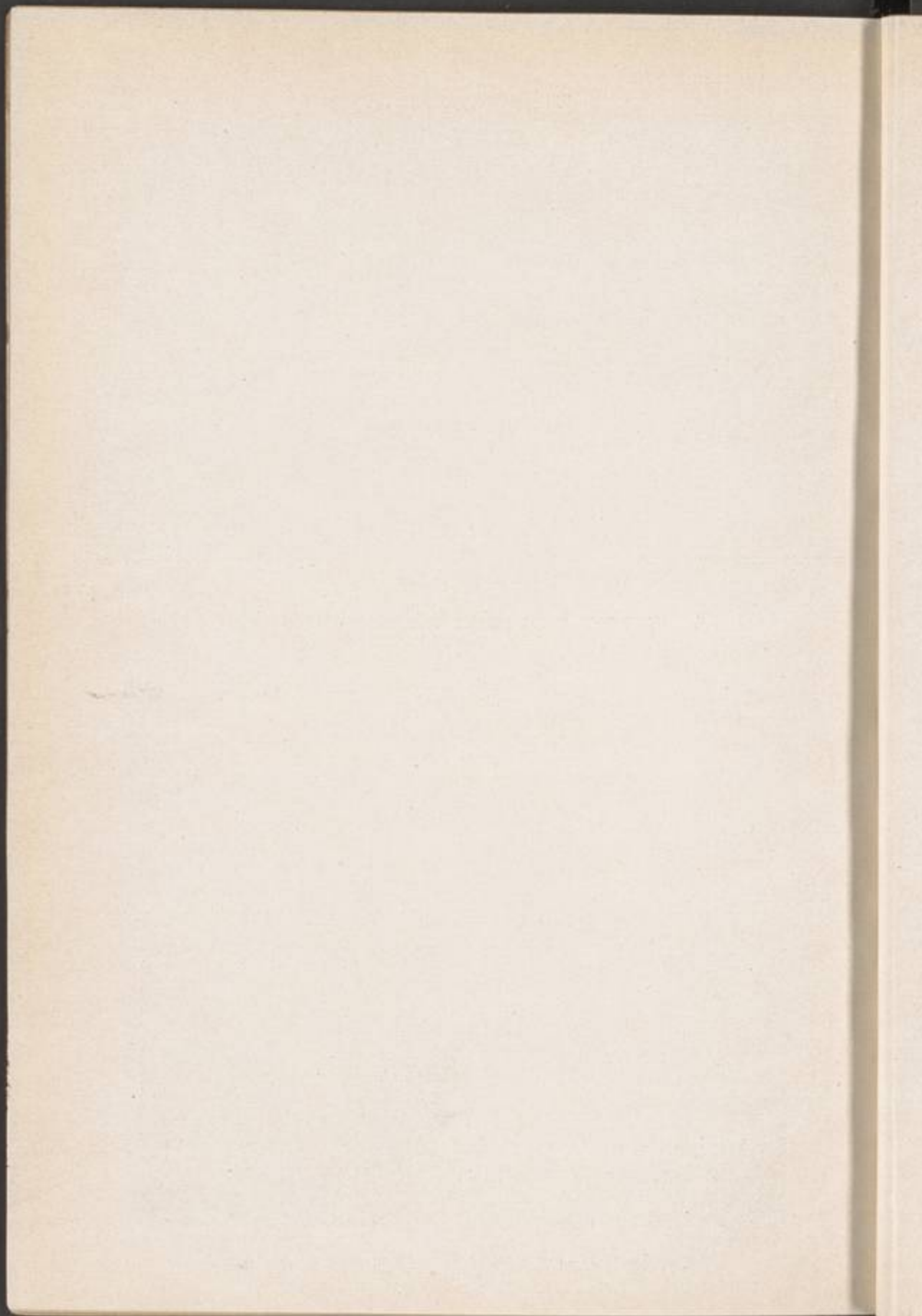
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ



2. The bag containing the key of the Kaaba.

مِنْ طَيِّبَاتِ مَدِينَةِ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ





جَمْعُ تَوَالِيحِ الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ الْقَائِمِ بِمَنْشَرِهَا



جَمْعُ تَوَالِيحِ الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ الْقَائِمِ بِمَنْشَرِهَا

4. The farewell of the Mahmal at Citadel Square in Cairo.

الْمَحَامِلُ الشَّيْخِيَّةُ الْمَكْتُوبَةُ بِالْمَنْشَرِ الْعَرَبِيِّ



جَمْعُ تَوَالِيحِ الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ الْقَائِمِ بِمَنْشَرِهَا

5. The Mahmal in the Railway Station of the Ismailia.

للسير أمام المحمل والكسوتين وللشاركة في إحياء هذه الليلة التي أنفق فيها مائة جنيه مصرى ، واستمرت الحفلة الى ما بعد نصف الليل حيث جمعت قطع الكسوة التي في الردهة وفي حجرة المحافظ مع كسوة المقام ، ووضع كل ذلك مع المحمل في المكان المقابل لردهة الاستقبال .

وفي صباح هذه الليلة احتفل بالكسوة والمحمل إحتفالا نفيا في ميدان صلاح الدين حضره سمو الخديو والوزراء والعلماء والأعيان ، وأطلق الخديو ساعة حضوره واحد وعشرون مدفعا وصدحت الموسيقى بسلامه ثلاثا أعقبها الضباط والعساكر والحضور في كل مرة بالهتاف لسموه (افند من جوق يشا) (يعيش افندينا طويلا) وكان الخديو والحضور ساعة ذلك رافعي أيديهم الى جباههم بالسلام ثم استراح جنباه مع الحضور قليلا في بهو (صالة) الاستقبال مشاهدا دورات المحمل السبع المعتادة في الفناء الواسع الذي أمام البهو وكان يقود جمل المحمل مدير مصنع الكسوة الذي قدم المقود الى سمو الخديو فقبله وناولوه قاضى القضاة فقبله أيضا مع بعض الحضور ثم أعاده الى المأمور الذي ينتظر بالمحمل قبالة الجامع المعروف بالمحمودية بالميدان ريثما يتم استعراض الكسوة ، ثم عرضت الكسوة يحملها الخفراء على سموه وقد وقف خارج الردهة مع الوزراء والحضور، والخفراء يمرون بها من أمامهم حتى إذا ما انتهت استعرض الجيش ثم أطلق واحد وعشرون مدفعا إيذانا بانتهاء الحفلة (في الرسم ٤) وانصرف الخديو والحضور ثم سير بالكسوتين والمحمل الى مسجد الحسين رضى الله عنه يصحبها رجال الجيش والشرطة وأرباب الطرق وفي المسجد استقبل الكسوتين أمير الحج وأمين الصرة وكانا قد سبقا الناس الى المسجد وهناك ضمت بالخطاطة قطع الكسوة بعضها الى بعض ثم نقلت الى العباسية مع كسوة المقام في صناديقها المعدة لها استعداد السفر بهما الى الحجاز بعد . أما المحمل فسير به من المسجد الحسيني الى مصنع الكسوة بالخرنفس^(١) وبقى هنالك الى صبيحة يوم الاحتفال

(١) لا يخفى عليك أن هذه الأعمال ليست من الدين في شيء . وربما كان مبررا لها أنها تبيح النفوس الى أداء الحج .

بمخرج المحمل الى الأقطار المجازية، ففي صبيحة هذا اليوم احتفل بنقله من المصنع الى ميدان صلاح الدين ولكن من طريق سوق السلاح، وفي ضحوة ذلك اليوم ١٣ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (٤ مارس سنة ١٩٠١) عمل احتفال بالميدان المذكور كاحتفال السابق وسلم فيه عبد الله فائق بك مدير مصنع الكسوة زمام المحمل الى سمو الخديو وسموه سامه لأمر الحج حيث قاده محفوفاً برجال الشرطة والجيش وأرباب الطرق الى العباسية ليسافر من هنالك الى السويس فمكة مع الكسوتين والروائح العطرية والخرق الحديدية التي تغسل بها الكعبة .

سفر المحمل وركبه من القاهرة الى جدة

قبل سفر المحمل من القاهرة ببضعة أيام دعت مصلحة السكة الحديدية سعادة أمير الحج اسماعيل صبرى باشا الطويجي لتتصرف منه العربات اللازمة في قطارى البضاعة والركاب اللذين يقلان المحمل وركبه وأمتعته من القاهرة الى السويس فاتفق معها على أن يكون قطار الأمتعة مؤلفاً من ثمان عربات مغطاة وثلاث مسطحة وخمس مجنبة وسبع للحيوانات وقطار الركاب منظوماً من مركبتين للدرجة الأولى وأخرين للثانية وثمان للثالثة وثلثين للحيوانات .

وفي ليلة الخامس عشر من ذى القعدة سافر قطار البضاعة من العباسية يحمل الكسوتين وما يتبعهما وأمتعة المسافرين بصحبة المحمل من خدم وعسكر وقادة إبل وضوئية وفراشين وسقائين . وقد انتقدت الشحن بأن خدم المحمل أسرعوا بشحن أمتعتهم حينما وصل القطار وشغلوا بها أكثر العربات فلما حضر العسكر لشحن أمتعتهم وجدوا أكثر العربات مشغولاً فاضطروا الى إخراج بعض أمتعة الخدم حتى يخلوا لأمتعتهم عربات خاصة وفي ذلك من المشقة ما لا يخفى فلو أن (القومندان) عين ضابطاً ذا مقدرة ونباهة وفطنة وكياسة لتقسيم العربات بين الخدم والحرس وتميز عربات كل فريق وتفيد ذلك بالدقة لما هرول أولئك الخدم المتمترنون على الشحن .

وشغلوا معظم العربات بأمتعتهم ، وكذلك ينبغي أن يعمل هذا النظام بالباخرة البحرية فيعين لكل طائفة أماكن خاصة ويراقب الرئيس تنفيذ ذلك فلا يعتدى قوى على ضعيف ولا يسبق المتمرن غيره الى خير الأماكن بل تكون سواسية بين الجميع .
وفي صبيحة يوم ١٥ ذى القعدة (٦ مارس) سافر قطار الركاب في منتصف الساعة الأولى العربية من العباسية يقل المحمل والأمير والموظفين وبقية الحرس وأتباعهم من الأهالى ، وقد وقف القطر بجحطات القاهرة وطوخ وبنها والزقازيق وأبى حماد ونفيشة والاسماعيلية وفأيد ، وقد كان الأهالى ومشايخ الطرق وطلبة المدارس بنين وبنات ينتظرون المحمل في محطات الوقوف ومعهم الموسيقى والمزمار البلدى . ومما رأيناه من عادات الأهالى إحضارهم أولادهم الرضع ليروا المحمل ويلمسوه فيبارك لهم في ذريتهم وكانوا اذا لم يستطيعوا لمسه قذفوا بمناديلهم الى خدام المحمل بعد أن يضعوا فيها شيئا من النقود أو يملؤها بالخوم البيضاء أو الفطير فيأخذ الخدم ذلك منها ويردونها الى أربابها بعد إمرارها على المحمل ، والذي دعا العامة الى ذلك ما يعلمونه من أن المحمل يوضع داخل المسجد الحرام كما يوضع في المقصورة النحاسية التي حول قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ما دام بالمدينة فيريدون التبرك بمحمل يزور الأماكن المقدسة ، ولما كان التمسح بالقبور منيا عنه في الشرع كان الاجدر بالناس أن لا يتمسحوا بما يوضع على الأضرحة من باب أولى وخلق بالمسلمين خاصتهم وعامتهم أن تتفق عاداتهم مع آداب دينهم وهالك المحمل في عربته بالاسماعيلية (في الرسم ٥) .

وقد وصلنا السويس في اليوم نفسه في الساعة السابعة العربية والدقيقة ٤٥ وكانت المحطة غاصة بالنظارة (المتفرجين) ورجال الشرطة مصطفين على الافريز وفي مقدمة الجميع سعادة المحافظ والموظفون وقد أطلق ساعة وصول القطر ٢١ مدفعا من قلعة السويس وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوى وهتف الحضور بالدعاء المعتاد لولى النعم (افند مز چوق يشا) وتقدم سعادة المحافظ الى أمير الحج وأمين الصرة مهتئا لهما بالوصول ثم تقرر أن يكون الاحتفال بموكب المحمل في منتصف

الساعة الحادية عشرة العربية من اليوم نفسه. ولما حان هذا الموعد اصطف حرس المحمل ورجال الشرطة صنفين متقابلين بالقرب من المحطة وكذلك العساكر القائمون بمنع تجارة الرقيق اصطفوا بهجانهم صنفين وجعل المحمل بينهما ثم سار الموكب بهذا النظام يتقدمه أمير الحج وعلى يمينه المحافظ وعلى يساره أمين الصرة ، والعامه ، وأرباب الطرق من دون ذلك ، وبعد أن طاف بشوارع المدينة كالمعتاد وقف حيث بدأ وإذ ذاك أطلق حرس المحمل ٢١ مدفعا رداً لتحية التقدوم ، وبعد السلام الخديوي انفرط عقد الحفلة وشحن المحمل بقطار السكة الحديدية الى محطة حوض السويس التي بتنا بها الى الصباح وباتت أسر موظفي المحمل بحجر الباخرة .

وفي صباح يوم الخميس ١٦ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (٧ مارس سنة ١٩٠١) أنزلت الأمتعة والكسا والمحمل (في الرسم ٦) الى باخرة النجيلة المخصصة لنقل المحمل وركبه الى جُدّة وقد قام بتفتيش الباخرة سعادة المحافظ ومندوب من شركة البواخر الخديوية ورئيس الحرس ولما تيقنوا بخلوها من محتبين لا يحملون جواز سفر صرح للحجاج والحرس بالتزول اليها . ومما لاحظته على الباخرة أن أماكن الدرجة الثالثة بها كانت دون حاجة المسافرين فكان الزحام فيها شديداً ومحل الحيوانات كان رديثاً جداً فإن طوله لا يزيد على ١٥ متراً في عرض الباخرة، وارتفاعه متران تقريباً ولا يوجد به من النوافذ التي لا يزيد قطرها عن ٢٠ سنتيمتراً إلا نافذتان في كل جهة، وكان به ٤٠ حيواناً بين خيل وبغال وقد بلغ من ازدحام الحيوانات به أن العساكر ما كانت تمكن من وضع العلف لها إلا بالسير من تحتها وأنها كانت تتصبب عرقاً بل تتساقط على الأرض من شدة الحرارة بالرغم من أننا وضعنا مروحة بحرية (منيجه) لجلب الهواء لها، وقد تسبب عن ذلك ضعف الخيل وهزلها مع أنها مستريحة غير عاملة . وقد أخذ من كل حاج بالسويس ٣٢ ملياً ضريبة الحجر الصحي بها وقد استنفد ذلك كثيراً من وقت الحجاج، فلو أن الحكومة أخذت هذه الضريبة مع ضريبة محجر الطور لأراحت الحجاج ووفرت عليهم وقتاً ضيعوه في الدفع وتسلم الصكوك به . وفي منتصف الساعة التاسعة العربية من يوم الخميس أفلعت الباخرة (بسم الله مجريها

بیتنا والحدائق والحدائق

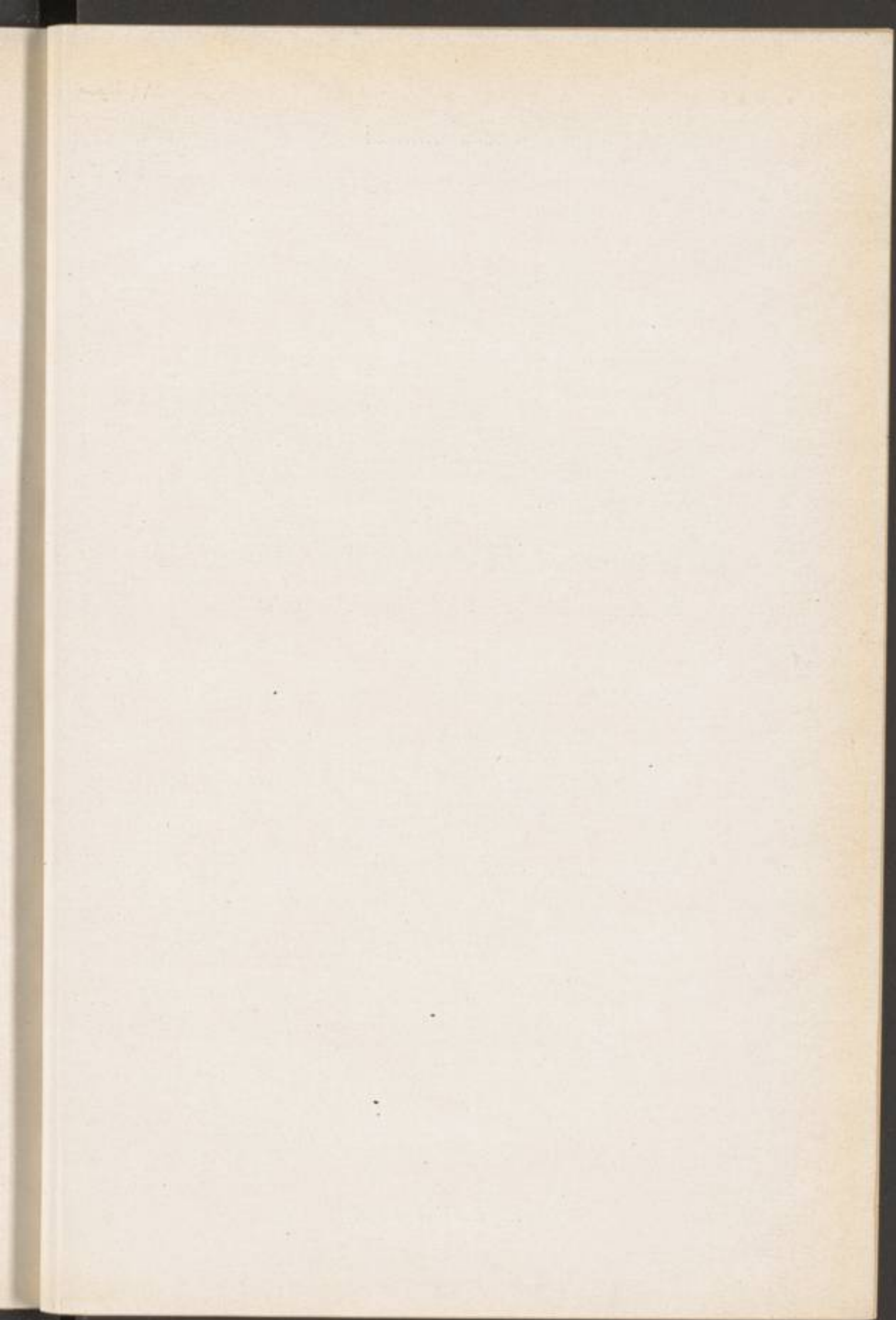


بیتنا والحدائق والحدائق

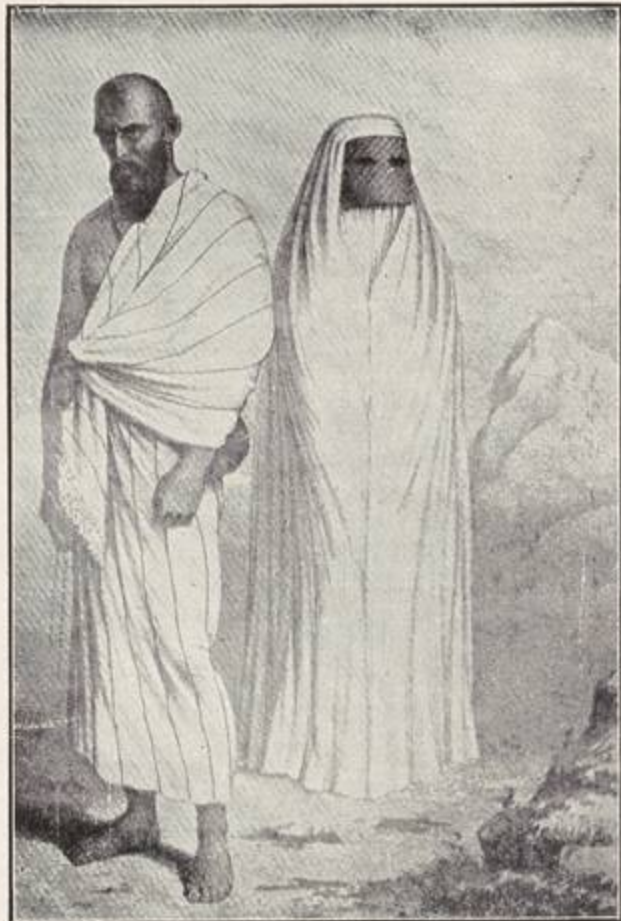
(6). A view of the Mahmal coming down the Sea in Suez



7. The Port of Gedda.



رجل وامرأة هندیان محرمان



رجل وامرأة هندیان محرمان

69. An Indian man and an Indian woman in pilgrimage (Ihram) Clothes.



رجل وامرأة هندیان محرمان



رجل وامرأة هندیان محرمان

69. An Indian man and an Indian woman in pilgrimage (Ihram) Clothes.

ومرساها) ميممة جدة فوصلتها في صبيحة ١٩ ذى القعدة (١٠ مارس) في الساعة الثانية العربية فنكون قد قطعنا المسافة بين السويس وجدة في ست وستين ساعة وهي ٦٤٦ ميلا. وقد كان البحر هادئا من وقت القيام الى مساء اليوم التالي ثم اشتدت الرياح وهاج البحر واستمر ذلك حتى جئة وقبل الوصول اليها بما يقرب من ست ساعات مررنا برايع على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر وهناك أحرم المسافرون بعد أن اغتسلوا وحلقوا وقصوا الأظفار ولبسوا لباس المحرمين (الرسم ٦٩) فرفعوا أصواتهم بالتلبية « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

تجردت لما أن وصلت لرايع * ولبيت للمولى كما حصل النداء
وقلت إلهى عندك الفوز بالمنى * وإني فقير قد أتيت مجردا

والتلبية مطلوبة عند الاحرام بحج أو عمرة، وكلما علا مرتفعا أو نزل منخفضا وكذلك عند تلاقى الركبان ثم من الناس من أحرم بالحج ومنهم من أحرم بالعمرة وهم جميع الركب خلا أربعة وإنما أثرتا العمرة لتحلل منها اذا وصلنا الى مكة وطفنا وسعينا بين الصفا والمروة فيحل لنا ما حرم علينا بالاحرام من لبس الخيط وكشف الرأس للرجال وتغطية الوجه للنساء والتطيب والخلق الخ ، وقد جرت العادة بأن السقائين والعمامة والفراشين والضوئية لا يحرمون ولا يؤدون شيئا من مناسك الحج فأمرهم الأمير بالاحرام، فأطاعوا مرغمين وأخذوا مما عندنا من « البفتة » ما يرتدون به للأحرام وكانوا قد خرجوا من مصر غير متأهين له دأبهم في كل مرة وكذلك اشترت للحرس (بفتة) من القاهرة بنقود دفعوها فاتخذوا منها ملابس الاحرام فكنت ترى ركب المحمل من كبيره الى صغيره محرما خلاف ما تعودوه في السنين الخالية ، ولهذا كان الناس معجبين بنا هذه المرة إذ رأوا فينا خطة جديدة هي عين ما رسمه الشرع الشريف ونذب اليه .

(١) لبيك معناها إجابته بعد إجابة . (٢) طلبت في سنة ١٣٢٠ من المالية أن تشتري للمسك ملابس الإحرام من مالها الخاص فأجابت .

وصول المحمل الى ميناء جدة

لما وصلت الباخرة مرفأ جدة لم يحضر الحاكم ولا أحد من قبله لتهنئة الأمير بالوصول حسب العادات المتبعة ولا سيما أن الباخرة بها أمير الحج وقسم عسكري ينبغي احترامه ومساعدته في نقل أمتعته وإرشاده الى المعسكر الذي ينزل به، إنما حضر طبيب الحجر الصحي للكشف على راكبي الباخرة وأصحاب السفن الشراعية (السنابك) لينقلوا المسافرين وأمتعهم الى البر، وعند رسو الباخرة أطلقنا سبعة مدافع إيدانا بالوصول ولم ترد علينا التحية الباخرة العثمانية الحربية الراسية بالميناء باطلاق المدافع كما هو المعتاد (وَإِذَا حُيِّمُ بِحَيْبِهِ فَخَبُّوا بِأَحْسَنِّ مَنَآ أَوْ رُدُّوهُآ) فكررنا التحية باطلاق ٢١ مدفعا وعزفت الموسيقى بسلام جلاله السلطان وأعقبته بالدعاء له ثلاثا ثم بسلام الخديو والدعاء له كذلك وبعد تلكؤ ردت التحية باطلاق المدافع من قلعة جدة .

نقل الأمتعة من الباخرة إلى ساحل جدة - الباخرة ترسو بعيدا عن الساحل بنحو ميلين لكثرة الشعب بالمرفأ كما ترى في (الرسم ٧) وتقوم بنقل الحجاج وأمتعهم إلى البر سفن شراعية تسمى (السنابك أو القطاير) والأجرة المقدرة للسفن التي تحمل موظفي المحمل وأمتعته خمسة جنيهات مصرية وللنجارين (النوتية) الذين يتزلون الأمتعة الى السفن ويخرجونها منها الى البر جنيهان ومثلهما للنجارين الذين ينقلون الأمتعة من الساحل الى المعسكر «نصبيا مفروضا» أما الحجاج التابعون للمحمل فننقلهم النقل عليهم (انظر الميناء والقوارب في الرسم ٨) .

عوائد الحجر الصحي وإجازة السفر - قضت قوانين الدولة العلية في جدة بأن يؤخذ من كل حاج ثمانية قروش رسم الحجر الصحي (أنظر ديوان الكوررتينا في الرسم ٩) وقرشان رسم إجازة السفر (في سنة ١٣٤٢ هـ كانت الرسوم على كل حاج ٨٩ قرشا - الله يرحم المعداوى القديم) ويعطى لكل حاج صكان بما دفع

منظر مدينة جدة ومينائها



(8) Geddah and Harbour.

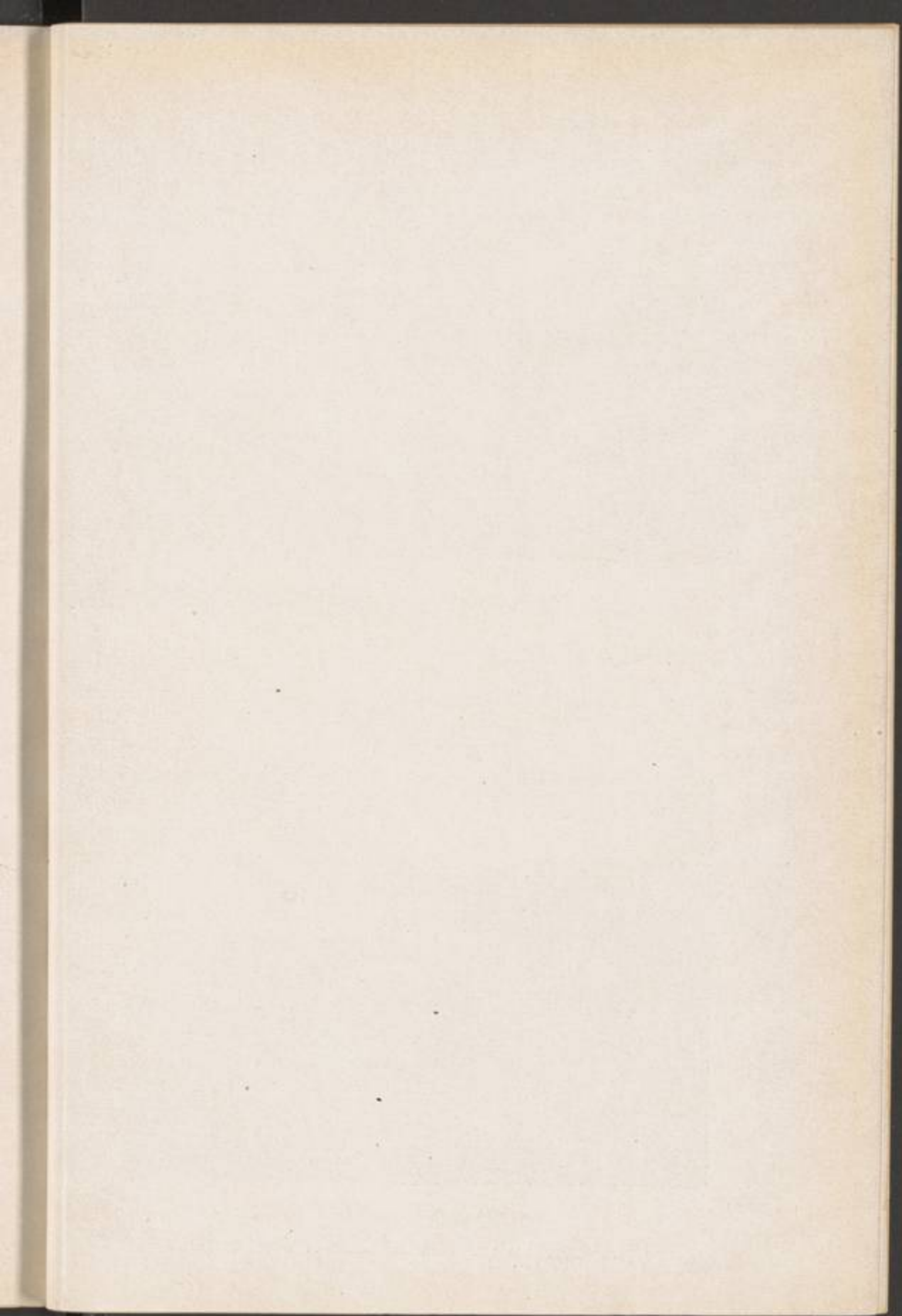
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَدَّةُ الْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ
 وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمِنَارِ الْمَشْرِقِيِّ
 وَالْمَسْجِدِ الْمَدِينِيِّ وَالْمَسْجِدِ الْمَدِينِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَدَّةُ الْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ
 وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمِنَارِ الْمَشْرِقِيِّ
 وَالْمَسْجِدِ الْمَدِينِيِّ وَالْمَسْجِدِ الْمَدِينِيِّ

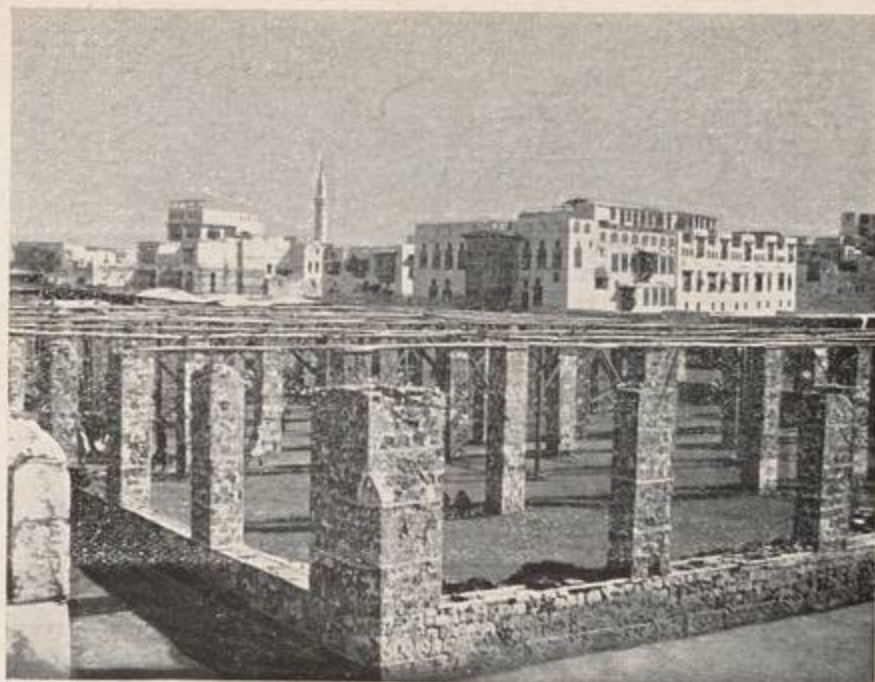


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَدَّةُ الْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ
 وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمِنَارِ الْمَشْرِقِيِّ
 وَالْمَسْجِدِ الْمَدِينِيِّ وَالْمَسْجِدِ الْمَدِينِيِّ

(9) A view of the quarantine disinfection in Gedda in 1321.



51



11. Geddah and Customs House

جَمْعُ الصَّحَابِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ



12. Procession of the Mahmal at Jeddah & the (falsely ascribed) mausoleum of Hawa (Eve).

جَمْعُ الصَّحَابِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

وان أخذ الرسوم يستغرق زمنا طويلا ولذلك اضطر الحجاج الى افتراض الأرض الرطبة ليلتهم حتى انتهت مهمة التحصيل التي تستنفد من كل حاج نحو خمس دقائق، وفي الباخرة ما لا يقل عن ستمائة حاج - وكان خيرا من هذا أن تسلم الرسوم كلها من أمير الحج الى المحافظ دفعة واحدة وتحصل من الحجاج مع رسوم إجازات السفر من مصر كما يؤخذ مع هذه الرسوم أيضا أجرة نقل أمتعة الحجاج من الباخرة الى الساحل ويتولى الأمير دفعها الى رئيس المنجلين (الحمالين) وأر باب السفن حتى لا توجد منازعات ما بينهم وبين الحجيج، وقد كتبت الى الحكومة بهذا مقترحا تنفيذه فأجابت، ولما عينت أمير الحج في سنة ١٣٢٠ وبلغت جئدة كملت محافظتها سعادة على يميني بك أن يأذن لمرافقي المحمل بالخروج من الميناء قبل دفع الرسوم وتعهدت بدفعها له مرة واحدة فأذن بذلك وكنت طبعت بطاقات بأرقام متتابعة كتب على كل منها «حاج مرافق للمحمل المصري» وأعطى لكل حاج واحدة منها وكانت تؤخذ منه ساعة خروجه وتضم الى غيرها ودفعت الرسوم الى المحافظ بعدد ما بعد أن أرسل لي مأمور «الكورتينه» الكتاب التركي الذي تراه في (الرسم ١٠)، وبهذا تمكنا من إراحة الحج ومنع التراحم وإنقاذهم من المكث زمنا طويلا على أرض رطبة في جورطب، وكذلك اتفقت في هذه السنة مع أر باب السفن والمنجلين، وبهذا انقطعت المنازعات والاختلافات.

نقل الأمتعة من الساحل الى المعسكر - نقلت الأمتعة من الباخرة الى البر ووضعت في الطريق أمام بناء الجمرک (أنظر الرسم ١١ وترى فيه أعمدة البناء فوقها قوائم الخشب بدون سقف) وأحيطت بسور من عساكرنا ثم أخذ الحمالون في نقلها الى المعسكر بجوار القبر المكذوب على أمنا حواء على مسافة ميل تقريبا. ولما كان نقل المتاع على ظهورهم يستنفد يومين أو ثلاثة قصدت رئيس البلدية في مكانه التريب منا ورجوته مساعدتنا في نقل الأشياء الثقيلة التي منها كسوة الكعبة وساعتئذ حضر «القائمقام» خالد بك (قومندان) العساكر فرجوته

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

مجلس الوزراء
في القاهرة

١٧٢

صلى الله عليه وسلم
البرق
البرق

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين
مجلس الوزراء
في القاهرة
١٧٢



(١٠٠ رقم)

إدارة الحجر الصحي بجدّة . مکتوب رقم ١٧٢ . إلى محافظ العمل المصرى الشریف .
صاحب السعادة . قضى النظام المتبع بأن يؤخذ من كل حاج يقدم إلى مكة عشرة فروش للإدارة
الصحية . وقد حضرت بالأمس إلى جدّة بانخرة النجيلة فيها ٢٨ حاجا تحت رعايتكم دفع خمسة منهم الرسوم
و ٢٣ لم يدفعوا فترجوا أخذ ٢٣ قرشا منهم وأرسالها إليا والأمر لكم
٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٢٠ (١٢ شباط سنة ٣١٨)

أيضا فبعثنا مندوبين من قبلهما للتجار أصحاب العربات، وبعد ساعة أحضروا سبع عربات صغيرة أشبه بعربات نقل الرمل عندنا ولكنها دونها فساعدتنا كثيرا، ولما جنّ الليل واقترب غلق أبواب الجمرك وخفت أن يببت بعض الأمتعة بالميناء ويتعطل لديها قسم من العساكر لحراسته — رجوت رئيس الشرطة (الحكيمدار) في تأخير الغلق مدة وجيزة فلبى الرجاء ووقتئذ أمرت بحمل الأشياء الخفيفة وعلف الدواب على ظهور الخيل والبغال وأمرت العساكر أن يحملوا ما استطاعوا حمله فلم تأت الساعة الثالثة ليلا إلا وقد تم نقل جميع الأمتعة الى المعسكر، ومع أن النقل كان في الظلام الحالك والزحام بالغ أشده والمسافة بعيدة — لم يفقد شيء ما، وان هذا لدليل قاطع على همة الحراس بجدة وكال يقظتهم وتنبه رجالنا، على أنه — والحمد لله — تكاد السرقات بجدة تكون معدومة مع شدة الزحام بها في موسم الحج ولكن هذا لا يمنع من التيقظ والاحتياط ” اعقلها وتوكل “ .

الاقامة في جدة

أقمنا بجدة من الساعة الثانية العربية من يوم الأحد ١٩ ذى القعدة سنة ١٣١٨ الى الساعة الحادية عشرة نهارا من يوم الخميس ٢٣ منه وذلك لفقدان الجمال التي نقلنا الى مكة . وقد احتفل بالمحمل في جدة في اليوم الثاني احتفالا رسميا فتراصت عساكر الدولة العلية صنفين متقابلين معهم الموسيقى — وكان عددهم ٤٠٠ من العساكر النظامية ، و ٢٠٠ من غير النظامية — وكان ذلك خلف الجمرك وحيء بالمحمل في الساعة الأولى العربية الى مجتمعهم يتقدمه الأمير وأمين الصرة ويحيط به حرسه وتضام الكل وسار المحمل بين الصفوف يحوب شوارع المدينة جريا على سنته الماضية وكان يوما مشهودا إذ كان جميع الضباط والموظفين بلباسهم الرسمي وموسيقى الدولة — وعدد رجالها ثمانون — تصدح مع موسيقانا بالأناشيد الشجيرة، وكنت ترى الوجوه ضاحكة مستبشرة لا تقرأ عليها الا آيات الفرح والسرور وإذا أضفت الى ذلك منع الزحام بفضل النظام الذي وضعه القائد خالد بك أدركت أن الناس قد

بلغ الفرح من نفوسهم مبالغاً عظيماً، وقد انتهت الحفلة برجوع المحمل حيث بدأ سيره بعد أن صدحت الموسيقى بالسلام السلطاني فالسلام الخديوي وبعد الهتاف لها بالعز والبقاء . (أنظر الرسم ١٢) .

تبادل الزيارات بجدة — قد زار حاكم جدة الملكي وحاكمها العسكري بملابسهما الرسمية أمير الحج وأمين الصرة ورئيس الحرس كلا في خيمته وقدمنا لهما القهوة والشراب الحلو ورددنا لهما الزيارة في اليوم التالي، وكذلك زار رئيس تجار جدة سعادة عمر نصيف باشا الأمير والأمين ولم يتمكن من رد الزيارة له لضيق الوقت وقد بلغني وأنا بمكة امتعاضه من تركهما لزيارته فأخبرته بأنا رددنا له الزيارة بحمله بمكة ليُسرى عن نفسه ، وقد كان أهالي جدة صغيرهم وكبيرهم يتواردون علينا عصر كل يوم لمشاهدة المحمل وسماع الموسيقى والمزمار البلدي حتى مغرب الشمس ، ومن بعد العشاء الى الساعة الثالثة بعد الغروب ، وأيام وجود المحمل بجدة تعتبر عند أهلها مواسم فرح وسرور وإنهم ليجوبون سماع الألحان حبا جما ، وكان ذلك مركز في طبيعتهم مفضولة عليه نفوسهم .

معارفنا بجدة — قد تعرفنا برئيس المحكمة الأهلية ومأمور الأوقاف، وكان صلة التعارف بيننا مدير البريد والإشارات البرقية عبد الرحيم محب افندي التقى الورع الصالح الأمين الذي سبق أن تعرفنا به بسواكن منذ كان هناك مدير البرق (التلغراف) للدولة العلية وكنت بها أركان حرب في سنة ١٨٩٦ ، وتاليتها (ورسم الثلاثة كما في اللوحة ١٣) . وتعرفنا أيضا بالشيخ سليمان بن عبد الله البسام وكيل أمير نجد والتاجر ذى الخلق الطيب والمروءة والشهامة ، وقد دعاني مع حضرة صهرى العلامة الكامل التقى الشيخ محمد طموم الى منزله فأكرمنا وأتحفنا بلذيذ حديثه وشعره وقد حضر الى مصر في نحو سنة ١٩١٢ م وارتسمنا معا ونحن نشرب القهوة كما ترى في (الشكل ١٤) .

مأمور الأوقاف ورئيس المحكمة بمكة

مدير البريد والتلغراف



مدير البريد والتلغراف

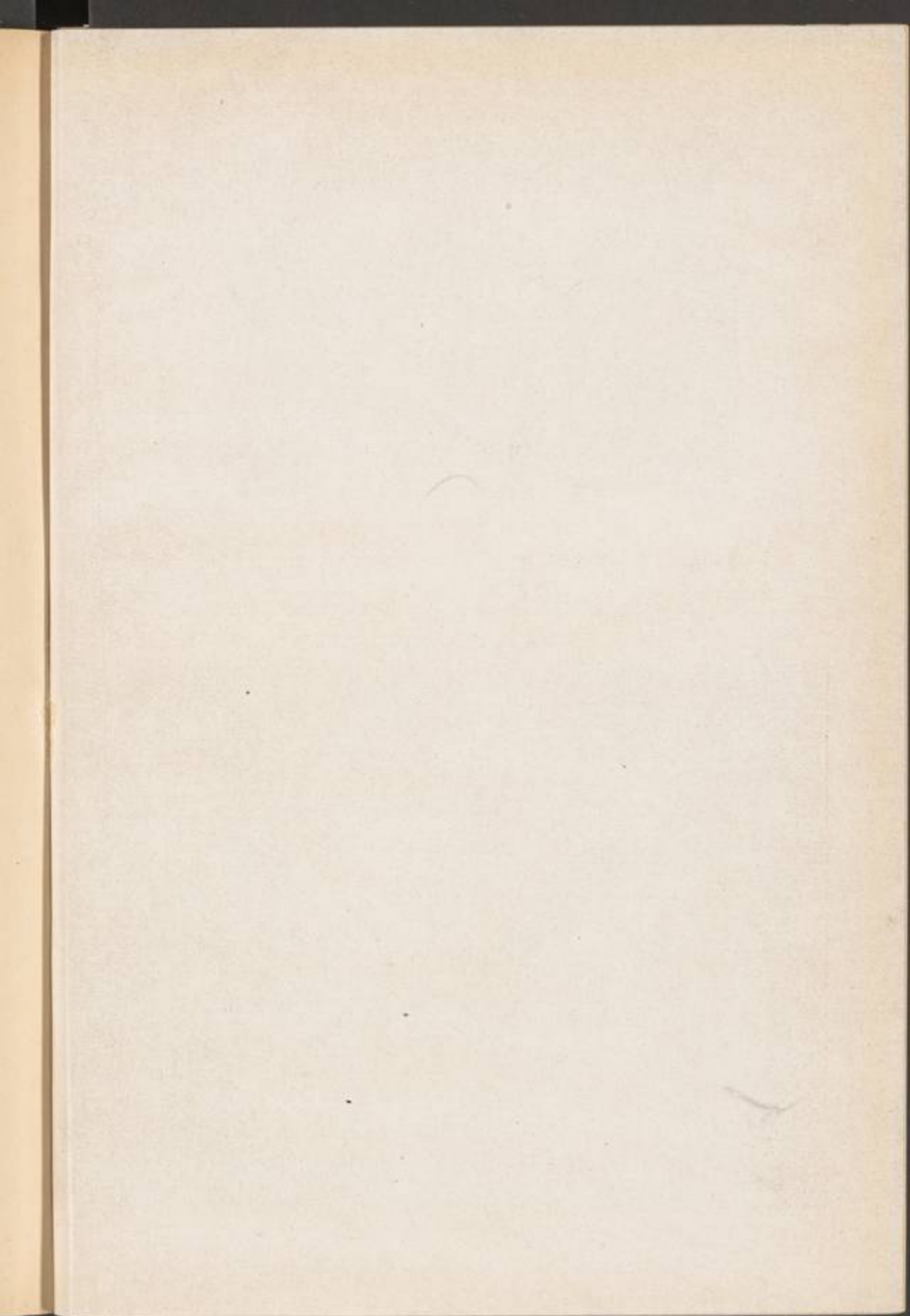
13. The Director of Post and Telegraph.—The Director of Wakfs.—The Chief of Court at Geddah.

سليمان بن عبد الله البسام



سليمان بن عبد الله البسام

14. Soliman ibn Abdulla el Bassam and Amir el Hag.



وكذلك تعرفنا بالطيب محمد حسين افندي نائب "قنصل" إنجلترا للرايا الهنود (أنظر الرسم^(١) ١٥) .

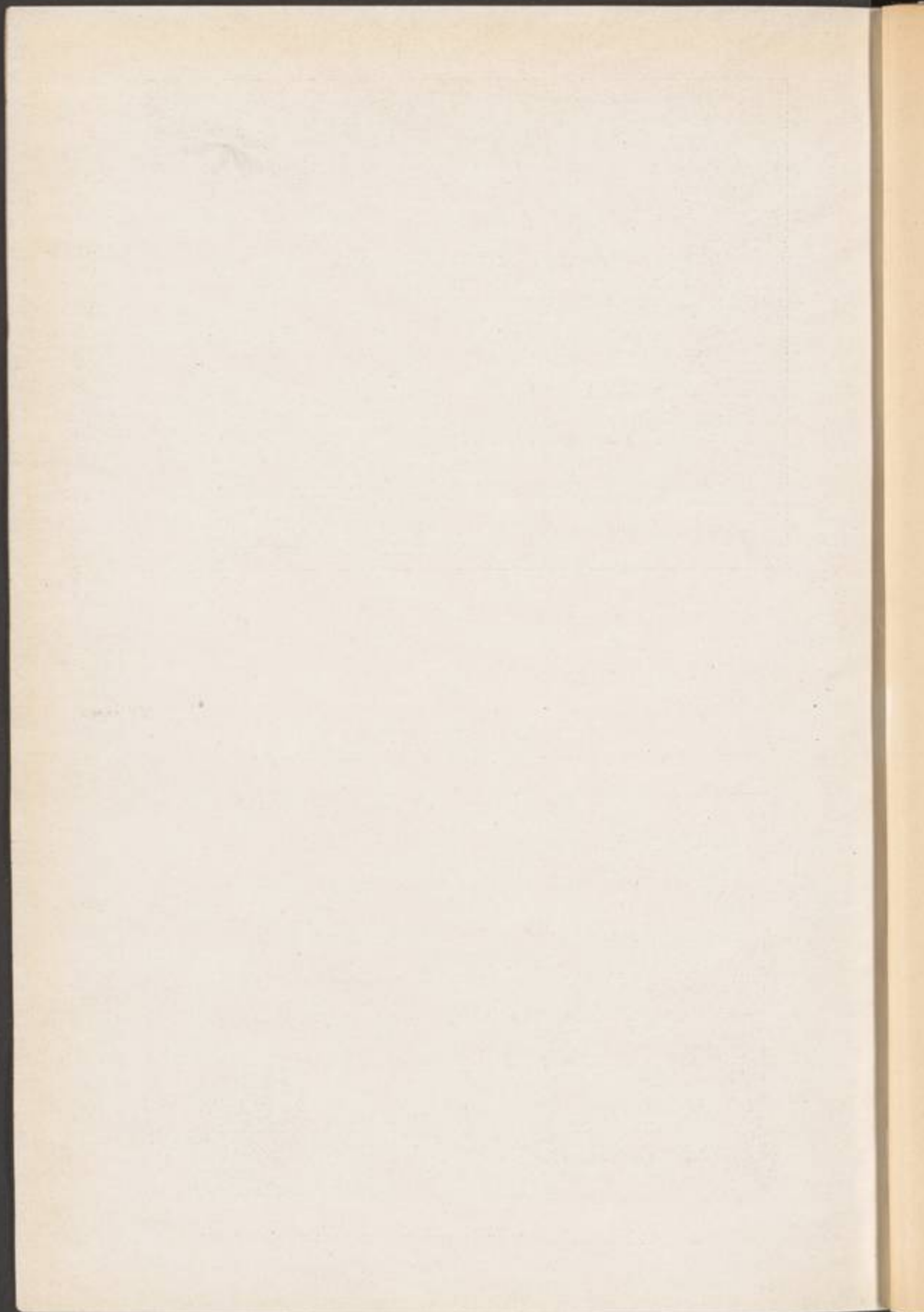
ما يلزم الحاج بجدة - يلزمه شراء النعال المشروعة للحرم وشراء الشقائف التي توضع على ظهر الجمال ويركب عليها شخصان كل في عدل منها وثمان الشدفة من ١٢٠ قرشا مصريا الى ٥٠٠ قرش ، والاختلاف في الثمن من الدقة في الصناعة أو الزخرفة ، وهذه الشقائف أعمدة توضع عليها الأغطية من طنافس (أبسطة) عجمية أو ملاءات مصرية أو أخيشة كثانية يشتري كل ما يناسب ثروته وثمان (الكليم) العجمي من ١٣٠ الى ٣٠٠ قرش حسب الاختلاف في الشكل والصنعة .

وصف جدة بشكلها الحاضر - جدة (بضم الجيم وتشديد الدال المفتوحة) بلدة كبيرة وميناء مكة العظيمة على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر واقعة على الدرجة ٣٦ والدقيقة ٥٠ من خطوط الطول الشرقية وعلى الدرجة ٢١ والدقيقة ٢٨ من خطوط

(١) لما كان هذا الطيب ما ترجمه على الهنود الذين يحجون الى البيت الحرام رأينا أن نذكر في رحلتنا كلمة عن حياته إنصافا للعالمين وتحليدا لذكرى المخلصين فنقول : هو محمد حسين ابن الشيخ عبد الله الطيب الذي تنهى سلسلة نسبه الى سيدنا أبي بكر الصديق ولد بمدينة "الله آباد" في سنة ١٨٦٣ وتلقى علومه الأولية بين أسرته ، وحفظ القرآن وتعلم اللغة الأردية والفارسية والانجليزية وبرع في ثلاثها ونال درجة في علم الطب والجراحة من كلية بنجاب في سنة ١٨٩٠ وعين مساعدا جراحة في الحكومة الهندية وأدار عدة مستشفيات ثم عين نائبا لقنصل بريطانيا بجدة فأزال ما كان من سوء التفاهم بين البيد والقناصل ومنحه حكومة الهند لقب "خان بهادر" سنة ١٨٩٨ ومن حسن سياسته أكتسب رضا عون الرقيق باشا أمير مكة وأحمد باشا راتب واليا ، ولكنهما قما عليه لما أن غرهما ١٠٠٠٠ جنيه إنجليزي عوضا عن السرفات التي حلت بحجاج الهنود وعن الخسارة التي لحقت التجارة الهندية ولكن ما لبث أن استأهلها نحوه حتى كان طيب الشريف من داء السكر الذي أصابه في مرضه الأخير ، وقد طاف أنحاء أوروبا بحس مرات وكل جهات آسيا عدا التبت والأفغانستان وبعض بلاد الغربيين وطاف في بعض جهات أفريقيا ، وقد برح جدة في ابريل سنة ١٩٠٩ لاعتلال صحته فكثرت باجترا سنة وبمصر أخرى ثم استقال في سنة ١٩١١ وأقام في (بانه آباد) منته وأسس فيها مدينتا على الطراز الحديث كلفه ما ينوف على ٢٠ ألف جنيه - ملخص عن كتاب بعث به إلينا في ٢٥ مارس سنة ١٩١٤

العرض الشمالية يحيط بها سور ذو خمسة أضلاع يقطعها راكب الحصان بالسير المعتاد في ٤٥ دقيقة وارتفاع السور ٤ أمتار وبه تسعة أبواب، ستة في الجهة البحرية وثلاثة في الجهات الأخرى وأول من بناه السلطان الغورى من ملوك مصر في سنة ٨٩١٥ هـ. وبها حوالى ٣٣٠٠ منزل مبنية بالبحر الأبيض المستخرج من البحر، ويتكون المنزل من طبقتين الى خمس — والوجهات الامامية من البيوت بها الرواشن [الخارجات المسقوفة] المصنوعة من الخشب الهندى الأحمر المخروط (الرسم ١٦) . والبيوت العالية ذات الموقع الجميل والمنظر البهيج يسكنها أكابر البلد ووكلاء الدول التجاريون (التفاصيل) من روس وإنجليز وفرنسيين ونمساويين وإسويين وزوجيين، ومن أغنى بيوتها بيت السيد عمر السقاف الشريف السمرى (الرسم ١٧) . ومنزل المحافظ الذى تراه (فى الرسم ١٨) وانه لآية فى الإبداع وبه حديقة غناء . ويجتد محل للحكومة وثكنات للعساكر (الرسم ١٩) . ومكتب للإشارات البرقية وبناء نغم للجلس البلى والجرحى (الرسم ٩ السابق) كما تجدد بالساحل بناء الجمر (فى الرسم ١١ السابق) . وبها خمسة جوامع وثلاثون مسجدا مفروشة بالحصر الناعمة الجميلة النظيفة إلا أنها تكون مبللة عند رطوبة الجو وهى مرتفعة عن مستوى الشوارع بنحو ثلاثة أمتار، يصعد إليها بدرج منتظم من الحجر وليس بها بيوت خلاء ولا ميضآت، وبها حمام واحد وزلان (لو كاندتان) وأربعون قهوة وصيدلية ومكتب تعليم راق وتسعة للصبيان ومستشفى ومصنع للحرير ومذبح وأربعون مخزنا تجاريا وتسعمائة دكان وآلة بخارية لطحن الحبوب وسبع وأربعون طاحونة ومثلها مخازن وعشرة مطابخ وسوق لبيع السمك وأخر للصدف ومكاتب للبريد وبها جبانة قريبة من ثكنات العسكر، يحيط بها سور يباغ طول ضلعه الشمالية ١٦٠ مترا، وفى وسط الجبانة قبر أمنا حواء (المكذوب) طوله نحو ١٥٠ مترا وعرضه أربعة أمتار وارتفاعه مترا، عليه ثلاث قباب على الرأس والسرة والرجلين كما يزعمون (الرسم ٢٠) .

ويجانبه كثير من الشحاذات يلتمسن الصدقات على حرق بسطنها أمامهن .

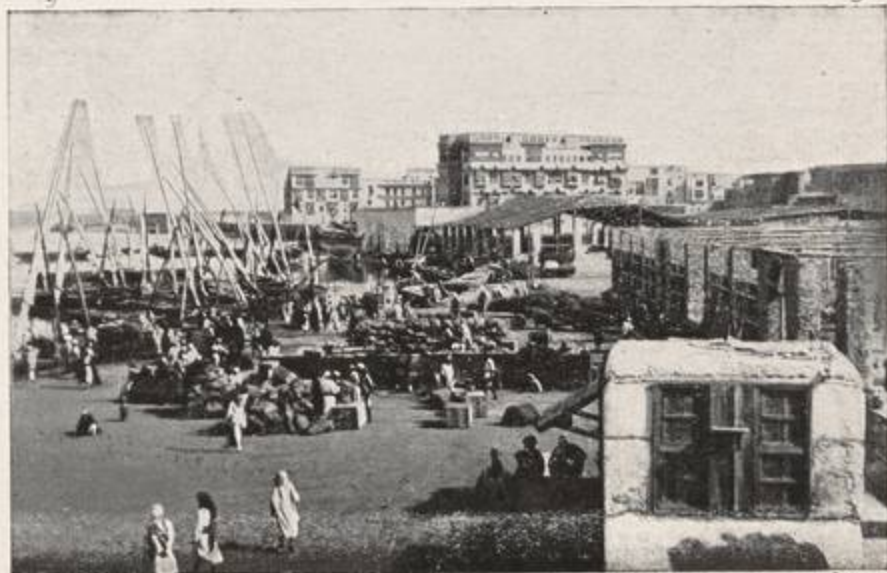


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



10. Doctor Mohammed Hussein, the British Vice-Consul Gaddah.

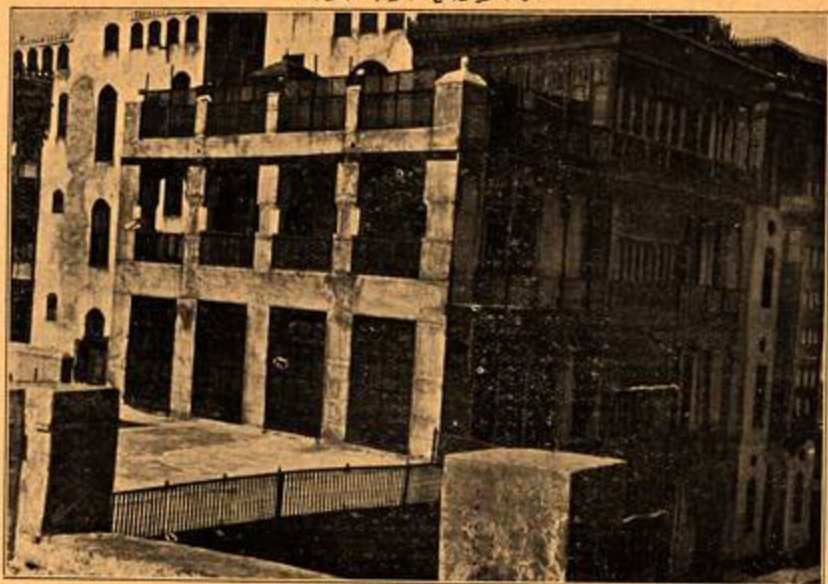
سَمَاءُ مَنَازِلِ بَدَاةِ الْمَشْرِيقِ الرَّفِيعَةِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

16. Geddah with its splendid buildings and magnificent houses.

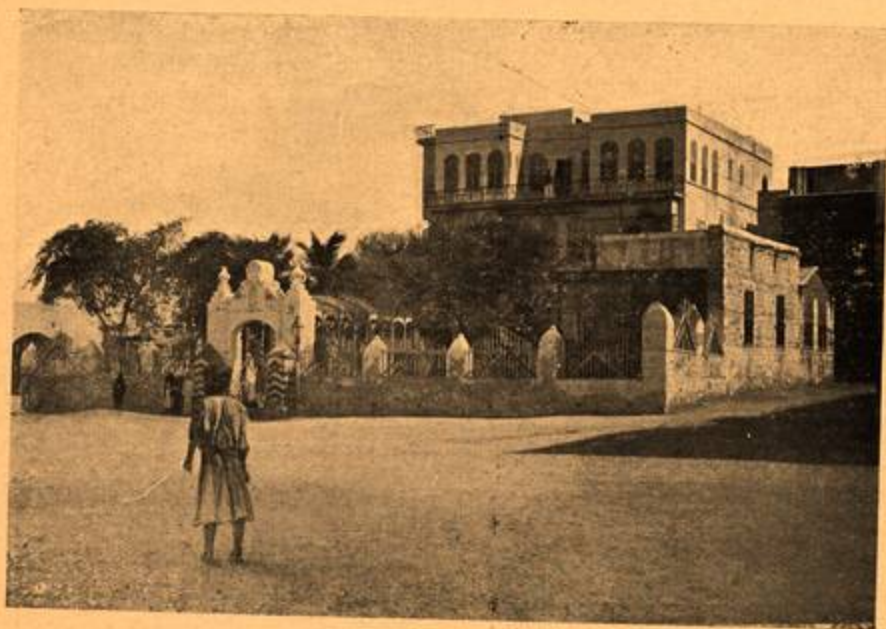
بَيْتُ السَيِّدِ عِمْرَانَ السَّكَّافِ فِي جِدَّةِ



بَيْتُ السَيِّدِ عِمْرَانَ السَّكَّافِ فِي جِدَّةِ

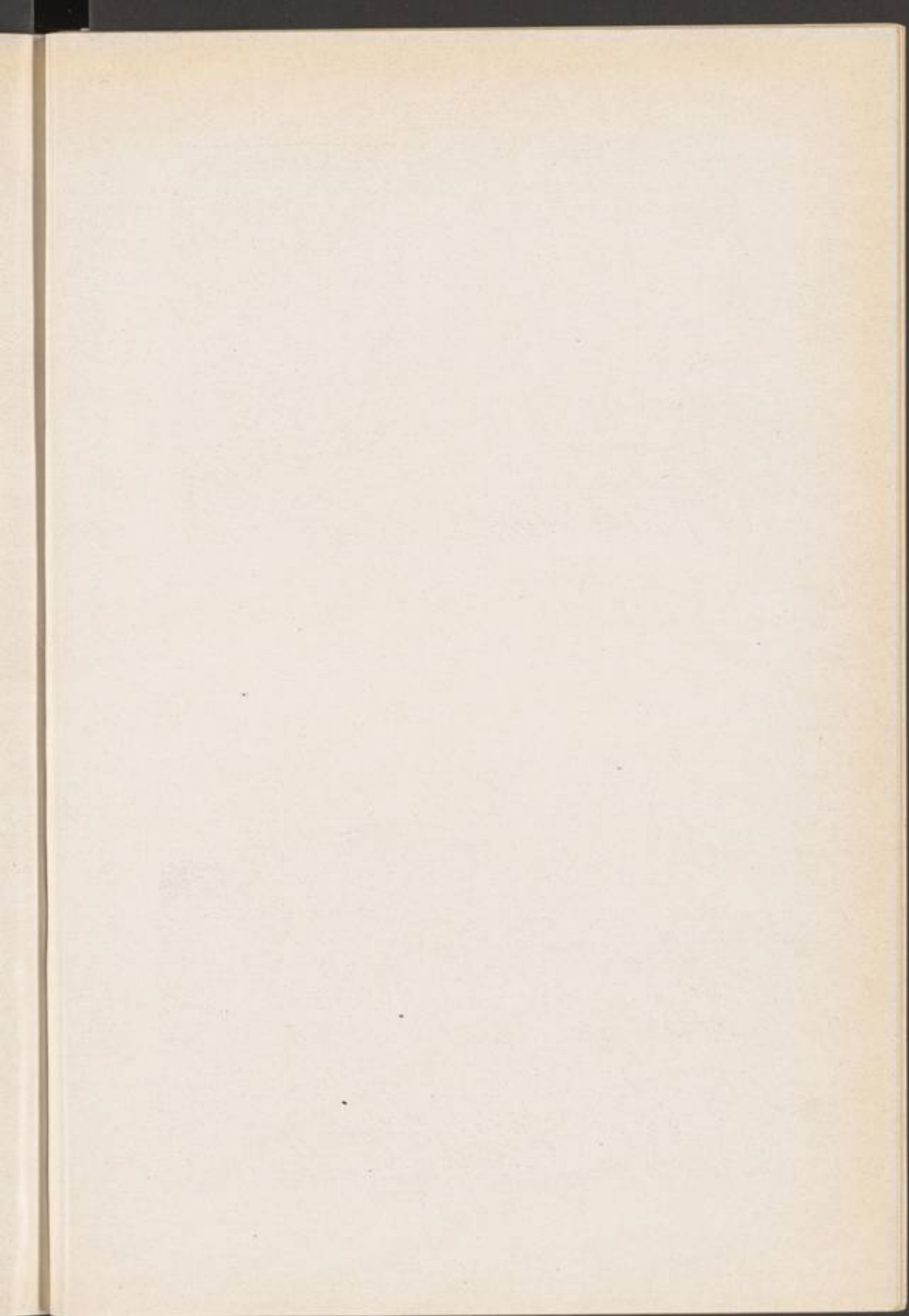
17. The house of El Sayed Omar el Sakaf in Gedda.

بَيْتُ الوَلِيِّ فِي جِدَّةِ



بَيْتُ الوَلِيِّ فِي جِدَّةِ

18. Palace of the Deputy Waly at Geddah.



﴿ قشلاق العساكر الشاهانية بجده ﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَوَافِحُ الْوَسْطَى وَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَالْمَدِينِ وَالْمَدِينِ وَالْمَدِينِ

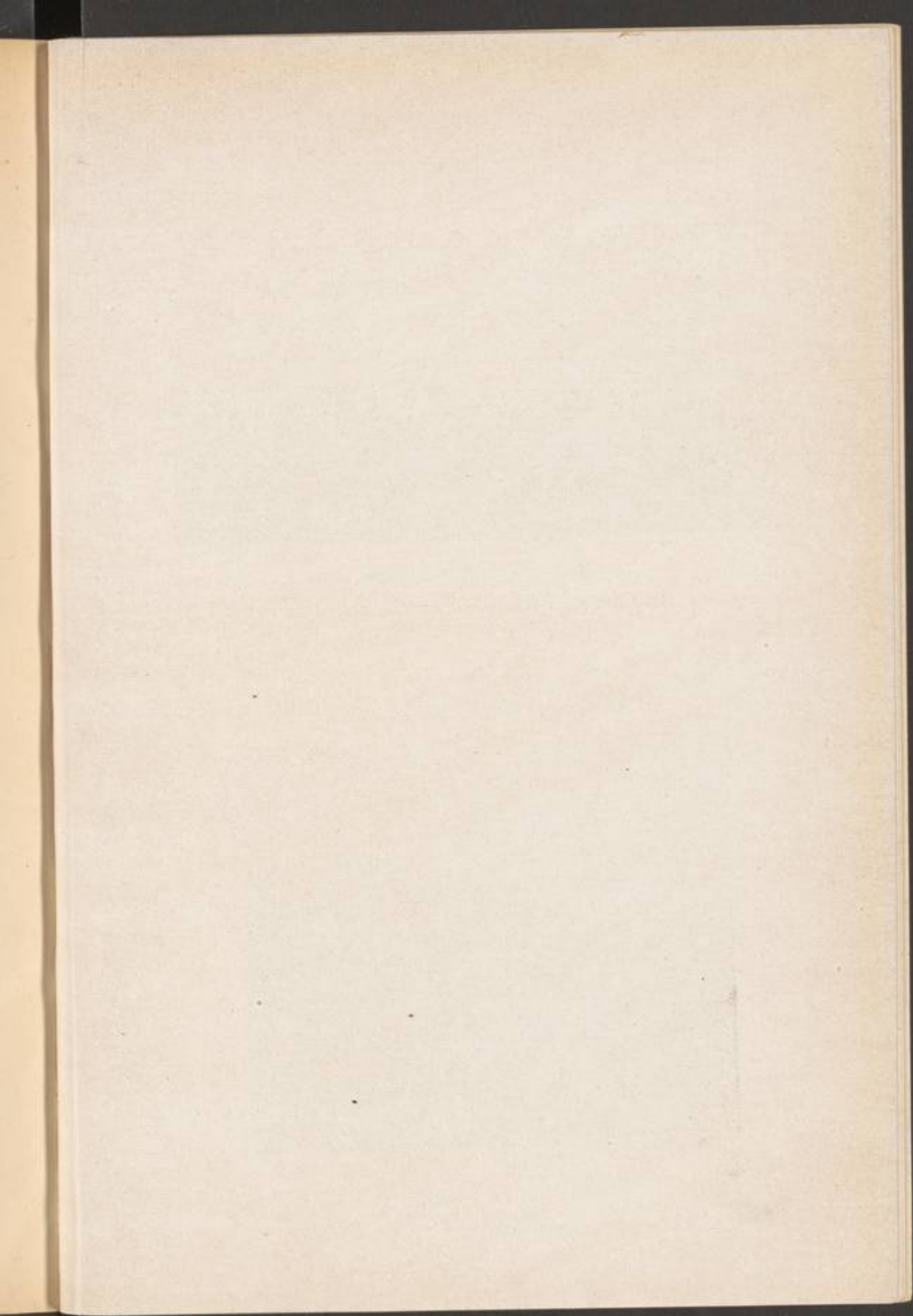
19. A view of the Turkish Barracks at Gedda.

وَسَيِّدَاتِنَا جَوَافِحُ الْوَسْطَى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَوَافِحُ الْوَسْطَى وَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَالْمَدِينِ وَالْمَدِينِ وَالْمَدِينِ

20. The view of Hawa (our mother) in Gedda in 1321.



وشوارعها مختلفة السعة من ٨ أمتار الى ١٥ مترا وحرارتها ضيقة وغير منتظمة .
 وبجدة مجارٍ لتصريف مياه المطر الى البحر كما بها ٨٠٠ صهرج داخل البلد
 وخارجها - معدة لتخزن مياه المطر وبيعها في موسم الحج ولكنها الآن معطلة إذ ترد
 المياه الى جدة من عين تبعد عنها مسيرة ساعتين ونصف وتسير في مجارٍ مبنية تحت
 الأرض حفرها المصلح عثمان نوري باشا والى مكة سابقا ، وخارج البلد أيضا آبار
 محفورة وأنايب في الأرض مركوزة تخرج منها المياه بالآلات الماصة (آبارارتوازية)
 وبعض المياه عذب وبعضها به يسير الملوحة .

والمحمل يستورد مياه الشرب من أعذب الآبار بواسطة سقائين من جدة
 يتقاضون أجرة وبقرب معسكره صهاريج مفعمة بالمياه يؤخذ منها عند الحاجة .
 وبالمدينة مجلس بلدى أعضاؤه من الأهالى ومجلس للأحكام وقاض شرعى . وجميع
 الأهالى مغرمون بشرب التبغ و(التبناك) والشاى والقهوة وبها كثير من الصبار يوضع
 على القبور استرحاما للموتى .

سكان جدة - أهالى جدة خليط من أجناس شتى مكين ويمنين
 وحضرميين (من حضرموت) وهنود وترك وشوام ومصريين وقصيريين (من القصير)
 وعددهم حوالى ٢٥ ألف نسمة ويبلغ من فيها في موسم الحج خمسين ألفا الى ستين
 ويمزجها من الجماج كل عام نحو ١٢٠ ألف حاج .

تجارتها - جدة مرفأ مكة التجارى بل هى مرفأ الجمجاز المهم لذلك ترى
 ميناءها مملوءا بالسفن التجارية كما تراه (في الرسم ٨ السابق) .

ويرجع اتخاذها مرفأ تجاريا لمكة الى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى
 الله عنه فانه في سنة ٢٦هـ أعتمر من المدينة وأتى مكة فسأله أهلها أن ينقل ساحل مكة
 القديم من الشعبية (جنوبى جدة الآن) الى جدة لقربها من مكة ، فخرج بنفسه الى
 جدة ورآها واغتسل من البحر وقال : إنه مبارك وقال لمن معه : ادخلوا البحر مغتسلين^(١)

(١) فليس الاستحمام في البحر الملح ومعركة فوائده من مبتكرات أوروبا وإنما سبقهم الى ذلك ثالث
 الخلفاء عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ولتكونوا مؤثرين، ومن ذلك الوقت استمرت جدة ميناء مكة الى اليوم، وتأتى اليها التجارة من مصر وسواكن وزنجبار والصومال والهند وجاوة والروملى والأناضول وسوريا وبلاد المغرب والعراق والبحرين ومسقط واليمن وأوربا وآسيا وغيرها، ومن أصناف التجارة البن والصمغ العربى وأنواع الروائح وريش النعام واللؤلؤ والصدف والمرجان ودهن البلسان ودهن الورد، وترد اليها الخنطة والأرز والصابون والسكر من مصر وسن الفيل والأرز الهندى وعدد الجمال من الهند، وقد بلغت رسوم الواردات فى سنة ١٣٠٢هـ ١٦٦٧٩٦٦ قرش عثمانى و٣٦ باره .

السفر من جدّه الى مكة

قبل المغرب بساعة من يوم ٢٣ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (١٤ مارس سنة ١٩٠١) تحرك ركب المحمل من جدة ممينا مكة وقد حيته فرقة من الجند العثمانى برأسة « القائمقام » خالد بك وشيعه أهل جدّة الى أبعد من ميل، وقد جدّ بنا السير حتى بلغنا ببحرّة لتقام الساعة العاشرة العربية ليلا وبتنا بها على مقربة من قلعتها التى يربط بها بعض الجنود، وفى منتصف الساعة التاسعة من يوم ٢٤ تابع المحمل سيره الى أن وصلنا الى قهوة البوغاز أو البستان فى الساعة السابعة ليلا فاسترحنا بها الى منتصف الساعة الثانية عشرة ثم ارتحلنا فوصلنا مكة لتقام الساعة الأولى من صباح يوم ٢٥ ذى القعدة .

والطريق بين جدّة ومكة واد رملى إلا فى موضعين منه حيث يوجد حصا صغير الحجم وكبيره ولكن ذلك لايشغل من الطريق إلا حوالى نصف ميل، وقبيل مكة بنحو أربعة أميال تجد مدرجا حجريا مرتفعا قليلا ثم بعده يستوى الطريق وإن كان حجريا تكثرفيه التعريجات حتى يخيل الى الرأى أن الطريق سدّ لاقترب الجبال المواجهة وهو صالح لمدّ القضبان الحديدية به والوادى يحفه من الجانبين الجبال والتلال المتشابهة الضارب لونها الى السواد والنابتة فيها الأشجار وهى تارة تتقارب فيضيق الوادى وتارة تبتاعد فيتسع، وبالطريق بضع عشرة قهوة لراحة الجمال وتقديم الشاى

والقهوة لهم ، وبه جملة قلاع ذات اليمين وذات الشمال يقيم بها جنود أترك ، وبه
أماكن أخرى يقطنها عساكر الشريف غير النظامية وهؤلاء الحراس وجدوا للحفاظ
على الأمن بالطريق ولكنهم كما سمعت لا يفارقون أماكنهم لرد الغارات والضرب
على أيدي اللصوص وقطاع الطريق ولو كان ذلك بمرأى منهم ومسمع إلا إذا أمرهم
الوالي وأين هو منهم . وكثيرا ما سلب الجمح أمتعتهم إذا تأخروا عن القافلة لإصلاح
الأحمال أو قضاء بعض الضرورات ، وإذا ما سئل هؤلاء الحراس لماذا لا تقومون
بالواجب قالوا (أمر يوك) أي ليس عندنا أمر — فما أقبح العذر . وقد كانت
العساكر تؤدي للحمل التحية العسكرية عند مروره بها وتيرله الطريق بحرق كومات
من الأخشاب تباعا وضعت فوق آكام مرتفعة وجمعت لهذا الغرض وكنا نسير على
ضوئها نحو ألف متر .

وقد رأينا أن نصف لك بالتفصيل الطريق من مكة إلى جدة وما فيه من القلاع
والقهاوى والانحراف والاستقامة حسب ما جاء في رحلة سنة ١٣٢٠ إذ هو أوفى
وأبين فنقول :

في يوم الجمعة ٣٠ ذى القعدة سنة ١٣٢٠ في الساعة الثانية العربية نهارا بدأنا
السير من جدة على أرض سهلة بين تشوز رملية ناحين نحو الجنوب الشرقى على
١١٠ م٠ مدة ٢٠ دقيقة وإذ ذلك تباعدت التلال وآنس الوادى وما زال السفر يجذبنا
إلى أن وصلنا إلى « رأس القائم » في س ٥ وق ٢٥ وهناك وجدنا مخفرا به جملة
عساكر نظامية مع بعض الضباط كما وجدنا قهوة يباع بها الشاى والقهوة في زمن
الحج ، كسائر القهاوى التى على هذا الطريق وتابعا السير فوصلنا إلى « الرغامة » بعد س ٦
وهناك على نسر من الأرض قلعة بها بعض الجنود وقهوة ، وقد وقفنا بالرغامة لحظة
قدم لنا فيها الماء البارد تحية مباركة ، ومن هذه القلعة تغير اتجاهنا فسرنا مشرقين
على ٩٠° وإذ ذلك أخذت الجبال تقترب منا تارة وتبتعد أخرى فيضيق الوادى
ويتسع ما بين ١٨٠ متر إلى ٣٦٠ بالتقريب ثم تغير الاتجاه إلى الجنوب الشرقى فسرنا
على ١١٠° إلى أن وصلنا إلى موضع يدعى « جرادة » في س ٧ وق ٤٥ .

وبه قهوة متسعة مبنية بالحجر ومسقوفة، وعلى نحو ١٠٠ متر منها يوجد بئران مأوئها فيه شيء من الملوحة — سقينا منهما الخيل والبغال وأسترحنا ٥٥ ق وواصلنا السير في س ٨ وق ٤٠، وعلى نحو ١٠٠٠ متر وجدنا على اليسار «قلعة الكنانة» على مرتفع من الأرض كسائر القلاع في الطريق وبها ضابط وعشرون جنديا، ومن هذه القلعة كانت الأرض محصبة مسافة ميل بالتقريب . وفي الساعة ٩ والدقيقة ٢٠ تغير اتجاهنا الى الشمال الشرقى فسرنا على ٧٥° ووصلنا الى «قلعة الكنانة» الثانية في س ٩ وق ٣٠ وبها ضابطان وخمسون جنديا والماء بعيد عنها بمسافة تستغرق ساعة ونصف بل الماء بعيد عن كل القلاع إلا ما ندر ويوجد بها قهوة، ومن هذه القلعة تغير اتجاهنا الى الجنوب الشرقى على ١٤٠° ولتمام الساعة العاشرة مررنا ببرج «القلعة البيضاء» وهو على اليسار به رئيس العشرين (جاوئش) و ٢٥ جنديا وفي س ١٠ وق ١٠ آجرتنا برجا صغيرا على اليمين به بعض العساكر، وفي س ١٠ وق ٤٥ وصلنا الى «قلعة العبد أو قلعة سالم» وهي على اليمين وبها أربعون جنديا وقهوة وعلى مقربة منها بئر تسمى بئر البجادية ، ومن هذه القلعة أنفسح الوادى وتغير الاتجاه الى ١٠٠° وقد وصلنا الى قلعة «التدين» س ١١ وق ٣٠ وبها ١٥ جنديا و «جاوئش» وهي على اليسار على أكمة مرتفعة وهناك الأراضى رملية صالحة للزراعة وفيها مراعى ومن هذه القلعة تغير الاتجاه الى ٧٠° وبلغنا قرية «بحرة» في س ١٢ أى وقت المغرب وإذ ذلك أخذت منظر المعسكر كما تراه (في الرسم ٢١). وبحرة وتسمى بحرة الرضاء على يسار المييم مكة وبها أكواخ حقيرة وحظائر للابل وقهوى ومسجد صغير بمئذنة بنى أصله النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه من غزوة الطائف سنة ثمان ووصلى فيه كما جاء فى سيرة ابن هشام وفيها عقب ذلك . قال ابن اسحاق : فخذثنى عمرو ابن شعيب أنه أفاد يومئذ ببحرة الرضاء حين نزلها بدم ، وهو أول دم أقيده فى الاسلام : رجل من بنى ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به . اهـ . ولكن فى زاد المعاد فى هدى خير العباد فى غزوة الطائف ما يأتى :

مِنْظَرُ رُكْبَةِ الْمَحْمَلِ وَمِنْحَطِّ الْبَحْرَاءِ

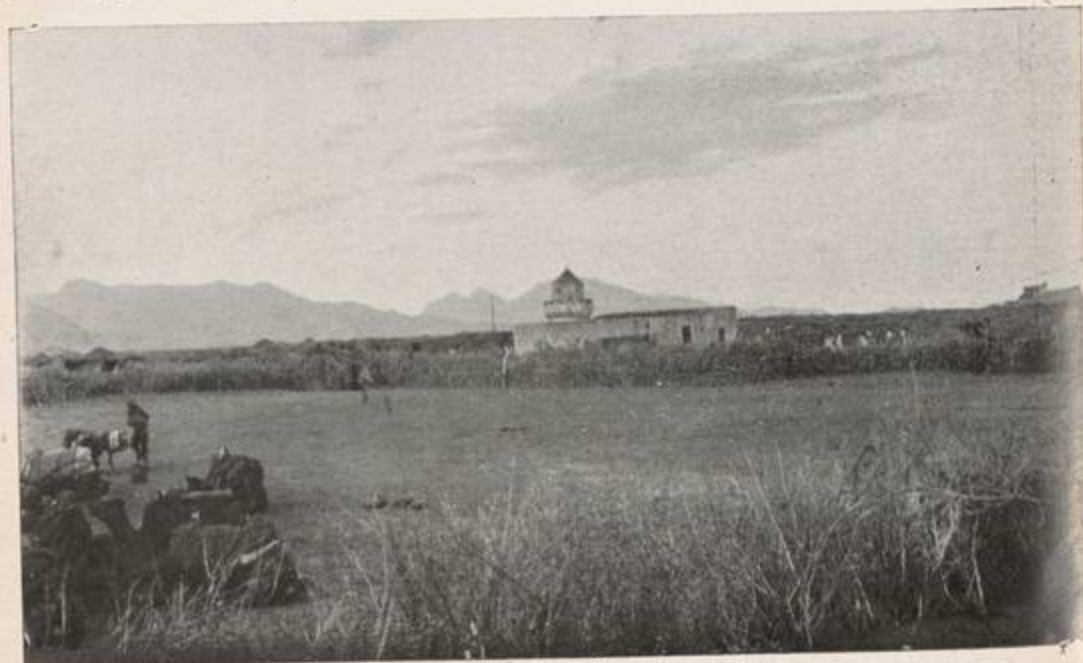
امير الحج محرم وجالس فوق اجولة البقسماط وعلى يساره الضوئي حاملا الآلة الفتوغرافية جانا على ركبيته والواقفون الحرس



21. The Mahmal at Bahrah, the first station between Geddah and Mecca

مِنْظَرُ مَحْطِّ بَحْرٍ وَمَسْجِدٍ عَلَى الشَّيْبِ عَلَى الشَّيْبِ يَوْمَ

البناء المرتفع قلعة بحره وهي اكبر القلاع واقواها قوة بين جده ومكة وهي على يمين الناظر الى الرسم وما بأسفله زريبة من عيدان الاتجار



22. Bahrah and mosque where the Prophet Mohammed prayed

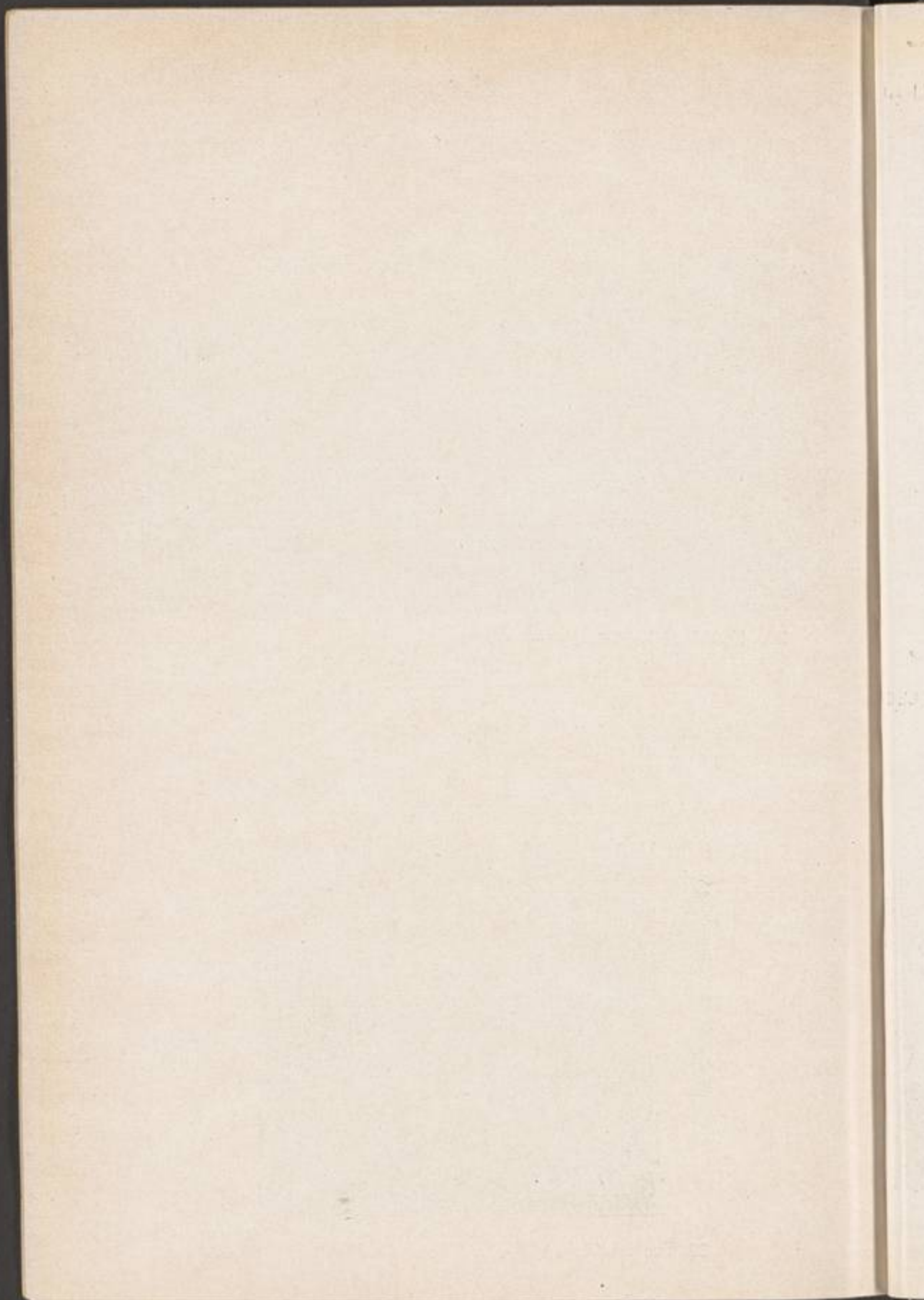
مِنْظَرُ رُكْبَةِ الْمَحْمَلِ وَمِنْحَطِّ الْبَحْرَاءِ

مِنْظَرُ مَحْطِّ بَحْرٍ وَمَسْجِدٍ عَلَى الشَّيْبِ عَلَى الشَّيْبِ يَوْمَ

Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header.

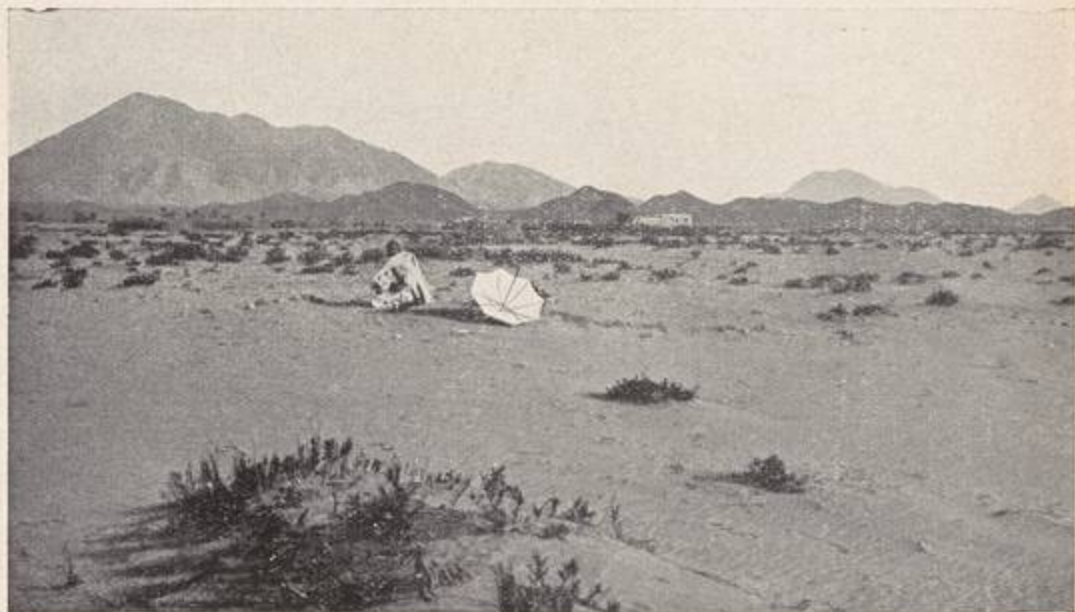
Handwritten text in the middle of the page, appearing as a paragraph or list.

Handwritten text at the bottom of the page, possibly a signature or footer.



منظره وبيئته القديم

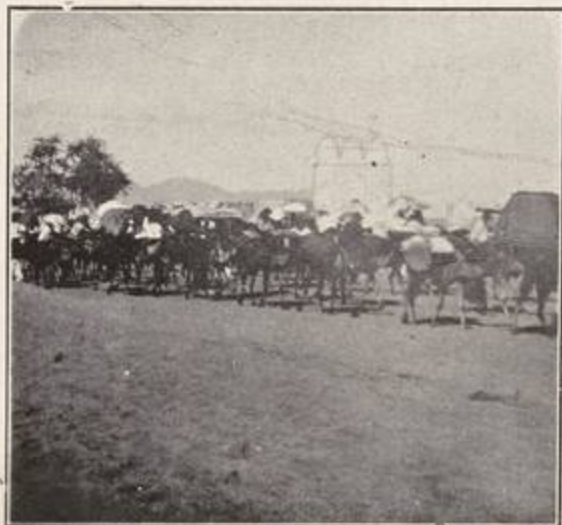
امير الحج محرم وخلفه مظلة بيضاء والشجر الاسود شجر الحرم



23. Heddah and an old Mosque.

العالمين بالشميسي بالقرب من الحديبية

العالمين بالشميسي بالقرب من الحديبية



25. Two landmarks at the outskirts of the Haram at Shumaisi.

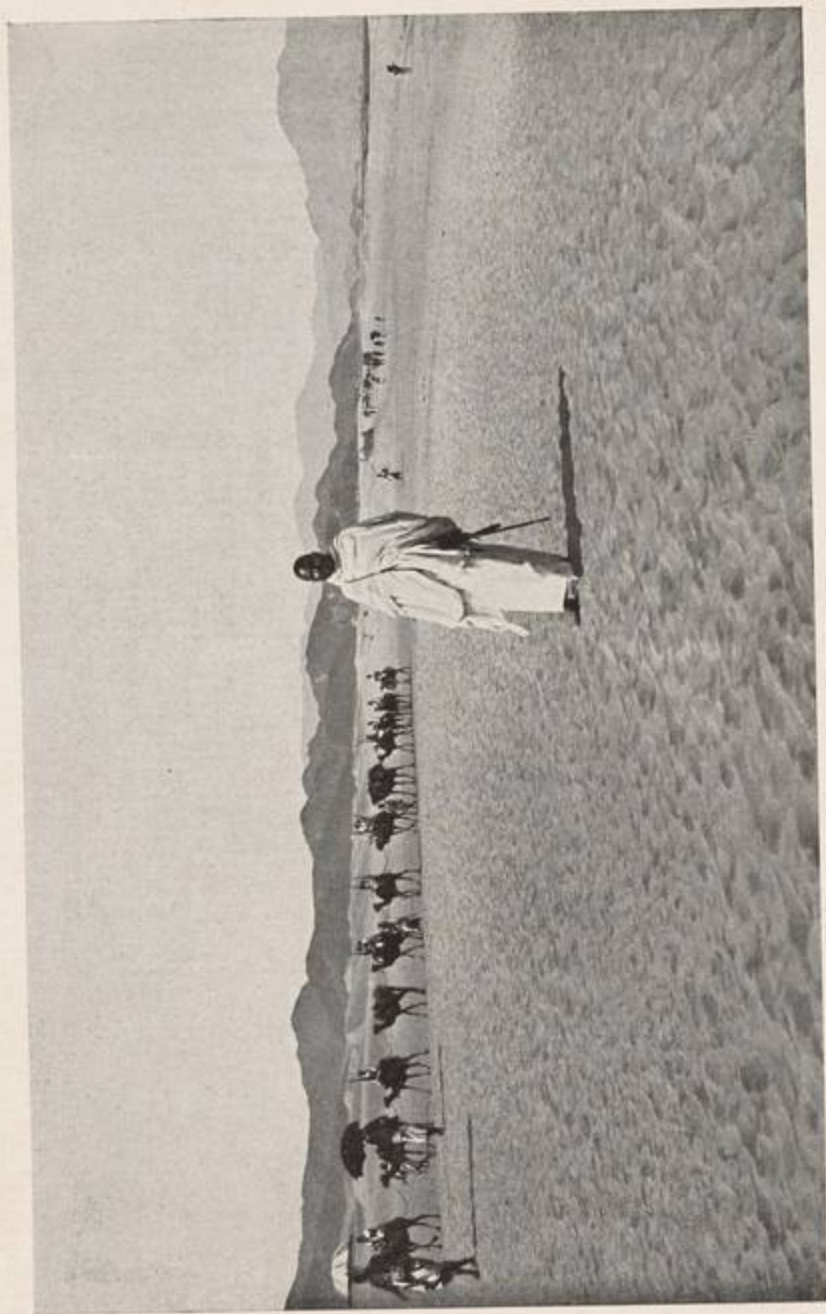
ثم نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف الى الجعرانة ثم دخل منها محرما بعمرة ففرض عمرته ثم رجع الى المدينة . ٥١ .

والطائف في الجنوب الشرقى لمكة والجعرانة بينهما لكنها أقرب الى مكة فكيف يتفق مع ذلك أنه مرّ ببجرة منصوره من غزوة الطائف مع أنها غربي مكة ولا تقل المسافة بينهما عن ثلاثين ميلا ، وبين الجعرانة ومكة حوالى عشرة أميال ، إنا لذلك نقف موقف الشك فيما رواه ابن هشام ونقله عنه كثير من المؤرخين حتى يأئنا اليقين . ويتفرّع من بحرة طريق آخر الى مكة يسير نحو الجنوب الشرقى ويقول الخبيريون : إنه أقرب اليها وأسهل من طريقنا لقلّة التعاريج به . وببحرة جملة قهاو وقد بتنا بها ليلة السبت غرة ذى الحجة سنة ١٣٢٠ وأرتحلنا منها فى س ١٢ آخر الليل ورأينا على يسارنا قلعة بحرة على نحو ميل من القرية وهى أكبر القلاع وأمتنها وبها ثلاثة ضباط و ١٠٠ جندي ، ولتأم الساعة الثانية العربية نهارا مررنا «ببئر أم القرون» وهى على اليسار مبنية بالحجارة وعمقها ١٠ أمتار لها أربعة أعمدة تدور عليها أقطاب البكر التى ترفع بها الدلاء ، وماء هذه البئر عذب فرات ، وفى منتصف الساعة الثالثة وصلنا «حدة»^(١) بالحاء المهملة وهى بلدة صغيرة على اليسار بها حصن ومسجد ذو مئذنة وعين ماء حلوة وبئران على يسار الطريق وبها نحو ٦٠٠ نخلة يملكها عون الرقيق باشا شريف مكة كما قيل لنا ، ورسم حدة تراه فى (الشكل ٢٣) وفيه تجد بالأرض شجر الحرمل وأشجارا أخرى صغيرة مختلفة الأجناس وترى أمير الحج جالسا على مقربة من شمسية ألفت بها الرياح . وكان المحمل يبيت أولا بحدة ثم عدل عنها الى بحرة لما أن تعدى أهلها عليه . وفى ختام الساعة الرابعة مررنا ببرجين على اليمين فوق جبل هنالك بينهما نحو ٣٠٠ متر وبهما ضابط و ٤٠ عسكريا ، والقوة بالبرجين مؤقتة تحضر وقت مرور القوافل فقط ثم ترجع الى مستقرها بقلعة الشميسى ومن هذين البرجين تغير الاتجاه الى ١٤٥° وضاق الطريق وعند الساعة الرابعة والثلاث بلغنا قلعة الشميسى وهى شامخة البناء وبها

(١) ويسونها قديما حداء - قال أبو جندب الهذلى :

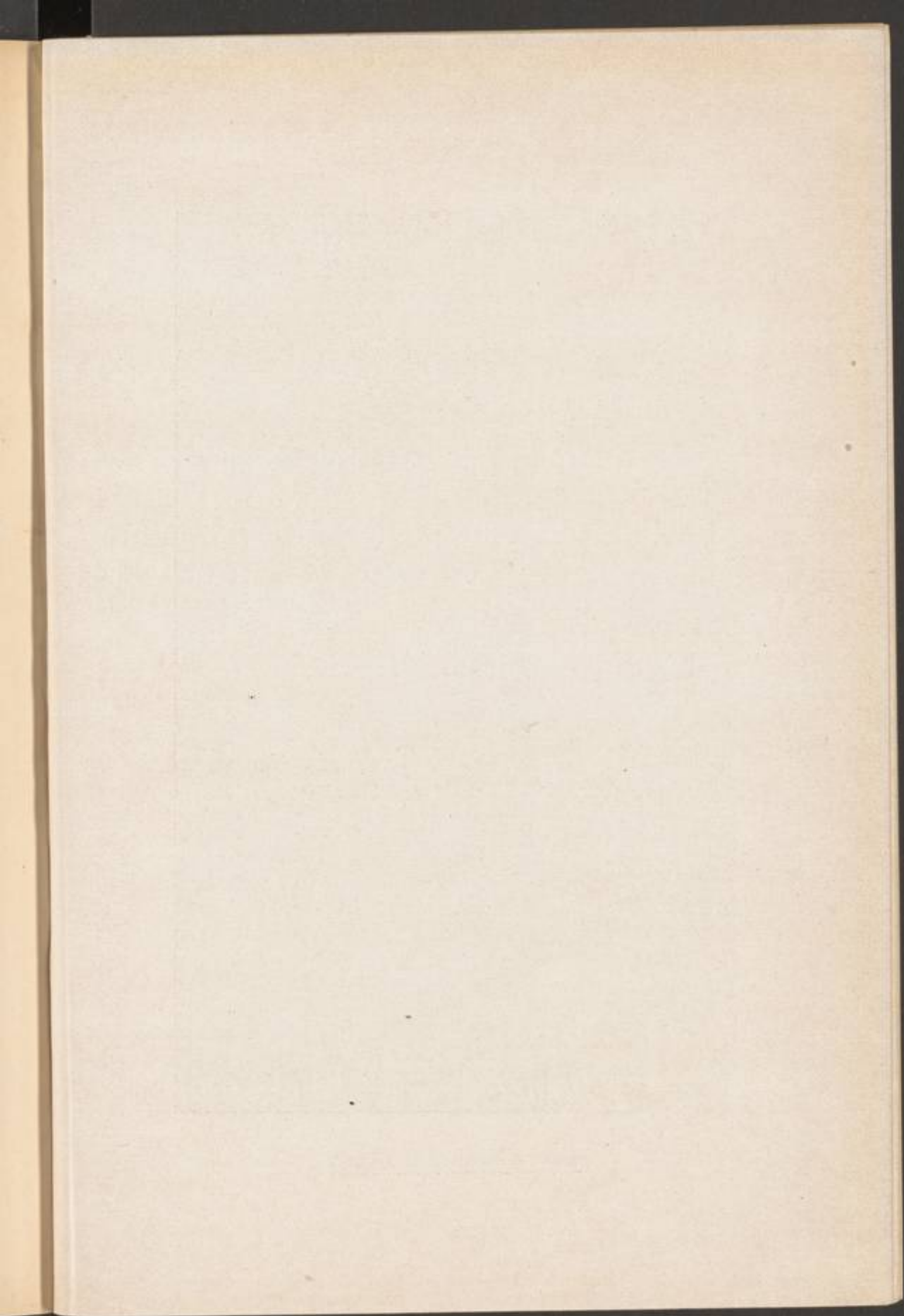
بغيرهم ما بين حداء والحشا * وأوردتهم ماء الاثيل فاصما

ضابطان و ٥٠ جنديا ، والطريق لديها متسع وسهل غير أن الجبال اليمنى قريبة منه وإن كانت تنأى بعد ذلك ، ويقرب القلعة قهوة وبعض أكواخ وبالشمسي مسجد يسمى (مسجد الشمسي أو مسجد البيعة) وهو على اليسار مربع الشكل طول ضلعه ١٥ مترا ومبنى بالججر الأزرق بناء متينا ومجصص وبه ثلاثة أروقة (بواكي) وقبلته مكتوب فيها : هذا مسجد بيعة الرضوان مأثرة من مآثر حبيب المنان عمره الملك الى رحمة الرحمن : المغفور له السلطان محمود خان سنة ١٢٥٤ هـ . وهذا المسجد موضع الشجرة التي بايع عندها الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان عام الحديبية وأنزل الله تعالى في تلك البيعة (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وبالشمسي بئر عمقها ١٠ أمتار بالتقريب مبنية بالججر ومأواها مقبول . ومنها تغير الاتجاه الى ١١٠° وفي الساعة الخامسة نهارا وصلنا الى العلمين ومنها يتبدى الحرم من الجهة الغربية وهما عمودان مبيان بالججر ومجصصان مربع الشكل سمك كل منهما متر وارتفاعه أربعة أمتار وبين العلمين مسافة ٥٠ مترا ويجوار العلم الشمالى بئر مبنية بالججر سمك حائطها ١,١٠ متر وقطرها أربعة أمتار وعمقها نحو ١٥ مترا ويجوارها مشرب (سبيل) مبنى بالججر بناء متينا ومكتوب عليه أبيات باللغة التركية بخط جميل وتاريخ بنائه سنة ١٢٦٣ وبجانبه شجرة من السدر (النبق) ، ويجاور العلمين تلال رملية وتجد (في الرسم ٢٤) أمير الحج مرتديا لباس الإحرام على يمينه مسجد الحديبية وتجد في الرسم ٢٥ أحد العلمين واضحا تمام الوضوح . وفي الساعة السادسة رأينا الجبال تتداني وتغير الاتجاه الى ٧٥° أى الى الشمال الشرقى ، وبعد ثلث ساعة وصلنا الى قهوة العبد (أو البزم أو سالم أو البوغاز) وأسترحنا بها ثلثي الساعة ثم سرنا وتغير اتجاهنا عند الساعة ٨ الى ٩٠° ومررنا بعد ١٠ دقائق «بقلعة المقتلة» وهي على اليمين بها حراس نظاميون وتحتمها بئر مطوية بالججر وعمقها حوالى ٢٠ مترا وعليها دعامتان لوضع محور البكرة عليهما ، ولها ثلاث درجات يقف عليها من يخرج الماء منها ومأواها عذب غزير ، وعند س ٨ و ق ٢٥ تغير الاتجاه الى ٥٠°



مؤسسة الملك فيصل للتاريخ والعلوم

24. The Mahmal and the Director of the Pilgrimage caravan in his Ihram dress.



وبعد ثلث ساعة تغير الى ٧٠° ، وفي س ٩ مررنا بقلعة (أم الدود) على يميننا وأمامها بئر كسابتها . وعند الساعة ٩ وق ١٠ تغير الاتجاه الى ٩٠° وأدركنا «قهوة البستان» في س ٩ وق ٢٥ ولديها شجرة سدر . وبعد ربع ساعة مررنا ببسطة الشريف حسين على يميننا وإذ ذاك أخذ الاتجاه ١٣٥° وبعد خمس دقائق اجترنا بيت السيد بن اسحاق شيخ السادة سابقا وهو على اليسار يبعد عن جادة الطريق حوالي ١٤٠ مترا ومن خلفه بمائة متر قبور الشهداء ، وفيها قبر عبد الله بن عمر الفقيه الكبير والمحدث الجليل والأثرى العظيم رضى الله عنه وعن أبيه أمير المؤمنين ولكن في كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة أن عبد الله بن عمر دفن بالمحصب ، وقيل : بذى طوى ، وقيل : بفتح ، وقيل : بسرف ، وفي كتاب شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام للتعنى الفاسى أنه دفن في مقبرة صديقه عبد الله بن خالد بن أسد عند ثنية أذاخر وهى فى الطرف الشرق للمحصب ، وذلك حسب وصيته لصديقه وكل هذه الأماكن بعيدة عن مقبرة الشهداء التى زعموا أنه دفن فيها . وعند س ١٠ أخذ الاتجاه ٩٠° ودخلنا مضيقا يسع قطارين أو ثلاثة من الجمال قطعناه فى دقيقتين ثم انفرج الطريق . وفي س ١٠ وق ١٥ أخذ الاتجاه ١٥٠° مسافة قليلة وأدركنا «قهوة المعلم» ولديها وقف الركب أمام المضيقة «المسافر خانة» التى بناها السلطان عبد الحميد للفقراء وتبعد عن مكة بنحو ميل . ومن هنا نرجع بك الى حج سنة ١٣١٨

قلنا فى سبىق : أن المحمل وصل الى المضيقة فى الساعة ١ صباحا من يوم ٢٥ ذى القعدة سنة ١٣١٨ وهناك وجدنا المطوفين ينتظروننا وقدموا لنا هدايا من البطيخ والزمان وماء زمزم ، فأكلنا وشربنا حامدين الله شاكرين ووجدنا على مقربة من المضيقة مندوبين من قبل الشريف والوالى أحدهما ضابط والآخر ملكى حضرا لتهيئة الأمير وركبه بالقدم من السفر وكان يصحبهما شردمة من الجنود ، وقد تحرك المحمل من هذا المكان بعد أن خلع لباس السفر وارتدى حلتة القصية يتقدمه ثلة من الفرسان والموسيقى والمزمار البلدى يطربان بنغمهما الحضور والمستقبلين الى أن

وصل الى مقامه المعتاد بجهة جرول أو الشيخ محمود المجاور لحديقة عون الرفيق باشا، وهناك نصبت الخيام بعد إزالة ما بالأرض من حجر ومدرو وعرف كل مكانه وعين الجنود الذين يقومون بالحراسة .

دخول مكة

بعد أن ألقينا عصا التسيار بجهة جرول غربى مكة واتخذنا منها مقاما محمودا أمنا فيه على أمتعتنا هممنا بدخول مكة لأداء طواف القدوم تحية البيت الحرام فاغتسلنا جميعا من بُرذَى طوى اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه نزل في حجة الوداع بذي طوى المعروفة بآبار الزاهر وبات بها ليلته الأحد لأربع خلون من ذى الحجة سنة ١٠ وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض الى مكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى في سياق حجته (أنظر المعسكر فى الرسم ٢٦) ترى به سطح المكان القائم على البئر، وبعد اغتسلنا دخلنا مكة من الطريق المعروف بطريق الحجون وهو طريق ثنية كداء التى دخل منها النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع (أنظر الثنية فى الرسم ٢٧) والثنية كما تراها فى الرسم طريق حجرى مرتفع الوسط فى شمال مكة واقع بين جبلين على كل منهما برج بناه الشريف غالب فى سنة ١٢١٤ اتقاء لسعود بن عبد العزيز الوهابى الذى جاء للحد فى تلك السنة ومعه من قومه أمثال الرمال ومن الثنية يهبط المرء الى المعلاة مقبرة أهل مكة ويشقها الطريق شقين عن اليمين وعن الشمال ويحيط بالمقبرة سور قديم مبنى بالحجارة وبها قبور كثير من الصحابة، وبالشق الأيسر قبة شاهقة

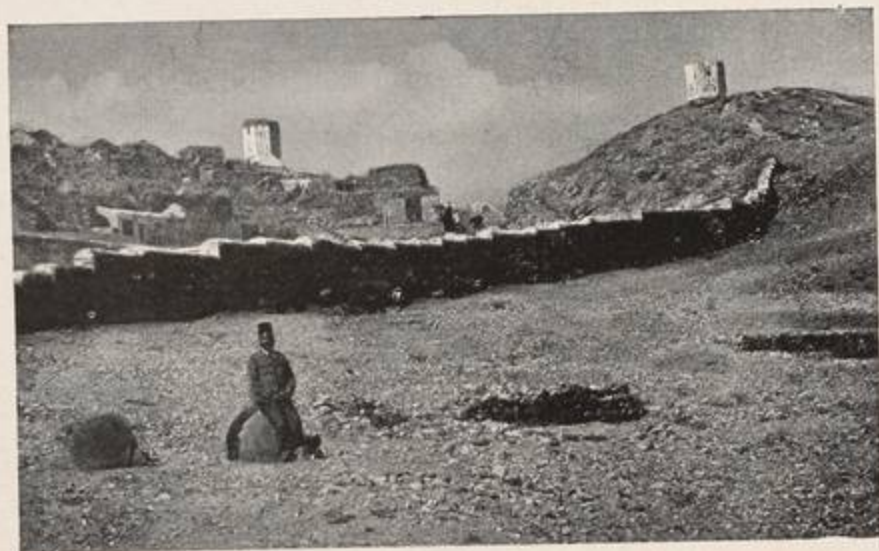
(١) قد جاء فى كتاب منتخب شفاء الغرام طبع أوربا أنه فى سنة ٨١١ سهل بعض المجاورين موضعا مستصعبا فى رأس الطريق وسهل أيضا بعض مجاورى مكة فى النصف الثانى من سنة ٨١٧ طريقا فى هذه الثنية غير الطريق المعتادة بل على يسارها بطن منها الى المقبرة والأبطلح كانت ضيقة جدا ففتح ما يابها من الجبل بالمداول حتى أسمعته فصار تسمع أربع قطائر من الجبال المحملة وكانت قبل ذلك لاتسع إلا واحدة وسهلت أرضها بتراب ألقى فيها حتى استوت ورضب الناس فى سلوكها عن الطريق المعتادة وجعل بينهما حاجز من الحجارة المرصوفة ثم جعل سودون المحمدى رئيس الممائر بالمسجد الحرام سنة ٨٣٧ هذين الطريقين طريقا واحدا فردم الطريق الجديدة المنخفضة عن القديمة بنحو إقامة حتى سواها بالأولى وجعلها طريقا واحدا يسع عدة قطائر، والحجون هو الجبل الذى فيه الثنية وهو المذكور فى شعر مضاض بن عمرو الجرمى .



هذا الموضع الذي كان فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع
عند البئر التي تسمى بئر تويح في مكة المكرمة سنة 10 من الهجرة النبوية

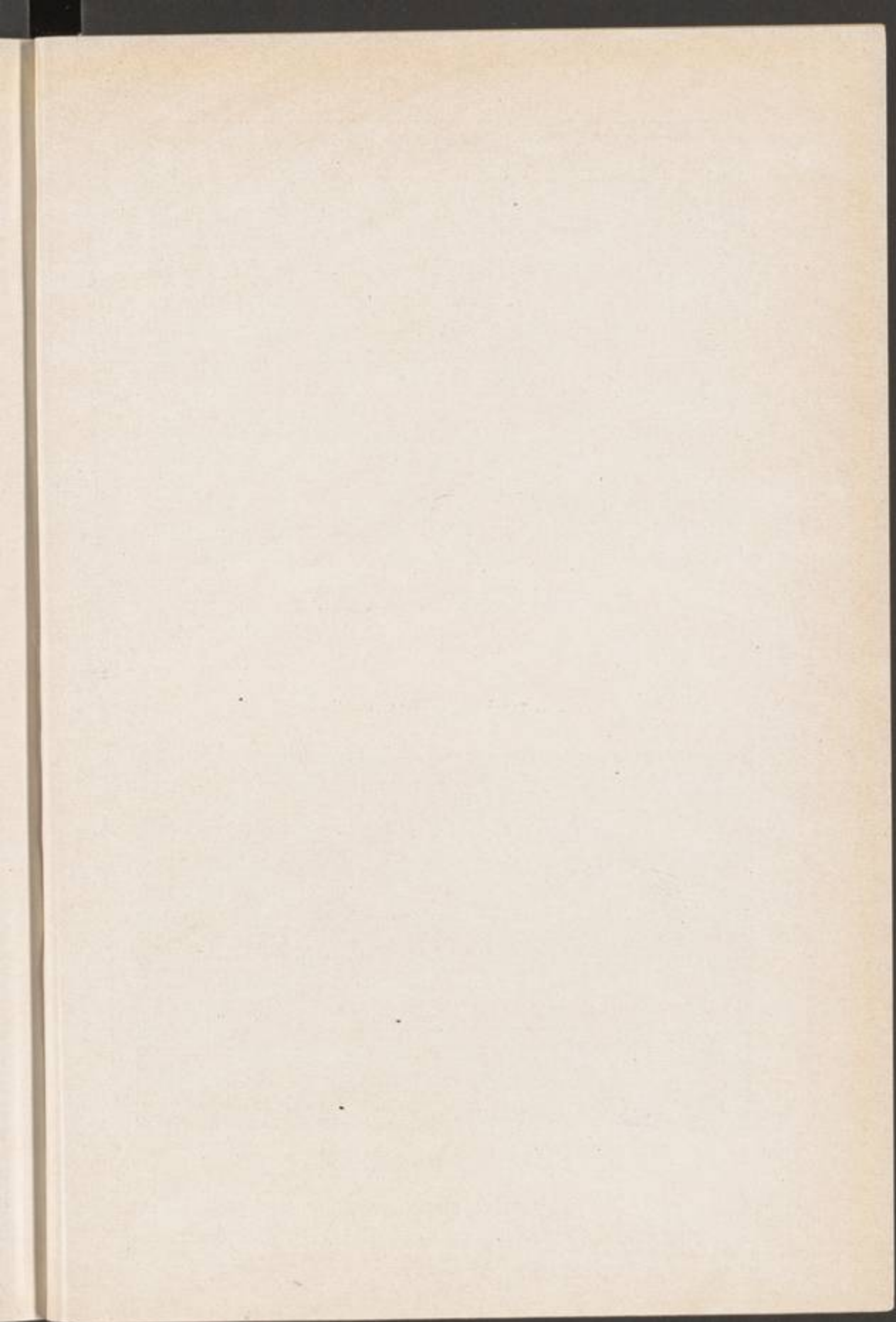
26. A view of the well of Towa in El Shaikh Mahmoud in 1325.

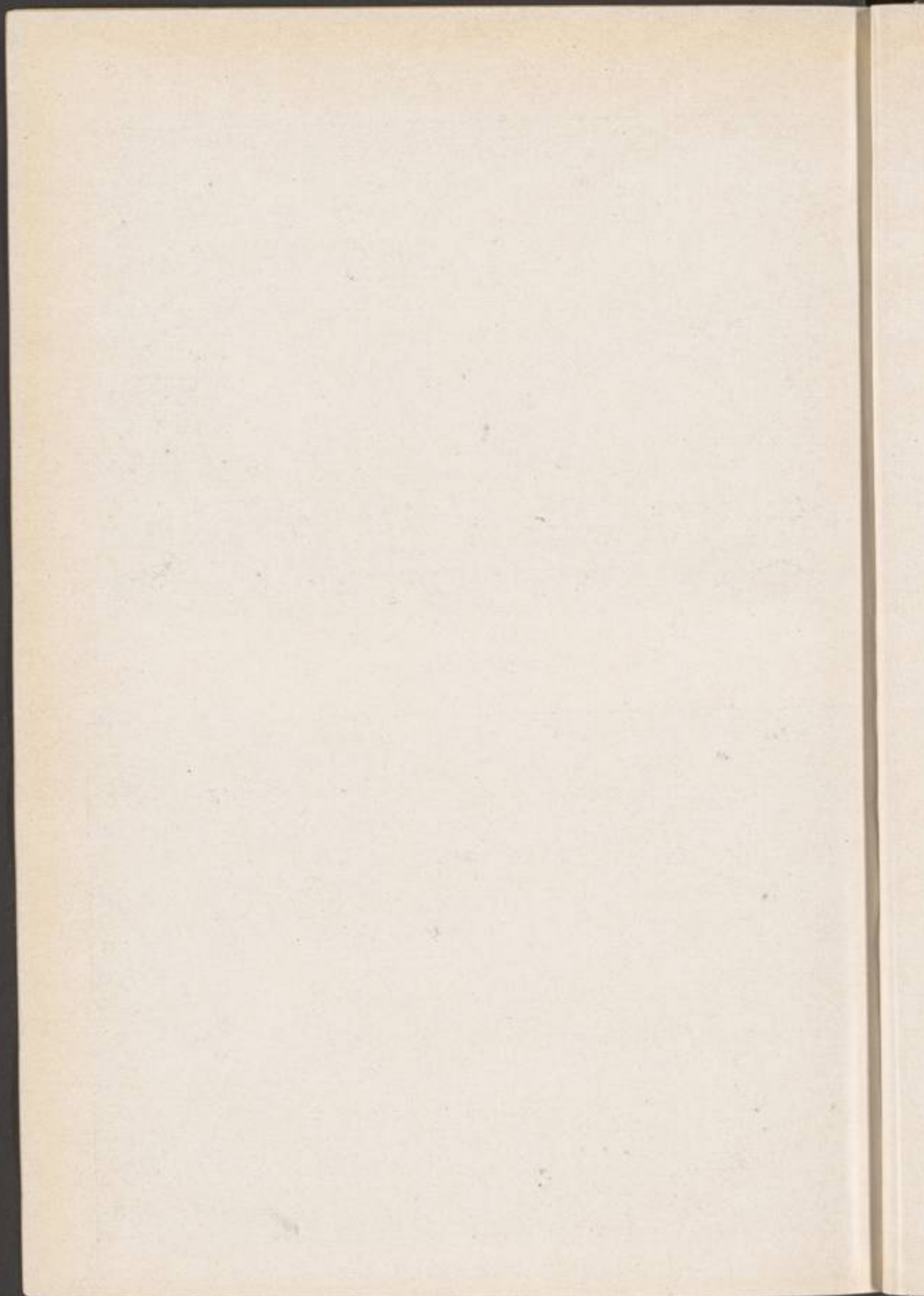
طريق مكة كذا الذي مشى فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع سنة 10



هذا الموضع الذي كان فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع
عند البئر التي تسمى بئر تويح في مكة المكرمة سنة 10 من الهجرة النبوية

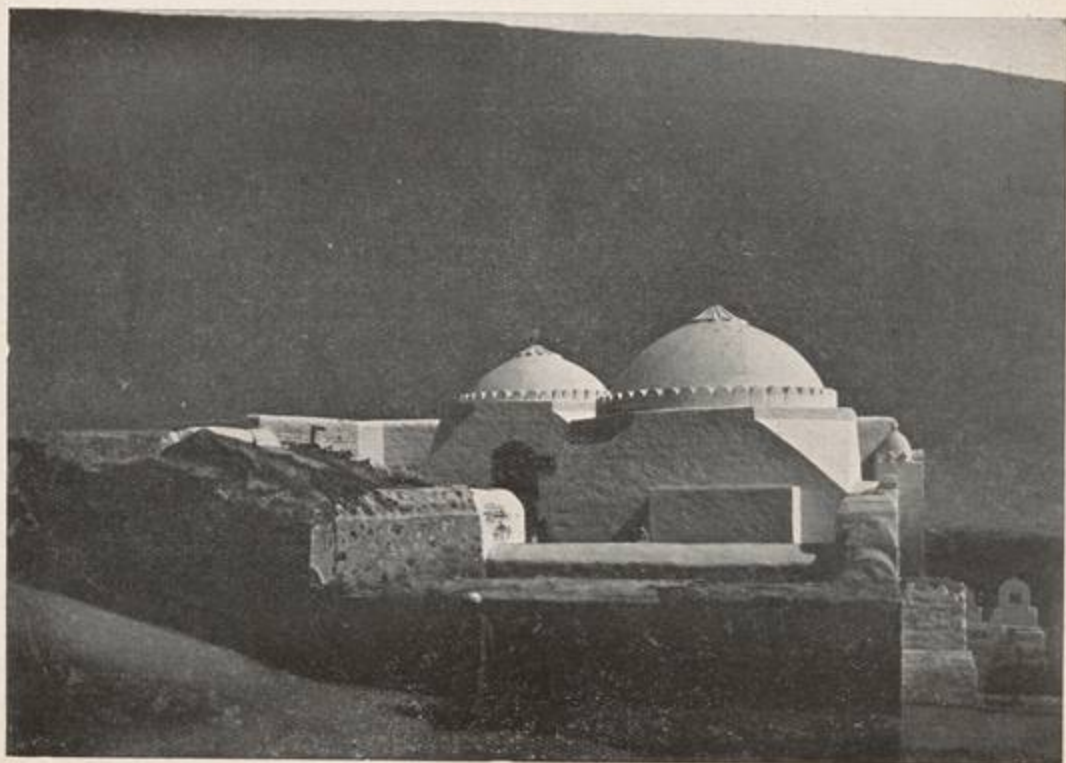
27. The route on the plateau of Thannitte Kada by which the Prophet Mohammed proceeded to Mecca for his last pilgrimage (Al Wida'a - the "farewell") in the year 10 of El Hegra.







28. The dome of El Sayyida Khadija in El Maalla at Mecca.



29. A view of the domes of the grandfathers of the Prophet, Abdel Motaleb Abd Manaf, and his uncle Abu Taleb

قبة السيدة خديجة بالمعنى بمكة المكرمة

على قبر السيدة خديجة^(١) أم المؤمنين رضی الله عنها كما ترى في الرسم ٢٨ وبه أيضا قبر زعموا أنه لآمنة أم الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا آفتراء والحقيقة أنها مدفونة بالأبواء بين المدينة ومكة على نحو ١٣ ميلا من رابع . وبه أيضا جملة قباب^(٢) قيل لنا : إنها على مقابر عبد مناف وعبد المطلب وهاشم أجداد النبي صلى الله عليه وسلم

(١) وهي زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وأول من آمن به وقد واسه بما لها وقسمها وتزوجها صلى الله عليه وسلم وسنها ٤٠ سنة وسنه ٢٥ ولم يتزوج عليها غيرها حتى توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وهذه القبة بنيت في سنة ٩٥٠ بالبحر الشمسي بمعرفة الأمير الشهيد محمد بن سليمان الجركسي أمين الدفائر (دقردار) بمصر في ولاية داود باشا نائب السلطان سليمان القانوني ، وكان على القبر قبل القبة تابوت خشبي وقد جعل محمد ابن سليمان المذكور لخادم القبر مرتبا من صدقات السلطان سليمان ولكنني رأيت على القبة تاريخ سنة ١٢٩٨ فيظهر أنها جددت بعد سنة ٩٥٠

(٢) مما لا ريب فيه في شرعتنا الاسلامية أن إقامة القباب على القبور محرمة بل ما هو دون القباب فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عليا رضي الله عنه أن لا يدع قبرا مشرقا إلا سواء بالأرض ولا تمثالا إلا طمسه — رواه النسائي — ومع هذا الحظر القطعي أكثر المسلمون من إقامة القباب فوق قبور من اعتقدوا فيهم الصلاح تقربا إليهم وإعظاما لهم وإشادة بذكهم ويعلم الله أن الذكرى إنما هي بالأعمال الطيبة لا بالأبنية المشيدة وأن هؤلاء الموقى أحب الأشياء إليهم أن يؤتى بهم في أعمالهم وأخلاقهم فإن ذلك يتفهم في أجدانهم إذ لهم مثل أجر من عمل بعملهم ثم إذا كان الباعث على إقامة القباب ما ذكرنا من اعتقاد الصلاح والتقوى فلماذا تقيمها على قبر أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد دعاه الى الاسلام فأبى حتى لفظ نفسه الأخير وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لعله تنفعه شفاعتي فيوضع في ضحاح من نار) — الضحاح — اليسير .

اللهم إني لا أظن سببا لإقامة القباب فوق قبور هؤلاء إلا قربانهم من الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن القرابة وحدها غير منجبة إذ لو أنجى قريب قريه لنجى نوح ابنه ، وإبراهيم أباه ، ولوط زوجه ، وآسية فرعون ومحمد صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب ولكن لم ينفع هؤلاء أولئك لأن الانسان بأعماله لا بأعمال غيره (وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) والتفاضل إنما هو بالتقوى لا بالقرابة (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فمَنْ يتفقه المسلمون في دينهم ويأتسون بنبيهم ويدعون هذه الخزعبلات وتلك الترهات التي أئثرت بديننا وأمتنا وتركنا مثلا سيئا في الآخرين فاللهم اهد قومنا الى سواء السبيل .

وكذلك قبة على قبر عمه أبى طالب تراها فى (الرسم ٢٩) وفى (الرسم ٣٠) صورة عامة لمقبرة المعلاة وكذلك فى (الرسم ٣١) .

وقد زرنا هذه المقابر وقت مرورنا بها ثم سرنا الى سوق البلد ثم الى المسجد الحرام وهو على مسير نصف ساعة من معسكرنا وقد دخلنا المسجد من باب بنى شيبه المعروف بباب السلام وهو فى الجهة الشمالية الشرقية ، وعند رؤية الكعبة رفعنا الأيدي متضرعين الى الله وكبرنا وقلنا : اللهم أنت السلام ومنك السلام حينما ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من حجه أو أعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرا - وقد سمع هذا الدعاء سعيد بن المسيب عن عمر رضى الله عنه يقوله ، ثم أتجهنا الى باب بنى شيبه الذى بداخل المسجد عند مقام ابراهيم وهو باب المسجد الأصيل فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ويعرف بباب بنى عبد مناف ومنه دخل فى حجة الوداع وقد دخلنا منه آقتداء برسولنا عليه الصلاة والسلام وقلنا ساعة الدخول كما قال : ﴿ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَصِيْرًا . وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ وإن ذلك لمكتوب فى أعلى الباب بالخط الجميل المذهب ، والباب عبارة

(١) وتسمى أيضا مقبرة الحجون وفيها يقول كثير بن كثير السهمي :

عيني جودى بعيرة أسراب * من دموع ككثيره التسكاب
إن أهل الحصاب قد تركوني * موزعا مولعا بأهل الحصاب
كم بذلك الحجون من حى صدق * وكهول أعفنة وشباب
فارتوني وقد علت يقينا * ما لمن ذاق ميتة من إياب

والحصاب : المراد به الحصب وهو موضع الحجارة بنى - وفى يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الثانى سنة ١٠٨٦ شرع الشيخ محمد على بن سليمان الوزير الذى حضر من اليمن فى هدم قبور المعلاة وبني مقبرة خاصة ذات جدران ربيع وقسمها تقسيم الشطرنج وجعلها ذات باين وهتك بذلك حرمة الأموات . وفى هذا يقول الشاعر :

تكفل ابن سايان أذية من * قد وحده الله من حل فى الحرم
لحين عم الأذى الأحياء منه غذا * مفتشا لأولى التوحيد فى الرم
ماريقة من شقاء ما تناقلها * أهل التواريخ من عرب ومن عجم

وكان محمد هذا من أولع بتنظيم مكة ومناسك الحج .



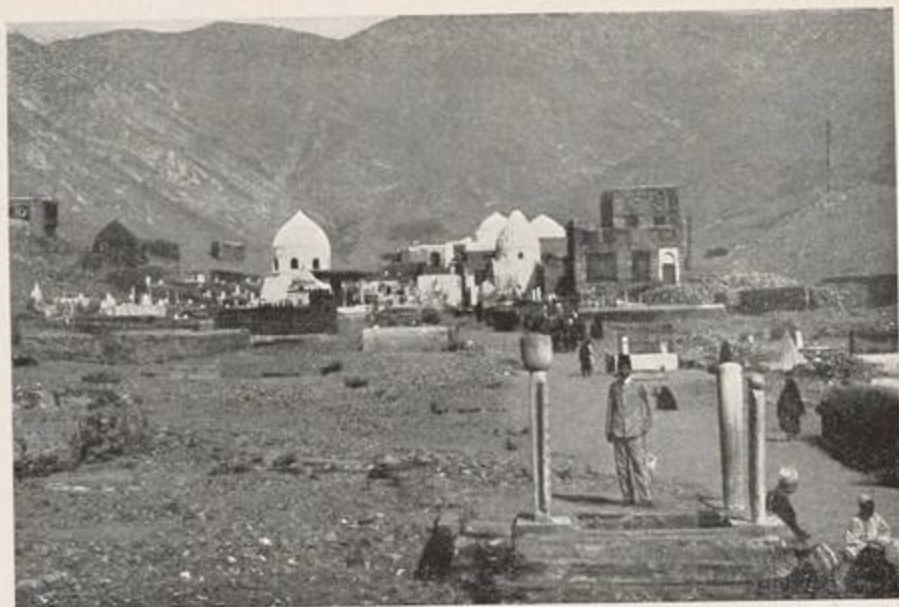
30. A view of the Tomb El Maalla in Mecca.

تomb El Maalla

تomb El Maalla

معالم مكة المكرمة

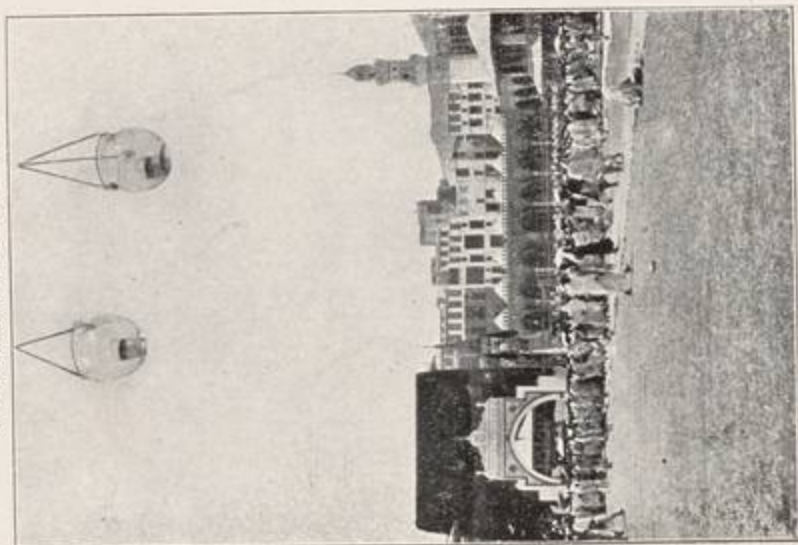
المنطقة الواقعة بين الدوميات والقبور العتيقة



31. The Maalla showing the domes of El Sayyida Khadijah, El Sayyida Amnah, and the ancestors of the Prophet, Abdel-Mottalib and Abd Manaf.

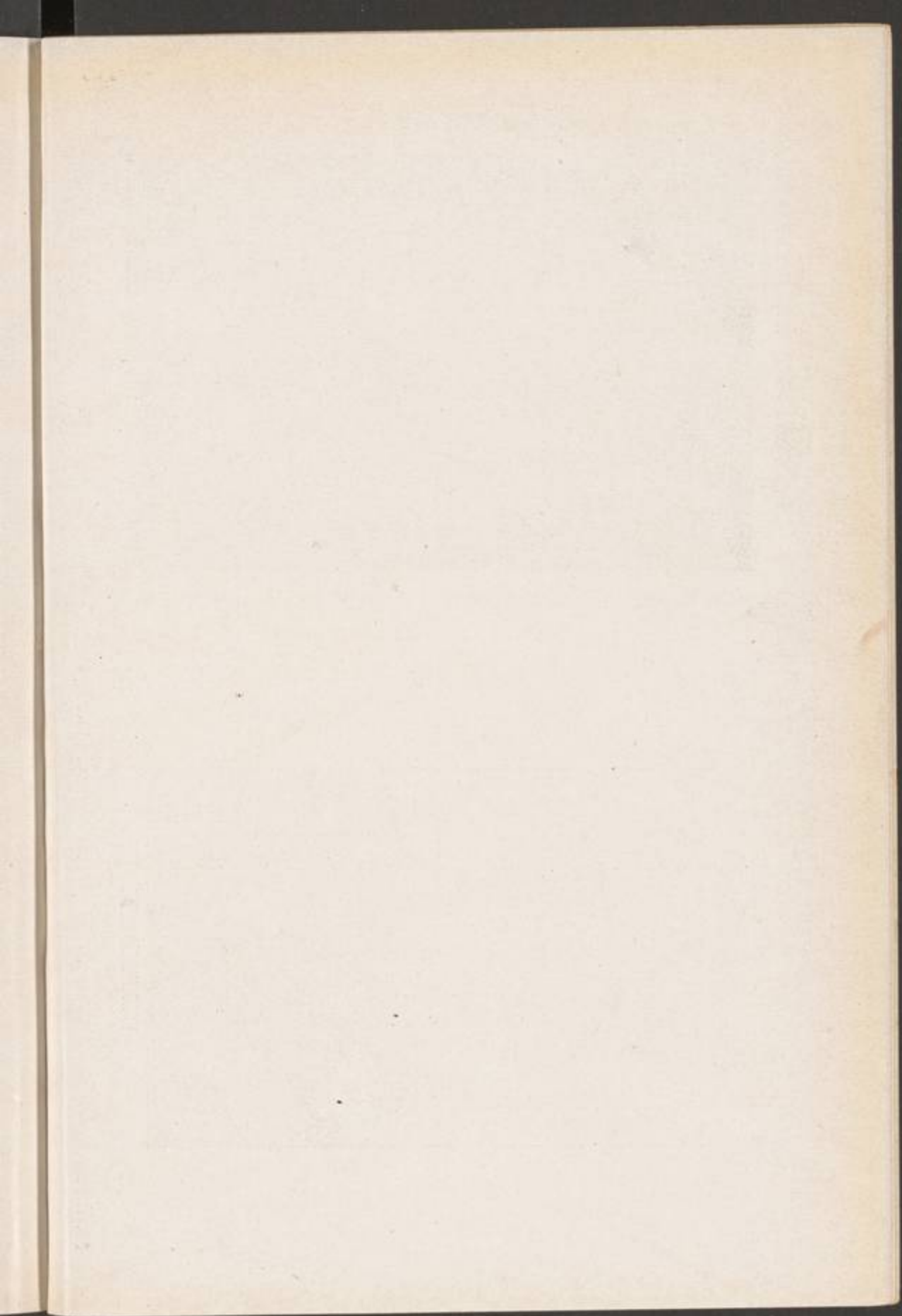
صحة ٣٣

المنطقة الواقعة بين الدوميات والقبور العتيقة



المنطقة الواقعة بين الدوميات والقبور العتيقة

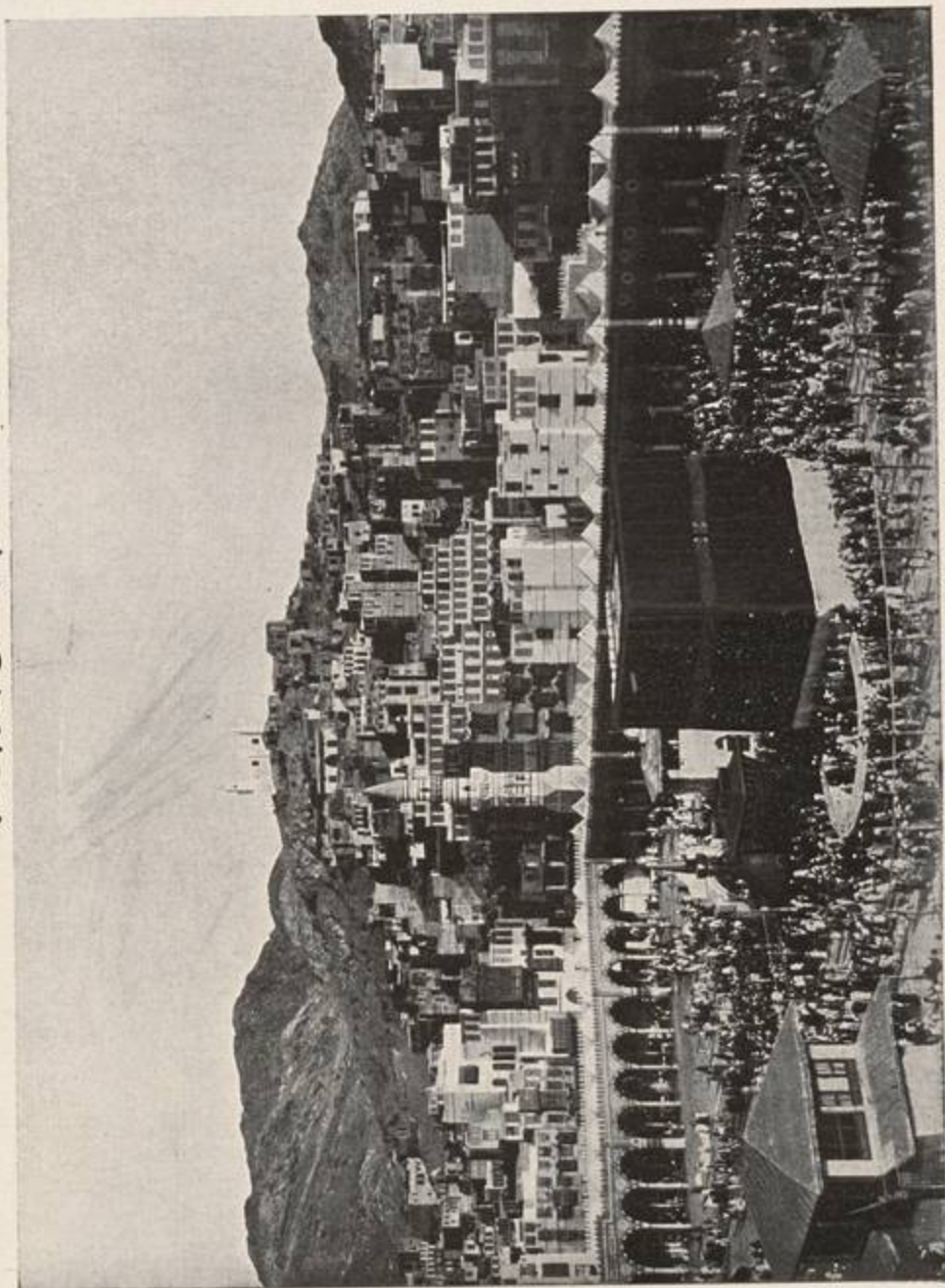
32. The meeting of the Pilgrims to attend the speech of the day of El-Tarweya





21

الحج والعمرة والبلد الحرام



حج والعمرة والبلد الحرام والبلد الحرام
والبلد الحرام والبلد الحرام
والبلد الحرام والبلد الحرام
والبلد الحرام والبلد الحرام

33. The Kaaba in the Mecca Mosque.

عن قائمين يعلوهما عقد مستدير أتقن صنعه ، وعرضه أربعة أمتار . أنظر (الرسم ٣٢) الذى أخذت صورته في يوم التروية ثامن ذى الحجة سنة ١٣٢٥ ، وقد اجتمع الحجاج بالمسجد الحرام لسماع خطبة المناسك . ثم وقفنا متجهين الى ناحية الكعبة الجنوبية التى في ركنها الشرقى الحجر الأسود وفي طرفها الغربى الركن اليمانى ، وبدأنا من عند الحجر بطواف القدوم (طواف التحية) بعد أن قبله من قدر ولمسه من لم يقدر وأشار اليه من لم يتمكن من أحدهما ، وقال الجميع : بسم الله والله أكبر ، وقد جعلنا البيت عن يسارنا في الطواف حوله ، وكان طوافنا من وراء الحجر (الحطيم) وكان سبعة أشواط رملنا (أسرعنا) في الثلاثة الأولى منها وسرنا في الباقي سيرنا المعتاد آقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، اذ روى أبو داود والنسائي عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة في حُمْرة الفِضِيَّة فقال المشركون : إنه يَقدِّم عليكم قوم قد أوهنتهم - أضعفتهم - حمى يثرب - المدينة - ولقوا فيها شرا فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فأمر أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة الأولى ، ولم يمنعه أن يلزمهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم ، فلما رأوهم قالوا : هؤلاء الذين ذكرتم أن الحمى قد أنهكتهم ، هؤلاء أجلد منا وكذلك فعل هو وأصحابه في حجة الوداع فكان ذلك سنة ، وترى في (الرسم ٣٣) الحجاج وهم يطوفون حول الكعبة وقد لبست كسوتها السوداء وأترزت بإزارها الأبيض والواجهتان الظاهرتان بالرسم من الكعبة الواجهة الشمالية التى في أعلاها ميزاب الرحمة الأبيض وأمامها حجر اسماعيل على شكل نصف دائرة ، والواجهة الغربية وترى على يمين الكعبة في الرسم مصلى إمام المالكية ، ومصلى إمام الحنبلية على شكل مظلة قائمة على أربعة أعمدة وعلى يسارها مقام إبراهيم من خلفه باب بنى شيبية ، والجزء الأبيض الذى بين المقام وزمزم جزء من بناء زمزم الذى يصلى عليه إمام الشافعية ، والمظلة ذات الطبقتين التى على اليسار مصلى إمام الحنفية وترى في الرسم المطاف على شكل دائرة كما ترى أعمدة الأروقة بعقودها وقبابها وكذلك به بيوت الأشراف الفخمة ، والجبل

الذى على اليسار جبل الخندمة والذى على اليمين جبل أبى قبيس فوفقه مسجد إبراهيم القيسى . وبعد الطواف أتينا الملتزم وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود فى الجهة الشرقية ووضعنا عليه صدورنا وتعلقنا بأستار الكعبة وابتهلنا الى الله أن يعافينا فى ديننا ودينانا وقلنا ما خطر بنفوسنا من الرغبات الصالحة والأمانى المشروعة ثم ركعنا ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام عملا بقوله تعالى ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ ﴾ ثم أتينا زمزم فى الجنوب الغربى لباب بنى شيبه بداخل المسجد وشربنا منها وتصلعنا ، ثم خرجنا من المسجد من باب الصفا فى الجنوب وقصدنا الصفا وهو مكان مرتفع نحو مترين طوله ٦ أمتار فى عرض ٣ وضعنا اليه بدرج منتظم وهناك استقبلنا البيت وهللنا وكبرنا ودعونا ثم نزلنا منه الى شارع السعى شرق المسجد فبسرنا فيه نحو ٧٠ مترا واذا بالميلين الأخضرين (العالمين) أحدهما على اليمين بحائط بيت وثانيهما على الشمال بجوار باب المسجد الحرام المسمى (باب بازان) ومنهما هرولنا واضعين أيدينا على صدورنا الى الجانبين الى أن قطعنا ٧٥ مترا واذا بالميلين الآخرين أحدهما فى الميمنة فى حائط والآخر فى اليسرة بجذائه أمام باب المسجد الحرام المسمى بباب على ، ومن هذين العالمين مشينا مشينا المعتاد ٢٤٠ مترا فوصلنا الى المروة وهى أشبه بالصفا (سأتى الكلام مفصلا على الصفا والمروة) وقد صعدا اليها وهللنا وكبرنا فكان ذلك شوطا ثم نزلنا من المروة الى الصفا وعلنا فى الثانية ما فعلنا فى الأولى فكان ذلك شوطا آخر وهكذا أتممنا سبعة أشواط (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو أعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم) ويلاحظ أن النساء لا تهرون فى السعى ولا ترمل فى الطواف ولا ترفع الصوت بالتلبية خشية الفتنة وبعد السعى يتحلل المعتمر منا بالخلق أو التقصير وحل له كل شئ . وفى يوم التروية (ثامن ذى الحجة) يحرم بالحج ، أما المحرم بالحج فقط أو به مع العمرة فإنه لا يتحلل بل يستمر فى إحرامه حتى يأتى بأعمال الحج من وقوف ورمى وحلق وطواف الخ ، ويتحلل بعدئذ التحلل كله .

ولا بأس من أن نذكر لك في هذا الموطن ما يصدر من العربان ونسائهم وقت الطواف فإن فيه تنكته: إحرام العربان عبارة عن كشف أذرعهم ورءوسهم، وبقاى جسدهم مستور وشعرهم منشور غير منتظم وأكثرهم طويل الشعر مضفوره أشبه بشعور النساء عندنا، أما نسائهم فحججيات لا يكاد يبدو منهن شئ والرجل يقول في طوافه : يارب البيت اشهد أنى حجيت لا تقول ما حجيت اغفرلى ولوالدى وإلا تغفرلى غضبا تغفرلى ترانى حجيت يقول ذلك بصوت جهورى مزيج ويسرع فى مشيه فى الطواف والسعى ويأخذ الرجل بيد زوجه أو أخته أو أمه ويسرع بها فى السير وعند ما يصل بها الى الحجر الأسود يرفعها ويضع رأسها فى تجويف الحجر واذ ذلك تمسح وجهها وشعرها ويقول لها (حجى يا امره حجى) وتقيل الحجر عندهم فريضة لازمة لا يتركونه ولو ماتوا دونه ومن كثرة زحام هؤلاء العربان على الحجر وإدخالهم الرؤوس فى تجويفه حصل به خدش أصالح فىا بعد، ومات أحد الجماح أثناء الطواف من شدة الزحام، ومما سمعته محاورة بين اثنتين من نساء العربان قالت إحداهما للكعبة : (ياست ليلة [لعل تسميتها ليلة لأنها سوداء وكسوتها سوداء] إن كان جاتنا المطر فى ديارنا وجانا الخير أجب لك عكية سمن (قربة صغيرة) تدهنى بها شوستك، لأن العربان يزعمون أن الكعبة امرأة تدهن رأسها — فقالت الثانية : حقيقة تجيبى لها فقالت لها : آسكتى أنا عمال أ كذب عليها اذا جاتنا المطر ما أجبى) فانظر كيف بلغ أدب العربان فى خطاب الرب حدًا سيئا وكيف بلغت من نفوسهم الاعتقادات الفاسدة. ما ذلك إلا من فرط جهلهم بالدين فهل لأولئك من مرشدين .

وفى يوم السبت ٢ ذى الحجة (٢٣ مارس) قدم من جدّة الى مكة ١٥٠٠ حاج سائرين على الأقدام بعد أن تركوا جميع أمتعتهم بجدّة وانما قدموا رجالة لقلّة الجمال وكثرة الجماح نخافوا إن انتظروا أن تفوتهم الفريضة فأسرعوا بالحضور .

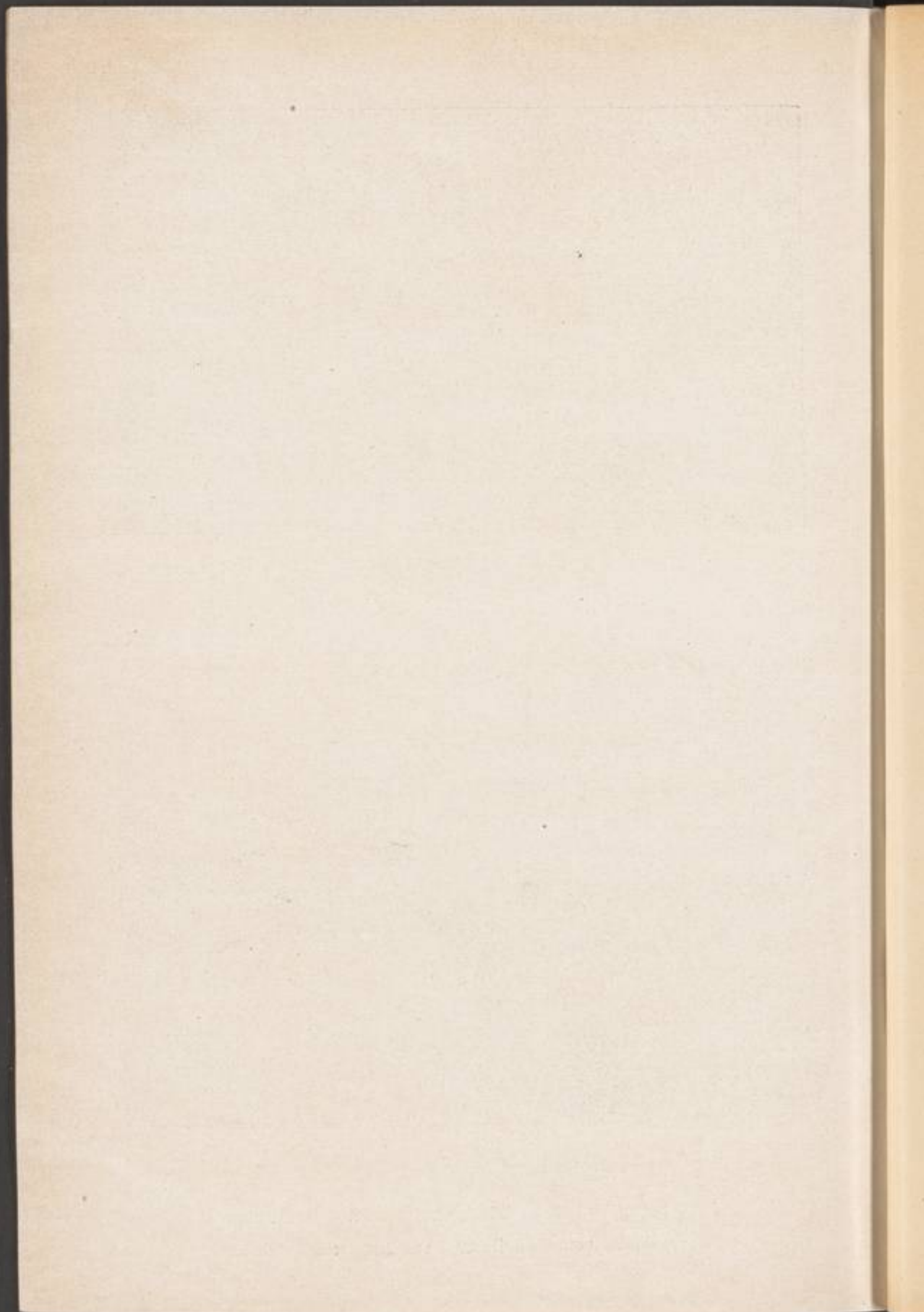
التزاور بمكة

زيارة أمير الحج وأمين الصرة لصاحبي الدولة شريف مكة ووالياها

في اليوم الذي وصلنا فيه إلى مكة (٢٥ ذى القعدة سنة ١٣١٨) بعد أن زرنا البيت الحرام وطفنا وسعينا وتحللنا زار أمير الحج وأمين الصرة دولة الشريف بعد الاستئذان منه وساعة اللقاء لثما يده وسلم له الأمير مکتوبين أحدهما من المعية السنية والآخر من نظارة الداخلية وكلاهما يتضمن التحية والتماس مساعدة أمير الحج على أداء عمله والقيام براحة الحجيج وقد قدم الشريف لها القهوة والشاي ومكثا بمجلسه فترة طويلة كانا فيها موضع تجلته ثم أنصرفا شاكرين ، ولم أتمكن من التوجه معهما اذ شغلني تنظيم المعسكر وإعداد ما يلزم لرجال المحمل وشراء العلف للدواب ، وفي اليوم التالي زرت مع الضباط وقد وقف لنا ساعة دنونا منه وقبلنا يده وأذن لنا بالجلوس وبلغته سلام الجناب العالي الخديو فشكره ودعا وأظهر شوقه لرؤيته فنبأته بأن سموه تواق إلى الحج ، فقال : متى تمت السكة الحديدية توافرت سبل الراحة ، ولبثنا في حضرته زهاء ساعة ونصف كفا فيها موضع رعايته ، وقدم لنا في خلالها الشاي والقهوة ثم خرجنا شاكرين .

وفي اليوم نفسه زار الأمير والأمين وأنا ثالثهم دولة الوالي بمقر الحكومة المسمى « الحميدية » فقابلنا بالبشر والترحاب وسلم الأمير اليه كتابا من نظارة الداخلية توصية يركب المحمل فبعد تلاوته سأل عن حال العساكر والحجاج وعرفنا بأنه مستعد لعمل كل شيء يوفر على الحجاج راحتهم وطعاما ينبتهم فدعونا لدولته وشكرنا وبعد تناول القهوة رجعنا شاكرين .

زيارات مختلفة — في الفترة التي أقمتها بمكة زرت رئيس الجند العثماني (القومندان) ولديه رتبة لواء كما زرت وكيل الوالي ويسمى « المحاسبجي » وسعادة اللواء صادق باشا العظم المدير العام للإشارات البرقية الحجازية وكذلك زرت الشريف





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَوْشَن كَرِيمٌ وَالسَّبِيحُ الْمُبِينُ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَأَ الْإِنْسَانَ مِنْ أَحْسَنِ عَشْرٍ
 وَجَاءَهُ بِالْأَقْبَلِ الْمُبِينِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَوْشَن كَرِيمٌ وَالسَّبِيحُ الْمُبِينُ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَأَ الْإِنْسَانَ مِنْ أَحْسَنِ عَشْرٍ
 وَجَاءَهُ بِالْأَقْبَلِ الْمُبِينِ

331. Fountain (Sibil) of drinking water at Mena for Pilgrims
 in the year 1340 H., East and South sides.

على باشا وكيل الأشغال لأمر مكة والشيخ الشيبى (من بنى شيبة) السيد محمد صالح
أمين مفتاح الكعبة ، ومن زرتهم ناصر باشا ابن الشريف عبد المطلب أمير مكة
سابقا وقد طلب الى أن أرفع الى الأعتاب الخديوية ما يأتى :

(أولا) يود أن تكون مرتبات الأشراف التى تصرف اليهم من المالية والأوقاف
بحساب الريال المصرى لا المجازى (أبو طاقه) الذى قيمته عشرة قروش وقتئذ .

(ثانيا) انتقد ما عمله بعض نظار (التكية) المصرية من تحويل نوافذها الى
أبواب لحوانيت اقتضبت من التكية ويرى أن ذلك غير مناسب للطعم .

(ثالثا) انه قد صدر الأمر الكريم بإنفاق ٨٠٠٠ جنية مصرى لتشييد مخزن
كبير فى منى يملأ بالماء لشرب الحاجين وأبناء السبيل فيرجو انجاز هذا الأمر الجليل
الذى يعد أثرا خالدًا لسمو الخديو يستحق به عظيم المثوبة من الله لأن بعد الماء
رفع قيمته حتى إن القربة التى تسع قدما مكعبة من الماء يبلغ ثمنها ٣,٥ قروش
بل فى هذا العام كان ثمنها ٥ قروش وإنى أعضده فى فكرته هذه فان ذلك عظيم النفع
للحجاج خصوصا الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون وتضطرهم الفاقة الى جلب المياه
من الأماكن النازحة سيرا على أقدامهم ، بل وفرة الماء تقطع دابر الأثرار من الأعراب
الذين يتربصون من يبتعد عن منى لإحضار المياه فيسلبونه ماله ولا مغيث فان المياه
تبعدها بأكثر من ثلاثة أميال أضف الى ذلك أن كثرة المياه تساعد على نظافة البدن
والملبس وذلك أحفظ للصحة وأرعى لها فإنجاز هذا المشروع يعود بالخير العميم على
الناس وعلى من يقوم به .

وقد كلمت سمو الخديو فى هذا الاقتراح فقال : لا مانع على أن يتولى الانفاق
على المشروع موظف مصرى ، ولما عرضت ذلك على الشريف عون فى حجتي
الثانية وافق على المشروع ولكن اشترط أن يتولى هو الانفاق ، فكان شرطه هذا
داعيا لوقف المشروع الى أن نفذ فى السنين الأخيرة — فى عهد مليكنا فؤاد الأول .

وممن زرتهم محسن بك وعبد الله بك ولدا المرحوم الشريف محمد باشا ابن الشريف عبد الله باشا أمير مكة سابقا وهما شابان لا يتجاوز عمرهما الثامنة عشرة لم يتعلما إلا المبادئ الأولية لإهمال التعليم بمكة وقلة المدارس بها وذلك ما يرغب فيه الشريف عون الرفيق باشا لأنه يرى في العلم تنويرا للأفكار ومطالبة بالحقوق وضربا على أيدي الظالمين وجهادا للتخلص من المستبدين وهو عليم بنفسه خبير بسيرته، وترى في (الرسم ٣٤) الأخوين بلباسهما العربي وفي (الرسم ٣٥) بلباسهما المكي خلفهما محمد بن سعيد الزمزمي وفي (الرسم ٣٦) بلباس مختلف والواقفون وراءهما إبراهيم بك مصطفى المعمر ناظر دار العلوم سابقا فأحمد بك زكي أمين الصرة في سنة ١٣٢١

وقد زرت كثيرا غير هؤلاء من الأشراف والسراة وكانوا يقابلوننا أجمل مقابلة ويردون الزيارة إلينا في المعسكر، فكنت أكرمهم غاية الإكرام وكان ضباط الحرس يعطفون عليهم ويتحدثون معهم وكانوا ولعين بسماع الآلات المطربة فكنت استحضر لهم الموسيقى والمزمار البلدي فيتناوبان الألمان مما يزيد في ابتهاجهم وانسراح صدرهم، وكانت الموسيقى تعزف كل يوم من بعد صلاة العصر حتى تتوارى الشمس بالحجاب وكان الناس يجتمعون على السماع ترويضاً للأفكار وتهذيباً للنفوس فكان لنا الدين والدنيا جميعاً .

زيارة أمير مكة ووالبها وقائد جندها للمحمل - في الساعة الثانية العربية نهرا من يوم ٧ ذى الحجة سنة ١٣١٨ زار صاحب الدولة الشريف عون الرفيق باشا أمير مكة معسكر المحمل في موكب حافل وكان راكبا عربية يجرها جوادان وكان على يساره وكيله الشريف على باشا وكان أمام العربية ٥٠ فارسا ، و ١٥٠ هجانا و ٢٥٠ راجلا و ١٢ موسيقيا وزمارا وكلهم من أهالي مكة إلا القليل - سودانيين - وكانوا بلباس عادي يحملون أسلحة من الطرز القديم وكان خلف العربية حوالي ١٥ جوادا يقودها سواستها وكان عليها السروج المذهبة المسبل عليها القטיפ المزر كشة بالقصب - منظر يسر الناظرين - (انظر الرسم ٢٦٧) أما نحن فلدى قرب مجيئه اصطفت عساكرنا

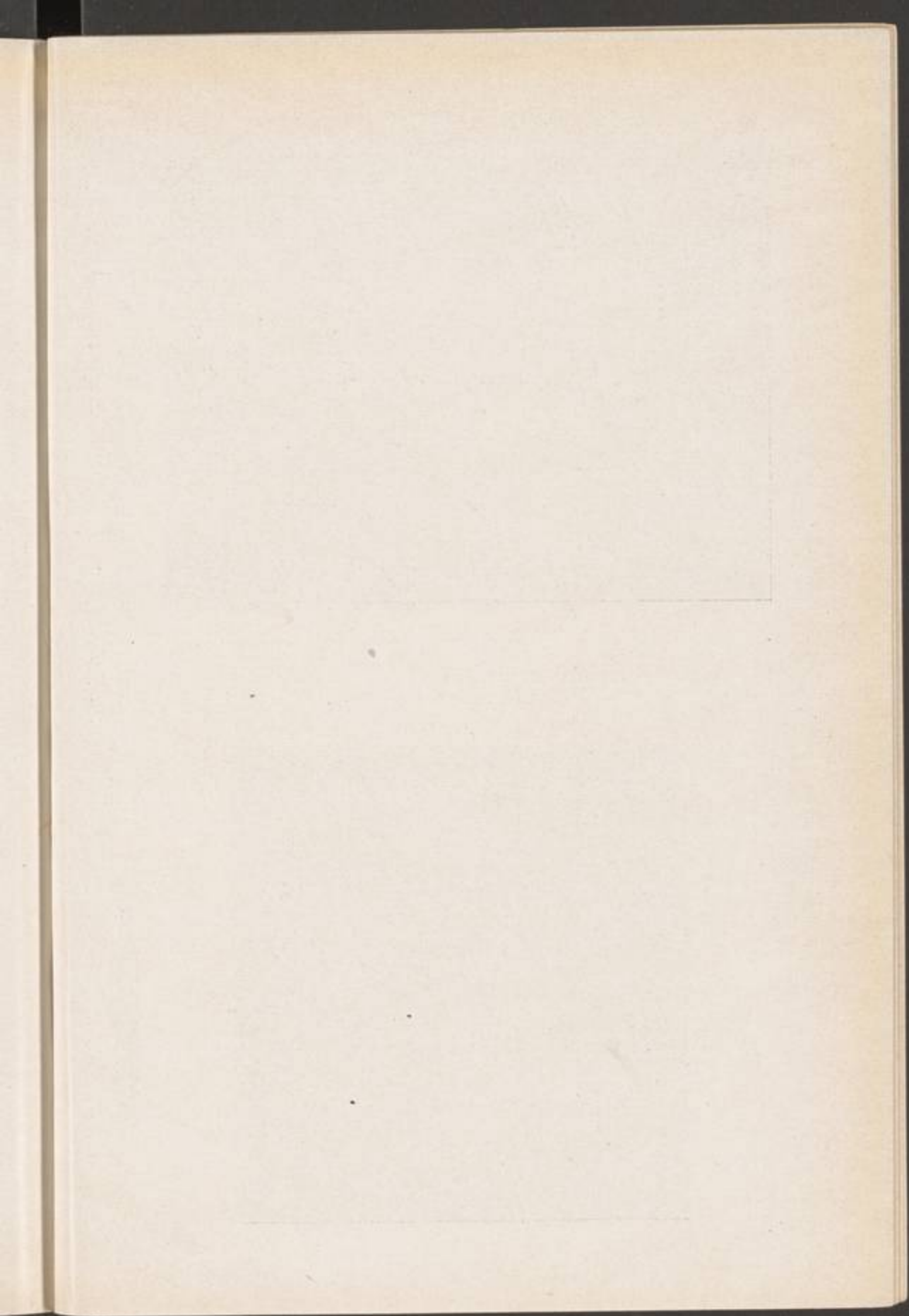
عبدالله باشا ومحسن باشا ولدا اخي الشريف علي



عبدالله باشا ومحسن باشا ولدا اخي الشريف علي

عبدالله باشا ومحسن باشا ولدا اخي الشريف علي

34 & 35. Photos of Abdulla Pacha and Mohsin Pacha the sons of El Sherrif Aly Pacha's brother.



عبداللہ انصاری محسن پاشا اور ابوالحسن علی پاشا



عبداللہ انصاری محسن پاشا اور ابوالحسن علی پاشا

محمد علی سعودی پاشا

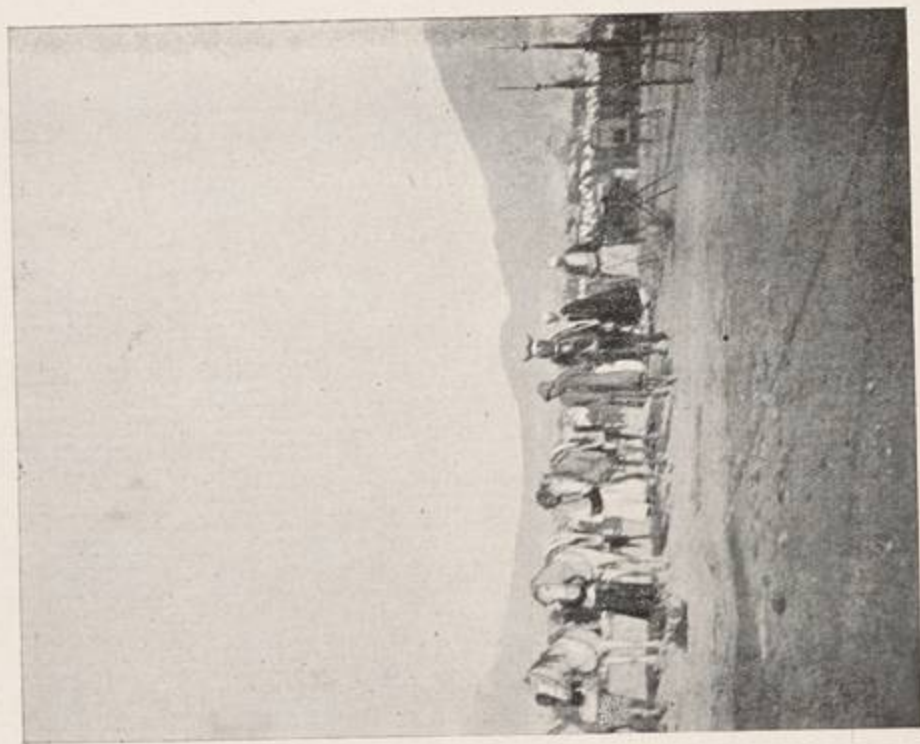
36. The photo of Abdulla Pacha and Mohsen Pacha.

الشيخ زين العابدين في مكة المكرمة



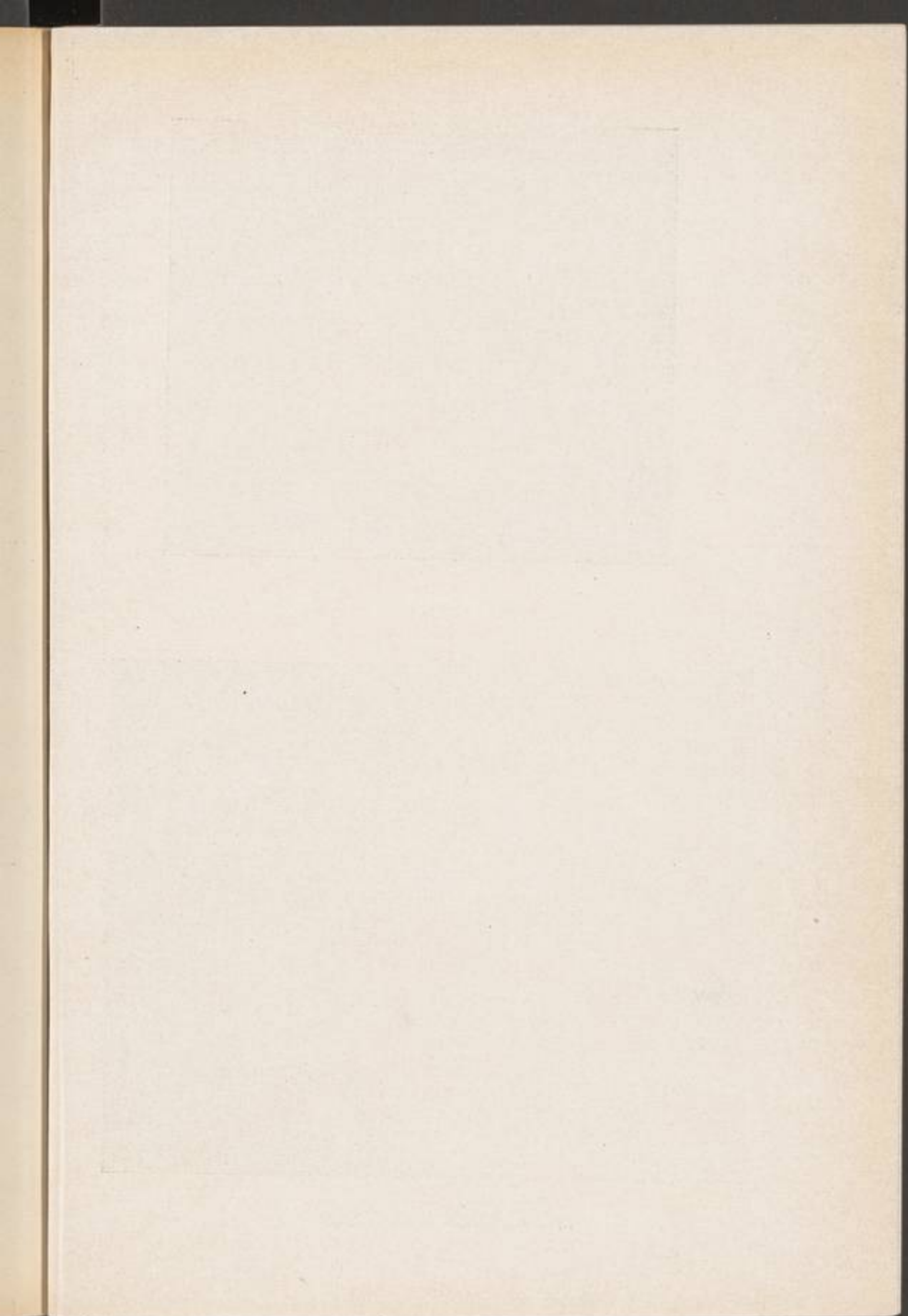
الشيخ زين العابدين في مكة المكرمة

مكة المكرمة في مكة المكرمة



مكة المكرمة في مكة المكرمة

267. A view of the Horses of Amir Mecca in Sheikh Mahmoud. 37. A photo of El Sherif Own El Rafik Pacha and his companion



صفيين متقابلين الموسيقيون أولا فالفرسان فالمشاة، واتخذ رجال المدفعية مكانا مناسباً لإطلاق المدافع ووقف أمير الحج والأمين وموظفوا المحمل في ميمنة العسكر وعند وصول الشريف تقدم اليه الأمير والأمين وقبلا يده وطرف السترة (الأتك) وتبعاه راجعا عربته يسير الهويتا بين الصفيين متأملا زى العساكر معجبا بشماهم وثباتهم مسلما عليهم بالإشارة، وعند سرادق الأمير نزل من العربة وجلس على أريكة في صدر السرادق وساعتئذ قدم له الأمير موظفى المحمل فلقموا يده ثم أمرهم بالجلوس وبعد زمن يسير قلت للعسكر «صفا» أى راحة، وتوجهت بالضباط الى السرادق حيث قبلنا يد الأمير و «أتك» كمن سبقنا، وبعد تناول الشاي والقهوة هم بالعودة فرجعت بالضباط حيث كانوا أولا وساعة مروره حيي التحية العسكرية وصدحت الموسيقى بإسلام جلالة السلطان وأطلق المدفعية ٢١ مدفعا كما حصل مثل ذلك عند القدوم، وقد أعجب الأمير بكل ما رأى خصوصا زى الضباط والعسكر وكان يرتدى ملابسه العادية العمامة والقباء (القفطان) الأبيض والفرجية ذات اللون الرملى، ومما حدث به أمير الحج أنه سأله عن عمر كسوة المحمل القصصية إذ رآها غير زاهية فأجابه بأنها صنعت في عهد الخديو السابق توفيق باشا (انظر الشريف في الرسم ٣٧) الذى أخذته في بيت الشريف بعد المغرب وترى بجانبه جلسه الذى يعرف بالبو وللشريف كبير ثقة به وحسن اعتقاد فيه جعله يؤثره بالهدايا النفيسة التى كانت ترد اليه فابتنى منها البيوت الفاخرة المشابهة لبيوت مصر وقد بلغنى أن سبب ذلك الإيجار أنه جاء الى الشريف وقد جلس تحت سقيفة فأشار اليه بالانصراف وقال له «جم جم» فلم يكذب السقيفة حتى سقط عرشها، ومما آثره به من الهدايا في سنة ١٣٢٠ سيف مذهب وسكينة مذهبة أهداهما الى الشريف سلطان زنجبار.

وفي الساعة الثالثة من اليوم نفسه أقبل دولة الوالى المشير أحمد راتب باشا لزيارة الأمير وركبه وكان يركب عربة كعربة الشريف وكان عن يساره فيها سعادة اللواء صادق باشا مدير الاشارات البرقية الجمازية ويتقدم العربة حوالى ٥٠ فارسا تركيا

من غير النظاميين وكان منهم ستة يحملون على أكتافهم العصي الفضية الطويلة، ودولة الوالى كان يرتدى ملابس التشريفة الكبرى البحرية وهى عبارة عن (بنطلون) أبيض طويل فوقه معطف طويل أسود عليه سمة مشير بحرى وبصدر المعطف خيوط غليظة مثبتة به من طرفيها (كردون) وفوق ذلك جبة سوداء طويلة تمتد الى ماتحت الركب ومزركشة بالخيوط القصصية على طوقها وكفيها ومن أمامها وخلفها وجانبيها وذيلها وهى خاصة بمن يشغل منصب الولاية على مكة وكان من فوق الحبة الوسام (النيشان) المجيدى من الدرجة الأولى، وقد استقبلنا الوالى بمثل ما استقبلنا به الشريف غير أن الوالى نزل من عربته حينما وصل الى أول المعسكر ومر بين الصفيين وكما حاذى ضابطا صاحبه وكان شديد التأمل فى الضباط والعساكر مسرورا من زيهم معجبا بمجىل نظامهم وكان ذلك باديا على محياه ولا سيما عند ما أدت له التحية العسكرية بقوة وثمامة، وقبل أن يبرح دولته سرادق الأمير قام الشيخ محمد السنباطي (موزع الكساوى على العربان والقائم بالأدعية وقت تسليم الخديو المحمل الى أمير الحج الخ) وتلا خطبة امتدح فيها الوالى ودعا لجلالة السلطان فكافأه على ذلك بخمسة جنيهات كما كافأ الموسيقيين والزمارين بثلاثة أخرى وتلك له عادة سنوية (أنظر الرسمين ٣٨ و ٣٩). هذا وقد كانت زيارة الشريف والوالى لمحملنا بعد عودتهما من زيارة المحمل الشامى فى اليوم التالى لوصوله .

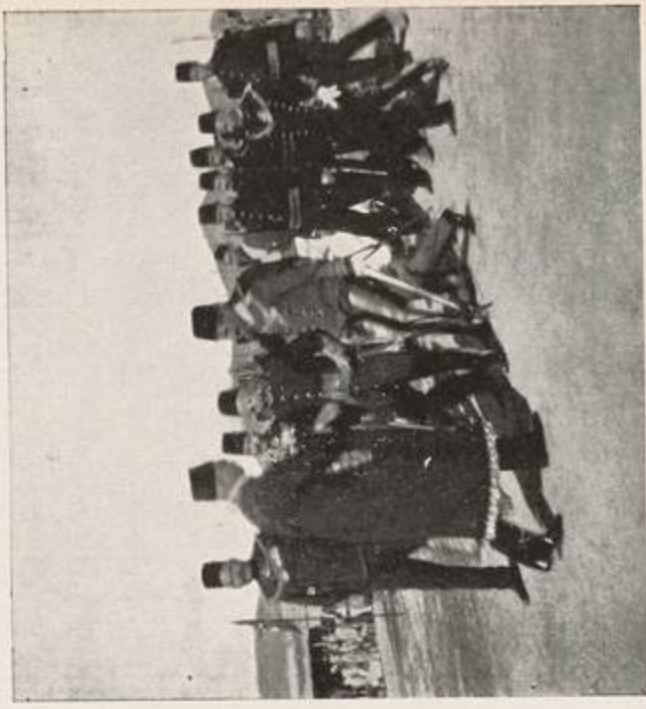
غسل الكعبة

فى يوم الاثنين ٥ ذى الحجة دعيت مع أمير الحج وأمين الصرة وبعض الموظفين لغسل الكعبة حسب المعتاد سنويا فلبينا الدعوة وذهبنا الى المسجد الحرام وفى الساعة الأولى العربية حضر دولة الوالى وأمين الدفاتر (الدقتردار) والواء (قومندان) الجنيد المكي وبعض العطاء من الحجاج ودخلنا الكعبة وصلينا فى كل من جهاتها الأربع ركعتين ودعونا الله بما أحببنا ودعوت للخديو كما دعا له الأمير والأمين ثم أخذنا جميعا فى غسل أرض الكعبة من الداخل بماء زمزم وكان ذلك بمقشرات

مؤتمن الطلحه المظنه المظنه المظنه المظنه

آبى بركه كالتان فاشخ بجهن لندا

الشرف والى فى العربه بالشىخ محمود



مؤتمن الطلحه المظنه المظنه المظنه المظنه

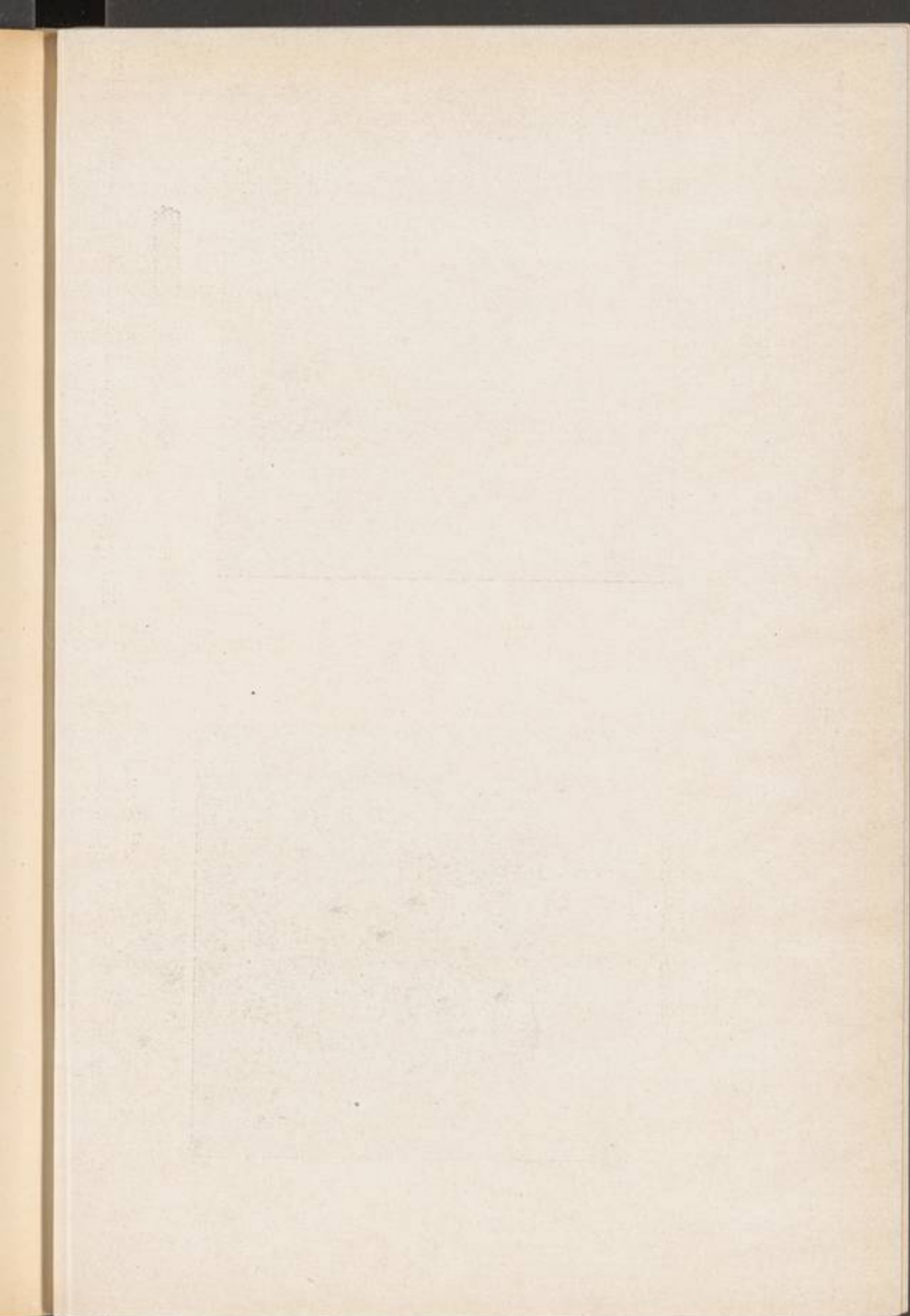
38. A photo of the Wali of El Hejaz shaking hands with the officers of the Mahmal on meeting officially.



مؤتمن الطلحه المظنه المظنه المظنه المظنه

محمد على سعودى بهمر

39. The Sherit and the Wali in carriage at a place called Sheikh Mahmoud



صغيرة صنعت من خوص النخيل ثم وزعت علينا خرق بيضاء مبللة بماء الورد والروائح العطرية وأخذنا نمسح بها جدر الكعبة، وقد اشتد الزحام أمام بابها لأخذ مياه الغسل للتبرك بها، والمطوفون يأخذونها في دلاء ويضعونها في قوارير يهادون بها أتباعهم من الحجاج وكذلك يتخاطف الناس مقشاة الغسل بل يتضاربون عليها وعلى الماء، ولدى نزولى عن الكعبة وضعت ما معى من المقشاة فى منشفة كبيرة (تسكير) استحضرتها معى لغسل الكعبة بها ولأحفظها بعد تبركا، وقد زاحمى الحجاج وعصر بعضهم المنشفة لعله يجد بها قطرة ماء ومنهم من مسح بها وجهه ومنهم من مسحها ومسح على عينه وجسمه .

هذا والكعبة تفتح فى موسم الحج لمن يريد الزيارة بعد أن يدفع ريبالا (برم) قيمته عشرة قروش مصرية لمن يتولى فتح الباب من قبل السيد محمد صالح الشيبى أمين المفتاح وإذا كان الزائر غنيا أخذوا منه بضعة جنيهات، وبعض الناس يتميز فرصة غسل الكعبة ويدخل مع الغاسلين . وتفتح الكعبة للزائرين فى ١٠ المحرم للرجال وفى ليلة ١١ منه للنساء، وتفتح فى ليلة ١٢ ربيع الأول للدعاء للسلطان ولا يدخلها الزقار ولكن يدخلها الرجال فى صبيحة تلك الليلة، وفى ليلة ١٣ منه للنساء، وتفتح فى يوم ٢٠ ربيع الأول لغسلها، وفى أول جمعة من رجب للرجال وفى اليوم التالى للنساء وفى ليلة ٢٧ رجب تفتح للدعاء للسلطان وفى صباحها يزور الرجال وفى المساء يزور النساء، وتفتح فى ليلة نصف شعبان للدعاء وفى صباحها للرجال وفى مساءها للنساء وتفتح يوم الجمعة الأولى من رمضان للرجال وفى تاليه للنساء وفى ليلة ١٧ منه للدعاء للسلطان وآخر جمعة كذلك، وتفتح فى نصف ذى القعدة للرجال وفى تاليه للنساء وفى ٢٠ منه لغسلها وتفتح على سبيل الخصوصية لبعض الأعيان . وفى يوم ٢٨ ذى القعدة تحرم الكعبة أى يوضع لها إزار أبيض أسفل الكسوة .

الى عرفات ومنى

قد ورد لنا كتاب من دولة الولى بأن قاضى مكة أثبت هلال ذى الحجة ليلة الخميس
وعليه يكون الوقوف بعرفة فى يوم الجمعة تاسع ذى الحجة وترى فى (الرسم ٤٠) مثيله
فى سنة ١٣٢٥

ولما كانت ليلة الثامن من ذى الحجة تحرك لتنام الساعة الحادية عشرة العربية
ركب المحمل من معسكره بمكة ميمما عرفة فسار من حارة الباب الى الشبيكة نالسوق
الصغير بغياد - وفيه المطعم المصرى (التكية) ودار الحكومة العثمانية المسماة بالحميدية -
بغزة من شارع المسعى فالقشاشية فسوق الليل فالغزة، وقد مررنا بيت الشريف
الذى شيده محمد على باشا جد الأسرة الخديوية وهناك وقف الركب وصدحت
الموسيقى بالسلام الملكى وهتف الجميع « ياد چاهمز چوق يشا » « يعيش الملك
طويلا » ثم سرنا الى الشمال ومررنا بالبياضية على اليسار وفيها بيت بحديقة لشيخ
الشيبى أمين المفتاح ثم شرقنا الى منى ووصلنا الى أول مدرج فى س ١١ وق ٤٠،
والمدرج جزء من الطريق مرصوف بالحجارة يشبه درجة السلم لكن عرضه ٢٠ مترا
وطوله ٥٠ وارتفاعه عشر المتر ووصلنا المدرج الثانى بعد ربع ساعة وقد تابعنا
السير حتى بلغنا منى فى س ١ وق ٤٥، وبها استراح المحمل ربع ساعة بالقرب
من المكان المعد لنصب سرادق الشريف بعد رجوعه من عرفة ثم سرنا فوصلنا
المزدلفة فى س ٢ وق ٣٥، ثم عرفة فى س ٤ وق ٣٥، فنكون قد قطعنا الطريق
بين المعسكر وعرفة فى ٥ س و٣٥ ق استرحنا فيها ١٥ ق، والطريق رمل لا تغور
فيه الأقدام وتكتنفه من الجانين الجبال الشاخحة التى تباعد بمنى ومزدلفة،
وفى منتصف البعد بين مزدلفة وعرفة وبالطريق كل ما يحتاج اليه الانسان من
ماء وقهوة وشاي وما كولات من لحوم وأرز وعدس مطبوخة وغير مطبوخة وسكر
وحلاوة وملبس الخ . وحينما وصلنا الى عرفة نزل الركب فى محله المعد له سنويا
وكانت الخيام والأمتعة والمؤن قد سبقتنا الى هنالك فانها أرسلت ليلا بصحبة بعض

محرم تيريفه صومحما طلفقني جانب رانش

الذبح والذبح
بجاء ولا ياتي
بجاء ولا ياتي
بجاء ولا ياتي
بجاء ولا ياتي

٤٠٠

(٤٠٠)

سعادته
تتم
بنيته جاهد ردي الجبر الشريفة
باعتهم أقاربه ونسبته
باعتهم أقاربه ونسبته
باعتهم أقاربه ونسبته
باعتهم أقاربه ونسبته



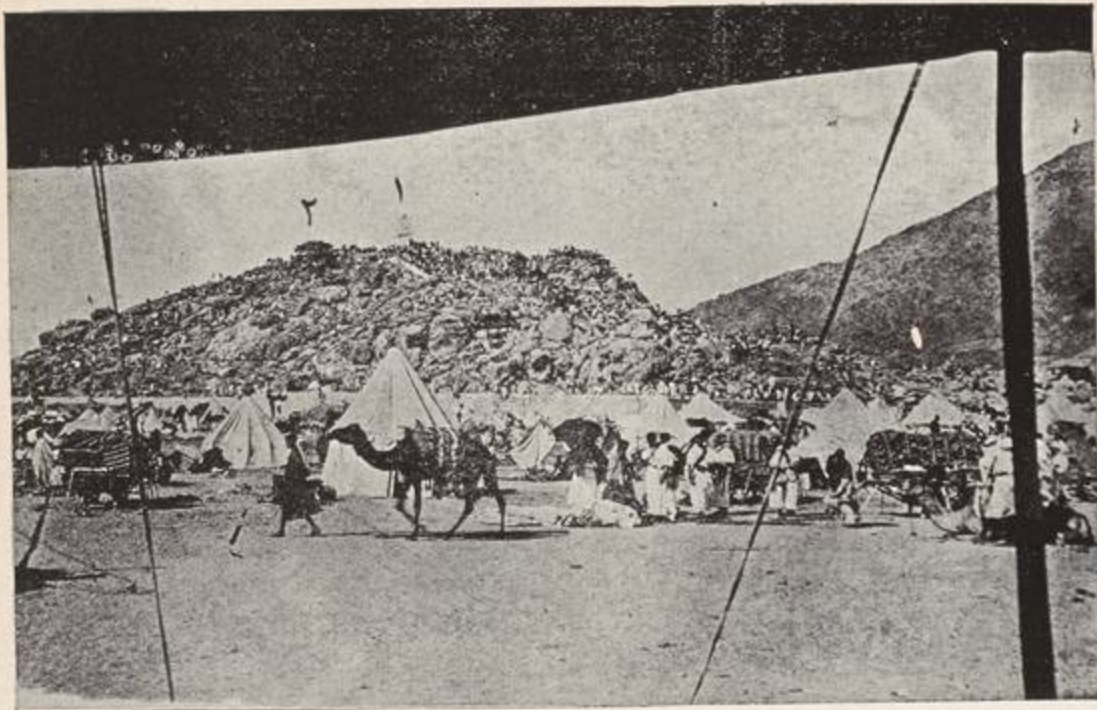
ولاية الجاز - قلم المكاتبات رقم ٢٠٠٠
صاحب السعادة
مكة وعلى ذلك فوقفه عرفات سكنون يوم الاثنين المبارك ولما بادرت بإخباركم بذلك
«الباور» الأكرم والى الجاز و«قورمنده»
٧ ذي الحجة سنة ١٣٢٥ هـ ٢٩ كانون الأول سنة ١٣٢٣

العساكر والفراسين ومعهم ضابط ، فأعدت قبل وصولنا وبعد أن عرف كل منا محله أسرعنا جميعا الى جبل الرحمة المعروف بعرفات حيث وقفنا هنالك على سبيل الاحتياط لجواز أن يكون هذا اليوم يوم عرفة مع أنه ثامن ذى الحجة — ولا محل لهذا الاحتياط بعد التثبيت في معرفة أول الشهر، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الشك — يرشدنا الى ترك الوقوف في يوم توهمناه التاسع من ذى الحجة والظن بل اليقين بخلافه — وقد نزل علينا مطر خفيف أثناء الوقوف ورجعنا الى خيامنا بعد الغروب .

جبل عرفات وميدانه الفسيح — جبل عرفات على شكل قوس كبير يحيط بوادٍ متسع يسمى «عرفة» وتبلغ مساحته نحو ميلين مربعين وعلى طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف وفي طرفه من جهة الشمال لسان يبرز الى الغرب يسمى «جبل الرحمة» (الرسم ٤١ وفيه ترى العلم الذي في أعلى جبل الرحمة تحت رقم ١ وتحت رقم ٢ شجرة فوق الجبل) وهو جبل صغير بالنسبة لما حوله من الجبال ارتفاعه قريب من ٣٠ مترا وطوله ٣٠٠ متر ويصعد اليه بمدارج كبيرة على شكل سلم غير منتظم ، به ٩١ درجة يختلف ارتفاع الواحدة منها من عشر المتر الى ثلاثة أعشاره ، وعلى يمين الصاعد على الجبل قريبا من منتصفه مستو طوله ١٥ مترا في عرض ١٠ أمتار وبه مصلى ذو قبلة يسمى مسجد إبراهيم عليه السلام ويقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، وهذا غير صحيح فان هذا المسجد والدرج الذي وصفناه بناهما الوزير محمد بن علي بن المنصور المعروف بالحواد الأصفهاني في سنة ٥٥٩ (أنظر كتاب منائح الكرم) وفي أعلى الجبل مستو مبلط مربع ضلعه ٥٠ مترا وفي وسط المستوى مسطبة مربعة ضلعا ٧ أمتار وارتفاعها متر ونصف ، وعند الركن الغربي منها عمود مربع مبنى بالحجر الأصم ومخصص ارتفاعه نحو أربعة أمتار وعرض كل جانب من جوانبه الأربعة متر ، وهذا العمود علم على جبل الرحمة وتعلق به مصابيح ليلة عرفة إرشادا للحاجين والسالكين ، وحول العمود حائط به محراب يصلى اليه الناس

منظر جبل عرفات

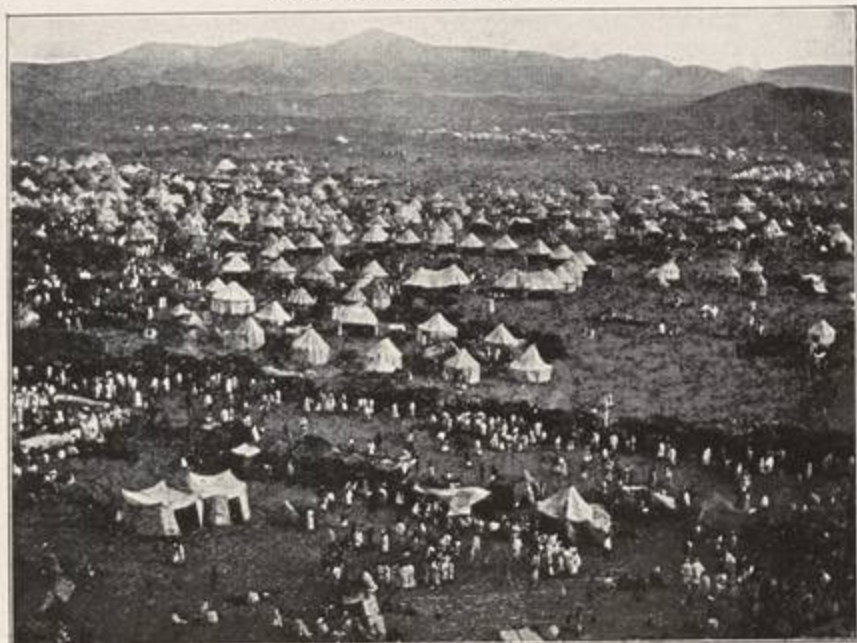
(١) منارة بها مصابيح (٢) شجرة



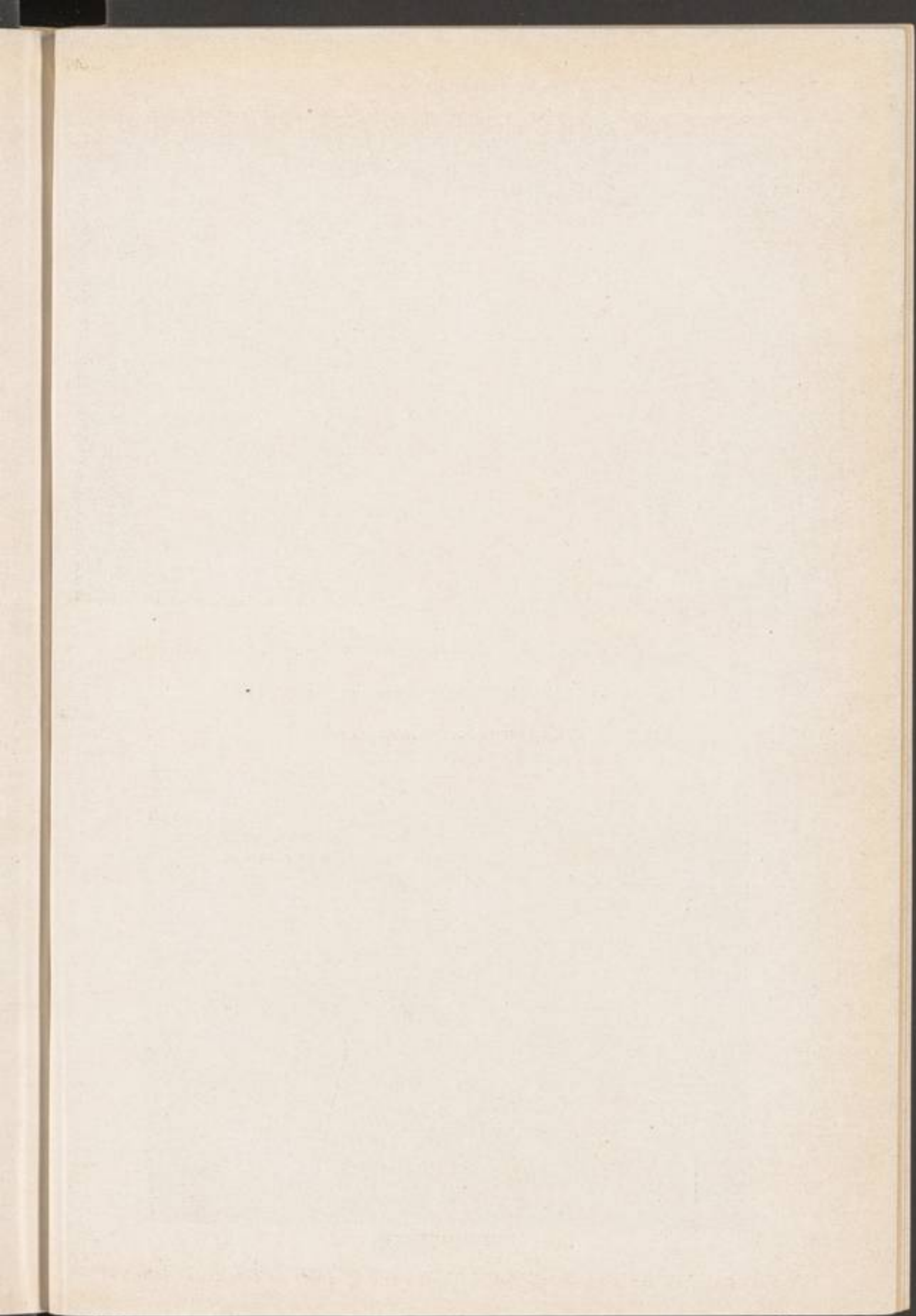
حقوق الطبع والنشر محفوظة باسم السيد اللواء ابراهيم فتوح باشا امير سراج مصر في الحجة سنة ١٣٢٥

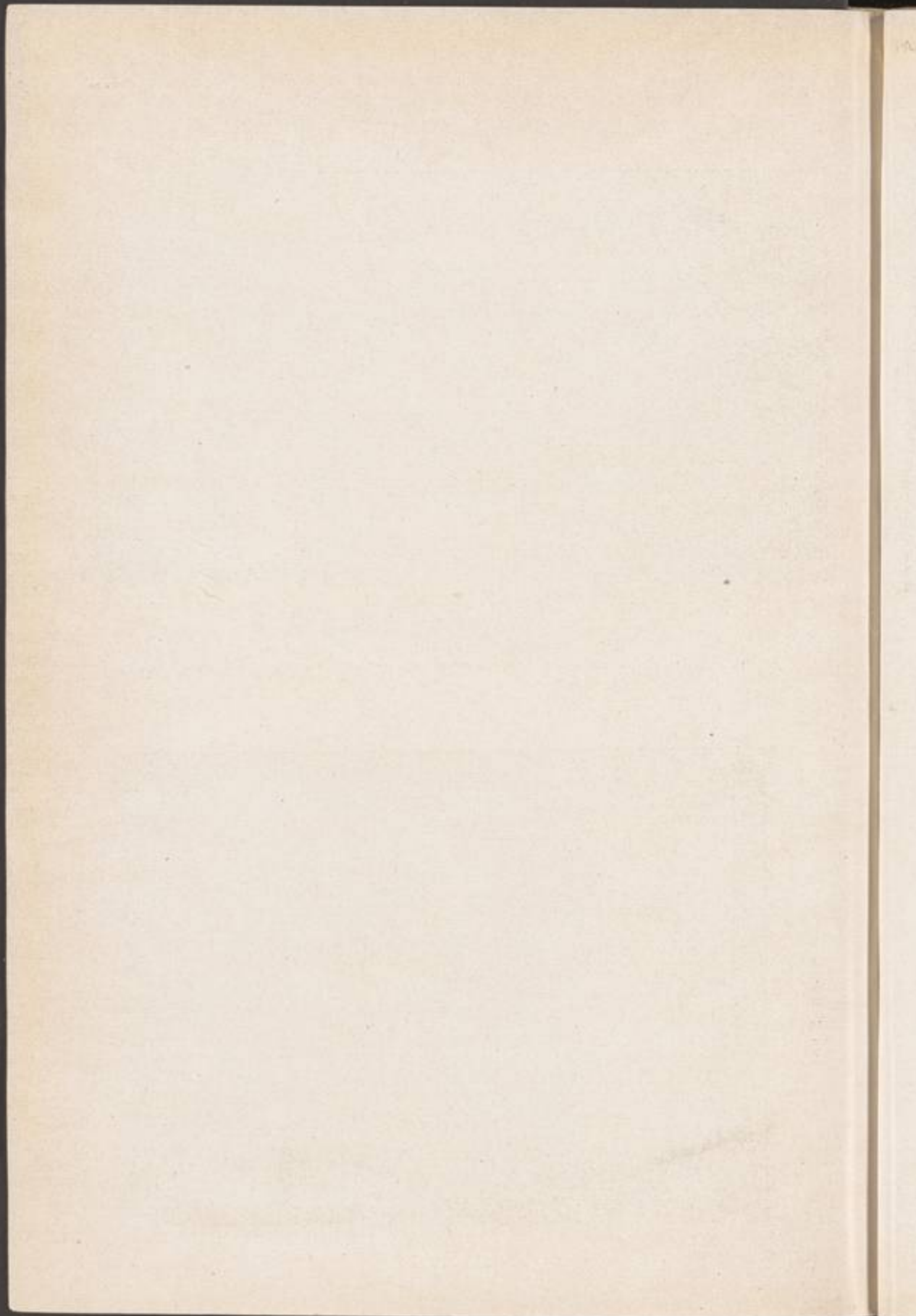
41. A view of Gebel Rahma, known by Gebel Arafat.

معسكر الحجاج في عرفات والمسجد الصحراوي



42. The camp of the pilgrims in Arafat, and El Sakharat Mosque in 1321.





مسجد نمره في مكة الغربية عرفات وقد صلى به النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر يوم تبة الودان سنة ثمان من الهجرة



هذا المسجد الذي صلى به النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر يوم تبة الودان سنة ثمان من الهجرة

43. Namerah Mosque where the Prophet performed the mudday and the afternoon prayers together.

هذا المسجد الذي صلى به النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر يوم تبة الودان سنة ثمان من الهجرة



هذا المسجد الذي صلى به النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر يوم تبة الودان سنة ثمان من الهجرة

44. A photo of the pilgrims at Arafat on 9th of El Heggia in 1321

وبأسفل الجبل مسجد صغير يسمى «مسجد الصخرات» يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه ولم يثبت، وسمى بذلك لأن في أرضه صخورا كبيرة بعضها الى جانب بعض (أنظر الرسم ٤٢) والمسجد واطئ في جانبه الغربي، ويجوار جبل الرحمة ثمانية أحواض مبنية بناء متينا تملأ بالماء من مجرى عين زبيدة بواسطة مجار تحت الأرض وذلك في زمن الحج فقط وترمم وتنظف كل سنة قبل أوأانه، وفي جنوب الميدان على طريق الطائف جامع عتيق اسمه جامع «نَمْرَة» أو مسجد إبراهيم أو مصلى عرفة وهذا المسجد يجمع فيه الحجاج يوم عرفة بين الظهر والعصر جمع تقديم مع الامام الذي يخطب فيه قبل الصلاة خطبة يعلم الناس فيها آداب الوقوف وأنه ممتد الى الغروب (أنظر مسجد نمره في الرسم ٤٣) .

ويحيط بوادى عرفة من جهته الشمالية والجنوبية والغربية مجرى عين زبيدة (وسنوافيك قريبا بالكلام عليها تفصيلا وصفا وتاريخا) . وعرفة كلها موقف الا وادى عرنة .

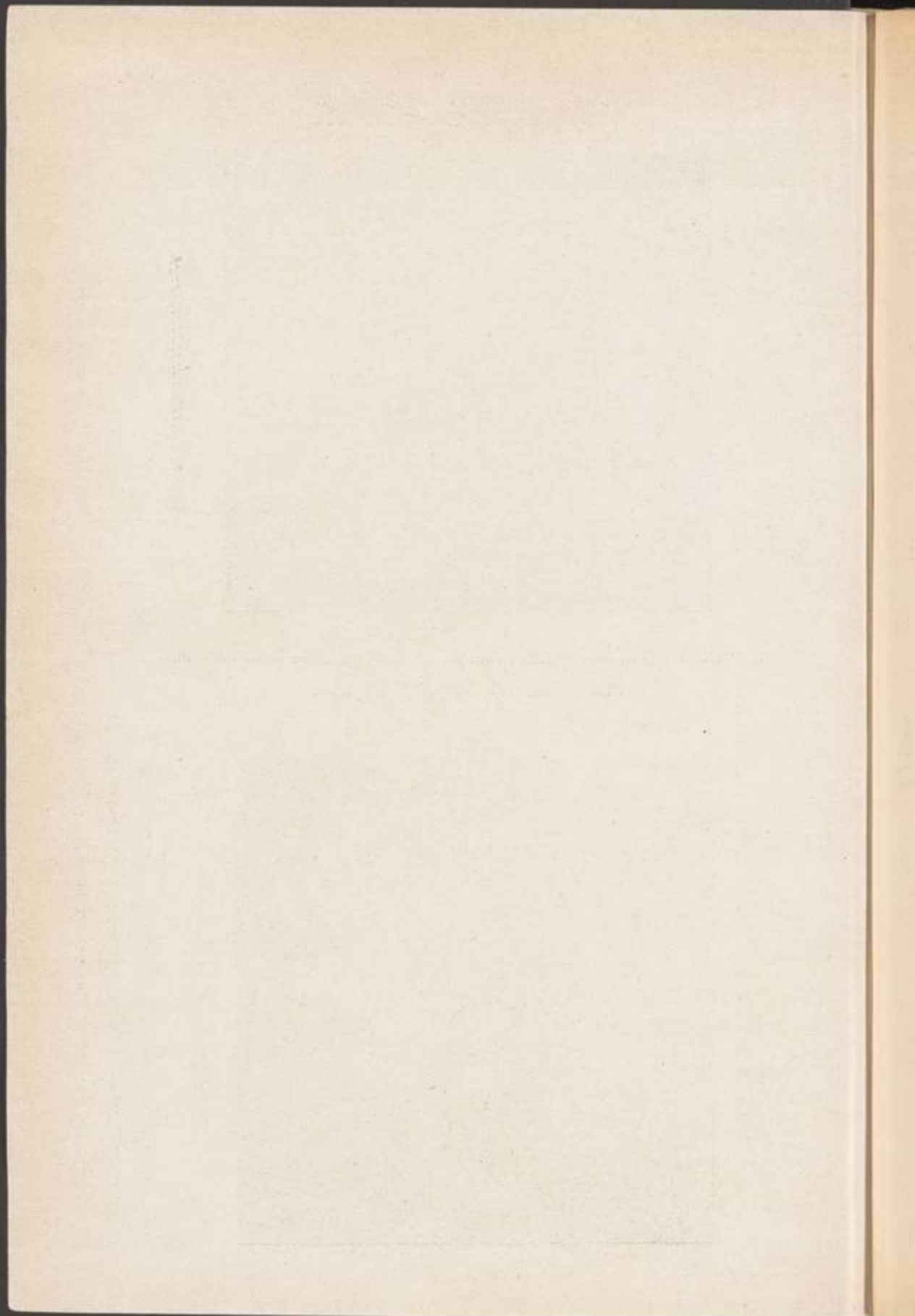
قد نبأناك بأن ركب المحمل نزل من عرفة مكانه المعتاد وسط الوادى وقد بتنا بها ليلة التاسع من ذى الحجة، وقبل المغرب بساعة من يوم عرفة تحرك المحملان المصرى والشامى أولهما يسار ثانيهما يتقدمهما أميراهما وأمين الصرة، والجند يحيطون بهما حتى وصلا الى سفح جبل الرحمة فى مكان صلب مرتفع قليلا عن سطح الأرض ووقف الخطيب على جمل بجبل الرحمة قريبا من سفحه يحيط به العساكر لمنع التراحم عليه، ووقف بجواره مبلغان مصرى وشامى بيد كل منديل يلوح به للحجاج كلما سكت الخطيب، وساعة يلوحان ترى الآلاف المؤلفة من الأجناس المختلفة وقد كشفت منهم الرؤوس وعريت منهم الأقدام الا القليل وارتدوا ملابس الإحرام تراهم يستغيثون ومما أسلفوا يستغفرون رافعين عقيرتهم بالتلبية (ليك اللهم ليك . ليك لا شريك لك . أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

ألسنة مختلفة من أجناس متباينة جارت الى الله بالدعاء فشق صوتها أجواز الفضاء، فاهت بكلمات انبعثت عن قلوب مخلصه وأفئدة طاهرة ونفوس نسيت كل شيء الا ربها إنها وأيم الله لتترك في النفس أثرا لا يحيط به الوصف ولا تحدده العبارة بل لا يعرفه الا من سمع وأبصر « ولا ينبتك مثل خبير » .

وما أظرف ما قاله أبو تواس في التلبية .

إلهنا ما أعبدك * ملك كل من ملك
 لبيك قد لبيت لك * لبيك أن الحمد لك
 والمملك لا شريك لك * ما خاب عبد سألك
 أنت له حيث سلك * لولاك يارب هلك
 لبيك أن الحمد لك * والمملك لا شريك لك
 والليل لما أن حلك * والسابحات في الفلك
 على مجارى المنسلك * كل نبى ومملك
 وكل من أهل لك * سبيح أو لبي فلك
 يا مخطئا ما أغفلك * عجل وبادر أجلك
 اختم بخير عملك * لبيك أن الحمد لك
 والمملك لا شريك لك * والحمد والنعمة لك

وإنك لترى جبل الرحمة قد ملأه الحجاج حتى لم يبق به موضع لقدم، وكأنك إذا نظرته لا تنظر الا أكدا سا من الناس رافعين أيديهم الى قبلة الدعاء شاخصة أبصارهم نحو السماء (أنظر الرسم ٤٤ وفيه ترى يبرق المحمل في أعلاه كأنه رجل والوجه الكبير وجه الشيخ محمد أبى النور نجعل صهرنا الشيخ طوموم) وأن أغلب هؤلاء من السودانين واليمنيين والمغاربة وأنهم ليتخذون الجبل مسكنا لهم ويؤدون به جميع أعمالهم من طهى وغيره مدة لبثهم بعرفة . ويظنون أن الوقوف بجبل الرحمة فضيلة كبرى مع أن ذلك بدعة، فقد جاء في كتاب منائح الكرم ما نصه . قال الشيخ تقي الدين



مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمَشْرِائِقِ الرَّابِعَةَ الْعَشْرَةَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ ١٣٢١ هـ



مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمَشْرِائِقِ الرَّابِعَةَ الْعَشْرَةَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ ١٣٢١ هـ

45. The Egyptian and Syrian Mahmals on their departure from Muzdalifa to Mina on the 10th. of Zu El-Hegga 1321.

صحيفة ٤٩

الْبَيْتِ الْمَكْرَمِ وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْحَقِّ



مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمَشْرِائِقِ الرَّابِعَةَ الْعَشْرَةَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ ١٣٢١ هـ

46. The Ameer of the Syrian Pilgrimage caravan riding his horse and carrying a Firman addressed to the Ameer of Mecca entrusting to him the care of the pilgrims

ولا نعلم في فضل هذا الجبل الذي يصعد اليه الناس بعرفة خيرا ثابتا ولا غير ثابت وما يخص الناس به هذا الجبل من الحرص على الوقوف عليه دون موقفه صلى الله عليه وسلم ودون مواقف عرفه قبل وقت الوقوف ، وإيقادهم عليه التيران فبدع تستلزم محظورات من اختلاط النساء بالرجال وغير ذلك ، وإنما حدث ذلك عند انقراض العلماء الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر واستيلاء الجهل على الناس وأخذهم الأمور بالقياس اه بلفظه فليحفظ ذلك . هكذا جاء بالكتاب المذكور تحت حوادث سنة ٥٥٩

وقد استمر الخطيب يخطب والناس وقوف حتى مغرب الشمس وإذ ذلك أشعل أحد رجال المدفعية من المحملين شمبا (صواريخ) إيذانا بالانصراف من الموقف ، فأفاض الناس مهللين ومكبرين ورحل المحملان المصري في ميمنة الشامي (أنظر الرسم ٤٥) والجند يسرون صفين ومن بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم الحجاج والموسيقى والمزمار يعزفان بالألحان المشجية ، وأخذت مدافع الشريف والوالى والمحملين تتناوب طلقات البشر والسرور ، وقد سرنا نحو المزدلفة من حيث أتينا فبلغناها بعد ساعتين ووقت الوصول ضرب ٢١ مدفعا إعلاما ببلوغ القصد ونزل كل محمل في مكانه المعتاد وجمع كل حاج ٤٩ أو ٧٠ حصاة صغيرة قدر الفولة أو البندقة ونظفها بالماء استعدادا لرمي الجمرات بمنى ، وبتنا ليلتنا بالمزدلفة اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ولتقف في الصباح عند المشعر الحرام امتثالا لقوله تعالى ﴿ فَإِذَا أَفْضَمْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قِبَلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ وقد استيقظنا حوالى الفجر وأدينا صلاته في أول وقته وارتحل المحملان إلى موضع مسجد قديم ارتفاعه متران وبجانبه سلم وقف عليه الخطيب والنف الجحيج حوله ركبانا ومشاة وأخذ الخطيب يخطب من الساعة الحادية عشرة حتى قرب مطلع الشمس في منتصف الساعة الثانية عشرة ، وقد كان الناس في خلال ذلك يدعون ويلبسون كما دعا الخطيب ولبي ، وموقفنا هذا كان بجوار « المشعر الحرام » وهو جبل بالمزدلفة يسمى بذلك لأن الجاهلية كانت تُشعر عنده.

هداياها (والإشعار ضرب الإبل في صفحة سنامها حتى يسيل منها الدم) ووصف بالحرام حرمة الصيد فيه لأنه من جملة أراضي الحرم التي يحرم فيها الاصطياد .

وقد ارتحل المحملان الى منى قبيل طلوع الشمس في منتصف الساعة الأولى من صباح يوم العيد الأكبر من سنة ١٣١٨ واقتفاهما الحجيج ووصلنا منى بعد ساعة فتوجه الناس لرمى الجمرة الأولى «جمرة العقبة» وهي بأول منى من جهة مكة على يمين القاصد لها ، وهذه الجمرة حائط منى بالجمر عال من وسطه وقد أخذ كل حاج يرميه بحصياته السبع واحدة بعد أخرى مع التكبير في كل مرة ، قال المحب الطبري : وليس للمرمى حد معلوم غير أن كل جمرة عليها علم وهو عمود معلق هناك فيرمى تحته وحوله ولا يبعد عنه احتياطا ، وحدّه بعض المتأخرين بثلاثة أذرع من سائر الجوانب إلا في جمرة العقبة فليس لها إلا وجه واحد لأنها تحت جبل . وبعد رمي الجمرة المذكورة ذهبنا الى مواطننا ، ونحر الهدى^(١) من كان معه هدى وحلق من حلق وقصر من قصر والنساء قصرن ولم يحلقن .

وبعد ذلك أفاض الحجاج من منى الى مكة ﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَقِرُّوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مرتدين لباس الإحرام وطافوا طواف الإفاضة وسعى من عليه سعى وحلق أو قصر ، ثم انقلبوا الى منى فباتوا بها ليلة الحادى عشر وبعد الزوال من صباحه رموا الجمار الثلاث كل جمرة بسبع حصيات بادئين بالجمرة الصغرى التي تلى (مسجد الخيف) من ناحية منى ثم بالجمرة الوسطى ثم بجمرة العقبة ، والرامي يقف عقب رمي الجمرتين الأوليين يدعو الله بما شاء ولا يقف عقب الأخيرة لضيق مكانها ، وقد بتنا بمنى ليلة الثاني عشر ورمينا بعد ظهره الجمرات كما سبقه ثم منا من سافر الى مكة قبل الغروب ومنا من بات ليلة الثالث عشر ليرمي الجمرات الثلاث فيه ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ وبذلك تمت أعمال الحج وحل للحرم كل شيء كان محرما عليه بالإحرام (أنظر الجمرات والحجج يرمونها في الرسوم ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧) .

(١) الهدى ما يهدى الى الحرم من الابل والبقر والغنم .

ومن فكاهات الحجاج عند رمي الجمرات أن بعضهم كان يرمي الحصيات السبع دفعة واحدة ويخاطب إبليس بلفظة «يلعن دينك» وبعضهم كان يرمي حصاة حصاة ويقول العبارة السابقة عقب كل واحدة أو يقول «في عين دينك» وبعض الحجاج لا يكتفي بالحصيات الصغيرة بل يأتي بأحجار كبيرة ويرمي بها الجمرة (العمود القائم) بل لا يرتاح له بال إلا إذا هدم جزءا من البناء، ومنهم من يقف على البناء ويرمي ومنهم من يلصق به جسده ويرمي؛ وقد كان من الضباط الذين معنا «اليوزباشي» عبد الوهاب حبيب افندي فلما جاء وقت رمي جمر العقبة أخذ عساكر الحرس ورجعوا إبليس (الجمرة) دفعة واحدة بهيئة هجوم على عدو وانتقام منه .

الاحتفال بتلاوة فرمان السلطاني

في يوم ١١ ذى الحجة ونحن بمي احتفل بتلاوة فرمان السلطاني ودعا الشريف لذلك أميرى المحملين المصرى والشامى وأمين الصرة والضباط و كبار رجال الدولة والحجاج، وكان الاحتفال بسرادق الشريف الذى اصطفت أمامه حرس كل من الشريف والوالى بموسيقاهم وموسيقى مجلنا شاركهم، وانتشرت الجموع الكثيرة من الحجاج المختلنى الأجناس حول السرادق وكان يتقدم الحرس على جواد حامل فرمان السلطاني وآخرون يحملون خلعاً معتادا حضورها من الإستانة سنويا (الرسم ٤٦) وكان للشريف فى وسط السرادق مكان خاص وعلى يمينه : (١) فرمان فرما ابن عم شاه العجم وصهره؛ (٢) الشريف على باشا؛ (٣) الشريف محمد ناصر غالب باشا؛ (٤) بقية الأشراف؛ (٥) قاضى مكة والعلماء والأعيان؛ (٦) ضباط المحمل المصرى وعلى يسار الشريف : (١) المشير أحمد باشا راتب والى الحجاز وكان بحالة خضوع وخنوع لا تليق برتبة مشير؛ (٢) سلطان المكة والشجر عوض بن عمر التعيطى؛ (٣) نجله عمر بن عوض التعيطى؛ (٤) حفيده محمد بن غالب؛ (٥) أمير وأمين وموظفو المحمل الشامى؛ (٦) أمير وأمين وموظفو المحمل المصرى؛ (٧) موظفو مكة وكبار الضباط . وبعد جلوس هؤلاء بالترتيب السابق نخرج عليهم الشريف فى زينته

من مكان خاص به وحوله بعض خواصه من الأشراف فقام الجميع وقبلوا يده وقبل دولته رأس صهر شاه العجم وسلطان المكلّة والشحر حينما انحنيا لتقبيل يده ثم تقدّم الى الأمام وتسلم المكتوب السلطاني (الفرمان) من يد حامله وقبله وكان داخل كيس من الأطلس الجميل (الرسم ٤٧) موضوع في وقاية (بقجة) من الحرير الأطلس الأخضر موشاة بالقصب المنسوج (المخيش) ذي الرسوم البديعة (الرسم ٤٨) ثم رجع إلى محله بفلس على أريكة وسط السرادق ووضع الفرمان عن يمينه ثم لم يلبث أن وقف هو والحضور وأمر بتلاوة الفرمان فتلاه كاتبه الخاص محمد علي أفندي تلا أولا صورته التركية ثم تلا ثانيا صورته العربية، ولكنه أسرع في تلاوته بالعربية إذ قال له الشريف: «جوام جوام» وبعد التلاوة صدحت الموسيقى السلطانية بالسلام الملكي وكذلك هتف العساكر والجموع بالدعاء للخليفة الأعظم، ثم تقدّم أمين الصرة الشامي بخلعة للشريف وألبسه إياها فوق الخلعة التي يلبسها من قبل وهي التي أهديت له في العام الماضي — وهذه عادة سنوية — ثم قدّم له خلعة أخرى من قبل جلالة السلطان فلبسها أيضا وكانت صغيرة خفيفة من الجوخ الأسود ومطوّقة بالقصب، وكان دولة الشريف يقبل كل خلعة قبل لبسها وكان على رأسه عمامة عليها أشرطة من القصب الجميل ثم وزعت خلعة أخرى على بعض الموظفين وقارئ الفرمان وغيرهم، ولتقل الخلع الثلاث كان يرفع الخلعيتين الحديدتين شخصان تخفيفا عن الشريف ثم أديرت كؤوس المشروبات الحلوة على الحاضرين والموسيقى المصرية والشاهانية يتناوبان الألمان وكذلك أخذ جماعة من أهل مكة يسمون «أهل النوبة» يضربون على النقارات ومعهم آلات أشبه بالرباب يغنون عليها بالأناشيد العربية الجميلة، فكانت الوجوه فرحة مستبشرة ثم قبل الجميع يد الشريف ومنهم من قبل مع ذلك ذيل الفرجية (الأثك) وانصرفوا، وإذ ذلك نزع الشريف الخلعيتين عن جسمه ووضعتهما في الوقايات الحريرية التي أرسلت فيها من الإستانة، وهكذا في كل عام تجتدّد الخلعتان والفرمانان العربي والتركي، ولا بأس من أن نصف لك الخلعة الأولى التي قدّمت للشريف أولا وصفا مقربا: الخلعة عبارة عن فرجية — كفرجية العلماء — من الجوخ الأسود القيم مطرزة

كِبْرُ الْفَرْمَانَ الْبَيْتِ الْبَارِئِ



كِبْرُ الْفَرْمَانَ الْبَيْتِ الْبَارِئِ

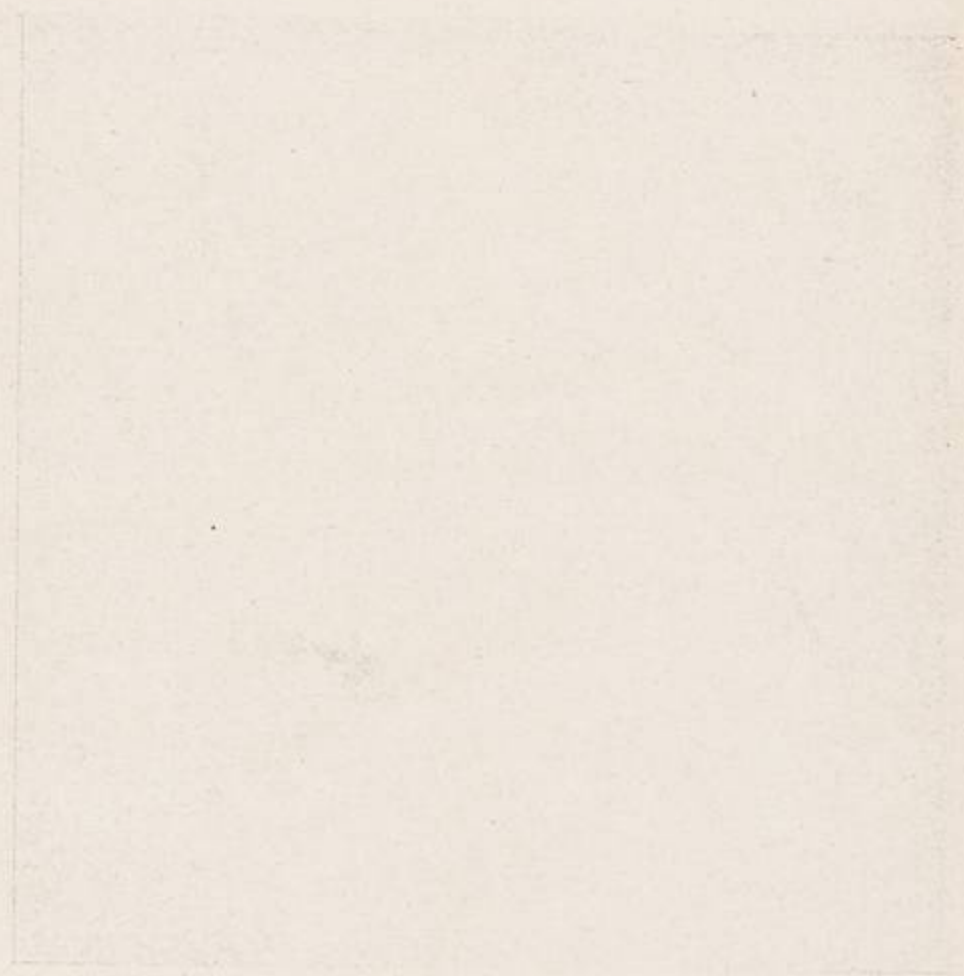
47. A view of a bag used for keeping the Faraman.

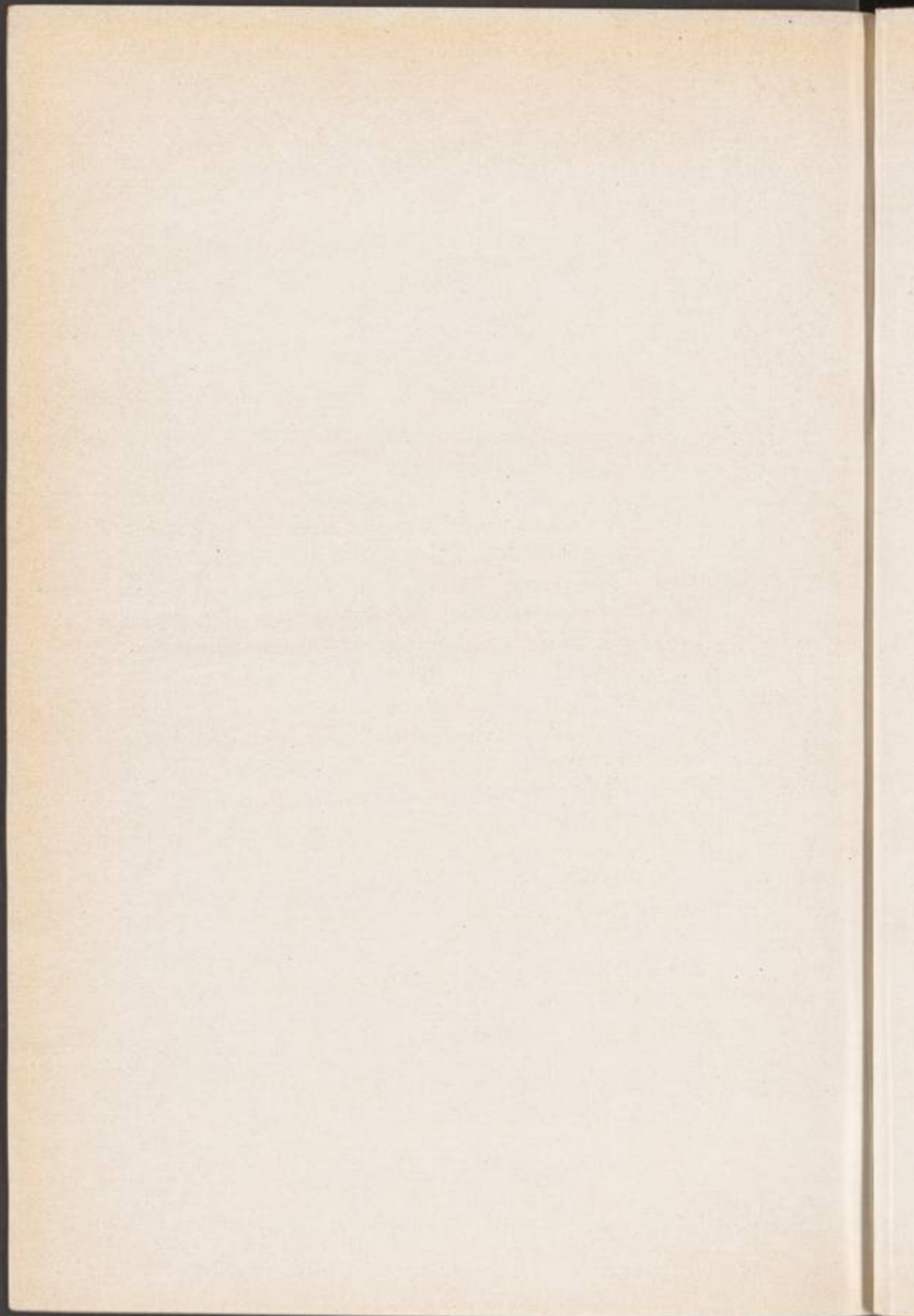
فَرمان



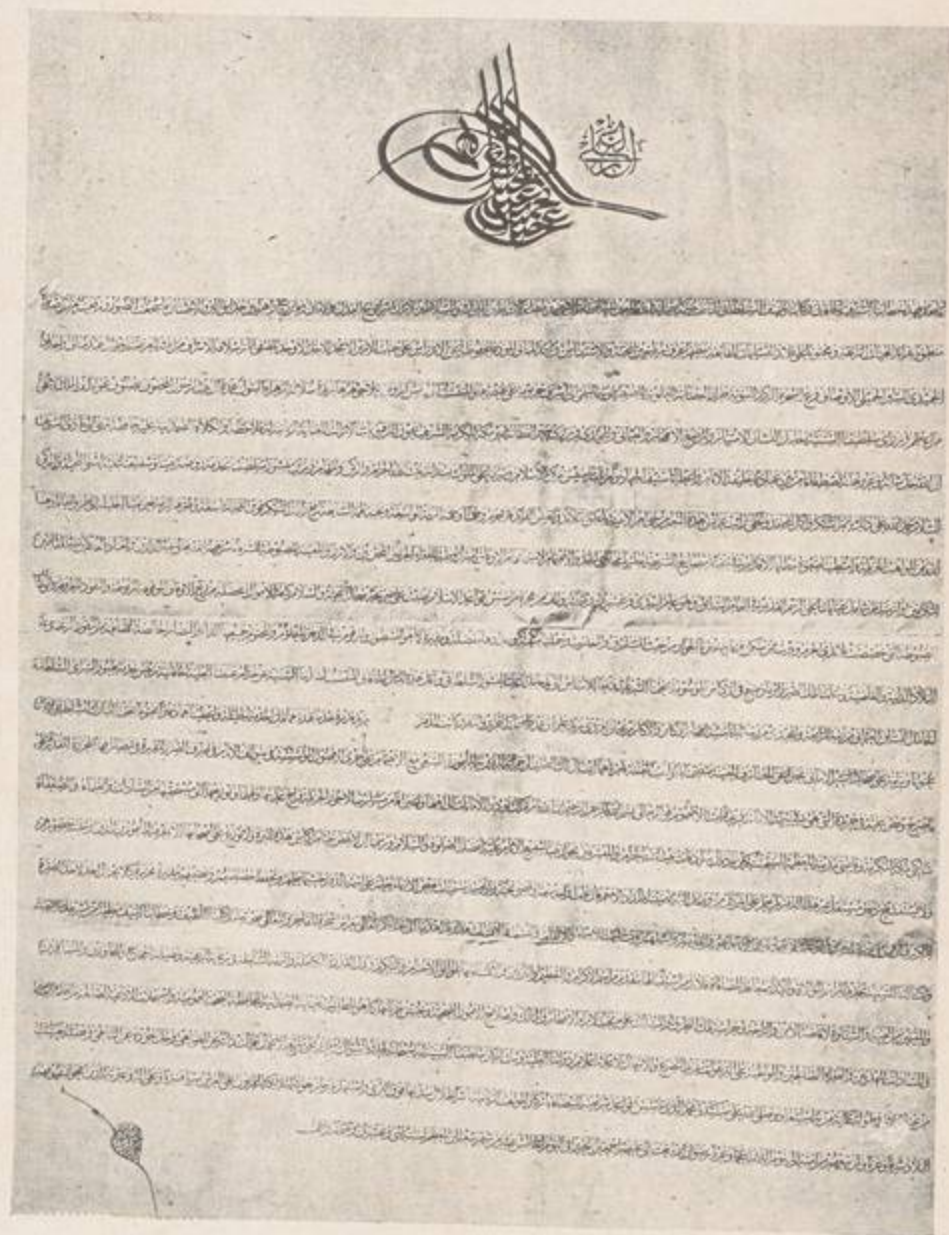
فَرمان

48. A view of a cloth bag used for keeping the Faraman.



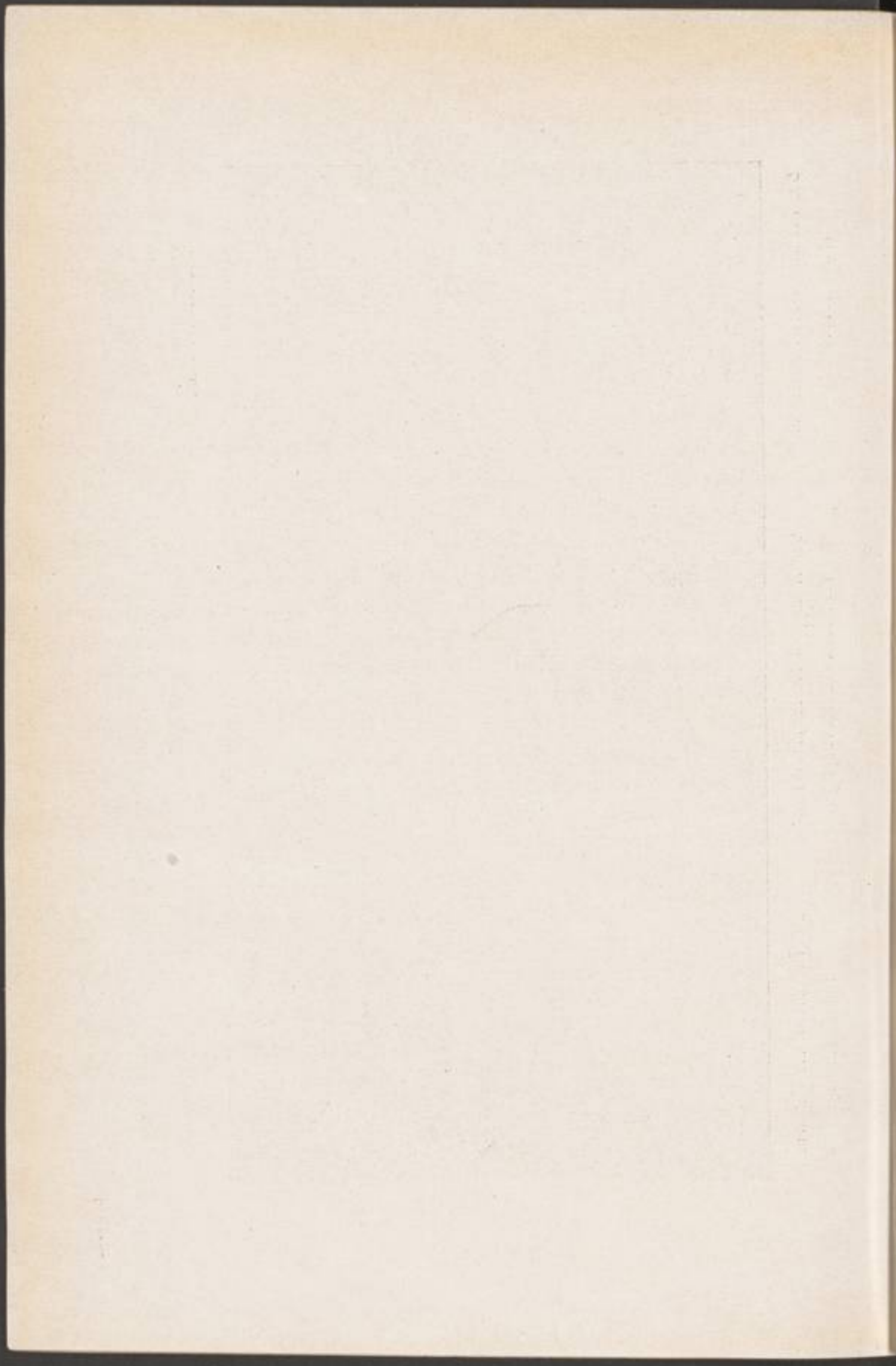


ترجمة الفرمان الشاهاني بالعربية



ترجمة الفرمان الشاهاني بالعربية

49. A copy of the Turkish Faraman, in Arabic, to the Amir of Mecca.

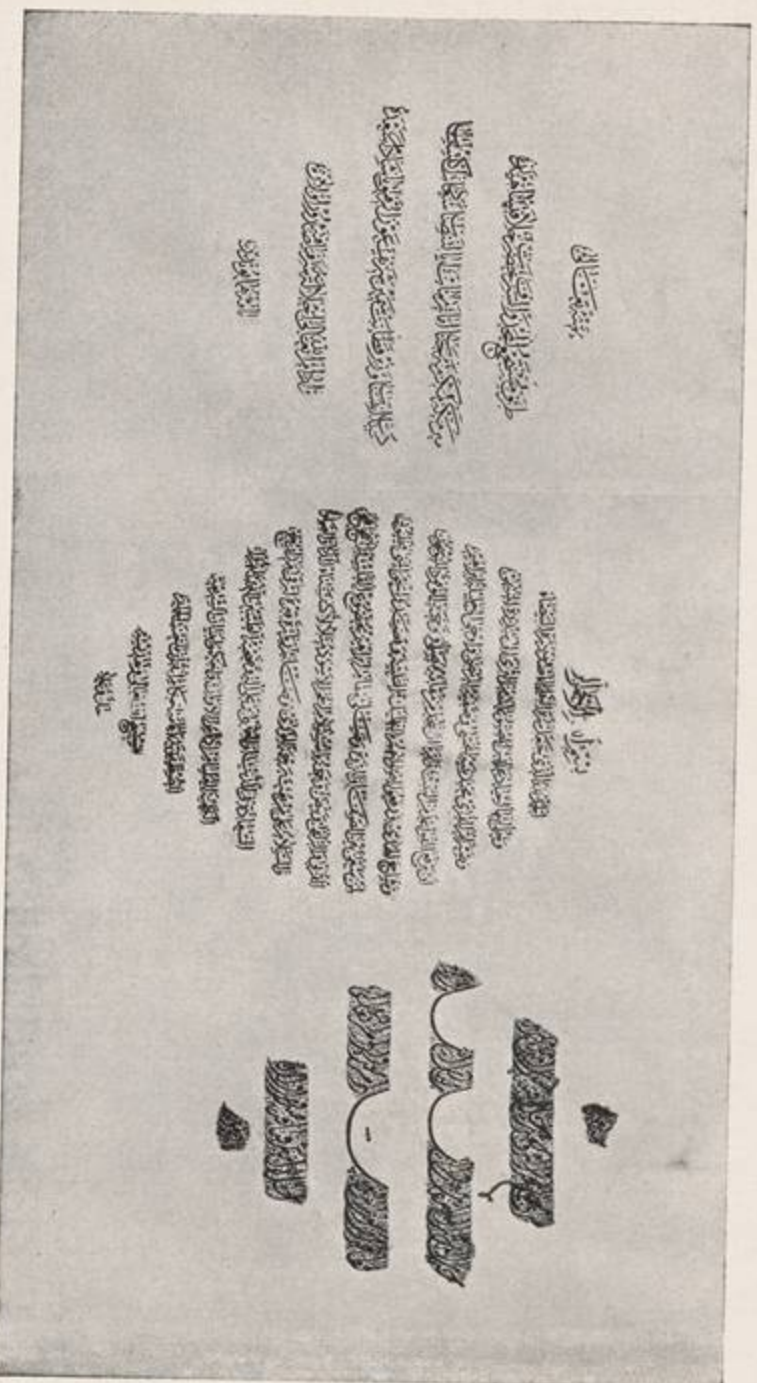


100

فارمان

فارمان

فارمان

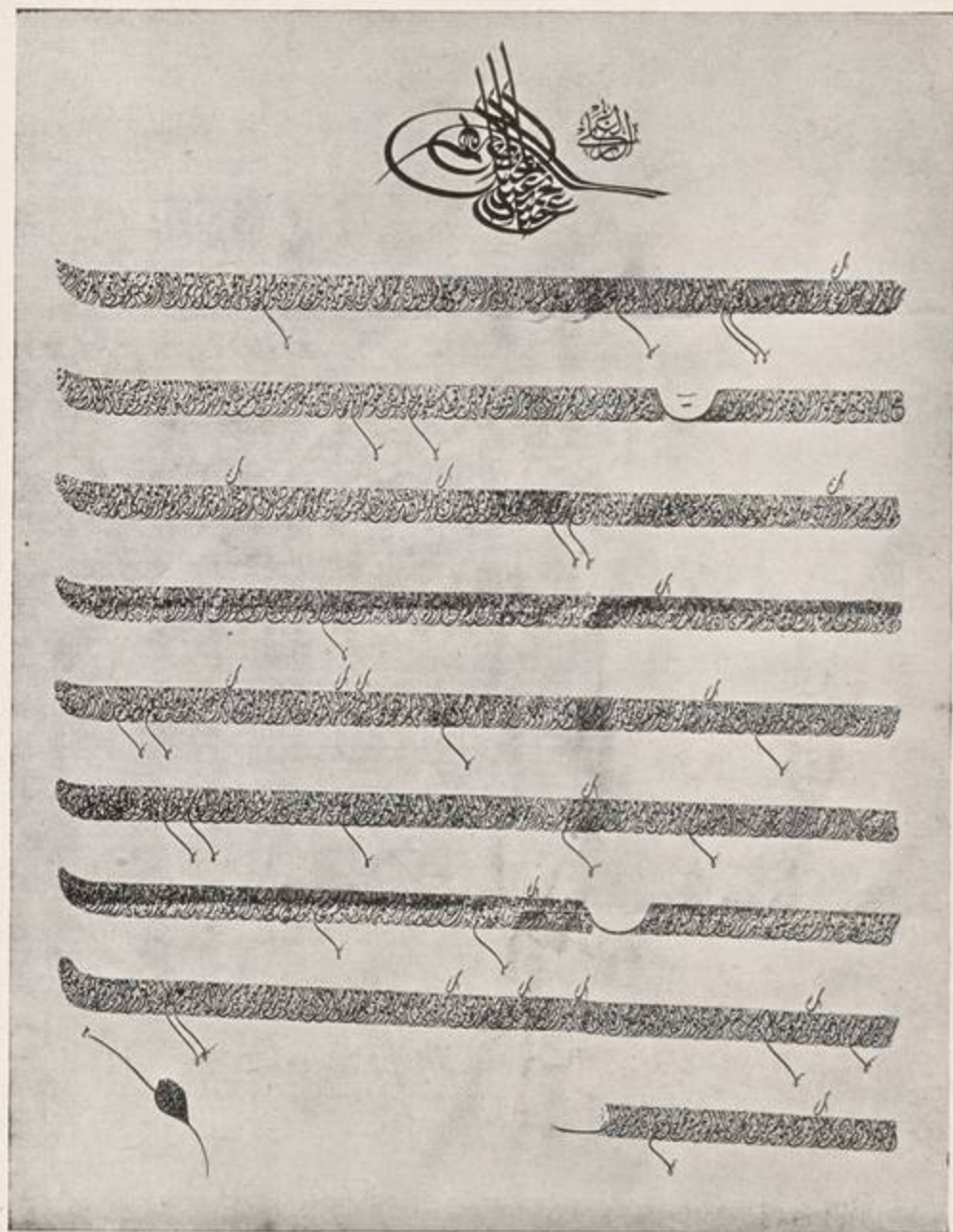


50. The title of the Faraman in Arabic language.

50. A copy of the introduction of the Faraman in Arabic language.

50. The title of the Faraman in Turkish language.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

51. A copy of the Turkish Faraman to the Amir of Mecca.

بالقصب المنسوج (الخيش) ذي الأشكال البديعة والتقاسيم الهندسية العجيبة وقد كاد القصب يشغل كل سطحها فلا ترى به إلا اليسير من الجوخ وهي مرصعة باللؤلؤ الحر ولها مشابك من الألماس البرلتي الذي يكاد سنا ضوئه يخطف بالأبصار وبالخلعة جميع وسامات (نياشين) الدولة إلا «خاندان آل عثمان» الذي لا يعطى إلا لأفراد الأسرة المالكة وعدد الوسامات ٣١ وساما منها المرصع وغير المرصع . أما المكتوب السلطاني (الفرمان) فيشمل قرطاسين كبيرين من الورق أحدهما مكتوب باللغة العربية والآخر باللغة التركية وطول العربي متر و ٤١ سنتيا وعرضه ٧٩,٥ سنتيا وفيه طزة عثمانية باسم جلالة السلطان محلاة بماء الذهب تحتها ٢١ سطرا وفوقها ١٤ سطرا وطول السطر ٧٠ سنتيا وعرضه ١,٤ ستي وبين السطر والآخر سنتيان أنظر المكتوب العربي في الرسم ٤٩ وعنوانه ومقدمته في الرسم ٥٠، أما المكتوب التركي (الفرمان) فطوله ١,٤٢٥ متر وعرضه ٧٨,٥ سنتيا وبه ثمانية أسطر وثلث طول السطر ٦٩ سنتيا وعرضه ٢٦ مليمترا وبين السطرين فضاء ٥,٥ سنتيات وتراه في (الرسم ٥١) وعنوانه في (الرسم ٥٠) وقد بلغني أن من يخط فرمان يتناول مرتبا شهريا قدره ٤٠٠ جنيه عثمانى وإن من يتأمل الخط ووضعها وحسن تنسيقه يرى أن كاتبه يستحق مكافأة جزيلة ولكن لا ينبغي أن تكون لهذا القدر ٨٠٠ جنيه في السنة بل يكفي مرتب مناسب على أنه لو عمل له طابع (إكلسيه) لوفر هذا المقدار وصرف في وجوه الإصلاح الأخرى، وما على الكاتب إذا تغير أمير مكة إلا أن يكتب اسم الأمير الجديد بخطه فقط إذ عبارة المكتوب السلطاني لا تغير، وهذان المكتوبان سطرا بأجمل خط عربي ويتضمنان الشاء على الشريف والخليفة ونصح الأول بمساعدة الحجاج وكف أذى العربان عنهم وصرف المرتبات لأربابها وفيهما كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تأخذ بجماع القلوب ولكنها مواعظ لم تصادف الأذن الصاغية والقلوب الواعية فانك تسمع عقب تلاوته دوى الرصاص يرمى به الأعراب حجاج البيت الحرام وترى دولة الشريف يقول «سيبوه» فما أرق الموعظة وما أقسى القلوب .

التهنئة بالعيد في منى

شغل الناس عن التهنئة بالعيد في يومه لأنهم ذهبوا الى مكة لأداء طواف الإفاضة بعد رميهم بحمرة العقبة في صباح العيد، وفي اليوم الثاني أخذوا يتراورون مهنتا بعضهم بعضا بالعيد الأكبر . بعد أن أنهت الحفلة بتلاوة فرمان زرت مع الأمير والأمين والوالى والأشراف ورئيس العسكر السلطاني ورئيس المالية « المحاسبى » وأمير المحمل الشامى وأمينه وهنأناهم بالعيد وقدمت لنا المشروبات الحلوة وأطلق أمير الحج الشامى ١١ مدفعا تحية لأمر الحج المصرى ثم رجعتنا الى أما كنا انتظارا للزائرين كما هي العادة في الأعياد .

وفي الساعة ١١ العربية تفضل دولة المشير أحمد باشا راتب بزيارتنا فزار الأمير والأمين ورئيس الحرس كلا في مكانه وكان يرتدى ملابس التشريفة الكبرى، وكان بصحبته صاحب السعادة اللواء صادق باشا العظم المدير العام للإشارات البرقية الحجازية وقد احتفينا بهما الاحتفاء المناسب لمقامهما وأطلقنا لقدميهما وترحالهما ٢١ مدفعا وسرهما حسن النظام العسكرى، وكانت الجنود قد اصطفت صفين سارا بينهما وقد قدمت لدولة والى ضباط الحرس فوقف وصالحهم وأثنى عليهم، وبعد تناول القهوة والأشربة الحلوة أنصرف مودعا بمثل ما قبل به فصدحت الموسيقى بالسلام العظيم ولا أنسى الثناء على حضرات الضباط في هذا الموطن فانهم أحضروا جميع ما لديهم من السجاجيد والكراسى ووضعوها في سرادق مما جعل منظره حسنا بهيجا وإن ذلك منهم لآية على حسن طويتهم وحبهم لما يعلى رئيسهم، وكذلك زار كلا منا في سراقه أمير المحمل الشامى وأمينه فأحتفينا بهما وأطلقنا لقدميهما ١١ مدفعا وقد كانا بملابسهما الرسمية وعلى كل وسام (نیشان) عثمانى من الدرجة الأولى، وبعد تناول القهوة والشاى عادا بسلام شاكرين حسن اللقاء ودماثة الأخلاق، وبمن زارنا الشريف على باشا ومحمد ناصر غالب باشا وقد لبنا عندنا زهاء ساعة مسرورين من قيامنا لهم بالواجب، وزارنا أيضا الشيخ الشيبى ووكيل الشيخ السنوسى وآبن الشيخ الفاسى

وكثير من الضباط العثمانيين والحجاج وخدام المسجد الحرم (الأغوات) وقد استمرت تلك الزيارات حتى الساعة السادسة ليلا ، وكان الضباط يحتفلون بالزائرين ويعنون براحتهم .

الزيينات بمِني — هذا وقد أقيمت في مساء ١١ ذى الحجة الزيينات بمِني عند خيم الشريف والوالى وأميرى المحملين وأطلقت « الصواريح » بعد العشاء ، وقد هرع الناس الى زينة المحمل المصرى لجمالها وحسن تسيقها ويسمعوا الموسيقى والمزمار البلدى ، وكان الزحام شديدا خصوصا فى سرادق إذ رأوا فينا أكافا موطأة وصدورا رحبة ووجوها باشة .

ذبائح منى وسوقها — كان الحجاج فى هذا العام يقاربون مائة وخمسين ألفا وكان أكثرهم يخر الهدايا بمِني فى ساعة واحدة من يوم النحر، وكان الناس فى الاعوام السالفة ينجرون بالقرب من منازل الحجاج وفى ذلك تلويث الأماكن بالدماء وإثارة الروائح الكريهة التى تجعل الهواء موبوءا والأجسام معتلة ولكن فى هذا العام عملت حفر كثيرة بعيدة عن منازل الحجاج بألف متر أريقت فيها الدماء فلم يلوث الهواء بمِني ولم نشم الروائح البشعة وكان الجو معتدلا — ولكنه بالليل بارد — من أجل هذا كانت صحة الحجاج حسنة ولم يمرض أحد منا . وكان ثمن الشاة من ريالين ونصف الى ثلاثة ونصف وكان يؤخذ للشريف على كل رأس من الغنم تباع للحجاج خمسة قروش من البائع .

ومِني سوق تجدها ما يلزم من سلاح وملابس وسجاجيد وطنافس (أكلمة) ومرجان وخرز، والمبيعات معظمها بالطريق وقليل بالحوانيت، والعربى يشتري من هذه السوق ما يلزمه طول السنة .

الرجوع من منى الى مكة

فى الساعة الثامنة العربية من يوم ١٢ ذى الحجة سنة ١٣١٨ رحل ركب المحمل ورمى الجمار الثلاث فى زحام شديد لم نرله مثيلا إذ قطع المحمل المسافة بين الجمرة

الصغرى وجمرة العقبة في ساعة بناها هي لا تزيد على ٣٠٠ متر ثم تابعنا السير فوصلنا مكة في منتصف س ١١ وأدخلنا المحمل الى فناء المسجد الحرام من باب النبي صلى الله عليه وسلم حسب المعتاد وتركنا لحراسته بعض الجنود وبقى بالمسجد حتى يوم الاثنين ٢٥ ذى الحجة حيث احتفل بسفاره من مكة الى المدينة بعد أن ورد لنا كتاب تركى من دولة الولى بتعيين موعد الاحتفال وترى الكتاب بنصه فى (الرسم ٥٢) وهو وإن كان فى سنة ١٣٢٥ فان نصه لا يتغير .

الاحتفال بفتح «المسافرخانة» السلطانية

فى يوم الخميس ١٥ ذى الحجة احتفل بفتح المضيضة (المسافرخانة) التى شيدها لفقراء الحجاج جلالة السلطان عبد الحميد من ماله الخاص وقد أقيم بناؤها فى فضاء واسع جنوبى مكة الغربى وقد حضرت مع ضباط المحمل وحرصه هذا الاحتفال بدعوة من الولى ، وفى الساعة الأولى العربية اصطفت عساكرنا بالفضاء الواسع أمامها فى الجهة الغربية والعساكر العثمانية فى الجهتين الشرقية والبحرية ومع كل قسم موسيقاه وقد ازدحم باب المضيضة بأكابر مكة وأشرفها ومعهم أميرا المحملين وأميناهما ، وفى منتصف الساعة الثانية حضر دولة الولى فخيته الجنود بهتافهم وموسيقاهم وصاح الحاضرين ثم صعد الى الطبقة العليا منها فرأى حجراتها وطرفاتها فأعجب بنظامها ثم نزل الى الطبقة الأولى ولم تمض عشرون دقيقة حتى شرف أمير مكة وحاكمها الحقيقى فخيته الجنود والموسيقى بالسلام السلطانى وقبل يده جميع الحاضرين ثم أمر بقراءة خطبة كلها دعاء وثناء وتعميد لما أثر السلطان ، وبعد قراءتها صدحت الموسيقى بالسلام الملكى معقبا بالهتاف بلحالة السلطان ، وقد بدأ القسم المصرى بالسلام أولا فالقسم العثمانى الشرقى فالقسم البحرى ثم دخل الشريف المضيضة وجلس فى حجرة من طبقتها الأولى ومعه الولى والمدعوون — ويقال : أنه أمر بالسام (النيشان) المجيدى الثانى لأمير الحج المصرى وبالمجيدى الثالث لأمين الصرة ولكنه شىء سمعناه ولم نره — والظاهر أنه قصد بتلك الاشاعة أن يتساهلا

مع الشريف في تقدير أجزالجمال ولا يتشددوا ولكن هيات أن تجوز عليهما الحيلة ثم صعد الى الطبقة الثانية ووقف بطنف (تراسينة) فيها ليشاهد العساكر حين انصرافها الى ثكاتها وقد سرّ كثيرا من نظام القسم المصرى وجميل شكله، وبعد فراغنا من التحيات العسكرية دخلت المضيقة وتفقدتها فاذا هى بناء نفخ محكم البناء جميل النظام يحتوى على طبقتين مسقوفتين بالحديد الذى يتخلله عقود بالأجر الأحمر الافرنكى والبياض متقن جدا فى نعومة وهو من المواد العادية ومسحوق الرخام، والأرض مرصوفة بالبلاط، والجھتان البحرية والشرقية تم بناؤهما وبياضهما ورصف أرضهما أما الجھتان الأخرى فلم يتم تخصيصهما وتبليطهما، وللمضيقة فناء واسع كانت به حفر كثيرة خلفتها الأتربة التى أخذت للبناء، وطول الضلع البحرية من هذه السراى ١٥٠ مترا فى منتصفها الباب العام تعلوه « الأرملة » العثمانية المذهبة وضلعها الشرقية ٩٠ مترا بالتقريب والقبيل مثل البحرى والغربى كالشرقى وجميع أبوابها ومنافذها مصنوعة من الخشب المتين الذى طلى بطلاء جوزى، ومفاصل الأبواب والنوافذ ومقابضها وزواياها مصنوعة من النحاس صنعا متقنا، وبيوت الخلاء بعيدة عن مبانى الحجرات حتى لا تؤثر فى الجدران بالترشيع ولا تشم روائحها الكريهة، ولم تكن الأنايب والصنابير (الحنفيات) قد وضعت بها وإن يعجبك هذا النظام فاعجب لهذه السراى التى بها ناظر وخدم وطباخون يأخذون مرتبهم من ثلاث سنين خلت فى حين أنه لا توجد حجرة من حجراتها مفروشة ولا يوجد بها فقير واحد . وقد بلغنى أن جلالة السلطان أنفق على إقامتها ٩٠٠٠٠٠ جنيه مجيىدى (الجنيه الميىدى ٨٧,٧٥ قرشا مصرى) وقد أخذت رسم المضيقة فى سنة ١٣٢٥ وهو كما تراه فى (الشكل ٥٣) .

زيارة غار حراء (جبل النور)

روى البخارى فى صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت :
 أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم

منظر المسافر وخيام مكة المكرمة

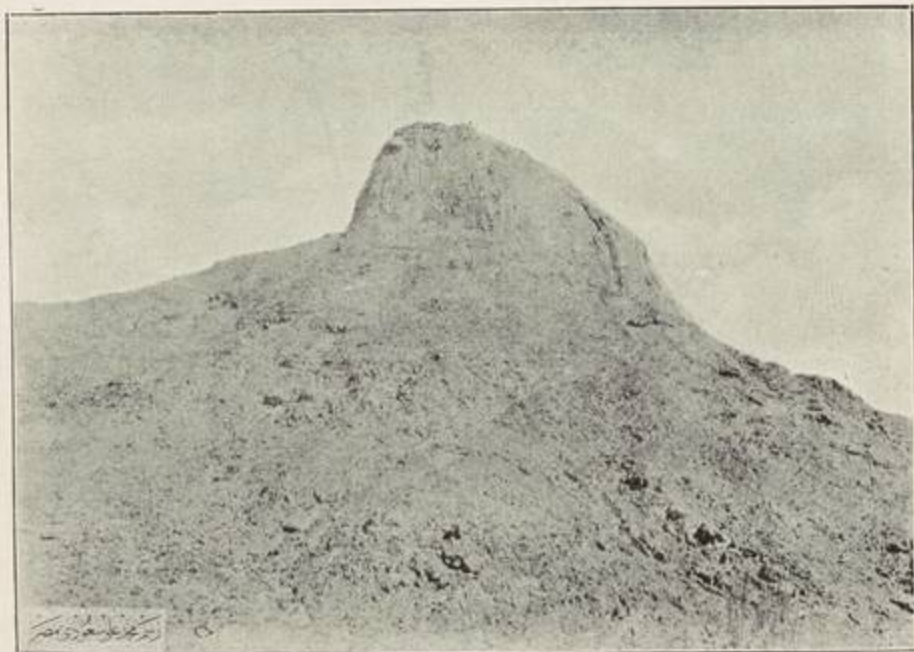


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جليل القدر والاعزاز والكرامات والبركات والفضائل والجلالات والجلالات والجلالات والجلالات

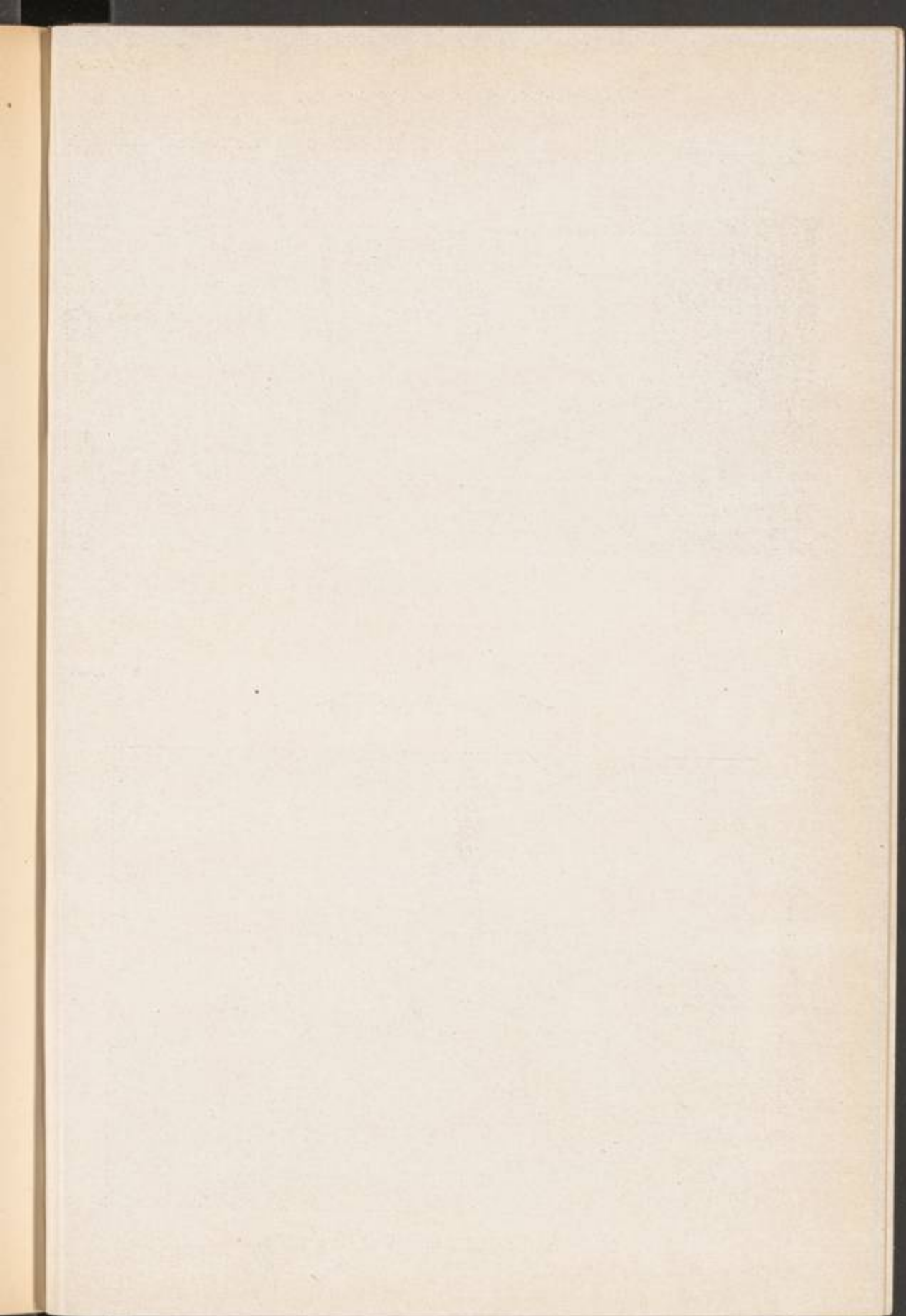
53. The Rest House at Mecca.

جبل غار حراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جليل القدر والاعزاز والكرامات والبركات والفضائل والجلالات والجلالات والجلالات والجلالات



54. The Mount of the Cave of Hera at Mecca.



فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب اليه الخلاء فكان يخلو « بغار حراء » فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتروّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتروّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو في « غار حراء » بجاءه الملك فقال : اقرأ قال : ما أنا بقارئ قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد^(٤) ثم أرسلني فقال اقرأ : قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال زملوني^(٦) زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل^(٩) وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق — الحديث .^(١١)

فترى من هذا مكانة « غار حراء » وأنه كان متعبدا للرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وأن به نزلت أول سورة من القرآن الذي هو نور وهدى للناس وفيه شفاء لما في الصدور فلا تعجب إذا رأيتنا ولعين بزيارة هذا الأثر، ففي يوم ١٦ ذى الحجة سنة ١٣١٨ قصدت جبل حراء في جملة من الضباط والعساكر وبعض المجاهج فوصلنا إليه بعد خمسين دقيقة بسير الخيل المعتاد، وهذا الجبل يقع في شمالي مكة على يسار الذهاب إلى عرفات بعيسدا عن جادة الطريق بنحو ميل ، ويقول ياقوت

- (١) بياضه . (٢) الوحى . (٣) الغط : العصر الشديد، ومنه الغط في الماء : الغوص
 قيل : إنما غطه ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئا . (٤) الطاقة . (٥) دم ظليظ .
 (٦) يضطرب قلبه . (٧) لغوني في الثياب . (٨) الخوف . (٩) القرابة . (١٠) الضعيف .
 (١١) تكلمه .

في معجمه : إنه على ثلاثة أميال من مكة وأنه جبل شامخ أعلى من ثبير وفي أعلاه قلة شامخة زلوج — أنظر الجبل في (الرسم ٥٤) — وفي ميسرة القيمة نفس غار حراء ، وقد صعدا هذا الجبل في ٣٥ ق مع أن ارتفاعه حوالي ٢٠٠ متر ولكنه يكاد يكون عموديا فلذا كان صعب المرتقى واضطررنا إلى الاستراحة مرتين أثناء الصعود وأغمى على بعض الضباط ولولا ما معنا من الماء الذي رشنا به وجهه لحصل ما لا تحمد عقباه ، ولذا يجمل بمن رام صعوده أن يستصحب بعض المياه خصوصا في آونة الحر ، وقبل أن نصل إلى قنة الجبل بثلاث دقائق وجدنا خزاننا نحت بالجبل لحفظ مياه المطر يبلغ طوله ٨ أمتار في عرض ٦ وعمق ٤ وله درج للوصول إلى قاعه وكان خاويا من الماء ، ووجدنا بجانبه امرأة عربية تصنع القهوة والشاي للزائرين في موسم الحج وتبعهما بالثمن وقد تناولنا من شاها وقهوتها وفرشت لنا بساطا من الصوف ، ومكثنا في حضرتها نصف ساعة وتقدناها الثمن مضاعفا مكافأة على ما قدمت ثم تسمننا ذروة الجبل وإذا فيها بناء متين تعلوه قبة طوله ٦ أمتار في مثلها عرضا في ٨ ارتفاعا وفي أرض هذا البناء حجر أملس أسود به شق في وسطه أشبه بالفتحة التي نراها بمصر في صناديق الخطابات بها أنحدار إلى أسفل ويقال : إنه المكان الذي شق فيه صدر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولكن أنحرج «البخارى» في صحيحه عن مالك بن صعصعة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم . "بيننا أنا عند البيت بين النائم واليقظان — وذكر بين الرجلين^(١) — فأتيبت بطست من ذهب ملي حكمة وإيمانا فشق من النحر إلى مرقأ البطن ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملي حكمة وإيمانا" — الحديث . وجاء في كتاب الشفاء : روى يونس عن ابن شهاب عن أنس قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست" الخ

(١) في بعض الروايات : وذكر يعني رجلا بين الرجلين والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان تامنا بين رجلين حينما أتى بالظمير في ذكر يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والرجلان حمزة وجعفر يوضح ذلك رواية مسلم من طريق سعيد عن قتادة بلفظ إذ سمعت قائلا يقول : أحد الثلاثة بين الرجلين .

(ص ١٤٤) وأكثر الأحاديث على أن شق البطن كان في صغره صلى الله عليه وسلم وهو عند حليلة السعدية وقد قالت في ذكر قصة الشق لأمه آمنة بنت وهب: بينما هو وإخوته في بهم^(١) لنا خلف بيوتنا الخ، فأين البيت الحرام أو سقف بيت الرسول صلى الله عليه وسلم أو ما وراء بيوت حليلة من قنة جبل حراء التي زعم الناس أن بها مكان شق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم؟ اللهم إن هذا بهتان مبین ظنه الناس صدقا وتوارثوا هذا الظن حتى بلغ من نفس السلطان عبد العزيز أن حركة لبناء قبة على هذا المكان المزعوم في سنة ١٢٧٩، وقد وجدت هذا مكتوبا على حجر في جدارها الجنوبي محلى بماء الذهب، وفي الجهة الجنوبية من القبة غار حراء الذي كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على ما أسلفنا لك، والإنسان ينحدر إليه من قنة الجبل على درج حجري غير منظم أشبه بالسلم، والبعد بينه وبين القبة نحو ٥٠ مترا وهذا الغار عبارة عن بهوة بابها نحو الشمال تسع نحو خمسة أشخاص جالوسا وارتفاعه قائمة متوسطة وقد صلينا فيه ودعونا ووجدنا هناك بعض الحجاج الأتراك يزورون هذه الآثار. والواقف على قنة هذا الجبل يرى مكة وأبنتها العظيمة وقلاعها الحصينة كما يرى جبل ثور، ونون الجبل ذهبي حتى لو حدقت النظر في قطعة منه تخالها ذهباً إبريزاً ولذلك إذا سطعت عليه الشمس ترى له منظراً من أجمل المناظر وأبهجها، وقد أخذت قطعاً صغيرة منه ولكن للأسف عملته إحدى الخدم كأنونا بمدينة الوجه فتركت القطع هناك، ومما ينبغي لزارئى هذا الجبل أن يحملوا معهم الماء الكافي وأن يكونوا جماعات يحملون السلاح حتى يدفعوا عن أنفسهم شر اللصوص من العربان الذين يتربصون الفرص لسلب الحجاج أمتعتهم ونقودهم خصوصاً في مكان منقطع كهذا لا يقصده إلا بعض الحجاج، وقد بلغنى أن اعرابياً قتل حاجاً فلم يجد معه غير ريال واحد فقيل له: تقتله من أجل ريال؟ فقال وهو فرح "الريال أحسن منه" فانظر كيف بلغت القسوة من هذه القلوب وكيف أعمهاها حبها لدرهم معدودة عن المحافظة على أرواح بريئة تقوم بشعيرة من أكبر الشعائر الدينية في مكان جعله الله حرماً

(١) بهم جمع بهمة وهي ولد الضأن ذكراً كان أو أنثى.

آمنا للناس ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَتَقَافًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ هذا وفي سنة ١٣٢١ رقبنا الجبل وكان معنا صاحب الدولة وزير حربية مراکش السيد المهدي المنهبي ولما أن نزلنا ضربنا في سفح الجبل فسطاطا تغذينا فيه مع الوزير الذي واسى الفقراء بماله وطعامه .

زيارة غار ثور

قال تعالى في سورة التوبة ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وأخرج البخاري في صحيحه في باب « ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ » من كتاب التفسير — عن أنس قال : حدثني أبو بكر رضي الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار فرأيت آثار المشركين قلت : يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه وأنا قال : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » اه ، وذكر الحاكم في مستدركه عن عمر : قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له : يا رسول الله أذ كر الطلب فأمشي خلفك ثم أذ كر الرصد (من يرصدهم وينظرهم) فأمشي بين يديك فقال عليه السلام : يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني ، قال : نعم والذي بعثك بالحق . فلما انتهى الى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار فدخل فاستبرأه حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجر ، فقال : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الحجر فدخل واستبرأ الحجر ثم قال انزل يا رسول الله ، فترل ففكنا في الغار ثلاث ليال حتى نحدت عنهما نار الطلب فجاءهما عبدالله بن أريقط بالراحتين فارتحلا . اه .

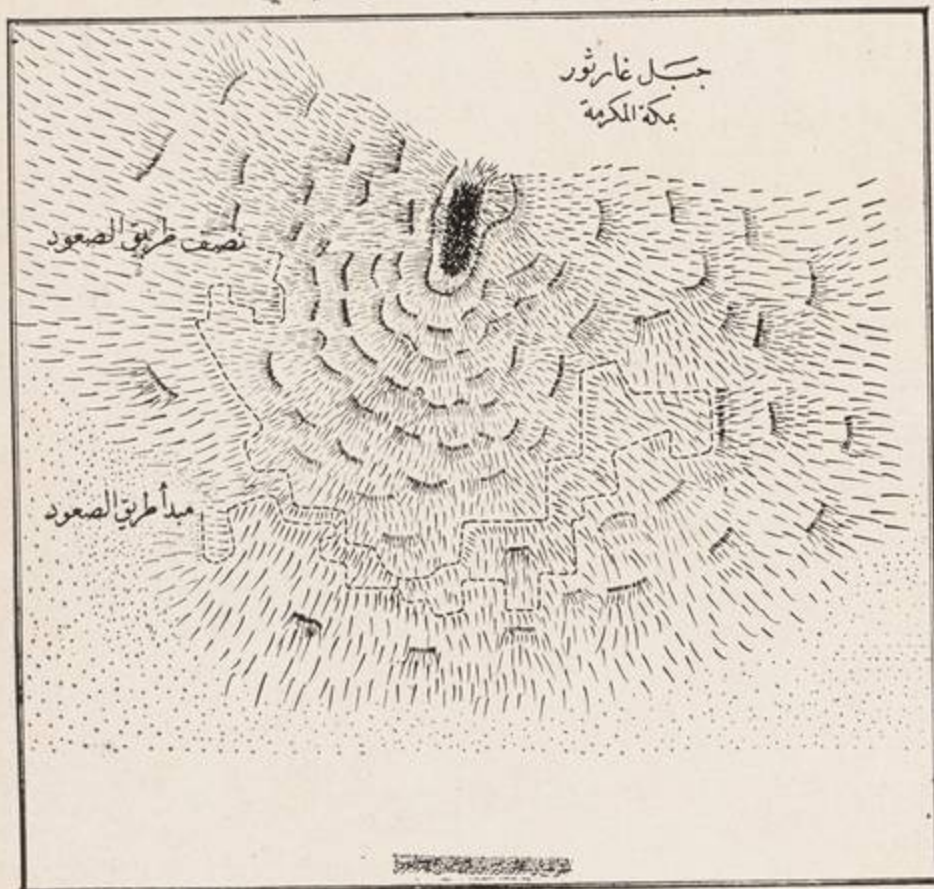
(١) أمته التي تسكن عندها القلوب .

فترى من هذا أن غار ثور هو الغار الذي اختفى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من دعاة الباطل وأعداء الحق الذين مكروا به مكراً كُباراً - (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) - وأن الرسول اختفى به مع أبي بكر ثلاثاً حتى انقطعت عنهما نار الطلب ثم خرجوا منه الى المدينة حيث كانت عزة الاسلام وأهله . لهذا كله وددنا ان نرى هذا الأثر رأى العين ، فخرجنا من مكة قبل بغير يوم ١٨ ذى الحجة سنة ١٣١٨ (٨ أبريل سنة ١٩٠١) قاصدين زيارة هذا الغار وكان بصحبتنا صاحبنا الفضيلة الشيخ محمد طوموم والشيخ محمد أحمد السيوطى صهرانا وجملة من الحجاج وثلة من الجنود نتقى بهم شرار الأعراب فى سبيل لا يمتز به إلا القليل وقد اتخينا ناحية الجنوب فى سيرنا وصلينا فرض الصبح قبل الوصول الى الجبل ، وقد قطعنا المسافة بينه وبين معسكرنا بالشيخ محمود فى ساعة و ٢٠ ق بسير الخيل المعتاد وهى قريبة من خمسة أميال ونصف ، والطريق من مكة الى الجبل تحفه الجبال من الجانبين وبه عقبة صغيرة يرتفع اليها الانسان وينحدر منها ولم يستغرق قطعها إلا ٣ ق وبالطريق سبعة أعلام مبنية بالحجر ومخصصة فوق نشوز من الأرض يبلغ ارتفاع الواحد منها ثلاثة أمتار وقاعدته متر مربع وتتهى بشكل هرمى ، وهذه الأعلام على يسار القاصد للجبل ، وبين كل اثنين منها بعد يتراوح بين ٢٠٠ متر و ١٠٠٠ متر وكل واحد منها وضع عند تعريجة حتى لا يضل السالك عن الجبل ، وساعة بلغنا الجبل قسمنا قوتنا قسمين قسم صعد معنا الى الجبل والآخرووقف بسفحه يردنا عادية العربان إق هموا بالأذى . وقد تسلقنا الجبل فى ساعة ونصفها بما فى ذلك استراحة دقيقة أو ثنتين كل خمس دقائق بل فى بعض الأحيان كما نستريح خمس دقائق لأن الطريق وعمر حلزوني ، وقد عددت ٥٤ تعريجة الى نصف الجبل وكما آونة نصعد وأخرى ننحدر حتى وصلنا الغار بسلام ، ولولا الاصلاح الذى أحدثه المشير عثمان باشا نورى الذى ولى الحجاز سنة ١٢٩٩ هـ . والمشير السيد اسماعيل حقى باشا الذى كان والياً على الحجاز وشيخاً للحرم سنة ١٣٠٧ هـ لأزدادت الصعوبة وضل السائر عن الطريق ولم يهتد الى الغار لعظم

الجبل وآتساعه وتشعب مسالكه (الرسم ٥٥) وكان من أثر إصلاحهما جعل الطريق بهيئة سلالم تارة تتصعد وأخرى تتحدر على أنه مع ذلك لا يزال العروج صعبا فقد رأيت بعض الصاعدين أمتقع لونه وخارت قواه فوقع على الأرض مغشيا عليه ولولا أننا تداركناه بجرعة من الماء شربها وصباية منه سكبناها على رأسه حتى أفاق لباغته المنية، ولهذا ننصح للزائرين بأن يترودوا من الماء ليقوا أنفسهم شر العطب .

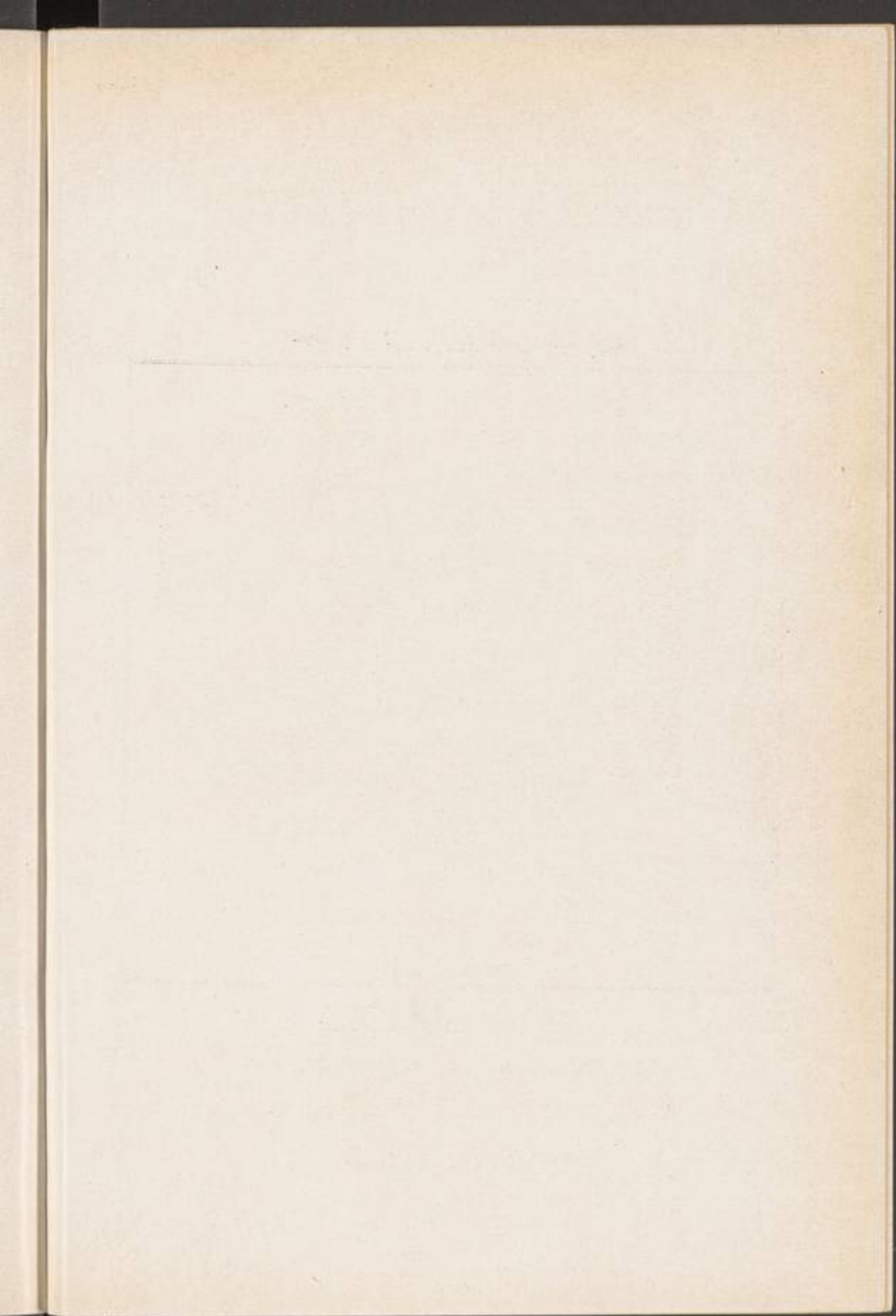
ولما بلغنا الغار وجدناه صخرة مجوفة في قنة الجبل أشبه بسفينة صغيرة ظهرها الى أعلى ولها فتحتان في مقدمها واحدة وفي مؤخرها أخرى وقد دخلت من الغربية زاحفا على بطنى ماذا ذراعى الى الأمام وخرجت من الشرقية التي تتسع عن الأولى قليلا بعد أن دعوت في الغار وصليت ، والفتحة الصغيرة عرضها ثلاثة أشبار في شبرين تقريبا وهى الفتحة الأصلية التي دخل منها النبي صلى الله عليه وسلم وهى في ناحية الغرب أما الفتحة الأخرى فهى فى الشرق ويقال : أنها محدثة ليسهل على الناس الدخول الى الغار والخروج منه ، والغار من الجبل فى الناحية الموالية لمكة وقد وجدنا بجانبه رجلا عربيا يتناول الصدقات من الزائرين فى مواسم الحج ويرشدهم الى الغار إذ توجد هناك صخور تشبه صخرته ولكنها لا تماثلها تماما ، وقد مكثنا فوق ظهر الجبل ساعتين أكلنا فيهما وشربنا وتناولنا الشاي وتفقدنا كثيرا من نواحي الجبل ، وقد نزل فى خلالها القسم الذى زار وجاء القسم الذى تركناه بسفح الجبل ليزور ، وقد قدم علينا ونحن على ظهر الجبل نحو عشرين من حجاج الداغستان ففرحوا بنا ورافقونا الى أن رجعنا الى مكة . ولا يقصد زيارة هذا الغار وغار حراء إلا قليل من الأتراك والمغاربة والداغستانيين ولم يسبقنا الى هذه الزيارة أحد من المصريين بل ولا من المكيين إلا ما ندر ، وقد بلغنى من أناس يقيمون بمكة منذ أربعين سنة أنهم لم يصعدوا الى هذين الجبلين ولا رأوا من المصريين أو مرافق الحمل من قصدهما فله المنة علينا . أنظر الغار فى الرسم ٥٦ الذى أهداه الينا فى سنة ١٣٤٢ حضرة أحمد أفندى صابر ناظر التكية المصرية بمكة فله منا الشكر الجزيل على هذه الهدية القيمة .

جبل نور وطريق الصعود عليه



جبل غار ثور مكة المكرمة

55. Thor's Mountain and road of ascending same.



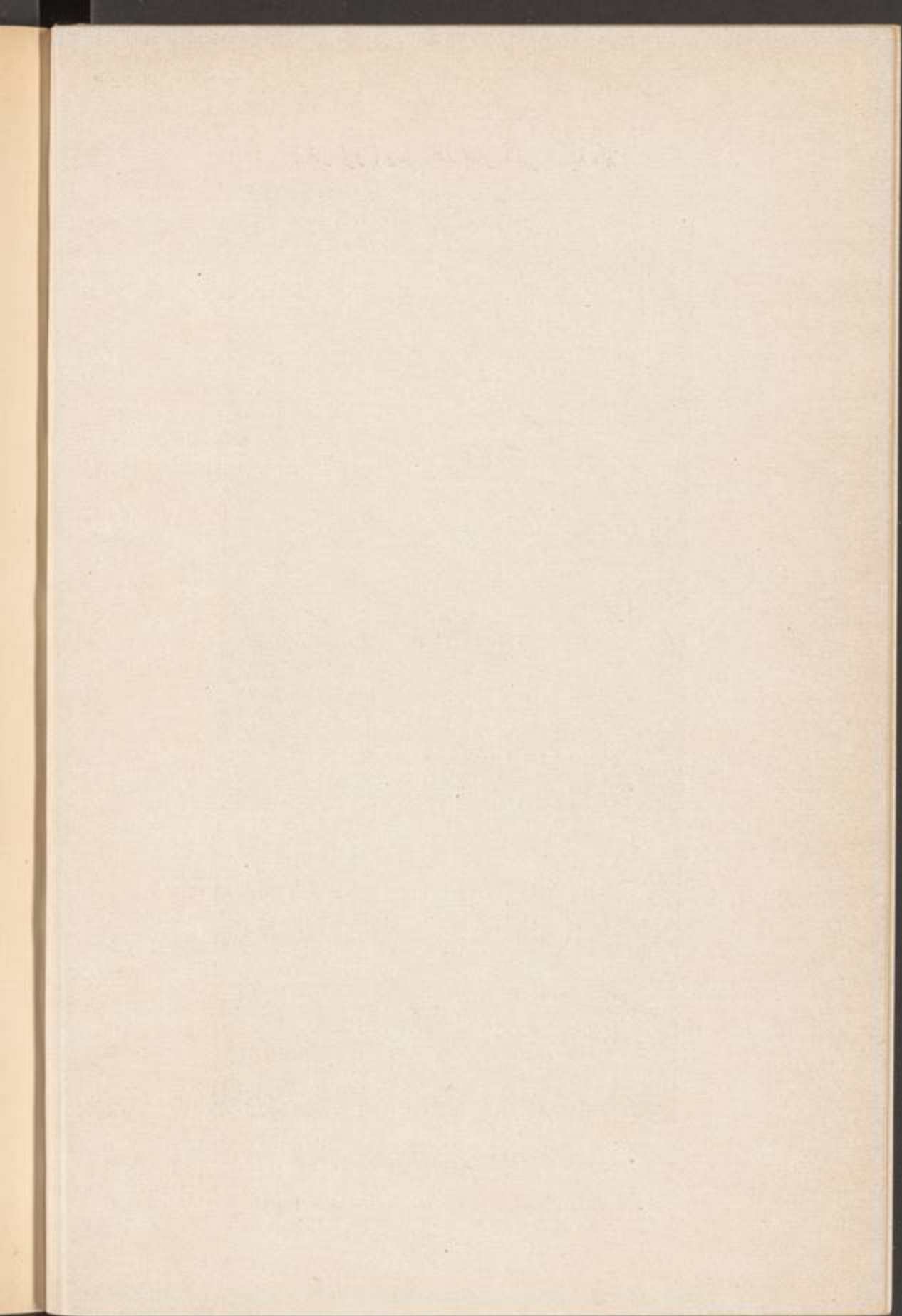
(غار ثور) رسم احمد صابر ناظر تكية مكة



هذا منظر الغار الذي نزل فيه قوله تعالى (الا
 تنظرون فقد نصره الله اذ افرجه الدين كفرة
 ثانياً ايئنه اذ هما في الغار اذ لقول (ها هه لا
 تخشوا الله وعا اليه سورة التوبة)
 تحرير في لغار بام القرية في يوم الاثنين ٩ جمادى
 الاولى ١٣٤٠ هـ الموافق ١٩١٩ م احمد صابر

خطه على الحجر في مكة المكرمة

56. The Mount of the Cave of Thaur at Mecca.



وأرتفاع جبل ثور يزيد على ٥٠٠ متر والواقف في أعلاه يشرف على كل ما حوله من الجبال ويرى مكة وما حولها واضحة ظاهرة وكذلك يرى حدة (بالحاء المهملة) بنخلها وبأعلى ثور علم يسترشد به الناس لمعرفة هذا الجبل وهو مبنى بالبحر ومبيض بالخص ويشبه الأعلام التي وصفناها قبلا في طريقه أنظر (الرسم ٥٥) والجبل ذو ألوان مختلفة من ذهبيّ وفضيّ وخمّيّ وما يشبه الأسمت وما يماثل المرمر، وربما كانت له ألوان أخرى في جهات لم أرها وقد أخذت من كل معدن قطعة ولكن فعلت بها الخدمة ما فعلت بالقطع التي أخذتها من جبل حراء - سبحانه الله - غير أنها تركت قليلا عرضته بعد حضوري إلى مصر على بعض الصاغة فأخبرني بأن معدنه من الذهب ولكنه غير مستو؛ هذا وقد زار غار ثور سيدي عبد الله بن محمد ابن أبي بكر العياشي وذلك في يوم الأربعاء ٨ شوال سنة ١٠٥٩ كما جاء برحلته المطبوعة سنة ١٣١٦ وقد ذكر فيها أنه مشى إلى الجبل من طريق بين الخدمة وأبي قبيس لقربه وإن كان وعرا ومسافته ثلاثة أميال أما زيارتنا فكانت من طريق المسفلة وهو أطول وأسهل وقد وصف الغار وصفا دقيقا وذكر ما قاساه من المشاق في الصعود إلى هذا الجبل على نحو ما وصفنا (أنظر ص ١٠٢ جزء ثاني من رحلته).

عادات المكيين بعد موسم الحج

بعد انقضاء الموسم يقيمون الأفراح ويزوجون الأولاد ويتروضون جهة الطائف والزاهر والأماكن التي بها بساتين ويستصحبون معهم المغنين وآلات الطرب لأنهم ولعون بالغانى، وفي شهر رجب يقصدون المدينة للزيارة وفي ذلك ينفقون ما جمعوا في الموسم الا قليل منهم يستبق بعض كسبه لينفقه في السفر إلى البلاد التي يفد منها الحجاج ليتعرف بمريدي الحج في العام القابل ولينفق معهم على أن يكونوا من مطوفيه وأكثرهم يقترض النقود بفائدة كبيرة لينفق منها في تلك الرحلات على أمل أن يسددها في الموسم ولما يسددها فيطوق بالديون، وقد كذب ظنهم في هذا العام دولة الشريف فقد قسم مصر وجاوه والهند والمغرب وبلاد الأناضول وغيرها أقساما تسابق المطوفون.

إلى شرائها بأثمان ظنوها متناسبة مع أهمية المركز وثروة حجاجه ، ولكن كثيرا منهم خسر في ذلك خسارة فادحة إذ دفعوا في الأقسام أثمانا باهظة بلغت الخمسين جنيها وزادت ، ولما حان الموسم لم يحصلوا مقدار ما دفعوا ولكن قليلا منهم سعد جده فربح أرباحا عظيمة ، وقد نشأت خسارة من خسر من علو ثمن الأقسام ومن أنه كان سافر إلى بعض الجهات وأنفق في ذلك وفي الهدايا التي كان يأخذها لمريدي الحج النفقات الطائلة ثم ظهر بعد ذلك أن كثيرا منهم لم يأت في القسم الذي اشتراه ، ولما رأى بعض المطوفين أن حجاج قسمه فقراء وما يدفعونه بخس اشتد عليهم وأغلظ لهم القول وحصل من جراء ذلك تشاحن وتساب بين الفريقين . وكانت العادة المتبعة قبل هذا التقسيم أنه يجبي من كل مطوف ريال للشريف عن كل حاج ينزل عنده وبالضرورة يأخذ المطوف من الحاج أمثال هذه الضريبة ولو كان في فقر مدقع ، وإن كانت لديه شفقة تجاوز عنه وحصل أضعافه من الموسرين ، والشريف لا يتقبل أى مطوف من الضريبة مهما قدم من الأعذار فأما أن يدفع وأما أن يزج به في غيابة السجن ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

دولة الشريف عون الرفيق وسلطته بمكة

يلقب الشريف مكة بسيد الجميع تمييزا له عن بقية الأشراف وهو الحاكم الذي لا ينازع في أمر ولا يرد له قول ينهى من شاء ويحبس من شاء ويعاقب من شاء بيده عقود الأمور وحلها وكل الحكام بمكة طوع وإشارته من كبيرهم أحمد راتب باشا المشير إلى صغيرهم ، فإن عارضه واحد منهم عزل في الحال لأن الشريف له يد قوية في الدولة فأى الأمور طاب أجيب إليه بل غالب الشكايات منه ترد إليه ليفصل فيها بما شاء من شرع أو هوى ولا معقب لحكمه فالويل كل الويل لمن شكاه ، نعم هذه اليد المستبدة تناسب حال الأعراب الأشرار الذين لا ترغهم إلا القوة ولا يقومهم إلا البطش بهم ، ولكن لو ضمت إلى القوة العدالة لكبح الأشرار عن سيئاتهم

والتف الناس حوله بأجسامهم وقلوبهم لأن للعدل من السلطان على النفوس ما ليس للقوة الغاشمة .

أما الشريف على باشا فله سلطة على الأعراب وله في نفوسهم مكانة واحترام ولذلك لا يردون له قولا وهو الذى يقابلهم اذا حضروا ويفاضهم اذا عملوا ما لا يرضاه الشريف وود إقلاعهم عنه .

أجر الجمال والمكوس

كان يؤخذ في جدة على كل شقدف يباع ستة قروش مصرية ونصف — روبية — وهى وان كانت تؤخذ من البائع لكنها فى الحقيقة يدفعها المشتري اذ يلاحظها البائع فى تقدير الثمن ويؤخذ من أجرة الجمال الذى يقل الحاج من جدة اثنى مائة ريالان للشريف وخمسة قروش عثمانية (٤ قروش مصرية) للحكومة وريال آخر لوكيل المطوف بجدة ولتعهد الجمال (المقوم) — ضرائب ما أنزل الله بها من سلطان — وقد كانت أجرة الجمال من جدة الى مكة ٦ ريالات «برم» (وهو عشرة قروش مصرية تقريبا) فى بدء الموسم هذا العام فاذا نقصنا تلك الضرائب من هذه الأجرة كان الباقي للجمال أجرة له وجملة دون ٣ ريالات أى أقل من نصف الأجرة وإن ذلك لظلم بين يحمل الجمال على أن يسلب من الحاج ما استطاع ، والأجرة وإن كانت فى أول الموسم ٦ ريالات «برم» لكن عند وصول المحمل الى جدة بلغت ١٢ ريالات أخذت تزداد حتى بلغت ٣٠ ريالات تناقصت الى ٦ ريالات كما كانت أولا وكان آخر نقص لها يوم ٧ ذى الحجة ، والسبب فى ارتفاع الأجرة الى ٣٠ ريالات أن الحجاج كثروا ورودهم من جهات جدة والمدينة والجهات الشرقية بحال لم يسبق لها مثيل حتى كانت الطريق لا تخلو لحظة واحدة ليلا ونهارا من مرور الحجاج بها ، وقد قدمنا لك أنه فى يوم السبت ٢ ذى الحجة قدم من جدة الى مكة ١٥٠٠ حاج مشاة على أقدامهم لقلة الجمال . وكان يؤخذ بمكة على كل رأس يباع من الغنم خمسة قروش مصرية وعلى كل جمل خمسون قرشا ، وقد كانت الأجرة من مكة الى عرفات ذهابا وإيابا للمحمل ذى الشقدف

٧ ريالات « برم » وذى الرحل الذى يركبه شخص واحد ٦ ريالات منها ريال للشرىف وآخر للطوف والمقوم فيبقى للجمال ٤ ريالات أو خمسة. وأجرة الجمل من مكة الى المدينة الى ينبع كانت لذى الشدق ٣٣ ريالا مجيديا ويتبع ذلك نصف جمل الحمل المتاع، وكانت لذى الرحل ٣٢ ريالا منها ١٢ ريالا للشرىف - جنيمان انكليزيان - وريال ونصف للخروج وريالان للطوف وريال للمعهد (المقوم) وريال للحكومة وربع ريال للرهيئة (كل قبيلة تقدم واحدا عنها تحبسه الحكومة حتى يصل الركب بسلام الى الجهة التى يقصدها وتأخذ الحكومة ربع الريال فى نظير ذلك) فيكون الباقي للجمال من ذلك $\frac{1}{4}$ ١٥ ريالا أو $\frac{1}{4}$ ١٤ وأدهى من ذلك وأمر أنه يؤخذ من الجاويين أربعة جنينيات من كل حاج لافى مقابلة عمل ولكنهم لغناهم وتساهلهم يطمع فى نقودهم، وللمتعهدين طريقة فى التخلص من الضرائب التى تدفع عن كل جمل مؤجرون ذلك أنهم يتفقون مع كل حاج على عدد معين ولكن عند الخروج من مكة يحملون بعض العسد فقط أحمالا فوق الطاقة والباقي يخرج غير حامل شيئا فلا تؤخذ عليه الضريبة اذ يزعم المتعهد أنه غير مؤجر وبعد الخروج من مكة توزع الأمتعة على العدد المتفق عليه وكثيرا ما يتفقون مع الحاج على عدد معين يقدمونه فى أول الأمر له ويتفقون على أجرته حتى اذا ما رحلوا أخذوا منه بعض ما آتفقوا عليه وأجروه لآخرين فيؤجرون الجمل مرتين ويتقاضون الأجرين - وانه وربك لظلم بين وطمع مرد - ثم هل سمعت بمثل هذه الضرائب القاسية التى ياباها الاسلام وينكرها أشد الإنكار، إن غاية ما قرره الاسلام فى نظام الضرائب ٢٠٪ لافى مال يكدي الإنسان فى تحصيله ويعرق فيه جبينه، ولكن فى أموال تقع فى يد المرء بلا كد ولا تعب كالمعادن وكنوز الجاهلية، ولكن لا تعجب من أعمال هؤلاء فالدين لغو على ألسنتهم لم يتمكن بعد من نفوسهم فتراهم ((يَقُولُونَ يَاؤَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَآلَهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)) ولو علمت دولتنا فرنسا والروسيا هذه المظالم التى يتكبدها الحجاج لما منعوا رعاياهم المسلمين عن الحج اذ لو حضروا ورأوا هذه المظالم بأعينهم لرغبوا عن الحج ولم يحدنوا.

(١) الذى يتولى إخراج القوافل .

به أنفسهم تارة أخرى بل لبثوا في نفوس إخوانهم كراهيته ، وإذ ذلك يمتنعون من تلقاء أنفسهم عن الحج دون أن يتكلف حكامهم مشقة المنع ونتائجه ولكن « البعيد أعمى » .

وكل ما قدمنا لك في أجرة الجمال إنما هو للحجاج الذين لا يتبعون المحمل أما ركبهم فلهم طريقة أخرى في تقدير الأجرة للجمال التي يحتاجون إليها .

أجرة الجمال التي تقل ركب المحمل — هذه الأجرة تقدر بمعرفة صاحب الدولة شريف مكة الذي لا يرد له قول ولا يخالف له أمر مهما كانت الأجرة المقدرة، فعارضة أمير الحج وأمين الصرة لا تجدى شيئا بل لاتجد الأذن السامعة وعلى ذلك أخذت الأجرة تزداد شيئا فشيئا خصوصا في الخمس السنين الأخيرة حيث زادت زيادة فاحشة وهالك البيان .

في سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٥ م) كانت أجرة الجمال من مكة الى المدينة ١٨ ريالاً (ربما) لذى الشقذف و١٧ لذى الرحل، وكانت من مكة الى المدينة فينبع البحر ٢٣ ريالاً للأول و٢٢ للثاني ومن مكة الى المدينة ثم الى جدة ٢٨ للأول و٢٧ للثاني ومن مكة الى المدينة فالوجه ٣٥ ريالاً للأول و٣٤ للثاني، ومن جدة الى مكة ٢٢ وهذا لكثرة الحجاج وغلو الأثمان كما هو مذكور في رحلة المرحوم صادق باشا، وأسمرت الزيادة بعد ذلك الى أن كانت في سنة ١٣١٤ وما بعدها كما يأتي :

ملاحظات	السنة	الأجرة من مكة للدينة فالوجه	الأجرة من مكة لعرفة ذهاباً وإياباً	الأجرة من جدة الى مكة	مجموع أجرة الجمل الواحد
	١٣١٤	٦٧٠	٩٠	٩٠	٨٥٠
في هذه السنة لم يعين مع المحمل قسم عسكري	١٣١٥	١١٨٤٫٥	٨٧٫٧٥	٨٧٫٧٥	١٣٦٠
» » » » »	١٣١٦	١٢٢٨٫٥	١١٠	١٣١٫٥	١٤٧٠
	١٣١٧	١٢٦٧٫٥	١٩٥	١٩٥	١٦٥٧٫٥
	١٣١٨	١٤٦٢٫٥	٢٩٢٫٥	٣٤١٫٥	٢٠٩٦٫٥

ومن هذه المقارنة تبين لك الزيادة المطردة من سنة ١٣١٥ التي لم يتعين فيها قسم عسكري يصحب المحمل وكذا في السنة التالية لها والسبب في هذه الزيادة أن المحمل رافقه قوة عسكرية شاهانية في السنين التي حلت من القوة المصرية ولم تدفع حكومتنا نفقات القوة الشاهانية فزيدت أجرة الجمال حتى تعوض تلك النفقات والسبب في الزيادة العظيمة هذا العام أن الحكومة لم تخاطب الشريف في شأن الزيادات في السنين السالفة فتعودها وزاد عليها تلك الزيادة الفاحشة التي آسكتها الناس — وحق لهم ذلك — وقد قلت لدولة الشريف: إن هذه الزيادة المطردة ستنبه الحكومة لوضع حد لها وربما أحدثت تغييرا في النظام المالي للمحمل بسبب ذلك.

الجمالة — بمناسبة الكلام على أجرة الجمال والمكوس نقدم لك كلمتين الأولى في معاملة العربان الجمالة للركب الذي يصحبونه والأخرى في تاريخ المكوس حتى تربط لك الحاضر بالماضي لتستخلص منهما ما ينبغي في المستقبل، هؤلاء العربان يحافظون على المجاج وعلى امتعتهم متى غمروهم بالخيرات من ما كولات ولحوم ومشروب الشاي، وتزداد عنايتهم بالمجاج إذا وعدوا بكسوة يعطونها في المحطة الختامية وكسوتهم يسيرة الكلفة فهي ثوب قطني من «البقعة» السمراء وعقال و«كوفية» لا تتجاوز قيمتها عشرة قروش مصرية أما من بخل عليهم بماله فيرونه العذاب ألوانا فنارة يقطعون حزام الجمل فيقع راكبه ويتأخر عن القافلة حتى يصلح الحزام وربما آتتهوا فرصة الانفراد به وقتلوه إذا لم يبرز لهم الريلات ويتعهد بالغذاء وتارة يؤخرون الجمل عن القافلة بحجة أن الرحل في حاجة إلى إصلاح وما يريدون بذلك إلا فرصة للفتك به. والعربان مغرمون بشرب الدخان فلو أن الحاج أخذ معه قسطا منه وأعطاه الجمال راعاه أحسن مراعاة ومشى بجانبه يحافظ عليه ويهيئ له أسباب الراحة، ومن عادة العربان أنهم إذا تناولوا الطعام مع الحاج لا يخنونونه أبدا وإذا رأوا عربانا من قبيلة أخرى يريدون الفتك به أخبروهم أنه في كنفهم فلا يصلون إليه بسوء وكانما هو واحد منهم.

تاريخ المكوس - يطلق المكس على الجباية كما يطلق على ما يأخذه العشار ويقال له الماكس : وفي الحديث «لا يدخل صاحب مكس الجنة» والمكوس أخذها قديم ، فقد كان مضاض بن عمرو الجرمي يعشر من يدخل مكة من أعلاها ، والسميدع يعشر من يدخل من أسفلها ، وكانوا يعشرون أموال العالقة الذين كانوا ولاية مكة قبل جرم فآتهم حرمه الحرم فأخرجتهم جرم وقطور ، وكانوا يأخذون عشر الميرة التي يأتون بها (أنظر منائح الكرم للسنجاري) وقد أبطل الإسلام المكوس بأنواعها وفرض الزكاة على الناس في أموالهم ، وقد كانت المكوس تؤخذ من الحجاج الذين يبرون من طريق عيذاب (قرية على ساحل البحر الأحمر في ديارنا المصرية) ومن فر منهم جببت منه في جدة وكانت سبعة دنانير (٣٥٠ قرشا) تجبي لأمير مكة ، وفي سنة ٥٧٢ أبطلها السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وكان سبب ذلك أنه حج في هذه السنة الشيخ علوان الأسدي الحلبي فلما وصل جدة طولب بذلك فأبى وهم بالرجوع وترك الحج فلاطفه من هنالك وبعثوا إلى والي مكة الشريف مكثربن عيسى فأمر بإطلاقه وإعفائه ، فلما وصل مكة اجتمع به واعتذر إليه بأن دخل مكة لا يفي بمصالح أهلها وإنما لذلك نضطر إلى أخذ المكوس ، فكتب الشيخ علوان إلى صلاح الدين بذلك فأرسل إليه ٨٠٠٠ أردب من الحبوب وقيل ٢٠٠٠ أردب وألف دينار ورغب إليه في ترك تلك المظلمة فتركها ولكنها عادت ، وأبطلها في سنة ٦٣٩ المنصور عمر بن رسول صاحب اليمن وكتب بذلك مرعبة جعلت حيال الحجر الأسود وفي جدار زمزم إلى أن قلعها ابن المسيب ثم ما لبثت أن عادت المكوس ، وأبطلت في سنة ٧٦٠ في سلطنة الملك الناصر بأمر الشريف مكة سند ابن رُمَيْثة ولكن ما عتمت أن رجعت فرفعت في سنة ٧٦٦ بهمة الأمير كتبغا مدير السلطنة بمصر وعوض عنها صاحب مكة ٢٦٠ ألف درهم وألف أردب من القمح وقرر ذلك في ديوان السلطان شعبان صاحب مصر وكتب ذلك بالحفر في دعام بالمسجد الحرام ، وقد شاهدت ذلك في جهة باب الصفا وفي سنة ٨٢٦ أمر السلطان أحمد بن المؤيد صاحب مصر أن يعطي للشريف حسن ألف دينار (٥٠٠ جنيه

مصرى) تحمل اليه من مصر نظير تركه المكوس على الحضرات بمكة وأمر أن يكتب ذلك في بعض أساطين الحرم المكي فكتب وهو باق الى الآن بقرب باب السلام .

وفي سنة ١٠٨٣ أمر الشيخ محمد المغربي القرمسى أن تدهن السوارى التى بها الكتابات المحفورة بإبطال المكوس فدهنت بالدهانات الملونة وظهرت الكتابة فيها واضحة وعتوض صاحب مكة الحسن بن مجلان قسطا من بيت المال، وهكذا كان يبطلها أو يعمل على إبطالها الحكام العادلون ثم تعود على يد الظالمين مدفوعين بشهوة الطمع أو بداعى الحاجة حتى رأيناها بأعيننا فى زمننا .

ضياقات بمكة — قد استضافنا نجل الشيخ الفاسى — شيخ طريقة مشهور — فى الزاوية المعروفة باسمه وكانت الدعوة عامة لجميع موظفى المحمل من ملكيين وعسكريين وأقام لنا وليمة فاخرة أعجبنا بنظامها وإتقان طعامها ونظافة أوعيته وشربنا الشاى بعدها ثلاث كوبات كما هو المتبع عندهم ، وقد احتفى بنا الشيخ وقومه حفاوة عظيمة ملثوا بها قلوبنا سرورا . ودعانا بعد ذلك لتناول الطعام الشيخ باخطمه — حضرمى — التاجر المقرب من الأمير والذى يقوم بقضاء مصالح دولة الشريف والوالى وحكام مكة ويستحضر ما يلزم للعساكر الشاهانية ويشترى من الضباط مرتباتهم بنصف قيمتها اذ يسأمون من تأخر صرفها فيبيعون غالبا بحاضر، والشيخ باخطمه يصرفها من الخزينة كاملة نظير نقود يدفعها لذوى الشأن فى الصرف فيسرعون بصرف المرتبات اليه .

وقد أكثر من إكرامنا وضياقتنا «مقوم» المحمل ولكن لم يقصد بضيافته وجه الله ولا وجوهنا ولكن وجه الجنيه اذ كان غرضه الوحيد من ذلك الحصول على شهادة منا بزيادة عدد الجمال عن المقرر لركب المحمل ، وهذه الشهادة يقدمها للمالية المصرية أو الحربية — ان كانت من القسم العسكرى — ليصرف قيمة ما فيها ، وقد طلب منى فعلا هذه الشهادة فأبيت عليه وقلت له : إن كان لدينا زيادة عن العدد المقرر فانا مستعد لدفع أجرته من مالى الخاص على شريطة أن تكون الأجرة مماثلة

لأجرة جمال الأهالي فما كان جوابه إلا أن قال « نحن لا نريد خسارتك وإنما الذي ينفعنا ينفعك » فنصحته بأن يلتزم خطة الحق وبأن ما أتى من الحرام يذهب من حيث أتى وعرفته بأننا جئنا لتشم شعائر الدين ونطلب الغفران من رب رحيم لا أن نتحمل مآثم وأوزارا ونخون الأمة في ما لها الذي أعدته لمصالحها فما كان منه إلا أن سكت مرغما لما أن رأى قناتنا لا تلين .

إعانة السكة الحديدية الحجازية

أمر دولة شريف مكة بجمع إعانة للسكة الحديدية وقدر على كل حاج غير معسر ريالاً، فأخذ المطوفون يجمعونها ويوردونها للشريف كل يوم، وكان بعض الحجاج يمتنع عن الدفع وبعضهم دفع عن نفسه وعن يرافقه في القافلة ودفع أحمد بك الجمل من أعيان المنصورة مائة جنيه، ودفع أحمد بك الضي عشرة جنيهات، ودفع سلطان المملكة والشحر (نهران على خليج عدن) عوض بن عمر القعيطي ٢٠٠٠٠ روبية أي ١٣٣٣ جنيه انجليزي وكثير غيرهم من الأغنياء، لكن لم نقف على مقدار ما دفعوا. وقد أمر دولة الشريف بعدم خروج أحد من الحجاج من مكة حتى تجبي الضريبة كلها، وعلى ذلك حبس الحجاج بمكة بعد تأدية الفريضة سبعة أيام كانوا فيها على أحر من الجمر، شوقهم لزيارة الرسول يهيب بهم أن اسرعوا والشريف يقول : مكانكم حتى تدفعوا. وقد بلغني أن بعضاً من حجاج المغرب شكوا لدولة الوالي حبسهم بمكة فأرسل بهم مع مندوب من قبله الى دولة الشريف ليسمح لهم بالخروج، فلما وصلوا اليه نزل عليهم ضرباً بالعصى واذ ذلك انقض عليهم زبانتهم أيضاً (الباوردية) فشتتوا مذعورين ورجعوا بخفي حنين، شكوى عادلة جوابها إهانة قاسية في بلد جعله الله حرماً آمناً ﴿سَوَاءَ أَلْعَاكُفُ فِيهِ وَالْبَادِ . وَمَنْ يَرُدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظْلَمُ نُدْفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ ولئن دام هذا الظلم لينصرف الناس عن الحج وتلك الطامة الكبرى ببلاد العرب وأهلها الذين يجدون في الحج العيش الكفاف بل الرزق الواسع بل ذلك جناية على الإسلام ومعتقيه فان هذا البلد واسطة

التعارف بين المساميين في مشارق الأرض ومغاربها فاذا انقطعت بينهم الأسباب وانفصمت عروة التواد كانوا كالغنم القاصية تلتهمها الدول المستعمرة فتستغيث فلا مغيث فليقلع الظالم عن ظلمه حتى لا يعمننا الله بعذاب من عنده ويفقر لنا ما أسلفنا
 ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .

مضارّ حبس الحجاج بمكة - لم يسمح دولة الشريف بخروج الحجاج من مكة إلا بعد أن دفعوا جميعا ريال الإعانة للسكة الحديدية ، فلما أن صدر الإذن بالخروج أخذ جميع الحجاج في الرحيل وهم ألوف مؤلفة يسلكون طريقا ضيقا ولما بلغوا مكانا مخصوصا بالطريق أوقفوا حتى يدفعوا ريال الحكومة - عوائد - عن كل حمل خال أو محمل فأخذوا يدفعون ولكن بلغ الزحام أشده لأن المحصل شخص واحد قام بجانبه اثنان من الزبانية لا يسمحان لأحد بالمرور حتى يدفع الريال واستعملا كل غلظة وقساوة لا تصدر من الوحوش فضلا عن الأناس بل فضلا عن مسلمين بالإسلام ، وقد أصبحت الطريق التي كانت معدة لسير جملين بشقادفهما متحاذيين فيها أربعة صفوف فدخلت الشقادف بعضها في بعض وكاد الناس يكونون طبقات بعضهم فوق بعض وهناك تحطم كثير من الشقادف وسقط بعض الركاب من عليها فتهشمت منهم العظام وبلغت فيهم الجراح وفقدوا من الأمتعة وتلف كثير منها ، وكنت لا أسمع إذ ذاك إلا ولولة النساء وعويل الصبيان واستغاثة الضعفاء ومنازعات الرجال ولا شرطة هناك تحول دون ذلك ، وكل هذا مغبة حبس الشريف للحجاج وسوء نظام الجباية ، وماذا على الحكومة لو عينت عددا من المحصلين وعينت لكل قافلة يوما تخرج فيه ، ومعرفة القوافل من الأمور الهينة لأن المطوفين والمتعهدين يعرفونها وأولئك معروفون لدى الحكومة وبذلك يسهل التحصيل وتسير القافلة بهدوء وسكينة ويأمن الناس على نفوسهم وأمتعتهم .

مرتبات الأشراف والعربان والأهالى وطريقة صرفها

جرت العادة من قديم أن تصرف الحكومة المصرية مرتبات للأشراف والعربان والأهالى بمكة والمدينة، وكان المقرّر فى ميزانية المحمل هذا العام للأشراف ١٢٦٥ جنينها مصرىاً وللعربان ٢٥١١ جنينها وللأهالى ٢٨٧٩ جنينها وكان يصرف لكل شخص مرتبه المقرّر بمقتضى إذن يمضيه أمين الصرة وأمير الحج وكذلك الكاتب الأقل للصرة دلالة على أن الصرف قانونى، والكاتب الأقل هو الذى يقوم بإعداد إذن الصرف ليكون مطابقاً لما دقن بالسجل الذى به أسماء أصحاب المرتبات (الذين لا وجود لأكثرهم الآن) وساعة البدء فى الصرف حضر أمام الكاتب عدد عظيم من العربان وكلفوه بتلاوة الأسماء فسألهم هل أتم أصحاب المرتبات؟ فقالوا: لا ولكننا مراكون فى تسامها سنويا فقال لهم: أحضروا التوكيلات التى تؤيد دعواكم، فقالوا ومن تكون التوكيلات؟ فقال لهم: من أصحاب المرتبات الذين وكلوكم أو وارثيهم، فقالوا: إن أصحابها توفوا من زمن مديد ولا أثر لمعظم وارثيهم وكل سنة نتسلم المرتبات بدون معارضة ونحن متفقون فيما بيننا على صرفها إلينا فاضطرّ الكاتب لإجابة طلبهم وأخذ يتلو الأسماء عليهم، فأخذ كل منهم يخطف من الأذون ما أستطاع حتى كان الواحد يتحصل على الخمسين والستين ثم يتسلم قيمتها .

والأشراف المقيدة بأسمائهم المرتبات منهم الحى ومنهم المتوفى وتصرف مرتباتهم إلى من يعينه شريف مكة ويكلا عنهم بعد أن يستعلم منه أمير الحج .

وللشيخ حذيفة كبير قبيلة الأحامدة مرتب سنوى ينيف على ٦٠٠ ريال، تصرف إليه نظير محافظته على ركب المحمل أثناء مروره بالطريق السلطانى الذى يقيم به الشيخ حذيفة، وهذا المرتب يصرف إليه سنويا مرّ المحمل به أو لم يمر، وفى هذا العام قدم من قبله ويكل عنه يدعى محمد بن عامر ومعه وثيقة التوكيل مهوره بحمّ الشيخ حذيفة وصريحة فى أنه ويكل عنه فى قبض مرتبه ولكن أبى الشريف إلا أن يصرف المرتب إلى أكبر أولاد الشيخ حذيفة المسمى خليلا مع أن بين الشيخ وأبنه عداءً شديداً

ومخاضات كبيرة وحروبا طاحنة أهرقت فيها الدماء آتتصر فيها الولد على ابيه بقوة أعوانه وأنصاره وسبب ذلك تحريض الأبن للعربان على شق عصا الطاعة لأبيه . فكان ينبغي من أجل هذا التفار المستحکم أن يصرف المرتب للوكيل الشرعى لالأبن العاق ولكن من يستطيع أن يخالف أمر الشريف الذى نفذ ما أراد وصرف المرتب للولد الباغى .

وقد صرفت بمكة مكافأة لواحد من الأشراف أسمه الشيخ مساعد يقوم فى جمع من عسكر «البيشة» بحراسة المحملين المصرى والشامى بعد وصولهما الى المدينة و يبلغ عددهم نحو الخمسين يقاسمونه المكافأة وليس لهؤلاء العسكر نظام ولا يطعمون من الأوامر إلا ما أتفق مع رغبتهم مع أن عملهم مساعدة المحمل عند الحاجة ، ويشكون كثيرا من أنهم لا يجسدون ما يأكلون وما يعلفون به الدواب مع أن العلف صرف اليهم — وما كما ملزمين بذلك — وقد أخذوا مكافآت ينفقون منها ولكن أنفقوا ما صرف اليهم فى بيوتهم وآتكلوا على الأمير والأمين يمدونهم بما يأكلون ، ويعين مع الشيخ مساعد رئيس «البيشة» فارس عثمانى برتبة ملازم يرافق المحمل ولكن البيشة لا يسمعون منه قولا ولا ينفذون له أمرا بل يأترون بأمر واحد من بنى جلدتهم ومع أن هؤلاء العسكر يقضون فى الحراسة وبصرهم حاذئ ينبغي أن يضم اليهم قسم من العساكر يشركونهم فى الحراسة كما ينبغي تحذيرهم من السلب والنهب لأنهم ولعون بذلك خصوصا عند مجيء العربان لبيع ما عندهم للحجاج ، فإنه بلغنى أنهم أخذوا فى سنة خلت من بعض العربان قدرا من السمون ولم يدفعوا ثمنه وضربوا أصحابه وتسبب عن ذلك تجمع العربان وتزاميمهم مع رجال المحمل بالنيران حتى قتل بعض الحجاج وجرح بعض آخر «ومعظم النار من مستصغر الشرر» أما فى هذا العام فلم يحصل ما يكدر فالحمد لله على ما من .



والى هنا فرغنا من ذكر الأعمال التى قمنا بها فى مكة وأصبحنا على أهبة السفر الى الحرم الثانى وبقى علينا أن نصف لك مكة وما أشتمت عليه من المباني الفخمة

والآثار الجمّة وكذلك منى وعرفة والمزدلفة والطائف ونلم بتاريخها إلما حتى تكون على بينة من أمرها وخيرا بما قام به سلفنا الصالح في الحرم الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ونقدّم لك بين يدي ذلك القسم الديني من رحلتنا في الحج ومناسكها ووصف لبلاد العرب وموجز في تاريخها وفي سير الفتوحات الإسلامية وانتشار الدين في ربوع المعمورة .

القسم الديني

قد رأينا أن نسوق إليك أيها القارئ حجتة صلى الله عليه وسلم ثم نردفها بالأحكام الفقهية في شرائع الحج حسب ما سطر في كتب المذاهب المختلفة، وإنما قدّمنا حجتة صلى الله عليه وسلم لأنها السراج الوهاج الذي أقتبس منه الفقهاء ولأنها الحكم عند اختلاف الآراء ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وقد أعتمدنا في ذلك على ما كتبه الإمام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ في كتابه « زاد المعاد في هدى خير العباد » فإنه خير ما كتب في هذا الموضوع على ما علمنا .

حجة الوداع - لا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد هجرته إلى المدينة سوى حجة واحدة وهي حجة الوداع ولا خلاف أنها كانت سنة عشر . وأختلف هل حج قبل الهجرة، فروى الترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: حج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث حجج حجبتين قبل أن يهاجر وحجة بعدما هاجر معها عمرة، قال الترمذى : هذا حديث غريب - تفرد به راو واحد - من حديث سفيان قال : وسألت محمداً يعنى البخارى عن هذا فلم يعرفه من حديث الثورى، وفي رواية لا يعد هذا الحديث محفوظاً . ولما نزل فرض الحج بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج من غير تأخير فإن فرض الحج تأخر إلى سنة تسع أو عشر وأما قوله تعالى ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ فإنها وإن نزلت سنة ست عام الحديبية فليس فيها فريضة الحج وإنما فيها الأمر بإتمامه وإتمام العمرة بعد الشروع فيهما وذلك لا يقتضى وجوب الإبتداء .

ولما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج أعلم الناس أنه حاج فجهزوا للخروج معه وسمع بذلك من حول المدينة فقدموا يريدون الحج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون فكانوا من بين يده ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مد البصر، وخرج من المدينة نهارا بعد الظهر لست بقين من ذى القعدة بعد أن صلى الظهر بها أربعا وخطبهم قبل ذلك خطبة علمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه، قال ابن حزم: وكان خروجه يوم الخميس، قال ابن القيم: والظاهر أنه كان يوم السبت (انظر أدلة كل منهما بزيادة المعاد) وبعد أن صلى وخطب ترجل (مشط رأسه) وأدهن ولبس إزاره^(١) ورداءه وخرج بين الظهر والعصر فترل بذى الحليفة^(٢) (الخريفة ٥٧) فصلى بها العصر ركعتين ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر فصلى بها خمس صلوات وكان نسأؤه كلهن معه وطاف عليهن تلك الليلة، فلما أراد الإحرام آغتسل غسلًا ثانيًا لإحرامه غير غسل الجماع الأول ثم طيبته عائشة بيدها بذرة^(٣) وطيب فيه مسك في بدنه ورأسه حتى كان وبيص المسك يرى في مفارقه^(٤) ولحيته ثم أستدامه ولم يغسله ثم لبس إزاره ورداءه ثم صلى الظهر ركعتين ثم أهل بالحج^(٥) والعمرة في مصلاه ولم ينقل عنه أنه صلى للإحرام ركعتين غير فرض الظهر وقدم قبل الإحرام بدنه نعلين وأشعرها في جانبها الأيمن فشق صفحة سنامها وسلت الدم عنها^(٦) - وقد ساق ابن القيم بضعة وعشرين دليلا كلها صحيحة صريحة في أنه صلى الله عليه وسلم حج قارنا، وذكر أنه أخطأ في عمرة النبي صلى الله عليه وسلم خمس طوائف وهم في حجه خمس طوائف وغلط في إحرامه خمس طوائف وبين آراء كل طائفة وساق

(١) الإزار ما يلف على أسفل الجسم، والرداء ما يلف على أعلاه.

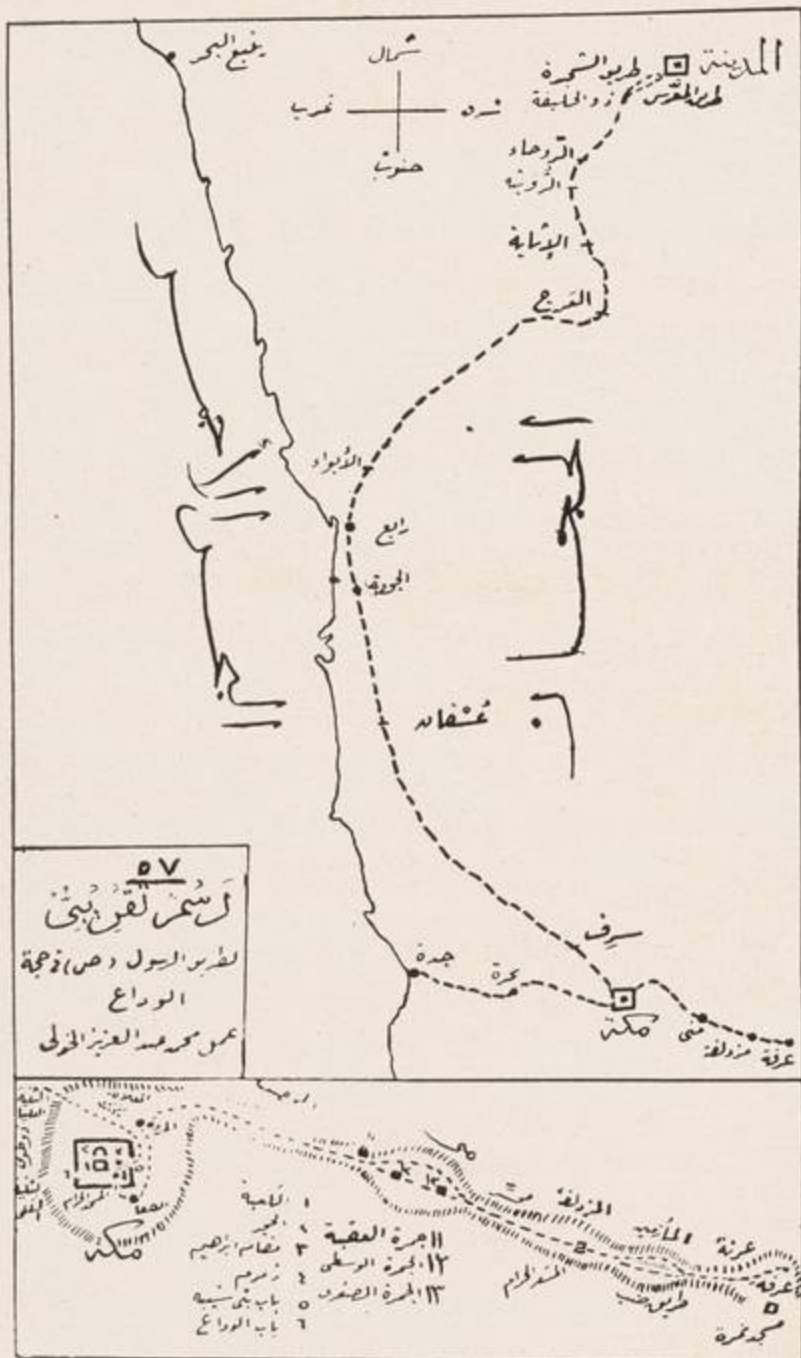
(٢) ذو الحليفة أو أبار على غربي المدينة بينها وبين مسجدنا نحو ٢٠ كيلو مترا وبها مسجد يسمى مسجد

الشجرة وبتريسميا الجهال بتر على لظنهم أن عليا قاتل الجن بها وهو كذب (رسائل ابن تيمية ص ٣٥٦ جزء ثان) . (٣) الذريرة نوع من الطيب يجمع من أخلاط شتى . (٤) بريقه ولعانه .

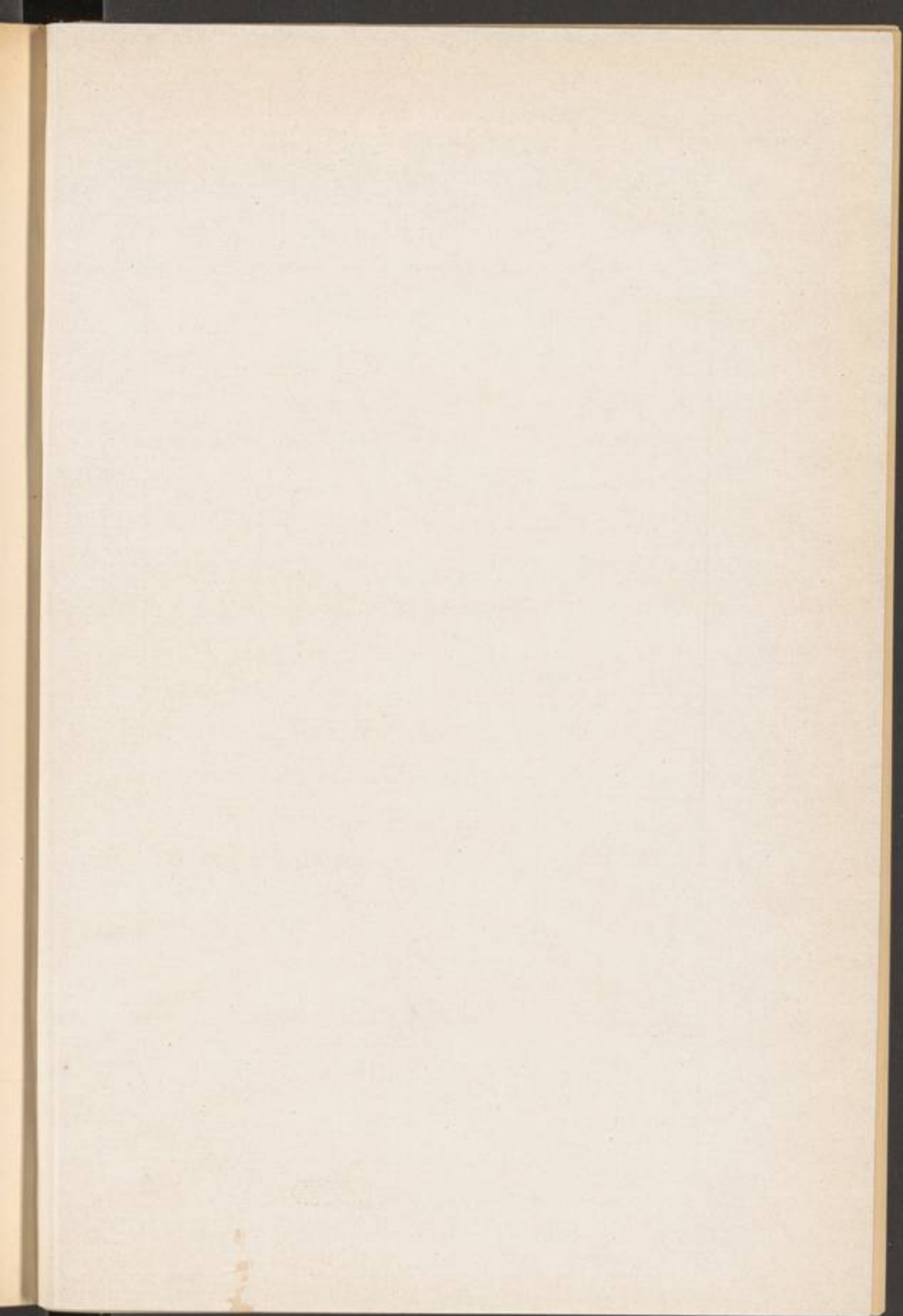
(٥) جمع مفرق وهو وسط الرأس الذي يفرق فيه الشعر . (٦) الإهلال دفع الصوت بالتلبية بهما .

(٧) تقليد البدنة أن يعلق في عنقها شئ . ليعلم أنها هدى . (٨) أى أماطه وأزاله .

خريطة حجة الوداع



57. A map showing the Prophet's farewell pilgrimage.



أدلتها ثم كر عليها بالنقض، ودأبته في هذا الموضوع أمتع ما كتب فراجعها في كتابه زاد المعاد من ص ١٨٣ الى ص ٢٠٢ من الجزء الأول طبع الحلبي بمصر — ولبد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه بالغسل — بوزن كفل — وهو ما يغسل به الرأس من خَطْمِي ونحوه يلبد به الشعر حتى لا ينتشر، وأهل في مصلايه ثم ركب على ناقته وأهل أيضا ثم أهل لما استقلت به على البيداء^(١). قال ابن عباس رضى الله عنهما: وإيم الله لقد أوجب في مصلايه وأهل حين استقلت به ناقته وأهل حين علا على شرف البيداء^(٢) وكان يهل بالحج والعمرة تارة وبالحج تارة لأن العمرة جزء منه؛ فمن ثمة قيل: قرن، وقيل: تمتع، وقيل: أفرد ثم لبي فقال: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك. والمملك لا شريك لك. ورفع صوته بهذه التلبية حتى سمعها أصحابه وأمرهم بأمر الله له أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية وكان يحج على رحل لا في محمل ولا هودج ولا عمارة^(٣) وزاملته^(٤) تحته — وأختلف في جواز ركوب المحرم في المحمل والهودج والعمارة ونحوها على قولين هما روايتان عن أحمد رحمه الله أحدهما الجواز وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله والثاني المنع وهو مذهب مالك — ثم انه صلى الله عليه وسلم خيرهم عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة (الحج أو العمرة أوهما معا) ثم نذهبهم عند دنوهم من مكة الى فسح

- (١) كلما راجعت قاموسا لعل أجد فيه وصف هذا النبات لا أجد إلا قول ما يغسل به الرأس أو هو نبات محمل متضخ ملين نافع لعسر البول الخ أو نبات معروف أو غسل معروف وهو بكسر الخاء وقد تفتح.
- (٢) الصحراء. (٣) أوجب الشخص عمل عملا يستوجب له الجنة. (٤) جلته وقامت به.
- (٥) مرتفع. (٦) القران الإهلال بالحج والعمرة معا، والتبع: الإهلال بالعمرة وحدها.
- وبعد التحلل منها يحرم بالحج، والأفراد: الإحرام بالحج وحده. (٧) أى إجابة لك بعد إجابة.
- (٨) الرحل للابل كالسرج للفرس، والمحمل كالجلس: شقان على البعير يحمل فيهما العديلان، والهودج: مركب للنساء مقبب، وأما العمارة فهي الهودج يجلس فيه (أقرب الموارد، ج ٢ ص ٨٢٩).
- (٩) الزاملة: البعير الذي يجعل عليه الطعام والمتاع من الزمل وهو الحمل، والزميل: العديل الذي حملة مع حملك على البعير.

الحج والقران الى العمرة لمن لم يكن معه هدى ثم حتم ذلك عند المروة . وولدت أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر رضى الله عنهما بذى الحليفة محمد بن أبي بكر فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتستسفر وتستتر بثوب وتحرم وتهل ، وكان في قصتها ثلاث سنن إحداها غسل المحرم ، والثانية أن الحائض تغتسل لإحرامها ، والثالثة أن الإحرام يصح من الحائض . ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبي بتلبيته المذكورة والناس معه يزيدون فيها وينقصون وهو يقرهم ولا ينكر عليهم ولزم تلبيته . فلما كانوا بالروحاء^(١) رأى حمار وحش عقيراً^(٢) فقال : دعوه فإنه يوشك أن يأتي صاحبه ، بغاء صاحبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله شأنكم بهذا الحمار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه فقسمه بين الرفاق ، وفي هذا دليل على جواز أكل المحرم من صيد الحلال إذ لم يصدده لأجله ، وأما كون صاحبه لم يحرم فعله لم يترد ذى الحليفة فهو كذبي قتادة في قصته ، وتدل هذه القصة على أن الهبة لا تفتقر الى لفظ وهبت لك بل تصح بالفظ يدل عليها ، وتدل على قسمته اللحم مع عظامه بالتجري ، وتدل على أن الصيد يملك بالإثبات وإزالة أمتناعه وأنه لمن أثبتته لا لمن أخذه ، وعلى حل أكل لحم الحمار الوحشى وعلى التوكيل في القسمة وعلى كون القاسم واحدا - ثم مضى حتى اذا كانت بالإثابة بين الرويثة والعرج^(٣) إذا ظني حاقف^(٤) في ظل شجرة فيه سهم فأمر رجلا أن يقف عنده لا يريه أحد من الناس حتى يجاوزوا ، والفرق بين قصة الظبي وقصة الحمار أن الذى صاد الحمار كان حلالا فلم يمنع من أكله وهذا لم يعلم أنه حلال وهم محرمون فلم يأذن لهم في أكله ، ووكل

(١) الروحاء موضع بين مكة والمدينة على ثلاثين أو ستة وثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

(٢) معقورا مضروبا . (٣) الإثابة موضع بين الحرمين فيه مسجد نبوي أو بئر دون العرج عليها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم (القاموس المحيط) وهى بالياء مائة الهمة وقال فى معجم ياقوت : هى موضع فى طريق الجحفة بينه وبين المدينة تحسب عشرة فرسحا (٥ ٤ ميلا) والعرج : قرية جامعة من أعمال الفرع على أيام من المدينة (نهاية) قال ياقوت : بينها وبين المدينة مائة وسبعون ميلا ، والرويثة بالتصغير : موضع على ليلة من المدينة ، وقال ابن السكيت : الرويثة معنى بين العرج والروحاء .

(٤) رايض فى جحف من الرمل وهو المروج منه .

من يقف عنده لثلا يأخذه أحد حتى يجاوزوا، وفيه دليل على أن قتل المحرم للمصيد يجهله بمنزلة الميتة في عدم الحل إذ لو كان حلالا لم تضع ماليته بل كان للحلال أن ينتفع به ، ثم سار حتى إذا نزل بالعرج وكانت زاملته وزاملة أبي بكر واحدة وكانت مع غلام لأبي بكر ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى جانبه وعائشة إلى جانبه الآخر وأسماء أختها إلى جانب أبيها ، وأبو بكر ينتظر الغلام والزاملة إذ طلع الغلام ليس معه البعير فقال أين بعيرك؟ فقال : أضلته البارحة ، فقال أبو بكر : بعير واحد تضله قال : فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتسم ويقول انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع ، وما يزيد رسول الله على أن يقول ذلك ويتسم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالأبواء أهدى له الصعب بن جثامة عجز حمار وحشي فرده عليه فقال : إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم . فلما مرَّ بوادي عسفان^(١) قال يا أبا بكر أي واد هذا؟ قال : وادي عسفان قال : لقد مرَّ به هود وصالح على بكرين أحمرين خُطَّمهم^(٢) الليف وأزرهم العباء^(٣) وأرديتهم^(٤) الثمار يلبون يحجون البيت العتيق — ذكره الامام أحمد في المسند . فلما كان بسرف حاضت عائشة رضي الله عنها وقد كانت أهلت بعمرة ، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي قال ما يبكيك؟ لعلك نفست : قالت : نعم قال : هذا شيء قد كتبه الله على بنات آدم أفعلى ما يفعل

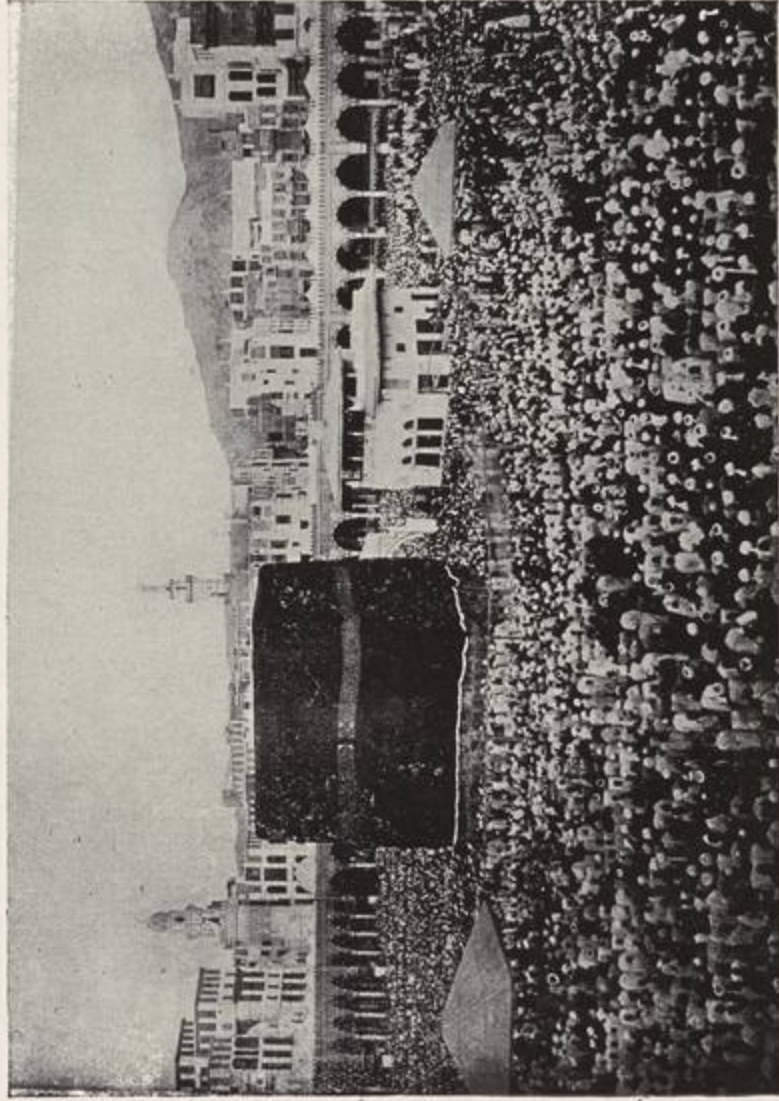
- (١) تقدّم الكلام عليه مع الاناية . (٢) الأبواء قرية بينها وبين الجحفة مايلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ورايع بينهما ، فالأبواء : جهة المدينة ، والجحفة : جهة مكة وقيل : جبل شاخ هنالك ، وفي هذا الموضع توفيت والدة الرسول صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، والأبواء قبيل رابع بقابل من جهة المدينة . (٣) عسفان منهل من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة وهي على مرحلتين من مكة أوسنة وثمانين ميلا والجحفة على ثلاث مراحل ومن عسفان إلى ملل يقال له : الساحل ، وملل على لبله من المدينة . (٤) الخطام : كل ما يوضع في أنف البعير ليقناده بالجمع خُطْم . (٥) العباء : ضرب من الأكسية واحدة عباءة وعباية . (٦) الثمار جمع تمرّة وهي كل شملة نخططة كأنها أخذت من لون الثمر لما فيها من السواد والياض . (٧) موضع على عشرة أميال من مكة وقيل : أقل وقيل : أكثر وفيه تزوج النبي صلى الله عليه وسلم مبيونة بنت الحارث .

الحاج غير أن لا تطوف بالبيت . وقد جاء في صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : أهلت عائشة بعمره حتى اذا كانت بسرف عركت (حاضت) ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة فوجدها تبكي فقال ما شأنك ؟ قالت : شأنى أنى قد حضت وقد أحل الناس ولم أحل ولم أطف بالبيت والناس يذهبون الى الحج الآن ، فقال : إن هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم فأغتسلي ثم أهلى بالحج ففعلت ووقفت المواقف كلها حتى إذا طهرت طافت بالكعبة وبالصفاء والمروة ثم قال قد حالت من ححك وعمرتك قالت يارسول الله ! إني أجد في نفسى أنى لم أطف بالبيت حتى حججت قال : فاذهب بها يا عبد الرحمن فأعمرها من التمتع . وقد تنازع العلماء فى قصة عائشة هل كانت متمتعة أو مفردة والصواب أنها كانت متمتعة محرمة بالعمرة فقط وإذا كانت متمتعة فهل رفضت عمرتها وانتقلت الى الأفراد بالحج أو أدخلت عليها الحج وصارت قارئة بإدخاله عليها والصواب الثانى ، وهل العمرة التى أنت بها من التمتع كانت واجبة أو لا ؟ والصحيح أنها كانت نافلة تطيبا لقلبها وجبرا لها وإلا فطوافها وسعيها وقع عن حجها وعمرتها وكانت متمتعة ثم أدخلت الحج على العمرة فصارت قارئة ، واختلفوا هل كان طهرها يوم عرفة أو يوم النحر . وحديث عائشة السابق يؤخذ منه أصول عظيمة من أصول المناسك : (١) اكتفاء القارن بطواف واحد وسعى واحد ؛ (٢) سقوط طواف القدوم عن الحائض ، كما أن حديث صفة أصل فى سقوط طواف الوداع عنها ؛ (٣) أن إدخال الحج على العمرة جائز كما يجوز للظاهر وأولى المعذورة لأنها محتاجة الى ذلك ؛ (٤) أن الحائض تفعل أفعال الحج كلها إلا أنها لا تطوف بالبيت ؛ (٥) أن التمتع من الحل ؛ (٦) جواز عمرتين فى سنة واحدة بل فى شهر واحد ؛ (٧) أن المشروع فى حق المتمتع إذا خاف الفوات أن يدخل الحج على العمرة وحديث عائشة أصل فيه ؛ (٨) أنه أصل فى العمرة المكية وليس مع من يستحبها غيره ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمر هو ولا أحد ممن حج معه من مكة خارجا منها إلا عائشة وحدها ، بفعل أصحاب العمرة المكية قصة عائشة أصلا

(١) وذلك الدخول بعد أن وصل صلى الله عليه وسلم الى مكة . (٢) أنظر ص ٩٤

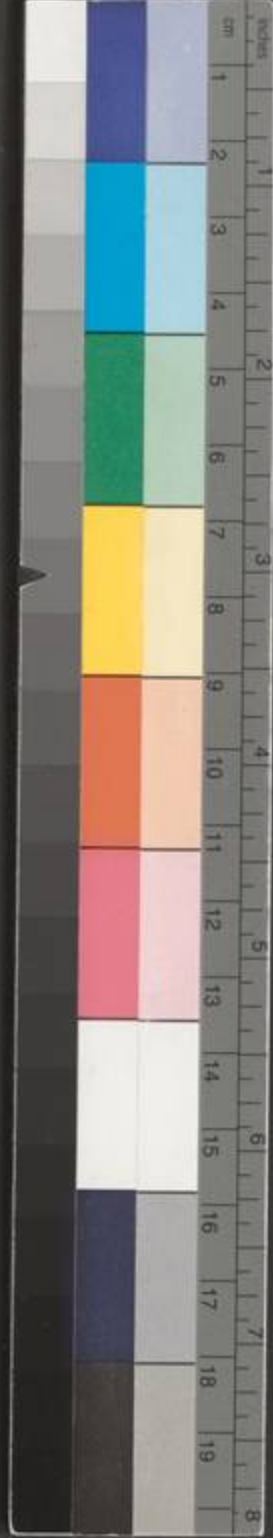
3

صلاة الجمعة بالحرم المكي في الحجة ١٣٢٥ هـ



حقوق الطبع والنشر محفوظة لأم اسعد اللؤلؤة ابراهيم فؤاد امير شيخ الكعبة في مكة المكرمة ١٣٢٥ هـ

58. Pilgrims round El-Kaaba performing the Friday Prays.



لقولهم ولا دلالة لهم فيها فإن عمرتها إما أن تكون قضاء للعمرة المفروضة عند من يقول : إنها رفضتها فهي واجبة قضاء لها أو تكون زيادة محضة وتطيبا لقلبها عند من يقول : إنها كانت قارنة وإن طوافها وسعيها أجزأها عن حجها وعمرتها . ولنعد الى سياق حجه صلى الله عليه وسلم .

فلما كان يسيرف قال لأصحابه : من لم يكن معه هدى فأحب أن يجعلها عمرة فيلعل ومن كان معه هدى فلا ، وهذه رتبة أخرى فوق رتبة التخيير عند الميقات ، فلما كان بمكة أمر أمرا حتما من لا هدى معه أن يجعلها عمرة ويحل من إحرامه ومن معه هدى أن يقيم على إحرامه ولم ينسخ ذلك شيء البتة ، بل سأله سراقه بن مالك عن هذه العمرة التي أمرهم بالفسخ إليها هل هي لعامهم ذلك أو للأبد ؟ قال : بل للأبد ، وإن العمرة قد دخلت في الحج إلى يوم القيامة وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم الأمر بفسخ الحج إلى العمرة أربعة عشر صحابيا وأحاديثهم كلها صحاح (انظر الأحاديث وأعدار المخالفين والرد عليها في زاد المعاد من ص ٢٠٩ الى ٢٢٥ ج ١) . ثم نهض صلى الله عليه وسلم إلى أن نزل بذي طوى^(١) وهي المعروفة الآن بآبار الزاهر فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذي الحجة وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض إلى مكة فدخلها من أعلاها من الثنية^(٢) العليا التي تشرف على الحجون^(٣) ، وكان في العمرة يدخل من أسفلها ، وفي الحج دخل من أعلاها وخرج من أسفلها ثم سار حتى دخل المسجد وذلك ضحى ، وذكر الطبراني أنه دخله من باب بنى عبسد مناف الذي يسميه الناس اليوم باب بنى شيبه^(٤) أو باب السلام ثم استقبل البيت ودعا ، وذكر الطبراني : أنه كان إذا نظر إلى البيت قال : اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وروى عنه أنه كان عند رؤيته يرفع يديه ويكبر ويقول : اللهم أنت السلام

(١) ذو طوى : موضع غربى مكة على مقربة منها . (٢) الثنية في الجبل : كل عقبة مسلوكة

أو هو الطريق العالى فيه . (٣) الحجون : جبل بأعلى مكة مشرف على مقبرتها وتسمى المقبرة : الحجون .

(٤) انظر صورته شرق الكعبة في (الرسم ٥٨) .

ومنك السلام حيناً ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً وزد من حجه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبراً وهو مرسل^(١)، ولكن سمع هذا سعيد ابن المسيب من عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقوله . فلما دخل المسجد عمداً الى البيت (انظر رسمه في الشكل ٥٨) ولم يركع تحية المسجد فان تحية المسجد الحرام الطواف . فلما حاذى الحجر الأسود^(٢) (ترى في الرسم ٥٩ الحجاج وقد تراحموا على تقبيله) استلمه ولم يزاحم عليه ولم يتقدم عنه الى جهة الركن^(٣) اليماني ولم يرفع يديه ولم يقل : نويت بطوافي هذا الأسبوع كذا وكذا ولا أفتحه بالتكبير كما يكبر للصلاة كما يفعله من لا علم عنده بل هو من البدع المنكرات ولا حاذى الحجر الأسود بجميع بدنه ثم أنفتل عنه وجعله على شقه بل أستقبله وأستلمه ثم أخذ عن يمينه وجعل البيت عن يساره ولم يعرف عنه عند الباب^(٤) ولا تحت الميزاب^(٥) ولا عند ظهر الكعبة وأركانها ولا وقت الطواف ذكر معين لا يفعله ولا بتعليمه بل حفظ عنه بين الركنين (ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)^(٦) . ورمل في طوافه هذا ثلاثة الأشواط الأول وكان يسرع مشيه ويقارب بين خطاه وأضطجع بردائه بفعله على أحد كتفيه وأبدى كتفه الآخر ومنكبه ، وكما حاذى الحجر الأسود أشار اليه وأستلمه بمحجنه وقبل المحجن ، والمحجن : عصا منحنية الرأس ، وثبت عنه أنه أستلم الركن اليماني ولم يثبت عنه أنه قبله ولا قبل يده عند استلامه ولكن ثبت عنه أنه قبل الحجر الأسود وثبت عنه أنه أستلمه بيده فوضع يده عليه ثم قبلها وثبت عنه أنه أستلمه بمحجن فهذه ثلاث صفات ، وروى عنه أيضاً : أنه وضع شفتيه عليه طويلاً يبيكى . وذكر الطبراني عنه بإسناد جيد أنه كان إذا أستلم الركن اليماني قال : بسم الله

(١) الحديث المرسل ما سقط من سنده — رواه — الصحابي .

(٢) في زاوية الكعبة الجنوبية الشرقية وسبأني مزيد شرحه .

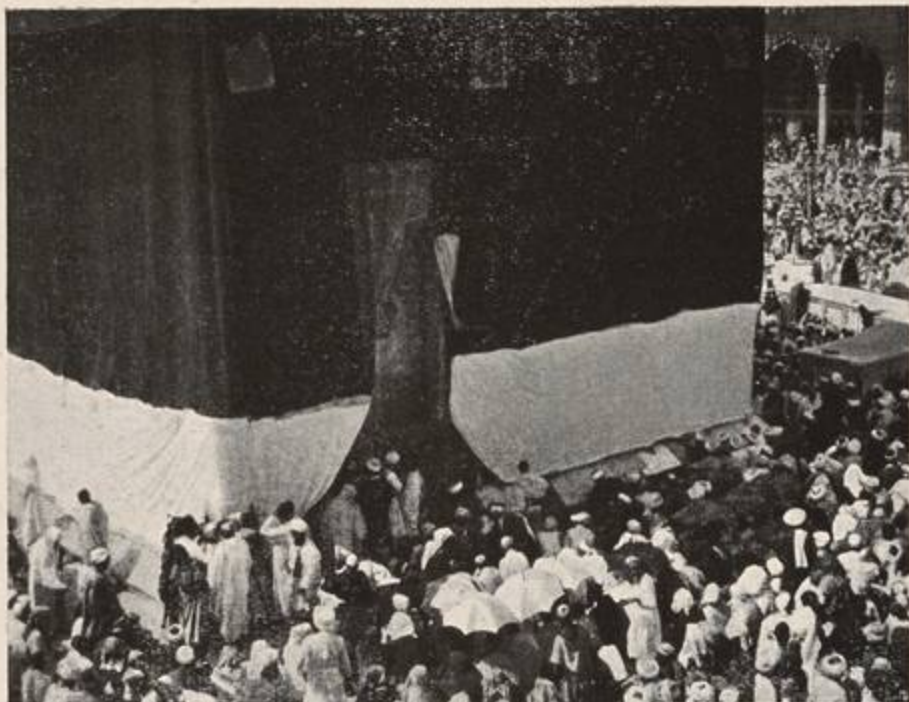
(٣) هو الركن الذي في الجهة الجنوبية الغربية .

(٤) الباب في الجهة الشرقية (انظره عليه الشارة في الرسم ٥٩) .

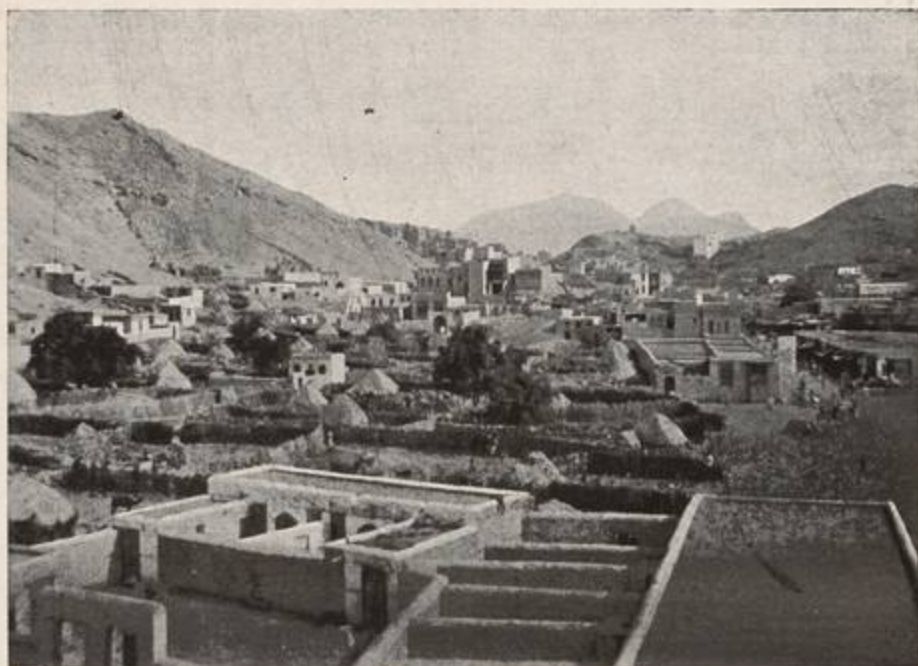
(٥) الميزاب : ما يسيل منه الماء الذي يتجمع على سطح الكعبة وسبأني شرحه .

(٦) الرَّمْلُ : الاسراع في المشي مع تقارب الخطا .

الحجّاج حول الكعبة المشرفة وتقبيلهم للحجر الاسود



59. Pilgrims round the Kaaba kissing the "Black Stone."

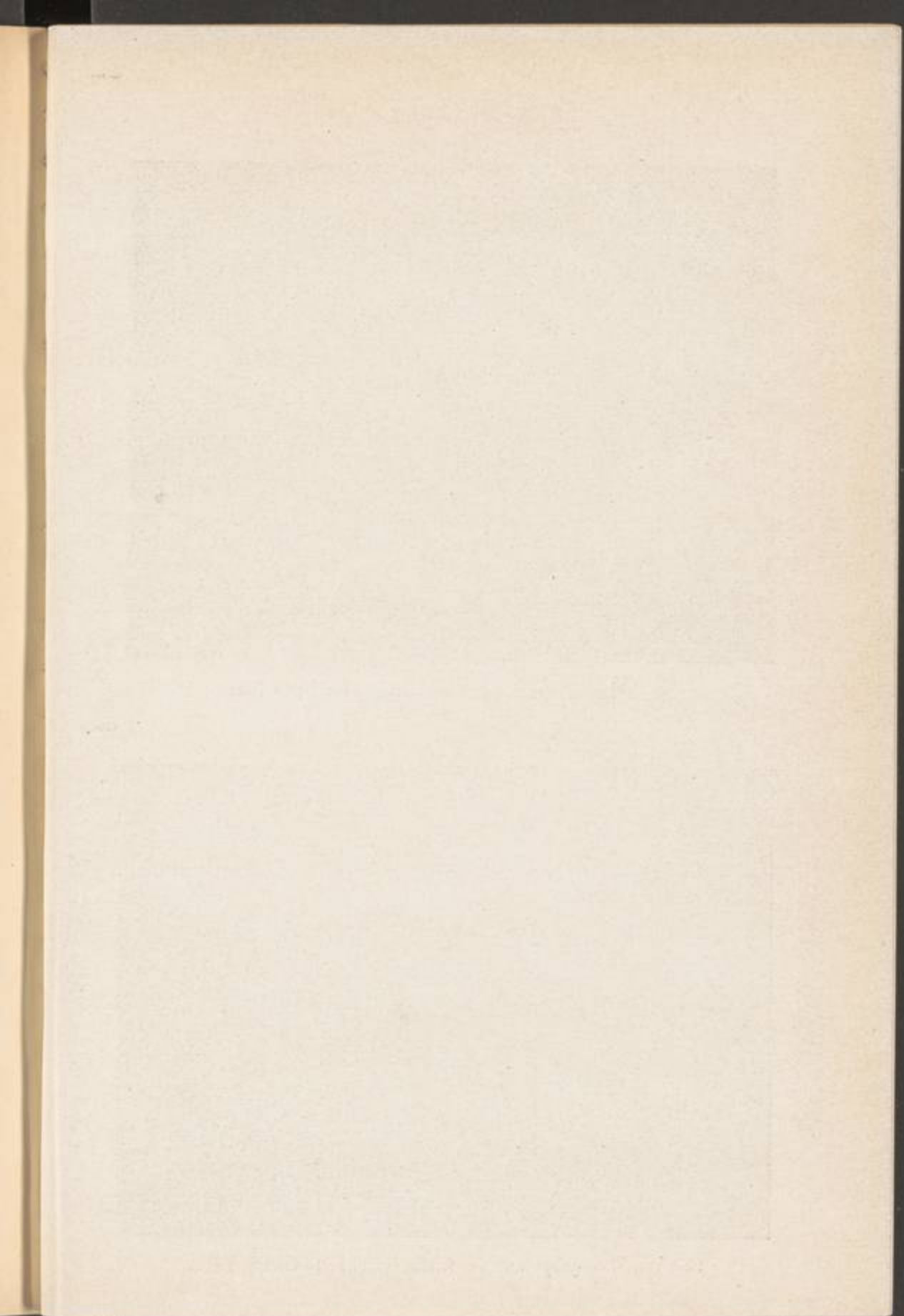


61. The Water-gauge and the Kaaba Mountain at Garwal, Mecca.

الحجّاج حول الكعبة المشرفة وتقبيلهم للحجر الاسود

الحجّاج حول الكعبة المشرفة وتقبيلهم للحجر الاسود

الحجّاج حول الكعبة المشرفة وتقبيلهم للحجر الاسود



والله أكبر، وكان كلما أتى على الحجر الأسود قال: الله أكبر، وروى عن عمر أنه قبل الحجر وسجد عليه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك. وروى عن ابن عباس أنه قبل الركن اليماني ثم سجد عليه ثم قبله ثم سجد عليه ثلاث مرات. ولم يستلم صلى الله عليه وسلم ولم يمس من الأركان إلا اليمينين فقط. فلما فرغ من طوافه جاء إلى خلف المقام فقرأ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فضلى ركعتين، والمقام بينه وبين البيت قرأ فيهما بعد الفاتحة بسورتي الإخلاص، فلما فرغ من صلاته أقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم خرج إلى الصفا من الباب الذي يقابله، فلما قرب منه قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أبدأ بما بدأ الله به، وفي رواية أبدءوا على الأمر ثم رقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك وقال مثل هذا ثلاث مرات، وقام ابن مسعود على الصدع وهو الشق الذي في الصفا فقيل له: ها هنا يا أبا عبد الرحمن قال: هذا والذي لا إله غيره مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة — ذكره البيهقي — ثم نزل إلى المروة يمشي فلما أنصبت قدماء في بطن الوادي سعى حتى إذا جاوز الوادي وأصعد مشى — هذا الذي صح عنه في ذلك اليوم — قبل الميلين الأخضرين في أول السعي وآخره، والظاهر أن الوادي لم يتغير عن وضعه. هكذا قال جابر عنه في صحيح مسلم، وظاهر هذا أنه كان ماشياً، وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن الزبير أنه سمع جابرين عبد الله يقول: طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبين الصفا والمروة ليراه الناس وليشرف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافاً واحداً^(١)، قال ابن حزم:

(١) الحجر الذي قام عليه إبراهيم وهو بين الكعبة وسيأتي الكلام عليه.

(٢) الصفا: مكان عال في أصل جبل أبي قيس جنوبي المسجد الحرام على مقربة من بابه المسمى

باب الصفا وهو أشبه بالمصلى طوله ٦ أمتار وعرضه ثلاثة وسبعمائة ومثله.

(٣) فلم يسعوا بعد طواف الافاضة.

لا تعارض بينهما لأن الراكب إذا أنصب به بعيره فقد أنصب كله وأنصبت قدماه أيضا مع سائر جسده، قال ابن القيم: وعندى وجه آخر للجمع بينهما أحسن من هذا وهو أنه سعى ماشيا أولا ثم أتم سعيه راكبا، وقد جاء ذلك مصرحا به، ففي صحيح مسلم عن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس أخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا أسنة هو؟ فإن قومك يزعمون أنه سنة قال: صدقوا وكذبوا قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون: هذا مجد حتى نخرج عليه العواتق من البيوت قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه فلما كثر عليه ركب والمشى أفضل. وأما طوافه بالبيت عند قدومه فأختلف فيه هل كان على قدميه أو كان راكبا؟ والصحيح أنه طافه على قدميه لأنه ثبت عنه الرَّمْل فيه وهو إنما يكون من المشى، وأن الركوب كان في طواف الإفاضة. وكان صلى الله عليه وسلم إذا وصل إلى المروة رقى عليها وأستقبل البيت وكبر الله وحده وفعل كما فعل على الصفا، فلما أكمل سعيه عند المروة أمر كل من لاهدى معه أن يحل حتما ولا بد قارنا كان أم مفردا، وأمرهم أن يحلوا الحل كله من وطء النساء والطيب ولبس المخيط وأن يتقوا كذلك إلى يوم التروية، ولم يحل هو من أجل هديه وهناك قال: لو أستقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى وبلعتها عمرة، وهناك دعا للحلقين بالمغفرة ثلاثا وللقصرين مرة، وهناك سأله سُراقَة بن مالك بن جُعْشَم عقيب أمره لم يفسخ والإحلال هل ذلك لعامهم خاصة أو للأبد؟ فقال: بل للأبد ولم يحل أبو بكر ولا عمر ولا علي ولا طلحة ولا الزبير من أجل الهدى، وأما نسائه صلى الله عليه وسلم فأحلان وكن قارنات إلا عائشة فانها لم تحل من أجل تعذر الحل عليها بحيضها، وفاطمة حلت لأنه لم يكن معها هدى، وعلى رضى الله عنه لم يحل من أجل هديه، وأمر من أهل بإهلال كإهلاله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على إحرامه إن كان معه هدى وأن يحل إن لم يكن معه هدى، وكان يصلى مدة مقامه بمكة إلى يوم التروية^(٢) بمنزله الذى هو

(١) المروة: مكان مرتفع في أصل جبل قبة عمان في الشمال الشرقى للسجد الحرام على بعد منه وتحيط به

الآن ثلاثة جدر في الشمال والشرق والغرب. (٢) ثامن ذى الحجة وكانوا يعدون فيه الماء للسفر إلى عرفة.

نازل فيه بالمسلمين بظاهر مكة، فأقام بظاهر مكة أربعة أيام يقصر الصلاة يوم الأحد والاثني والثلاثاء والأربعاء، فلما كان يوم الخميس ضحى توجه بمن معه من المسلمين الى منى^(١) فأحرم بالحج من كان أحل منهم من رجالهم ولم يدخلوا الى المسجد فأحرموا منه بل أحرموا ومكة خلف ظهورهم، فلما وصل الى منى نزل بها وصلى بها الظهر والعصر وبات بها وكان ليلة الجمعة فلما طلعت الشمس سار منها الى عرفة وأخذ على طريق ضب^(٢) على يمين طريق الناس اليوم وكان من أصحابه الملبى ومنهم المكبر وهو يسمع ذلك ولا ينكر على هؤلاء ولا على هؤلاء، فوجد القبة قد ضربت له بئمة بأمره وهي قرية شرق عرفات وهي خراب اليوم فتزل بها حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصوى فرحلت^(٣)، ثم سار حتى أتى بطن الوادى من أرض عرنة^(٤) فخطب الناس وهو على راحلته خطبة عظيمة قزر فيها قواعد الإسلام وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية وقزر فيها تحريم المحرمات التي آتفتت الملل على تحريمها وهي الدماء والأموال والأعراض ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه ووضع فيها ربا الجاهلية كله وأبطله وأوصاهم بالنساء خيرا وذكر الحق الذي لهن وعليهن وإن الواجب لهن الرزق والكسوة بالمعروف ولم يقدر ذلك بتقديره وأباح للأزواج ضربهن إذا أدخلن الى بيوتهن من يكرهه أزواجهن، وأوصى الأمة فيها بالاعتصام بكتاب الله وأخبر أنهم لن يضلوا ماداموا معتصمين به ثم أخبرهم أنهم مسئولون عنه وأستنطقهم بماذا يقولون وبماذا يشهدون فقالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فرفع

(١) منى: هو موضع في شرق مكة على مسيرة ساعتين وخمس وأربعين دقيقة منها وفيها الجمرات وسبأى وصفها ورسمها في حرية مشاعر الحج.

(٢) ضب: أسم الجبل الذى فى أصله مسجد الخيف وطريق ضب يتدى من أول المازمين على يمين المييم عرفة وهو أخصر من طريق المازمين. (٣) لم تزل التواريخ التى بأيدينا أنها قرية.

(٤) لقب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم والقصواء فى الأصل الناقة التى قطع طرف أذنها لكن لم تك ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك.

(٥) وضع عليها الرحل — تقدم تفسيره.

(٦) عرنة: واد بين المزدلفة وعرفة وطوله نحو ١٥٠٠ متر.

أصبغه الى السماء وأستشهد الله عليهم ثلاث مرات وأمرهم أن يبلغ شاهدتهم غائبهم ، وسيأتي نص الخطبة في الكلام على حج الجاهلية ، فلما أمر بلالا فأذن ثم أقام الصلاة فصلى الظهر ركعتين أسرّ فيهما بالقراءة وكان يوم الجمعة فدل على أن المسافر لا يصلي جمعة ، ثم أقام فصلى العصر ركعتين أيضا ومعه أهل مكة وصلوا بصلاته قصرا وجما بلا ريب ، ولم يأمرهم بالإتمام ولا بترك الجمع ومن قال : إنه قال لهم : أتموا صلاتكم فإننا قوم سفر فقد غلط فيه غلطا بينا وهم وهما قبيحا وإنما قال لهم ذلك في غزاة الفتح بجوف مكة حيث كانوا في ديارهم مقيمين ولهذا كان أصح أقوال العلماء : أن أهل مكة يقصرون ويجمعون بعرفة كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا أوضح دليل على أن سفر القصر لا يتحدّد بمسافة معلومة ولا بأيام معلومة ولا تأثير للنسك في قصر الصلاة البتة ، وإنما التأثير لما جعله الله سببا وهو السفر هذا مقتضى السنة ولا وجه لما ذهب اليه المحتدون . فلما فرغ من صلاته ركب حتى أتى الموقف فوقف في ذيل الجبل عند الصخرات^(١) واستقبل القبلة وجعل جبل المشاة بين يديه وكان على بعيره فأخذ في الدعاء والتضرع والأتبها الى غروب الشمس ، وأمر الناس أن يرفعوا عن بطن عرنة وأخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك بل قال : وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف وأرسل الى الناس أن يكونوا على مشاعرهم^(٢) ويقفوا بها فإنها من إرث أبيهم إبراهيم . وكذلك هناك أقبل ناس من أهل نجد فسألوه عن الحج فقال : الحج يوم عرفة من أدرك قبل صلاة الصبح فقد أدرك الحج .

أيام منى ثلاثة أيام التشريق ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ وكان في دعائه رافعا يده الى صدره كاستطعام المسكين وأخبرهم أن خير الدعاء دعاء يوم عرفة وذكر من دعائه صلى الله عليه وسلم في الموقف : اللهم : لك الحمد كالذي نقول وخيرا مما نقول اللهم : لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي

(١) انظر : رسم جبل عرفات .

(٢) جمع مشعر وهو موضع الشعيرة وهي كل ما جعل عليها لطاعة الله تعالى .

ولك ربّي ترائي اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر
 اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح — ذكره الترمذى — ومما ذكر من
 دعائه هناك : اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سرى وعلايتي ولا يخفى
 عليك شيء من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث المستجير والوجل المشفق المقر
 المعترف بذنوبي أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك أبتهل المذنب الذليل وأدعوك
 دعاء الخائف الضريع من خضعت لك رقبتُه وفاضت لك عيناه وذلل جسده
 وريغم أنفه لك ، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رءوفا رحيا يا خير
 المسئولين ويا خير المعطين — ذكره الطبراني — وذكر الامام أحمد من حديث
 عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
 يوم عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على
 كل شيء قدير ، وذكر البيهقي من حديث علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم
 قال أكثر دعائي ودعاء الأنبياء من قبلي بعرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له
 له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في قلبي نورا وفي صدري نورا
 وفي سمعي نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأعوذ بك
 من وسواس الصدر وشتات الأمر وقتنة القبر اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج
 في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوائق الدهر — وأسانيد
 هذه الأدعية فيها لين — وهناك أنزلت عليه ﴿ الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
 نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ . وهناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته
 وهو محرم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتمن في ثوبيه ولا يمس
 بطيب وأن يغسل بماء وسدر ولا يغطي رأسه ولا وجهه وأخبر أن الله تعالى يبعثه يوم
 القيامة يلي . فلما غربت الشمس واستحکم غروبها بحيث ذهب الصفرة أفاض
 من عرفة وأردف أسامة بن زيد خلفه وأفاض بالسكينة وضم إليه زمام ناقته حتى أن

(١) النسك : العبادة . والمآب : المرجع . والتراث : المال الموروث .

(٢) مهلكة .

رأسه ليصيب طرف رحله وهو يقول: أيها الناس عليكم السكينة فإن البرليس بالإيضاع
 أى ليس بالإسراع، وأفاض من طريق المأزمين^(١) ودخل عرفة من طريق ضب
 وهكذا كانت عادته صلوات الله وسلامه عليه في الأعياد أن يخالف الطريق ثم جعل
 يسير العنق وهو ضرب من السير ليس بالسرير ولا البطيء فاذا وجد بخوة وهو
 المتسع نصّ سيره أى رفعه فوق ذلك وكلما أتى ربوة من تلك الربا أرخى للناقة زمامها^(٢)
 قليلا حتى تصعد وكان يلبّي في مسيره ذلك لا يقطع التلبية، فلما كان في أثناء الطريق
 نزل صلوات الله وسلامه عليه فبال وتوضأ وضوءا خفيفا فقال له أسامة: الصلاة
 يا رسول الله فقال: المصلى أمامك، ثم سار حتى أتى المزدلفة فتوضأ وضوء الصلاة ثم
 أمر المؤذن بالأذان فأذن المؤذن ثم أقام فصلى المغرب قبل حط الرحال وتبريك
 الجمال، فلما حطوا رحلهم أمر فأقيمت الصلاة ثم صلى العشاء الآخرة بإقامة بلا أذان
 ولم يصل بينهما شيئا، وقد روى أنه صلاهما بأذنين وإقامتين، وروى بإقامتين
 بلا أذان، والصحيح أنه صلاهما بأذان وإقامتين، كما فعل بعرفة ثم نام حتى أصبح
 ولم يحى تلك الليلة ولا صح عنه في إحياء ليلتي العيدين شيء، وأذن في تلك الليلة لضعفة
 أهله أن يتقدموا الى منى قبل طلوع الفجر وكان ذلك عند غيوبة القمر وأمرهم
 أن لا يرموا الجمرة حتى تطلع الشمس، فلما طلع الفجر صلاها في أول الوقت لا قبله
 قطعا بأذان وإقامة يوم النحر وهو يوم العيد وهو يوم الحج الأكبر وهو يوم الأذان
 ببراءة من الله ورسوله من كل مشرك، ثم ركب حتى أتى موقفه عندا لمشعر الحرام^(٤)
 فاستقبل القبلة وأخذ في الدعاء والتضرع والتكبير والتهليل والذكر حتى أسفر جدا
 وذلك قبل طلوع الشمس وهناك سأله عمرو بن مضرّس الطائى فقال يا رسول الله:

- (١) هو الطريق الذى يسلكه الناس اليوم وهو أطول من طريق ضب الذى فى جنوبيه على يمين
 السالك نحو عرفة . (٢) مكانا عاليا .
 (٣) المزدلفة: هو الوادى الواسع الذى بين المأزمين من جهة عرفة وبين وادى محسّر الضيق من جهة
 مكة ويمتد على طول ٣٨١٢ متر .
 (٤) المشعر الحرام فى المزدلفة على بعد ٢٥٤٨ متر من أطوا من جهة المحسر عند الجبل المعروف بقروح .

إني جئت من جبلي طي^(١) أكلت راحتي وأتعبت نفسي والله ما تركت من جبل إلا وقف عليه فهل لي من حج؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تم حجه وقضى نفيه - قال الترمذي: حديث حسن صحيح^(٢). وبهذا أحتج من ذهب إلى أن الوقوف بمزدلفة والمبيت بها ركن كعرفة. وقد وقف صلى الله عليه وسلم في موقفه وأعلم الناس أن مزدلفة كلها موقف، ثم سار من مزدلفة مردفا للفضل بن عباس وهو يلبي في مسيره وأنطلق أسامة بن زيد على رجليه في سباق قريش، وفي طريقه ذلك أمر ابن عباس أن يلتقط له حصي الجمار سبع حصيات ولم يكسرها من الجبل تلك الليلة كما يفعل من لا علم عنده ولا التقطها بالليل، فالتقط له سبع حصيات من حصي الخذف^(٣) بفعل ينفضهن في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين وإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين. وفي طريقه تلك عرضت له امرأة من خنعم جميلة فسأته عن الحج عن أيها وكان شيخا كبيرا لا يستمسك على الرحلة فأمرها أن تحج عنه وجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فوضع يده على وجهه وصرفه إلى الشق الآخر - وكان الفضل وسما - فقيل: صرف وجهه عن نظرها إليه وقيل: صرفه عن نظره إليها، والصواب أنه فعله للأمرين فإنه في القصة جعل ينظر إليها وتنظر إليه وسأله آخر هنالك عن أمه فقال: إنها عجوز كبيرة وإن حملتها لم تستمسك وإن ربطتها خشيت أن أقتلها فقال: أرايت لو كان على أمك دين أكنت قاضيه؟ قال: نعم قال: فحج عن أمك. فلما أتى بطن محسر حرك ناقته وأسرع السير وهذه كانت عادته في المواضع التي نزل فيها بأمر الله بأعدائه، فإن هنالك أصاب أصحاب

(١) أتعبتها. (٢) الحديث الذي رواه عدل تام الضبط بسند متصل غير معول ولا شاذ يقال له:

الصحیح فان لم يكن الضبط تاما يقال له: الحسن ومعنى كون الحديث حسنا صحيحا أن أحد سنده تطبيق عليه أوصاف الصحة والآخر تطبيق عليه أوصاف الحسن فإن كان له سند واحد فوصفه بالأمرين للاختلاف.

في حال رجاله أهم رجال الصحيح أم رجال الحسن؟

(٣) تسابقهم. (٤) الخذف بالحصي رميه بالأصابع.

(٥) الوادي الضيق بين منى ومزدلفة يقال له محسر.

الفيل ما قص الله علينا؛ ولذلك سمي ذلك الوادي وادي محسر لأن الفيل حَسِر فيه أى أعْيى وأنقطع عن الذهاب وكذلك فعل في سلوكة الحجر وديار ثمود فإنه تقنع بثوبه وأسرع السير، و«محسر» برزخ بين منى وبين مزدلفة لا من هذه ولا من هذه و«عُرْنَةُ» برزخ بين عرفة والمشعر الحرام فين كل مشعرين برزخ ليس منهما، فنى من الحرم وهى مشعر، ومَحْسَر من الحرم وليس بمشعر، ومزدلفة: حرم ومشعر، وعُرْنَةُ ليست مشعرا ولا حرما، وعرفة: حل ومشعر. وسلك صلى الله عليه وسلم الطريق الوسطى بين الطريقين وهى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى منى فأتى جمرة^(١) العتبة فوقف فى أسفل الوادى وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وهو على راحته فرماها رابعا بعد طلوع الشمس واحدة بعد واحدة يكبر مع كل حصاة، وحينئذ قطع التلبية، وكان فى مسيره ذلك يلبى حتى شرع فى الرمى، ورمى وبلال وأسامة معه أحدهما أخذ بخطام ناقته والآخر يظله بثوب من الحر، وفى هذا دليل على جواز استظلال المحرم بالحمل ونحوه إن كانت قصة هذا الإطلال فى يوم النحر ثابتة وإن كانت بعده فى أيام منى فلا حجة فيها وليس فى الحديث بيان أى زمن كانت والله أعلم. ثم رجع إلى منى فخطب الناس خطبة بليغة أعلمهم فيها بحرمة يوم النحر وتحريمه وفضله عند الله وحرمة مكة على جميع البلاد وأمر بالسمع والطاعة لمن قادم بكتاب الله وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه وقال: لعل لا أجد بعد عامى هذا وعلمهم مناسكهم وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم وأمر الناس أن لا يرجعوا بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض وأمر بالتبليغ عنه، وأخبر أنه رب مبلغ أوعى من سامع وقال فى خطبته: لا ينجى جان إلا على نفسه وأنزل المهاجرين عن يمين القبلة والأنصار عن يسارها والناس حولهم وفتح الله له أسماع الناس حتى سمعها أهل منى فى منازلهم وقال فى خطبته تلك: اعبدوا ربكم وصلوا بحمسكم وصوموا شهركم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا الجنة ربكم، وودع حينئذ الناس

(١) جمرة العتبة أقرب الجمار إلى مكة وهى الآن حائط من الحجر ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار فى عرض

مترين وتلها الجمرة الوسطى فالأولى.

فقالوا : حجة الوداع ، وهناك سئل عن حلق قبل أن يرمى . فقال : لا حرج قال عبد الله بن عمر : ما رأيته سئل صلى الله عليه وسلم يومئذ عن شيء إلا قال : افعلوا ولا حرج ، قال ابن عباس إنه قيل له صلى الله عليه وسلم في الذبح والحلق والرمي والتقديم والتأخير قال : لا حرج ، وقال أسامة بن شريك : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حاجا وكان الناس يأتونه فمن قائل يا رسول الله ! سعيت قبل أن أطوف أو أنحرت شيئا وقدمت فكان يقول : لا حرج لا حرج إلا على رجل اعترض عرض رجل مسلم وهو ظالم فذلك الذي حرج وهلك وقوله : سعيت قبل أن أطوف في هذا الحديث ليس بمحفوظ ، والمحفوظ : تقديم الرمي والنحر والحلق بعضها على بعض ثم انصرف إلى المنحرج بمنى فنحرت ثلاثا وستين بدنة بيده وكان ينحرها قائمة معقولة يدها اليسرى ، وكان عدد هذا الذي نحره عدد سني عمره ثم أمسك ، وأمر عليا أن ينحر ما بقي من المائة ثم أمر عليا رضي الله عنه أن يتصدق ببجلائها^(١) ولحومها وجلودها في المساكين وأمره أن لا يعطى الجزار في جزارته شيئا منها وقال : نحن نعطيه من عندنا وقال : من شاء اقتطع . وقد نحى صلى الله عليه وسلم بمنحرجه بمنى وأعلمهم أن منى كلها منحرج وأن بجاج مكة طريق ومنحرج ، وفي هذا دليل على أن النحر لا يختص بمنى بل حيث نحر من بجاج مكة أجزأه كما أنه لما وقف بعرفة قال وقمت هاهنا وعرفة كلها موقف ، ولما وقف بمزدلفة قال : وقفت هاهنا ومزدلفة كلها موقف . وسئل صلى الله عليه وسلم أن يبني له بناء يظله من الحر؟ فقال : لا ، منى مناخ لمن سبق إليه ، وفي هذا دليل على اشتراك المسلمين فيها وأن من سبق إلى مكان فهو أحق به حتى يرتحل عنه ولا يملكه بذلك .

فلما أكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحره استدعى بالحلاق فحلق رأسه فقال للحلاق وهو معمر بن عبد الله وهو قائم على رأسه بالموسى ونظر في وجهه وقال يا معمر ! أمكنك رسول الله صلى الله عليه وسلم من شحمة أذنه وفي يدك الموسى فقال معمر : أما والله يا رسول الله إن ذلك لمن نعمة الله علىّ ومنه قال : أجل وقال صلى الله عليه

(١) الجلال جمع جبل وهو كساء بوضع على ظهور الأبل . (٢) نم .

وسلم للحلاق : خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ، فلما فرغ منه قسم شعره بين من يليه ثم أشار إلى الحلاق فحلق جانبه الأيسر ثم قال : ها هنا أبو طلحة فدفعه إليه ، هكذا وقع في صحيح مسلم ، وقد دعا صلى الله عليه وسلم للحلقين بالمغفرة ثلاثا وللقصرين مرة ، وحلق كثير من الصحابة بل أكثرهم وقصر بعضهم وهذا مع قوله تعالى : ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ ومع قول عائشة رضي الله عنها طابت رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه قبل أن يحرم وإلحاله قبل أن يحل دليل على أن الحلق نسك وليس بإطلاق من محظورات الإحرام .

ثم أفاض صلى الله عليه وسلم إلى مكة قبل الظهر راكبا فطاف طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة وهو طواف الصدر ولم يطف غيره ولم يسع معه هذا هو الصواب ، وقد خالف في ذلك ثلاث طوائف - طائفة زعمت أنه طاف طوافين طوفا للقدوم سوى طواف الإفاضة ثم طاف للإفاضة ، وطائفة زعمت أنه سعى مع هذا الطواف لكونه قارنا ، وطائفة زعمت أنه لم يطف في ذلك اليوم وإنما أخر طواف الزيارة إلى الليل (وقد بين ابن القيم منشأ هذه الأقوال وخطأها في كتابه زاد المعاد من ص ٢٣٩ إلى ٢٤٢) ولم يرمل صلى الله عليه وسلم في هذا الطواف ولا في طواف الوداع وإنما رمل في طواف القدوم ، ثم أتى زمزم بعد أن قضى طوافه وهم يسقون فقال : لولا أن يغلبكم الناس لتزلت فسقيت معكم ثم ناولوه الدلو فشرب وهو قائم فقيل : هذا نسخ لنيه عن الشرب قائما وقيل : بل بيان منه لأن النهي على وجه الاختيار وترك الأولى وقيل : بل للحاجة وهذا أظهر . وهل كان في طوافه هذا راكبا أو ماشيا؟ . وأختلف أين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ؟ ففي الصحيحين عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمكة ، وفي صحيح مسلم عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة وكذلك قالت عائشة : وقد رجح جماعة قول عائشة وجابر ورجح آخرون قول ابن عمر (انظر وجوه الترجيح زاد المعاد أول ص ٢٤٣) وقد طافت عائشة في ذلك اليوم طوفا واحدا وسعت سعيها واحدا أجزأها عن حجها وعمرتها ، وطافت صفية ذلك اليوم ثم حاضت فأجزأها طوافها ذلك عن طواف الوداع ولم

تودع فاستقرت سنته صلى الله عليه وسلم في المرأة الطاهرة إذا حاضت قبل الطواف أن تقرن وتكتفى بطواف واحد وسعى واحد، وإن حاضت بعد طواف الإفاضة آجرتأت به عن طواف الوداع . ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى من يومه ذلك فبات بها فلما أصبح أنتظر زوال الشمس ، فلما زالت مشى من رحله الى الجمار ولم يركب فبدأ بالجمرة الأولى التي تلى مسجد الخيف فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة يقول مع كل حصاة الله أكبر ثم يقدم على الجمرة أمامها حتى أسهل فقام مستقبل القبلة ثم رفع يديه ودعا دعاء طويلا بقدر سورة البقرة ثم أتى الى الجمرة الوسطى فرماها كذلك ثم انحدر ذات اليسار مما يلي الوادى فوقف مستقبل القبلة رافعا يديه يدعو قريبا من وقوفه الأول ثم أتى الجمرة الثالثة وهى جمرة العقبة فاستبطن الوادى وأستعرض الجمرة فجعل البيت عن يساره ومعنى عن يمينه فرماها بسبع حصيات كذلك ولم يرمها من أعلاها كما يفعل الجهال ولا جعلها عن يمينه ، وأستقبل البيت وقت الرمي كما ذكره غير واحد من الفقهاء ، فلما أكمل الرمي رجع من فوره ولم يقف عندها فقيل : لضيق المكان بالجبل وقيل وهو أصح : إن دعاءه كان فى نفس العبادة قبل الفراغ منها فلما رمى جمرة العقبة فرغ الرمي ، والدعاء فى صلب العبادة قبل الفراغ منها أفضل منه بعد الفراغ منها . ويغلب على الظن أنه كان يرمى قبل الصلاة ثم يرجع فيصلى ، ومما تقدم تعلم أن حجة النبي صلى الله عليه وسلم تضمنت ست وقفات للدعاء ، الموقف الأول على الصفا ، والثانى على المروة ، والثالث بعرفة ، والرابع بمزدلفة ، والخامس عند الجمرة الأولى ، والسادس عند الجمرة الثانية .

وخطب صلى الله عليه وسلم الناس بمنى خطبتين خطبة يوم النحر وقد تقدمت والخطبة الثانية فى أوسط أيام التشريق فقيل : هو ثانى يوم النحر وهو أوسطها أى خيارها وأحتج لذلك بحديث سري بنت نبهان قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتدرون أى يوم هذا؟ قالت : وهو اليوم الذى تدعون يوم الرعوس

(١) أنظر الجمرات وصفا وربما بعد .

(٢) صار فى الارض السهلة .

قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا وسط أيام التشريق، هل تدرون أى بلد هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا المشعر الحرام. ثم قال: إني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد هذا: ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم ألا هل بلغت، فلما قدمنا المدينة لم يلبث إلا قليلا حتى مات صلى الله عليه وسلم - رواه أبو داود. ويوم الرعوس هو ثاني يوم النحر بالاتفاق. واستأذنه العباس بن عبد المطلب أن يبني بمكة ليالى منى من أجل سقايته فأذنه، واستأذنه رعاء الإبل في البيوتة خارج منى عند الإبل فأرخص لهم أن يرموا يوم النحر ثم يجمعوا رمى يومين بعد يوم النحر يرمونه في أحدهما، قال مالك: ظننت أنه قال في أول يوم منهما ثم يرمون يوم النفر؛ وقال ابن عيينة في هذا الحديث رخص للرعاء أن يرموا يوما ويدعوا يوما فيجوز للطائفتين بالسنة ترك المبيت بمنى، وأما الرمي فانهم لا يتركونه بل لهم أن يؤخروه الى الليل فيرمون فيه، ولم أن يجمعوا رمى يومين في يوم، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رخص لأهل السقاية وللرعاء في البيوتة فمن له مال يخاف ضياعه أو مريض يخاف من تخلفه عنه أو كان مريضا لا تمكنه البيوتة سقطت عنه بتنبه النص على هؤلاء. ولم يتعجل صلى الله عليه وسلم في يومين بل تأخر حتى أكل رمى أيام التشريق الثلاثة وأفاض يوم الثلاثاء بعد الظهر الى المحصب وهو الأبطح وهو خيف بنى كنانة فوجد أبا رافع قد ضرب فيه قبته هنالك وكان على ثقله توفيقا من الله عز وجل دون أن يأمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء وورقد رقدة ثم نهض الى مكة فطاف للوداع ليلا سحرا ولم يرمل في هذا الطواف وأخبرته صفية أنها حائض فقال أحابستنا هي؟ فقالوا له: إنها قد أفاضت قال: فلتنفر اذا، ورغبت اليه عائشة تلك الليلة أن يعمرها عمرة مفردة. فأخبرها أن طوافها بالبيت وبالصفى والمرورة قد أجزأها عن حجها وعمرتها فأبت.

(١) المحصب هو الوادي الذي بين المعلاة من جهة مكة وبين المكان المعروف بسبيل الست من جهة منى.

(٢) النقل متاع المسافر وحشمه.

إلا أن تعتمر عمرة مفردة فأمر أخاها أن يعمرها من التعميم ، ففرغت من عمرتها ليلا ثم وافت المحصَّب مع أخيها فأتيا في جوف الليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغتما؟ قالت : نعم ، فنادى بالرحيل في أصحابه فارتحل الناس ثم طاف بالبيت قبل صلاة الصبح ، وقد اختلف في التحصيب أسنة هو أو منزل اتفاق على قولين - وهاهنا ثلاث مسائل هل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت في حجته أم لا؟ وهل وقف بالمتَّرم أو لا؟ وهل صلى الصبح ليلة الوداع بمكة أو خارجا عنها؟ والذي تدل عليه سنته أنه لم يدخل البيت في حجته ولا في عمرته وإنما دخله عام الفتح وأنه لم يقف بالمتَّرم إلا عام الفتح وانه صلى صلاة الصبح بمكة عند البيت ، وسمعه أم سامة يقرأ فيها بالطور .

ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة ، فلما كان بالروحاء لقي رجلا فسلم عليهم وقال من القوم؟ فقالوا : المسامون فمن القوم؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفعت امرأة صبيا لها من محفة^(١) فقالت يا رسول الله! ألهذا حج؟ قال : نعم ولك أجر ، فلما أتى ذا الخليفة بات بها ، فلما رأى المدينة كبر ثلاث مرات وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آتون ثابتون عابدون ساجدون لرَبنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دخلها نهارا من طريق المعرس^(٢) وخرج من طريق الشجرة^(٣) .

هديه صلى الله عليه وسلم في الهدايا : أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنم وأهدى الإبل وأهدى عن نسانه البقر وأهدى في مقامه وفي عمرته وفي حجته

(١) الحففة : مركب من مراكب النساء كالهودج إلا انها لا تقبب كما تقبب الهودج .

(٢) التعريس نزول المسافر آخر الليل نزهة للاستراحة والنوم ، والمعرس موضع التعريس وبه سمى معرَّش

ذي الخليفة الذي عرَّس به النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) المراد بالشجرة الشجرة التي ولدت عندها أسماءُ بذي الخليفة وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينزلها

من المدينة ويحرم منها وهي على ستة أميال من المدينة .

وكانت سنته تقليد الغنم دون إشعارها ، وكان إذا بعث بهديه وهو مقيم لم يحرم عليه شيء كان منه حلالا ، وكان إذا أهدى الإبل قلدها وأشعرها فيشق صفحة سنامها اليمنى يسيرا حتى يسيل منها الدم ، قال الشافعي رضي الله عنه : والإشعار في الصفحة اليمنى ، كذلك أشعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا بعث بهديه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أشرف على عطف شيء منه أن ينحره ثم يصبغ نعله في دمه ثم يجعله على صفحته ولا يأكل منه هو ولا أحد من رفقته ثم يقسم لحمه ، ومنعه من هذا الأكل سدا للذريعة فإنه لعله ربما قصر في حفظه ليشارف العطب فينحره ويأكل منه فإذا علم أنه لا يأكل منه شيئا اجتهد في حفظه ، وشرك بين أصحابه في الهدى فالبلدنة عن سبع والبقرة كذلك ، وأباح لسائق الهدى ركوبه بالمعروف إذا احتاج إليه حتى يجد ظهرا غيره ، وقال علي رضي الله عنه : يشرب من لبنها ما فضل عن ولدها . وكان هديه صلى الله عليه وسلم نحر الإبل قياما مقيدة معقولة اليسرى على ثلاث وكان يسمى الله عند نحره ويكبر وكان يذبح نسكه بيده وربما وكل في بعضه كما أمر عليا رضي الله عنه أن يذبح ما بقى من المائة ، وكان إذا نحر الغنم وضع قدمه على صفايحها ثم سعى وكبر ونحر ، وقد تقدم أنه نحر بنى وقال : إن بفاج مكة كلها منحر ، وقال ابن عباس : مناحر البدن بمكة ولكنها نزهت عن الدماء ومعنى من مكة ، وكان ابن عباس ينحر بمكة . وأباح صلى الله عليه وسلم أن يأكلوا من هداياهم وضحاياهم ويتروّدوا منها ونهاهم مرة أن يذبحوا منها بعد ثلاث لداقة^(٢) دفت عليهم ذلك العام من الناس فأحب أن يوسعوا عليهم . وروى مسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع لثوبان : أصلح هذا اللحم قال : فأصلحته فلم يزل يأكل منه حتى بلغ المدينة ، وكان ربما قسم لحوم الهدى وربما قال : من شاء اقتطع فعل هذا وفعل هذا ، وكان من هديه صلى الله عليه وسلم ذبح هدى العمرة عند المروة وهدى القران بنى وكذلك كان ابن عمر يفعل . ولم ينحر هديه صلى الله عليه وسلم قط إلا بعد أن

(١) وضع فلادة في عنقها ليعلم أنها هدى والإشعار: الضرب في صفحة السنام حتى يسيل منها الدم وقد

تقدما . (٢) الداقة : القوم يسرون جماعة سيرا ليس بالشديد يقال : هم يدفون دقا .

حل ولم ينحره قبل يوم النحر ولا أحد من الصحابة البتة، ولم ينحره أيضاً إلا بعد طلوع الشمس وبعد الرمي، فهي أربعة أمور مرتبة يوم النحر: أولها الرمي ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف وهكذا رتبها صلى الله عليه وسلم ولم يرخص في النحر قبل طلوع الشمس البتة ولا ريب أن ذلك مخالف لمسئدته فحكمه حكم الأضحية إذا ذبحت قبل طلوع الشمس فإنها لا تجزئ .

فقه المذاهب في الحج

قد رأينا أن نعتمد في نقل فقه المذاهب على ما كتبه الإمام ابن رشد (المتوفى سنة ٥٩٥) في كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» وإن دعت الحاجة إلى الرجوع لكتب المذاهب المختلفة رجعنا إليها، وسنذكر الأحكام مجردة عن الأدلة فإن ما قدمنا لك من حجة الرسول فيه الأدلة الكافية لمن أرادها وإن أبيت إلا الزيادة فدونك هذا الكتاب وكتاب نيل الأوطار للعلامة الشوكاني اليمنى فإنه البحر الخضم لمن رغب التوسع في الأدلة والله يوفقنا لما فيه الخير لديننا وأمتنا .

النظر في كتاب الحج في ثلاثة أجناس: «الجنس الأول» يشتمل على الأشياء التي تجرى من هذه العبادة مجرى المقدمات التي تجب معرفتها لعمل هذه العبادة؛ «الجنس الثاني» في الأشياء التي تجرى منها مجرى الأركان وهي الأمور المعمولة نفسها والأشياء المتروكة؛ «الجنس الثالث» في الأشياء التي تجرى منها مجرى الأمور اللاحقة وهي أحكام الأفعال وذلك أن كل عبادة فإنها توجد مشتملة على هذه الثلاثة الأجناس .

الجنس الأول

هذا الجنس يشتمل على شيئين: (١) معرفة وجوب الحج وشروطه وعلى من يجب؛ (٢) معرفة متى يجب .

(١) وجوب الحج وشروطه - لا خلاف في وجوب الحج لقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ .

والشروط قسمان: شروط وجوب، وشروط صحة؛ فأما شروط الصحة فلا خلاف بين الأئمة أن منها الإسلام فلا يصح حج من غير مسلم. واختلفوا في صحة وقوعه من الصبي - فذهب مالك والشافعي إلى جواز ذلك ومنع منه أبو حنيفة، وكذلك اختلف أصحاب مالك في صحة وقوعه من الطفل الرضيع وينبغي أن لا يختلف في صحة وقوعه ممن يصح وقوع الصلاة منه وهو كما قال صلى الله عليه وسلم من السبع إلى العشر.

وأما شروط الوجوب فالإسلام على القول بأن الكفار مخاطبون بفروع شريعتنا ولا خلاف في اشتراط الاستطاعة وإن كان في تفصيل ذلك اختلاف وهي بالجملة تتصور على نوعين: مباشرة ونيابة؛ فأما «المباشرة» فلا خلاف عندهم أن من شرطها الاستطاعة بالبدن وبالمال مع الأمن واختلفوا في تفصيل الاستطاعة بالبدن وبالمال فقال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد وهو قول ابن عباس وعمر بن الخطاب: إن من شرط ذلك الزاد والراحلة، وقال مالك: من استطاع المشى فليس وجود الراحلة من شرط الوجوب في حقه بل يجب عليه الحج وكذلك ليس الزاد عنده من شرط الاستطاعة إذا كان ممن يمكنه الاكتساب في طريقه ولو بالسؤال. فأما وجوبه باستطاعة «النيابة» مع العجز عن المباشرة فعند مالك وأبي حنيفة أنه لا تلزم النيابة إذا استطعت مع العجز عن المباشرة، وعند الشافعي أنها تلزم فيلزم على مذهبه أن من لا يقدر على الحج ببدنه وعنده مال يكفي لإنباء غيره عنه في الحج تجب عليه تلك الإنابة من ماله الخاص، وإن وجد من يحج عنه بماله وبدنه من أخ أو قريب سقط ذلك عنه، وكذلك عنده الذي يأتيه الموت ولم يحج يلزم ورثته عنه أن يخرجوا من ماله ما يحج به عنه ولا خلاف بين المسلمين أنه يقع عن الغير تطوعاً وإنما الخلاف في وقوعه فرضاً، واختلفوا من هذا الباب في الذي يحج عن غيره سواء أكان حياً أم ميتاً هل من شرطه أن يكون قد حج عن نفسه أولاً؟ فذهب بعضهم إلى أن ذلك ليس من شرطه وإن كان قد أدى الفرض عن نفسه فذلك أفضل وبه قال مالك فيمن يحج عن الميت لأن الحج عنده عن الحي لا يقع، وذهب آخرون إلى أن من شرطه أن يكون قد قضى فريضة نفسه وبه قال الشافعي وغيره.

إنه إن حج عن غيره من لم يقض فرض نفسه آتلقب إلى فرض نفسه، وأختلفوا في هذا الباب أيضا فيمن يؤاجر نفسه في الحج فكره ذلك مالك والشافعي وقالوا : إن وقع ذلك جاز ولم ييجز ذلك أبو حنيفة، وبذلك عرفت من يجب عليه هذه الفريضة وممن تقع .

وأختلفوا من هذا الباب هل من شرط وجوب الحج على المرأة أن يكون معها زوج أو ذو محرم منها يطاوعها على الخروج معها إلى السفر للحج فقال مالك والشافعي : ليس ذلك من شرط الوجوب، وقال أبو حنيفة وأحمد وجماعة : وجود ذى المحرم ومطاوعته لها شرط في الوجوب .

(٢) متى يجب الحج - اختلفوا هل هو على الفور أو على التراخي ، والقولان منسوبان إلى مالك وأصحابه والظاهر عند المتأخرين من أصحابه أنها على التراخي وبالقول أنها على الفور قال البغداديون من أصحابه واختلف في ذلك قول أبي حنيفة وأصحابه، والمختار عندهم أنه على الفور وقال الشافعي : هو على التوسعة .

حكم العمرة - قيل : إنها واجبة، وقيل : إنها سنة، وقيل : هي تطوع وبالأقول قال الشافعي وأحمد وأبو عبيد والثوري والأوزاعي وهو قول ابن عباس وابن عمر من الصحابة وجماعة من التابعين وبالسنية قال مالك وجماعة ، وبالتطوع قال أبو حنيفة وأبو ثور وداود .

الجنس الثاني

في أفعال هذه العبادة نوعا نوعا والتروك المشتركة فيها

هذه العبادة صنفان : حج، وعمرة؛ والحج ثلاثة أنواع : أفراد وتمتع وقران وكلها تشمل على أفعال محدودة في أمكنة محدودة وأوقات محدودة وعلى تروك تشترط في تلك الأفعال، ولكل هذه أحكام محدودة إما عند الإخلال بها وإما عند الطوارئ المانعة منها فإذا اختلفت إلى الأفعال وإلى التروك؛ فلنبدأ بالأفعال وهذه منها ما تشترك فيها هذه الأربعة الأنواع من النسك أعني أنواع الحج الثلاثة والعمرة

ومنها ما يختص ببعضها فلنبدا من القول فيها بالمشترك ثم نعقب ذلك بالخاص فنقول : إن الحج والعمرة أول أفعالها الفعل الذي يسمى الإحرام .

(١) الإحرام - (١) ميقاته

الإحرام : يشترط فيه المكان والزمان أما المكان فهو ما يسمى بمواقيت الحج وقد أجمع العلماء على أن المواقيت التي منها يكون الإحرام ، ذو الحليفة لأهل المدينة والحجفة لأهل الشام ، وقرن لأهل نجد ، ويامل لأهل اليمن ، وأختلفوا في ميقات أهل العراق فقال جمهور فقهاء الأمصار : ميقاتهم من ذات عرق ، وقال الشافعي والثوري : إن أهلوا من العتيق كان أحب^(١) ، وجمهور العلماء على أن من يخطئ هذه وقصده الإحرام فلم يجرم إلا بعسدها فعليه دم وهؤلاء منهم من قال : إن رجع إلى الميقات فأحرم منه سقط عنه الدم ومنهم الشافعي ، ومنهم من قال : لا يسقط عنه الدم وإن رجع وبه قال مالك ، وقال قوم : ليس عليه دم ، وقال آخرون : إن لم يرجع إلى الميقات فسد حجه ويرجع إلى الميقات فيهل منه بعمرة ، وجمهور العلماء على أن من كان منزله دونهن فيمقات إحرامه من منزله ، وأختلفوا هل الأفضل إحرام الحاج من منزله أو من منزله إذا كان منزله خارجاً عنهن ؟ فقال قوم : الأفضل له من منزله والإحرام منها رخصة وبه قال الشافعي وأبو حنيفة والثوري وجماعة ، وقال مالك وإسحاق وأحمد إحرامه من المواقيت أفضل . وأختلفوا فيمن ترك الإحرام من ميقاته وأحرم من ميقات آخر غير ميقاته مثل أن يترك أهل المدينة الإحرام من ذي الحليفة ويحرموا من الحجفة فقال قوم عليه دم ومن قال به مالك وبعض أصحابه وقال أبو حنيفة ليس عليه شيء .

ولا خلاف أنه يلزم الإحرام من مرة بهذه المواقيت ممن أراد الحج أو العمرة وأما من لم يردهما ومرة بهما فقال قوم : كل من مرة بهما يلزمه الإحرام إلا من يكثر ترداده مثل الخطابين وشبههم وبه قال مالك ، وقال قوم : لا يلزم الإحرام إلا المرید الحج

أو العمرة ، هذا كله لمن ليس من أهل مكة وأما أهل مكة فإنهم يخرجون الى الحل ويحرمون منه بالحج أو العمرة . وأما متى يحرم بالحج أهل مكة فقليل : إذا رأوا الهلال وقيل : إذا خرج الناس إلى منى فهذا هو ميقات المكان المشترط لأنواع هذه العبادة . وميقات الزمان محدود أيضا في أنواع الحج الثلاثة وهو سؤال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة باتفاق ، وقال مالك : ثلاثة الأشهر كلها محل للحج ، وقال الشافعي : الشهران وتسع من ذى الحجة ، وقال أبو حنيفة : وعشر من ذى الحجة ؛ وفائدة الخلاف تأخر طواف الإفاضة الى آخر الشهر ، فإن أحرم بالحج قبل أشهره كرهه مالك وصح إحرامه عنده ، وقال غيره : لا يصح إحرامه ، وقال الشافعي : ينعقد إحرامه إحرام عمرة . وأما العمرة فاتفقوا على جوازها في كل أوقات السنة ، وقال أبو حنيفة : تجوز في كل السنة إلا يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق فإنها تکره . وأختلفوا في تكررها في السنة الواحدة فكان مالك يستحب عمرة في كل سنة ويكره تكرارها في السنة الواحدة وقال الشافعي وأبو حنيفة : لا كراهة في ذلك .

فهذا هو القول في شروط الإحرام الزمانية والمكانية .

(ب) محظورات الإحرام

اتفق العلماء على أن المحرم لا يلبس قميصا ولا سراوا (لباسا) ولا برؤسا (قلنسوة طويلة) ولا خفا ولا ثوبا مسه الزعفران أو الورس (نبت أصفر يمتلئ) ولا ما كان في معنى ذلك من مخيط الثياب وأن هذا مخصوص بالرجال فلا بأس بأن تلبس المرأة القميص والسراويل والخفاف والخمر . وأختلفوا فيمن لم يجد غير السراويل هل له لباسها؟ فقال مالك وأبو حنيفة : لا يجوز له ذلك وإن لبسها آفدى ، وقال الشافعي والثوري وأحمد وأبو داود وأبو ثور : لا شيء عليه إذا لم يجد إزارا وجهور العلماء على إجازة لبس الخفين مقطوعين لمن لم يجد النعلين وقال أحمد : يجوز لمن لم يجد النعلين أن يلبس الخفين غير مقطوعين ، قال عطاء : في قطعهما فساد والله لا يجب الفساد ، وأختلفوا فيمن لبسهما مقطوعين مع وجود النعلين فقال مالك : عليه التسمية وبه

قال أبو ثور، وقال أبو حنيفة: لا فدية عليه، والقولان عن الشافعي. واختلفوا في المعصفر فقال مالك: لا بأس به فإنه ليس بطيب، وقال أبو حنيفة والثوري: هو طيب وفيه الفدية وأجمعوا على أن إحرام المرأة في وجهها وأن لها أن تغطي رأسها وتستر شعرها وأن لها أن تسدل ثوبها على وجهها من فوق رأسها سدلا خفيفا تستر به من نظر الرجال إليها. واختلفوا في تخيير المحرم وجهه بعد إجماعهم على أنه لا يخمر رأسه، فروى مالك عن ابن عمر أن ما فوق الذقن من الرأس لا يخمره المحرم واليه ذهب مالك، وروى عنه أنه إن فعل ذلك ولم يزرعه مكانه آفتدى، وقال الشافعي والثوري وأحمد وداود وأبو ثور: يخمر المحرم وجهه إلى الحاجبين. واختلفوا في لبس القفازين للمرأة فقال مالك: إن لبستهما آفتدت، ورخص فيه الثوري وهو مروى عن عائشة.

وأجمع العلماء على أن الطيب كله يحرم على المحرم بالحج أو العمرة في حال إحرامه، واختلفوا في جوازه للمحرم عند الإحرام قبل أن يحرم لما يبق من أثره عليه بعد الإحرام فكرهه قوم وأجازه آخرون، ومن كرهه مالك ورواه عن عمر بن الخطاب وهو قول عثمان وابن عمر وجماعة من التابعين، ومن أجازه أبو حنيفة والشافعي والثوري وأحمد وداود.

وأجمع المسلمون على أن وطء النساء على الحاج حرام من حين يحرم لقوله تعالى ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.

واتفقوا على أن المحرم لا يلقى تفتته ولا يزيل شعره ولا يقتل القمل، وأجمعوا على أنه يجوز له غسل رأسه من الجنابة، واختلفوا في كراهية غسله من غير الجنابة فقال الجمهور: لا بأس بغسله رأسه، وقال مالك: بكراهية ذلك واتفقوا على منع غسل رأسه بالخطمي، وقال مالك وأبو حنيفة: إن فعل ذلك آفتدى وقال أبو ثور وغيره: لا شيء عليه. واختلفوا في دخوله الحمام فكان مالك يكره ذلك ويرى أن على من دخله الفدية وقال أبو حنيفة والشافعي والثوري وداود: لا بأس بذلك.

ومن محظورات الإحرام الاصطياد وذلك مجمع عليه لقوله تعالى ﴿ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرَمًا ﴾ وقوله تعالى ﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرَمٌ ﴾ وقد أجمعوا على أنه لا يجوز له صيده ولا أكل ما صاده هو منه ، واختلفوا إذا صاده حلال هل يجوز للمحرم أكله ؟ على ثلاثة أقوال : قول أنه يجوز له أكله على الإطلاق وبه قال أبو حنيفة وهو قول عمر بن الخطاب والزيير ، وقال قوم : هو محرم عليه على كل حال وهو قول ابن عباس وعلى وبه قال الثوري ، وقال مالك : ما لم يصد من أجل المحرم أو من أجل قوم محرمين فهو حلال ، وما صيد من أجل محرم فهو حرام على المحرم . واختلفوا في المضطر هل يأكل الميتة أو يصيد في الحرم ؟ فقال مالك وأبو حنيفة والثوري و زُفَرٌ وجماعة : إذا اضطرأ كل الميتة ولحم الخنزير دون الصيد ، وقال أبو يوسف : يصيد ويأكل وعليه الجزاء ؛ فهذه الخمسة اتفق المسلمون على أنها من محظورات الإحرام . واختلفوا في نكاح المحرم فقال مالك والشافعي والليث والأوزاعي : لا ينكح المحرم ولا يُنكح فان نكح فالنكاح باطل وهو قول عمر وعلى بن أبي طالب وابن عمر وزيد بن ثابت ، وقال أبو حنيفة والثوري : لا بأس بأن ينكح المحرم ويُنكح .

(ج) أنواع الإحرام

المحرم إما محرم بعمره مفردة أو محرم بحج مفرد أو جامع بين الحج والعمرة وهذان ضربان إما متمتع وإما قارن . ولما كان الأفراد هو التعرى عن صفات التمتع والقران وجب أن نبداً أولاً بصفة التمتع ثم نردف ذلك بصفة القران ، اتفق العلماء على أن هذا النوع من النسك المعنى بقوله سبحانه ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ هو أن يهل الرجل بالعمرة في أشهر الحج من الميقات إن كان مسكنه خارجاً عن الحرم ثم يأتي حتى يصل البيت فيطوف لعمرة ويسعى ويحلق في تلك الأشهر بعينها ثم يحل بمكة ثم ينشئ الحج في ذلك العام نفسه وفي تلك الأشهر نفسها من غير أن ينصرف إلى بلده إلا ما روى عن الحسن أنه كان يقول : هو متمتع وإن عاد إلى بلده ولم يحج فعليه الهدى وكان يقول : عمرة في أشهر الحج متعة وقال طاوس : من أعتمر في غير أشهر الحج ثم أقام حتى يحج

وحج من عامه إنه متمتع، وقد اتفق العلماء على أن من لم يكن من حاضري المسجد الحرام فهو متمتع وأختلفوا في المكّي هل يقع منه التمتع أو لا؟ والقائلون بوقوعه منه اتفقوا على أنه ليس عليه دم لقوله تعالى ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. وأختلفوا فيمن هو حاضر بالمسجد الحرام ممن ليس هو كذلك فقال مالك: حاضر المسجد الحرام هم أهل مكة وذى طوى وما كان مثل ذلك من مكة، وقال أبو حنيفة: هم أهل المواقيت فمن دونهم إلى مكة وقال الشافعي بمصر: من كان بينه وبين مكة ليلتان وهو أقرب المواقيت، وقال أهل الظاهر: من كان ساكن الحرم، وقال الثوري: هم أهل مكة فقط، وأبو حنيفة يقول إن حاضري المسجد الحرام لا يقع منهم التمتع.

وهنا نوعان من التمتع اختلف العلماء فيهما، أحدهما فسخ الحج في عمرة وهو تحويل النية من الإحرام بالحج إلى العمرة، بجمهور العلماء يكرهون ذلك من الصدر الأول وفقهاء الأمصار، وذهب ابن عباس إلى جواز ذلك وبه قال أحمد وداود. وأما النوع الثاني من التمتع فهو ما كان يذهب إليه ابن الزبير أن التمتع الذي ذكره الله هو تمتع المحصر بمرض أو عدو وذلك إذا خرج الرجل حاجا فخبسه عدو أو أمر تعذر به عليه الحج حتى تذهب أيام الحج فيأتي البيت فيطوف ويسعى بين الصفا والمروة، ويحل ثم يتمتع محله إلى العام المقبل ثم يحج ويهدى، وعلى هذا القول لا يكون التمتع المشهور إجماعا، وشذ طائفة أيضا فقال: إن المكّي إذا تمتع من بلد غير مكة كان عليه الهدى. واختلف العلماء فيمن أنشأ عمرة في غير أشهر الحج ثم عملها في أشهر الحج ثم حج عامه ذلك فقال مالك: عمرته في الشهر الذي حل فيه فإن كان حل في أشهر الحج فهو متمتع وإن كان حل في غير أشهر الحج فليس بمتمتع، وبقریب منه قال أبو حنيفة والشافعي والثوري إلا أن الثوري اشترط أن يوقع طوافه كله في شوال وبه قال الشافعي، وقال أبو حنيفة: إن طاف ثلاثة أشواط في رمضان وأربعة في شوال كان متمتعا وإن لا فلا، وقال أبو ثور: إذا دخل في العمرة في غير أشهر الحج فسواء طاف لها في أشهر الحج أو في غيرها لا يكون متمتعا.

وشروط التمتع عند مالك ستة : (١) أن يجمع بين العمرة والحج في شهر واحد ؛
 (٢) أن يكون ذلك في عام واحد ؛ (٣) أن يفعل شيئا من العمرة في أشهر الحج ؛
 (٤) أن يقسّم العمرة على الحج ؛ (٥) أن ينشئ الحج بعد الفراغ من العمرة
 وإحلاله منها ؛ (٦) أن يكون وطنه غير مكة .

والقران أن يهل بالنسكين معا أو يهل بالعمرة في أشهر الحج ثم يردف ذلك بالحج
 قبل أن يهل من العمرة . واختلف أصحاب مالك في الوقت الذي يكون ذلك له فيه
 فقيل ذلك له ما لم يشرع في الطواف ولو شوطا واحدا وقيل : ما لم يطف ويركع .
 ويكره بعد الطواف وقبل الركوع فإن فعل لزمه وقيل : له ذلك ما بقى عليه شيء من
 أعمال العمرة من طواف أو سعى إلا الحلق فإنه بالاتفاق إذا أهل بالحج قبله فقط
 لا يكون قارنا والقارن الذي يلزمه هدى التمتع هو عند الجمهور من غير حاضري المسجد
 الحرام إلا ابن المسجشون من أصحاب مالك ، فإن القارن من أهل مكة عنده عليه
 الهدى .

والإفراد ماعرى عن الصفات السابقة وهو أن لا يكون متمتعا ولا قارنا بل أن
 يهل بالحج فقط . واختلف العلماء أئمة الثلاثة أفضل الأفراد أو التمتع أو القران (انظر
 أدلة ذلك ص ٢٧٠ جزء أول بداية وانظر ص ١٨٣ من زاد المعاد أول وتواليها) .

(د) صفة الإحرام

اتفق جمهور العلماء على أن الغسل للإهلال سنة وأنه من أفعال المحرم حتى
 قال ابن نوار : إن هذا الغسل للإهلال عند مالك أوكد من غسل الجمعة ،
 وقال أهل الظاهر : هو واجب ، وقال أبو حنيفة والثوري يجزئ عنه الوضوء .
 واتفقوا على أن الإحرام لا يكون إلا بنية ، وأختلفوا هل تجزئ النية فيه من غير
 التلبية فقال مالك والشافعي : تجزئ النية من غير تلبية ، وقال أبو حنيفة : التلبية
 في الحج كالتكبير في الإحرام بالصلاة إلا أنه يجزئ عنده كل لفظ يقوم مقام
 التلبية كما يجزئ عنده في افتتاح الصلاة كل لفظ يقوم مقام التكبير وهو كل ما يدل

على التعظيم . واتفق العلماء على أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك ، وأختلفوا هل هي واجبة بهذا اللفظ فقال أهل الظاهر : هي واجبة بهذا اللفظ ولا خلاف عند الجمهور في استحباب هذا اللفظ وإنما اختلفوا في الزيادة عليه أو في تبديله ، وأوجب أهل الظاهر رفع الصوت بالتلبية وهو مستحب عند الجمهور . وأجمع أهل العلم على أن تلبية المرأة فيما حكاه أبو عمر هو أن تسمع نفسها بالقول . وقال مالك : لا يرفع المحرم صوته في مساجد الجماعة بل يكفيه أن يسمع من يليه إلا في المسجد الحرام ومسجد منى فإنه يرفع صوته فيهما . واستحب الجمهور رفع الصوت عند التقاء الرفاق وعند الإطلال على شرف من الأرض . وكان مالك لا يرى التلبية من أركان الحج ويرى على تاركها دما وكان غيره يراها من أركانه . واستحب العلماء أن يكون ابتداء المحرم بالتلبية بأثر صلاة يصليها ، وكان مالك يستحب ذلك بأثر نافلة . واختلفت الآثار في الموضع الذي أحرم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجته من أقطار ذى الحليفة فقال قوم : من مسجد ذى الحليفة بعد أن صلى فيه وقال آخرون : إنما أحرم حين أطل على البيداء وقال قوم : إنما أهل حين آستوت به راحلته ، وسئل ابن عباس عن اختلافهم في ذلك فقال : كل حدث لا عن أول إهلاله صلى الله عليه وسلم بل عن أول إهلال سمعه ، وذلك لان الناس يأتون متسابقين فعلى هذا لا اختلاف . وأجمع فقهاء الأمصار على أن المكى لا يلزمه الإهلال حتى يخرج الى منى ليتصل له عمل الحج ، وروى مالك أن عمر بن الخطاب كان يأمر أهل مكة أن يهلوا إذا رأوا الهلال ، ولا خلاف عندهم أن المكى لا يهل إلا من جوف مكة إذا كان حاجا وأما إذا كان معتمرا فإنهم أجمعوا على أنه يلزمه أن يخرج الى الحل ثم يحرم منه ليجمع بين الحل والحرم كما يجمع الحاج لأنه يخرج الى عرفه وهي حل ، واختلفوا إن لم يفعل فقال قوم : يجزيه وعليه دم وبه قال أبو حنيفة وابن القاسم وقال آخرون : لا يجزيه وهو قول الثوري واشبه . واختلفوا متى تقطع التلبية؟ فقال مالك : تقطع بزوال الشمس من يوم عرفه وبه قال الخلفاء الأربعة غير أنه اختلف عن عثمان ،

وقال جمهور فقهاء الأمصار وأهل الحديث : تقطع برمي جمرة العقبة فإذا رمى آخر حصة قطع التلبية وقيل : بل يقطعها في أول حصة يلقيها وقيل : غير ذلك ، أما وقت قطع التلبية بالعمرة فقال أبو حنيفة ومالك : يقطعها إذا انتهى إلى الحرم ، وقال الشافعي : إذا أفتح الطواف .

وجهور العلماء متفقون على إدخال الحج على العمرة ويختلفون في إدخال العمرة على الحج ، وقال أبو ثور : لا يدخل حج على عمرة ولا عمرة على حج كما لا تدخل صلاة على صلاة . وإلى هنا فرغنا من الكلام على أول عمل يأتي به المحرم وهو الإحرام . وأما الفعل الذي بعد هذا فهو الطواف إذا دخل مكة .

(٢) الطواف بالبيت

الكلام في الطواف : (١) في صفته ؛ (٢) وشروطه ؛ (٣) وأنواعه وحكمه :

(١) صفة الطواف - الجمهور مجمعون على أن صفة كل طواف واجبا كان أو غير واجب أن يتبدأ من الحجر الأسود فإن أستطاع أن يقبله قبله أو يلمسه بيده ويقبلها إن أمكنه ثم يجعل البيت على يساره ويمضى على يمينه فيطوف سبعة أشواط يرمل في الثلاثة الأشواط الأول ثم يمشى في الأربعة وذلك في طواف القدوم على مكة وذلك للحاج والمعتمر دون المتمتع وأنه لا رمل على النساء ، ويستلم الركن اليماني وهو الذي على قطر الركن الأسود . واختلفوا في حكم الرمل في الثلاثة الأشواط الأول للقادم هل هو سنة أو فضيلة ؟ فقال ابن عباس : هو سنة ، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة وإسحاق وأحمد وأبو ثور ، واختلف قول مالك في ذلك وأصحابه ؛ ومن جعله سنة أوجب في تركه الدم ، ومن جعله فضيلة لم يوجب في تركه شيئا ، وعلى أصول الظاهرية يجب الرمل لقوله صلى الله عليه وسلم "خذوا عني مناسككم" وأجمعوا على أنه لا رمل على من أحرم بالحج من مكة من غير أهلها وهم المتمتعون لأنهم قد رملوا في حين دخولهم حين طافوا للقدوم ، واختلفوا في أهل مكة هل عليهم رمل إذا حجوا؟ فقال الشافعي : كل طواف قبل عرفة مما يوصل بينه وبين السعي فإنه يرمل

فيه، وكان مالك يستحب ذلك، وكان ابن عمر لا يرى عليهم رملا إذا طافوا بالبيت على ما روى عنه مالك . واتفقوا على أن من سنة الطواف استلام الركنين الأسود واليماني للرجال دون النساء، واختلفوا هل تستلم الأركان كلها أم لا؟ فذهب الجمهور إلى أنه إنما يستلم الركنان فقط، واحتج من رأى استلام جميعها بما روى عن جابر، قال: كما نرى إذا طفنا أن نستلم الأركان كلها، وكان بعض السلف لا يحب أن يستلم الركنين إلا في الوتر من الأشواط . وكذلك أجمعوا على أن تقبيل الحجر الأسود خاصة من سنن الطواف إن قدر وإن لم يقدر على الدخول إليه قبل يده . وأجمعوا على أن من سنة الطواف ركعتين بعد انقضاء الطواف وجمهورهم على أنه يأتي بهما الطائف عند انقضاء كل أسبوع إن طاف أكثر من أسبوع واحد، وأجاز بعض السلف أن لا يفرق بين الأسابيع بالركعتين بل يركع لكل أسبوع ركعتين .

(٢) شروط الطواف -- (الشرط الأول) أن يكون في موضعه، وجمهور العلماء على أن الحجر من البيت وأن من طاف بالبيت لزمه إدخال الحجر فيه وأنه شرط في صحة طواف الإفاضة، وقال أبو حنيفة وأصحابه : هو سنة . (الشرط الثاني) أن يكون في وقته واختلفوا في وقت جوازه دلي ثلاثة أقوال : أحدها إجازة الطواف بعد الصبح والعصر ومنعه وقت الطلوع والغروب وهو مذهب عمر بن الخطاب وأبي سعيد الخدري وبه قال مالك وأصحابه وجماعة ، والقول الثاني : كراهيته بعد الصبح والعصر ومنعه عند الطلوع والغروب وبه قال سعيد ابن جبير ومجاهد وجماعة ، القول الثالث : إباحة ذلك في هذه الأوقات كلها وبه قال الشافعي وجماعة . (الشرط الثالث) الطهارة . قال مالك والشافعي : لا يجوز طواف بغير طهارة لا عمدا ولا سهوا، وقال أبو حنيفة : يجوز ويستحب له الإعادة وعليه دم، وقال أبو ثور : إذا طاف على غير وضوء أجره طوافه إن كان لا يعلم ولا يجوزته إن كان يعلم، والشافعي يشترط طهارة ثوب الطائف كاشتراط ذلك للصلى .

(٣) أنواع الطواف -- أجمع العلماء على أن الطواف ثلاثة أنواع، طواف القدوم على مكة، وطواف الإفاضة بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر، وطواف الوداع،

وأجمعوا على أن الواجب منها الذي يفوت الحج بفواته هو طواف الإفاضة وأنه المعنى بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ وأنه لا يجزئ عنه دم ، وجمهورهم على أنه لا يجزئ طواف القدوم على مكة عن طواف الإفاضة إذا نسي طواف الإفاضة لكونه قبل يوم النحر، وقالت طائفة من أصحاب مالك : إن طواف القدوم يجزئ عن طواف الإفاضة كأنهم رأوا أن الواجب هو طواف واحد، وجمهور العلماء على أن طواف الوداع يجزئ عن طواف الإفاضة إن لم يكن طاف طواف الإفاضة لأنه طواف بالبيت معمول في وقت طواف الوجوب الذي هو طواف الإفاضة ، وأجمعوا فيما حكاه أبو عمر بن عبد البر أن طواف القدوم والوداع من سنة الحاج إلا لخائف فوات الحج فإنه يجزئ عنه طواف الإفاضة، واستحب جماعة من العلماء لمن عرض له هذا أن يرمل في الأشواط الثلاثة من طواف الإفاضة على سنة طواف القدوم من الرمل ، وأجمعوا على أن المكى ليس عليه إلا طواف الإفاضة كما أجمعوا أنه ليس على المعتمر الا طواف القدوم، وأجمعوا أن من تمتع بالعمرة إلى الحج عليه طوافان طواف للعمرة لحله منها وطواف للحج يوم النحر ، وأما المفرد للحج فليس عليه إلا طواف واحد كما قلنا يوم النحر ، واختلفوا في القارن فقال مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور : يجزئ القارن طواف واحد وسعي واحد، وقال الثوري والأوزاعي وأبو حنيفة وابن أبي ليلى : على القارن طوافان وسعيان .

(٣) السعي بين الصفا والمروة

القول فيه في : (١) حكمه ؛ (٢) صفته ؛ (٣) شروطه ؛ (٤) ترتيبه .

(١) حكم السعي — قال مالك والشافعي : إنه واجب وإن لم يسع كان عليه حج قابل وبه قال أحمد وإسحاق ، وقال الكوفيون : هو سنة وإذا رجع إلى بلاده ولم يسع كان عليه دم ، وقال بعضهم : هو تطوع ولا شيء على تاركه .

(٢) صفته — جمهور العلماء : على أن من سنة السعي بين الصفا والمروة أن ينحدر الراق على الصفا بعد الفراغ من الدعاء فيمشى على أداته حتى يبلغ بطن

المسيل فيرمل فيه حتى يقطعه إلى ما يلي المروة فإذا قطع ذلك وجاوزه مشى على سبيلته حتى يأتي المروة فيرقى عليها حتى يبدو له البيت ثم يقول عليها نحو ما قال من الدعاء والتكبير على الصفا وإن وقف أسفل المروة أجزاءه عند جمعهم ثم ينزل عن المروة فيمشى على طبيعته حتى ينتهي إلى بطن المسيل فإذا انتهى إليه رمل حتى يقطعه إلى الجانب الذي يلي الصفا يفعل ذلك سبع مرات يبدأ في كل ذلك بالصفا ويختم بالمروة ، فإن بدأ بالمروة قبل الصفا ألغى ذلك الشوط ، وقال عطاء إن جهل فبدأ بالمروة أجزاءه . وأجمعوا على أنه ليس في وقت السعي قول محدود فإنه موضع دعاء ، وثبت من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثا ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك .

(٣) شروطه — أتفقوا على أن من شرطه الطهارة من الحيض كالطواف ، ولا خلاف بينهم أن الطهارة ليست من شرطه إلا الحسن فإنه شبهه بالطواف .

(٤) ترتيبه — جمهور العلماء : على أن السعي إنما يكون بعد الطواف ، وأن من سعى قبل أن يطوف بالبيت يرجع فيطوف ويسعى وإن نرجح من مكة ، فإن جهل ذلك حتى أصاب النساء في العمرة أو في الحج كان عليه حج قابل والمهدى أو عمرة أخرى ، وقال الثوري : إن فعل ذلك فلا شيء عليه وقال أبو حنيفة : إذا نرجح من مكة فليس عليه أن يعود وعليه دم .

الخروج إلى عرفة — يلي السعي الخروج يوم التروية (الثامن من ذي الحجة) إلى منى والمبيت بها ليلة عرفة ، وأتفقوا على أن الإمام يصلي بالناس بمنى يوم التروية الظهر والعصر والمغرب والعشاء قاصرا الرباعية إلا أنهم أجمعوا على أن هذا الفعل ليس شرطا في صحة الحج لمن ضاق عليه الوقت ثم إذا كان يوم عرفة صلى الإمام بالناس صلاة الصبح ومشى معهم بعد شروق الشمس من منى إلى عرفة ووقفوا بها بعد الزوال .

(٤) الوقوف بعرفة

القول في هذا الفعل ينحصر : (١) في معرفة حكمه ؛ (٢) وفي صفته ؛

(٣) وفي شروطه .

(١) حكم الوقوف — أجمعوا على أن الوقوف ركن من أركان الحج وأن من فاته فعليه حج قابل والهدى في قول أكثرهم لقوله صلى الله عليه وسلم "الحج عرفة".

(٢) صفته — صفته أن يصل الإمام إلى عرفة يوم عرفة قبل الزوال فإذا زالت الشمس خطب الناس ثم جمع بين الظهر والعصر في أول وقت الظهر ثم وقف حتى تغيب الشمس ، وإنما اتفقوا على هذا لأن هذه الصفة مجمع عليها من فعله صلى الله عليه وسلم ، ولا خلاف بينهم أن إقامة الحج هي للسلطان الأعظم أو لمن يقيمه السلطان الأعظم لذلك وأنه يصلى وراءه براكان السلطان أو فاجرا أو مبتدعا ، وأن السنة في ذلك أن يأتي المسجد بعرفة يوم عرفة مع الناس فإذا زالت الشمس خطب الناس كما قلنا وجمع بين الظهر والعصر . واختلفوا في وقت أذان المؤذن بعرفة للظهر والعصر ، فقال مالك : يخطب الإمام حتى يمضي صدر من خطبته أو بعضها ثم يؤذن المؤذن وهو يخطب وقال الشافعي : يؤذن إذا أخذ الإمام في الخطبة الثانية وقال أبو حنيفة : إذا صعد الإمام المنبر أمر المؤذن بالأذان كالحال في الجمعة فإذا فرغ المؤذن قام الإمام يخطب ثم ينزل ويقيم المؤذن الصلاة وبه قال أبو ثور تسببها بالجمعة ، وقد حكى ابن نافع عن مالك أنه قال : الأذان بعرفة بعد جلوس الإمام للخطبة ، وفي حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له وأتى بطن الوادي فخطب الناس ثم أذن بلال ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا ثم راح إلى الموقف . واختلفوا هل يجمع بين هاتين الصلاتين بأذنين وإقامتين أو بأذان واحد وإقامتين؟ قال مالك : بالأول ، وروى عن أحمد ، وقال أبو حنيفة والشافعي والثوري وأبو ثور وجماعة : بالثاني . واتفقوا على أن الخطبة في هذا اليوم ليست بشرط للصلاة كالجمعة وأن القراءة في الصلاة

سر . وانتفقوا على أن الصلاة مقصورة إذا كان الامام مسافرا، واختلفوا إذا كان الإمام ميكا هل يقصر بمبنى الصلاة يوم التروية وبعرفة يوم عرفة والمزدلفة ليلة النحر إن كان من أحد هذه المواضع ؟ فقال مالك والأوزاعي وجماعة : سنة هذه المواضع التقصير سواء أكان من أهلها أم لم يكن، وقال الثوري وأبو حنيفة والشافعي وأبو ثور ودادود : لا يجوز أن يقصر من كان من أهل تلك المواضع . واختلف العلماء في وجوب الجمعة بعرفة وميِّتي فقال مالك : لا تجب الجمعة بعرفة ولا بميِّتي أيام الحج، لا على أهل مكة ولا على غيرهم إلا أن يكون الإمام من أهل عرفة، وقال الشافعي مثل ذلك إلا أنه يشترط في وجوب الجمعة أن يكون هناك من أهل عرفة أربعون رجلا على مذهبه في اشتراط هذا العدد في الجمعة، وقال أبو حنيفة : إذا كان أمير الحج ممن لا يقصر بميِّتي ولا بعرفة صلى بهم فيها الجمعة إذا صادفها، وقال أحمد : إذا كان والى مكة يجمع وبه قال أبو ثور .

(٣) شروطه — يشترط في الوقوف بعرفة أن يكون بعد الزوال ويسر له أن يمدّه إلى غروب الشمس وأجمعوا على أن من وقف بعرفة قبل الزوال وأفاض منها قبل الزوال أنه لا يعتد بوقوفه وأنه إن لم يرجع فيقف بعد الزوال أو يقف من ليلته تلك قبل طلوع الفجر فقد فاته الحج، واختلفوا فيمن وقف بعرفة بعد الزوال ثم دفع منها قبل غروب الشمس فقال مالك : عليه حج قابل إلا أن يرجع ويدفع قبل الفجر، وإن دفع منها قبل الإمام وبعد الغيبوبة أجزاءه، وبالجملة فشرط صحة الوقوف عنده أن يقف ليلا وقال جمهور العلماء : من وقف بعرفة بعد الزوال فحجه تام وإن دفع قبل الغروب، إلا أنهم اختلفوا في وجوب الدم عليه . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرقت عليه عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة . والمزدلفة كلها موقف إلا بطن محسر، وميِّتي كلها منحرج، وبجناح مكة منحرج ومبيلت، واختلف العلماء فيمن وقف من عرفة بعرنة فليل : حجه تام وعليه دم وبه قال مالك، وقال الشافعي : لا حج له، ويل الوقوف بعرفة من أفعال الحج النهوض إلى المزدلفة بعد الغروب وما يعمل بها .

(٥) أفعال المزدلفة

قال تعالى ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا
 كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ أجمع العلماء على أن من بات بالمزدلفة ليلة النحر وجمع فيها بين المغرب
 والعشاء مع الإمام ووقف بعد صلاة الصبح إلى الإسفار بعد الوقوف بعرفة فإن
 حجه تام، وذلك أنها الصفة التي فعلها صلى الله عليه وسلم . واختلفوا هل الوقوف بها
 بعد صلاة الصبح والمبيت بها من سنن الحج أو من فروضه؟ فقال الأوزاعي وجماعة
 من التابعين : هو من فروض الحج ومن فاتته كان عليه حج قابل والهدى ، وفقهاء
 الأمصار يرون أنه ليس من فروض الحج ، وأن من فاتته الوقوف بمزدلفة والمبيت
 بها فعليه دم وقال الشافعي : إن دفع منها بعد نصف الليل الأول ولم يصل بها فعليه
 دم، وقد أجمعوا على أنه لو وقف بالمزدلفة ولم يذكر الله فإن حجه تام، والمزدلفة وجمع
 اسمان لموضع بيوت الحجاج به ويجمعون بين المغرب والعشاء في أول وقت العشاء
 ويفلسون بالصبح فيها .

(٦) رمى الجمار

الفعل الذي يلي المبيت بمزدلفة والوقوف بها رمى الجمار وذلك أن المسلمين
 آتفقا على أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف بالمشعر الحرام وهو المزدلفة بعد ما صلى
 الفجر ثم دفع منها قبل طلوع الشمس إلى منى ، وأنه في هذا اليوم وهو يوم النحر رمى
 جمرة العقبة بعد طلوع الشمس ، وأجمع المسلمون أن من رماها في هذا اليوم في ذلك
 الوقت أعنى بعد طلوع الشمس إلى زوالها فقد رماها في وقتها ، وأجمعوا أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لم يرم يوم النحر من الجمرات غيرها ، واختلفوا فيمن رمى جمرة
 العقبة قبل طلوع الفجر فقال مالك : لم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 رخص لأحد أن يرمى قبل طلوع الفجر ولا يجوز ذلك ، فإن رماها قبل الفجر أعادها
 وبه قال أبو حنيفة وسفيان وأحمد ، وقال الشافعي : لا بأس به وإن كان المستحب
 هو بعد طلوع الشمس ، وقد أجمع العلماء على أن الوقت المستحب لرمي جمرة العقبة

(١) المزدلفة .

هو من لدن طلوع الشمس إلى وقت الزوال وأنه إن رماها قبل غروب الشمس من يوم النحر أجزاء ولا شيء عليه إلا مالكا فإنه قال : آستحب له أن يريق دما، وأختلفوا فيمن لم يرمها حتى غابت الشمس فرماها من الليل أو من الغد فقال مالك : عليه دم ، وقال أبو حنيفة : إن رماها من الليل فلا شيء عليه وإن أخرها إلى الغد فعليه دم ، وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي : لا شيء عليه إن أخرها إلى الليل أو إلى الغد . وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى في حجة الجمره يوم النحر ثم نحر بدنة ثم حلق رأسه ثم طاف طواف الإفاضة ، وأجمع العلماء على أن هذا سنة الحج وأختلفوا فيمن قدم من هذه ما أخره النبي صلى الله عليه وسلم أو بالعكس فقال مالك : من حلق قبل أن يرمي جمره العقبة فعليه الفدية ، وقال الشافعي وأحمد وأبو داود وأبو ثور : لا شيء عليه ، وعند مالك أن من حلق قبل أن يذبح فلا شيء عليه وكذلك إن ذبح قبل أن يرمي ، وقال أبو حنيفة : إن حلق قبل أن ينحر أو يرمي فعليه دم ، وإن كان قارنا فعليه دمان ، وقال زفر : عليه ثلاثة دماء ، دم للقران ، ودمان للحلق قبل النحر وقبل الرمي ، وأجمعوا على أن من نحر قبل أن يرمي فلا شيء عليه لأنه منصوص عليه .

ومن قدم الإفاضة على الرمي والحلق لزمه إعادة الطواف ، وقال الشافعي : ومن تابعه لا إعادة عليه ، وقال الأوزاعي : إذا طاف للإفاضة قبل أن يرمي جمره العقبة ثم واقع أهله أراق دما . واتفقوا على أن جملة ما يرميه الحاج سبعون حصاة يرمي منها في يوم النحر جمره العقبة بسبع ، وإن رمى هذه الجمره من حيث تيسر من العقبة من أسفلها أو من أعلاها أو من وسطها كل ذلك واسع والموضع المختار منها بطن الوادي . وأجمعوا على أنه يعيد الرمي إذا لم تقع الحصاة في العقبة وأنه يرمي في كل يوم من أيام التشريق ثلاث جمار بواحد وعشرين حصاة كل جمره منها بسبع وأنه يجوز أن يرمي منها يومين وينفر في الثالث لقوله تعالى ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ .

وقدر الحصاة عندهم أن تكون في مثل حصى الخذف . والسنة عندهم في رمي الجمرات كل يوم من أيام التشريق أن يرمي الجمره الأولى فيقف عندها ويدعو وكذلك

الثانية ويظيل المقام ثم يرمي الثالثة ولا يقف . وأجمعوا على أن من سنة رمى الجمار الثلاث في أيام التشريق أن يكون ذلك بعد الزوال، وأختلفوا إذا رماها قبل الزوال في أيام التشريق فقال جمهور العلماء : يعيد رميها بعد الزوال، وروى عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : رمى الجمار من طلوع الشمس إلى غروبها . وأجمعوا على أن من لم يرم الجمار أيام التشريق حتى تغيب الشمس عن آخرها فإنه لا يرميها بعد . واختلفوا في الواجب من الكفارة فقال مالك : إن ترك رمى الجمار كلها أو بعضها أو واحدة منها فعليه دم وقال أبو حنيفة : إن ترك الجمار كلها كان عليه دم وإن ترك جمرة واحدة فصاعدا كان عليه لكل جمرة إطعام مسكين نصف صاع حنطة إلى أن يبلغ دما بترك الجميع إلا جمرة العقبة فمن تركها فعليه دم، وقال الشافعي : عليه في الحصاة مده من طعام وفي حصاتين مدهان وفي ثلاث دم، وقال الثوري مثله إلا أنه قال : في الرابعة الدم، ورخصت طائفة من التابعين في الحصاة الواحدة ولم يروا فيها شيئا، وقال أهل الظاهر : لا شيء في ذلك والجمهور على أن جمرة العقبة ليست من أركان الحج، وقال عبد الملك من أصحاب مالك : هي من أركان الحج .

فهذه جملة أفعال الحج من حين الإحرام إلى أن يحل، والتحلل : تحللان تحلل أكبر وهو طواف الإفاضة وتحلل أصغر وهو رمي جمرة العقبة؛ وسند ذكر الفرق بين التحللين .

الجنس الثالث في الأحكام

(١) الإحصار

قال تعالى ﴿وَأَمَّا الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ جمهور العلماء : على أن المحصر عن الحج ضربان محصر بمرض ومحصر بعدو، فالمحصر بالعدو آتفق الجمهور على أنه يحل من عمرته أو حجه حيث أحصر، وقال الثوري والحسن بن صالح : لا يتحلل إلا في يوم النحر، والذين قالوا : يتحلل حيث أحصر اختلفوا في إيجاب الهدى عليه وفي موضع نحره إذا قيل

بوجوبه وفي إعادة ما حصر عنه من حج أو عمرة، فذهب مالك إلى أنه لا يجب عليه هدى وأنه إن كان معه هدى نحره حيث حل، وذهب الشافعي إلى إيجاب الهدى عليه وبه قال أشهب، واشترط أبو حنيفة ذبحه في الحرم وقال الشافعي: حيثما حل وأما الإعادة فإن مالكا يرى عدم الإعادة عليه، وقال قوم: عليه الإعادة، وذهب أبو حنيفة إلى أنه إن كان أحرم بالحج فعليه حج وعمرة وإن كان قارنا فعليه حج وعمرتان وإن كان معتمرا قضى عمرته، وليس عليه عند أبي حنيفة ومحمد حلق أو تقصير، واختار أبو يوسف أن عليه ذلك.

وأما المحصر بمرض فإن مذهب الشافعي وأهل الحجاز أنه لا يحله إلا الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وأنه بالجملة يتحل بعمرته لأنه إذا فاته الحج بطول مرضه أنقلب عمرة وهو مذهب ابن عمر وعائشة وآبن عباس، وخالف في ذلك أهل العراق فقالوا: يحل مكانه وحكمه حكم المحصر بعد وفيرسل هديه ويقدر يوم نحره ويحل في اليوم الثالث، والجمهور على أن المحصر بمرض عليه الهدى، وقال أبو ثور وداود: لا هدى عليه وأجمعوا على إيجاب القضاء عليه، وكل من فاته الحج بخطأ من العدد في الأيام أو بخفاء الهلال عليه أو بغير ذلك من الأعذار فحكمه حكم المحصر بمرض عند مالك، وقال أبو حنيفة: من فاته الحج بعد غير المرض يحل بعمرته ولا هدى عليه وعليه إنادة الحج: والمكي المحصر بمرض عند مالك كغير المكي يحل بعمرته وعليه الهدى وإعادة الحج، وقال الزهري: لا بد أن يقف بعرفة وإن حمل حملا، وأصل مذهب مالك أن المحصر بمرض إن بقى على إحرامه إلى العام المقبل حتى يحج حجة القضاء فلا هدى عليه، فإن تحلل بعمرته فعليه هدى المحصر لأنه حلق رأسه قبل أن ينحر في حجة القضاء.

(٢) أحكام جزاء الصيد والنبات

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ أي عاقبته.

قتل الصيد حرام على المحرم ، وأختلف العلماء هل الواجب في قتله قيمته أو مثله؟ فذهب الجمهور إلى أن الواجب المثل ، وذهب أبو حنيفة إلى أنه مخير بين القيمة أعنى قيمة الصيد وبين أن يشتري بها المثل . وأختلفوا أيضا في استئناف الحكم على قاتل الصيد فيما حكم فيه السلف من الصحابة — مثل حكمهم أن من قتل نعامة فعليه بدنة تشبيها بها ، ومن قتل غزالا فعليه شاة ، ومن قتل بقرة وحشية فعليه إنسية — فقال مالك : يستأنف في كل ما وقع من ذلك الحكم به . وبه قال أبو حنيفة ، وقال الشافعي : إن آجترأ بحكم الصحابة مما حكموا فيه جاز . وأختلفوا هل الأجزية في الآية على الترتيب أو التخيير ، فقال مالك وأبو حنيفة بالتخيير ، وقال زفر بالترتيب . وأختلفوا هل يقوم الصيد أو المثل إن اختار الإطعام فيشتري بقيمته طعاما ، فقال مالك : يقوم الصيد وقال الشافعي : يقوم المثل ، ولم يختلفوا في تقدير الصيام بالطعام في الجملة وإن اختلفوا في التفصيل ، فقال مالك : يصوم لكل مد يوما وهو الذي يطعم عندهم كل مسكين ، وبه قال الشافعي وأهل الحجاز ، وقال أهل الكوفة : يصوم لكل مدين يوما وهو القدر الذي يطعم كل مسكين عندهم . وأختلفوا في قتل الصيد خطأ هل فيه جزاء أولا؟ فالجمهور على أن فيه الجزاء وقال أهل الظاهر : لا جزاء عليه .

وأختلفوا في الجماعة يشتركون في قتل الصيد فقال مالك : على كل واحد منهم جزاء كامل وقال الشافعي : عليهم جزاء واحد ، وفرق أبو حنيفة بين المحرمين يقتلون الصيد وبين المحلين يقتلونه في الحرم فقال : على كل من المحرمين جزاء وعلى المحلين جزاء واحد .

وأختلفوا هل يكون أحد الحكيمين قاتل الصيد؟ فذهب مالك إلى أنه لا يجوز وقال الشافعي : يجوز وأختلف أصحاب أبي حنيفة على القولين جميعا .

وأختلفوا في موضع الإطعام فقال مالك : في الموضع الذي أصاب فيه الصيد إن كان ثم طعام وإلا ففي أقرب المواضع إليه ، وقال أبو حنيفة : حيثما أطعم جاز ، وقال الشافعي : لا يطعم إلا مساكين مكة .

وأجمع العلماء على أن المحرم إذا قتل الصيد عليه الجزاء ، وأختلفوا في الحلال يقتل الصيد في الحرم فقال جمهور فقهاء الأمصار : عليه الجزاء ، وقال داود وأصحابه : لا جزاء عليه ، ولم يختلف المسلمون في تحريم قتل الصيد في الحرم وإنما اختلفوا في الكفارة .

وجهور فقهاء الأمصار على أن المحرم إذا قتل الصيد وأكله فإنه ليس عليه إلا كفارة واحدة ، وروى عن عطاء وطائفة : أن فيه كفارتين . وهذه مشهورات المسائل المتعلقة بالصيد .

وآتفق العلماء على أن صيد البر محرم على المحرم إلا الفواسق الخمس المنصوص عليها في حديث ابن عمر وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نحس من الدواب ليس على المحرم جناح في قتلهن ، الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور ، والجمهور على إباحة قتل هذه الدواب وكذلك آتفقوا على أن صيد البحر حلال كله للحرم وإن اختلفوا في تفسيره كما اختلفوا فيما يلحق بالفواسق مما لا يلحق بها فقال مالك : الكلب العقور إشارة إلى كل سبع عاد فأما ما ليس بهاد من السباع فليس للحرم قتله ، ولم ير قتل صغارها التي لا تعدو ولا ما كان منها أيضا لا يعدو ، وقال أبو حنيفة : لا يقتل من الكلاب العقورة إلا الكلب الإنسي والذئب ، وقال الشافعي : كل محرم الأكل فهو في معنى الخمس ، ولا خلاف بينهم في قتل الحية والأفعى والأسود وقال مالك : لا أرى قتل الوزغ ، والأخبار بقتلها متواترة لكن مطلقا لا في الحرم ، وأختلفوا في الزنبور فألحقه بعضهم بالعقرب وبعضهم رأى أنه أضعف نكايته من العقرب .

وآتفق العلماء على أن السمك من صيد البحر وأختلفوا في غير السمك بناء منهم على أن ما يحتاج منه إلى زكاة ليس من صيد البحر وأكثر من ذلك ما كان محرما لا يعتبر من صيد البحر ، ولا خلاف بين من يحل جميع ما في البحر في أن صيده حلال . وأختلفوا فيما يعيش في البر والبحر معا ، وقياس قول أكثر العلماء أنه يلحق

بالذى عيشه فيه غالبا وهو حيث يولد . والجمهور على أن طير الماء محكوم له بحكم حيوان البر ، وروى عن عطاء أنه قال في طير الماء : حيث يكون أغلب عيشه يحكم له بحكمه .

وآختلف العلماء في نبات الحرم هل فيه جزء أم لا ؟ فقال مالك : لا جزء فيه وإنما فيه الإثم فقط ، وقال الشافعي : فيه الجزء في الدوحة (الشجرة العظيمة) بقرة وفيها دونها شاة وقال أبو حنيفة : كل ما كان من غرس الإنسان فلا شيء فيه وكل ما كان نابتا بطبعه ففيه قيمته ، والأصل في هذا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث : « ولا يُعَصَّدُ شجرها ولا ينفر صيدها » .

(٣) حكم إتيان المحظورات في الإحرام

أجمع العلماء على أن فدية الأذى المذكورة في قوله تعالى ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ آذَى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ واجبة على كل من أماط الأذى من ضرورة ، وألحق به مالك من أماطه من غير ضرورة ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : إن حلق من غير ضرورة فإنما عليه دم فقط ، والمتعمد والناسي في وجوب الفدية سواء عند مالك وأبي حنيفة والثوري والليث ، وقال الشافعي في أحد قولييه ، وأهل الظاهر : لا فدية على الناسي .

وأجمع العلماء على أن فدية الأذى ثلاث خصال على التخيير الصيام والإطعام والنسك ، والجمهور على أن الإطعام لستة مساكين ، والصيام ثلاثة أيام ، والنسك أقله شاة ، وروى عن الحسن وعكرمة ونافع أنهم قالوا : الإطعام لعشرة مساكين ، والصيام عشرة أيام ، وقد اختلف الفقهاء فيما يطعمه لكل مسكين فقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم : الإطعام في ذلك مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم لكل مسكين ، وروى عن الثوري أنه قال : من البر نصف صاع ومن التمر والزبيب والشعير صاع ، وروى أيضا عن أبي حنيفة مثله وهو أصله في الكفارات .

والجمهور على أن كل ما منعه المحرم من لبس الثياب المخيطة وحلق الرأس وقص الأظفار أنه إذا استباحه فعليه الفدية دم على اختلاف بينهم في ذلك أو إطعام ولم يفرقوا بين الضرر وغيره في هذه الأشياء وكذلك استعمال الطيب وقال قوم: ليس في قص الأظفار شيء وقال آخرون: فيه دم، وحكى ابن المنذر الإجماع على منع المحرم من قص الأظفار، واختلفوا فيمن أخذ بعض أظفاره، فقال الشافعي وأبو ثور: إن أخذ ظفرا واحدا أطمع مسكينا واحدا وإن اثنين فاشتين وإن ثلاثة فعليه دم في مقام واحد، وقال أبو حنيفة في أحد أقواله: لا شيء عليه حتى يقصها كلها، وقال أبو محمد ابن حزم: يقص المحرم أظفاره وشاربه وهو شذوذ وقال: لا فدية إلا في حلق الرأس للعذر الذي ورد فيه النص. وقد أجمع العلماء على منع حلق شعر الرأس، واختلفوا في حلق الشعر من سائر الجسد، فالجمهور على أن فيه الفدية وقال داود: لا فدية عليه. واختلفوا فيمن نتف من رأسه الشعرة والشعرتين أو من لحمه فقال مالك: ليس على من نتف الشعر اليسير شيء إلا أن يكون أماغ به أذى فعليه الفدية وقال الحسن: في الشعرة مده وفي الشعرتين مدان وفي الثلاث دم، وبه قال الشافعي وأبو ثور، وقال عبد الملك صاحب مالك: فيما قل من الشعر إطعام وفيما كثر فدية.

واختلفوا في موضع الفدية فقال مالك: يفعل من ذلك ما شاء أين شاء بمكة وبغيرها وإن شاء ببلده لا فرق في ذلك بين الإطعام وذبح النسك والصيام وهو قول مجاهد، والذي عند مالك هاهنا هو نسك وليس بهدي، فإن الهدى لا يكون إلا بمكة أو بمبني، وقال أبو حنيفة والشافعي: الدم والإطعام لا يجزيان إلا بمكة، والصوم حيث شاء وقال ابن عباس: ما كان من دم فبمكة وما كان من إطعام وصيام فحيث شاء وعن أبي حنيفة مثله.

واختلف العلماء في حلق الرأس هل هو نسك من مناسك الحج أو هو مما يتحلل به منه؟ ولا خلاف بين الجمهور في أنه من أعمال الحج وأنه أفضل من التقصير إلا للنساء فستنهن التقصير، ومعظم الفقهاء على أنه نسك في الحج والعمرة وأنه واجب على

كل من فاته الحج وأحصر بعدو أو مرض، وقال أبو حنيفة: لا حلق ولا تقصير على المحصر بعدو، وبالجملة فمن أعتبر الحلق أو التقصير نسكا (عبادة) أوجب في تركه الدم ومن لم يجعله نسكا لم يوجب فيه شيئا .

(٤) كفارة المتمتع

نص الله سبحانه عليها في قوله ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتَ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وجمهور العلماء على أن ما استيسر من الهدى شاة، وذهب ابن عمر إلى أن الهدى لا يطلق إلا على الإبل والبقر، وأن معنى قوله تعالى فما استيسر من الهدى أى بقرة أدون من بقرة وبدنة أدون من بدنة، وأجمعوا على أن هذه الكفارة على الترتيب وإن لم يجد الهدى فعليه الصيام . واختلفوا في حد الزمان الذى ينتقل بآتضائه فرضه من الهدى إلى الصيام فقال مالك: إذا شرع فى الصوم فقد أنتقل واجبه إليه، وقال أبو حنيفة: إن من وجد الهدى فى أثناء صوم الثلاثة الأيام لزمه وإن وجده فى صوم السبعة لم يلزمه، وأجمعوا على أنه إذا صام الثلاثة الأيام فى العشر الأول من ذى الحجة أنه قد أتى بها فى محلها لقوله سبحانه ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ واختلفوا فىمن صامها فى أيام عمل العمرة قبل أن يهل بالحج أو صامها فى أيام منى؟ فأجاز مالك صيامها فى أيام منى ومنعه أبو حنيفة فقال: إذا فائته الأيام الأول وجب الهدى فى ذمته، ومنعه مالك قبل الشروع فى عمل الحج وأجازه أبو حنيفة، وآتفقوا على أنه إذا صام السبعة الأيام فى أهله أجزاء، واختلفوا إذا صامها فى الطريق، فقال مالك: يجوز الصوم وقال الشافعى: لا يجوز .

(٥) مفسدات الحج ومفواته

ولا خلاف أن من فاته الحج بعد أن شرع فيه إما بفوات ركن من أركانه وإما من قبل غلظه فى الزمان أو من قبل جهله أو نسيانه أو إتيانه فى الحج فعلا مفسدا له فإن عليه القضاء إذا كان حجا واجبا وهل عليه هدى مع القضاء؟ الجمهور: على وجوب الهدى عليه، واختلفوا أيضا هل يقضى الحج التطوع أو لا .

ومما يخص الحج التماسد عند الجمهور دون سائر العبادات أنه يمضى فيه المفسد له ولا يقطعه وعليه دم، وشذ قوم فقالوا : هو كسائر العبادات .

وأتفقوا على أن الحج يفسد بترك أركانه التي هي شرط في صحته على اختلافهم فيما هو ركن مما ليس بركن، وكذلك يفسده الجماع باتفاق إن كان قبل الوقوف بعرفة أو قبل الطواف والسعي بالنسبة للعمرة، واختلفوا في فساد الحج بالوطء بعد الوقوف بعرفة وقبل رمي جمرة العقبة وبعده رمي الجمرة وقبل طواف الإفاضة الذي هو الواجب فقال مالك والشافعي : يفسده الوطء قبل رمي جمرة العقبة وعليه الهدى والقضاء، وقال أبو حنيفة والثوري : عليه الهدى بدنة وحجة تام وروى مثله عن مالك والجمهور على أن من وطئ بعد رمي جمرة العقبة وقبل الطواف لا يفسد حجه ويلزمه الهدى، وقالت طائفة : فسده حجه وهو قول ابن عمر . واختلفوا في صفة الجماع الذي يفسد الحج وفي مقدماته، فالجمهور على أن التقاء الختانين يفسد الحج ويحتمل من يشترط في وجوب الطهر الإنزال مع التقاء الختانين أن يشترطه في الحج، واختلفوا في إنزال الماء فيما دون الفرج فقال أبو حنيفة : لا يفسد الحج، وقال الشافعي : ما أوجب الحد أفسد الحج، وقال مالك : الإنزال نفسه يفسد الحج وكذلك مقدماته من المباشرة والقبلة، وأستحب الشافعي فيمن جامع دون الفرج أن يهدى . واختلفوا فيمن وطئ مرارا فقال مالك : ليس عليه إلا هدى واحد وقال أبو حنيفة : إن كرر الوطء في مجلس واحد كان عليه هدى واحد وإن كرره في مجالس كان عليه لكل وطء هدى، وقال محمد بن الحسن يعزبه هدى واحد وإن كرر الوطء ما لم يهد لوطئه الأول، وعن الشافعي الثلاثة الأقوال إلا أن الأشهر عنه مثل قول مالك، وسوى مالك بين الوطء عمدا ونسيانا، وقال الشافعي في الحديد : لا كفارة على الناسي . واختلفوا هل على المرأة هدى؟ فقال مالك : إن طاوعته فعلها هدى وإن أكرهها فعليه هديان، وقال الشافعي : ليس عليه إلا هدى واحد كقوله في الجماع في رمضان، وجمهور العلماء : على أنهما إذا حجا من قابل تفرقا أى الرجل والمرأة، وقيل : لا يفترقان وهو مروى عن بعض الصحابة والتابعين وبه قال أبو حنيفة وفي أى الأماكن يفترقان؟ قال الشافعي :

يفترقان من حيث أفسدا الحج ، وقال مالك : يفترقان من حيث أحراما إلا أن يكونا أحراما قبل الميقات . ولا خلاف بين العلماء أن التحلل الأصغر الذي هو رمي الجمره يوم النحر - يحل به الحاج من كل شئ ، حرم عليه إلا النساء والطيب والصيد فإنهم اختلفوا في ذلك ، أما التحلل الأكبر بطواف الإفاضة فانه يحل للحاج كل ما حرم عليه بالاتفاق . واتفقوا أيضا على أن المعتمر يحل من عمرته إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وإن لم يكن حلق ولا قصر لشبوت الآثار بذلك إلا خلافا شاذا ، روى عن ابن عباس أنه يحل بالطواف وقال أبو حنيفه : لا يحل إلا بعد الحلق ، فإن جامع قبله فسدت عمرته .

وآختلف العلماء في الهدى الواجب بالجماع فقال مالك وأبو حنيفه : شاة ، وقال الشافعي : بدنة ، وإن لم يجدها قومت البدنة دراهم والدراهم طعاما ، فإن لم يجد صام عن كل مد يوما ، قال : والإطعام والهدى لا يجزى إلا بمكة أو بمبى والصوم حيث شاء وقال مالك : كل نقص دخل في الإحرام من وطء أو حلق شعر أو إحصار فإن صاحبه إن لم يجد الهدى صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع ولا يدخل الإطعام فيه ، فمالك شبه الدم اللازم هنا بدم التمتع ، والشافعي شبهه بالدم الواجب في الفدية ، والإطعام عند مالك لا يكون إلا في كفارة الصيد وكفارة إزالة الأذى .

يفوت وقت الحج بفوات الوقوف بعرفة يوم عرفة وأجمعوا أن من هذه صفته لا يخرج من إحرامه إلا بالطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة أعنى أنه يحل ولا بد من عمرة و حج من قابل ، واختلفوا هل عليه هدى أو لا ؟ فقال مالك والشافعي وأحمد والثوري وأبو ثور : عليه الهدى ، وقال أبو حنيفه : لا هدى عليه ، واختلف العلماء في القارن إذا فاته الحج هل يقضى حجاً مفرداً أو مقروناً بعمرة ؟ فذهب مالك والشافعي إلى أنه يقضى قارناً وقال أبو حنيفه : ليس عليه إلا الأفراد ، وجمهور العلماء : على أن من فاته الحج لا يقيم على إحرامه ذلك إلى عام آخر ، وهذا هو الاختيار عند مالك إلا أنه أجاز ذلك ليسقط عنه الهدى ولا يحتاج إلى التحلل بعمرة .

(٦) الكفارات المسكوت عنها

اتفق الجمهور على أن أعمال الحج أقسام ثلاثة : فرض لا يجب بتركه دم ، وسنة مؤكدة يجب بتركها الدم ، ونفل مرغّب فيه لا يجب بتركه دم ولا شيء آخر ؛ وكذلك اتفقوا على أن ما كان من التروك مسنوناً ففى فعله فدية الأذى ، وما كان مرغّباً فيه فليس فى تركه شيء ، ولكن اختلفوا فيما يعتبر فرضاً أو سنة أو يعتبر سنة أو نفلاً ، وأهل الظاهر لا يوجبون دماً أو فدية إلا فيما ورد فيه النص إذ لا قياس عندهم خصوصاً فى العبادات .

وها نحن أولاء نذكر لك أفعال الحج ومحظوراته واحداً واحداً ونبين ما فيه دم أولاً : (١) مجاوزة الميقات من غير إحرام قال قوم : لا دم عليه وقال قوم : عليه الدم وإن رجع وهو قول مالك وأبن المبارك ، وروى عن الثورى ، وقال قوم : إن رجع إليه فليس عليه دم وإن لم يرجع فعليه دم وهو قول الشافعى وأبى يوسف ومحمد ، ومشهور قول الثورى ، وقال أبو حنيفة : إن رجع ملياً فلا دم عليه وإن رجع غير ملياً كان عليه الدم ، وقال قوم : هو فرض ولا يجبره الدم ؛ (٢) غسل الرأس بالخطمى قال مالك وأبو حنيفة : من فعله يفتدى ، وقال الثورى وغيره : لا شيء عليه ؛ (٣) دخول الحمام رأى فيه مالك الفدية والأكثر على الإباحة ؛ (٤) لبس ما نهى عن لباسه ، فيه الفدية على قول الجمهور . واختلفوا فيما لبس السراويل لعدم الإزار ، فقال مالك وأبو حنيفة : يفتدى ، وقال الثورى وأحمد وأبو ثور وداود : لا شيء عليه إذا لم يجد إزاراً . واختلفوا فيما لبس الخفين مقطوعين مع وجود النعلين فقال مالك : عليه الفدية ، وقال أبو حنيفة : لا فدية عليه والقولان عن الشافعى . واختلفوا فى لبس المرأة القفازين (لباس اليمين) «الجواختى» هل فيه فدية أو لا ؟ وقد تقدم كثير من هذه الأحكام فى باب الإحرام ؛ (٥) ترك التلبية ، قيل : فيه دم ، وقيل لا : وقد تقدم ؛ (٦) نكس الطواف أو نسيان شوط من أشواطه ، يعيد الطواف من فعل ذلك باتفاق ما دام يمكنه . واختلفوا إذا بلغ إلى أهله فقال

قوم منهم أبو حنيفة : يحزبه الدم ، وقال قوم : بل يعيد ويحبر ما تقصه ؛ (٧) ترك الرمل في الثلاثة الأشواط لا يحبر بالدم على قول ابن عباس والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وأبي ثور ، وأختلف في ذلك قول مالك وأصحابه ؛ (٨) تقبيل الحجر أو يديه بعد وضعهما عليه في ترك ذلك دم ؛ (٩) نسيان ركعتي الطواف حتى يرجع الشخص إلى أهله فيه دم عند مالك ، وقال الثوري : يركعهما ما دام في الحرم ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : يركعهما حيث شاء ؛ (١٠) طواف الوداع ، لا يحبر بدم عند من يرى أنه فرض ومن لا يراه فرضا ، اختلفوا فيمن تركه ولم يتمكن له العودة إليه ، فقال مالك : ليس عليه شيء إلا أن يكون قريبا فيعود ، وقال أبو حنيفة والثوري : فيه دم إن لم يعد وإنما يرجع عندهم ما لم يبلغ المواقيت ؛ (١١) عدم إدخال الحجر في الطواف فيه دم إلا إذا أعاده قبل أن يخرج من مكة وهذا عند أبي حنيفة ؛ (١٢) المشي في الطواف مع القدرة عليه ، قال مالك : هو من شرط الطواف كالقيام في الصلاة فإن عجز كان كصلاة القاعد ويعيد عنده إلا إذا رجع إلى بلده فإن عليه دما . وقال الشافعي : الركوب في الطواف جائز ؛ (١٣) ترك السعي فيه دم إذا أنصرف إلى بلده وهو عند من لا يراه واجبا ، ومن رآه تطوعا لم يوجب فيه شيئا ؛ (١٤) تقديم السعي على الطواف إذا لم يعده حتى يخرج من مكة فيه دم عند بعضهم ؛ (١٥) الدفع من عرفة قبل الغروب فيه دم عند أبي حنيفة والثوري عاد أولم يعد ، وقال الشافعي وأحمد : لا شيء عليه إذا عاد ودفع بعد الغروب ؛ (١٦) الوقوف بعرفة من عرفة فيه دم عند مالك ، والشافعي يرى أن لا حج له . وتقدم مثل ذلك كثير .

القول في الهدى

النظر في الهدى يشتمل : (١) على معرفة حكمه ؛ (٢) وعلى معرفة جنسه ؛ (٣) وعلى معرفة سنه ؛ (٤) وكيفية سوقه ؛ (٥) ومن أين يساق ؛ (٦) وإلى أين يساق . وهو موضع نحره ؛ (٧) وحكم لحمه بعد النحر .

(١) حكم الهدى — الهدى المسوق في الحج منه واجب ومنه تطوع ، والواجب منه ما هو واجب بالنذر ومنه ما هو واجب في بعض أنواع هذه العبادة .

ومنه ما هو واجب لأنه كفارة ، فالواجب في بعض أنواع هذه العبادة هو هدى المتمتع باتفاق وهدى القارن باختلاف ، وأما الذي هو كفارة فهدى القضاء على مذهب من يشترط فيه الهدى وهدى كفارة الصيد ، وهدى القاء الأذى والتفتت وما أشبه ذلك من الهدى المقيس على المنصوص كما قدمنا .

(٢) جنس الهدى — آتفق العلماء على أن الهدى لا يكون إلا من الأزواج الثمانية التي نص الله عليها وأن الأفضل في الهدايا الإبل ثم البقر ثم الغنم ثم المعز .

(٣) سنّ الهدى — أجمعوا على أن الثنّى^(١) فما فوقه يجوز منها وأنه لا يجوز الجذع^(٢) من المعز في الضحايا والهدايا ، وأختلفوا في الجذع من الضأن فأكثر أهل العلم يقولون يجوزه في الهدايا والضحايا ، وكان ابن عمر يقول : لا يجوز في الهدايا إلا الثنّى من كل جنس ، ولا خلاف في أن الأعلى ثمن من الهدايا أفضل وليس في عدد الهدى حدّ معلوم ، وكان هدى رسول الله صلى عليه وسلم مائة .

(٤) كيفية سوق الهدى — يساق الهدى مقلدا مشعرا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلد هديه بذى الخليفة وأشعره وأحرم وتقلد الإبل والبقر بنعل أو نعلين أو غيرهما إذا لم يجد وهذا باتفاق ، أما الغنم فلا تقلد عند مالك وأبي حنيفة وتقلد عند الشافعي وأحمد وداود وأبي ثور ، ويستحب توجيه الهدى إلى القبلة حين توجيهه ، ومالك يستحب في الإشعار طعن الهدى في سنامه حتى يسيل منه الدم وأن يكون من الجانب الأيسر ، والشافعي وأحمد وأبو ثور يستحبونه من الجانب الأيمن .

(٥) من أين يساق الهدى — يرى مالك أن السنة في الهدى أن يساق من الحل ولذلك ذهب إلى أن من اشترى الهدى بمكة ولم يدخله من الحل عليه أن

(١) الثنّى من الإبل : ما دخل في السنة السادسة ومن البقر والغنم ما دخل في الثالثة وعلى مذهب أحمد هو من المعز ما دخل في الثانية .

(٢) الجذع : من أسنان الدواب ما كان شابا فنيا وهو من الإبل ما دخل في السنة الخامسة ، ومن البقر والمعز ما دخل في السنة الثانية وقيل : من البقر ما دخل في الثالثة ، ومن الضأن ما تمت له سنة وقيل : أقل منها .

يقفه بعرفة وإن لم يفعل فعليه البدل ، وأما من أدخله من الحل فيستحب له أن يقفه بعرفة وهو قول ابن عمر وبه قال الليث ، وقال الشافعي والثوري وأبو ثور : وقوف الهدى بعرفة سنة سواء أدخل من الحل أم لا ، ولا حرج على من لم يقفه ، وقال أبو حنيفة : توقيف الهدى بعرفة ليس بسنة .

(٦) منحر الهدى — محله أى الموضع الذى يحل نحره فيه — البيت . قال تعالى : (ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) وقال تعالى : (هَدْيًا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) وأجمع العلماء على أن الكعبة لا يجوز لأحد أن يذبح فيها وكذلك المسجد الحرام ، وقال مالك : المراد بالكعبة فى الآية مكة ولهذا لم يحز لمن نحر هديه فى الحرم إلا أن ينحره بمكة ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : إن نحره فى غير مكة من الحرم أجزاء ، وقال الطبرى : يجوز نحر الهدى حيث شاء إلا هدى القران وجزاء الصيد فانهما لا ينحران إلا بالحرم ، وبالجملة فالنحر بمنى إجماع من العلماء وفى العمرة بمكة إلا ما اختلفوا فيه من نحر المحصر ، وعند مالك إن نحر للحج بمكة وللعمرة بمنى أجزاء ، وحجة مالك أنه لا يجوز النحر بالحرم إلا بمكة قوله صلى الله عليه وسلم « كل بفحاج مكة طريق ومنحر » وأستثنى مالك من ذلك هدى الفدية فأجاز نحره بغير مكة . هذا مكانه وأما زمانه فقال مالك : إن ذبح هدى التمتع أو التطوع قبل يوم النحر لم يحزه ، وقال الشافعي : يجوز فى كليهما قبل يوم النحر ، وجوزه أبو حنيفة فى التطوع والجمهور على أن الصيام المعدول به عن الهدى يجوز حيث شاء لأنه لا منفعة فى ذلك لأهل الحرم ولا لأهل مكة وإنما اختلفوا فى الصدقة المعدولة عن الهدى ، بجمهور العلماء : على أنها لمساكين مكة والحرم لأنها بدل من جزاء الصيد الذى هو لأهل الحرم ، وقال مالك : الإطعام كالصيام يجوز بغير مكة .

وتستحب فى النحر التسمية لأنها ذكاة وأستحب بعضهم التكبير معها ، ويستحب للهدى أن يلى نحر هديه بيده وإن آستخاف جاز وليس أن تحسر قياما .

(٧) الانتفاع بالهدى — في ذلك مسائل مشهورة : (١) ركوب الهدى ، فذهب أهل الظاهر إلى جوازه لضرورة ومن غير ضرورة بل أوجب بعضهم ركوبه وكره جمهور فقهاء الأمصار ركوبه من غير ضرورة ؛ (٢) أكل لحمه ، أجمع العلماء على أن هدى التطوع إذا بلغ محله أكل منه المتطوع كسائر الناس وإذا عطب قبل ذلك خلى بينه وبين الناس ولم يأكل منه ، بل قال أبو داود وأبو ثور : لا يأكل منه رفقته أيضا ، واختلفوا في الواجب على من أكل منه فقال مالك : عليه بدل الهدى وقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد والثوري وآبن حبيب من أصحاب مالك : عليه قيمة ما أكل أو أمر بأكله طعاما يتصدق به ، وروى عن علي وآبن عباس وآبن مسعود وجماعة من التابعين . وما عطب في الحرم قبل أن يصل الى مكة هل بلغ محله أولا ؟ فيه الخلاف وهو مبني على الخلاف المتقاسم هل المحل هو مكة أو الحرم ؟ وأما الهدى الواجب فإن عطب قبل محله فلصاحبه أن يأكل منه لأن عليه بدله ، بل أجاز بعضهم أن يبيع لحمه ليستعين به في بدله — وكره مالك ذلك — واختلفوا في الأكل من الهدى الواجب إذا بلغ محله فقال الشافعي : لا يؤكل من الهدى الواجب كله ولحمه كله للساكين وكذلك جلّه إن كان مجللا والنعل الذي قلد به وقال مالك : يؤكل من الهدى الواجب جزاء الصيد ونذر المساكين وفدية الأذى ، وقال أبو حنيفة لا يؤكل من الهدى الواجب إلا هدى المتعة والقران .



وإلى هنا تم ما قصدنا من أحكام الحج في المذاهب واقتصرنا ذلك من بداية المجتهد كما أعلمناك سابقا .

جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب الأربعة

العمل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
الحج	فرض فوراً ^(١)	فرض تراخياً	فرض فوراً	فرض فوراً
العمرة	سنة مؤكدة	»	سنة مؤكدة	»
الإحرام بالحج أى نيته	شرط وركن ^(٢)	ركن	ركن	ركن
» بالعمرة أى نيته	شرط وقيل ركن ^(٣)	»	»	»
قرن الإحرام بالتلبية	سنة	سنة	سنة وقيل واجب	سنة
الإحرام من الميقات	واجب ^(٤)	واجب	واجب	واجب
العسل للإحرام	سنة	سنة	سنة	مستحب
التطيب للإحرام	»	»	مكروه	»
التلبية	»	»	واجبة	سنة
طواف القدوم	»	»	واجب	»
نية الطواف	شرط	شرط ^(٥)	»	شرط
بدء الطواف من الحجر الأسود	واجب	»	»	»
جعل البيت عن يسار الطائف	»	»	شرط	»
المنى في الطواف لقادر عليه	»	سنة	واجب	»
الطهارة من الحدثين في الطواف	»	شرط	شرط	»
طهارة البدن والثوب والمكان في الطواف	سنة	»	»	»
كون الطواف من وراء الحجر	واجب	»	»	»
» في المسجد	»	»	»	»
» سبعة أشواط	واجب ^(٦)	»	»	»

(١) عند محمد على التراخي . (٢) أى شرط ابتداء حيث يصح حصوله قبل أشهر الحج . وركن آتياه حيث لا يصح استدامته بعد أشهر الحج ليحج به من قابل ، والفرق بين الشرط والركن أن الشرط خارج عن الشيء والركن جزء منه وكل منهما لا يدم منه لصحة الشيء . (٣) السنة لا يلزم بتركها شيئاً ولكن يفوت الثواب . (٤) يلزم بتركه دم . (٥) في الوداع والتطوع فقط . (٦) الأربعة الأشواط الأولى وركن الثلاثة الأخيرة واجبة في طواف الزيارة سنة في الطواف الواجب .

تابع) جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب الأربعة

العمل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
المواولة بين أشواط الطواف	سنة	سنة	واجب	شروط
سرا العودة في الطواف	واجب (١)	شروط	شروط (٢)	»
ركعتا الطواف	واجب	سنة وقيل واجب	واجب	سنة
الطواف للعمرة	ركن	ركن	ركن	ركن
السعي بين الصفا والمروة في الحج أو العمرة	واجب	»	»	»
وقوع السعي بعد طواف	»	شروط	واجب	شروط
نية السعي	»	»	شروط	»
بدء السعي بالصفا وختمه بالمروة	»	»	»	»
المشي فيه مع القدرة	»	سنة	واجب	»
كون السعي سبعة أشواط	»	شروط	شروط	»
المواولة بين أشواط السعي	سنة	سنة	واجب	»
« السعي والطواف	»	»	»	سنة
الحلق أو التقصير في العمرة	واجب	واجب	»	واجب
المبيت بمنى ليلة عرفة	»	سنة	»	منحب
الوقوف بعرفة	ركن	ركن	ركن	ركن
وقت الوقوف بعرفة	من بعد الزوال إلى طلوع فجر يوم النحر	من بعد الزوال إلى طلوع فجر يوم النحر	من بعد الزوال إلى طلوع فجر يوم النحر	من بعد الزوال إلى طلوع فجر يوم النحر
مدّ الوقوف إلى ما بعد الغروب إن وقف نهاراً	واجب	واجب وقيل سنة	ركن	واجب
الدفع من عرفة مع الإمام أو نائبه	»	سنة	واجب	سنة
الجمع بمزدلفة بين صلاتي المغرب والعشاء	»	»	سنة	»
المبيت بمزدلفة	»	واجب	واجب	واجب

(١) ولكن بعدان ولا يجوزان بالدم . (٢) ويجب فيما عند المالكية أن يكونا بوضوء الطواف كما يجب أن لا يصليا بالحجر أو الكعبة وأن لا يفصل بينهما وبين الطواف فاصل طويل .
 (٣) ولكن يكفي في تحصيل الواجب المكث لحظة في النصف الثاني من الليل عند الشافعي ولحظة بعد الفجر عند أبي حنيفة ومقدار حط الرحال وصلاة العشاءين وتناول شيء من الطعام والشراب عند مالك .

(تابع) جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب الأربعة

العمل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
الوقوف بمزدلفة « المشعر الحرام » في وقته ^(١)	واجب	واجب	سنة أو مستحب	واجب
رعى حرة العقبة يوم النحر... ^(٢)	»	»	واجب	»
الحلق أو التقصير في الحج... ^(٣)	»	ركن	»	»
الترتيب بين الرمي والذبح والحلق...	»	سنة	سنة	سنة
كون الحلق في الحرم وأيام النحر...	»	»	»	»
طواف الإفاضة... ^(٤)	ركن أكثره	ركن	ركن	ركن
كونه في أيام النحر... ^(٥)	واجب	»	واجب في ذي الحجة	سنة يوم العيد
تأخير طواف الإفاضة عن الرمي... ^(٦)	سنة	سنة	واجب	سنة
رعى الجمار الثلاث في أيام التشريق... ^(٧)	واجب	واجب	»	واجب
عدم تأخير الرمي إلى الليل... ^(٨)	سنة	سنة	»	سنة
المبيت بينى ليالي أيام التشريق... ^(٩)	»	واجب	»	واجب
طواف الوداع... ^(١٠)	واجب	»	مستحب	»

حكم المناسك وأسرارها

نذكر تحت هذا العنوان كلمة ممتعة للسيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الغراء وهي القسم الأخير من رسالته في مناسك الحج، قال أحسن الله إليه تحت هذا العنوان: يظن كثير من الناس الذين لا يعرفون كنه هذا الدين القويم من غير أهله ومن

(١) وقته من طلوع الفجر إلى شروق الشمس . (٢) وقتها المستحب من طلوع الشمس إلى الزوال ولا يجوز رميها قبل الفجر خلافاً للشافعي ويجوز رميها إلى غروب شمس يوم النحر فإن رماها بالليل يجب عليه دم عند مالك وإن أخرها إلى الغد عليه دم عند مالك وأبي حنيفة . (٣) وذلك في يومين فقط إن تعجل وفي ثلاثة لغيره .

المنسويين إليه على سبيل الجنسية لا التدين أن بعض مناسك الحج من العبادات الوثنية وأن الاسلام أقرها تأييدا لمشركي العرب ، وقد سئلنا عن ذلك سؤالا مطولا نشر في باب الفتوى من المجلد السادس عشر ، فنذكر هنا ملخص ما أجبنا به من حكم الحج وأسارره ولولا ضيق الوقت لزدنا عليه وهو :

حكمة أستلام الحجر الأسود — من عرف معنى العبادة يقطع بأن المسلمين لا يعبدون الحجر الأسود ولا الكعبة ، ولكن يعبدون الله تعالى وحده باتباع ما شرعه فيهما . بل كان من تكريم الله تعالى لبيته أن صرف مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين والكفار الذين كانوا يعظمونه قبل الإسلام عن عبادته ، وقد وضعوا فيه الأصنام وعبدوها فيه ولم يعبدوه ، ذلك أن عبادة الشيء عبارة عن دعائه وكل قول أو عمل مبنى على اعتقاد أن له سلطة غيبية يترتب عليها الرجاء بنفعه لمن يعبده أو دفع الضرر عنه ، والخوف من ضرره لمن لا يعبده أو لمن يقصر في تعظيمه ، سواء أكانت هذه السلطة ذاتية لذلك الشيء المعبود فيستقل بالنفع والضرر أم كانت غير ذاتية له بأن يعتقد أنه واسطة بين من لجأ إليه وبين المعبود الذي له السلطة الذاتية . ولا يوجد أحد من المسلمين يعتقد أن الحجر الأسود ينفع أو يضر بسلطة ذاتية له ، ولا بسلطة تقرب من يعبده ويأجأ إليه إلى الله تعالى ، ولا كانت العرب في الجاهلية تعتقد ذلك وتقوله في الحجر كما تقول في أصنامها : ((مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْمَى)) (هُؤُلَاءِ شَفَعَاءُنَا عِنْدَ اللَّهِ) وإنما عقيدة المسلمين في الحجر هي ما صرح به عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند تقبيله ، قال : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك — رواه الجماعة كلهم — أحمد والشيخان وأصحاب السنن . وقد بينا في المنار من قبل أن هذا القول روى أيضا عن أبي بكر رضي الله عنه وروى مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن أثر عمر كان العمدة في هذا الباب للاتفاق على صحة سنده . قال الطبري : إنما قال عمر ذلك (أى مع أنه معلوم من الدين بالضرورة) لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي أن

يظن الجهال أن آستلام المجمر الأسود من باب تعظيم الأحمجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية ، فأراد أن يعلم الناس أن آستلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن المجمر يضر وينفع بذاته اه .

بقى أن يقال : اذا كان هذا المجمر لا ينفع ولا يضر - كما قال عمر في الموسم تعليماً للناس وأقزته جميع الصحابه عليه - وكان آستلامه وتقبيله لمحض الطاعة والاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتبع في سائر العبادات ، فما حكمة جعل ما ذكر من العبادة؟ وهل يصح ما قيل : من أن النبي صلى الله عليه وسلم تركه في الكعبة مع أنه من آثار الشرك تأليفاً للمشركين وآستمالة لهم إلى التوحيد؟ والجواب أن المجمر ليس من آثار الشرك ولا من وضع المشركين ، وإنما هو من وضع إمام الموحدين إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ، جعله في بيت الله ليكون مبدءاً للطواف بالكعبة يعرف بمجترد النظر اليها فيكون الطواف بنظام لا يضطرب فيه الطائفون ، وبهذا صار من شعائر الله يكرم ويقبل ويحترم لذلك كما تحترم الكعبة لجعلها بيتاً لله تعالى وإن كانت مبنية بالحجارة فالعبرة بروح العبادة النية والقصد ، وبصورتها الأمتثال لأمر الشارع واتباع ما ورد بلا زيادة ولا نقصان ، ولهذا لا تقبل جميع أركان الكعبة عند جمهور السلف ، وإن قال به وتقبيل المصحف وغيره من الشعائر الشريفة بعض من يرى القياس في الأمور التعبديّة . وتعظيم الشعائر والآثار الدينيّة والدينيّة بغير قصد العبادة معروف في جميع الأمم لا يستنكره الموحدون ولا المشركون ولا المعطلون ، وأشدّ الناس عناية به الإفرنج فقد بنوا لآثار عطاء الملوك والفاتحين والعلماء العاملين الهياكل العظيمة ونصبوا لهم التماثيل الجميلة ، وهم لا يعبدون شيئاً منها ، فلماذا نهتم بكل ما يلفظ به كل قسيس أو سياسي يريد تغيير المسلمين من دينهم إذا مؤه علينا في شأن تعظيم المجمر الأسود فزعم أنه من آثار الوثنيّة ، ونحن نعلم أنه أقدم أثر تاريخي ديني لأقدم إمام موحد داع إلى الله من النبيين المرسلين الذين عرف شيء صحيح من تاريخهم وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي أجمع على تعظيمه مع المسلمين اليهود والنصارى؟

بقي من حكمة استلام الحجر وتقبيله ما اعتمده الصوفية فيها أخذاً مما ورد في بعض الأحاديث الضعيفة كحديث ابن عباس « الحجر الأسود يمين الله في أرضه » رواه الطبراني ، فقالوا : وهو أنه رمز لمبايعة الله تعالى فكان الحجر يمين الله تعالى ، ومستلمه مبايع له على توحيدهِ والإخلاص له واتباع دينه الحق ، والأعمال الرمزية معروفة في جميع الأدبيات الإلهية . وقال المهلب : حديث عمر يرد على من قال إن الحجر يمين الله في الأرض يصاغ بها عباده — ومعاذ الله أن تكون لله جارحة — وإنما شرع تقبيله اختباراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة إبليس حيث أمر بالسجود لآدم اه . وليس مراد من قال إنه يمين الله أن لله جارحة ، وإنما أراد ما ذكرنا ، والعمدة في رد هذا القول عدم صحة الحديث فيه ، فإن صح وجب قبوله ومعناه ظاهر ، وقال الخطابي : معنى كونه يمين الله في الأرض أن من صالحه في الأرض كان له عند الله عهد ، ووجرت العادة بأن العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته والأختصاص به بخاطبهم بما يعهدونه . وقال المحب الطبري : إن كل ملك إذا قدم عليه الوفد قبل يمينه ، فلما كان الحاج أول ما يقدم سن له تقبيله نزل منزلة يمين الملك ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ اه .

ولعمري لو أن ملوك الإفرنج وعلماءهم أمكنهم أن يشتروا هذا الحجر العظيم يتغالوا في ثمنه تغاليا لا يتغالون مثله في شيء آخر في الأرض ، ولوضعوه في أشرف مكان من هياكل التحف والآثار القديمة عندهم ، ولحج وفودهم إلى رؤيته وتمنى الملايين لو تيسر لهم لمسه وأستلامه ، وناهيك بمن يعلم منهم تاريخه وكونه من وضع إبراهيم أبي الأنبياء عليهم السلام وأنهم ليتغالون فيما لا شأن له من آثار الملوك أو الصناع .

هذا وأن من مقاصد الحج النافعة تذكر نشأة الاسلام دين التوحيد والقطرة في أقدم معابده وإحياء شعائر إبراهيم التي طمسها وشوهتها الجاهلية بوشحتها فطهرها الله ببعثة ولده محمد الذي استجاب الله به دعوته ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ عليهما الصلاة والسلام . روى

أحمد وأصحاب السنن والحاكم عن يزيد بن شيبان قال : أتانا ابن مَرِيع (كُنِبَرُ واسمه يزيد) الأنصاري ونحن بعرفة - في مكان يباعده عمرو عن الإمام^(١) - فقال : أما إني رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم ، يقول لكم : « قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من أبيكم إبراهيم » هذا سياق أبي داود وقد سكت عليه . وقال الترمذي : حديث ابن مَرِيع الأنصاري حديث حسن لا يعرفه إلا من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار .

وجملة القول أن مناسك الحج من شريعة إبراهيم وقد أبطل الإسلام كل ما ابتدئته الجاهلية فيها من وثنيها وقبح عملها كطوافهم بالبيت عرارة ، وأن الكعبة من بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كما هو ثابت عند العرب بالإجماع المتواتر بينهم ، وكانوا يعظمونها هم والأُمم المجاورة لهم بل والبعيدة عنهم كالمندود ، ومن الثابت أيضا أنهم لما جددوا بناءها أبقوا الركنين اليمانيين على قواعد إبراهيم ، وإنما اقتصروا من جهة الركنين الشاميين ، ولذلك ورد استلام الركنين اليمانيين دون غيرهما ، ويقال لأحدهما : الركن الأسود لأن فيه الحجر الأسود والآثر : اليماني فإذا شئوها قالوا : اليمانيين تغليباً كما يقولون في تنية الركن الشامي والركن العراقي : الشاميين . ولما كانت الكعبة قد جدد بناؤها قبل الإسلام وبعده ولم يبق فيها حجر يعلم باليقين أنه من وضع إبراهيم إلا الحجر الأسود لامتياز بلونه وبكونه مبدأ المطاف - كان هو الأثر الخاص المذكور بنشأة الإسلام الأولى في ضمن الكعبة المذكورة بذلك بوضعها وموضعها وسائر خصائصها ، زادها الله حفظاً وشرفاً . وقد علم بهذا أن الحجر له منزلة تاريخية دينية وإن كان الأصل في وضعه بلون مخالف للون البناء آهتداء للناس بسهولة إلى جعله مبدأ للطواف . ولنا مع علمنا بهذا أن نقول إن الله تعالى أن يخص ما شاء من الأجسام والأمكنة والأزمنة بما شاء لروابط العبادة والشعائر ، فلا فرق بين تخصيص

(١) هذه الجملة مدرجة في الحديث أدرجها في الرواية عمرو بن دينار ومعناها أنهم في مكان بعيد عن موقف الأمام بحيث لا يسمعون كلامه فقلوه ؛ يباعده عمرو يعني يذكر عمرو بن عبد الله بن صفوان التابعي أنه بعيد عن الإمام الأعظم صلى الله عليه وسلم أي فذلك أرسل إليهم رسولاً .

الجمرة الأسود بما خصصه به وبين تخصيص البيت الحرام والمشعر الحرام وشهر رمضان والأشهر الحرم بما خصت به، ومبنى العبادات على الاتباع لا على الرأي .

حكمة رمي الجمار

إذا وعيت ما تقدم كان نورا بين يديك تبصر به حكم سائر مناسك الحج، أعني أنها مما تعبدنا الله تعالى بها لتغذية إيماننا بالطاعة والامتثال سواء عرفنا سبب كل عمل منها وحكمته أم لا، وأنها إحياء لدين إبراهيم أبي الأنبياء وإمام الموحدين المخلصين، وتذكير بنشأة الإسلام ومعاهده الأولى. وإن لاستحضار ذلك لتأثيرا عظيما في تغذية الإيمان وتقوية الشعور به والثقة بأنه دين الله الخالص الذي لا يقبل غيره، فإن جهلنا سبب شرع بعض تلك الأعمال أو حكمتها لا يضرنا ذلك ولا يثنيها عن إقامةها، كما اذا ثبت لنا نفع دواء من الأدوية مركب من عدة أجزاء وجهلنا سبب كون بعضها أكثر من بعض، فإن ذلك لا يثنيها عن استعمال ذلك الدواء والانتفاع به، ولا يدعونا إلى التوقف وترك استعماله إلى أن نتعلم الطب ونعرف حكمة أوزان تلك الأجزاء ومقاديرها .

أبسط ما يتبادر إلى الذهن من منشا هذه العبادة أن هذه المواضع التي تسمى بالجمرات كانت من معاهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فشرع لنا أن نقف عند كل واحدة منها تكبرا لله سبع تكبيرات نرمي عند كل تكبيرة حصاة صغيرة بين أصابعنا تعدّ بها التكبير، والعدّ بالحصى—ومثله النوى في مثل الحجاز— من الأمور المعهودة عند الذين يعيشون عيشة السذاجة، فنجمع بهذا الذكر بهذه الكيفية بين إحياء سنة إبراهيم الذي أقام الدين الحق في هذه المعاهد وبين التعبد لله تعالى بكيفية لا حظ للنفس ولا محل للهوى فيها . والعبادة منها شعائر يجتمع لها الناس وتقصد الأمة بعملها إظهار الدين والاجتماع والتآلف على عبادة الله تعالى، وكل أعمال الحج من هذا القبيل، ومنها ما يقصد به تربية كل فرد نفسه وتركبتها فقط كالتبهد وذكر الله في الخلوة، فلا يقال إن الذكر والتكبير لا يختص بذلك الزمان والمكان، لأن هذا

التول لا يصح إلا في غير الشعائر إذ الشعائر لا بد فيها من التخصيص والتوقيت لأجل جمع الناس عليها بنظام كالآذان وصلاة الجماعة والجمعة والعيدن .

أما كون رمى الجمار شرع لذكر الله تعالى فسيأتي حديث عائشة المصرح به ، وأما سبب وقوف إبراهيم في تلك المعاهد لذكر الله وتكبيره وعده بالحصى فلا يضرنا جهله ويكفي أن تقتدى به في هذه الشعيرة كشعيرة الطواف وغيرها من المناسك . وورد في بعض الأحاديث الضعيفة السند أن إبليس عرض له هنالك أى يوسوس له ويشغله عن أداء المناسك فكان يرميه كل مرة فيخنس ثم يعود . وروى الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس : لما أتى خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمره العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم عرض له عند الجمره الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم ذكر الجمره الثالثة كذلك .

وروى عن محمد بن إسحاق قال : لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام جاءه جبريل عليه السلام فقال له طف به سبعا : ثم ساق الحديث وفيه أنه لما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له إبليس عند جمره العقبة فقال له جبريل : كبر وأرمه سبع حصيات ، فرماه فغاب عنه ، ثم برز له عند الجمره الوسطى فقال له جبريل : كبر وأرمه فرماه إبراهيم سبع حصيات ، ثم برز له عند الجمره السفلى فقال له جبريل : كبر وأرمه ، فرماه سبع حصيات مثل حصى الخذف ، فغاب عنه إبليس . ثم مضى إبراهيم في حجه - الحديث . وليس تمثل الشيطان للأنبيا ولا ظهوره لهم بغريب في قصصهم ففي الإنجيل المعتمد عند النصارى أنه ظهر للمسيح عليه السلام وجره تجارب طويلة . فإذا صح أن إبليس عرض لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في أثناء أداء مناسكه بظهور ذاته أو مثاله أو مجرد التصدى لوسوسة والشغل عن ذكر الله تعالى فلا غرابة في قذفه ورجحه كما يطرد الكاب ، فمن المعروف في الأخلاق والطباع أن يأتي الانسان بعمل عضوى يظهر به كراهته لما يعرض له

حتى من الخواطر القبيحة ودفعه عنه وبراءته منه ، فأخذ الحصيات ورمىها مع تكبير الله تعالى من هذا القبيل ، وإن حركة اليد المشيرة الى البعد لتفيد في دفع الخواطر الشاغلة للقلب... والرجم بالحجارة بقصد الدلالة على السخط والتبرى أو الإهانة معهود من الناس وله شواهد عند الأمم كرجم بنى اسرائيل مع يسوع النبي (يوشع عليه السلام) لعجان بن زراح وأهله وماله من ناطق وصامت كما في ٧ : ٢٤ و ٢٥ من سفر يسوع ، وكرجم النصارى لشجرة التين التي لعنها المسيح ، ورجم العرب في الجاهلية لقبر أبي رغال في المغمس بين مكة والطائف لأنه كان يقود جيش أبرهة الحبشي الى مكة لأجل هدم الكعبة حرسها الله تعالى .

والعمدة في رمي الجمار ما تقدم من قصد التعبد لله تعالى وحده بما لاحظ للنفس فيه اتباعا لإبراهيم أقدم رسل الله الذين بقيت آثارهم في الأرض ، ومجد خاتم رسل الله ومكمل دينه ومتممه الذي حفظ كله في الأرض صلى الله عليهم أجمعين .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في بيان أسرار الحج من الإحياء : « وأما رمي الجمار فليقصد به الانقياد للأمر بإظهار اللق والعبودية ، وأتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للنفس والعقل في ذلك . ثم ليقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية ، أمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله . فإن خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان ، فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليقتر عزمك في الرمي ، ويخيل إليك أنه لا فائدة فيه ، وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به ؟ فاطرده عن نفسك بالحد والتشمير في الرمي ، فبذلك ترغم أنف الشيطان . وأعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى في العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقسم به ظهره ، إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له مجرد الأمر من غير حظ للنفس فيه » اهـ .

حكمة الرمل في الطواف والسعي بين الصفا والمروة

الطواف بالكعبة المعظمة والسعي بين الصفا والمروة من مناسك الحج وشعائر الإسلام عن عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وروى أن هاجر رضي الله تعالى عنها كانت تسعي بينهما وآله حيرى عند حاجتها إلى الماء زمن ولادتها لإسماعيل حتى هداها الله تعالى إلى بئر زمزم . والحكمة في هذه العبادة ما ذكرناه في الكلام على رمي الجمار من إقامة ذكر الله تعالى في هذه المعاهد التي هي أقدم معاهد التوحيد المعروفة في الأرض وإحياء سنن المرسلين فيها، قال صلى الله عليه وآله وسلم « إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن : صحيح من حديث عائشة . وأذكاره معروفة في المناسك . وأما الرمل فيه فهو سنة نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة ومعناه سرعة في المشي مع تقارب الخطوات من غير عدو ولا وثب، ويسمى انجذب أيضا، فهو دون العدو وفوق المشي المعتاد، فإن زادت السرعة كان عدوا .

أما سبب الرمل في الطواف والسعي بهمة وتشاط بين الصفا والمروة فهو كما يؤخذ من عدة أحاديث إظهار قوة المسلمين للمشركين ، وكان قد علم النبي صلى الله عليه وسلم أن المشركين قالوا عام الحديبية في المؤمنين : قد أوهنتهم حمى يثرب . وروى في الصحيح أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة لعمره القضاء قال المشركون : إن محمدا وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال لذلك أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يرملوا في ثلاث طوفات ويمشوا في أربع من الأشواط السبعة من طواف القدوم فقط . وكان خطر لعمر بن الخطاب أن يتركه لأن النبي صلى الله عليه وسلم فعله لسبب عارض ، ثم بدا له فمضى عليه لأنه علم أن المحافظة على ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينه عنه كالمحافظة على ما كان فعله جده إبراهيم صلى الله عليه وسلم إن لم تكن أولى ، روى أبو داود وآبن ماجه عنه أنه قال : « فيم الرَّمْلان اليوم والكشف عن المناكب وقد أطا الله الإسلام

(أى وطأه وأحكمه) ونفى الكفر وأهله؟ مع ذلك لا ندع شيئا كما نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأصله في البخارى بلفظ "فما لنا والرمل إنما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله - ثم قال - شىء صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه"؛ وقوله: «راءينا» مشاركة من الرؤية أى أريناهم قوتنا وأننا لانعجز عن مقاومتهم، وقيل: هو من الرياء بمعنى إراءة ما هو غير الواقع أى أريناهم من الضعف قوة. والرياء مذموم لأنه خداع والخداع جائز في الحرب وهذا من قبيل الحرب، وقوله في الرواية الأولى: والكشف عن المناكب معناه الأضطباع وهو أن يؤخذ الرداء من تحت إبط اليد اليمنى فيلقى على كتف اليسرى فتظهر المناكب، وحكمته عين حكمة الرمل، وقيل: إنما هو لأجل التمكن منه وقد ورد في الصحيح أن المشركين قالوا عندما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يرملون مضطبعين: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم أجلد من كذا وكذا، وفي رواية أجلد منا. ففعل من هذا أن الرمل أو المرولة كما قال السائل إنما شرعت في الطواف لسبب، وأننا نحافظ عليه لتمثيل حال سلقنا الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم اتباعا وتذكرا لنشأة الإسلام الأولى في عهدهم، وهل توجد أمة من الأمم غيرنا تعرف من نشأة دينها هذه الدقائق بيقين؟ لا لا! فالحمد لله رب العالمين.

حكمة ذبائح النسك

حكمة ذبائح الهدى والأضاحى معروفة لا يجهلها عامة المسلمين، وهى طاعة الله تعالى وتقواه وإظهار نعمته بتوسعة المسامين على أنفسهم وعلى الفقراء والمساكين فى أيام العيد التى هى أيام ضيافة الله للمؤمنين، وهى من مناسك الحج لأنها إحياء لسنة إبراهيم وتذكر لنعمة الله عليه وعلى الناس بقداء ولده إسماعيل من الذبح الذى آتلاه الله وأختبره به لتظهر قوة إيمانه بالله تعالى وإيثاره لرضاه. ونعمة الله بذلك على الناس كافة إنما هى من حيث إن إسماعيل هو جد محمد صلى الله عليهما وسلم الذى أرسله الله تعالى خاتما لرسله وهاديا للناس كافة.

قال الله تعالى في البُدن التي تحجر للنسك ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُّوا مِنْهَا
وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ وقال في ذبائح النسك عامة ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا
وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ .

جملة القول في حكمة الحج والاعتبار به

اعلم أيها الحاج أن ما ورد في الحديث الصحيح من أن الحج المبرور ليس له
جزاء إلا الجنة، وأن «من حج ولم يرفث ولم يفسق نرجح من ذنوبه كيوم ولدته أمه»
سببه أن الحج إذا أدى كما يجب الله تعالى يقوى الإيمان ويزكى النفس ويطهرها
حتى يظهر أثر ذلك في الأخلاق والمعاملات مع الله والناس .

فاذا أردت أن يكون حجك مبرورا فعليك أولا أن تتوب الى الله تعالى توبة
صادقة وأن يكون حجك لوجه الله وابتغاء مرضاته بامتثال أمره وتحقيق حكمة شرعه
في النسك وغيره .

وذلك بأن تعلم أنك بحج بيت الله تعالى مقبل على الله تعالى مع إخوانك المؤمنين
كما تقبلون عليه في الآخرة ، وتذكر أن ثياب الإحرام كأكفان الموتى ، وأن المحرمين
يتساوى كبيرهم وصغيرهم وأميرهم ومأمورهم في الزى وترك ما هو غير ضرورى
للحياة من نعيم الدنيا ومميزاتها ومفانحها وأثاثها ورياشها وزينتها وطيبها وفى أداء المناسك
كلها ولا سيما الوقوف بعربات الذى يشبه الوقوف بين يدي الله تعالى يوم القيامة .
فتدبر هذه المعانى وتذكر أنك بين يدي الله تعالى وأنه يسمع تليتك التى سمعت
معناها ، فأجتهد أن تكون صادقا فيها وتدبر معناها ومعانى سائر الأذكار والدعوات ،
وتذكر عند تقلبك فى المناسك نشأة الدين الأولى فى عهد سيدنا إبراهيم وعهد ولده
سيدنا محمد وهما أفضل الرسل عليهما الصلاة والسلام وعلى سائر رسل الله تعالى .
وأنك تطوف حيث طافا وتسعى حيث سعيا وتقف حيث وقفا وتذكر الله وتدعوه
حيث ذكرا ودعوا ، ولكنهما تحملا من العناء والبلاء فى إقامة دين الله فى تلك البلاد
ما لا تحمّل شيئا منه .

فاذا أنت تذكرت وتدبرت ماذا يخشع قلبك وجوارحك وتدمع عيناك، ويقوى شعور الإيمان في نفسك حتى يغلب باذن الله تعالى ما كان فيها من آثار الأوزار السابقة، وتعود بصفائها وطهارتها الى أصل الفطرة، وهذا معنى خروجك من الذنوب كيوم ولدتك أمك. فيجب أن تحرص بعد الحج على المحافظة على هذه النفس الزكية الطاهرة كما تحرص على نفس ولدك الذي تربيه تربية صالحة أن ينغمس في الفسق والشرور، ولا تنس ما في الحج من فوائد تعارف شعوب المسلمين وقبائلهم وتآلفهم، فأحرص على هذه الفائدة والله الموفق، فنسأله تعالى أن يوفقنا لاداء مناسكنا على الوجه الذي يحبه ويرضاه، ويجعل ذلك ذخيرة لنا الى يوم نلقاه. والحمد لله أولاً وآخراً.

قبل أن نتكلم على مكة وما فيها من المشاعر نتقدم اليك بكلمة جغرافية عن بلاد العرب ثم بموجز تاريخي عن هذه البلاد وسير الفتوحات الإسلامية منها الى أرجاء المعمورة حتى تكون علينا بتاريخ المسلمين وأين هم الآن فاستمع علمنا الله وإياك.

(١) فصل جغرافي موجز

في وصف بلاد العرب

(١) حدودها وشواطئها وأهمية موقعها

(١) حدودها — شبه جزيرة العرب أو «جزيرة العرب» كما يسميها العرب أو «الجزيرة» فقط كما يسميها بعضهم هي ثلاثة أشباه الجزائر الآسيوية الكبيرة الواقعة في جنوب آسيا . تحدها البحار من ثلاث نواح فتفصلها عما يليها في هذه النواح فصلا تاما . يحدها البحر الأحمر غربا، والمحيط الهندي جنوبا، وبحر عمان والخليج الفارسي شرقا . أما حدودها الشمالية العامة فمبهمة غير واضحة ، فقد يلحقون بها شبه جزيرة سيناء وبادية الشام والجزيرة والعراق وقد لا يفعلون . وهذه الجهات تعدّ منها من الوجهة الطبيعية وإن كانت لا تعدّ منها من الوجهة السياسية . وعلى كل حال فمساحة الجزيرة العربية تبلغ نحو ألف ألف ميل مربع أي نحو ثلث القارة الأوربية .

(٢) شواطئها — يكاد الشاطئ الغربي يكون خطا مستقيما وهو على العموم قبيل المرافئ الصالحة لرسو السفن . وأهم الجزائر الواقعة بالقرب منه والتابعة لبلاد العرب جزائر فرسان وكرات وبريم الواقعة عند مدخل مضيق باب المنذب . والشاطئ الجنوبي الممتد في تقوس وأنحاء من مضيق باب المنذب الى رأس الحدّ به عادة ثغور حسنة ، أهمها عدن والمكّة والشحر وبالقرب منه جزيرة سقطرى وجزائر كوريا موريا . وأما الشاطئ الشرقي الممتد من رأس الحدّ الى الكويت فرملي قريب الغور ، وتقع قريبا منه جزائر البحرين الشهيرة . هذا ويبلغ طول الشواطئ العربية من السويس الى مصب الفرات نحو ١٠٠٠ ميل .

(١) هذا الفصل والفصل التاريخي الذي يعقبه بقلم حضرة عبد الخيد افندي العبادي أسناده التاريخي

(٣) أهمية موقعها — هذا الموقع المتوسط الذي تقع به بلاد العرب بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط وبين آسيا وأفريقية الشمالية اللتين هما أهم أقطار العالم التجارية في العصور القديمة والمتوسطة ومن أهم أقطاره التجارية في العصور الحديثة قد جعل لبلاد العرب منذ أقدم أزمنة التاريخ أهمية تجارية عظيمة بحرية وبرية كما يعلم المطلع على تاريخ العرب في الجاهلية والإسلام .

(ب) الجؤ والنبات والحيوان

(١) الجؤ — ليس جؤ بلاد العرب على حالة واحدة في جميع أنحاءها بل هو يختلف اختلافاً بيناً من مكان لآخر . فالجهات المنخفضة القريبة من البحار حارة وغير صحية ، والجهات المرتفعة جافة صحية . ويسقط المطر بنجد في فصلى الربيع والخريف . وقد تنخفض درجة الحرارة شتاء باليمن فتفوت درجة التجمد . وقد ترتفع في الصيف فتبلغ ٨٠° (بمقياس فهرنهايت) وتستفيد هذه البلاد من الرياح الموسمية فيسقط بها المطر في مارس ويولية وأغسطس وسبتمبر . وقد يدوم فصل المطر في الحجاز نحو خمسة أسابيع من فصل الخريف . وأما الجهات الشمالية فالمطر بها نادر وإذا سقط فإنما يسقط في فصل الشتاء .

(٢) النبات — تعد اليمن أخصب أنحاء الجزيرة العربية ، ويزرع بها البن والفاكهة والخضروات . ومن حاصلات الحجاز الحناء والبلسم . وأهم حاصلات حضرموت البخور . وأهم مزرعات عمان والأحساء النيلة . وأما النخل فيتمو في أكثر أنحاء الجزيرة . وقد جلب الى بلاد العرب من الخارج شجر جوز الهند والموز فبها نمواً حسناً .

(٣) الحيوان — أهمه الإبل والغنم والخيول والحمر ، وكلها تعد في الطبقة الأولى من نوعها ولا سيما مهارى (مهرة) وخیل نجد . ويوجد النعام ببعض الصحارى العربية غير أنه قليل . ويكثر السمك بخليج عمان ، ويستخرج من مغاصات اللؤلؤ الشرقية ما قيمته سنوياً نحو ٣٠٠,٠٠٠ جنيه .

(ج) الوصف الطبوغرافي

مقدمة — كان جغرافيو الاغريق والرومان يقسمون بلاد العرب بالنظر الى طبيعة أرضها الى ثلاثة أقسام : بلاد العرب الحجرية ، وبلاد العرب السعيدة ، وبلاد العرب الرملية ، فأما الأولى فكانت عندهم شبه جزيرة سيناء ، وأما الثانية فهي بلاد اليمن ، وأما الثالثة فكل ما عدا هذين الإقليمين من بلاد العرب . وأما العرب فكانوا يقسمونها باعتبار المواضع والأقاليم . وأساس تقسيمها عندهم جبال العمارة التي تمتد من أطراف بادية الشام الى اليمن ، فتقسم جزيرة العرب الى قسمين : غربي ، وشرقي . فالغربي وهو أصغرهما ينحدر من سفح ذلك الجبل حتى يصل الى شاطئ البحر الأحمر ، وقد صار هابطا أو غائرا فسموه الغور أو تهامة ، والقسم الشرقي وهو أكبرهما يمتد شرقا وهو على ارتفاعه الى أطراف العراق والسماء فسموه نجدنا لهذا السبب . وسموا الجبل الفاصل بين تهامة ونجد (الحجاز) وهو عبارة عن جبال تتخللها المدن والقرى . وجعلوا ما تنتهي به نجد في الشرق حتى يصل الى خليج فارس بلاد اليمامة والبحرين وعمان وما والاها ويسمونها العروض ، وسموا القسم الجنوبي بلاد اليمن وحضرموت والشحر .

وأما الجغرافية الحديثة فتميل الى تقسيم بلاد العرب باعتبار قريها من البحر أو بعدها عنه . وعلى هذا الاعتبار تنقسم بلاد العرب الى قسمين كبيرين : (١) بلاد العرب المتصلة بالبحر وتشمل الحجاز وعسيرا واليمن وحضرموت ومهرة (الشحر) وعمان والأحساء (البحرين) ، (٢) بلاد العرب غير المتصلة بالبحر وهذه تشمل نجدنا والصحارى الداخلية . وسنتبع هذا التقسيم ونذكر كلمة موجزة عن كل قسم من هذه الأقسام :

بلاد العرب المتصلة بالبحر

(١) الحجاز — أهم الأقطار العربية من الوجهة التاريخية ، فيه نبت الإسلام ومنه درج كما سترى في الفصل التاريخي الآتي . وهو يمتد بوجه عام من رأس خليج

العقبة الى حدود اليمن اذا اعتبرنا عسيرا داخلة فيه كما يصنع بعض الجغرافيين .
وبه من الأودية وادى الحمد ووادى الرمة . وأهم مدنه مكة المشرفة والمدينة المنورة
والطائف الشهيرة بفواكهها الجيدة . وأهم ثغوره الواقعة على البحر الأحمر، الوجه
والحوراء وينبع ورايح وجدة ، وكلها محطات للحجاج المصريين . وينزل من القبائل
العريسة الآن عرب الحويطات في الإقليم الشمالى المسمى حسمى ، وعرب عنزة
شمالى المدينة ، وبلى ما بين العقبة والوجه ، وقريش شمالى عرفة والطائف ، وهذيل
في الجبال التى بين مكة والطائف ، وثقيف في جنوب وشرقى الطائف .

(٢) عسير — تتسع جبال السراة جنوبى مكة والطائف فتكوّن الإقليم
المعروف بعسير والواقع بين الحجاز شمالا واليمن جنوبا . وهذا الإقليم على العموم من
أخصب وأجمل الأقاليم العربية وأغناها من الوجهة الاقتصادية . أهم أوديته :
وادى ضلع ووادى بيشة . وأهم مدنه : أبها ومحايل وصبيا . وأهم ثغوره : القنفذة .
وأهم قبائل عسير : قبائل حطّان التى هى أصل القبائل اليمنية .

(٣) اليمن — وتنقسم الى قسمين غير متساويين : تهامة اليمن التى هى عبارة
عن امتداد تهامة عسير والحجاز ، ونجد اليمن ويتضمن أربع هضاب فرعية : هضبة
نجران فى الشمال ، وهضبة مأرب فى الشرق ، وهضبة صنعاء فى الوسط ، وهضبة تعز
فى الجنوب . وأهم مدن اليمن صنعاء ، وهى العاصمة ثم صعدة ومأرب الشهيرة بآثارها
القديمة وبريم وتعز ولحج وزبيد . وأهم ثغور اليمن الحديدة ومخا الواقعتان على
البحر الأحمر ، وعدن الواقعة على المحيط الهندى والتابعة لانجلترا (وكذلك جزيرة بريم
الواقعة عند مدخل مضيق باب المندب) .

(٤) حضرموت — وهى عبارة عن الإقليم الواقع شرقى اليمن . سطحها
جبل يشقه واد متسع يسير الشاطئ نحو مائة ميل ويسمى وادى الكسر . وأهم
مدن حضرموت : شبام . وأهم ثغوره : المنكدة وسيحوت . وبحضرموت ، كما
باليمن آثار حضارة عربية قديمة .

(٥) مهرة — وكان جغرافيو العرب يسمونها (الشحر) وتمتد شرقاً من سيحوت الى حاسك وتشتهر منذ القدم بالبخور والصمغ . وأهم نغورها : الشحر ومرباط . هذا وأرض مهرة الممتدة من حاسك الى عمان قاحلة وداخلها غير معروف بالمرة .

(٦) عمان — هي أبعد جهات العرب من ناحية الشرق . يمتد شاطئها من رأس الخطة الى الرأس المعروف برأس مسندم . وتكثر به المرافق الجيدة كما يكثر السمك بمياهه ، وأهل عمان مشهورون من قديم الزمان بالمهارة في الملاحة والاتجار مع بلاد الهند . وأما سطح عمان فجبل يبلغ غاية ارتفاعه في الجبل الأخضر . وعاصمة عمان هي مسقط وتقع الى الشمال منها صحار عاصمة عمان القديمة .

(٧) الأحساء — وكانت تعرف في عهدالدول العربية الإسلامية بالبحرين أو هجر التي كانت عاصمتها إذ ذاك . وأما لفظ الأحساء فاسم المدينة التي أنشأها القرامطة في القرن الرابع الهجري بالقرب من هجر . والأحساء ثلاثة أقسام : قسم جنوبي ويعرف بالقواسم ، وقسم متوسط هو عبارة عن شبه جزيرة (قطر) التي تشتهر هي وجزائر البحرين باستخراج اللؤلؤ ، وقسم شمالي غربي يمتد من قطر الى الكويت ويسمى (التقطيف) وأهم مدن قطر الحفوف ، وأهم مدن القطيف الكويت التي ستكون يوماً ما مركزاً تجارياً عظيماً لحسن موقعها الجغرافي . وأهم حاصلات الأحساء : البلح ويضرب المثل بكثرتة .

بلاد العرب الداخلية

ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام : البادية ونجد والدهناء .

(١) البادية — ونطلقها مجازاً على الأرض الواقعة شمال نجد والافعى عبارة عن بادية العراق والجزيرة والشام . وبلى هذه البوادي بادية السماوة التي سلكها خالد بن الوليد عند منصرفه من العراق الى الشام بأمر أبي بكر الصديق . وهي فلاة لا يأمن سالكها الهلاك فيها عطشا وجوعاً . وتلى بادية السماوة الواحة المعروفة قديماً بدومة الجندل وتعرف اليوم بالحواف . وهذه الواحة واقعة على الوادي

الآتي من حوران والمعروف بوادي السرحان . وتلي الجوف صحراء (النفود) وهي
فلاة قاحلة لا ماء بها .

(٢) نجد — هضبة عظيمة تلي (النفود) ويبلغ ارتفاعها أحيانا أكثر من
٥٠٠٠ قدم، تسقىها أودية تكثُر زروعها وحيوانها . وأهم هذه الأودية: وادي الرمة
ووادى الدواسر . ونجد تنقسم الى أقسام : حرة خير في الغرب، والقصيم في الشمال
ونجد الأصيل في الجنوب . ويقع الى الجنوب والشرق من نجد الإقليم المعروف
بالنمامة والذي يطلق العرب عليه وعلى البحرين معا اسم (العروض) . هذا وجو نجد
أصح أجواء بلاد العرب، وأهم بلدان نجد الرياض وحائل وعنيزة، وتترله في الوقت
الحاضر من القبائل بنو سبيع وعتره وقبائل تنتمي الى بني هلال المشهورة .

(٣) الدهناء — صحراء مترامية الأطراف مجهولة الداخل تمتد من جنوبي
نجد الى الحدود الصحراوية لعمان ومهرة وحضرموت واليمن . ليست بها عيون ولا
أودية، وانما تجودها الأمطار في فصل المطر فتعشب فيؤمها البدو بنجيامهم وإبلهم
فيرعونها نحو ثلاثة أشهر، فاذا حل فصل الخفاف ارتحلوا عنها . ويطلق على هذه الفلاة
أسماء مختلفة ، فالتسم الواقع منها بين شرق اليمن وشمال غربي حضرموت يسمى
(صيهد) . والجزء الواقع شمال شرقي حضرموت يسمى (الأحفاف) . والجزء الواقع
شمال مهرة يسمى (وبار) دلى أنها تسمى بوجه عام (الدهناء) لحرارة رمالها . وكثيرا
ما يطلقون عليها (الربع الخالي) أى غير المعمور .

التقسيم السياسي الحاضر

إن حال بلاد العرب السياسية مضطربة في الوقت الحاضر اضطرابا كبيرا ،
وذلك نتيجة الحرب العالمية الكبرى وزوال سلطة الدولة العثمانية عن هذه البلاد .
غير أنه يمكننا أن نقول في تصوير الحال السياسية العامة لبلاد العرب إن بها اليوم
من الإمارات ما يأتي :

- (١) الإمارة الزيدية في القسم الجبلي من اليمن .
 - (٢) الإمارة الإدريسية في أراضي الشافعية من تهامة اليمن وبعض تهامة عسير .
 - (٣) السلطنة السعودية الوهابية في جميع نجد بما في ذلك إقليم عسير .
 - (٤) الحكومة الهاشمية التي انحصرت في جدّة .
 - (٥) إمارة آل الصباح بالكويت عند نهاية الخليج الفارسي .
 - (٦) مشيخة قطر .
 - (٧) مشيخة حضرموت وهي تحت الحماية الإنجليزية .
 - (٨) سلطنة عمان المستقلة ويسكنها الخوارج الأباضية .
- ولا يمكن القول بما ستؤول اليه الأحوال السياسية في هذه البلاد، نسأله تعالى أن يوفق أهلها الى ما فيه جمع شملهم وتوحيد كلمتهم ورجوعهم كما كانوا في صدر الإسلام اخوانا متحابين كلمة في نفوسهم إنه بالإجابة جدير .

فصل تاريخي موجز

في حال العرب قبل الإسلام وقيام الدولة الإسلامية
وآنتشار الدين الإسلامي

١ - كلمة في العرب قبل الإسلام

الدول العربية قبل الإسلام - إن الجزيرة العربية التي سبق وصفها قد تناوب زعامتها من قديم الزمان ثلاثة شعوب سامية يطلق عليها جميعا أسم (العرب) ولانعلم للأسف من تاريخها السابق على الإسلام غير اليسير المستمد من آثارهم التي كشفت حديثا ببلاد اليمن وبادية الشام، ثم مما رواه الرواة من أشعارهم وأخبارهم،

وما كتبه عنهم مؤرخو الأمم المتحضرة التي عاصرتهم وآنصلت بهم كالمصريين والإغريق والروم والفرس . تلك الشعوب الثلاثة هي :

(١) العرب البائدة — الذين عاصروا الكلدانيين القدماء ومنهم العالقة بشمال الجزيرة والشام ومصر ، وعاد بالأحقاف ، وثمود بالبحر ، وطسم وجديس بالهامة والأنباط بشمال الجزيرة . هؤلاء العرب قد بادوا وأتقطعت أخبارهم ، غير أننا نعلم من القرآن وبعض الآثار أنهم كانوا على حضارة راقية ولا سيما إذا اعتبرنا ما يروى عن مدينتهم (إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) وقد بقى ذلك الجبل حتى غلبه على أمره جبل عرقيّ ثان يعرف :

(٢) بالعرب الفحطانية نسبة إلى جدّهم فحطان — والراجح أنهم نزحوا إلى جزيرة العرب من بعض جهات الفرات ، وكانت لهم باليمن دول أشتهرت منها «الدولة المعينية» و«الدولة السبئية» (من حوالي ٨٥٠ إلى ١١٥ ق م) و«دولة حمير» و«التبابعة» (١١٥ ق م — ٥٢٥ م) وقد برعت العرب الفحطانية في الزراعة لخصب أرضهم ، وفي التجارة لحسن موقع بلادهم من الوجهة الجغرافية ، فكانت عروض التجارة ترد إليهم من الشرق بطريق البحر ثم ينقلونها على ظهور الجمال إلى الشام ومصر . وبرعوا كذلك في الصناعة فذبغوا الجلود وطبعوا السيوف وصنعوا الرماح وغير ذلك . وكان لهم حكومات وملوك ومدن كبيرة منها (مأرب) و(صنعاء) وقصور فخمة ، منها : (ناعط) و(غمدان) وسدود عظيمة يستعان بها في خزن الماء الزائد عن الحاجة زمن المطر لينتفع به وقت الحاجة إليه كسد مأرب . هذا ولا يزال علماء الآثار من الأوربيين يبحثون في البحث عن آثار العرب الفحطانية وربما أوضخوا في المستقبل ما غمض من تاريخهم .

ولما ضعف شأن الدولة السبئية بعد القوّة وأهملت مرافق الزراعة والصناعة تصدع سد مأرب ثم أنبثق فأهلك الحرث والنسل ، ولقد أشار القرآن الكريم الى هذا الحادث في سورة سبأ فقال : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ

وَسَمَّالٍ كُلُّوْا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةَ طَيْبَةَ وَرَبِّ غَفُورٍ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ نَحْمِطٍ وَأَثَلٍ وَمِشْيٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١﴾ وربما كان ذلك في أواخر القرن الثاني الميلادي . فهاجراً أكثر القبائل اليمنية من بلادهم وتفترقوا في طول الجزيرة وعرضها ، فكان منهم دولة المناذرة التميميين التي قامت بالحيرة بالعراق وكانت خاضعة لأكاسرة الفرس (٢٦٨ م — ٦٣٢ م) ودولة الغساسنة التي قامت ببادية الشام وفلسطين وكانت خاضعة لأمبراطرة الروم (٢٠٠ — ٦٣٣ م) . ودولة كندة التي قامت بنجد وكانت مستقلة (٤٠٠ — ٥٦٠ م ؟) وخلف الدولة السبئية دولة أخرى هي دولة حمير والتبابعة فكانت لها العظمة والقوة ردحا من الزمن حتى استولى الرومان على مصر وآنخذوا البحر الأحمر طريقاً تجارياً إلى اليمن والشرق فساءت حالها لكساد تجارتها البرية ، ونهض إليها الأحباش وتغلبوا عليها سنة ٥٢٥ م ، وبعد ذلك بقليل من الزمن زالت عنها سلطة الأحباش بفضل البطل العربي المشهور سيف ابن ذى يزن وحلت محلها سلطة الفرس ، فكان ذلك كله سبباً في انتقال الزعامة على بلاد العرب من الجنوب إلى الشمال فأصبحت في الحيل العربي الثالث المعروف :

(٣) بالعرب الإسماعيلية أو العدنانية — وهم أشهر الأجيال العربية لظهور الإسلام فيهم ، وهم ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل — عليهما السلام — الذي نزل هو وزوجه هاجر وولدهما إسماعيل أرض مكة وحفروا بها بئر زمزم وبنوا الكعبة ، ومن ذلك الحين أخذ اليمنيون يتوافدون على تلك البقعة ويعمرونها حتى نشأت مكة المكرمة ، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم بقوله على لسان سيدنا إبراهيم ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ ونسأ إسماعيل عليه السلام بين هؤلاء اليمنية (وخاصة قبيلة جرهم) وتزوج منهم ، وعلى مر

(١) ثمر مرتبوع .

الزمن تكاثر أبنائه وانتشروا بالحجاز ونجد وما وراء ذلك من مشارف الشام والعراق، غير أنه بقيت منهم بمكة قبيلة كان لها فيما بعد شأن عظيم . تلك هي قبيلة قريش .

إمارة قريش بمكة — بقى أمر مكة بأيدي ملوك من جرهم . وكان لبنى إسماعيل مكانة محترمة لما لأبيهم من بناء الكعبة ، ولكن لم يكن لهم من الحكم شيء . فلما كان حادث سد مأرب وأرتحال القبائل اليمنية من ديارها كان منها من عرج على مكة وهم بنو خزاعة الأزديون فخاروا جرهما وأجلوها عن مكة وأستبدوا بحكم مكة دون قريش حتى ظهر قصي بن كلاب حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى بجمع شتات قريش ووحد كلمتهم فكان لهم بذلك قوة مكنتهم من أن يزاحموا خزاعة ويغلبوها على حكم مكة . ولم يبق بأيديهم غير سدانة البيت الحرام فأشترها قصي بزق نحر من سادنه المعروف بأبي غبشان وإلى ذلك يشير الشاعر بقوله :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت * بزق نحر فبئست صفقة الشارى .

وبذلك أصبح قصي سيده مكة والمتولى شؤون الكعبة التى كانت تحج إليها العرب من جميع أنحاء الجزيرة فكان له من مظاهر الرياسة :

(١) رياسته دار الندوة التى أنشأها بمكة وكانت تجتمع فيها قريش للفصل فى أمورها العظيمة .

(٢) اللواء فكان لا تعقد راية الحرب إلا بيده .

(٣) الحجابة وهى حجابة الكعبة فلا يفتح بابها إلا هو وهو الذى يلى أمر خدمتها .

(٤) سقاية الحاج ورفادته .

وكان لقصي من الولد، عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزى، وكان عبد مناف قد ساد فى حياة أبيه فأراد أبوه أن يلحق به ابنه عبد الدار وكان أسن منه، فأوصى له بما كان يليه من مصالح قريش فلم ينازع عبد مناف أخاه فى ذلك، ولما توفى ترك أربعة أولاد، هاشما، وعبد شمس، والمطلب، ونوفلا، فنافسوا بنى عمهم عبد الدار فى هذه المصالح التى رأوا أنفسهم أحق بها لشرفهم وسيادتهم وكثرتهم، وأفترقت

قريش طائفتين، طائفة تنصربني عبد مناف وطائفة تنصربني عبد الدار وكاد يكون بينهم قتال لولا أنهم ألهموا الصلح على طريق لا يغض من الفريقين وهو اقتسام هذه المصالح، فكان لبني عبد الدار الحجابة واللواء والندوة، ولبني عبد مناف السقاية والرفادة. ثم حكم بنو عبد مناف القرعة في نصيبهم فأصاب القرعة هاشم بن عبد مناف.

وهاشم بن عبد مناف فيما يروى أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء وكانت إلى اليمن ورحلة الصيف وكانت إلى الشام قصد الأتجار، وربما كان ذلك على أثر المعاهدات التي أبرمتها قريش على أيدي بني عبد مناف مع من بجوارها من الملوك. روى الطبري في تاريخه أن بني عبد مناف أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم. أخذ لهم هاشم جبلا من ملوك الشام الروم وغسان، وأخذ لهم عبد شمس جبلا من النجاشي الأكبر، فأختلفوا لذلك السبب إلى أرض الحبشة، وأخذ لهم نونل جبلا من الأكاسرة فأختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس، وأخذ لهم المطلب جبلا من ملوك حمير فأختلفوا بذلك إلى اليمن. وقد آمنت الله على قريش بهاتين الرحلتين في قوله: ﴿لَا يَلَا فُ قُرَيْشٍ إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ فليعبدوا ربَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

الخلاف بين الهاشميين والأمويين — وكان ذلك الشرف كله لهاشم بن عبد مناف فأنار ذلك فيما يروى غيرة أمية بن عبد شمس وكان مثريا من المسال والبنين ولكنه مع ذلك لم يكن له من رياسة قريش شيء. ووجرت بين العم وآبن أخيه منافرة غلب فيها أمية على أمره فكان ذلك بدء النزاع بين الهاشميين والأمويين. فلما توفي هاشم خلفه أخوه المطلب ثم من بعده أبنته عبد المطلب في السقاية والرفادة؛ وتتميز إمارة عبد المطلب بثلاث حوادث كبار:

(١) كشفه عن بئر زمزم التي كانت طمّت وخفيت معالمها.

(٢) تجدد النزاع بين الهاشميين والأمويين ، وذلك أن حرب بن أمية بن عبد شمس نفس على عبد المطلب شرفه ورياسته وجرت بينهما منافرة كالتى كانت بين أبيهما فغلب حرب على أمره، وكذلك استمر الخلاف بين الهاشميين والأمويين وكانت له فيما بعد آثار عظيمة في الإسلام .

(٣) واقعة الفيل وكانت عام ٥٧١ م . وسببها أن أبرهة الحبشى لما أقام باليمن أنشأ بصنعاء كنيسة ضخمة وأراد أن يكون حج العرب إليها دون الكعبة ، فلما لم يتيسر له ذلك من طريق السلم آتت من أن يسير إلى الكعبة ويهدمها . غير أنه فشل في ذلك كما نطق به القرآن في سورة الفيل ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (١) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٢) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٣) ﴾ .

وقد رزق عبد المطلب عشرة أبناء كان أحدهم عبد الله الذى ولد له سيدنا محمد عام الفيل على أصح الروايات .

الحال الدينية للعرب قبل الإسلام — قد اختلفت أديان العرب في جاهليتهم فمنهم الدهريون الذين قالوا : ما يهلكنا إلا الدهر ، ومنهم الصابئة عبدة النجوم والكواكب ، ومنهم الوثنيون عباد الأصنام والأشجار والأشجار ، ومنهم اليهود والنصارى . غير أن عبادة الأصنام كانت الغالبة عليهم وكانت الكعبة مجمع أصنامهم . ومن أشهر أصنام العرب ، ود ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، واللوات ، والعزى ، ومناة ، وهبل ، والخلصة وقد ورد ذكر كثير منها في القرآن الكريم .

تلك الحال الدينية قد تغيرت بعض الشيء قبيل الإسلام إذ ظهر في حواضر الجزيرة آحاد من العرب لم تطب تقوسمهم عن ذلك الضرب من التعبد وروا أن هناك حقيقة غابت عنهم أو هم ضلوا عنها . روى ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق أن قريشا اجتمعت يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم فخلص منهم أربعة نفر نجيا

(١) جماعات جماعات . (٢) طين متحجر . (٣) العصف : ورق الشجر .

هم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو، فقال بعضهم لبعض (تعلموا والله ما قومكم على شيء . لقد أخطأوا دين أيهم إبراهيم . ما حجر نظيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع؟ . يا قوم التمسوا لأنفسكم فانكم والله ما أتم على شيء) فتنفروا في البلدان : فأما ورقة بن نوفل فاستحکم في النصرانية وأما عبيد الله فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم آرتد . وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر وتنصر . وأما زيد بن عمرو فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه . هذه الحركة تبين لنا ما كان وقتئذ في نفوس العرب من استعداد لقبول دين يلائم الفطرة كالدين الإسلامي .

مما تقدم كله نعلم أنه لم يكن للعرب قبل الإسلام جامعة واحدة تؤلف بينهم . فأما من الوجهة الدينية فقد رأينا تعدد نحلهم . وأما من الوجهة السياسية فقد كان منهم الخاضع للفرس كأهل اليمن أوقلا ومناذرة الحيرة أخيراً، أولدروم كغساسنة بادية الشام، ومنهم من لم يخضع لحكومة أجنبية وهم سائر العرب . على أنه قد كانت لهم أمور عصمتهم من التدابر المطلق : منها إجماعهم على تعظيم الكعبة واختصاصهم قرشاً بسداتها واحترامهم للأشهر الحرم واشتراكهم في إقامة الأسواق العامة التي كانوا فيها يتبايعون ويتحاكون ويتناشدون الشعر وذلك مثل سوق عكاظ وغيره .

وإنما الرجل الذي قام بجمع شتات العرب وجعل منهم أمة واحدة ذات دين واحد وحكومة واحدة وعصبية واحدة هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب سيد المرسلين وخاتم النبيين .

٢ - قيام الدولة الإسلامية وامتداد سلطاتها

نشأة محمد عليه الصلاة والسلام - ولد نبينا - كما سبقت الإشارة بمكة عام الفيل سنة ٥٧١م من أبوين قرشيين هما عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وأمنة بنت وهب بن عبد مناف . وقد توفي أبوه قبيل مولده وأمه قبل أن يبلغ السادسة

وجدته وهو في الثامنة فأصبح في كفالة عمه أبي طالب . غير أن فقر عمه دفعه الى العمل والارتزاق . وكان في مكة أرملة من فضليات النساء ذات ثروة ويسار . تلك هي (خديجة بنت خويلد) فلما رأت أمانة محمد عرضت عليه أن يسافر الى الشام للتجارة بمالها ففعل فأعجبت به وعرضت عليه أن يتزوجها فقبل ذلك وقد بلغ الخامسة والعشرين . فلما بلغ الأربعين من عمره أرسله الله رحمة للعالمين فأخذ يذيع أصول الدين الإسلامي ويدعو اليه خاصته فأمنت به زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب وصديقه أبو بكر بن خنيفة وأفراد غيرهم من كبار قريش . ثم كثر سواد المسلمين ، غير أن قريشا شق عليها ترك دينها وتسفيه أحلامها فناصبت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العداوة وتمادوا فيه حتى اضطرب بعض أصحابه الى الهجرة الى الحبشة فتنزلوا على ملكها ضيوفا كراما وأضطرب النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الى الهجرة من مكة الى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة من بعثته وكان قد أصبح له بالمدينة أنصار من أهلها اعتنقوا الإسلام وعرضوا عليه نصرتهم . وقد هاجر النبي الى المدينة واتخذها مستقرا له فكانت أول عواصم الإسلام .

فتح بلاد العرب ٢ - ١١ هـ - وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم منذ هاجر الى المدينة سلسلة غزوات كانت بينه وبين أعدائه من يهود المدينة وقريش مكة وسائر القبائل العربية واتهمت بأن عم الإسلام جزيرة العرب ، ونحن نذكر أهم هذه الغزوات على سبيل الإجمال .

غزوة بدر سنة ٢ هـ - بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عيرا لقريش آتية من الشام وعليها أبو سفيان بن حرب فأراد أخذها فنهضت قريش لحمايتها . والتقى الجمعان قريبا من المدينة على ماء بدر في ١٧ رمضان سنة ٢ هـ . فانتصر المسلمون على قلة عددهم وكثرة عدوهم وقتلوا جمعا من صناديد قريش فيهم (أبو جهل بن هشام) ألد أعدائه عليه الصلاة والسلام . ومعركة بدر من معارك التاريخ الفاصلة ، فقد اعتر بها الإسلام وقوى شأن المسلمين كما سترى .

وعلى أثر واقعة بدر نرحل النبي صلى الله عليه وسلم الى بنى قينقاع وهم قبيلة يهودية بالمدينة قد تقضت عهدها مع النبي وأذت المسلمين فأخرجها من المدينة .

غزوة أحد سنة ٣ هـ — صممت قريش على التآمر لنفسها ممن انتصر عليها في واقعة بدر . فخرجت بقيادة أبي سفيان تريد المدينة فخرج اليهم النبي صلى الله عليه وسلم عام ٣ هـ . والتقى بهم عند جبل أحد وكاد النصر يكون للمسلمين ، لولا أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خالف أمره فانكشف المسلمون وحمل عليهم من خلفهم خالد بن الوليد حملة شديدة اضطرت كثيرا من المسلمين الى الفرار ، ورحل النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وكادت الدائرة تدور على المسلمين لولا أن قريشا اكتفت بأن قتلت من المسلمين بقدر من قتلوا منها في واقعة بدر وثبت الأعتة راجعة الى مكة . وعلى أثر تلك الواقعة علم النبي صلى الله عليه وسلم أن يهود بنى النضير يأتمرون بقتله فخرج اليهم وأخرجهم من المدينة الى خيبر^(١) .

غزوة الخندق سنة ٥ هـ — وتعرف أيضا بغزوة الأحزاب ، لأن كثيرا من قبائل العرب ويهود خيبر ظاهرروا فيها قريشا وساروا جميعا الى المدينة يريدون القضاء على الإسلام والمسلمين وحاصروا المدينة ولكنهم لم يستطيعوا أخذها ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حصنها وحفر حولها بإشارة سلمان الفارسي خندقا عميقا . وكان القتال في تلك الغزوة قاصرا على المبارزة الفردية والتراحم بالنبل . وأخيرا اجتمعت على الأحزاب سياسة النبي صلى الله عليه وسلم التي فرقت ألفتهم ومطر وريح وجنود سلطها الله عليهم ، فكانت تكفأ قدورهم وتقلب أخبيتهم فارتدوا عن المدينة ولم يبلغوا مراما .

صلح الحديبية سنة ٦ هـ — وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة الى ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة ، ثم نرحل يريد مكة معتمرا لا محاربا وسار حتى بلغ (الحديبية) وكانت قريش قد سمعت بقدمه فتأهبت للذود عن بلدها ، وبعد

(١) وسيأتي تفصيل هذه الغزوة عند الكلام على زيارتنا لأحد .

أخذ ورد عقد الفريقان الصلح على أن يكون بينهما هدنة لمدة عشر سنوات، وعاد المسلمون من غير أن يدخلوا مكة ويطوفوا بالبيت .

وبتلك الهدنة أمن المسلمون شرق قريش وأصبحوا مطلق الحرية يروحون ويحيثون كيف شاءوا وعظم نفوذ النبي صلى الله عليه وسلم ، فكتب الى ملوك الدول المجاورة لبلاد العرب يدعوهم الى الإسلام ، فنتهم من أسلم كنجاشي الحبشة ومنهم من رد ردا جميلا كهرقل قيصر الروم والمتوقس حاكم مصر - أنظر كتابه صلى الله عليه وسلم

كَيْتَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَاوَكَاةَ

A copy of the letter of the prophet Mohammad to El Mokawkas.



الى المقوقس رسم ٣٢٠ - ومنهم من ردّ رداً قبيحاً وأهان رسول النبي ، كالحارث ابن شمر الغساني وكسرى الفرس .

فتح خيبر سنة ٥٧ هـ - على أن المسلمين ، وان كانوا قد أمنوا شر قريش بصلح الحديبية ، كان لهم عدو بالقرب منهم يتربص بهم الدوائر . ذلك العدو هو يهود خيبر الذين لم ينسوا ما حل بهم وبإخوانهم . فسار اليهم النبي عليه الصلاة والسلام ونازل حصونهم واستولى عليها كلها .

ولما حال الحول على عمرة الحديبية ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم معتمراً فأخلت قريش مكة على حسب شرطها في صلح الحديبية . وقضى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مناسك الحج ثم عاد الى المدينة . وكان لتلك الحجة أثر كبير في نفوس قريش ، حتى إن خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما دخلوا في الإسلام على أثرها .

فتح مكة سنة ٥٨ هـ - كان صلح الحديبية يقضى بأن يسود السلم بين المسلمين وقريش عشر سنوات ، ولكن قريشاً نقضت عهدها واعتدت على بعض أحلاف النبي صلى الله عليه وسلم ، فسار النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه معتمراً فتح مكة . وخرج أبو سفيان يتجسس الأخبار فظفرت به جنود النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسعه إلا أن يسلم ، وعند ذلك منحه النبي من العفو ما لم يكن يطمع فيه وخلى سبيله . فعاد أبو سفيان الى مكة وحمل أهلها على الاستسلام لمن لا يستطيعون مناهضته . فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تلك البلدة التي طالمسا جاهدته وآذته وكان بوسعه أن ينتقم منها أشد الانتقام ، ولكنه عفا عن أهلها وقال لهم : « ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال « اذهبوا فانتم الطلقاء » ثم سار الى الكعبة فكسر ما حولها من الأصنام . وقد أعقب ذلك أن أسلم أهل مكة جميعاً .

غزوة حنين سنة ٨ هـ — فلما رأت ذلك قبيلة هوازن، وكانت منازلها بالقرب من مكة، توقعت أن يغزوها النبي صلى الله عليه وسلم فأجمعت على أن تغزوه قبل أن يغزوها، وانضمت إليها ثقيف وقبائل أخرى. فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك سار إليهم والتقى بهم في وادي حنين في طريق وعرة. فبغته العدو وكادت الهزيمة تدور عليه، لولا ثباته وشجاعة الأنصار فإنهم أعادوا الكرة على الأعداء وهزموهم وغنموا أسلابهم.

غزوة تبوك سنة ٩ هـ — كان النبي صلى الله عليه وسلم في سنة ٨ هـ قبل فتح مكة قد أرسل جيشا بقيادة زيد بن حارثة، الى عرب بادية الشام فتكثرت الروم والعرب على ذلك الجيش وقتل زيد بن حارثة، ولولا تدير خالد بن الوليد لأبيد الجيش كله. فلما كان عام ٩ هـ. بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الروم يجمعون له فخذ جيشا جرارا تبلغ عدته ثلاثين ألف مقاتل واتجه به نحو الشمال. على أنه لم يلتحم بالروم بل بسط نفوذه على القبائل العربية الشمالية، بأن فرض الجزية على (آيلة) و(دومة الجندل) وغيرهما، ثم عاد وكانت هذه آخر غزواته عليه الصلاة والسلام. وفي ذلك العام أخذت العرب تدخل في دين الله أفواجا وكثرت الوفود على النبي صلى الله عليه وسلم قادمة من جميع أنحاء الجزيرة العربية، فكان عليه الصلاة والسلام يرسل معهم من أصحابه من يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين.

حجة الوداع ووفاته عليه الصلاة والسلام — ولما كانت السنة العاشرة حج النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه آخر حجة له، وخطب الناس في هذه الحجة خطبة بليغة مؤثرة تعرف (بخطبة الوداع) أوضح للناس فيها كثيرا من أمور الدين وألقى عليهم فيها من النصائح الغالية الثمين، وقد تقدمت الحجة بالتفصيل وسيأتي نص الخطبة. ثم عاد الى المدينة المنورة.

وفي أواخر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة اعتلت صحته عليه السلام فاستأذن نساءه في أن يمرض في بيت زوجته السيدة (عائشة) فأذن له. ولما كان

يوم الاثنين ١١ ربيع الأول من سنة ١١ هـ . لحق عليه السلام بالرفيق الأعلى وقد خلف وراءه دينا يسائر الفطر والعقول هو الدين الإسلامي، وأمة بالمعنى الصحيح هي الأمة العربية ووضع أساس دولة سيكون لها شأن عظيم هي الدولة الإسلامية.

٣ - انتشار الدين الإسلامي بالسياسة

الحرب بين العرب وبين الروم والفرس

مقدمة - وضع النبي عليه الصلاة والسلام أساس الدولة العربية، وفي الأرض دولتان كبيرتان هما دولة الروم المسيحية ودولة الفرس المجوسية . فأما دولة الروم فكانت قد أصابها الضعف وتفرق الكلمة ، لضعف امبراطرتها من بعد جستنيان وللتزاع الديني الذي كان قائما بين الملكانية والنساطرة بالشام، وبين الملكانية واليعاقبة بمصر . هذا النزاع قد فصل في الحقيقة هذين القطرين عن الدولة الرومانية من الوجهة الدينية وجعلهما على وشك الانفصال عنها من الوجهة السياسية .

وأما دولة الفرس التي كان يحكمها المتأخرون من ملوك الأسرة الساسانية فلم تكن حالها خيرا من حال الدولة الرومانية، وذلك لأسباب كثيرة منها ظهور نحل دينية غريبة مفسدة للنظم الاجتماعية، وضعف المتأخرين من ملوك الأسرة الساسانية، وكثرة الطامعين في ملكهم من أقربائهم وقواد جيوشهم، وحروبهم الكثيرة مع الدولة الرومانية .

تلك حال الدولتين اللتين اصطدمت بهما الدولة العربية الناهضة فزعزعت أركان الأولى وقوضت دعائم الثانية، وذلك أن أبا بكر الصديق أول خلفاء الإسلام بعد أن قضى على حركة (الردة) التي ظهرت في جزيرة العرب قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأعاد الى هذه الجزيرة وحدتها السياسية، انتهز عودة الجيوش العربية الظافرة فسير بعضها الى الشام والبعض الآخر الى العراق لفتح بلاد هي عربية قبل

كل شيء، ألا وهي بلاد الغساسنة والمناذرة، ولكن القتال مع هؤلاء ترقى بطبيعة الحال إلى قتال مع الدولتين الحاميتين لهم أي مع دولتي الروم والفرس. ونحن متكلمون أولاً على الحروب التي نشبت بين العرب والروم وانتشار الإسلام في الشام ومصر وشمال أفريقيا وأسبانيا. ثم نعود فتكلم على نشوب الحرب بين العرب والفرس وانتشار الإسلام في الأقطار الآسيوية التي دخلها الإسلام قرين السياسة.

(١) فتح الشام

سير أبو بكر الصديق إلى الشام جيشاً ضخماً تبلغ عدته ٣٥٠٠٠ مقاتل، وكان أربعة أقسام:

- (١) قسم يقوده أبو عبيدة بن الجراح وكانت وجهته حمص.
- (٢) وقسم يقوده يزيد بن أبي سفيان وكانت وجهته دمشق.
- (٣) وقسم يقوده شرحبيل بن حسنة وكانت وجهته وادي الأردن.
- (٤) وقسم يقوده عمرو بن العاص وكانت وجهته فلسطين.

واقعة اليرموك سنة ١٣ هـ — فلما رأى ذلك هرقل امبراطور الروم قدم بنفسه إلى حمص، ومن ثم وجه أربعة جيوش تبلغ عدتها ٢٤٠٠٠٠ مقاتل لسحق الجيوش العربية. فلما رأى قواد العرب ذلك اتفقوا فيما بينهم على أن يجمعوا جيوشهم في صعيد واحد وأن يتلوا جميعاً اليرموك. فأمر هرقل قواده أن يتلوا اليرموك أيضاً وبقي الجمعان متواقفين ثلاثة أشهر، فأوجس أبو بكر في نفسه خيفة على المسلمين وأمر خالد بن الوليد بالسير من العراق إلى الشام، فقدم خالد وعهد إليه قواد العرب أمر القيادة، فعبأ الجيوش تبعته قائد خبير ثم حمل على الروم فهزهم وأفنى أكثر جيشهم وانتصر العرب انتصاراً ميبناً. وفي أثناء المعركة جاء البريد بوفاة أبي بكر وتولى عمر بن الخطاب وعزل خالد عن القيادة العليا وجعلها لأبي عبيدة، وذلك لأن الأمور كان ينقدها عمر من خالد.

وكانت واقعة اليرموك فاصلة في أمر الشام، فقد استولى أبو عبيدة وخاله بعدها على دمشق وعلى مدن الساحل وكذلك حمص واللاذقية وقنسرين وحلب، واضطر هرقل أخيرا إلى الفرار إلى القسطنطينية .

فتح القدس سنة ١٥ هـ — وفي أثناء ذلك كان عمرو بن العاص يتحدث في فتح فلسطين . وكان أرطين حاكم فلسطين قد بث الجند في بيت المقدس وغزة والرملة، ورابط بجيشه في أجنادين شرق بيت المقدس . ففصل عمرو فصائل من جيشه لمراقبة تلك الجنود، ثم زحف بمعظم الجيش إلى أرطين فهزمه عند أجنادين واضطره إلى الفرار إلى مصر . واستولى عمرو عقب الواقعة على مدن الساحل الفلسطينية . وأما بيت المقدس فحاصره أربعة أشهر وأبى بطريقه (سفرنيوس) أن يسلم المدينة لأحد غير الخليفة نفسه . فبجاء عمر فلسطين وتسلم المدينة وأبني بها مسجده المشهور .

(ب) فتح مصر والنوبة

عند ما قدم عمرو بن الخطاب إلى بيت المقدس لتسلمه سنة ١٥ هـ . اقترح عليه عمرو بن العاص أن يبعثه بجيش لفتح مصر فلم يجبه عمر إلى ذلك . فلما كان عام ١٨ هـ . واضطربت حال الشام عقب طاعون (عمواس) قدم عمر إلى دمشق فأعاد عمرو اقتراحه . وقد أجابه الخليفة هذه المرة وهو متخوف متردد . ومن الحجج التي أدلى بها عمرو تبريرا لما طلب : (١) أن مصر مضطربة الحال مفتحة الأبواب ؛ (٢) أنها غنية جدا ؛ (٣) أن أرطين الذي كان حاكم القدس قد لجأ إليها وأخذ يحشد الجنود ليسترد الشام .

زحف عمرو على مصر — غادر عمرو قيسارية على رأس ٤٠٠٠ مقاتل وبلغ العريش سنة ١٨ هـ . ثم سار منها إلى الفرما فاستولى عليها من غير جهاد كبير وجردها من معدّات دفاعها، ثم سار إلى بلبس ملتزما حدود الصحراء فلما بلغها قاتل

الروم عندها وقتل قائدهم أرطين واستولى على البلد، ثم تركها الى قرية أم دينين الواقعة على رأس الدلتا^(١).

واقعة عين شمس سنة ٥٢٠ هـ — على أن عمرا أدرك حرج موقفه فأرسل الى الخليفة يستمده وشغل جنده في أثناء ذلك بغزو الفيوم، فلما جاء المدد وقدره ٤٠٠٠ مقاتل عسكري بجميع جنوده شمالي عين شمس ثم التقى بالروم في واقعة عين شمس المشهورة وهزمهم هزيمة كان من أثرها سحق الجيش الروماني والاستيلاء على الإقليم المسمى مصر الواقع عند رأس الدلتا وإتمام إخضاع الفيوم والشروع في حصار حصن بابليون.

أخذ حصن بابليون سنة ٥٢٠ هـ — وكان المقوقس رئيس بطركية الإسكندرية في ذلك الوقت داخل الحصن وكانت له مآرب سياسية يود الوصول إليها بكل الوسائل، فأخذ يئس الروم من الانتصار على العرب وأستطاع أن يبعث وفدا الى جزيرة الروضة لمفاتيحة العرب في أمر الصلح فلم يفلح الوفد أولا، ثم عقد الصلح أخيرا على أن يؤدى الروم للعرب الجزية، وكتب المقوقس معاهدة بذلك وبعث بها الى هرقل ليقترها. فدهش الامبراطور لذلك ولم يقتر المعاهدة بل أستدعى المقوقس الى القسطنطينية، فلما رأى العرب ذلك واصلوا الحصار وبناهم كذلك اذ بلغهم موت هرقل فكان ذلك مثبطا للرومان مقويا للعرب، وتسور الزبير بن العوام الحصن وتبعه الجند، فاستسلمت الحامية الرومانية لهم.

فتح الاسكندرية سنة ٥٢١ هـ — وعلى أثر ذلك شرع عمرو في الزحف الى الإسكندرية فالتقى بالروم في طريقه اليها عند دمنهور، فهزمهم في واقعة كبيرة انحاز بعدها الجيش الروماني الى الإسكندرية واقتنى العرب أثرهم. وكانت الإسكندرية اذ ذاك مدينة عظيمة حصينة بها نحو ٥٠,٠٠٠ مقاتل وكانت فوق ذلك مفتوحة من ناحية البحر. لذلك ترك عمرو بظاھرھا جيشا يحاصرھا ثم سار هو لفتح المدن

(١) وموقعها الآن ما بين الأزبكية وعابدين.

الساحلية . وفي أثناء ذلك عاد المقوقس الى الاسكندرية وأخذ يعمل على إنفاذ مآربه القديمة . وقد أفلح سعيه هذه المرة إذ أقنع الامبراطور الجديد بضرورة تسليم الاسكندرية . ثم شرع يفاوض عمرو بن العاص في شأن الصلح والتقى به في بابلون وعقدا معاهدة تقضى بأن تؤدى الجزية للمسلمين وأن تجلو الجيوش الرومانية عن الاسكندرية والا يتدخل المسلمون في الشؤون الدينية المسيحية وأن يسمح لليهود بالاقامة بالاسكندرية مع شروط أخرى . وبمقتضى هذه المعاهدة دخل العرب الاسكندرية وتم لهم الاستيلاء على مصر . ثم غزوا على أثر ذلك بلاد النوبة وصالحوا ملكها على جزية يؤديها لمصر كل عام .

(ج) فتح بلاد المغرب

لم يكده عمرو بن العاص يفرغ من مصر حتى شرع في الزحف غربا وقد تم له فتح الاقليم المعروف بيرة ثم صار ولاية مصر من العرب من بعده يعملون على إخضاع بلاد المغرب وإدخال الإسلام فيها فكانوا يلقون في ذلك عناء عظيما وذلك لوعورة أرض المغرب وتنايبها عن المشرق ولاستبسال البربر في القتال زمن الحرب وعدم إخلادهم الى الهدوء زمن السلم ولأن الروم كانوا يساعدون البربر احتفاظا بسلطانهم في تلك البلاد بعد أن زال سلطانهم عن الشام ومصر . هذه الصعاب كلها جعلت الإسلام يسير في بلاد المغرب سيرا بطيئا بل جعلته أحيانا يرجع القهقري ، كما حدث عند ما تجمع الروم والبربر على عقبة بن نافع وقتلوه هو ومعظم جيشه سنة ٦٢ هـ . وعند ما ثاروا بزهير بن قيس البلوى وقتلوه ، وعند ما قامت الكاهنة (دهياء) والتف البربر حولها (٧٤ - ٧٩ هـ) على أن البربر نزلوا أخيرا على حكم العرب عند ما عهد أمر إخضاعهم الى القائد الكبير موسى بن نصير فإنه قمع فتنهم ونشر فيهم الإسلام .

(د) فتح الأندلس

بعد أن تم لموسى بن نصير أمر المغرب ولى على طنجة وما حولها مولاه طارق ابن زياد وعاد هو الى القيروان عاصمة المغرب لذلك العهد . وكانت حال الأندلس

في ذلك الوقت مختلة معتلة لضعف الحكومة القوطية التي كانت تحكمها . فطمع طارق في فتحها فعبّر الزقاق (مضيق جبل طارق) بإذن موسى سنة ٥٩٢ هـ . ونزل بشاطئ أسبانيا الجنوبي والتحم بالقوط يقودهم ملكهم (رذريق) في معركة عظيمة على النهر المعروف بوادي بكة . فهزّمهم واستولى على المدن الأندلسية الجنوبية ثم سار الى طليطلة عاصمة الدولة القوطية واستولى عليها . وعند ذلك التحق به موسى ابن نصير ليفوز بشرف الفتح وسار القائدان العظيمان معا يفتحان مدن الأندلس حتى بلغا جبال البرانس وبذلك أصبحت أسبانيا (ما عدا الجزء الشمالي الغربي) يخضع عليها علم الدولة الإسلامية . وقد أتيج لتلك الأرض أن تقوم بها للمسلمين دولة عظيمة هي الدولة الأموية الأندلسية وحضارة رائعة يذكرها التاريخ بكل إعجاب .

(٥) قيام البحرية الإسلامية وفتح أكبر جزائر

البحر الأبيض المتوسط

كان الباعث للعرب على إنشاء الأساطيل البحرية خوفهم من غارات الروم على الشام ومصر من ناحية البحر . وقد أنشأ معاوية بن أبي سفيان أيام ولايته على الشام لعثمان بن عفان أسطولاً لهذا الغرض وجعل عليه عبد الله بن قيس الحارثي . وقد فتح هذا الأسطول جزيرة قبرس وساعده في ذلك الأسطول المصري يقوده عبد الله بن سعد بن أبي سرح .

واستولى المسلمون بمرور الزمن على أهم جزائر البحر الأبيض المتوسط ، ففي عام ٢١٠ هـ أخرج عبد الله بن طاهر والي مصر مهاجرة الأندلس من الاسكندرية الى افريقيش (كريت) بعد أن زوّدهم بالمال والسلاح فساروا اليها وافتتحوها ونشروا فيها الاسلام . وافتتح المسلمون جزائر البليار عند فتحهم أسبانيا في أواخر القرن الأول الهجري . وكذلك افتتحت الدولة الأغلبية التي كانت حاکمة تونس (١٨٤ - ٥٢٩٦ هـ) جزيرة صقلية وجنوبي إيطاليا فكان ذلك سبباً في قيام حضارة إسلامية بصقلية

لا يزال بعض آثارها ماثلا الى اليوم . فلما ظهر الترك العثمانيون استولوا على رودس وكثير من جزائر بحر الأرخييل وأدخلوا فيها الإسلام .

(و) فتح العراق (١٢ - ١٤ هـ)

كانت وقائع خالد بن الوليد وغيره من قواد العرب مع المرتدين في اليمامة والبحرين يتطير شررها الى القبائل العربية النصرانية النازلة ببادية العراق والمحتمية بالحكومة الفارسية فكانت الحال لا تخلو من قتال بين الفريقين . هذا هو السبب القريب في قيام الحرب بين العرب والفرس غير أنه كان ثمة سببان جوهريان لهذاه الحرب هما رغبة أبي بكر في نشر الاسلام وشغل العرب بالجهاد بعد حروب الردة . لذلك أمر خالد بن الوليد بعد انتهائه من واقعة اليمامة أن يسير الى العراق وينضم بجيشه الى جيش المثنى بن حارثة الذي كان يقاتل في البحرين . وكذلك أمر عياض بن غنم أن يلحق بهما . فاجتمع جيشا خالد والمثنى وكانت عدتهما نحو ٢٠,٠٠٠ مقاتل والتقى خالد بالفرس في وقعة (الحقير) فكان النصر لخالد . وقد أثار ذلك الانتصار عصبية بكر وتغلب النازلتين غربي الفرات وبعثهما على طلب الثأر لمن قتل خالد منهم ، وانضم اليهم كثير من الجند الفارسي . فلما علم بذلك خالد سار اليهم والتقى بهم في وقعة (الليس) وانتصر عليهم بعد قتال عنيف .

وزحف خالد بعد ذلك الى الحيرة عاصمة المناذرة فاستسلمت اليه بشروط معينة ثم ذهب لنجدة عياض بن غنم عند دومة الجندل فاستولى على هذه البلدة وعاد الى الحيرة والتقى بتغلب والفرس في واقعة الفراض وانتصر عليهم . ثم خرج الى الحج خفية وعاد ولم يشعر جنده بذلك . فلما علم أبو بكر بحججه هذا عتب عليه وأمره بأن يتوجه بنصف الجيش الى الشام حيث كان المسلمون مرابطين باليرموك كما تقدم القول فأطاع خالد واستخلف على بقية جيش العراق المثنى بن حارثة .

واقعة القادسية سنة ١٤ هـ — رأى المثنى بن حارثة بعد ارتحال خالد قلة جنده وخرج موقفه نحف الى المدينة ليخبر أبا بكر بحقيقة الحال فوجده في مرضه

الأخير . فلما تولى الخلافة عمر بن الخطاب كان أول ما عمله أن نفذ مشيئة أبي بكر فأرسل مددا إلى المثنى يقوده أبو عبيدة بن مسعود الثقفي . فانتصر أبو عبيدة في أول الأمر على الفرس ولكنه خالف نصيحة القائد المحارب المثنى بن حارثة فاشتبك مع الفرس في واقعة الجسر التي انتهت بقتله وفناء معظم جيشه . فلما بلغ الخليفة ذلك جدّ في إرسال الجند إلى العراق . أما المثنى فترجع إلى حدود الصحراء واستمدّ من يليه من القبائل العربية النصرانية فأمدّوه عصبية منهم لإخوانهم العرب واشتبك مع الفرس في واقعة البويب فكان النصر له عليهم .

في ذلك الوقت تولى على الفرس شاب حمي هو يزيد جرد آخر آل ساسان فعزم على طرد العرب من بلاده وساق على العراق ١٢٠,٠٠٠ مقاتل يقودهم قائده رستم . فرأى المثنى أن لا قبل له بلقاء ذلك الجيش الجرار وتراجع مرة أخرى إلى الصحراء ريثما ترد عليه النجدة من المدينة . ولكنه لم يمدّ له في عمره حتى يرى آثار إخلاصه وحسن بلائه فقد توفي بعد قليل من الزمن من جراح أصابته في واقعة الجسر .

ومن حسن حظ الجيش العربي أن أدركته النجدة يقودها سعد بن أبي وقاص . رابط سعد في سهل القادسية بجيش يبلغ (مع مدد جاء من الشام أثناء القتال) ٤٠,٠٠٠ مقاتل . وكان الجيش الفارسي حيا له على الجانب الشرقي للفرات . وظل الجيشان متواقفين مدة طويلة حتى نفذ صبر يزيد جرد وأمر رستم ببسء القتال فعبّر رستم الفرات ونشب بين الفريقين قتال عظيم دام ثلاثة أيام ثم انجلى عن انتصار باهر للعرب . وكانت تلك الواقعة فاصلة في شأن العراق فانها استتبعته ارتجاع الحيرة وما والاها من المدن التي كانت سقطت في أيدي الفرس ثم الزحف إلى المدائن عاصمة الفرس وأخذها . كذلك كان من نتائجها فرار يزيد جرد واستيلاء العرب على الأرض الواقعة جنوبي الموصل وقرقيسيا . وعند ذلك أمر الخليفة سعدا ألا يتابع الفتح واكتفى من بلاد الفرس بالعراق . فاتخذ سعد المدائن مقرا له وشرع ينظم شؤون الحكومة الجديدة . غير أن غارة من الفرس على العرب كانت السبب في واقعة

جلولاء التي استولى بها العرب على حلوان . وفتر يزدجرد الى الري وأصبحت جبال زجروس حدًا فاصلا بين العرب والفرس .

(ز) فتح فارس

واقعة نهاوند سنة ٢١ هـ — على أن عمر بن الخطاب اضطر لأن يأذن للعرب بمناجزة الفرس لتوالى غارات هؤلاء عليهم . فأمر سعد بن أبي وقاص أن يستير الجنود بقيادة النعمان بن مقرن لقتال الفرس فالتقى النعمان أخيرا بالفرس قرب نهاوند وانتشب بين الفريقين قتال عنيف قتل فيه النعمان بن مقرن فقام مكانه حذيفة ابن اليمان فحمل على الفرس وهزمهم شر هزيمة .

وكانت هذه الواقعة فاصلة في شأن فارس إذ استتبع استيلاء العرب على همدان والري كما استتبعت فرار يزدجرد الى ماوراء النهر (حيث توفي في خلافة عثمان) ثم أمر عمر ففتح العرب الأقاليم الفارسية التي لم تكن فتحت .

(ح) فتح أواسط آسيا ودخول الإسلام فيها

حدث في فارس بعد وفاة عمر بن الخطاب خروج عام على العرب فأمر عثمان والى البصرة عبد الله بن عامر بأن يجمع هذه الثورة ، فقام ابن عامر بذلك سنة ٣١ هـ . ثم تابع الزحف متجها شمالا بشرق فاستولى على أكبر مدن خراسان وهي نيسابور ومرو وسرخس وبلغ بلخ وطخارستان . فلما كان عصر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك فتح العرب الاقليم المسمى « ما وراء النهر » (٨٦ — ٩٦ هـ) . وكان فتحه على يد قتيبة بن مسلم عامل خراسان ، فاستولى على بخارى سنة ٨٨ هـ . وسمرقند سنة ٩٢ هـ . وبلغ حدود الصين سنة ٩٦ هـ . وأصبح الإسلام دين أهل تلك البلاد وزهت بها المدنية الاسلامية زهاء عظيم .

(ط) فتح الهند وانتشار الإسلام فيها

قد بلغ العرب في فتوحهم الاسلامية الأولى جهات الهند الشمالية ولكنهم لم يستقروا بها ولا استداموها إقليياً تابعاً لهم . فلما كانت ولاية المجاج على العراق والمشرق وجه الى الهند محمد بن القاسم سنة ٩٢ هـ . لفتحها ونشر الاسلام فيها . فسار ابن القاسم في جيش لا يزيد عن ١٠,٠٠٠ مقاتل ففتح السند والبنجاب ، ووقف الفتح العربي عند هذا الحد لاضطراب أمر بني أمية وظل إقليم السند زهاء قرنين من الزمان يحكمه أمراء من العرب .

على أن الفتح الحقيقي لبلاد الهند ونشر الاسلام فيها إنما جاء على أيدي أتراك خراسان لا عرب الجزيرة . وقد قام بذلك العمل الجليل أربع دول تاريخها في الحقيقة متصل غير منفصل الأولى الدولة الغزنوية التي حكمت بلاد الأفغان والبنجاب (٣٥١ - ٥٨٢ هـ) وكان أكثر رجالها جنداً في فتح الهند محمود بن سبكتكين . الثانية الدولة الغورية التي حكمت بالأفغان وبلاد الهند (٥٤٣ - ٦١٢ هـ) وقد دان لها سمل الهندستان كله . الثالثة دولة سلاطين دهلي (٦٠٢ - ٩٦٣ هـ) وكان مقر حكومتها بالهند نفسها لا خارجها كما كانت الحال من قبل . الرابعة دولة المغول بالهند كلها (٩٣٢ - ١٢٧٥ هـ) وقد انبسط سلطانها على الهند كلها تقريباً وظلت كذلك حتى اضمحلت وآلت الزعامة على الهند الى الانجليز في أواسط القرن الثالث عشر الهجري .

ولا بأس بأن نلم في هذا المقام بأهم الأمور التي مكنت المساميين وهم فئة قليلة أجنبية من أن يتزلوا بلاد الهند على سعتها وكثرة سكانها واختلاف نحلها ويؤسسوا لهم بها الدول ذات الأعمار الطويلة . إن الهند على الرغم من كثرتهم الهائلة كانوا طوائف متقاطعة متخالدة من الوجهتين السياسية والأدبية . وكان سوادهم الأعظم من طبقة الزراع المستضعفة من قديم الزمان والتي أمات الاستبداد ما بها من حب الاستقلال فأصبحت لا تهتم لسقوط حكومة وقيام أخرى ما دام الكفاف من

العيش ميسورا لها . لذلك قلما نجد الهنود يناهضون المسلمين . أما المسلمون فكانوا بإزاء ذلك يدا واحدة يقاتلون لنصر الاسلام ونشره بين الوثنيين . ثم إن الديمقراطية التي يتصف بها الاسلام قد جعلت كثيرا من الهنود يدخلون في الاسلام في حين أن من لم يدخل فيه كان يفضل حكومة المسلمين الأجنبية على حكومة (الراجات) الوطنية لأن الأولى كانت أبر بهم وأرحم .

(ى) دخول الاسلام في جنوب أوروبا الشرقى

للتürk فضل كبير في نشر الدين الاسلامى فهم الذين نشره في بلاد الهند كما تقدم القول ، وهم الذين عملوا على حفظه من غلبة التشيع في القرن الخامس الهجرى كما يعلم المطلع على تاريخ السلاجقة ، وهم الذين رفعوا لواءه ردحا من الزمن بجنوب أوروبا الشرقى .

والترك عامة فرع من الجنس التترى الذى حكم كثيرا من البلاد الآسيوية في الأزمنة القديمة . ومواطن الترك الأصلية هى سهول بحر قزوين وبحر آرال وما وراء النهر وما والاها من الجهات : وقد تدرجوا في الظهور في التاريخ الاسلامى فكانوا أول الأمر خدما في بيوت الأمراء وقصور الخلفاء بخندا فولاة أقاليم فسلطين إبان حكم السلاجقة وخلفائهم من الأتابكة ، ولما جاء التتار في القرن السابع الهجرى قضوا على بقايا السلاجقة لإلا دولة الروم السلاجقية بآسيا الصغرى فانها امتنعت عليهم حينئذ من الزمن . وكان من بين القبائل التركية الخراسانية التي سارت مغربة فرارا من التتار قبيلة صغيرة تعرف (بالأوغوز) يبلغ عددها . . . ٤ فارس . تلك القبيلة هى أس الترك العثمانيين الذين أتموا فتح آسيا الصغرى وأقاموا دولة إسلامية عظيمة بجنوب أوروبا الشرقى .

سار بهذه القبيلة زعيمها المسمى (أرطغرل) يراد لقومه متجعجا فأدى به السير الى آسيا الصغرى . وبينما هو ذات يوم يطلع اذ رأى فيما يروى جيشين يقتتلان وأنس في أحدهما علائم الانهزام . فالتحاز اليه كرما منه فتغيرت بذلك حال الجيشين

المتحاربين اذ انهزم الذى كان هازما وغلب الذى كان من قبل مغلوبا . وما لبث أرطغرل أن علم أنه نصر السلطان علاء الدين السلجوقى على جيش تترى . واعترفا له بتلك اليد البيضاء أقطعه السلطان المذكور أرضا له على حدود الدولة البيزنطية فى آسيا الصغرى عرفت فيما بعد (بسلطانوى) ذلك الأقطاع هو أس الدولة التركية العثمانية .

تحو الدولة التركية — وليث أرطغرل أميرا على ذلك الإقطاع حتى توفى سنة ٦٨٠ هـ . فتولى بعده ابنه عثمان الذى ينسب اليه الترك (٦٨٠ — ٧٢٦ هـ) فثبت قدمه فى إقطاعه ، ثم شرع فى الاستيلاء على الحصون البيزنطية التى لتأخم أرضه حتى قارب (بروسه) ، وفى عام ٦٩٩ هـ . قضى التتار على الدولة السلجوقية بآسيا الصغرى فكان ذلك سببا فى استقلال سلطانوى ومن ذلك الحين أخذ سلاطين الترك يعملون من جهة على إخضاع جميع آسيا الصغرى لسلطتهم ومن جهة أخرى على التدخل فى شئون الدولة البيزنطية بقصد الاستفادة من ضعفها ثم إسقاطها والحلول محلها . وقد تم لهم ذلك كله . والذى بدأ سياسة الفتح الأوربية هو أرخان ابن عثمان (٧٢٦ — ٧٦١ هـ) فانه بعد أن نظم شئون دولته وأنشأ جيش الانكشارية الشهير أخذ يتدخل فى الشئون الأوربية وكانت الدولة البيزنطية اذ ذلك فى منتهى الانحطاط وكان يتنازع عرشها رجلان أحدهما يسمى كنتا كوزين والآخر باليولوغ وكان كل منهما يستعين أرخان على خصمه . فمد أرخان يد المساعدة الى أولها فكافأه على ذلك بأن زوجه من ابنته ، وعند ما زحف الصربيون على القسطنطينية فى عام ٧٥٣ هـ . استعان كنتا كوزين بصهره أرخان فأرسل اليه مددا يقوده ابنه سليمان . وقد تمكن كنتا كوزين بهذا المدد من رد الصربيين . ولكى يكافئ سليمان على صنيعه هذا نزل له عن حصن (ترمب) القائم بالشاطئ الأوربى للدردينيل واتفق فى العام القابل أن حدث زلزال عظيم فى تراقية دك حصون البلاد وهدم أسوار غاليبولى فاستولى عليها الترك فكان ذلك بدء ملكهم بأوربا .

وفي عهد السلطان مراد الأول (٧٦١ - ٧٩٢ هـ) بلغ الترك في فتوحهم نهر الطونة بعد أن هزموا الصرب والبغار والمجر والأفلاق والألبان في واقعة (قوصوه) الشهيرة سنة ٧٩٢ هـ . وبهذه الفتوح كلها أصبحت أملاك الترك تكتنف القسطنطينية من جميع جهاتها . وبذلك طمع محمدا الثاني الملقب بالفاتح (٨٥٥ - ٨٨٦ هـ) في أخذها والقضاء على الدولة البيزنطية ، وقد تم له ذلك في عام ٨٥٧ هـ . وأصبحت القسطنطينية عاصمة الدولة التركية . وقد اتبع محمد الفاتح ذلك العمل الخطير بأن أتم إخضاع البوسنة والصرب والمورة وجزائر الأرخيبيل وشواطئ البحر الأسود الجنوبية والقرم وألبانيا . ونزلت جنوده بجنوبي إيطاليا . وبذلك أصبحت شبه جزيرة البلقان بأيدي الترك .

ثم وقف نمو الدولة التركية في أوربا لأن بايزيد بن مراد الأول لم يكن ميالا للحروب بوجه عام ولأن سليمان ابنه (٩١٨ - ٩٢٦ هـ) شغل بحاربة الفرس وممالك مصر والشام وكان مظفرا في حروبه فقد أذل الفرس وأدخل الشام ومصر في حكم الترك وحمل فيما يقال الخليفة العباسي الذي كان مقبلا إذ ذاك بالقاهرة على أن ينزل له عن الخلافة ففعل وأصبحت الخلافة في آل عثمان .

فلما تولى ملك آل عثمان السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ - ٩٧٤ هـ) استؤنف الفتح والتوسع في أوربا ففتح السلطان بلاد المجر ودفع جيوشه في النمسا حتى بلغ عاصمتها ويانا وحاصر هذه العاصمة مرتين ولكنه لم يستطع أخذها لمناعتها واستبسال أهلها .

ذلك أقصى ما بلغت حدود الدولة التركية في أوربا . على أنها لم تستدم ذلك الملك الواسع طويلا فقد أصابها الضعف بعد القوة لفساد إدارتها وسياستها في الداخل ولنهوض الدول المجاورة لها : روسيا والنمسا وبولونيا واجتماعها كلها على محاربة الترك وانتقاص ملكهم فصار الترك ينجلون شيئا فشيئا عن أملاكهم الأوروبية وغير الأوروبية حتى أصبح ملكهم منحصرًا في آسيا الصغرى .

٤ - الأقطار التي دخلها الاسلام بمجرد الدعوة

ومقدار انتشار الاسلام في الوقت الحاضر

إن الأقطار التي سبق الكلام عليها هي التي شتمتها الدول الإسلامية في الأعصر الإسلامية المختلفة وهي التي دخلها الاسلام قرين السياسة . على أنه ينبغي ألاستفاد من ذلك أن الاسلام قام بالقوة كما يرى كثير من الناس مسلمين وغير مسلمين . فالحقيقة أن الدولة الإسلامية كانت من كثير من الوجوه ذات صفة مدنية وأنها نمت نمو الإمبراطوريات الواسعة القديمة والحديثة . أما الدين الاسلامى فقد انتشر في أكثر الأحوال بمجرد الدعوة من جانب الفاتحين أو بمجرد اطمئنان القلب اليه من جانب من فتحت عليهم بلادهم وذلك كما حدث في الشام ومصر فقد دخلهما الاسلام والمسيحية فيهما متشعبة المذاهب منقسمة الآراء منحطة النفوذ فكان ذلك سببا في انصراف كثير من أهلها عنها ودخولهم في الاسلام . وقد يكون انتشار الاسلام لسبب آخر هو مجرد الرغبة في التخلص من دفع الجزية وأن يكون الذميون والمسلمون في مستوى أدبي واحد . ونحن لانذهب بعيدا في تقرير هذه الحقيقة فالقرآن والسنة حثا في كثير من المواطن على احترام الذميين ودعوتهم الى الاسلام والتي هي أحسن . وكان المسلمون عادة لا يكرهون أحدا على الدخول في دينهم بل كانوا يكتبون منهم في الغالب بالجزية والسيرة الحسنة .

ومما يدل على صدق النظرية التي تقول بانفصال الدين عن السياسة في التاريخ الاسلامى أن الدين الاسلامى قد دخل أقطارا كثيرة مجردا من وسائل الفتح والتغلب السياسى ونحن نختّم هذا الفصل التاريخى بذكر هذه الأقطار ثم تتبع ذلك بكلمة تبين مقدار انتشار الاسلام في أنحاء العالم في زمننا الحاضر .

(١) الصحراء الكبرى - السودان - غرب أفريقيا وشرقها

عرفناك قبلا أن الإسلام دخل مصر والنوبة وبلاد المغرب في الصدر الأول للإسلام، والآن نقول إن الدين الإسلامى قد سرى أثره من هذه الأقطار الى الأقطار

الأفريقية التي تليها وهي الصحراء الكبرى وبلاد السودان وغربي أفريقيا . وكان ذلك في أغلب الأحوال يجتهد الدعوة ومحض اختلاط المسالمين بأهل تلك الأقطار من وثني البربر والزنج . وقد ابتدأ ذلك منذ القرن الخامس الهجري عند ما قام عبد الله بن يس داعية الدولة المرابطية وعمل على نشر الإسلام في قبائل الصحراء الكبرى . وقد تابعه في ذلك ابن تومرت الملقب بمهدي الموحدين (٥٢٤ - ٦٦٥ هـ) ثم قفى على أثر هؤلاء في نشر الدعوة بالصحراء الكبرى والسودان وغربي أفريقيا مشايخ الطرق التي ظهرت في شمال أفريقيا وأخصها القادرية والتيجانية والسنوسية . فبمجهودات هؤلاء جميعا أصبح الإسلام دين تلك الأقطار، مع أنها خاضعة لدول أوربية مسيحية قوية .

وكما انتشر الإسلام في تلك الأقطار يجتهد الدعوة فإنه انتشر كذلك في شرق أفريقيا، فقد دخل الإسلام منذ الصدر الأول بلاد الصومال وزنجبار والجالا وكان ذلك بارتحال رجال من عرب اليمن الزيديين وعرب البحرين الى تلك الجهات واستقرارهم بها وللعلاقات التجارية التي كانت على العموم بين عرب الجزيرة وبين وثني تلك الجهات .

(ب) روسيا

دخل الإسلام بلاد روسيا في زمن الدولة العباسية (القرن الرابع) وكان دخوله في الأقاليم الروسية المعروفة إذ ذاك ببلاد البلغار، وهي عبارة عن حوض نهر الولاغا وكان دخوله تلك النواحي للعلاقات التجارية التي كانت بين المسلمين وبين أهل هذه البلاد . على أن الإسلام نما وانتشر في جنوبي روسيا وجنوبها الشرقي عند ما غاب عليها النار المعروفون بالطائفة الذهبية في القرن السابع الهجري . فإنهم اعتنقوا الإسلام بمحض رغبتهم، وأول من فعل ذلك منهم مالكهم الوثني بركة خان (٦٥٤ - ٦٦٤ هـ) الذي كان معاصرا وحليفنا للظاهر بيبرس سلطان مصر لذلك العهد . ولا يزال الإسلام دين هذه الجهات حتى يومنا هذا .

(ج) الصين

ليس بأيدينا من المصادر الموثوق بها ما يبين تاريخ دخول الإسلام بلاد الصين وانتشاره بها . على أن نعرف من بعض المصادر الصينية والإسلامية أنه قد كانت علاقات سياسية بين الدولتين الإسلامية والصينية منذ خلافة عثمان بن عفان ، وقد ابتعثت هذه العلاقات استعانة فيروز بن يزيد بأميراطور الصين لارتجاع بلاده . وتقول التواريخ الصينية كذلك إن سفيرا صينيا قدم على الخليفة هشام بن عبد الملك موفدا من قبل أميراطور الصين ، وإن الأميراطور هسوان تسنج عند ما ثار به بعض رعيته واغتصب منه العرش استعان بالخليفة المنصور العباسي ، فأرسل اليه الخليفة جنودا إسلاميا ارتجع به بعض مدنه من الثوار . وقد استقر هؤلاء الجنود بالصين ولم يعودوا الى بلادهم فكان ذلك بدء استقرار الاسلام بالصين . على أن العلاقات التجارية التي كانت بين العرب والصين من قديم الزمان كانت سببا آخر في سكنى عدد غير قليل من تجار المسلمين بالثغور الصينية . فلما كانت غارة التتار في القرن السابع الهجري وما حدث على أثرها من اضطراب في العالم الإسلامي الشرقي نزع عدد كبير من الصناع والتجار المسلمين الى بلاد الصين واستقروا بها وابتنوا المساجد وانتظموا في سلك الحكومة الصينية .

(د) أرخييل الملايو

قد دخل الإسلام جزيرة سومطرة منذ القرن الأول الهجري ، وكان ذلك بواسطة تجار العرب . ثم بما بهذه الجزيرة على مر الزمن بواسطة دعاة وتجار من الهند وبلاد العرب على السواء كما يستفاد من كلام الرحالة الإسلامي ابن بطوطة والرحالة الايطالي ماركو يولو (القرن السابع الهجري) ودخل الإسلام كذلك جزيرة جاوه في القرن السادس الهجري وعظم شأنه بها حتى قامت بها حكومة إسلامية قوية . ثم اقتبست الإسلام من هاتين الجزيرتين سائر جزائر الملايو — بورنيو وسيليبس والفلبين وكذلك اندند الصينية ، هذا والإسلام في الوقت الحاضر أخذ يتغلب على الوثنية

في جزائر الملايو وقد بلغ عدد حجاج المستعمرات الهولندية بتلك الجزائر في سنة ١٩١٠ نحو ٢٤٠ ، ١٤ حاجا .

انتشار الاسلام في الوقت الحاضر — هذه هي الأقطار التي دخلها الإسلام بمجزد الدعوة . ولا يستفاد مما تقدم أن هذه الأقطار والأقطار التي دخلها الإسلام مع السياسة إسلامية بحته ، فقد تقلص ظل الإسلام عن بعضها كالأندلس وأكثر الأملاك العثمانية الأوربية وبعضها توجد به أقلية إسلامية كما هي الحال في الصين والهند بوجه عام . وقد اختلفت الأحصائيات في تقدير عدد المساميين في أنحاء العالم في الوقت الحاضر ، والمتفق عليه أنهم لا يقلون عن ٢٠٠ مليون نسمة ولا يزيدون عن ٢٥٠ مليون نسمة .

مكة المكرمة

مجل الكلام على مكة — أسماؤها — موقعها — جبالها — شوارعها وحاتها — أقسامها الهامة — مبانيها — مستشفى الغرباء — التكية المصرية — مولد الرسول صلى الله عليه وسلم أو داره — دار خديجة بنت خويلد — دار الأرقم — بستان الشريف عون الرقيق باشا — تأثير السيول في مكة وتاريخها — سكان مكة — جنسيتهم — أخلاقهم — أزيائهم — لغتهم — دينهم — عاداتهم — جومكة — تجارتها — نقودها — مياهها — عين زبيدة — أمراء مكة .

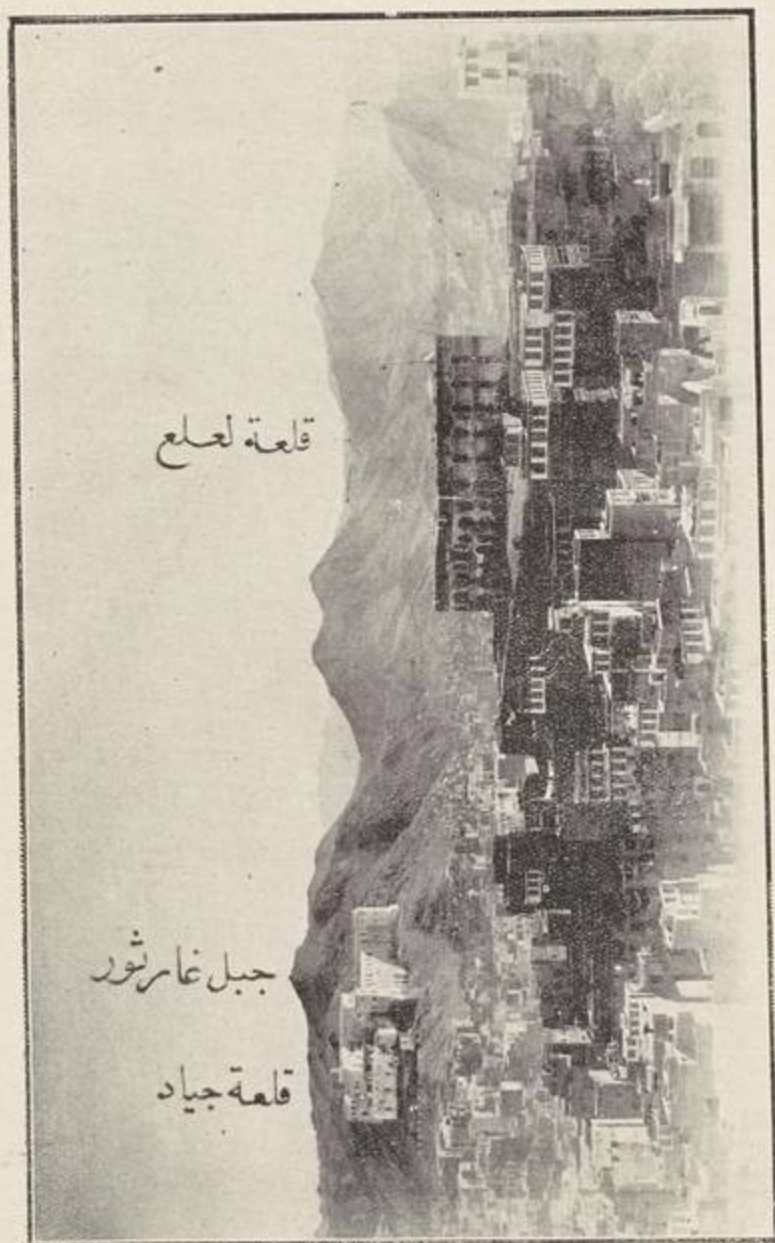
أسماء مكة — ذكر العلماء أن لمكة ستة عشر اسما نذكر أشهرها وهي أربعة نطق بها القرآن أولا : « مكة » قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرْتُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ وقالوا سميت بذلك لقلة ما فيها ، أخذنا من قولهم : امتك الفصيل ضرع أمه إذا أمصه ، وقيل : لأنها تمك الذنوب أى تذهب بها ، وثانيها « أم القرى » قال تعالى ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ بِمَبَارِكٍ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ، وثالثها « بكة » — بالباء الموحدة — قال تعالى

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ) ، ورابعها « البلد الأمين » وقد أقسم الله به في قوله (وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) .

موقعها — مكة واقعة على ٢١° و ٢٨° ق عرضا شماليا ، وعلى ٣٧° و ٥٤° ق طولاً شرقى باريس ، وترتفع عن سطح البحر الأحمر بنحو ٢٧٩ متراً ، وهى عاصمة بلاد الحجاز ، وطولها من الشمال الى الجنوب ميلان ، وعرضها شرقاً من جبل أبى قبيس الى أسفل جبل قعيقعان من الغرب ميل واحد ، يقطع الماشى طولها فى نحو نصف ساعة ، ومع كون عرضها دون طولها يقطع فى زمن أكثر مما يقطع فيه الطول ، وذلك لوجود أماكن على تلال فى كل من جانبيها . وهى بيطن واد يحيط به سور من الجبال الشامخة قد بنيت عليها الحصون المحكمة ، وليس بسورها الجبلى ثغرات إلا حيث مداخلها الأربع ، ففي الشمال الشرقى الطريق الى مِثْنَى ، وفى الجنوب الطريق الى اليمن ، وفى الشمال الغربى الطريق الى وادى فاطمة ، وفى الشرق الطريق الى جُدَّة . وتلك الجبال تكوّن سلسلتين شمالية وجنوبية تتركب الأولى من جبل الفلج غرباً ثم جبل قعيقعان ثم جبل الهندى ثم جبل لعلع ثم جبل كداء (بفتح أوله ومد آخره) وهو فى أعلى مكة ومن جهته دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانية تتركب من جبل أبى حديدة غرباً يتلوه جبلا كُدَى وكُدَى (كلاهما بضم أوله والأول مقصور والثانى مصغر) بأخفاف الى الجنوب ثم جبل أبى قبيس الى شرقيهما ثم جبل الخندمة .

شوارع مكة ومبانيها — نذكر لك أهم شوارعها وما فيها من البنايات الضخمة والمساجد والآثار مفردين الهام منها بالوصف التفصيلى قارين ذلك بالصورة الكاشفة إن شاء الله فنقول : شوارع مكة ضيقة غير منتظمة ما عدا شارعاً مشهوراً يقطعها من جنوبها الغربى الى شمالها الشرقى يتسدى من الشيخ محمود أو جرول ماژا بباب العمرة الى أمام التكية المصرية ثم على المسعى وعلى طريق القشاشية وسوق الليل الى آحر مكة من جهة المعلاة ، وعرض الشارع بين ثمانية أمتار وعشرة وعشرين ، ومن الحارات النافذة الى الشارع المذكور ، حارة الباب ، وحارة الشبيكة ، والسوق

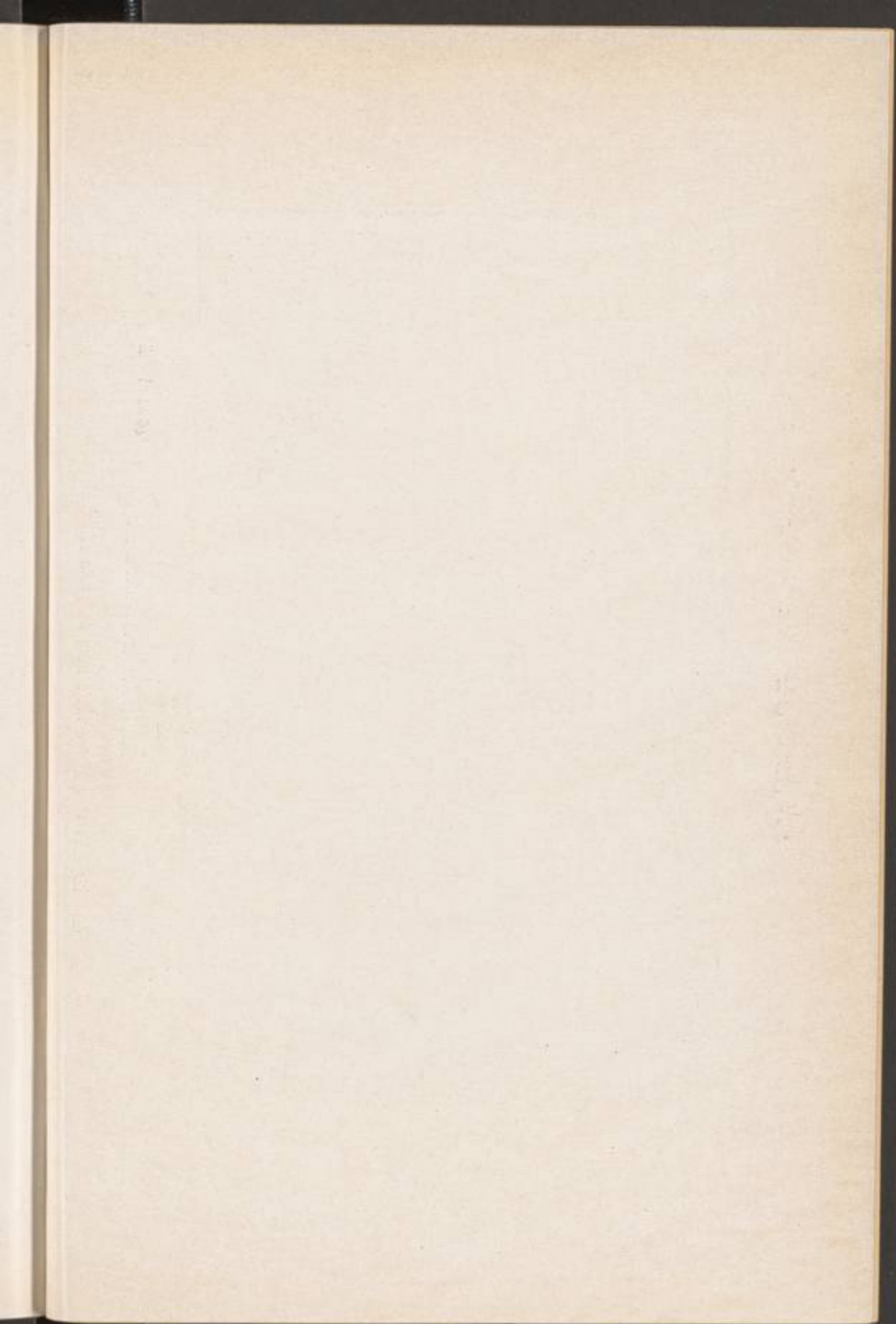
٦٠ مكرر من جبل ابى قيس الى جبل غارنور



بدل لعلع يقرأ الهندى

جبل غارنور

60 bis— A view of the route from Mountain Abikobeis to Garsour.



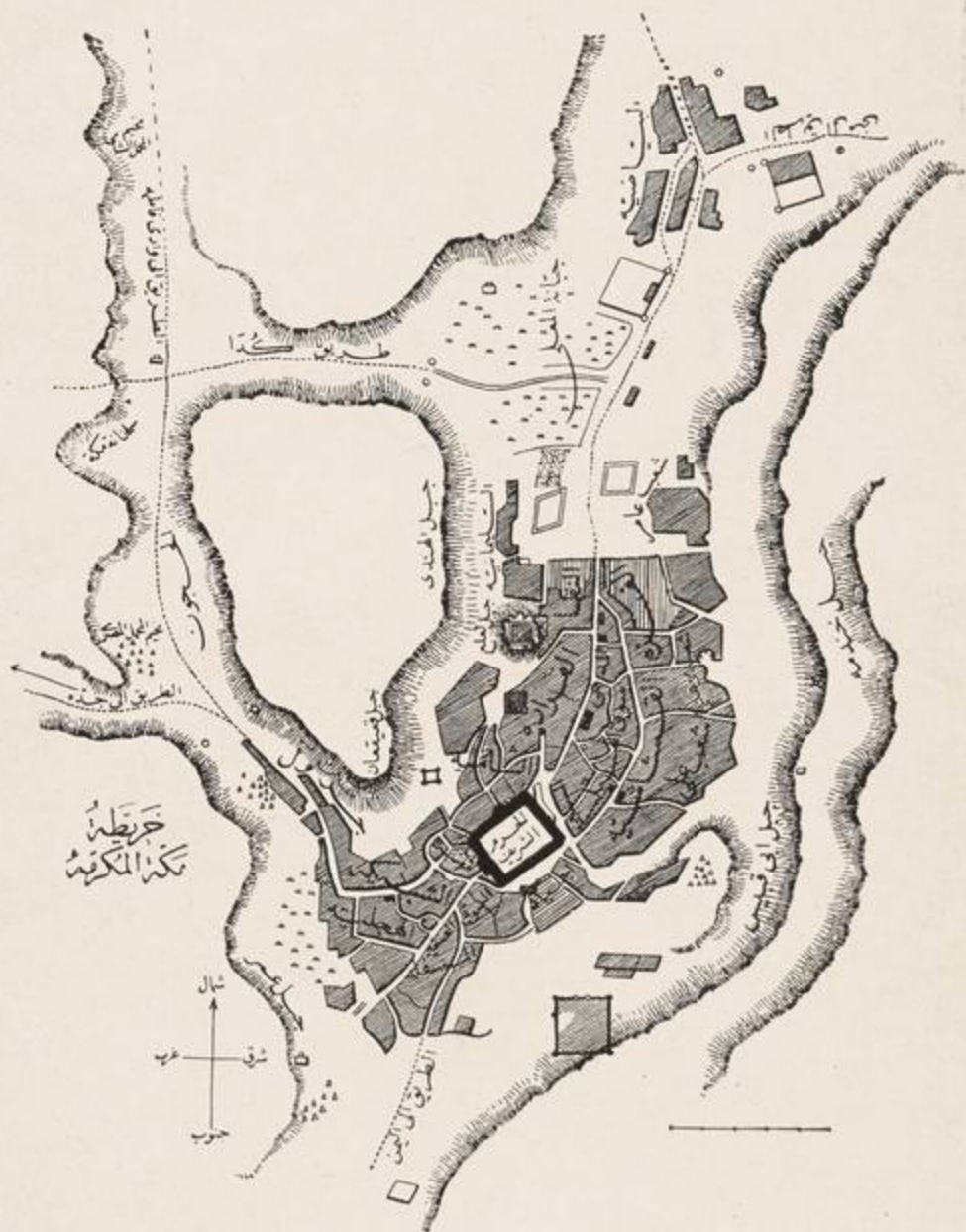
1877

1877



1877

خريطة مكة المكرمة



خريطة مكة المكرمة



هذا نقش من نقش الخديوي في سنة ١٢٦١ هـ
 وهو من عمل المصمم المسمى بـ...
 وهو من عمل المصمم المسمى بـ...



بيوت مكة التي على الطراز الحديث في جاد للسقاف

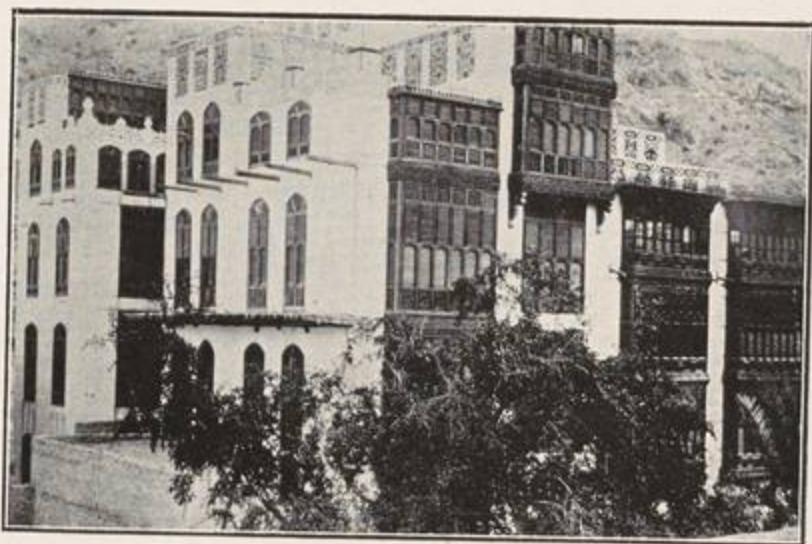


62. A view of the houses of Mecca on the modern style in Giad in 1321.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَوَّالُ الْوَجْدِ وَالْمُهَيَّبُ الْوَجْدِ وَالْمُهَيَّبُ الْوَجْدِ وَالْمُهَيَّبُ الْوَجْدِ

سكن الوالى

منازل السيد عمر السقاف المشيده بمكة



63. Houses built at Gjad, belonging to Sayed Omar El Sakkat

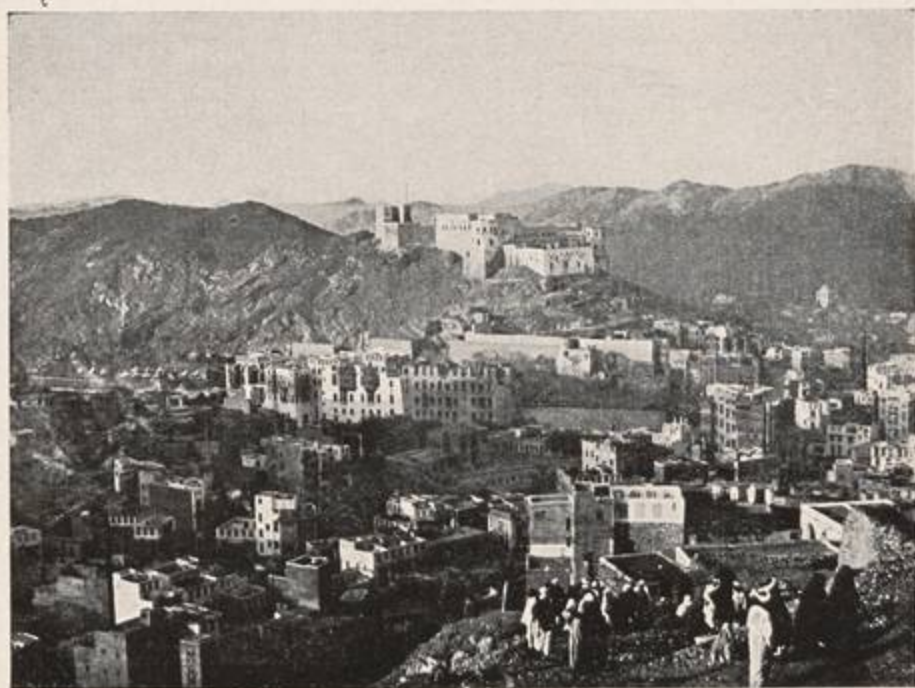
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَوَّالُ الْوَجْدِ وَالْمُهَيَّبُ الْوَجْدِ وَالْمُهَيَّبُ الْوَجْدِ وَالْمُهَيَّبُ الْوَجْدِ

قنلاخا العثمانية الشاهانية بترجيد



64. A view of the Turkish Barracks in Giad at Mecca in 1321.

بؤنكده الحوزة العرفي وها قلع بترجيد

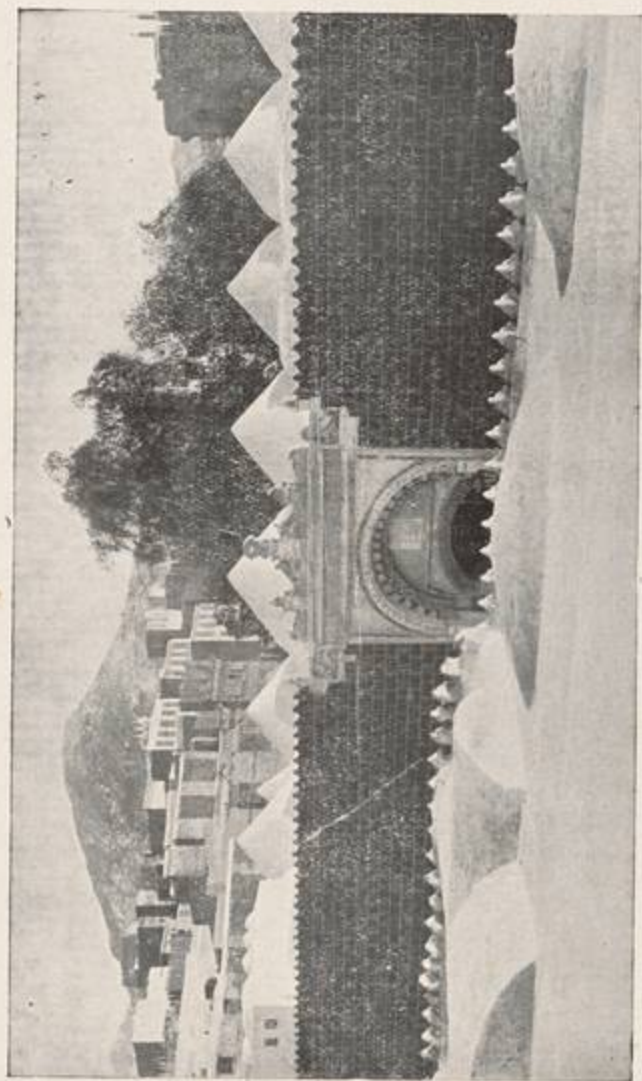


65. The Southern view of the houses of Mecca and the Citadel of Giad.

مكتبة جامعة القاهرة
القاهرة - مصر

مكتبة جامعة القاهرة
القاهرة - مصر

مكتبة محمد بن عبد الله الكرمي



بيت الخيرية لمحمد علي باشا في مكة

70. The Charity house of Mohamed Aly Pasha at Mecca

الصغير ، و جباد وسوق الليل وسوق الصفا والمسعى ، والقشاشية عن اليمين ، وبابها الغزة ثم سوق المعلاة والبياضية ، وعن يسار القشاشية المسعى الى المروة الذى به يسارا باب السلام ويمينا طريق المدعى ثم الجودرية ثم المخناطة ، ومن حارة الباب ينفذ الى سوق الشامية ومنه الى المروة (الرسم ٦٠) .

ومن الجهات التى بها مباني فخمة أو آثار بحمة :

(١) جهة جرول — وعندها جبل بحيشة وفيها الحفائر وبستان لدولة الشريف عون الرقيق وبئرذى طوى الذى آغتمس منه النبي صلى الله عليه وسلم وهو داخل الى مكة (رسم ٢٦) والمكان المعتاد للحمل المصرى « والمسافر خانة » التى بناها السلطان عبد الحميد وقدمنا لك وصفها ومقياس المياه الذى تراه فى شرقى (الرسم ٦١) على شكل عمود .

(٢) المسفلة — فى جنوب المسجد الحرام وبها بستان الشريف عبد الله ومولد سيدنا حمزة والخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنهما .

(٣) شعب جباد — فى الجنوب الشرقى للمسجد الحرام وهو أجمل مواقع مكة لعنوة وسعة طرقة وكثرة بيوته التى على الطراز التركى والتى يسكنها غالبا موظفو الولاية من الأتراك وفى مقدمتهم والى وترى فى (الرسم ٦٢) نموذجا منها وهو بيت للسيد محمد السقاف ذى الأملاك الواسعة بمكة والمدينة وجدة ، وكذلك فى (الرسم ٦٣) . وبهذا الشعب التكية المصرية تجاه المسجد الحرام فى (الرسم ٧٠) ، وكذلك ديوان الحميدية مقر الحكومة العثمانية الذى تراه غربى المسجد فى (الرسم ٨٥) ، والشككات العسكرية للجنود الشاهانية التى تراها فى (الرسم ٦٤) ، وترى فيه خيما يسكنها الجنود الذين ليس لهم أماكن فى الشككات .

والديوان والشككات كلاهما من إنشاء الأمين الحازم المصلح الكبير المشير عثمان باشا نورى والى الحجاز وتجد مكتوبا على باب الحميدية الشرقى :

دار حوت لسعد سلطانا * عبد الحميد كل حسن وطيب
أشادها بحى أم القسرى * عثمان والينا بشكل عجيب
بشرى لنا قد جاء تاريخها * نصر من الله وفتح قريب

وعلى الباب الغربى :

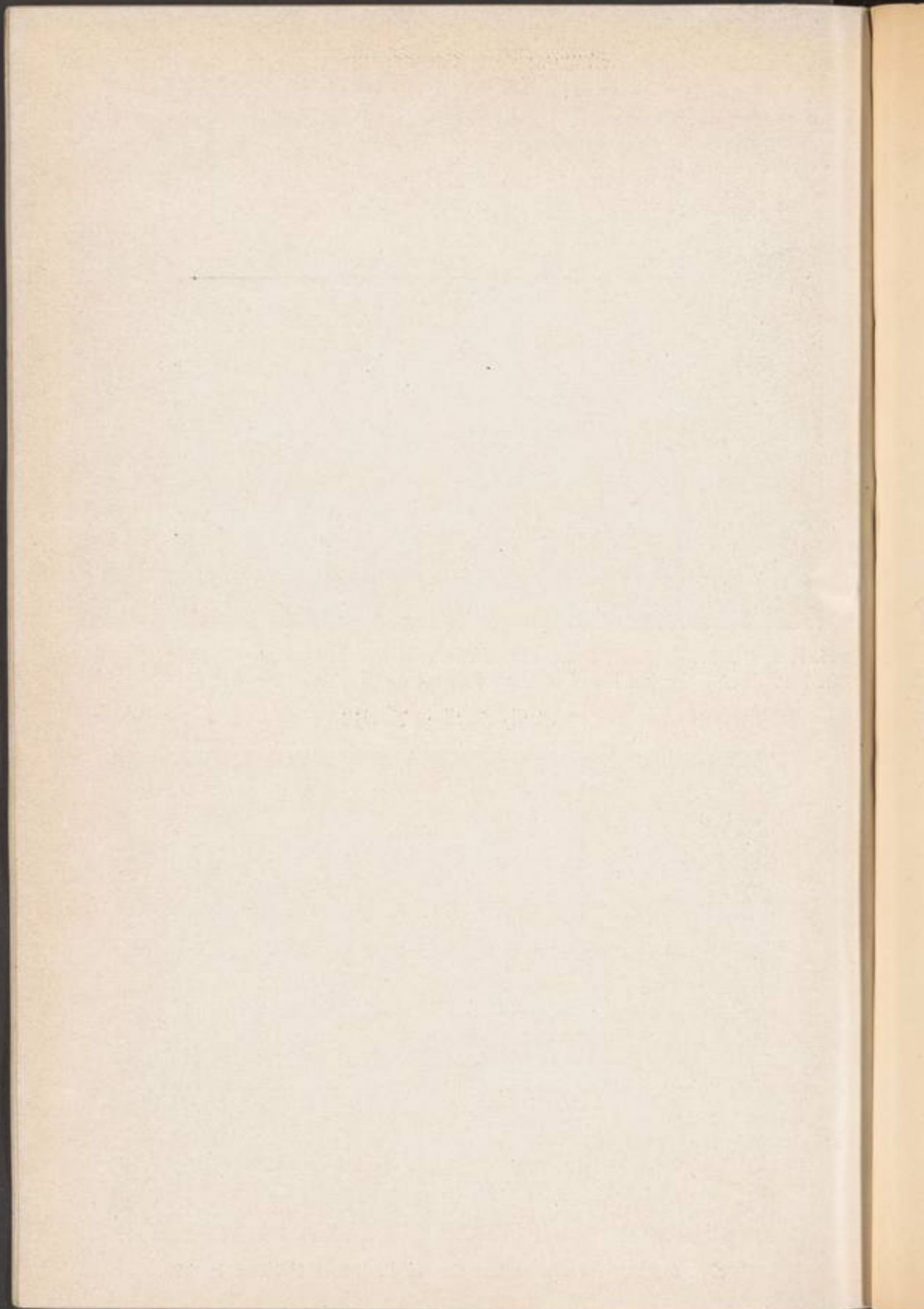
دار سلطان الورى عبد الحميد * قد بدت كالبدر فى البيت الأمين
شادها عثمان والينا الذى * توج الأحكام بالعدل المبين
أزخ المجد ونادى فى العلا * أدخلوها بسلام آمين
وعلى الباب الجنوبى المتوسط كتب (دائرت حكومت سنیه) .

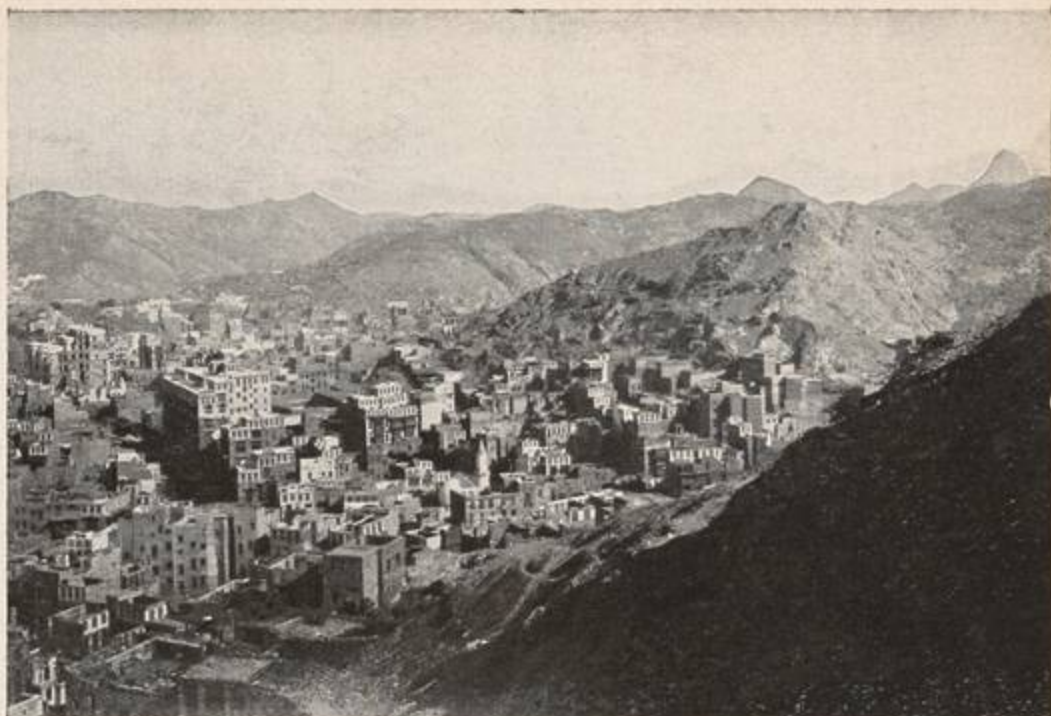
وعلى الباب الجنوبى الجانبي كتب سطر بالخط الثلث الجميل على شكل دائرة ،
العبارة الآتية (دائرة فرقة عسكرية) .

وفى جياذ أيضا ميدان لاستعراض العساكر وفيه المطبعة الأميرية ودار للبريد
(البوستة) والإشارات البرقية (التلغراف) ومركز الصحة ودار عظيمة للشرىف
عبد المطلب وبيت لأمين الدفاتر (الدفتردار) ومسجد صغير - زاوية - للشاذلية
وترى فى (الرسم ٦٥) منظرا عاما لجياذ ، والبناء الذى فى أعلى الرسم على قمة الجبل قلعة
جياذ .

(٤) القشاشية - فى شرق المسجد الحرام ويطل عليها جبل أبى قيس ،
وفى الجهة الشرقية منها شعب على أو شعب بنى هاشم انظر (خريته مكة) وبالقشاشية
دار الخيزران وهى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى وبها بيوت بنى شيبه حجة

(١) لا عناية ولا نظام للإشارات البرقية ولا بالخطابات فقلها تصل إشارة الى صاحبها ، والخطابات
تخصر من جدة إلى مكة على ظهور الجمال فى غرارات (زكايب) وتاق بطرقة فى دار البريد فى آتى الحج
أو المظوفون أو خدمهم فيفرزون هذه المكاتبات فان ضرروا على شئ . لم أول أصحابهم وأقاربهم أخذوه ،
وكان حليقا بالحكومة العثمانية أن تعنى بذلك عناية شديدة لأن أولئك الحجاج الذين شطب بهم الخراز فى حاجة
الى تعرف الأخبار عن أهلهم وأصحابهم وربما تضمنت أخبارا هامة يترتب على جهلها ضرر كبير .





66. Houses of Mecca as seen from the top of Abu-Kobis hills from the East, showing Gar Herak and the Birth Place of the Prophet.

منازل مكة من الشرق والشمال



منازل مكة من الشرق والشمال

67. The northern and eastern view of the houses of Mecca in 1321.

الكعبة، وبيوت محسن بك وعبد الله بك وأحمد باشا الحجازى وكان واليا على الحجاز وهو والد المرحوم منصور باشا يكن ودار أبي سفيان التي جعلها الرسول عام الفتح مأمنا لمن لجأ إليها إذ قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن وهي الآن مستشفى وبها بيت خديجة بنت خويلد أو مولد فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وبها أيضا بيت أبي جهل وهو الآن ميضأة تجاه باب المسجد الحرام المسمى باب النبي عليه السلام .

(٥) الغزوة — في الشمال الشرقى للمسجد الحرام وبها بيت الإمارة الذي شيده محمد على باشا جد الأسرة الخديوية ثم الملكية ويقم به الآن شريف مكة عون الرفيق باشا وتراه في الشمال الشرقى من (الرسم ٦٧) وواضح بالرسم واجهتان منه إحداهما ذات « مشربيات » صنعت صنعا بديعا من الخشب الهندي الأحمر وفيها أيضا مخزن أميري عام تخزن به الحبوب للحكومة والأهالي وكذلك مخزن كبير للصدقات والحبوب التي ترد من مصر كل عام ومن دونهم منازل لأهل مكة .

(٦) شعب بنى عامر — شمالي الغزوة به مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد على رضى الله عنه قريبا منه وبيوت لبنى هاشم . وهذه الجهات الشرقية كانت مساكن بنى عبد المطلب في الجاهلية وفيها الآن كثير من الأشراف أما باقى قريش فكانوا في الجهة الأخرى من المسجد الحرام خصوصا جهة الشمال انظر (مساكن الجهة الشرقية في الرسم ٦٦) .

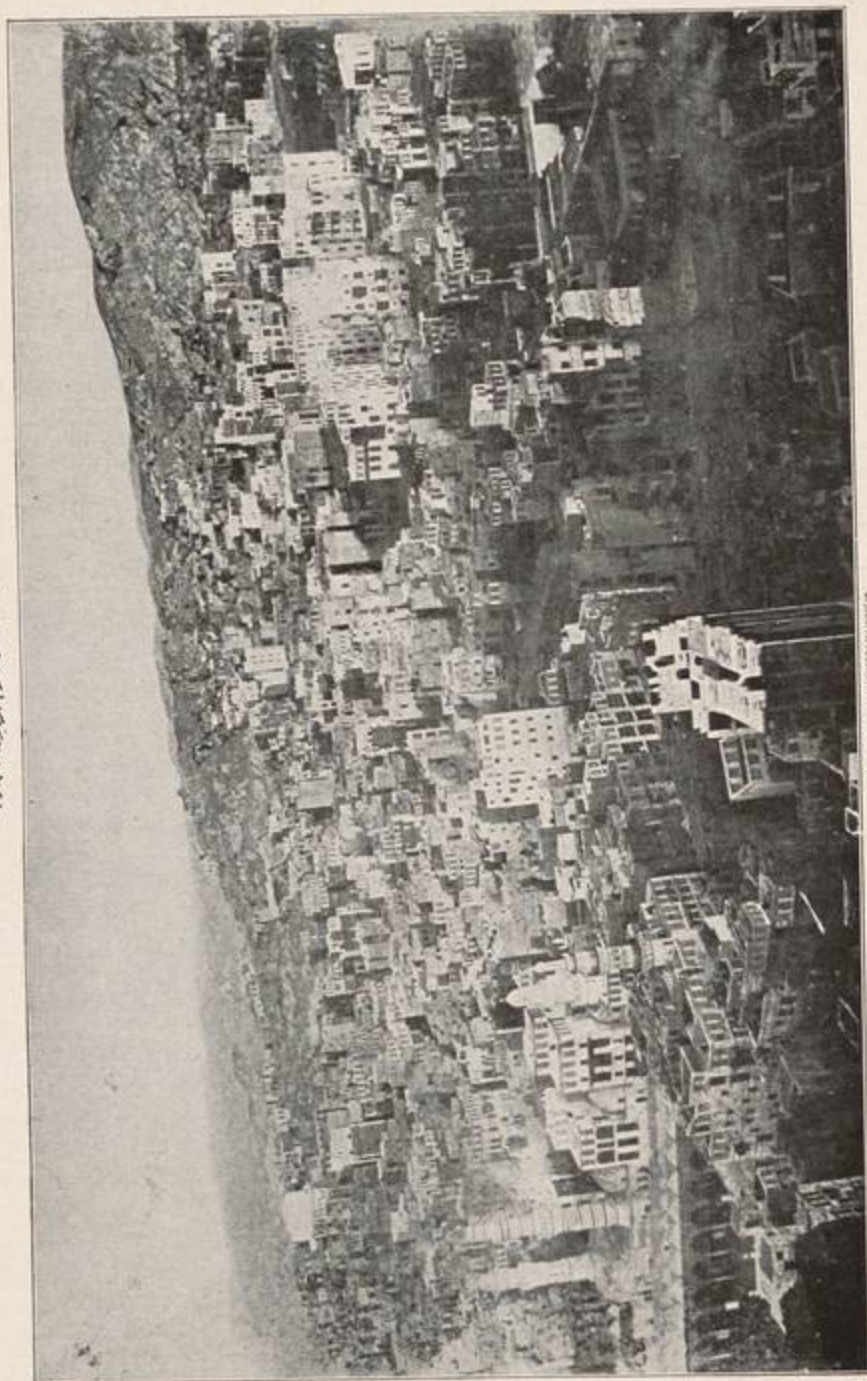
(٧) الشامية — في شمالي المسجد الحرام مع غربيه وهي شارع تجارى عظيم أشبه بشوارع الموسيقى والتربيع والغورية وخان الخليلي عندنا بمصر ويباع فيها السبج والأقمشة الهندية والتركية وفصوص الفيروز والياقوت والعقيق الذي يبيعه حجاج اليمن بأثمان رخيصة جدا .

(٨) القرارة — شمالي الشامية وبها منزل الشريف عبد المطلب أمير مكة سابقا وهو البناء الفخم الذي تراه واضحا في الشمال الشرقي (الرسم ٦٨) وفيه ترى منظرا عاما لبيوت القسم الشمالي وبالقرارة مسجد صغير — زاوية — للجيلاني .

(٩) السلمانية بها النقا والمنحنى والمعابدة والبياضية والمعلاة أي المقبرة — كلها شوارع وجہات في شمالي المسجد الحرام فوق القرارة والغزة ، والمعابدة محل للصاغة وبيت للشريف غالب أمير مكة سابقا ومسجد الإجابة والراية ومسكن للهنود والحضارم ومحل للخضراوات والمسلي والإبل والأغنام ومسكن « البيشة » وهم عساكر أمير مكة وكذلك بها مسكن قبائل من العربان وفيها معادن للإبل ومرابض للغنم والبياضية منزل للسيد محمد صالح الشيباني أمين المفتاح وكذلك بستانه ، والمعلاة من زمن بعيد مقبرة أهل مكة وتقدم الكلام عليها مع رسومها .

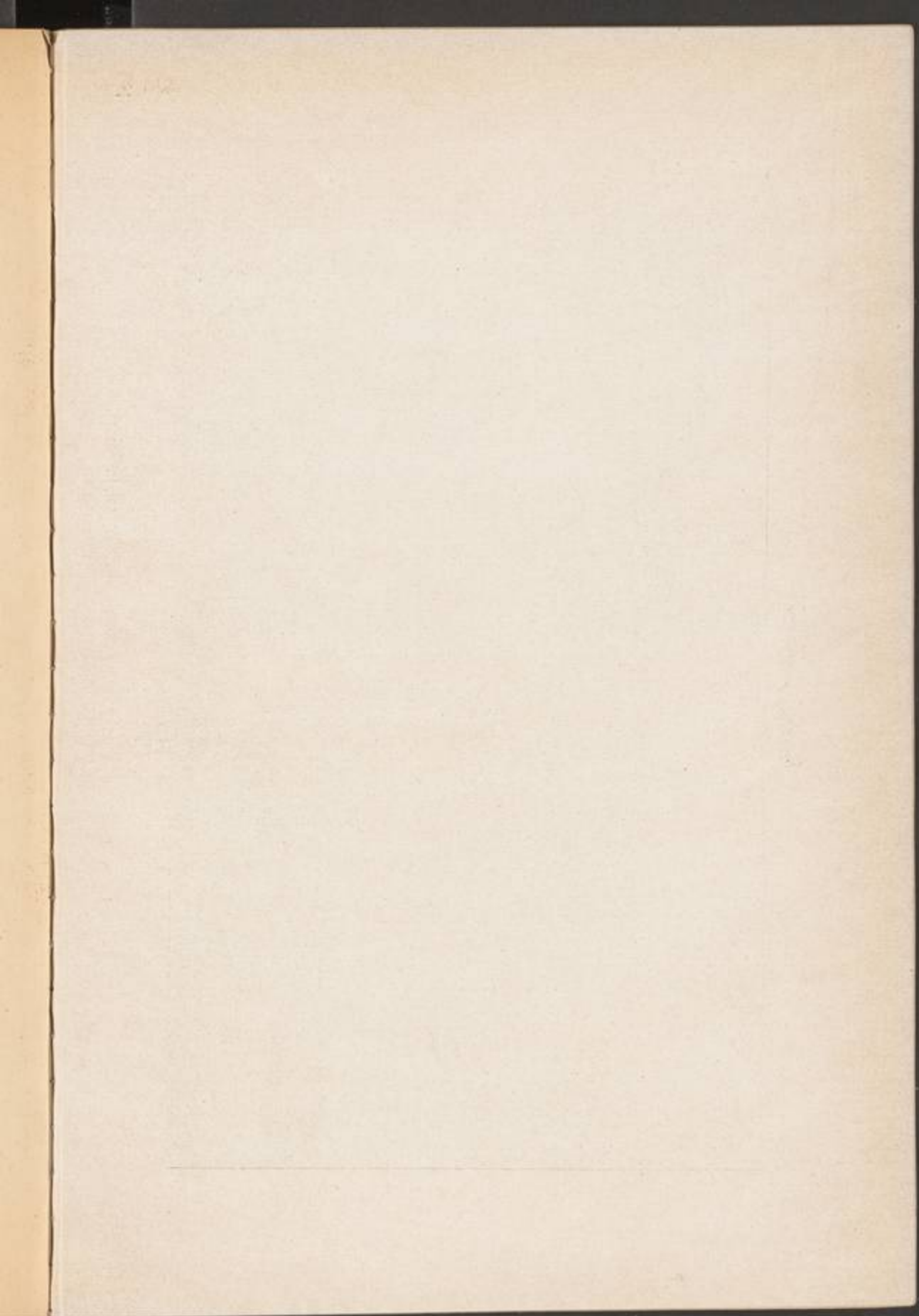
وفي مكة على الجملة ٦ جوامع كبيرة خلاف المسجد الحرام و ٦٧ مسجدا ، المشهور منها مسجد الراية بشرق البلد ومسجد الجن بغربها ومسجد الإجابة والبيعة شماليها وزاوية السنوسي في الجنوب الشرقي ، والسنوسي له في الحجاز شأن كبير ومعظم الأعراب شيعة وكذلك أهل مكة وكثير منهم على طريقة يسمونها الرشيديّة وأهلها أتباع الشيخ إبراهيم الرشيدي ، ومنهم الأدرسية أتباع الشيخ أحمد بن إدريس ، والمرغنية وهم شيعة المرغني المعروف بمصر والسودان وبها محكمة شرعية تحت قبة مجاورة للمسجد الحرام بجهته الشمالية تراها شرقي المئذنتين المتقاربتين في (الرسم ٩١) والقبة التي بينهما على المكتبة السلمانية وترى في الشمال الغربي قلعة الهندي ، وسيأتي ذكر المكتبة والقلعة قريبا ، وظاهر بالرسم ست مآذن من مآذن المسجد الحرام ، والبناء الفخم الذي في أعلى الشكل سراي الشريف عبد الله باشا أمير مكة سابقا وقد احترقت . وفي مكة ٦ مدارس للعلوم و ٤٣ مكتبا للصبيان ، وكانت في سنة ١٣٠٣ — ٣٣ وكان عدد التلاميذ بها ١١٥٠ وأشهر هذه المدارس المدرسة الصولية التي بناها الطيب الأثر الشيخ رحمة الله الهندي

مكة المكرمة



مكة المكرمة

68. The palace of El Sherif Abdul Mottaleb at El Karara in Mecca.



صاحب كتاب إظهار الحق ، ويدرس فيها القرآن وعلم التجويد وشيء من اللغة العربية والحساب والهندسة وينفق عليها من تبرعات أهل الهند ، ومدرسة أخرى تماثل الأولى أو تزيد عليها . وبمكة مكتبتان صغيرتان الأولى في باب أم هانئ تسمى كتبخانه شروانى زاده محمد رشدى باشا والى الحجاز سابقا وأخرى في باب الدريية قرب باب السلام تسمى بالكتبخانه السليمانية أسسها السلطان عبد الحميد وكونها من شتات كتب المسجد وغيرها مما أرسله إليها من الاستانة ، ولكل مكتبة من هذين فهرس بخط اليد وأمين يقوم بشؤونها ، والكتب التى بهما نحوية وفقهية وأدبية وتاريخية وأكثرها باللغة العربية وفيها شيء بالفارسية والأوردية (الهندية) والتركية والجاوية (لغة الملايو) . وبمكة مستشفى عسكرى وآخر للغرباء — يأتى وصفه — وبها ١٧ مصنعا ومدبختان للجلود ومساجتان ومخزنان كبيران . وبها قلاع ثلاث تحم على المدينة ويقم بها عساكر الدولة : أولها قلعة جيباد التى أنشأها فى سنة ١١٩٦ هـ . الشريف سرور بن مساعد أمير مكة بعد أن اشترى ما حوّلها من البيوت وأنفق فى عمارتها مالا كثيرا ، وقد نقص بعد سنتين كثيرا من بنائها وأعادها متقنا على أحسن شكل كما تراه فى أعلى (الرسم ٦٥) ، وثانيها قلعة الهندى التى بناها الشريف غالب بن مساعد سنة ١٢٢١ هـ . فى الجهة الشمالية وكانت صغيرة وحدث فيها خراب فعمرها ووسعها المشير عثمان نورى باشا شيخ الحرم ووالى الحجاز وقد أحكم بناءها ورتبها فى سنة ١٣٠٠ هـ . زمن السلطان عبد الحميد الثانى ، وثالثها قلعة لعلع التى أنشأها أيضا الشريف غالب أيام محاربة الوهابيين له وهو الذى أقام الأبراج بأطراف مكة . وبمكة حمامان على مثال الحمامات الرومية بمصر ، واحد بالعمرة بناه محمد باشا وزير السلطان سليمان سنة ٩٨٠ هـ . والثانى بالقشاشية ويسمونه حمام النبي . وبها ثلاث تكايا : أهمها التكية المصرية أمام باب المسجد الحرام المسمى باب جيباد — وسيأتى وصفها — وفيها عشرون مسق — سيلا — وعشرون صهريجا مملوءة بمياه عين زبيدة ، ويختلف طولها وعرضها من ٥ أمتار إلى ١٠ ، والعمق من مترين ونصف إلى ١٣ مترا ، وفم الصهريج سعته ٨٠ سنتيا

ولبعضها فتحتان وثلاث الى ٦ فتحات على خط واحد وتزح المياه منها بواسطة السقائين الذين أكثرهم من العبيد، وبيوت الأمراء أنابيب مائبة ذات «حنفيات»، وبمكة ١٩ رباطا يأوى إليها الفقراء، و ٨٠ طاحونة خيل، و ٦٠ تنورا، و ٩٥ قهوة بلدية رصت فيها «التكك» والكراسي التي مقاعدها شبك مصنوعة من الليف أو الخوص المجدول، ويشرب فيها الشاي والقهوة والزعجيلة «الشيشة» التي يجهزونها بالتمباك الحمي عادة ويكثرون آستعمالها ويضيفون الى البن اليمنى الجهمان والقرنفل والحبة السوداء مما يجعل للقهوة نكهة جميلة. وبها محجر صحي «كورتينا» معطل وصيدلية ومتجران كبيران للجوهرات الثمينة، و ١٧ مجيرة «كوشة» لعمل الجير، و ٨ مصانع للفخار، ومخزن كبير للغاز.

وبمكة ٣٠٠٠ دكان و ٦٥٠٠^(١) بيت مبنية بالحص والجمر الأصم ذي اللون الأسود تخله نقط حمراء وبيضاء، والبيت يتكون من طبقة الى خمس طبقات وأكثرها ليس به فناء، وأجمل بيوت مكة على الإطلاق بيوت جليس الشريف المسمى (البو) وبيوت محمد على كاتب الشريف فإنها مبنية على الطراز الحديث من جهة التقسيم والهيئة والزخرف والزينة وهي تضارع بعض البيوت الجميلة بمصر والاسكندرية. وبيوت الأمراء وإن كانت عظيمة إلا أنها على الطراز القديم. وبمكة كثير من البساتين الصغيرة والبرك الصناعية ذات الفوارات المائية. وها نحن أولاء نصف لك بالتفصيل بعض الأماكن الشهيرة كما وعدنا.

مستشفى الغرباء والفقراء — هذا المستشفى بالجهة الشرقية من المسجد الحرام وقد أنشئ في سنة ١٠٨٦ هـ — كما هو مكتوب عليه — في زمن السلطان الغازي محمدخان الرابع، وقد زرت هذا المستشفى في ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣١٨ (١٦ أبريل سنة ١٩٠١) فوجدت به طبيبين يدعى أولها اسماعيل أفندي ثروت طبيباً أول وثانيهما عثمان أفندي اسماعيل طبيباً ثانياً ورأيت صيدلياً اسمه حسن أفندي تحسين والكل مجمل بالثياب

(١) تعداد الأماكن السالفة قلناه عن التقويم التركي للبلاد الحجازية سنة ١٣٠٩ هـ وهو مطبوع بمكة بالمطبعة الأميرية.

الجيدة النظيفة، وبه ما يقرب من ٥٠ سريرا وقد مررت بأقسامه فوجدت إهمالا شديدا ولا سيما قسم الأمراض العفنة فالملابس والمفروشات في غاية القذارة تنبعث عنها الروائح الكريهة ولا يصلحها إلا حرقها وقد أعترف الطبيب الذى صاحبنى بذلك وكان يريد عدم مرورى بهذا القسم من شدة عفونته، وقد رأيت كثيرا من المرضى نائما على الألواح قد أشتد به المرض حتى صيره هيكلًا عظميا كالهياكل التى نراها بالنصر العيى، وأن مريضا هذا حاله لا ينتظر إبلاله من مرضه وهو يتنشق تلك الروائح الخبيثة التى تفتك بالأصحاء فضلا عن المرضى، ولولا وضعى المنديل على أنفى وضغطى عليه لما أستطعت المرور، وبلغنى أنه قلما يدخل فيها مريض فيشفى، فإذا كان ذلك شأنها فاعلاقتها خير من فتحها، فإن الهواء النقى قد يشفى المريض مما ألم به، والأدوية تاتى الى هذا المستشفى من الأستانة أما الأغذية والمفروشات فمن ديوان مكة المكرمة .

التكية المصرية - هى من الآثار الجليله ذات الخيرات العميمة وأنها نعمت صدقة جارية لمسديها ثواب جزيل وأجر عظيم، وقد أنشأها ساكن الجنان محمد على باشا رأس الأسرة الخديوية فى سنة ١٢٣٨ هـ . كما هو مسطور بدائر القبة التى بوسط التكية تظل الصنابير « الحنفيات » التى يتوضأ منها الناس والتكية بشوارع جياذ أقيمت مكان دار السعادة التى كانت محل حكومة بنى زيد من الأشراف، ويرد إليها الفقراء فى الصباح والمساء فيتناول الفقير فى كل مرة رغيفين وشيئا من « الشربة » وربما أعطى أكثر من ذلك إن كان فقره مدقعا، وكثير من نساء مكة وجواربها الفقراء يتعيشن بما يأخذن ويكتفين بذلك عن مسألة الناس، ويصرف يوميا من الخبز ما يقرب من ٤٠٠ أفة (حاصل ٣ أراب من القمح) و ١٥٠ أفة من الرز، وفى يوم الخميس تزد كمية الأرز الى ٤٢٠ أفة، ويصرف فى هذا اليوم فقط مائة أفة من الخم، وفى كل أيام رمضان يكون المرتب كرتب يوم الخميس ويزيد عليه ٥٠ أفة من الخم، ويصرف من السمن ما يكفى لطبخ هذه المقادير، والفقراء يزداد عددهم حتى يبلغ ٤٠٠٠ شخص وذلك من شهر رمضان حتى آخر ذى الحجة.

لورود كثير من الحجاج الفقراء من السودانيين (التكارنة) والمغاربة وغيرهم ثم يتناقص العدد بعد ذلك الى ٤٠٠ تقريبا .

وللتكية ناظر ومعاون وكتبة يقومون جميعا بخدمة الفقراء ، وبها طاحونة يتناوب إدارتها أربعة بغال تطحن القمح ، وفيها مطبخ واسع به ثمانية أماكن يوضع عليها أوان ثمان من ذات الحجم الكبير (قزانات) وفيها مخبز ذو بابين يخبز به العيش ومخزن وحجر للمستخدمين انظر التكية (في الرسم ٧٠) وفي مدة الحج يسكنها بعض عمال المحمل كالطبيب والصيدلي وكاتب القسم العسكري وبعض الضوئية والعكامة والسقائين ، ويوضع بها أمتعة الأمير والأمين وبعض الموظفين عند ذهابهم الى عرفات ، وفي التكية بيوت أدب وصنابير (حنفيات) ماء ومكان جميل مفروش في وسطه بركة ماء صناعية (فسقية) ويجلس به أمير الحج وأمين الصرة وكاتبها حينما يصرفون المرتبات ، ومكتوب على باب التكية بالخط الثلث الجميل البيتان الآتيان :

لعباس مولانا الخديوي فضائل * عليها ذليل كل يوم مجدّد
رأيناها قد أحيا تكية جدّه * فقلنا أعباس بنى أو محمد

[سنة ١٣١٩ و ١٢٣٨ هـ]

ولو سمعت الأدعية المتصاعدة من قلوب الفقراء لرب هذه النعمة لأكبرت هذا العمل ومسديده ، وأنسقت نفسك الى أمثاله ان كان لديك سعة في المال وبسطة .

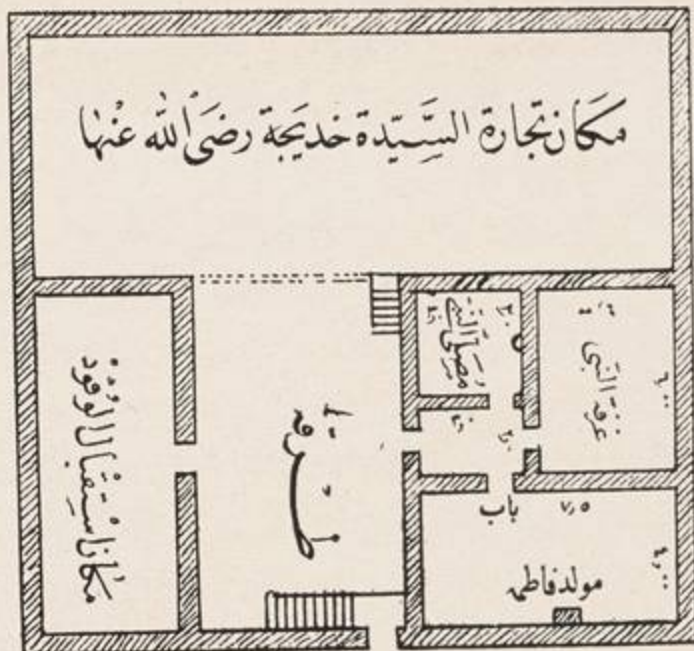
أما التكايا الأخرى فلم أزرها لأنه لا يأوى اليها فقير ، وقد سطر بواجهته تكية السيدة فاطمة قوله تعالى (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) وأنها أنشئت في سنة ١٠٨٦ هـ . زمن السلطان الغازي محمد خان الرابع كما أسلفنا .

مولد الرسول صلى الله عليه وسلم — مولد الرسول صلى الله عليه وسلم
بشعب بنى عامر شرق مكة وهو مكان قد ارتفع الطريق عنه بنحو متر ونصف
ويترل اليه بواسطة درج من الحجر يوصل الى باب يفتح الى الشمال يدخل منه الى
فناء يبلغ طوله نحو اثني عشر مترا في عرض ستة أمتار وفي جداره الأيمن (الغربي)

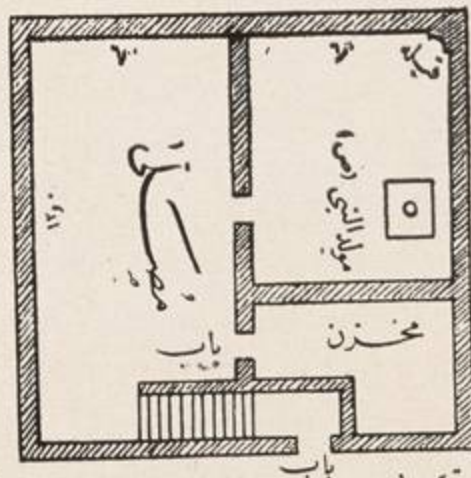
باب يدخل منه الى قبة في وسطها (يميل الى الحائط الغربي) مقصورة من الخشب داخلها رخامة قد تتعرجونها لتعيين مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه القبة والفتاء الذي خارجها يكونان الدار التي ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم (رحلة البتانوني ص ٥٢ طبعة ثانية) ، وجاء في تاريخ مكة لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق المتوفى في العقد الثاني من المائة الثالثة في ص ٤٢٢ طبع ألمانيا : أن البيت الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم هو في دار محمد بن يوسف الثقفي أخ الحجاج ، وكان عقيل بن أبي طالب أخذ من الرسول صلى الله عليه وسلم داره لما هاجر ، وفيها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في عام حجة الوداع لما قيل له : أين تنزل يا رسول الله "وهل ترك لنا عقيل من ظل"؟ ولم تزل الدار بيد عقيل وولده حتى باعها ولده من محمد بن يوسف الثقفي فأدخلها في داره التي يقال لها البيضاء وتعرف اليوم بدار ابن يوسف ، وبقيت الدار كذلك حتى حجت الخيزران أم الخليفين مومني وهارون سنة ١٧١ هـ . فجعلت دار الرسول مسجدا يصلى فيه وفصلته من دار ابن يوسف وأشرعته في الزقاق الذي في أصل تلك الدار ويقال له : زقاق المولد قال أبو الوليد : إنه سمع جده ويوسف بن محمد يثبتان أنه المولد وأنه ذلك البيت لا اختلاف فيه عند أهل مكة اهـ . ولكن جاء في المواهب اللدنية أنه اختلف في مكان ولادته صلى الله عليه وسلم فقيل : ولد بمكة في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف الثقفي ، ويقال : بالشعب - شعب بنى هاشم - ويقال : بالردم ، ويقال : بعسفان اهـ . هذا وقد جاء برحلة العياشي (ص ٢٢٥ ج ١) بعد أن ذكر خلاف أهل السير في مولده صلى الله عليه وسلم ما يأتي : والعجب أنهم عينوا محلا من الدار مقدار مضجع وقالوا له : موضع ولادته صلى الله عليه وسلم ، ويبعد عندي كل البعد تعيين ذلك من طريق صحيح أو ضعيف لما تقدم من الخلاف في كونه بمكة أو غيرها وعلى القول بأنه فيها ففي أي شعابها وعلى القول بتعيين هذا الشعب ففي أي الدور ، وعلى القول بتعيين الدار ، فيبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار بعد مرور الأزمان والأعصار وأنقطاع الآثار والولادة وقعت في زمن الجاهلية

وليس هناك من يعتنى بحفظ الأمكنة ولا سيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك ، وبعد مجيء الإسلام قد علم من حال الصحابة وتابعيهم ضعف آعتنائهم بتقييد الأماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعى لصرفهم آعتنائهم رضوان الله عنهم لما هو أهم من حفظ الشريعة والذب عنها باللسان واللسان ، وكان ذلك هو السبب فى خفاء كثير من الآثار الواقعة فى الاسلام من مساجده عليه السلام ومواضع غزواته ومدافن كثير من أصحابه مع وقوع ذلك فى المشاعر الخليصة ، فما بالك بما وقع فى الجاهلية لا سيما ما لا يكاد يحضره أحد إلا من وقع له كمولد على ومولد عمر ومولد فاطمة رضى الله عن جميعهم ، فهذه الأماكن مشهورة عند أهل مكة فيقولون هذا مولد فلان هذا مولد فلان ، وفى ذلك من البعد أبعد من تعيين مولده صلى الله عليه وسلم لوقوع كثير من الآيات ليلة مولده صلى الله عليه وسلم فقد يتنبه بعض الناس لذلك بسبب ما ظهر من الآيات وان كانوا أهل جاهلية ، وأما مولد غيره ممن ولد فى ذلك العصر فكاد العادة تقطع بعدم معرفته إلا أن يرد خبر عن صاحب الواقعة بتنبهه أو أحد من أهل يئسه اه . كلامه (يلاحظ أن العياشى كتب رحلته فى حجتيه سنة ١٠٥٩ وسنة ١٠٦٤ هـ) . وقد جاء فى كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للتحقى الفاسى الذى كتبه فى العقد الثانى من المائة التاسعة بعد الهجرة وصف مولد الرسول وقال بعد الوصف : وقد خفى علينا كثير من عمارته والذى علمته من ذلك أن الناصر العباسى عمره فى سنة ٥٥٧٦ هـ ثم الملك المظفر صاحب اليمن سنة ٦٦٦ هـ . ثم حفيده المجاهد سنة ٥٧٤٠ هـ . وفى سنة ٧٥٨ هـ . من قبل الأمير شيخون أحد كبار الدولة بمصر ، وفى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر بإشارة مدير دولته يلبغا الخاسكى سنة ٧٦٦ هـ . وفى آخر سنة ٨٠١ هـ . وفى أول التى بعدها من المال الذى أنفذه الملك الظاهر برقوق صاحب مصر لعمارة المسجد الحرام وغيره بمكة ، وكانت عمارة هذا المولد بعد موته اه . وقد جدد القبسة التى على موضع الولادة السلطان سليمان خان سنة ٩٣٥ هـ . وفى سنة ٩٦٣ هـ . أهدى هو أيضا ثلاثة قناديل ذهبيا منها اثنان للكعبة والثالث يعاق بالمولد ، وقد علقت بيد الشريف أبى نعى .

17
 2
 10
 11
 12
 13
 14
 15
 16
 17
 18
 19
 20
 21
 22
 23
 24
 25
 26
 27
 28
 29
 30
 31
 32
 33
 34
 35
 36
 37
 38
 39
 40
 41
 42
 43
 44
 45
 46
 47
 48
 49
 50
 51
 52
 53
 54
 55
 56
 57
 58
 59
 60
 61
 62
 63
 64
 65
 66
 67
 68
 69
 70
 71
 72
 73
 74
 75
 76
 77
 78
 79
 80
 81
 82
 83
 84
 85
 86
 87
 88
 89
 90
 91
 92
 93
 94
 95
 96
 97
 98
 99
 100



رسم نظري تقريبي لبيت السيدة خديجة المشهور بمولد السيدة فاطمة (بكرة)



رسم نظري تقريبي لمولد النبي (ص) اودار عبدالله بن عبدالمطلب (بكرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وفي سنة ١٠٠٩ هـ . أمر السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان بعمارة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبني في أعلاه قبة عظيمة ومنازة ، ووقف عليه ووقفها بالديار الرومية ورتب له مؤذنا وخادما وإماما ، وجعل لكل شئ معين يحمل إليه كل عام ، ثم جعلت له السلطنة العثمانية مدرسا يدرس فيه ويتقاضى مرتبا في نظير ذلك أنظر (المثذنة والقبة متجاورتين في وسط الرسم ٦٦ وأنظر الرسم النظري ٧١) .

دار خديجة بنت خويلد أو مولد فاطمة رضى الله عنهما — هذه المدار بزقاق الحجر بمكة ويقال له أيضا : زقاق العطارين على ما ذكره الأزرقى وتعرف بمولد فاطمة رضى الله عنها لكونها ولدت فيها هي وإخوتها أولاد خديجة من النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر الأزرقى : أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى بخديجة فيها وأنها توفيت فيها ، ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ساكنا بها حتى هاجر الى المدينة فأخذها عقيل بن أبى طالب ثم اشتراها منه معاوية وهو خليفة فجعلها مسجدا يصلى فيه ، ولكن ذكر في موضع آخر أن معتبا بن أبى لهب أخذ بيت خديجة فباعه من معاوية بمائة ألف درهم وهذا يخالف ما ذكره من أن عقيل أخذ بيتها وباعه من معاوية والله أعلم بالصواب ، وهذه الدار الآن قد ارتفع عنها الطريق فينتزل إليها بجملة درجات توصل الى طرفة على يسارها مسطبة مرتفعة عن الأرض بنحو ٣٠ سنيا ومسطحها نحو عشرة أمتار طولاً في أربعة عرضاً ، وفيها مكتب يقرأ فيه الصبيان القرآن الشريف وعلى يمينها باب صغير يصعد إليه بدرجتين يدخل منه الى طرفة ضيقة عرضها نحو مترين ، وفيها ثلاثة أبواب الذى على اليسار لغرفة صغيرة يبلغ مسطحها ثلاثة أمتار طولاً في أقل منها عرضاً ، وهذا المكان كان معداً لعبادته صلى الله عليه وسلم ، وفيه كان ينزل الوحي عليه ، وعلى يمين الداخل إليه مكان منخفض عن الأرض يقال : إنه كان محل وضوئه صلى الله عليه وسلم ، والباب الذى فى قبالة الداخل الى الطرفة يفتح على مكان أوسع يبلغ طوله نحو ستة أمتار فى عرض أربعة وهو المكان الذى كان يسكنه النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجته خديجة رضى الله عنها ، أما الباب الذى على اليمين فهو لغرفة مستطيلة عرضها نحو أربعة أمتار فى طول

نحو سبعة أمتار ونصف ، وفي وسطها مقصورة صغيرة أقيمت على المكان الذي ولدت فيه السيدة فاطمة رضي الله عنها — لا تنس ما أسلفناه في مولد الرسول صلى الله عليه وسلم للعباشي — وفي جدار هذه الغرفة الشرقي رف موضوع عليه قطعة من رحي قديمة يقولون : إنها من رحي السيدة فاطمة التي كانت تستعملها في حياتها ، وعلى طول هذا المسكن والطرف الخارجة والمستوية من جهة الشمال فضاء مرتفع بنحو متر ونصف يبلغ طوله نحو ستة عشر متراً ، وعرضه سبعة أمتار ، وأظن أنه المكان الذي كانت السيدة خديجة تخزن فيه تجارتها انظر (الرسم ٧١) . هذا وصف الدار على ما جاء برحلة البتانوني (ص ٥٣) وهو ما شاهدناه ثم قال البتانوني بعد ذلك هذه الدار التي كانت مقراً له صلى الله عليه وسلم ومحل إقامته في مكة ومبعثه إلى الخلق كافة إذا أنعمت بها نظرك وأمعنت فيها فكرك لا تراها إلا «البساطة» بنفسها ، دار تحتوي على أربع غرف ؛ ثلاث داخلية منها : واحدة لبناته ، والثانية له ولزوجه ، والثالثة له ولربه ، والرابعة بمعزل عنها له ولعموم الناس ؛ بالله ما هذا الترتيب الجميل وما هذا النظام البديع ! اه .

وقد جاء في كتاب شفاء الغرام للقاسي وصفه لدار خديجة عن مشاهدته وهو مخالف للشكل الذي نراها عليه الآن قال : غالب هذه الدار الآن على صفة المسجد لأن فيها رواقاً فيه سبعة عقود على ثمانى أساطين — أعمدة — في وسط جدره القبلي ثلاثة محاريب وفيه ست وعشرون سلسلة في صفين وأمامه رواق فيه أربعة عقود على خمس أسطوانات ، وبين هذين الرواقين صحن ، والرواق الثاني أخصر من الرواق المقدم لأن بقربه بعض المواضع التي يقصدها الناس بالزيارة في هذه الدار وهي ثلاثة مواضع ، الموضع الذي يقال له : مولد فاطمة رضي الله عنها ، والموضع الذي يقال له : قبة الوحي وهو ملاصق لمولد فاطمة ، والموضع الذي يقال له : المختبأ وهو ملاصق لقبة الوحي ، زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختبئ فيه من الحجارة التي يرميه بها المشركون والله أعلم بحقيقة ذلك ، وذراع الموضع الذي يقال له : المختبأ أربعة أذرع وثلاث ذراع ، وذلك من الجدر الذي فيه المحراب إلى الجدر المقابل له وهو طرف جدر

قبّة الوحى الغربى هذا ذرعه طولاً، وذرعه عرضاً ثلاثة أذرع وثلاث ذراع، وذلك من الجدر الذى فيه باب به الى الجدر المقابل له، وذرع الموضع الذى يقال له : قبّة الوحى من الجدر الذى فيه باب به الى الجدر المقابل له ثمانية أذرع وثلاث ذراع هذا ذرعه طولاً، وأما ذرعه عرضاً فثمانية أذرع ونصف بذراع الحديد المقدم ذكره ، والموضع الذى يقال له مولد فاطمة طولاً خمسة أذرع إلا ثمن ، وعرضه من وسط جدره ثلاثة أذرع وثلاثة أثمان الذراع ، وفى هذا الموضع موضع صغير يشبه بركة مدوّرة ، وسعتها طولاً من داخل البناء المحوط عليها ذراع وعرضها كذلك ، وفى وسطها حجر أسود يقال : أنه مسقط رأسها ، وذرع الرواق المقدم من هذه الدار من وسط جدره على الأستواء ثمانية وثلاثون ذراعاً هذا ذرعه طولاً ، وذرعه عرضاً سبعة أذرع وربع ، وذرع ما بين كل اسطوانتين منه خمسة أذرع وربع ، وذرع الرواق المؤخر من هذه الدار من جدر قبّة الوحى الى الجدر المقابلة له ثلاثة وعشرون ذراعاً، هذا ذرعه طولاً، وذرعه عرضاً عشرة أذرع وكان تحريراً ما ذكرنا من ذرع الموضع بذراع الحديد (٥٧ سنتياً تقريباً) كله بحضورى ، وعلى باب هذه الدار مكتوب أنها عمرت فى خلافة الناصر العباسى وفى زمن الملك الأشرف أبى شعبة بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر ، وفى الرواق المقدم من هذه الدار أن المقتدى العباسى أمر بعمله ، وعمر بعض هذه الدار فى أول دولة الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق من المال الذى أنفذه أبوه لعمارة المسجد الحرام وغيره ، ولم يعمر ذلك إلا بعد موته فى آخر سنة إحدى وثمانمائة أو فى التى بعدها ، ومما عمر فى هذا التاريخ من هذه الدار الموضع المعروف بقبة الوحى بعد سقوطه ، وبغنى أن القبة الساقطة كانت من عمارة الملك المظفر صاحب اليمن رحمهم الله تعالى ، وإلى جانب هذه الدار حوش كبير على باب حجر مكتوب فيه : إن هذا الموضع مر به مولد فاطمة رضى الله عنها ، وأن الناصر العباسى عمره ووقفه على مصالح دار خديجة التى إلى جانبه . اه .

وهذا الوصف فى العقد الثانى من المائة التاسعة بعد الهجرة . هذا وتجد مكتوباً بالحروف البارزة على لوح من الرخام وضع فى حائط الطرفة الخارجية على يسار الداخل

ما يأتي (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعارة مربرد مولد الزهراء البتول فاطمة سيدة نساء العالمين بنت الرسول محمد المصطفى المختار صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيدنا ومولانا الإمام المفترض للطاعة على الخلق أجمعين الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف أقداره وجعل منافعه ومستغلاته وأجره عائدا على مصالحه ثم على مصالح هذا المقام الشريف المقدس الطاهر النبوي على ما يرى الناظر المتولى له في ذلك من الحظ الوافر والمصلحة لهذا المربرد والمولد المقدس المذكور بعد ذلك آتغوا وجه الله تعالى وطلبا لثواب الدار الآخرة، تقبل الله ذلك منه وجزاه عليه أجر الحسين، وذلك على يد العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى على بن أبي البركات الذوراني الانباري في سنة أربع وستمائة، ومن غير ذلك أو بدله عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين إلى يوم الدين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين) وقد عمر الدار السلطان سليمان في سنة ٩٣٥ هـ. وفي هذه الدار صفيحة من حجارة مبنى عليها في جدر البيت الذي كان يسكنه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد آخذ أمام الصفيحة مسجدا، وهذه الصفيحة مرتفعة في الجدر عن الأرض قدر ما يجلس تحتها الرجل، وذرعها ذراع في ذراع وشبر، ويقولون: إن هذه الصفيحة كان يستتر بها الرسول من الحجارة التي ترمى عليه من دار أبي لهب ودار عدى بن الحمراء، ولكن هذا لم يسمع من ثقة، وأصح ما انتهى إليه الخبر أن أهل مكة كانوا يتخذون في بيوتهم صفايح من حجارة تكون شبه الرفاف يوضع عليها المتاع والشئ من الصيني والداجن يكون في البيت، فقل بيت يخلو من تلك الرفاف فالصفيحة التي في دار خديجة من هذا القبيل (ص ٤٢٣ أزرق) .

دار الأرقم الشهيرة بدار الخيزران — هذه الدار في زقاق على يسار الصاعد إلى الصفا وبابها يفتح إلى الشرق ويدخل منه إلى فسحة سماوية طولها نحو ثمانية أمتار في عرض أربعة وعلى يسارها « إيوان » مسقوف على عرض نحو ثلاثة أمتار، وفي وسط الحائط التي على يمينها باب يدخل منه إلى غرفة طولها ثمانية أمتار في عرض نحو نصف ذلك مفروشة بالحصير، وفي زاويتها الشرقية الجنوبية حجران من الصوان

أحدهما فوق الآخر مكتوب في أعلاه بالخط البارز : بسم الله الرحمن الرحيم
 ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ هذا
 مختبأ رسول الله ودار الخيزران وفيها مبتدأ الإسلام ، أمر بتجديده الفقير الى مولاه
 أمين الملك مصلح آتقاء ثواب الله ورسوله ولا يضيع أجر المحسنين) ومكتوب في الثاني
 بسم الله الرحمن الرحيم : (هذا مختبأ رسول الله المعروف بدار الخيزران أمر بعمله
 وإنشائه العبد الفقير لرحمة الله تعالى جمال الدين شرف الاسلام أبو جعفر محمد بن علي
 ابن أبي منصور الأصفهاني وزير الشام والموصل الطالب الوصول الى الله تعالى
 الراجي لرحمته أطال الله في الطاعة بقاءه وأناله في الدارين مناه في سنة خمس وخمسين
 وخمسمائة) « رحلة البتانوني ص ٥٥ » . وقد جاء في شفاء الغرام للفاسي : أن طول
 المسجد (الحجرة التي على اليمين) الذي في هذه الدار ثمانية أذرع الإقراطين ، وعرضه
 سبعة أذرع وثلاث وأنه مكتوب فيه ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ
 يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ : هذا مختبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الخيزران
 وفيه مبتدأ الإسلام أمر بتجديده الفقيرة الى الله مولاة أمير الملك مفلح سنة ست
 وذهب بقية التاريخ) فتجد فرقا في هذه العبارة والعبارة السابقة ، وقال بعد ذلك :
 وعمره أيضا الوزير الجواد ، وعمرته مجاورة يقال لها : مرة العصمة ، وعمر أيضا
 في سنة ٨٢١ هـ . والذي أمر بهذه العمارة ما عرفته . والمتولى لصرف النفقة فيها
 علاء الدين علي بن ناصر محمد بن الصارم المعروف بالقائد . هـ .

ودار الأرقم بن أبي الأرقم الخزومي كان يجتمع فيها المسلمون سرا يتعلمون الدين
 ويتممون الشعائر حتى أسلم عمر رضي الله عنه وعز به الاسلام وجهه المسلمون بدينهم ،
 وكان إسلام عمر بدار الأرقم : وها نحن أولاء ننقل اليك عن سيرة ابن هشام قصة
 إسلامه لما فيها من العبر والمواعظ قال ابن اسحاق : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته
 فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قد أسلمت
 وأسلم بعلمها سعيد بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبدالله
 النحام قد أسلم وكان يخفي إسلامه فرقا - خوفا - من قومه ، وكان خباب بن الأرت

يختلف — يذهب — الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوماً متوشحاً بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطاً من أصحابه قد ذكر له أنهم اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبدالمطلب وأبو بكر بن أبي خفافة الصديقي وعلى بن أبي طالب في رجال من المسلمين رضى الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة ، فلقبه نعيم بن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر؟ فقال : أريد محمداً هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفاه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر! أتري بنى عبدمناف تاركك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال : وأى أهل بيتي؟ قال : خنتك^(١) وأبن عمك سعيد بن زيد ابن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسامها وتابعا محمداً على دينه فعليك بهما ، قال : فرجع عمر : عامداً الى أخته وختته وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرئها إياها ، فلما سمعوا حسّ عمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة بفعلتها تحت ثغرها ، وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عابها فلما دخل قال : ما هذه الهينة التي سمعت؟ قال له : ما سمعت شيئاً ، قال : بلى ! والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه وبطش بختته سعيد بن زيد فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضرها فشجها ، فلما فعل ذلك ، قالت له أخته وختته : نعم قد أسامنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون أنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتباً ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ، قال : لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له : يا أخي إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر ، فقام عمر فأغتسل فأعطته الصحيفة وفيها

(١) الختن محرّكة : الصهر وكل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ .

(طه) فقرأها، فلما قرأ منها صدرا قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب نخرج اليه فقال له يا عمر: والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإنى سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر ابن الخطاب فأنه الله يا عمر: فقال له عند ذلك عمر: فدلتنى يا خباب على عهد حتى آتته فأسلم، فقال له خباب: هو فى بيت عند الصفا - بيت الأرقم - معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمّد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا بالسيف فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله: هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف، فقال حمزة ابن عبدالمطلب: فأذن له فان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إئذن له، فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالجمرة فأخذ يُججزته - حمزة الإزار معقده - أو يجمع ردايه ثم جذبته جبذة شديدة - جذبته - وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يتزل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سمينعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم؛ فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم . اه .

بستان دولة شريف مكة - هو حديقة غناء بجهة جحول مستطيلة الشكل طول ضلعها البحرى ٢٧٠ مترا، والغربى ١٨٠ مترا وارتفاع سورها المحيط بها متران، وفى وسطها خزان للساء مربع الشكل طول ضلعه ٦١ مترا، وسمك حائطه من الأعلى ثلاثة أمتار وربع، وارتفاعه أربعة أمتار، وهو مبنى بالبحر الأزرق وجدره من

الداخل والخارج مخصصة بالجير المخلوط بسحوق الآجر، ويصعد إليه من الجهة الشمالية أولا على أربع درجات ثم بعدها ١٦ درجة عن اليمين ومثلها عن اليسار، فله سلمان بعد الأربعة الأولى، وفي آخر السلم درجة كبيرة في مستوى أعلى الخزان والسلم مصنوع من حجر ميتين زادته الصنعة رونقا وجمالا وفي زوايا الخزان الأربع من الداخل درج متظم على شكل ربع الدائرة، كل زاوية فيها ١٤ درجة طول العليا منها متر والسفلى ستة أمتار ونصف، وهذا الدرج للترول منه الى قاع الخزان، وفي منتصف كل جدار من جدار الخزان بحذاء الأرض فتحتان ارتفاع كل فتحة ثلاثة أرباع المتر في عرض نصفه وذلك لتصرف المياه منها الى البستان، وهذا الخزان الكبير لا مثل له في الأقطار الحجازية لهذا عطينا بوصفه . وبالستان أيضا خزانان بينهما أربعة أمتار ارتفاع كل منهما ستة أمتار وأعلى كل منهما فتحتان تقذفان المياه الى بركة يشرب منها الناس ويغسلون وأوانهم وشبابهم ويغتسلون منها، وترى الماء حين نزوله أبيض اللون يمثل قطعاً فضية تلاحق رعيها، وإنه لمنظر جميل في بلاد قفرة قلت فيها المياه .

والمزروع من أرض البستان نحو الربع، وفيه شجر الجوافة والجوز الهندي والبرتقال والليمون والنخيل والعنب والورد والبرسيم الحجازي والكرنب والكرات والباذنجان والطماطم الى غير ذلك، ولا يفوتنا ذكر ما فيه من شجر الكادي الذي يستخرج منه عطر الكادي ذو الرائحة الجميلة، وشكل الشجرة كالصبارة إلا أن طولها يفوق المترين ولها جذوع كثيرة ضاربة في الأرض، وورقها عريض أشبه بسعف النخل من جانبه العريض وله شوك كثير .

وقد أذن لنا دولة الشريف بدخوله والاستظلال بشجوره في ساعات القيلولة، وكان معسكرنا بجذائه وشدت طنب بعض الخيام بجداره . وقد تناولنا من الجوافة التي كانت به وقت لبثنا بمكة : انظر (الرسم ٧٢) وترى فيه الناس وهم يأخذون المياه ويغتسلون، وقد بلغني أخيراً أن هذا البستان محي أثره بعد وفاة منشيئه الشريف عون

حديقة الشريف عون الرفيق وبها منحد مياه من عين بيدة



72. The garden of El Sherif Oun El Rafik with a water-fall from the well of Zobeidah.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَأَ الْإِنْسَانَ مِنْ أَحْسَنِ عَشْرٍ
 وَخَلَقَهُ مِنْ نَارِ السُّجُودِ

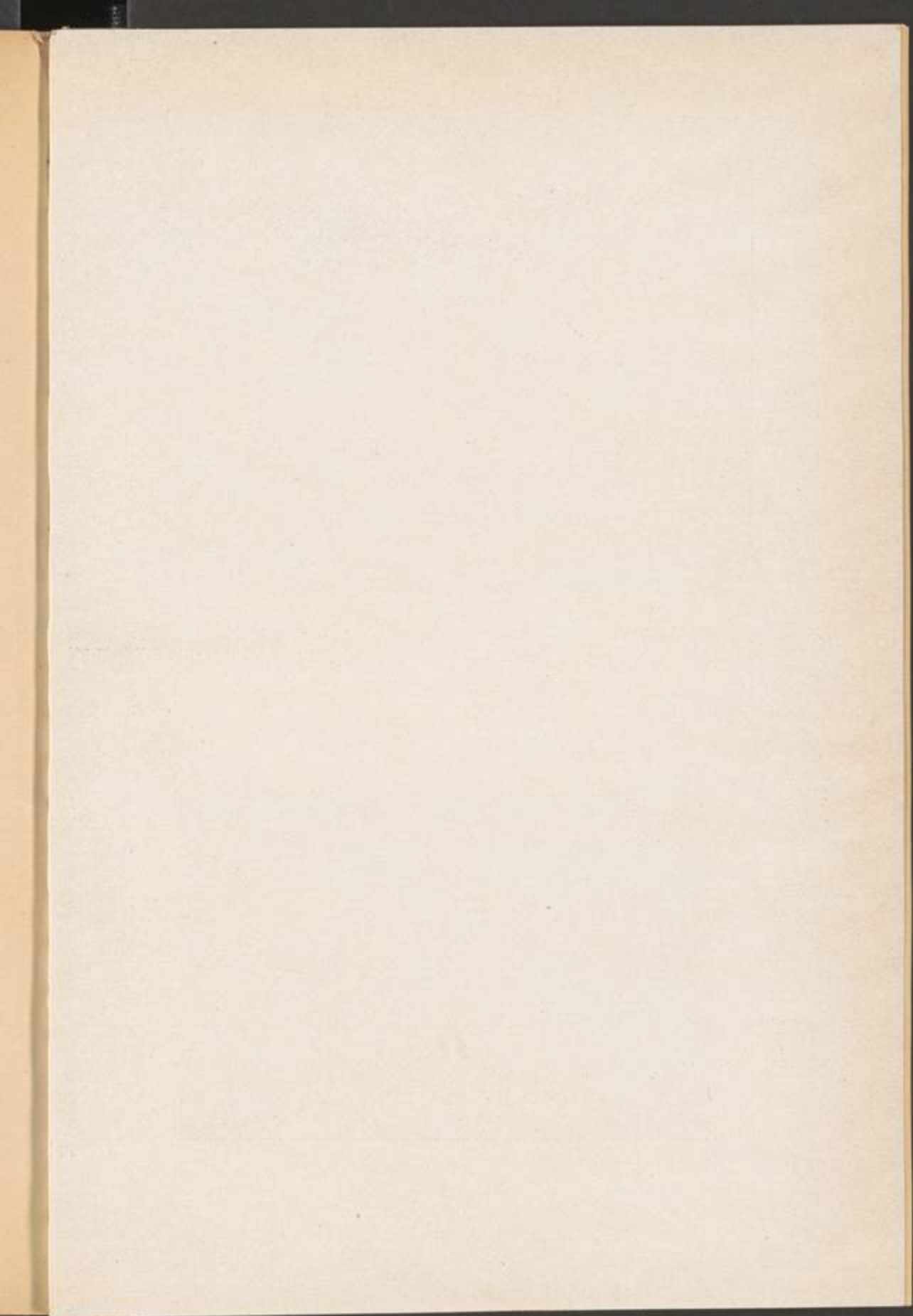
صحيفة ١٩٧

المشرف عثمان باشا نوري العادل



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَأَ الْإِنْسَانَ مِنْ أَحْسَنِ عَشْرٍ
 وَخَلَقَهُ مِنْ نَارِ السُّجُودِ

73. El Moshir Osman Pash Noury, the Wali of El Hejaz



الرفيق باشا فتحقق بذلك المشل "الجزء من جنس العمل" وذلك أن والى مكة العادل المشير عثمان نوري باشا كان قد أنشأ بالقرب من معسكر المحمل بستانا بهجة للناظرين فيه من الأشجار أجملها ومن الثمار أطيبها وأباحه لأهل مكة يتزهون فيه ويستظلون بوارف ظله ، وكان أول ما أنشئ بمكة من متزهات ، فما كان من الشريف إلا أن سعى به لدى الخليفة فعزله ، وأمر بإزالة البستان الذي أنشأه وأنفق عليه الآف الجنيهات .

تأثير السيول في مباني مكة — إن مكة في واد تحف به الجبال فإذا هطلت الأمطار بشدة تجمت في الأودية بسرعة وهرعت الى مكة فكونت في كثير من أماكنها بحيرات ترى البيوت فيها أشبه بالجزر، وإذا علمت أن المسجد الحرام وطئ عن الشوارع بنحو ثلاثة أمتار أدركت أنه عند طغيان السيول يتحول الى بحيرة بعيدة الغور ، لذلك تبغى العناية بتأسيس البيوت حتى لا يجرفها السيل أو يأتي عليها من قواعدها ، وللسيول بمكة حوادث غريبة دعنتنا الى أن نسطرك بعضها .

ففي زمن جرحم أيام كانوا ولاية البيت جاء سيل جارف هدم الكعبة فبنته جرحم على قواعده اسماعيل ، وكان الباني رجلا أزديا يدعى أبا الجارود .

(١) ولي أمر الحجاز لأول مرة سنة ١٢٩٩ هـ . وهو رجل ذكى شهم سياسى تحيل في القبض على الشريف عبيد المطلب الذى هم بالخروج على الدولة فعزلته من إمارة مكة وولت مكانه عون الرفيق باشا وقد وشى هذا بعثمان نوري باشا لما أن غل يده عن المكوس والمظالم التي كان يتقاضاها من العربان والحجاج ، فعزل بالوشاية بعد خمس سنوات وعين واليا على اليمن ثم أعيد الى ولاية الحجاز وقد أصلح مجرى عين زبيدة وعمل فيها صابير (حفظيات أو بازانات) وهو الذى أنشأ ديوان الحيدية ودار البريد والثكنات العسكرية بمكة وجدة وأنشأ سور ينبع ، وقد أنشأ الحديقة المذكورة في ولايته الثانية ولم يكن موضعها مقبرة وإنما كان فضاء واسعا ، ولما امتلأت تقص عون منه خرج الى المدينة في جمع من علماء مكة وأشرفها وضم إليه علماء المدينة وأشرفها وكتبوا الى السلطان يطعنون في الوالى وأنه يكره الأشراف ويسبهم ويهينهم ويحتقرهم وإنه حوّل مقبرة المسهلين الى متزه ، فما كان من السلطان إلا أن عزل العادل المصلح ، وكان خليفه بأمير المؤمنين أن يتبين في قول الشريف كما أمر الله في كتابه وأن لا يحكم على متهم إلا بعد استجوابه واستماع قوله .

(أنظر الوالى في الرسم ٧٣)

وفي زمن خزاعة جاء سيل عظيم دخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة ورمى بالشجر وجاء برجل وأمراة ميتين، فعرفت المرأة وكانت بأعلى مكة يقال لها : قارة وسمى السيل باسمها ولم يعرف الرجل، فبنت خزاعة بناء حول البيت أداروه وأدخلوا الحجر فيه ليحصنوا البيت فلم يزل ذلك البناء الى زمن قريش .

وفي سنة ٥٨٠ هـ . نزل سيل عظيم دفعة واحدة ذهب ببعض الحجاج وبأمتعتهم وكان يحمل الإبل عليها الأحمال والرجال والنساء ودخل المسجد فأحاط بالكعبة وبلغ الركن وهدم بيوتا كثيرة انقضت على كثيرين فأما تهم، فرقى الناس الجبال واعتصموا بها وسمى ذلك السيل « سيل الخفاف » وفيه يقول عبد الله بن عمارة
لم تر عيني مثل يوم الاثنين * أكثر محزوننا وأبكى للعين
اذ نرح الخفيات يسعين * شواردنا الى الجبال يرقين

وفي سنة ١٠٤ هـ . وقع سيل يقال له : المخبل لأنه أصاب الناس بعده مثل الجبال من مرض حدث بهم عقبه في أجسامهم وأستهم، وكذلك حصل سيل آخر في هذه السنة .

وفي سنة ٢٠٨ هـ . حدث سيل عظيم أحاط بالكعبة وبلغ الباب والحجر الأسود وهدم أكثر من ألف دار ومات به أكثر من ألف ملاً المسجد والوادي بالطين والبطحاء وذهب بصناديق الباعة فألقى بها في المسفلة ، وفي ذلك كتب عبيد الله ابن الحسن الى المأمون يستنجد به : « يا أمير المؤمنين إن أهل حرم الله تعالى وجيران بيته وألأف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل تراكت جرياته في هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الأموال وجرف الأثقال حتى ما ترك طارفا ولا تالدا للراجع اليها في مطعم ولا ملبس فتقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الأمهات والأولاد والآباء والأجداد، فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم وإحسانك اليهم تجد الله مكافئك عنهم ومثيبك تلى الشكر منهم » فوجه المأمون اليهم الأموال الكثيرة وكتب اليه (أما بعد، فقد وصلت شكيتك لأهل حرم الله الى

أمير المؤمنين فبكاهم بعين رحمته وأنجدهم بصيب نعمته وهو متبع لما أسلف اليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وأجلا ان أذن الله في تثبيت نيته على عزيمته) فكان كتابه أسر لأهل مكة مما بعث اليهم .

وفي سنة ٢٥٣ هـ . دخل مكة سيل عظيم أحاط بالكعبة وقارب الحجر الأسود وهدم دورا كثيرة وملا المسجد غثاء حتى جرف بالعجلات .

وفي سنة ٣٤٩ هـ . لما برز الحج قافلا جاءهم سيل فأخذهم عن آخرهم وألقى بهم في البحر وما أتى مصر منهم أحد نسأل الله العافية .

وكذلك حدثت سيول في سني ٥٥٩ و ٥٧٣ و ٦٥٠ و ٦٦٩ .

وفي سنة ٧٣٣ هـ . في آخر ذي الحجة وقعت أمطار وصواعق منها صاعقة على أبي قبيس قتلت رجلا ، وثانية بالخيف قتلت رجلين ، وثالثة بالجعرانة قتلت رجلين أيضا .

وفي سنة ٧٣٨ هـ . وقعت سيول جاء معظمها من وادي إبراهيم ودخلت المسجد وعات على العتبة قدر شبرين ، ودخل المطر قناديل المطاف وهدم ما يربو على ٨٠٠ دار وغرق ناس ومات آخرون تحت الأنقاض .

وفي سنة ٧٥٠ هـ . نزل مطر وصاعقة وريح سوداء أوقعت جميع الأعمدة المتجددة حول المطاف التي جددتها فارس المدين في سنة ٧٤٩ هـ . ولم يبق منها إلا عمودان .

وفي سنة ٨٠٢ هـ . نزل سيل كأفواه القرب جعل في مكة بحرا زائرا وملا المسجد الحرام حتى كان عمقه خمسة أذرع ودخل الكعبة من شق بابها وأسقط عمودين بما عليهما وهدم دورا كثيرة ومات به نحو ٦٠ شخصا ما بين غرقى وهدمى .

وفي سنة ٨٢٥ هـ . وقع مطر عظيم صحبته صاعقة أماتت أربعة أشخاص .

وكذلك حصلت سيول في سني ٩٧١ و ٩٨٣ و ١٠٢١ و ١٠٢٤ و ١٠٣٣ .

وفي سنة ١٠٣٩ هـ . نزل مطر شديد أمات نحو ١٠٠٠ شخص في يوم وليلة ودخل المسجد الحرام وبلغ طوق القناديل وأسقط الجانب الشامي من الكعبة بوجهه

وأخذ معه من الجدار الشرقى الى الباب، ومن الغربى من الوجهين نحو السدس
ودخل بيوتا فأخرج منها الأمتعة وذهب بها الى المسفلة .

وفى سنة ١٠٧٣ هـ . نزل مطر شديد وصل من المسجد الحرام الى القناديل .

وفى سنة ١٠٩١ هـ . أمطرت السماء مطرا لم يشاهد مثله حُرِّبَ أكثر البيوت
خصوصا ما كان بسوق الليل والمسفلة والأطراف المنحدرة، ودخل المسجد الحرام
وبلغ الى نصف الكعبة، وكان ذلك اليوم يوم خروج الحج المصرى فقرق المسافرين،
ومن غريب الاتفاق أن حمل السيل جملا محملا ودخل به الى الحرم فلم يزل السيل
يدفعه - وقد انقطع حمله - حتى رقى على منبر الخطيب ولم يزل به الى الصبح من
اليوم الثانى وقد أزعج بعضهم هذا السيل بقوله (طغى الماء) .

وفى سنة ١٠٩٣ هـ عملت فى المسفلة (أسفل مكة) قناة عظيمة لتصرف
السيل الى بركة ماجن .

وفى يوم السبت ٢١ ذى الحجة من سنة ١٣٢٥ (٢٥ يناير سنة ١٩٠٨) فى جمعتى
الرابعة نزل مطر شديد وجرى السيل من كل جهات مكة بشكل لم يسبق له مثل
منذ ٣٣ سنة على ما بلغنى، وكان السيل أشبه بماء النيل المنحدر وكان عرضه وهو
ينحدر من جبال جياذ نحو ٥٠ مترا وسمعنا دوى صاعقة يجياد مثلت صوت جملة
من المدافع الضخمة أطلقت فى لحظة واحدة، وقد ملاء الشوارع حتى كان عمقه
فى شارع وادى ابراهيم مترين تقريبا، ولذلك دخل المسجد الحرام من أبوابه وانقطع
المرور من الطرق إلا بالسباحة، وكنت ترى الشقادف ورجال الإبل ساجدة فى الماء
وتسمع دويا للماء كأنك أمام القناطر الخيرية وقد فتحت عيونها وتجد الناس
فى (الرسم ٧٤) وقد خرجوا من المسجد الحرام من باب الرحمة يستعدون لاجتياز هذه
المياه وقد كشفوا عن سوقهم ورفعوا ثيابهم الى ركبهم ودون ذلك وأكثر.

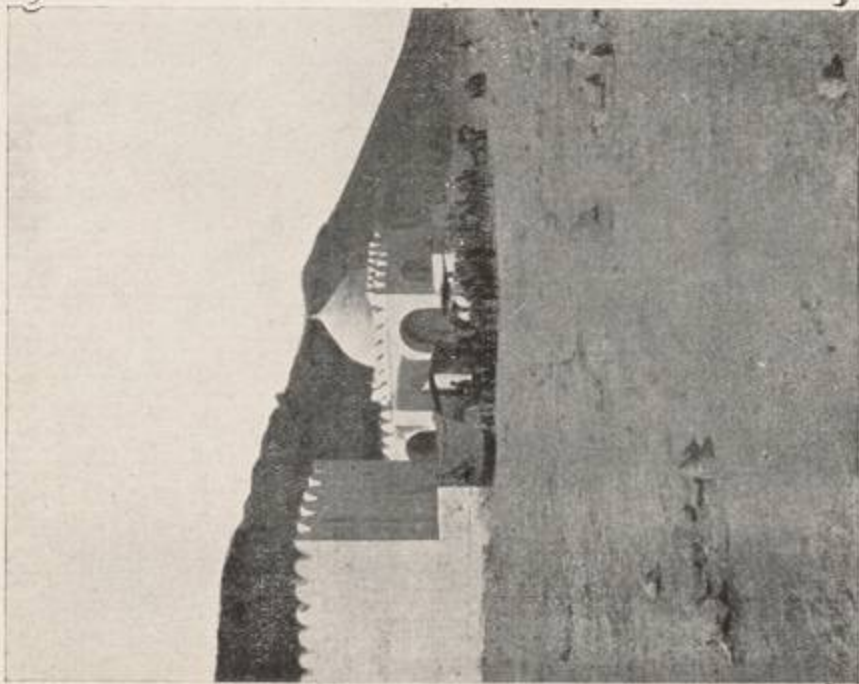
الحج والعمرة والسنن الفقهية



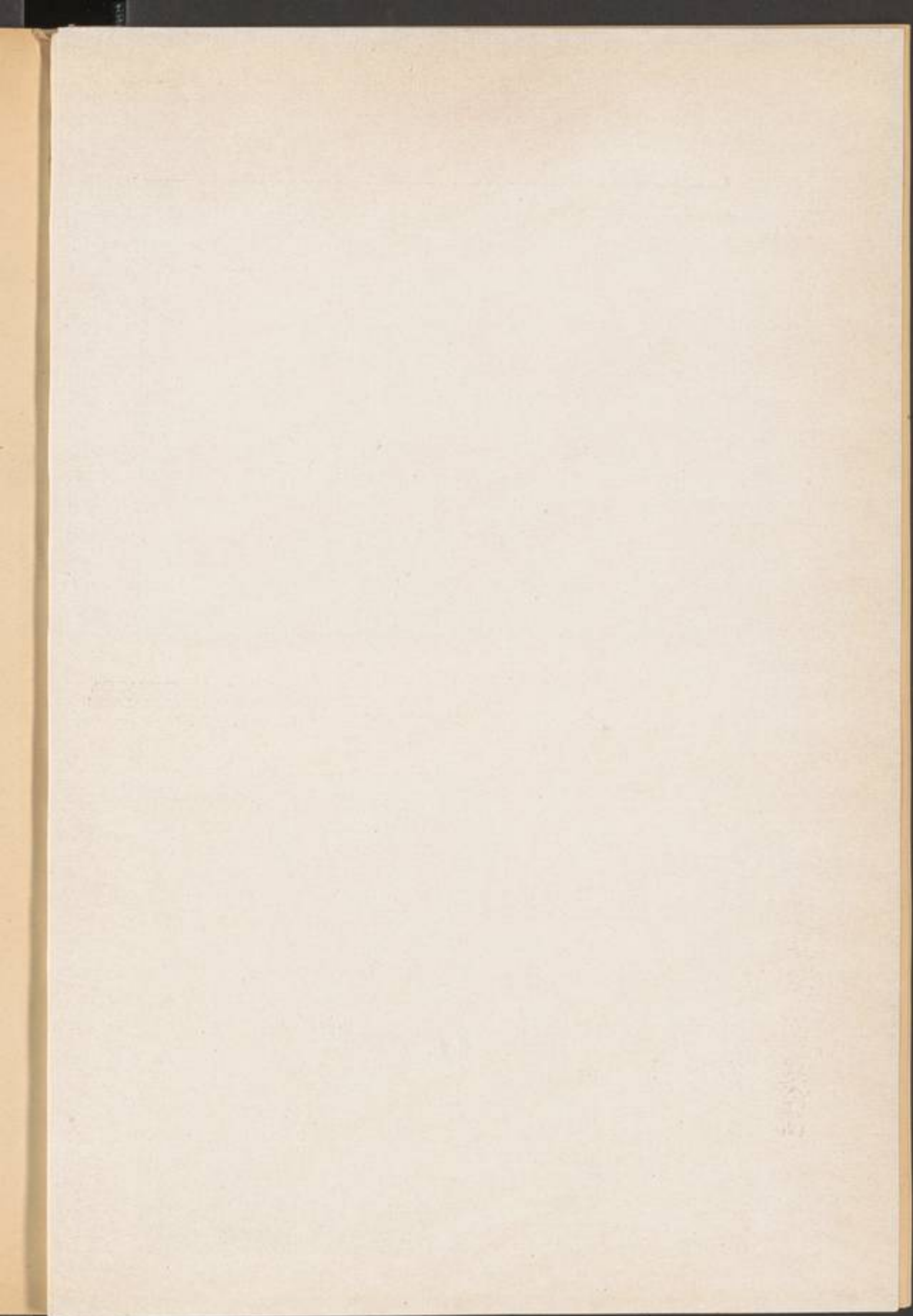
74. A photo of the pilgrims passing through El Sabil in Mecca in 1325.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسجد أم سلمة في مكة المكرمة



75. Mosque & Mausoleum of El Sayyeda Maymuna, wife of the Prophet Mohamed, at Sarif between Mecca & Medina.



سكان مكة — قال تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ وقال ﴿ سَوَاءٌ أَلْعَاكُفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾^(١) لهذا هرع المسلمون من أقطارهم المختلفة الى الإقامة بمكة المكرمة احتفاءً بحرم الله وابتغاء لفضل الله ورضوانه وقصد التجارة للدنيا والآخرة وذلك من يوم أن اندشر الاسلام في أطراف المعمورة الى يومنا هذا .

وقد كان من أثر ذلك أن كان المكين من أجناس مختلفة وأمم متباينة ، فمنهم المكى الصميم ، ومنهم أعراب البوادي الذين توطنوا مكة يمينين وحضرميين وحجازيين ونجديين ، ومنهم الهنود والجاوة والبخاريون والأفغان والأندام والشوام والأتراك والمصريون والسودانيون والمغاربة وكثير غيرهم من الأمم الاسلامية ، ولما كان للغربة والهجرة أثر كبير في الحد والنشاط كان معظم التجارة بأيدي الأعراب ، فالأشياء الثمينة والبيوت التجارية العظيمة بأيدي أولئك .

قال صديقنا الفاضل لبيب بك البتانوى في رحلته : ومن اختلاط هذه الأجناس بعضهم ببعض بالمصاهرة أو المعاشرة صار سواد أهل مكة خليطاً في خَلْقِهِمْ وَخُلُقِهِمْ فتراهم قد جمعوا الى طبائعهم وداعة الأناضولى وعظمة التركي وأستكانة الجاوى وكبرياء الفارسى ولين المصرى وصلابة الشركسى وسكون الصينى وحدّة المغربى وبساطة الهندى ومكرالهنى وحركة السورى وكسل الزنجى ولون الحبشى ، بل تراهم جمعوا بين رقة الحضارة وقشف البداوة ، فبينما ترى الرجل منهم قد أنسك برقة حديثه معك وضعت يده بين يديك إذ هو قد استوحش منك وأغظ في كلامه حتى كأن طبيعة البداوة تغلبت فيه على طبيعة الحضارة فلم يطق ما تكلفه في حضرتك .

وقد وصل هذا الخلط الى أزيائهم التى تراها مجموعة مختلطة من أزياء البلاد الاسلامية : عمامة هندية وقفطان مصرى وجبة شامية ومنطقة تركية فيها خنجرتراهم على الخصوص في حزام الأشراف مفضضا أو مذهبا بشكل جميل جدا ، وكثيراً

(١) مكانا يثوب الناس إليه ويرجعون .

(٢) المقيم والطارى .

ما يكون مرصعا بالأحجار الكريمة، وقد ترى الصانع الفقير يلبس القميص وعلى طوقه الوشي المشغول بالحريز وعلى رجل سراويله شئ يشبه «الركامة» وهو حافى القدم غير أنك لا تلاحظ هذا في طبقة الأشراف التي ترفعت عن هذا الخليط فلم يؤثر فيهم الغريب ولم يتغلب عليهم خلق جديد، بل أخلاقهم أخلاق عربية بحتة هي التي ورثوها عن آباؤهم السالفين .

ثم قال : والذي يؤسف له أن هذا الخلط وصل الى لغتهم فتراهم يتكلمون في الأكثر بلغة يكثر فيها الحشو من كلمات عربية مشوهة أو فارسية أو تركية وهم يتوزن المضاف فيقولون : في هذا حق فلان مثلا : هذا حق فلان مع ابدال القاف جيا مصرية ، ومنهم من يمد الحرف المتون فيقول « هذا حقون فلان » أو يؤنث لفظه فيقول « حقة فلان » ولا يحدفون النون من الفعل في صيغة الأمر للجمع فيقولون : « هيا صلون المغرب واركبون » بدل صلوا وأركبوا ويستعملون الترخيم في غير المنادى فيقولون : « قم لعنا » أى قم لعندنا ويقولون : في الإبل « البلب » بكسر الباء وفي الجبل « البلب » بفتحها ويقولون كئنا أى كئنا (خلصنا) ويقولون : « وصابتى » فى وامصيتى ، واللن فى اليمن ، ومما يكثر سماعه منهم قولهم : « دحين » فى هذا الحين و « إزهم فلان » فى ادع فلانا ، ويعبرون عن الرجل بلفظ « زلمة » ويجمعون الرجل على « أوادم » ويقولون « زكنه » أى فكره أو نبهه وقل كذا أى اعمل كذا ويقولون « أبيض » للاستحسان و « سنع » فى اصنع أو اتقن و « أتجمعص » فى اجلس و « فصّخ حذالك » أى اخلع نعالك ، ويقولون : « مشلح » للعباءة ، و « شاية » للقفطان ، و « امرح » : أجر ، و « الوذن » للقدان من الأرض ، و « الصادة » للكوفية ، و « زكن عليه » أى أكد عليه ، و « زل » بمعنى مر ، و « آندر » بمعنى أخرج ، و « إلا » بمعنى نعم ، ويسمون الأولاد « البزورة » فيقولون : بزورة فلان أو بزران فلان أى أولاده ، ويستعملون لفظة « هرّج » فى معنى كرم فيقولون : ما هرّجته أى ما كرمته ، ويستعملون لفظ « صاقن » التركية للتنبيه والأحتراس

و «قربوز» للبطيخ الخ ، وهذا كله مع كثرة أغلاطهم وعدم مراعاة قواعد العربية في النطق والكتابة .

وما كان ينبغي بأب البلاد العربية أن تكون لغة أهلها على هذه الشاكلة ، وكان جديرا بها أن تكون موئل العربية الفصحى ومنهلها العذب كما كانت كذلك في أيام الجاهلية وصدر الاسلام ، ولكنه الاهمال يذهب بالمجد التليد والعز القديم . وأكثر أهل مكة يعرف التركية ومن المطوفين من يتكلم بلغات مخصوصة كالهندية والأوردية — هندية أيضا — والجاوية والصينية والفارسية وأهل البادية لغتهم عربية بحتة ، ولكن لا تكاد تفهمها ولكل قوم لهجة خاصة ، فمنهم من يقلب القاف زايا فيقول « زربة » في قرية ، ومنهم من يقلب الكاف سينا فيقول « سواسب » في كواكب و « سبد » في كبد الخ .

وسكان مكة يزيدون على ١٢٠ ألفا كلهم مسلمون إذ قد حرم الاسلام أن يقربها مشرك ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ فلم يسكنها مشرك من ذلك العام ، وذلك ليكون مبعث الاسلام ومشرقه الأول بمنجى ممن يدسون للمسلمين الدسائس ويشيرون الفتن ، بل مازال عمر في خلافته يحد حتى طهر جزيرة العرب ممن يدين بغير الاسلام فكانت للمسلمين حصنا حصينا وحرزا منيعا خلا من مثرات الفتن وأهل الأهواء والريب .

عادات المكيين — جاء في رحلة صديقنا لبيب بك أن من عادات أشرف مكة أن يرسلوا أولادهم وهم في نعومة أظفارهم الى البادية وخصوصا الى قبيلة عدوان التي في شرق الطائف وهي قريبة من سعد التي أرضع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فينشئون فيها على البداوة التامة مع الأمية الصرفة حتى اذا ترعرعوا عادوا الى مكة وقد تعلموا بعض لغات القبائل وحفظوا من أشعارهم وأخذوا من عاداتهم وأخلاقهم التي من أحسنها الفروسية والحرية في القول والفعل .

ومن عادة الشريف أن يجلس للحكم في دار الإمارة كل يوم من الساعة الخامسة نهارا الى قبيل العصر فتعرض عليه المسائل العامة .

ومن عادته أن يستقبل صباح الجمعة في دار الإمارة الوالى وكبار الموظفين والأشراف والوجوه .

ومن عادات المكيين التأنق في المأكل والمشرب واللباس وتكثر في لباسهم الألوان الزاهية خصوصا الأخضر والأحمر والأزرق والوردى ، وترى في مساكنهم كثيرا من أدوات الزخرف والزينة والرياش الثمينة ولاسيما البسط العجمية النادرة المثال .

ومن عاداتهم تقديم الشاي في أى وقت تحية للقادم عليهم وإقامة المآدب في حفلة يسمونها قبلة ويتفاخرون بكثرة صنوف الطعام ، وليس لأطعمتهم نظام مخصوص ، فمنها: الهندى والمغربى والشامى والتركى والمصرى ويقعد المدعوون في هذه الولايم على سماط يمد على الأرض ويقدم اليهم الطعام لونا فلونا، وبعد ذلك يجلسون للسمر أو سماع بعض الأغاني وآلات الطرب كالعود والقانون والرباب ثم ينصرفون وفي الأكثر تكون هذه الحفلات في ضواحي مكة كالزاهر والشهداء، وهناك يبيكون اليها ويقضون يومهم في سرور وألعاب رياضية كالمسابقة بالجرى أو لعب الكرة أو الترد أو الشطرنج .

ولأهل كل حارة من حارات مكة وليمة يقيمونها للشريف كل سنة في أحد متزهاتهم خارج البلد، فيحضر مع خاصته في موكبه ويتناولون الطعام وتقام الألعاب حتى آخر النهار وبعد فترة من الليل يعود في موكبه الى مكة .

ومن عاداتهم أن يتناولوا الطعام مرتين في اليوم في الضحوة وبعد صلاة العصر، ويتظاهرون بالكرم والشجاعة خصوصا في شهر رمضان وقد كانوا يفترون في المسجد الحرام بعد صلاة المغرب فيمدون الموائد هناك ولكن أبطل عون الرقيق باشا هذه العادة لما يتبعها من تقذير المسجد وقد أمرنا بنظافة المساجد وتعطيرها ، ومن عادة كثير منهم شرط وجنات الصبيان ثلاث شرطات في كل وجنة .

ونسأؤهم يدخلن بالترجيلة (الشيشة) ويفشو بينهن الزار ويخرجن الى الأسواق بملاءات واسعة سوداوات في الأكثر وبرقع كثيف فيه ثقبان صغيران في محاذة العينين ، وفي أقدامهن خفاف ضخمة أغلبها ذولون أصفر .

ومن عاداتهم في عرسهم أن يدعوا الأهل والأصدقاء رجالا ونساء ويجلس الرجال خارج البيت في المكان المعد لهم ، ويمتد لهم في العشاء سماط طويل يجلسون عليه جميعا مرة واحدة فيأكلون وينصرفون . أما النساء فيدخلن البيت فيجندن على باب القاعة التي يجلسن فيها قصعة كبيرة مملوءة بمعجون الحناء ، فتصبغ المرأة منها إحدى يديها ثم تدخل الى قاعة الجلوس وبعد السلام تجلس مع الجالسات يتجاذبن أطراف الحديث حتى منتصف الليل ، واذ ذلك يزففن العروس الى بعلها ثم يعدن الى بيوتهن بعد أن يطوقن عنقها بعقود من زهر الفل أو ثمر التفاح وهو في قدر البندق .

ومن عاداتهم في مآتمهم أنه حينما تفيض الروح الى بارئها تصرخ امرأة من أقرب الناس اليه صرخة أو صرختين إعلاما بالمصيبة ، فيتوارد اليها النساء فيجندن قصعة على باب القاعة التي يجلسن فيها ملئت بمعجون الحناء فيخضبن منها إحدى اليدين ثم يدخلن القاعة معزيات صاحبة المصيبة ثم يجلسن ويأخذن في الأحاديث المختلفة ثم ينصرفن والميت يأخذه بعض أقاربه الى محل يسمى الشرشوره يغسل فيه ثم يسرعون به الى المقبرة ، ويدفونونه بدون احتفال كبير ثم يتوارد الرجال على أهله معزين ثم ينصرفون لوقتهم .

ومن عاداتهم أنهم يعملون حفلة كبيرة عند ختم أولادهم للقرآن ، فيسيرون بهم في موكب يقطع طرق مكة . ويحتفلون في منتصف شهر صفر بمولد السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند مدفنها بسرف (الرسم ٧٥) على مسير ثلاث ساعات من مكة على طريق المدينة ، فينصبون خيامهم في تلك الصحراء ويتفخرون بكثرة الطعام والشراب . ويحتفلون بمولد النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول ويعبرون عن المولد بالحول فيقولون حول النبي وحول ميمونة ، ومما تعودوه الاصطياف

في الطائف وفي جبل الهدة فوق جبال كرا، لطيب هوائها وكثرة بسايتينها ويرتفع الطائف عن بحر جدّة ١٥٤٥ مترا ويرتفع الهدة عنه ١٧٥٨ مترا والكرا ٨٢٢ مترا^(١) وأشهر مصيف في الطائف يسمى شبرا وهو لأشراف ذوى عون، أنشأه الشريف عبد الله باشا وسماه باسم شبرا مصر ثم حدائق المشاة وهي لذوى غالب وهي أحسن حدائق الطائف ومشهورة بنوخها وعينها، وماؤها أعذب مياه تلك الجهة .

جؤ مكة — جؤها جاف وحر وتختلف درجة الحرارة في بعض الشهور عن بعض ، ففي يناير تكون ١٨° وفي فبراير ٢٠° وفي مارس ٢٣° وفي أبريل ٢٤° وفي مايو ٢٧° وفي يونيو ٢٩° وكذلك في يولييه وفي أغسطس ٣٠° وفي سبتمبر ٢٨° وفي أكتوبر ٢٥° وفي نوفمبر ٢٤° وفي ديسمبر ٢٠° ، هذا هو الجؤ الاعتيادى وقد تصل الحرارة الى ٣٩°^(٢) ، والأمطار بها قليلة وقد تتحدر اليها سيول عظيمة تحوّل مكة الى بحيرات وتأتى من الأمطار التي تنزل بالجبال المطيفة بالطائف، وقد وصفنا لك سابقا السيل الذي كان في سنة ١٣٢٥ هـ . والرياح في مكة مختلفة المهاب فتارة تهب من الشمال وأخرى من الغرب وثالثة من الجنوب ورابعة من الشرق ، ومنشأ ذلك أن الجبال تطيف بمكة والهواء يعمل فيما بينها شبه دوامات الماء فتأتى الرياح من جميع الجهات وألطف الأهوية عندهم ماجاء من جهة البحر الأحمر، ثم من جهة الشام ، أما ما يهب من الشرق أو الجنوب فخار .

تجارة مكة — أكثر الأشياء التي يتجر بها في هذا البلد أتى من الخارج : كالبصرة ومصر وبومباى واليمن والشام وغيرها ، وأكثر التجار من الأجانب الذين سكنوا مكة ، ومن الأصناف التي يتجرون فيها العطريات والسبع والسجاجيد والأنسجة الحريرية الهندية والشامية وأنواع الحلى وتأتى اليها الخضراوات والفواكه كالعنب والموز والجوز والسفرجل وغيرها من جهة الطائف ومن بركة ماجن التي تبعد

(١) دليل الحج لصادق باشا ولكن في «سلامة» — تقويم — الحجاز أن ارتفاع الطائف ١٧٧٥ متر

(٢) سلامة ١٣٠٥ ص ١٤٩

عن مكة مسير نصف ساعة وكذلك من مزارع جنوبي جبل ثور تبعد عن مكة مسير ساعتين وتأتي أيضا من بساتين وادي فاطمة على بعد خمس ساعات، ومن سولة ووادي الليمون على بعد أربع عشرة ساعة من مكة، وأهم سوق للخضراوات والمحوم السوق الصغير غربى المسجد الحرام أمام باب إبراهيم، والمجوهرات والأشياء الثمينة في سوق الشامية، ولوازم الحجاج في سوق الليل شرق المسجد الحرام. وهناك جدولا بالنقود المستعملة في مكة وجدة وقيمتها بالقروش العثمانية في زمن الحج وبعده. نقلناه عن رحلة المرحوم محمد صادق باشا.

من بعد الحج	وقت الحج	أسماء العملة	من بعد الحج	وقت الحج	أسماء العملة
١٧١	١٦٩	الجنيه المصرى	٢٩	٢٨	الريال الشيكوا
١٧٠	١٦٨	» الانجليزى	٢٨	٢٦	» المجيدى
١٥١	١٤٨	» العثمانى	١٣	١٣	الروبية
١٣٣	١٢٨	البنسى	—	٥	الفراتى
٢٨ ¼	٢٨	الريال بطاقة	—	١ ¼	القرش المصرى

وأكثر النقود استعمالا النقود العثمانية وغيرها أكثر ما يتعامل به في أوان الحج

بحسب قيمته .

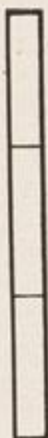
مياه الشرب في مكة — قدمننا لك نبذة عن الصهاريج في مكة ولم نبين إذ ذاك موارد مياهها وهانحن نشبع الكلام في ذلك إشباعا ونقفك على سر من أسرار القدر وعمل من أجل الأعمال ربما شق مثله في عصرنا عصر الاختراعات والتقدم الباهر في الصناعات، ولكنها الحمم لا يقف دونها شيء ولا يصدها عن تنفيذ عزماتها صاد ولا سيما إذا صفت النية وخلصت السريرة، فاستمع وفقك الله لخير العمل وأبره، في طريق الطائف على بعد نحو أربعين كيلومترا من مكة جبال تسمى جبال الثقبية تنبع من عندها عين تسير في قناة بنيت لها من منبعها حتى عرفه فالمزدلفة فني مكة، وهذه العين تعرف بعين زبيدة، وهذه القناة عرضها من الأعلى متر وقد تزيد، وفراغها

من ٥٠ الى ٦٠ سنتيمترا، وعمقها متر ونصفه، وارتفاع الماء في قاعها ٧٠ سنتيمترا وقد يزيد وقد ينقص وهي مغطاة بأبنية الحجارة، وبالغطاء فتحات لأخذ الماء منها، عرضها ستون سنتيمترا وتنقص أو تزيد، والفتحات يتباعد بعضها عن بعض بمسافات مختلفة حسب الحاجة، وبجانب الفتحات أحواض لشرب الآدميين وأخرى لشرب الحيوان، وسطح القناة تارة يكون مساويا لسطح الأرض وتارة يرتفع عنها وقد يصل الارتفاع الى ٧ أمتار، وتارة تسير في تخوم الأرض على مقربة من سطحها أو أبعد، ومن هذه القناة تأخذ كل صهاريج مكة فيشرب أهلها عذبا فراتا، وهذه القناة تدور في سفح جبل عرفات من ثلاث جهات كما ترى ذلك بخريطة عرفة (رسم ٧٨)، وفيها هنالك فتحات كثيرة بين الفتحة وأختها ٤,٥٥ أمتار، وعرض الفتحة ٦٨ سنتيا في عرض ٨٠، وقد يزيد الطول والعرض على ذلك الى متر، وعمق القناة ١,٣٣ متر، وعرضها ١,٤٦ متر من الأعلى، و يصعد الى الفتحات بسلام قد تصل درجات السلم الى ١٥، وعلو الدرجة من ٢٥ سنتيا الى ٣٥ سنتيا، وعرضها ٣٠ سنتيا وهذا المقاس إنما كان في المجرى جنوبى جبل الرحمة فقط، وهذه الحياض ترمم وتنظف كل سنة قبل موسم الحج بتقليل . ومما لاحظته أن هذه الحياض بعرفة دون حاجة الحجيج ودوابهم، فإن الحجيج زادوا على ١٥٠٠٠٠ شخص، ومعهم من الحيوان ما لا يقل عن ٣٠٠٠٠ حيوان، فترى الناس في زحام شديد على هذه الحياض، وليس هناك جند يقي بعضهم صدمات بعض أو يقدمهم الى الأحواض بنظام، وبسبب هذا التراحم نتقدر المياه حتى لا تصلح لشرب الحيوان فضلا عن الانسان، وبسببه أيضا يعتمد الناس الى أخذ المياه من الفتحات التي في المجرى والتي يصعد اليها الناس بسلم ذى أربع عشرة درجة، وهنالك يتوضأون أو يغتسلون من نفس المجرى أو ينظفون ثيابهم وأوعيتهم فيقذرون المياه ولو من أرجلهم على الأقل، ولولا جريان الماء لكان من ذلك أضرار محققة بصحة الحجاج .

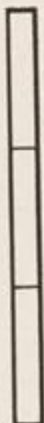
وكان خليقا بالحكومة أن تنظف الحيطان وتجدد ماءها كل يوم من أيام عرفة التي لا تعدو الأربعة وتقيم بجانبها حراسا ينظمون حركة الشارين ويحفظون المياه

احواض المياه بميدان عرفات

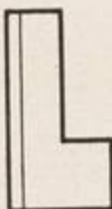
حوض مُسَدَّة



حوض مُسَدَّة



حوض مُسَدَّة



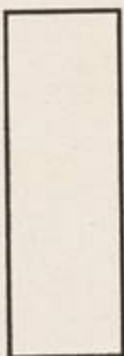
ملاحظة

لكل حوض درجة بأَسْفَلِهِ لِيَقِفَ عَلَيْهِ طَالِبُ الْمَاءِ لِيَسْتَقِي

حوض مُسَدَّة



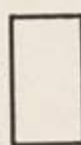
حوض مُسَدَّة



حوض مُسَدَّة



حوض مُسَدَّة



رسم ٧٧

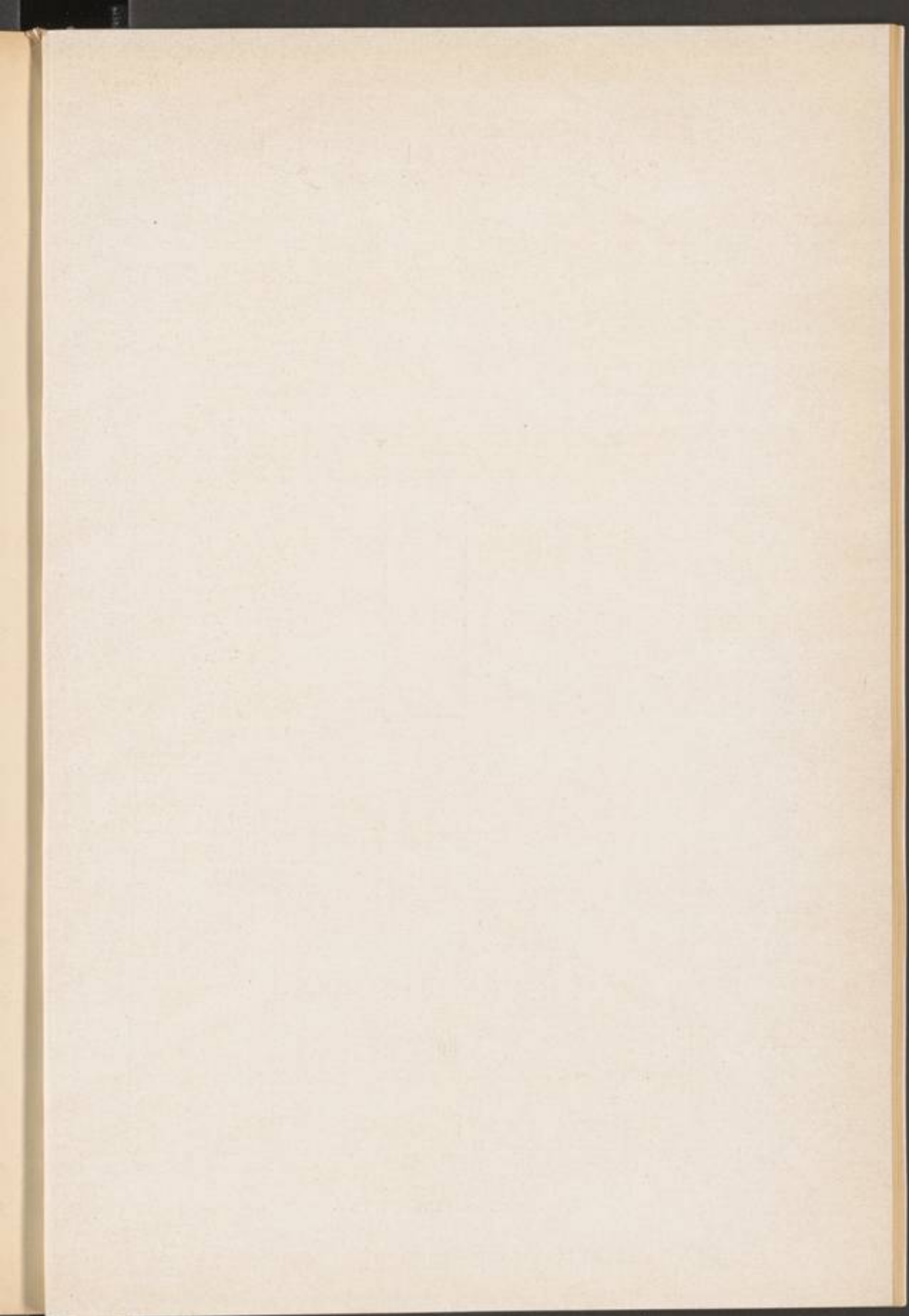
عن الاحواض الكائنه جنوبي جبل الرحمة عرفات
الخاصة بمياه الشرب وغير الحجاج

جدول

ملاحظات عن الاحواض	الترتيب	الارتفاع	القطر	المساحة	الحجم
حوض رقم ١	١	١.٥	١.٥	٢.٢٥	٢.٢٥
حوض رقم ٢	٢	١.٥	١.٥	٢.٢٥	٢.٢٥
حوض رقم ٣	٣	١.٥	١.٥	٢.٢٥	٢.٢٥
حوض رقم ٤	٤	١.٥	١.٥	٢.٢٥	٢.٢٥
حوض رقم ٥	٥	١.٥	١.٥	٢.٢٥	٢.٢٥
حوض رقم ٦	٦	١.٥	١.٥	٢.٢٥	٢.٢٥
حوض رقم ٧	٧	١.٥	١.٥	٢.٢٥	٢.٢٥

معدية الطول لا يوصله ذو قطر كما هو ملاحظه وانما ارتفاعها ١.٥ متر

مركز البحوث والدراسات الجغرافية والبيئية
بجامعة الملك سعود - الرياض



من الأقدار، وأن دولة الشريف والوالى يصحبهما بعرفة الحراس الكثيرون فما عليهما لو جعلوا من أولئك حراسا على الحياض؟ ولا يكلفهم ذلك فتىلا ولا تقيرا، بل ماذا عليهما لو أقاما جنودا في ميدان عرفة الفسيح يحافظون على الأمن ويضربون على أيدي اللصوص الذين تفاقم شرهم يتربصون غرة من الحاج ليسلبوه ماله ومتاعه؟ بل مما يضمن راحة الحجاج في ذلك الميدان أن يقسم الى شوارع وحارات يوضع عليها أعلام، فان الحجاج كثيرا ما يضلون خيامهم لسعة الميدان فانه ميلان في ميلين تقريبا وذلك لا يكلف الحكومة إلا تخطيط الأرض ووضع أسماء الجهات بالخط العريض على ربوس الشوارع وإنه لأمر يسير .

ومما لاحظته أن ليس هناك بيوت خلاء فترى الناس يقضون الحاجة في الفضاء متدائنين ومتباعدين فتصاعد الروائح الكريهة، فلو أقيمت بيوت أدب على مبعدة من الخيام وأنضاف الى ذلك العناية بالماء لكان الناس في صحة وهناء، ومن الحسن جدا أن تغطي الحياض بغطاء من الصاج ويجعل فيها صنابير « حنفيات » فبذلك يجنب الماء القذر ولا يغيره طول المكث، وكذلك ينبغي أن يجعل للفتحات التي في مجرى العين أغطية حتى تمنع عن العين الأتربة وأستقاء الناس وتطهرهم منها وغسل ثيابهم وأوانيهم، وإن ما تتفقه الحكومة في تنظيف الحياض وترميمها في سنتين ليكني عمل الأغطية والصنابير فيوفر عليها النفقات الطائلة التي تنفقها كل سنة .

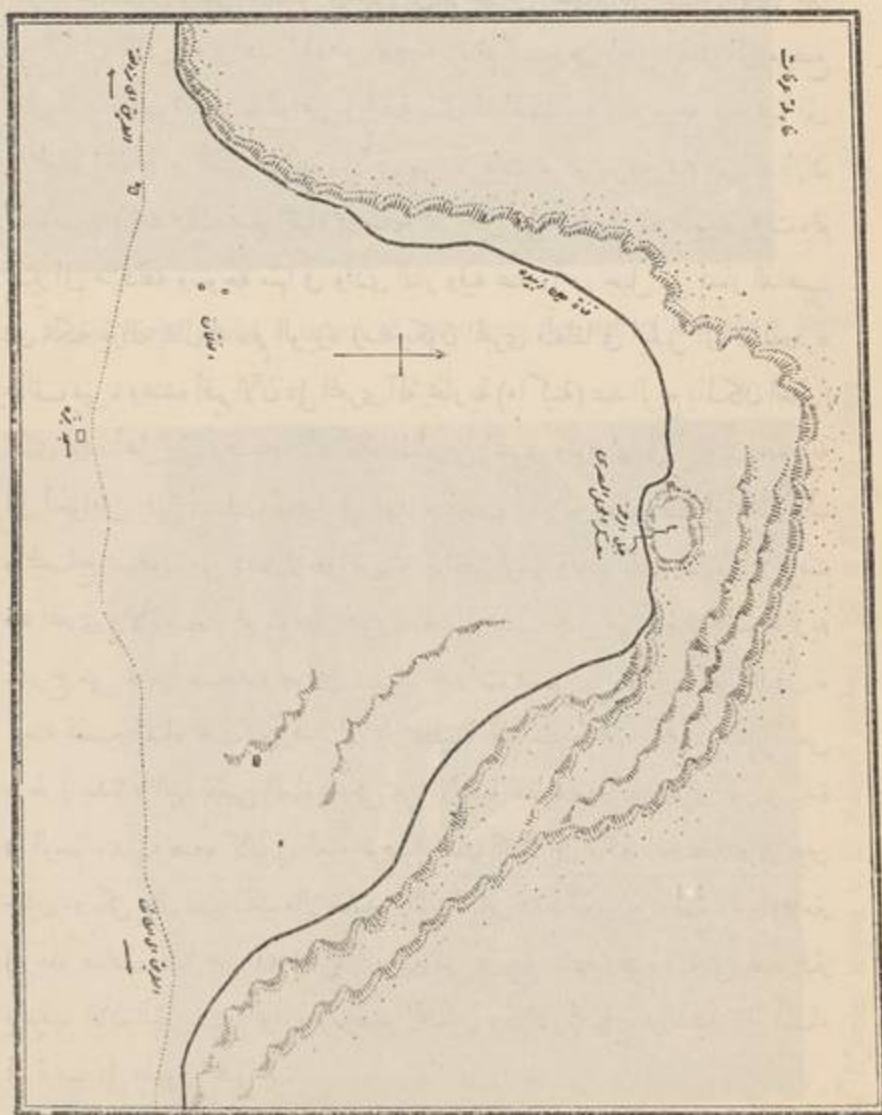
أهمية عين زبيدة — وبما أن عين زبيدة تعتبر كنهر يجري على مسافة ٤٠ كيلو مترا يستقي منه سكان البلد الحرام والحجيج الوافدون من جميع الأقطار بل وينبتون به المزروعات ويخطون منه البساتين، كان من الواجب علينا أن نقدم بين يديك نبذة تاريخية عن عين زبيدة خاصة والمياه بمكة عامة، ومنها تعرف أن الاسلام أمترج حبه بلحوم المسلمين ودمائهم وأنه تأصل في نفوسهم وازرع الخيرات والرحمة يقطن الوادى المبارك كما تعرف أن الحج لم يفرضه الله عبثا — تعالى عن ذلك علوا كبيرا — ولكن أنقذ به أمة في صحراء جرداء ومكن به الروابط بين المسلمين في جميع الاقطار : (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) .

المياه في مكة وضواحيها وتاريخها — كان أهل مكة فيما سلف يشربون من الآبار التي بداخل البلدة وخارجها، فلما كانت خلافة معاوية أجزى إلى مكة عيوناً عشرة في قنوات عملها لذلك؛ ولما حج عبد الله بن عامر جمع العيون وصرفها في عين واحدة واتخذ حياضاً بميدان عرفة أجرى إليها ماء العين فبقى الناس في راحة من جهة الماء بمكة وعرفة، وفي آخر دولة بني أمية — ١٣٢ — تخربت العيون التي كانت تمتد العين الكبيرة فانقطعت المياه عن أهل مكة وأصابهم كما أصاب الحجاج من جراء ذلك جهد شديد حتى كانت القرية تباع بعشرة دراهم — ٢٥ قرشاً مصرياً — وأكثر، ورجع الناس إلى مياه الآبار كما بدءوا واستمروا على ذلك إلى خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣) فأمر بإصلاح ما تخرب من العيون، ولكن ما لبثت أن تقطع ماؤها وأصاب الناس من جراء ذلك شدة شديدة؛ فلما بلغ ذلك أم جعفر زبيدة زوجة هارون الرشيد وكانت رغبة في الأعمال الخيرية أمرت بإجراء عين حنين — عين زبيدة — إلى مكة بعد أن استأذنت في ذلك أمير المؤمنين، ومنع هذه العين في ذيل جبل شاذق يقال له «طاد» بين جبال سود عاليات تسمى جبال (الثقبة) في طريق الطائف من مكة، وكانت عين حنين يسقى بها نخل ومزارع للناس إليها ينتهي جريان الماء وكانت تسمى هذه البقعة حائط حنين وهو موضع غزاه فيه النبي صلى الله عليه وسلم غزوة حنين، فاشترت زبيدة هذه الأراضي وأبطلت ما فيها من النخيل والمزارع وبنت لئاء قناة يجري فيها شقت لها الجبال وجعلت لها شحاحيد (بركا) في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند هطول الأمطار، وجعلت فيها قناة متصلة إلى مجرى هذه العين فصار كل شحاذ عينا يساعد عين حنين، وهي سبعة تصب فيها ومياهها تارة تزداد وتارة تنقص حسب الأمطار التي تنزل على أمهات تلك الشحاحيد، ولا زالت تمتد تلك القناة حتى وصلت بها إلى مكة؛ وكذلك أمرت بإجراء عين وادى النعمان إلى عرفة وهي عين منبعها في ذيل جبل كرا وهو جبل شاخ صعب المرتقى، من أسفله إلى أعلاه مسيرة نصف يوم وبعده أرض الطائف، وتصدر المياه من ذيل الجبل في قناة إلى

موضع يقال له «الأوجر» بوادي النعمان ثم يجري منه الماء الى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات فيه مزارع وفي ذلك يقول القائل :

أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

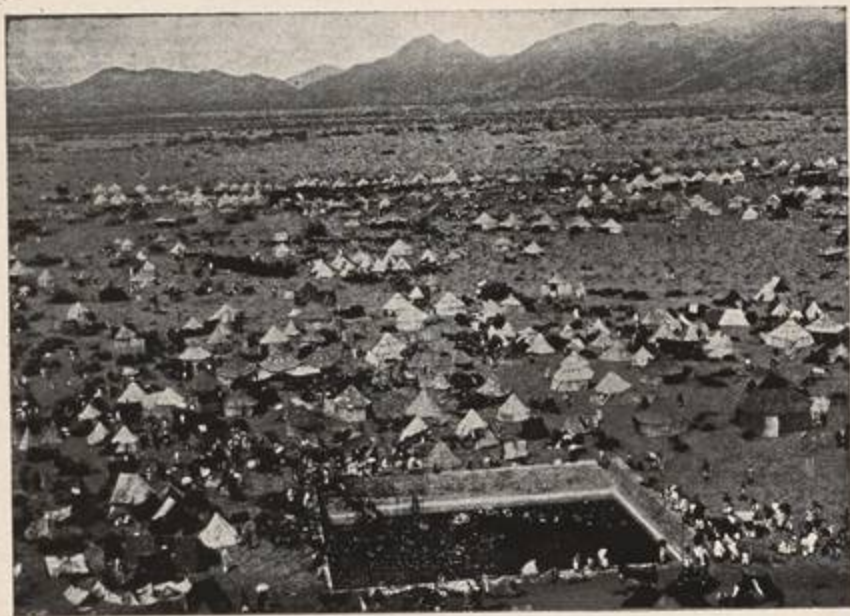
ثم أجرى الماء في قنوات الى عرفات فاتصلت عين النعمان بها ثم أديرت القنوات في سفح جبل عرفات كما تراه في الخريطة (نمرة ٧٨) وجعل منها طرق



(الخريطة نمرة ٧٨)

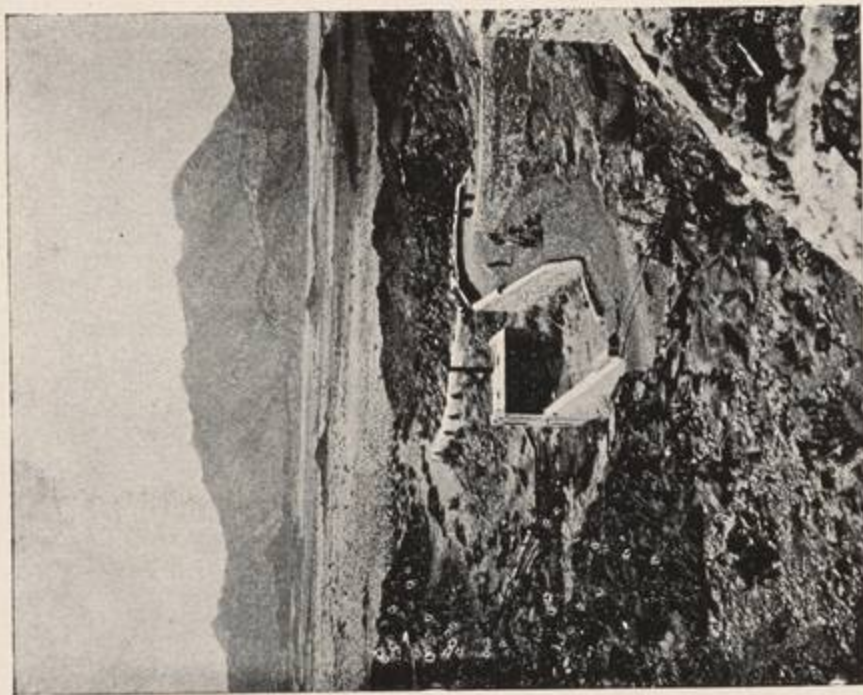
الى البرك التي بأرض عرفات فتمتلئ ماء يشرب منه الحجاج يوم عرفة ثم سير بالقناة نحو الشمال وعلى بعد ١٣٧٨ مترا عمل بازان - بئر في الأرض قاعه مجرى العين ويتزل اليه بدرج ، وقد يكون عميقا وقد يكون قريب الغور حسب بعد القناة عن سطح الأرض أو قربها وهذه البئر تعمل ليستقي منها الناس - اسمه « فقير الذئب الأعلى » وعلى بعد ٤٠٥ متر من هذا البازان بازان « فقير الذئب الثاني » ثم تنعطف القناة نحو الغرب داخلية في وادي المغمس وتنتهي الى « حوض البقر » على بعد ١٤٢٠ مترا من البازان الثاني ، وفي هذا الحوض ٢٥ خرزة ثم تسير في باطن الجبل الى موضع يقال له « الخاصرة » بقربه أراض زراعية يقال لها الهمدانية ، ثم ترجع منه يمينا الى « بازان الحقابة » الذي على يمين الآتي من عرفات ، ثم تتوجه يمينا الى « بازان المعترضة » وبعد ذلك تسير القناة في سفح المأزمين على يسار القادم من عرفات ، ثم تسير الى مزدلفة وتتوجه منها في وادي النار وفيه عند رأس جبل على يسار الذهاب الى مكة بازان يقال له « فم الوبر » ومنه يكون المجرى متعلقا في الجبل الى « المنفجر » خلف منى ، وعنده أقيم الآن على المجرى آلة بخارية (١٠ ايكينة) عند الربيع (المكان العالي) الذي يرده أهل منى وهذه الآلة ترفع المياه من المجرى وتوصلها في أنابيب حديدية الى أحواض بمنى أنشئت أخيرا في عهد صاحب الجلالة ملك مصر فؤاد الأول والحجاج يستقون من هذه الأحواض . (انظر الرسم ٧٩) الذي إذا تأملته رأيت فيه المجرى والأنابيب ، ثم يتوجه المجرى منعدرا خلف جبل منى الى فتحات موازية لمدرج منى بجانبها مسجد وحوض لسقيا الدواب يسمى « حوض البقر الثاني » ومنه تسير القناة تحت الأرض الى بئر عظيمة طويت بأحجار كبيرة جدا تسمى « بئر زبيدة » اليها تنتهي القناة ، وهي من الأبنية العظيمة (انظر مجرى عين زبيدة في الرسم ٨٠) ولعله كان في العزم توصيل تلك القناة الى مكة لتختلط بمجرى عين حنين ، ولكن حال دون ذلك ما لا نعلمه ، والمسافة بين هذه البئر وبين المنبع ٣٣٠٠٠ متر (رحلة صادق باشا ص ٦١) وبينها وبين منى مسيرة ساعة ركوبا ، ومن هذه البئر يشرب الآن الشريف والوالى وموظفو المحملين وسراة الحجاج بواسطة نقل الماء في قرب على ظهور الحيوانات .

منظر الكعبة في ميادين مكة المكرمة يوم عيد الأضحية

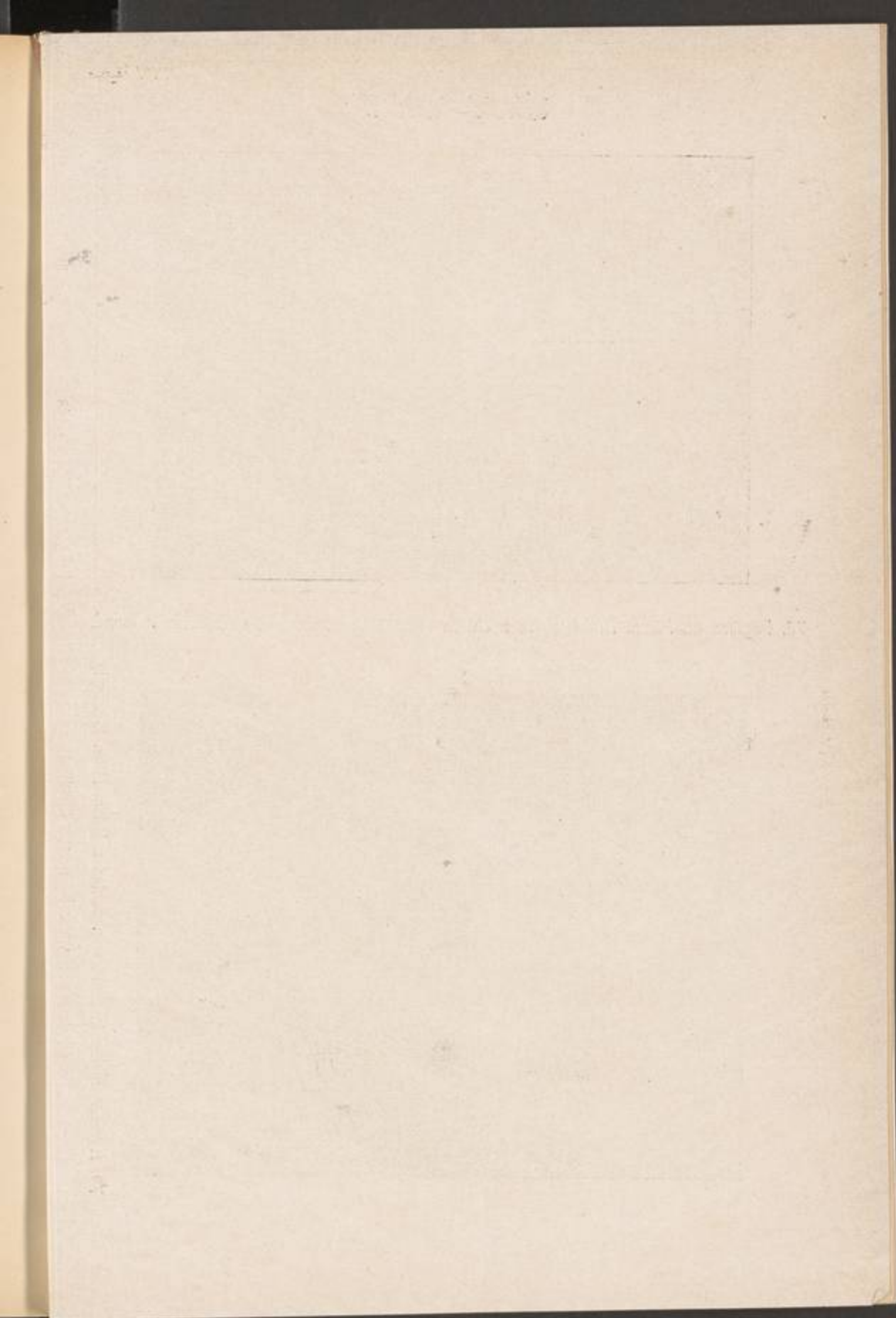


76. Pilgrims on Mount Arafat where a cistern of water from the well of Zobeida is found.

منظر الآلة التي تزود مكة بالمياه من جبل سفيان



79. A water engine in El Mafgar, behind a hill at Mina, to supply the pilgrims with water by means of pipes



وصارت عين نعمان خاصة بعرفة ومعنى في ذلك الزمن ، وقد أنفقت زبيدة على ذلك العمل ١٧٠٠٠٠٠ دينار أو مثقال من الذهب ، ويروى أنه لما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأحضروا دفاترهم لأجل الحساب ليبرئوا ذمتهم ويخرجوا من عهدة ما تسلموه من الخزينة لهذا العمل ، وكانت زبيدة ساعة ذلك في قصر عال مطل على الدجلة فأمرت بالدفاتر يلقى بها في الدجلة وقالت : (تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقى عنده شيء من بقية المال فهو له ومن بقى له عندنا شيء أعطيناه) وألبستهم الخلع الثمينة — شكر الله لها سعيها ورحمها الرحمة الواسعة —

ثم أخذت عين مكة ينقطع مائها لقسلة الأمطار وتهدم بعض من قنواتها وطغيان السيول عليها ، فأمر صالح بن العباس في سنة ٢١٠ هـ . أن تتخذ لها جملة برك في نواحي مكة تصل إليها مياهها ، ويذهب الفائض الى بركة ماجن أسفل مكة ، وقد كان الخلفاء والسلاطين كلما بلغهم حدوث خراب في هذه العيون أوقنواتها يرسلون من يعمرها ، ومن أولئك جعفر بن المعتمد (المتوكل على الله) أرسل مائة ألف دينار ذهباً الى مكة لاجراء ماء عين عرفات إليها ، وكان ذلك لما أن حصلت زلازل في سنة ٢٤١ هـ . غارت منها عيون مكة ، ومنهم إبراهيم بن خلكان عمّر عين زبيدة في سنة ٥٠٠ هـ . وقد وجدت في لوحة بجبل الرحمة على يمين الصاعد اليه هذه الكتابة : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى إمام الله ظل مولانا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره ، أمر الإمام الاصفهيتيار الكبير نصير الدين بن زين الدين صاحب اربل — ولم أعرف ما بعد ذلك — سنة ٥٠٠ هـ . لأبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين أعز الله تعالى ببقائه الإسلام » .

ووجدت لوحة أخرى تدل على عمارة لأبي العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين سنة ٥٨٤ هـ . ونصها : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر سيدنا ومولانا الإمام خليفة الله على كافة أهل الإسلام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره لعماره عين عرفة والمصانع لمجاج بيت الله الحرام ،

أجزل الله ثوابه أمين ؛ وذلك على يد الأمير الأصفهتيلار الكبير مجير الدين أمير الحاج والحرمين طاستكين نصر أمير المؤمنين أدام الله توفيقه ، وذلك في سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

وهناك لوحة ثالثة تدل على عمارة لأمير المؤمنين السابق وفيها « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله ، أمر بعمارة عين عرفة والمصانع التي بها ملتفة مولانا أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وبلغه سؤاله ومناه وأمله ومبتغاه في سلالاته الطاهرة وعترته الزاهرة أمير الأمراء الأجل السيد الأصفهتيلار الكبير مظفر الدين بكيري بن علي صاحب اربل سيف أمير المؤمنين أيد الله سلطانه وأعلى أبدا شأنه سنة ٥٥٩٤ . تقبل الله عن يد عبد الرحمن بن أبي جرمي عفا الله عنه . »

ورأيت لوحة رابعة فيها ما في اللوحة السابقة بالتاريخ عينه . والمستنصر العباسي عمر عين عرفات في سنة ٥٦٢٥ . وفي سنة ٥٦٢٧ . وفي سنة ٥٦٣٣ . وبجبل الرحمة كتابة تدل على تعمير المستنصر العباسي هاكها [« بسم الله الرحمن الرحيم لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا أَحْسَنِي وَزِيَادَةً »] شرع لعمارة هذه البركة لوجه الله تعالى وأضيافه المباهى هم الملائكة صلى الله تعالى ورجاء عفوهم « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا » بالاربل الأشرف النبوي الامامى المستنصرى زاده الله تعالى شرفا ، وقد شاده حالالا المطوع بعمارة عين عرفة والبرك التي بها ملتفة بعد عطائها خرابا عشرين سنة ، المولى الأمير الكبير السيد المؤيد المظفر المجاهد شرف الدين جلال الدولة عبيد الخلافة المعظم محيي الإمامة المكرمة ملك الملك ومليك المعالى زعيم الجيوش ملك الملك الإمام الأعز أبو الفضائل والمكارم اقتال النخلص النبوى المستنصرى خاص أمير المؤمنين مملوك سيدنا ومولانا الامام الأعظم المفتقر الى الطاعة على جميع الأمم عبد الله خليفة الله فى أرضه المستنصر بالله أمير المؤمنين] .

ومنهم جوبان أمير العراقيين من قبل السلطان أبى سعيد بن خربندا ملك التتار فانه أمر رسوله الأمير بازان بتعمير عين عرفة وزوده بخمسين ألف دينار فى سنة ٥٧٢٥ . فلما انتهى موسم هذه السنة نادى فى الناس بمكة من أراد العمل فى العين فله ثلاثة دراهم يوميا ، فخرج اليه العمال وخرج بهم الى العمل وما زالوا يعملون أربعة أشهر

حتى جرى الماء الى مكة وظهر بين الصفا والمروة في ١٠ جمادى الأولى من سنة ٧٢٦ هـ. وقد زادت المياه عن الحاجة فصرفها الناس في زرع الخضراوات، وبلغت نفقات ذلك ١٥٠٠٠٠ درهم، قال الفاسي: والسبب في كفاية ذلك القدر ما وجد فيها حين عمارتها من القناة المعمولة المهيأة من قديم الزمن، وهي أكثر من الثلث وأقل من النصف—ومن هنا نعرف أن بازان اسم لرجل سميت به الأحواض والآبار التي على مجرى العين لقيامه بإصلاحها—وفي سنة ٧٢٨ هـ أجرى الملك الناصر محمد ابن قلاوون عينا الى مكة سارت في مجرى عين بازان. وفي سنة ٧٤٤ هـ أجرى نائب السلطنة بمصر عينا من منى إلى بركة السلم، وذلك من طريق منى وعمرت بعد ذلك مرارا، وفي سنة ٨١٨ هـ عمرت عين بازان—حين—حتى وصل ماؤها إلى مكة بعد انقطاعه عنها. وفي سنة ٨٢٠ هـ انقطع الماء فانتدب الملك المؤيد صاحب مصر والشام والحرمين قائده علاء الدين لعارة العين في سنة ٨٢١ هـ وزوده بألغى مثقال ذهباً، فشرع في عمارتها في جمادى الآخرة وتممها في شعبان حيث وصل الماء الى مكة، ولما انقضى موسم هذا العام قل الماء وارتفع سعره فانتدب علاء الدين ثانية في سنة ٨٢٢ هـ بعض العمال والمهندسين لتعمير ما لم يعمر منها وإصلاح ما خرب من عمارته الأولى، فتم ذلك وبلغت المياه مكة في آخر صفر، وفي سنة ٨٥٢ هـ عمرت عين حنين بمعرفة «بيرم خواجه» ناظر الحرمين الشريفين، ثم خربت العيون بعد ذلك وأصاب الناس جهد جهيد. وبلغ ذلك الملك الأشرف قايتباي، فأمر بتعمير عين مكة وعين عرفات سنة ٨٧٥ هـ. وبدأت العارة في عين عرفات من جبل الرحمة الى وادي النعان حيث وجدوا الماء هنالك بكثرة فخلوا سبيله الى عرفة فوصلها بعد أن انقطع عنها مائة وخمسين سنة، كان الجحاج يقاسون فيها يوم عرفة الظم الشديد وقد أصلح البرك التي بعرفات وملاها بالماء، وكذلك عمر عين حنين حتى وصلت مياهها إلى مكة وعمر أيضا عين خليص وأجراها وبني قبتها.

وقد رأيت للشريف قايتباي خطبة نقشت في لوح من الحجر وضع بجبل الرحمة على مقربة من القناة فنقلتها بالقلم الرصاص في ٩ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ في مدة أربع

وفي سنة ٥٩١٦ هـ. عمر قانصوه الغوري آنرملوك الجراكسة بمصر عين حنين حتى جرت وملائت بركة المعلي وبركة ماجن في درب اليمن من أسفل مكة، وارفق الناس بذلك؛ وفي أوائل ملك الدولة العثمانية للأقطار الحجازية بطلت العيون لقلّة الأمطار وتهدمت القنوات وانقطعت عين حنين عن مكة، وصار أهلها يستقون من آبار حولها يقال لها العسيلات في علو مكة قريبة من المنحني، ومن آبار في أسفل مكة يقال لها الزاهر في طريق التنعيم، وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها حتى كان الحجاج يحملون الماء الى عرفات من الأمكنة النازحة، وكان فقراء الحجاج لا يطلبون يوم عرفة غير الماء لعزته، وكان بعض الأقوياء يستحضره من الأماكن النائية لبيعه فيربح فيه الأرباح الطائلة، قال العلامة قطب الدين الحنفي: وكنت يومئذ مرافقا في خدمة والدي رحمه الله وفرغ الماء الذي حملناه من مكة واشترت قربة صغيرة جدا يحملها الانسان بأصبعيه بدينار ذهباً، والفقراء يضجون من العطش يطلبون من الماء مايلون به حاوئهم في ذلك اليوم الشريف، فشرب أهلنا منها وتصدقوا بباقي القربة على من كان مضطراً إليها من الفقراء، ثم عطشنا جميعاً عقب ذلك وجاء وقت الوقوف والناس في شدة الظمأ يلهفون فأمطرت السماء وسالت السيول من فضل الله ورحمته والناس إذ ذلك واقفون تحت جبل الرحمة، فصاروا يشربون من السيل تحت أرجلهم ويستقون دوابهم، وحصل البكاء الشديد من الحجاج لما رأوا من رحمة الله بهم وإحسانه إليهم، ثم صدرت الأوامر السلطانية السلجمانية بإصلاح عين مكة (عين حنين) وعين عرفات، وعين للعيون ناظرًا اسمه مصلح الدين مصطفى، وكان مجاوراً بمكة فبذل جهده في العمارة حتى جرت عين مكة ودخلتها وجرت من أسفلها إلى بركة ماجن، وأصلح عين عرفات حتى صارت تملأ البرك بعرفات وكان ذلك في سنة ٥٩٣١ هـ. ثم اشترى «مصلح الدين» عبيدا سودا وأجرى عليهم الأطعمة من خزائن السلطنة وأناط بهم خدمة العين وإنحراج أتربتها من الدبول - جمع دبل وهو الجدول أي النهر - واقنوت، ثم قلت الأمطار ويست العيون ونزحت الآبار في سنين متعدّدة من سنة ٥٩٦٥ هـ. وما بعدها حتى كانت سنوات تقارب سني يوسف

شدادا عجافا، ولم يبق من العيون إلا عين عرفات ولكن قل جريانها. ولما عرضت أحوال العيون على السدة السلطانية السلمانية صدر الأمر بتصليح ذلك، فاجتمع بمكة قاضيها عبد الباقي المغربي وحاكم جدة خير الدين وغيرهما من الأعيان وتشاوروا في الإصلاح، فأجمع أمرهم على أن أقوى العيون عين عرفات وعقدوا النية على توصيل الماء من بئر بيدة خلف منى إلى مكة وحسبوا أن تحت الأرض مجرى قديما إلى مكة وانهدم، وطلبوا من السلطنة ٣٠٠٠٠ دينار للتعمير سنة ١١٦٩هـ. فاتفقت صاحبة الخيرات فاطمة هاتم كريمة السلطان سليمان من أيها أن يأذن لها في القيام بهذا العمل الخيري فأذن لها، وانتدبت لذلك بعد استشارة الوزراء الأمير إبراهيم بن تكريم أمين الدفاتر بديوان مصر وأعطته ٥٠٠٠٠ دينار للقيام بالعمل، وقد وصل إلى جدة لثمان بقين من ذي القعدة سنة ١١٦٩هـ. ثم برحها إلى مكة فقابله شريفها محمد بن نعي مقابلة جميلة وأكرم وفادته، وجاء للسلام عليه قاضي مكة حسين الحسيني فعرض عليهما مهمته وزوداه بالآراء الصائبة وبحث عين عرفة بنفسه حتى أحاط بها خيرا، واستدعى من مصر والشام وحلب والأستانة واليمن طوائف المهندسين والخبراء بالعيون والآبار والحدادين والبنائين والمجارين والقطاعين والنجارين وغيرهم ممن يحتاج إليه في العازة واستحضر آلتها من مصر، وشرع بمعونة هؤلاء ومعونة مماليكه الأربع المائة في إصلاح القناة مبتدئين من الأوجر حتى وصلوا إلى بئر بيدة، وهناك بدأ لهم ما لم يكونوا يحتسبون إذ لم يجدوا بعد البئر دبلا تحت الأرض وعلموا إذ ذلك أن زبيدة اضطرت إلى ترك التوصيل إلى مكة اضطرارا لصلاية الحجر وصعوبة قطعه وطول مسافته، وأن لا سبيل إلى ذلك ألا بتقريب دبل تحت الأرض في الحجر الصوان طولها ألفا ذراع بذراع البنائين - ٧٥ سنتيمترا - حتى يتصل بدبل عين حنين وتتصل عين عرفة بمكة ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الأرض، فانه يحتاج إلى النزول في تخوم الأرض ٥٠ ذراعا عمقا فتجاذب الأمير إبراهيم عاملا اليأس والأمل، ولكن عامل اليأس قضى عليه صادق عزيمته لحفر وجه الأرض حتى إذا ما وصل إلى الحجر الصوان أوقد عليه ليلة كاملة ما يقارب مائة حمل من الحطب الجزل في مكان

طوله سبعة أذرع في عرض خمسة من وجه الأرض حتى تأكل من الحجر الصوان
 ¼ من الذراع، ثم أعمل المعاول حتى صادف الحجر الصلب فأوقد عليه النيران كما فعل
 أولا حتى وصل الى عمق ٥٠ ذراعا، وبذلك حفر من القناة خمسة أذرع من ألفى ذراع
 ثم سار على هذا النمط حتى أتم ١٥٠٠ ذراع، وقد نفذ الحطب من الجهات الدائرية
 والثائية وذهب خدمه وأولاده ومماليكه في سبيل ذلك، وأتفق ٥٠٠٠٠٠ دينار ذهباً
 من الخزائن السلطانية واحترمه أجله بعد ذلك في رجب سنة ٩٧٤ هـ . فشيعته القلوب
 وأغدقت عليه صيب الدعوات ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد الى الأبطح، وخلفه
 على العمل أمير جدّة قاسم بك ولم يتم بكبير عمل لتقصير فهمه ومد يده وتشبته برأيه
 وتوفى، وخلفه الأمير محمد بك فعاجلته المنية في رجب سنة ٩٧٩ هـ . ثم تولى العمل
 فاضى القضاة وناظر المسجد الحرام السيد حسين الحسنى، بفتح جده ونشط نشاطه
 حتى أتم القناة في خمسة أشهر بعد أن قضى الأمراء السابقون في ذلك عشرة أعوام،
 بغيرت عين عرفات الى مكة وتفجرت ينابيعها في نواحيها لعشربقين من ذى القعدة
 سنة ٩٧٩ هـ . وكن هذا اليوم عيداً أكبر للناس مدّت فيه الموائد للأكابر وخلعت
 الحلل الفاخرة على المهندسين والبنائين، وتصدق على الفقراء والمساكين وزفت
 البشائر الى السلطان سليم وكرّمته ذات المجد الأئيل والخير العميم فاطمة هانم،
 فأقيمت الأفراح بالأستانة وأغدقت العطايا على فاضى القضاة الذى تم على يده ذلك
 المشروع العظيم الذى أحيا أم القرى بماء الحياة كما حيت من قبل بإسراق النبوة
 من نواحيها وجم الناس اليها من أدانى الأرض وأقصاها، وتلك مأثرة للسلطان
 سليم تقرن بالحمد والثناء وتسطر في سجل أعماله الطيبة بحروف من نور ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
 أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

وقد حصل بعد ذلك فى العين ومجاريها تعميرات فى سنى ١٠١٩ و ١٠٢٠
 و ١٠٢٥ هـ . ورأيت فى لوحة هذه الكتابة « أمر بتعمير عين عرفات مولانا
 السلطان الأعظم والحقان الأتم خادم الحرمين الشريفين السلطان أحمد خان

ابن السلطان محمد خان أيد الله سلطته الى آخر الزمان سنة ١٠٢٥ هـ . بمباشرة الفقير اليه سبحانه حسن باشا عنى عنه وكذلك عمرت في سنى ١٠٦٦ و ١٠٨٣ و ١٠٨٤ هـ . وقد رأيت مكتوبا على حجر رخام ثبت بجبل الرحمة على يمين الصاعد اليه العبارة الآتية : « يا محمد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حتى حمده على إفضاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ، أمر حضرة السلطان الأعظم والخاقان الأنخم مولى ملوك العرب والعجم السلطان الغازى محمد خان ابن السلطان إبراهيم خان عز نصره أجرى عين عرفات وتعمير أبيتها واتصاله الى الحرم المنيف ، بفضله تعمرت سنة أربع وثمانين وألف ١٠٨٤ من هجرة من له العز والتشرف على يد عمدة أعيان الدولة الحاج على أغا بن مصلى قهوجى باشا السطان كان الله له ووقفه لمرضاة الله (وفى الآخر كلمتان لم أعرفهما) » .

وعمرت في سنة ١٠٨٩ و ١٠٩٢ هـ . وعملت إصلاحات هامة في سنة ١٠٩٣ هـ . بأمر السلطان محمد خان فنظفت البرك التي بالمعلى وزيد في ارتفاعها مقدار قامة وأقيم في وادى النعجان سد عظيم يمنع طغيان السيول على المجارى ، وبني على رأس القنوات الحواجز المسماة بالخرازات فبنى نحو عشرين خرزة وعمل قناة في أسفل مكة تذهب بمياه السيل الى بركة ماجن ، وفى يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٠٩٩ هـ . كسر من قنوات العين نحو ثلاثين ذراعا فبعث الشريف من فوره بالمهندسين فأصلحوا ذلك .

وفى سنة ١١٤٣ هـ . انقطع ماؤها أجمع وصار الناس يستقون من آبار العسيلات والزاهر وغيرهما ، وقد أصابحت من طرف السلطنة وكذلك عمرت في سنة ١١٨١ هـ . وفى سنة ١٢١٩ هـ . بعد قطع الوهابيين المياه عن مكة حينما حاصروها وتخرب بعض قنواتها فأصلحت ذلك الدولة العثمانية ، وكذلك أصلحها السلطان محمود سنة ١٢٣٥ هـ . وفى سنة ١٢٤٢ هـ . انقطع الماء من مكة لخراب حدث بالقنوات بسبب السيول فأرسل والى مصر محمد على باشا من عمر القنوات ، وبعد ذلك بقيت عين مكة يقل

ماؤها بقلة الأمطار ويكثر بكثرتها حتى كانت سنة ١٢٧٨ هـ . إذ حدث سيل عظيم
نحرب بعض مجاريها فأصلح . وفي سنة ١٢٩١ هـ . كاد ينقطع ماؤها عن مكة فأصلح
المجاري والى الحجاز من قبل السلطنة السيد محمد الشرواني باشا مع جماعة من أهل البر.
وفي سنة ١٢٩٥ هـ . شكلت بمكة لجنة بسعى بعض الهنود لجمع الإعانات من كافة
الأقطار الإسلامية خصوصا مصر والهند وإنفاقها في إصلاح العيون ، وكان من
أعضاء تلك اللجنة الشيخ رحمة الله الهندي صاحب كتاب إظهار الحق ، بجمعت
أموالا كثيرة واستقدمت من الهند المهندسين والصناع وخرجت بهم الى عرفة
فذرعوها المسافة بين مكة ومنبع عين زبيدة من وادي النعمان فاذا هي تنيف على
١٧٠٠٠ متر^(١) ورأوا أن يبدؤوا العمل في عين زبيدة من جهة عرفة ، فأصلحوا نحو
٦٠٠ ذراع في المجري من بعد حدود عرفة الى وادي النعمان ، وبنوا فيها عدة خرزات
ستروا بعضها وكشفوا باقيها ليستقي منها العربان ، وكان شروعهم في العمل من جهة
مكة بتنظيف الدبول وتعمير ما تحرب منها حتى وصلوا الى المفجر ، ووصلوا الماء
منه الى منى بآلة بخارية أقاموها هنالك ، ونحتوا لأجل ذلك بعض الجبال ولم يزالوا
في عملهم حتى وصلوا الى عرفة ، وبنوا في عملهم هذا عدة خرزات في طريق مكة ،
وبازانات بمكة منها : بازان الشعب ، وبازان سوق الليل ، وبازان القشاشية ،
وبازان جياذ ، وبازانان بخارة المسفلة ، وبازان بخارة الباب ، وبازان الشبيكة ،
وبازان الشامية ، وبازان بسوق المعلى يسمى بازان التمار ، وعمروا ما كان خرابا
وزادوا موارد الماء بالبلدة وقطعوا الجبل الطويل الذي بأقول مكة وبنوا به دبلا
يجري فيه الماء الى حارة جرول التي بنوا فيها بازانان عظيما يستقي منه الناس ، وكذلك

(١) هذا ما في رسالة الزواوي وهو يخالف ما في رحلة صادق باشا من أن المسافة بين المنبع وبين بئر
زبيدة ٣٣ كيلومترا فاذا هي بين مكة والمنبع أكثر من ذلك وهذا هو الصحيح ، فان صادق باشا يسرع
من الطائف مر ببدأ المجري وقطع المسافة بين المبدأ وبين نوى الحرم من جهة عرفة في ٢ س و ١٦ ق .
وأطلع المسافة بين العلهين ومكة في ٥٠ و ٥٠ ق ، فاذا لاحظنا أن المجري يسير حذاء الطريق في الأكثر وأن
المسافة بين مكة ونوى الحرم ١٨ كيلومترا تقريبا كانت المسافة بين العلهين وبدا المجري ٢٢ كيلومترا أي أن
المجري طوله ٤٠ كيلومترا من مبدئه الى مكة فهذه المسافة التي نسبها الزواوي الى المهندسين تخالف الواقع .

عمروا بعض التعمير في العين الأصلية (عين حنين) بعد أن أهملت منذ وصلت عين عرفة إلى مكة. وفي سنة ١٢٩٧هـ أرسل إلى اللجنة من مصر ٢٥٠٠ جنيه مع أحد معاوئي الداخلية وكان برفقته أحد المهندسين لمباشرة العمارة الحارية مع المعمرين ، وقد مكثت اللجنة تشغل ثلاث سنين دأبا تحت رئاسة الحاج عبد الواحد الميخني ثم أخذ الفتور يدب في أعضائها وتناولت الحكومة بعض مال اللجنة من صندوقها وأنفقته في غير مصالح العين فأساء ذلك أهل الهند وقطعوا الإعانات ، فوقفت اللجنة عملها وأستعفى رئيسها وأكثر أعضائها وتشكلت لجنة أخرى آستولت على ما بقى بصندوق العين ويقال : إنه كان ٥٧٠٠٠ جنيه ، وسارت في العمل كسابقتها ولكن هذه وجهت كبير عنايتها الى إصلاح عين حنين وكانوا يرون أنها عين مكة الأصلية ثم أقطع العمل في العينين فأقطع ماء عين حنين وقل ماء عين زبيدة وكاد ينقطع في سنة ١٣٢٤هـ فكوت لجنة تحت رئاسة الشريف وجمعت إعانات جبرية من مكة والطائف وجدة وكتبت إلى الدولة مستجدية فجمعت عشرات الألوف من الجنيهات ، وقدم من الإستانة مهندسون فقاموا بإصلاح كبير خصوصا في منابع العين من جهة وادى النعمان ، وفي سنة ١٣٢٦هـ قدم مهندس ومفتش من قبل الدولة لتعرف أحوال عين زبيدة فوضعا لها خريطة عظيمة من منبعها الى مكة تركا صورة منها في مقر اللجنة وأخذوا أخرى الى الإستانة ، وفي أوائل شهر المحرم سنة ١٣٢٧هـ شكل أمير مكة الشريف الحسين باشا بن علي هيئة جديدة لإصلاح العيون أعضاؤها من أجناس مختلفة ووكل إليها الإصلاح وجعلها حرة في عملها فاستمضت همم المسلمين في الأقطار المختلفة فعمروها بالبرعات ولا سيما الهند ومصر وجاوة وبدأت في الإصلاح ، وفي آخر سنة ١٣٢٨هـ جاء سيل عظيم ملاً المجارى حتى طفت وهدم كثيرا منها فقل الماء ولجأ الناس الى الآبار القديمة وإنها لكثيرة ، فقام شريف مكة وأنجاله وأهل مكة بالإصلاح بأموال من صندوق اللجنة حتى وردت المياه مكة . وفي ١٨ المحرم سنة ١٣٣٠هـ هجم سيل شديد من وادى نعمان وهيمان وسدّ دبول عين زبيدة بالتراب ، وقطع الماء عن عرفات ، فقامت اللجنة بتعمير المتخرب حتى نادى الماء الى مجراه

وأُنشأت مستغلات جديدة، وقد مكثت هذه اللجنة ثلاث سنين مجتهدة في عملها فظهرت الحجازى وكشفت عن عيون محتبسة وبنات خرزات كثيرة وأصلحت عدة بازانات وعمرت مستغلات عين زبيدة وأحدثت لها مستغلات أخرى فلها شكرنا الوافر وثناؤنا المستطاب .

وقد أطلعنا عليك أيها القارئ الكلام مع تعمدنا الاختصار ولكنها النفوس الطيبة والأعمال الخيرة تآبى إلا أن تتقش على صفحات كل كتاب سيار حتى يكون للناس منها قدوة حسنة فيكون لفاعلهما - زيادة الى أجره - أجر من عمل بها الى يوم القيامة .

وإنا نبتهل الى جميع المساميين في أن يتقدموا بأموالهم ورجالهم الى تلك العيون التي يستقى منها سكان بيت الله والوفود عليه من كل فج و التي تعب سلفنا الصالح في إنشائها وتعيرها ولم يرضوا عليها بما ل أو رجال ندعوهم ليقوموا نحو هذه العيون بعمل خالد يأمن معه صدمات الليالي وهجوم السيول ويطمئن به أهل مكة ومحاجها تلى الماء الذي به حياة كل شيء قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (١) .

الحرم

قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ اعلم أنه يحيط بالكعبة ثلاث دوائر: الأولى دائرة المسجد، والثانية دائرة الحرم، والثالثة دائرة المواقيت فلا يعدو أمرؤ الدائرة الثالثة فاصدا دخول مكة إلا إذا أحرم - ليس ثياب الإحرام وأهل بالتلبية فخرمت بذلك عليه محرمات الإحرام - وهى ذو الحليفة لأهل المدينة، وأبجحفة لأهل الشام، وقرن لأهل نجد، ويلملم لأهل اليمن، وذات

(١) روجع في كتابة المياه بمكة الى الأصل ص ٤٢ والى رحلة صادق باشا ص ٦١ والى شفاء الغرام

ص ٢٥٩ والى رسالة السيد محمد صالح الزواوى مفتى المسالك بمكة المكرمة .

عِرق للعراقيين . وذو الحليفة على عشر مراحل من مكة ، وبالحفة على ثلاث ، وقبلها بقليل رابع ، وذات عِرق على مرحلتين ، وكذلك قرن المنازل ويعلم . والدائرة الثانية دائرة الحرم وقد نصبت عليها أعلام في جهاتها الأربع ، وقد ذكر المسافات بينها وبين المسجد الحرام التي الفاسي في كتابه شفاء الغرام ، ونحن نذكرها نقلا عنه مبينين مقسداًها بالأمتار ، فحد الحرم من جهة الطائف على طريق عرفة من بطن عُرنة $\frac{2}{7}$ ٣٧٢١٠ ذراع بذراع اليد ، أي ١٨٣٣٣ متر وذلك من جدر باب بنى شيبة إلى العلمين اللذين هما علامة لحد الحرم من جهة عرفة ، وحدّه من جهة العراق من جدر باب بنى شيبة إلى العلمين اللذين هما علامة لحد الحرم في طريق العراق واللذين هما بجادة وادي نخلة - ٢٧٢٥٢ ذراع بذراع اليد ، وتعادل $\frac{5}{13353}$ متر . وحدّه من جهة التميم وهي طريق المدينة وما يليها ١٢٤٢٠ ذراع بذراع اليد ، أي ٦١٤٨ متر وذلك من جدر باب العمرة إلى أعلام الحرم التي في الأرض من هذه الجهة لا التي على الجبل . وحد الحرم من جهة اليمن من جدر باب إبراهيم إلى علامة حد الحرم في هذه الجهة $\frac{4}{7}$ ٢٤٥٠٩ ذراع بذراع اليد ، وتعادل ذلك $\frac{12009}{75}$ متر ، وعلى حد الحرم من جهة الجنوب مكان يقال له : أضواء ، ومن الغرب بميل قليل إلى الشمال قرية الحديبية وهي التي تمت بها بيعة الرضوان ، ومن الشرق على طريق الطائف مكان يقال له : الجعرانة^(٢) أحرم منه النبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من الطائف بعد فتح مكة (انظر الرسم ٨٢) وهذه الدائرة جعلها الله مثابة للناس وأمنابلاً آمن فيها الحيوان والنبات فخرم التعرض لصيدها ومنع أن يُخْتَلَى حَلَاها (حشيشها) أو يعضد شوكتها .

وأقول من نصب علامات على حدود الحرم إبراهيم عليه السلام بإرشاد جبريل تعظيماً للبيت وتشريفاً ، ثم قُصِيَ بن كلاب ، وقيل : قبله اسماعيل ، ويروى هذا عن

(١) ذراع الحديد $\frac{1}{7}$ ٥٦ سنتيا كما حرره من قياس جدر الكعبة بالمتر ، ومقارنتها بقياس الفاسي ،

وذراع اليد ٤٩ سنتيا بالتقريب استنتجته من قياسه لبعض الأماكن بالذراعين ذراع الحديد وذراع اليد .

(٢) الجعرانة بكسر الجيم وسكون العين وبكسرها وكسر العين وتشديد الراء .



(الخریة نمرة ۸۲)

أبن عباس، وقيل: إن عدنان بن أد أول من وضع أنصاب الحرم، ونصبها قريش بعد ذلك والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل هجرته، ونصبها النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح، ثم عمر بن الخطاب فى سنة ١٧ هـ، ثم عثمان بن عفان فى سنة ٢٦ هـ، ثم معاوية رضى الله عنهم ثم عبد الملك بن مروان، ثم المهدي العباسى، ثم أمر الرضى بعارة العلمين الكبيرين اللذين بالتنعيم فى سنة ٣٢٥ هـ. قال الفاسى: وأسمه عليهما مكتوب ثم أمر المظفر صاحب إربيل بعارة العلمين اللذين هما حد الحرم من جهة عرفة سنة ٦١٦ هـ، ثم الملك المظفر صاحب اليمن سنة ٦٨٣ هـ^(١).

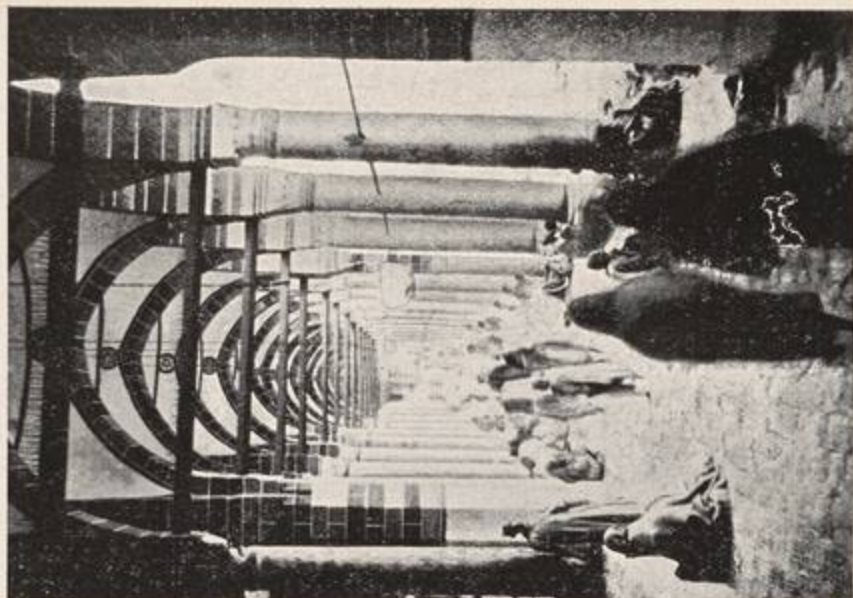
المسجد الحرام

وصف عام للمسجد - أبواب المسجد - مآذنه - توسعته وعماراته وتاريخ ذلك - مواقف الأئمة فى المسجد الحرام - كيفية الصلاة فيها - مقام إبراهيم عليه السلام - منبر المسجد الحرام وتاريخه - بئر زمزم - سقاية العباس - المشاشى الأربع - مزاويل المسجد - قناديله - موظفوه - أعمدة المطاف .

وصف عام للمسجد الحرام - المسجد الحرام وسط مكة وشكله مربع تقريبا . وضلعه الشمالية المقابلة للحطيم ١٦٤ مترا وطول الضلع الجنوبية المقابلة للأولى ١٦٦ مترا، وضلعه الشرقية التى فيها باب السلام ١٠٨ مترا، والغربية طولها ١٠٩ مترا، فيكون مسطحة من الداخل ١٧٩٠٢ مترا أى أربعة أقدنة وربع تقريبا أما من الخارج فتوسط طولها ١٩٢ مترا وعرضه ١٣٢ مترا، وفى وسط المسجد بميل إلى الجنوب بيت الله أى الكعبة المكرمة . ويحيط بالمسجد من جهاته الأربع ثلاثة أروقة (بواكى) فى الأكثر، يفصل بين كل رواق وآخر صف من الأعمدة مواز لحد المسجد، ووصل بين كل عمودين بعقد من البناء المتين وأقيم على كل أربعة

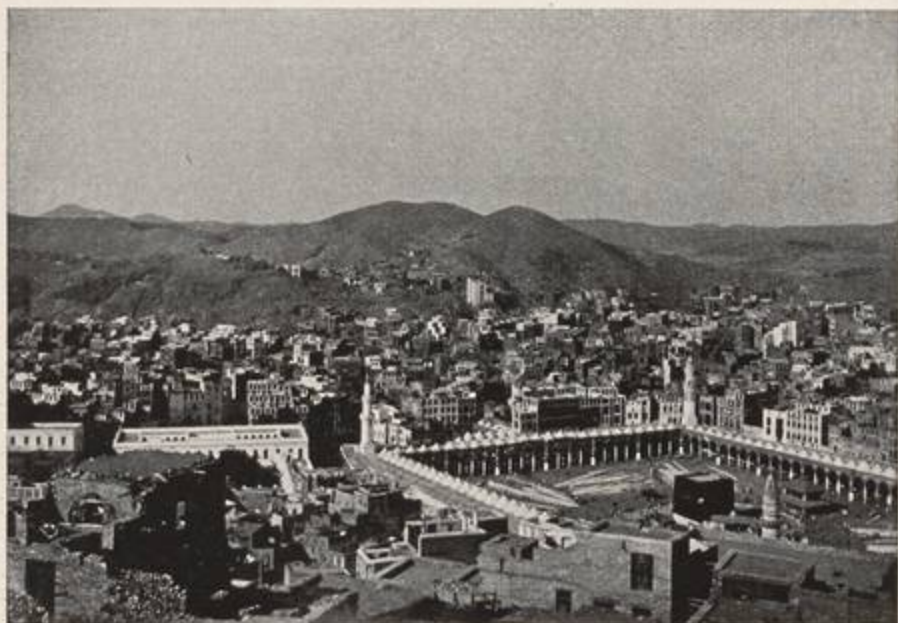
(١) لم نثر على تاريخ الأعلام بعد ذلك مع شدة حرصنا على الوقوف عليه مع أنه لا بد أن تكون عمرت بعد ذلك مرارا فان بناءها القائم ليس بناء سبعة قرون أو تزيد .

أعمدة قبة محكمة البناء فنشأ من ذلك قباب متجاورة منها تكون سقف تلك الأروقة ، وعدد العقود في الجهة الشمالية من الجدار الشرقي الى الغربي ٤٢ عقدا في كل صف على استقامة واحدة ، أما العقود العرضية في هذه الجهة فثلاثة ثلاثة إلا في الطرفين فإن العرض عقدان ، وعدد العقود طولا في الجهة الجنوبية ٤٠ في أطول صف من الجدار الشرقي الى الغربي ، وعددها عرضا ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة في الوسط ، وفي الطرف اثنان وواحد ، وعددها من الجهة الشرقية طولا بطول الصحن فقط ٢٤ عقدا في كل صف ، والعرضية ثلاثة ثلاثة إلا في الطرف الجنوبي فاثان لانحراف الجدار ، وفي الجهة الغربية قبالة الصحن فقط ٢٤ طولا في كل صف ، والعقود العرضية أربعة أربعة وقليل ثلاثة ثلاثة ، وتجدد عقودا أخرى في الجهة الشمالية في مدخل باب الزيادة وكذلك في الجهة الغربية في مدخل باب إبراهيم ، وبجملة الأعمدة المقامة عليها تلك العقود ٥٤٥ عمودا منها ٣٠١ من الرخام ومنها ٢٤٤ من الحجر الشمسي الأحمر ، ومعلق بين كل عمودين خمسة قناديل بكار - فناير - توضع فيها المصابيح ، وفي صرة كل قبة قنديل فاذا ما أضيئت كل هذه مع ما حول الكعبة أحدثت منظرا يملأ النفس بهجة وسرورا . (أنظر المسجد الحرام في الرسم ٨٣) والجهة الشمالية في الرسم ما فيها باب الزيادة والشرقية ما فيها باب النبي صلى الله عليه وسلم الخ ، وأنظر العقود (البواكي) في (الرسم ٨٤) وترى في العوارض الخشبية مسامير لمنع وقوف العصافير والحمام عليها أتقاء لقرورها ، وما عدا هذه الأروقة من المسجد فصحن واسع توسطته الكعبة (الرسم ٨٥) يحيط بها المطاف المرصوف بالرخام قد أقيم عليه صف من الأعمدة المصنوعة من النحاس الأصفر وصل بينها بعوارض الحديد تعلق فيها المصابيح وأقيم بخارج المطاف تجاه كل ضلع من أضلاع البيت - عدا الضلع الشرقية - سقيفة قامت على أعمدة الرخام يوصل في الشمالية منها إمام الحنفية وهي ذات طبقتين وفي الغربية إمام المالكية وفي الجنوبية إمام الحنبلية أما إمام الشافعية فيصلى خلف مقام إبراهيم شرقي الكعبة أو فوق البناء المقام على زمزم . ويجوار المطاف في الجهة الشرقية المنبر وفي جنوبيه قبة أقيمت على بئر زمزم ، وبشمالي البئر باب



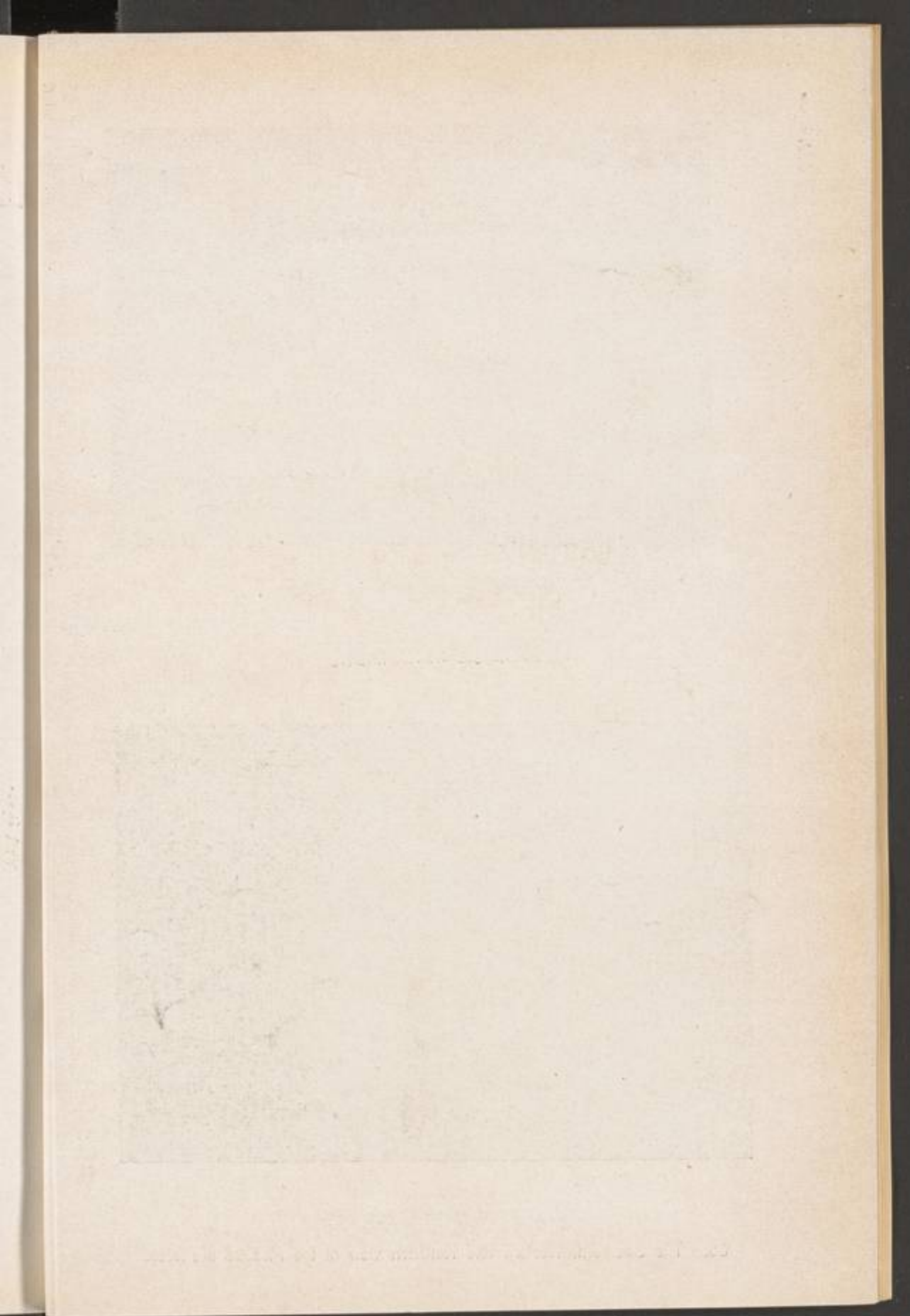
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحج والعمرة
 في شهر ذي الحجة
 من سنة ١٣١٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

85. The Southern, Western and Northern view at the Mosque of Mecca.



1887

Received of the Treasurer of the State of New York
the sum of \$100.00 for the year ending 1887
and for the year ending 1888



Received by the Treasurer of the State of New York

the sum of \$100.00 for the year ending 1887 and 1888

1887

1887

اجتماع الحجّاج لصلاة الجمعة حول الكعبة المشرفة

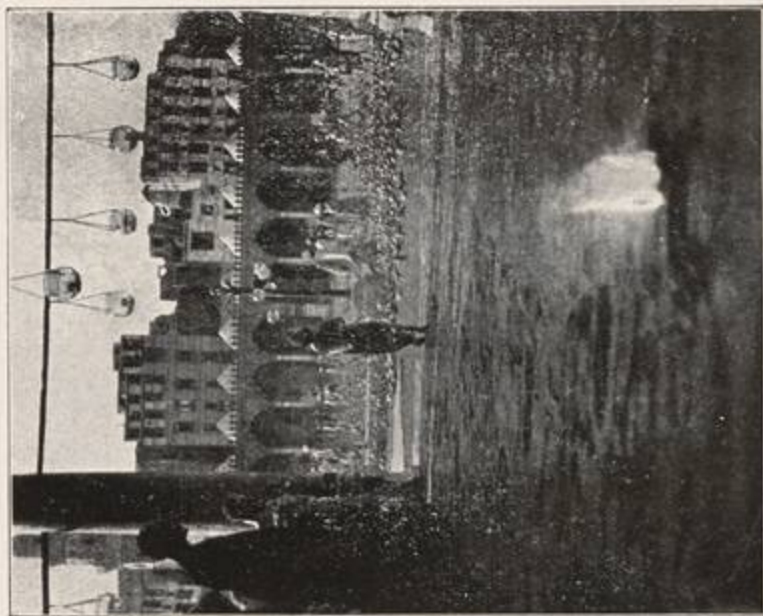
هذا الرسم على الشمال زمزم وهي البيضاء ذات القبة وبها ظاهر وبين الباب والكعبة سلم للصعود عليه داخل الكعبة من افخر الصناعات العربية وبعدها الكعبة والحزام القصب والستارة ظاهرة وفي وجه الكعبة باب بنى شبيه وقناديل الاثارة في وسطه وبعده المنبر وعليه البيرق واثنان اغوات وبعده البواكى وبعده مقام الحنفي ذو الطبقتين والحجاج جلوس



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا
 لولا كنا لولنا لعابداً

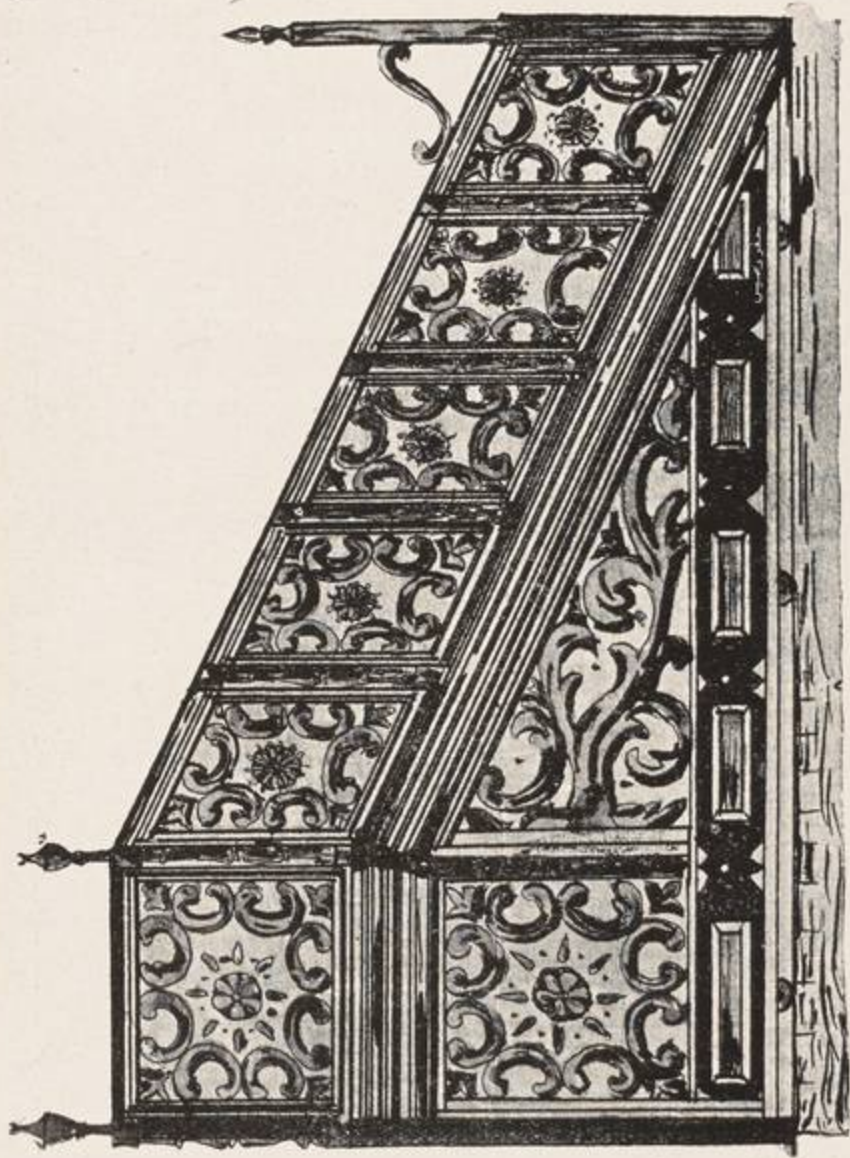
86. The meeting of the pilgrims round the Kaaba for the Friday prayers.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا
 لولا كنا لولنا لعابداً



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا
 لولا كنا لولنا لعابداً

87. The Pigeons of Hema in Haram Mosque in Mecca



سُلَّمٌ لِلصِّرَاعِ وَعَلَيْهِ لِذِي النُّجُومِ إِلَى الصَّكْبَةِ

87. Stairs to ascend to the Interior of Kaaba.

وَالصَّكْبَةُ الْمَقَامُ الَّذِي فِيهِ يَتَوَضَّعُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَتَوَسَّلَ بِهِ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَهُوَ فِي حَقِّهِ الْمَقَامُ الْمُبَارَكُ الَّذِي لَا يَمُرُّ بِهِ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ وَالرُّسُلُ الْمُرْسَلُونَ وَهُوَ فِي حَقِّهِ الْمَقَامُ الْمُبَارَكُ الَّذِي لَا يَمُرُّ بِهِ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ وَالرُّسُلُ الْمُرْسَلُونَ وَهُوَ فِي حَقِّهِ الْمَقَامُ الْمُبَارَكُ الَّذِي لَا يَمُرُّ بِهِ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ وَالرُّسُلُ الْمُرْسَلُونَ

بنى شيبة يعلوه عقد أقيم على عمودين من الرخام، وقد كتب على باب بنى شيبة تحت الهلال (أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ) وكتب على العقد (رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) وذلك بماء الذهب، وكتب في الجهة المقابلة لمقام إبراهيم والكعبة «الله جل جلاله» (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) «محمد عليه السلام» (أنظر باب بنى شيبة في الرسم ٨٦ الذي أخذته سنة ١٣٢٥ هـ . والحجاج مجتمعون بالمسجد لصلاة الجمعة) وأرض المسجد منخفضة عن الأرض المحدقة به بنحو ثلاثة أمتار ويصعد من أرضه إلى الأبواب التي على الشوارع بسلام، والبيت منحدر تدريجاً عن هذه الأرض بنحو متر، وصحن المسجد سقفه السماء وفرشه الحصباء إلا ما تخلله من الماشى التي تصل بين الأبواب والأروقة من جهة المطاف وما يليه من ناحية الكعبة من جهة أخرى فإنها مرصوفة بحجارة الجص كالأروقة ليسلكها الناس ويتجنبوا الحصباء التي كثيرا ما تكون مبللة بمياه الوضوء، ولذلك فإن المطوفين إذا ما دنت صلاة العصر بسطوا «الأكمة» والسجادات على هذه الحصباء ليجلس عليها الحجاج، على أن كثيرا من الناس يفترش الحصباء الساعتين والثلاث أنتظارا للصلاة خصوصا في يوم الجمعة فتراهم يبكرون ويجلسون على الحصباء وقد أشتد القيظ وتسلط على الأدمغة لميب الشمس كل هذا حرصا على سماع الخطبة، وعرض تلك الماشى قريب من متر ويجلس عليها بعض النساء الفقيرات يبعن الجيوب للحجاج ليقدموها إلى حمام الحمى الذي يوجد بكثرة في المسجد ولونه أزرق غامق به نقط رمادية وخطوط سود وهو مطوق بالخرقة الحمراء، والقواط مسلطة عليه تصطاده، وكذلك يوجد بالمسجد طير الأبايل كما يسميه المكيون - وهو أشبه بما نسميه عصفور الجنة - وهذه الطيور لا تنفر من الحجاج لأن الله كتب لها الأمن في حرمة كما كتبه للناس (انظر الرسم ٨٧) تجرد الحمام وهو يلتقط الحب .

وللمسجد خمسة وعشرون بابا، منها بالشمال ثمانية أبواب وبالشرق خمسة وبالجنوب سبعة وبالغرب خمسة، من هذه ستة أبواب صغيرة (خوخات) والباقي

أبواب كبيرة منها ذو الفتحة والفتحتين والثلاث والخمس ، وفي المسجد سبع منارات في كل زاوية منارة ، وثنان في الشمال وواحدة في الشرق .

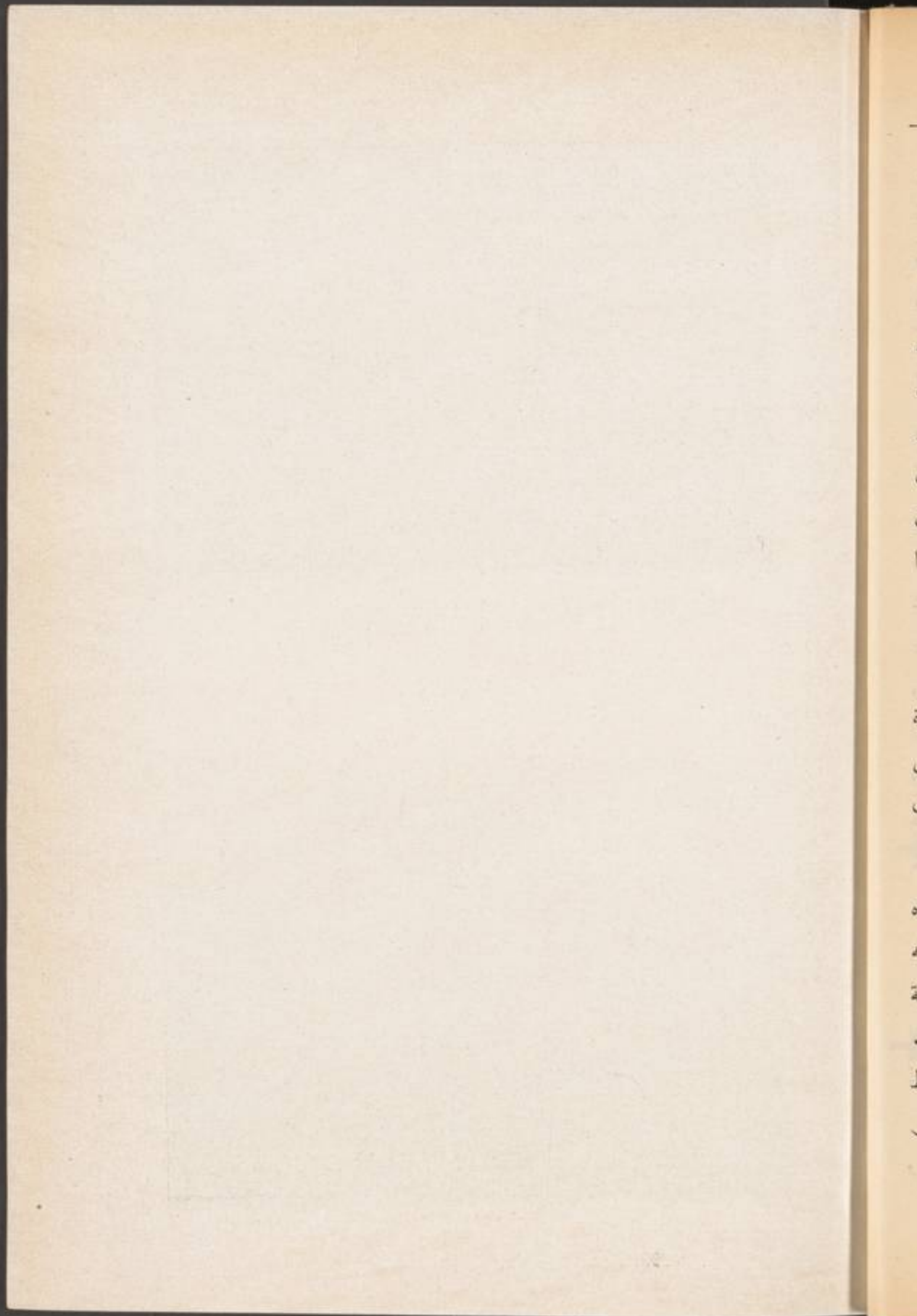
أبواب المسجد الحرام ووصفها

في الشرق : (١) باب السلام — ويعرف بباب بني شيبه وبباب بني عبد شمس وهو ذو فتحات ثلاث ، وكتب عليه ما يأتي : أمر بإنشاء هذا البيت الشريف السلطان الملك المظفر سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان بن السلطان محمود خان بن السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان ابن السلطان بايزيد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان أرخان بن السلطان عثمان خان ، وكتابة ذلك في سنة ٩٣١ هـ . وهي منقوشة على الحجر الأبيض ، وهذا الباب يدخل منه الحجاج لأداء طواف القدوم .

(٢) باب قايتهاي — وهو خوخة ولا سلم له .

(٣) باب الجنائز — سمي بذلك لأن الجنائز تخرج منه في الغالب الى مقبرة المعلى ، وذكر الأزرقى : أنه باب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج منه ويدخل الى منزله دار خديجة رضي الله عنها في زقاق العطارين ، ولهذا الباب فتحتان وينزل منه الى مستوى المسجد بثلاث عشرة درجة ارتفاع الدرجة ربع المتر .

(٤) باب العباس بن عبد المطلب — سمي بذلك لأنه يقابل داره بالمسعى وسماه ابن الحاج في منسكه باب الجنائز ولعل ذلك لأنه كان يصلى فيه على الجنائز ، وهذا الباب ذو فتحات ثلاث للدخول منها ، وله إحدى عشرة درجة ومكتوب على يسار الداخل منه على الحائط بخط الثلث الجميل (الله . محمد . أبو بكر . عمر . عثمان) رضوان الله عليهم أجمعين سنة ١٢٩٩ هـ . وفوق ذلك كتب بالخط الثلث الدقيق (قد وقع هذا الانشاء الشريف بإشارة السلطان الأعظم السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان أيد الله ملكه سنة ٩٨٨ هـ) .





منظر باب علي الحرام المكي

88. Door of Ali in Mecca Mosque.

منظر باب الصفا بالحرم المكي



منظر باب الصفا بالحرم المكي

89. View of the door of El Safa at Mecca.

(٥) باب عليّ — ويعرف بباب بنى هاشم ، قال الأزرقى : وباب البطحاء أيضاً وفيه ثلاث فتحات وأرتفاعه عن أرض المسجد ١٣ درجة ارتفاع الواحدة منها ٢٨ سنتيمتراً وعليه كتابة جميلة للسلطان مراد سنة ٩٨٤ هـ . (انظر الرسم ٨٨ الذى أستعرناه من خليل افندى قازانلى المصنوع بالمدينة) .

وبالجهة الجنوبية : (١) باب بازان — سمي بذلك لأن عين مكة المعروفة ببازان قربه — كل محل ينزل اليه بدرج ويكون مستطيلاً يسمى بازان — قاله جمال الدين محمد بن محمد نور الدين فى كتابه الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف — وسماه الأزرقى باب بنى عائد ويسمى الآن أيضاً باب القره قول (المخفر) لأنه أمامه ، وهذا الباب ذو فتحتين ، وله ١٣ درجة ، ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُؤفُونَ بِالنَّدَى وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ سنة ٩٨٤ هـ . للسلطان مراد بن السلطان سليم خان .

(٢) باب البغلة — وهو ذو فتحتين قال الفاسى : ولم أدر ما سبب هذه الشهرة ، وعرفه الأزرقى بباب بنى سفيان ، وله إحدى عشرة درجة ينزل منها الى أرض المسجد ، ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ صدق الله العظيم . والحمد لله رب العالمين . وذلك بالخط الثلث .

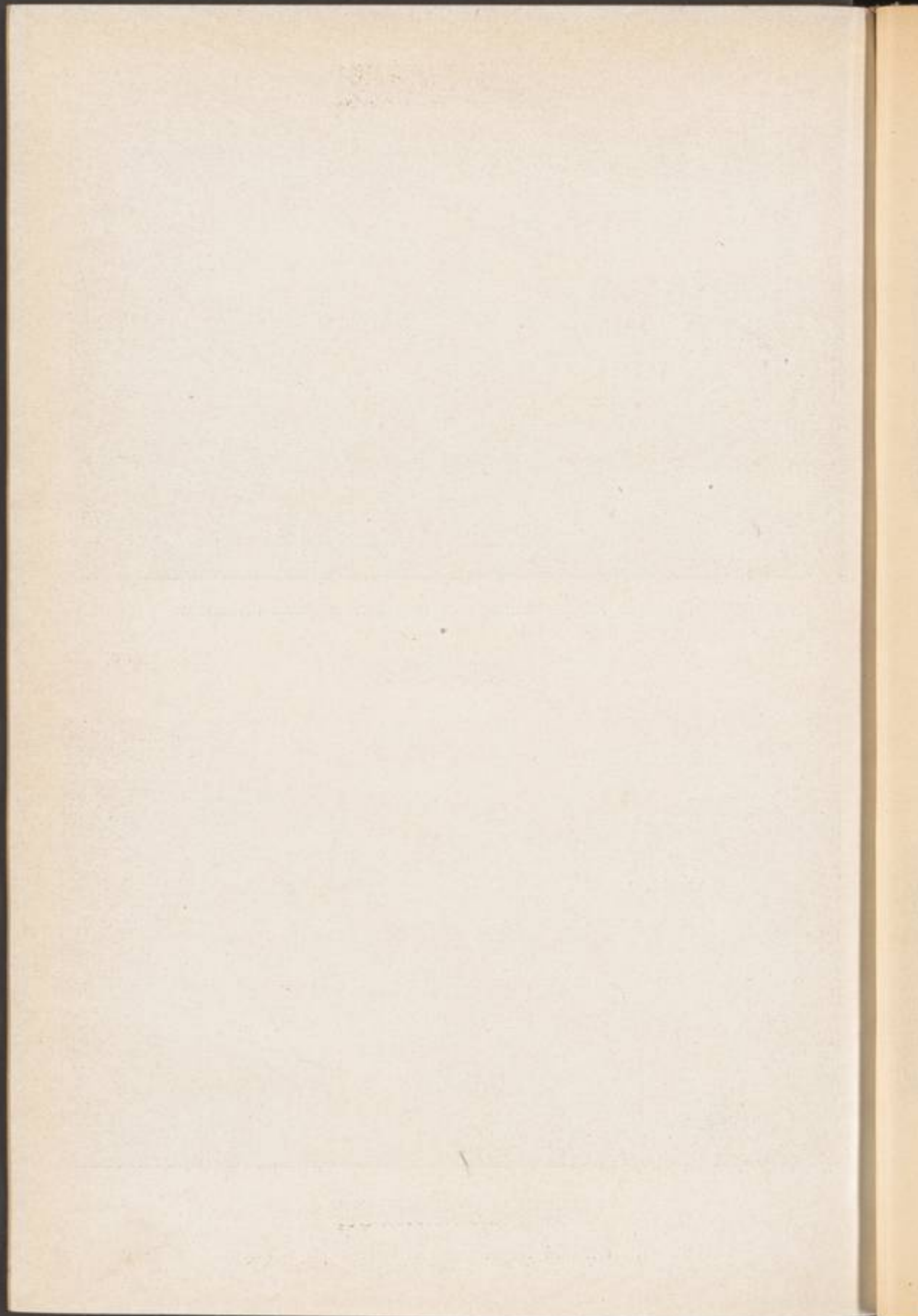
(٣) باب الصفا — سمي بذلك لأنه بلى الصفا وعرفه الفقهاء فى المناسك بباب بنى مخزوم وكذا عرفه الأزرقى وهو ذو خمس فتحات أو طاقات أو أبواب وله أربع عشرة درجة ينزل منها الى أرض المسجد ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (انظر الرسم ٨٩) وترى فيه أفضاصاً تحفظ فيها أحذية الداخلين .

(٤) باب إحياد الصغير — كذا سماه ابن جبير وسماه أيضا باب الخلفين ولا يعرف السبب في هذا وسماه الأزرق أيضا باب بنى مخزوم وهذا الباب له طاقان ويتزل منه الى المسجد بتسع درجات .

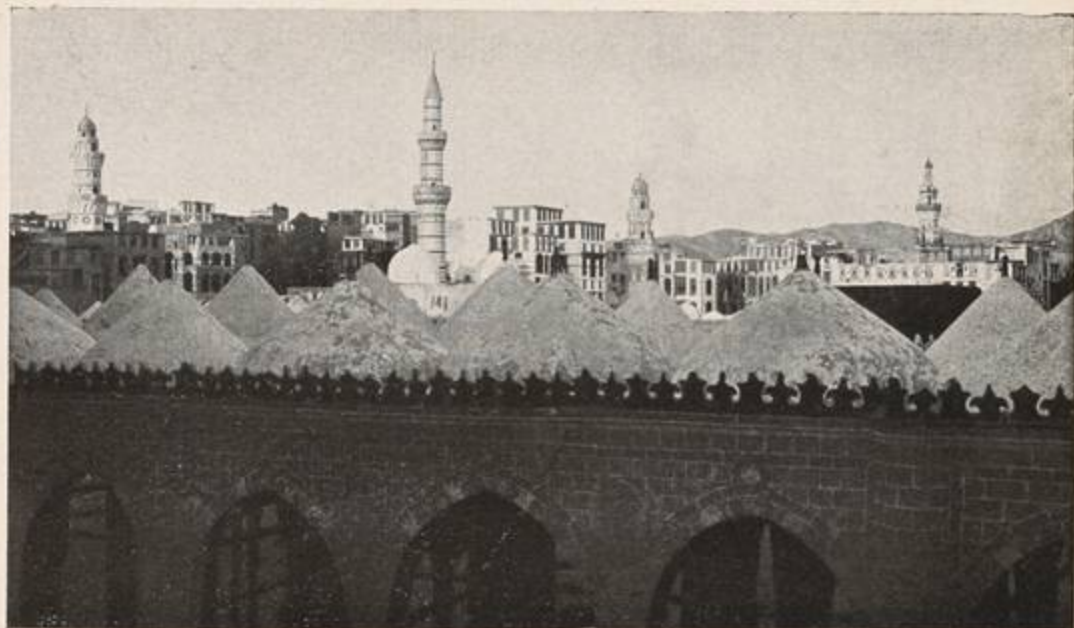
(٥) باب المجاهدية — وأطلق ذلك عليه لأن عنده مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن كذا عرفه الفاسي ويقال له : باب الرحمة ولم يعرف سبب هذه التسمية (انظر الرسم ٧٤) ، وذكر الأزرق : أنه من أبواب بنى مخزوم فذلك أبواب ثلاثة متجاورة يطلق على كل منها باب بنى مخزوم لكونهم كانوا ساكنين بتلك الجهة .

(٦) باب مدرسة الشريف مجلان — سمي بذلك لأنها بجانبه كذا عرفه الفاسي وعرفه الفاسي بباب بنى تيم ويقال له : باب التكية لأن أمامه التكية المصرية وله فتحتان ويتزل منه الى أرض المسجد بأحد عشر سلما ، ومكتوب عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَوَهَبْنَا لِداوودَ سُلَيْمَانَ نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَاشِيِّ الصَّافِيَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْمِحَابِ ﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(٧) باب أم هانئ — بنت أبي طالب وبذلك عرفه الأزرق وذكر الفاسي أنه يسمى بباب الملاعبة لأنه بجذاء دار تنسب للقواد الملاعبة يعني في زمنه ، وعرفه الأقشهرى بباب الفرج ويطلق عليه الآن باب الحميدية (دار الحكومة التركية) لأنها أمامه وأشهر أسمائه الأسم الأول لأن ما يليه من المسجد كان دارا لأم هانئ زوج هبيرة بن عمرو المخزومي ، وكان عندها بئر جاهلية فدخلت الدار والبئر في المسجد في زيادة المهدي الثانية ، وحفر المهدي عوضها بئرا عند باب الوداع (الجزورة) ولهذا الباب منفذان أو طاقتان وله سلم ١٢ درجة يتزل منه الى أرض



الحرم المكي من جهة باب الراحمة



90. The Great Mosque at Mecca as seen from Ibrahim's Mausoleum.

أحد الجدران المكي من جهة الشمال الغربية



جدار المسجد المكي من جهة الشمال الغربية

91. The Northern Western view of the Mosque of Mecca.

المسجد الحرام ، ومكتوب عليه باللون الأصفر بالخط الثلث الجميل ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴾ .

وبالجانب الغربي : (١) باب الحزورة — قال الفاسي : المصحف الآن بباب عزورة والحزورة أسم لسوق في الجاهلية كانت في هذا المكان ودخلت في المسجد الحرام عند توسعته ويسمى باب البقالية ، قال الأزرقى : ويقال له باب بنى حكيم بن خزام وبنى الزبير بن العوام ، والغالب عليه باب الخزامية لأنه على خط الخزامية ، ويقال له الآن : باب الوداع لأن الناس يخرجون منه عند سفرهم ، ولهذا الباب فتحتان وسلم من الداخل ذو درجات عشر وعليه بين البابين تاريخ للملك الناصر فرج بن السلطان الشهيد الظاهر أبو سعيد برقوق سنة ٨٠٤ هـ . ومكتوب على الباب يا مبدئى يا معيد . ﴿ إِنَّ آيَةَ فَرَضِ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ . ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

(٢) باب إبراهيم — قال الفاسي : وإبراهيم المنسوب إليه هذا الباب كان خياطاً يجلس عنده على ما قيل كما ذكره البكري في كتاب المسالك والممالك ، وإن العوام نسبوه إليه . ووقع للحفاظ أبى القاسم بن عساكر وأبن جبير وغيرهما من العلماء ما يقتضى أنه الخليل عليه السلام وهو بعيد لا وجه له اهـ . وهذا الباب في الزيادة التي في هذا الجانب ، وهو ذو فتحة واحدة كبيرة وهو أكبر أبواب المسجد ، ومكتوب على يمين هذا الباب ﴿ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وعلى اليسار « أمر بعمارة هذا الباب المعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى » بدون تاريخ ، انظر داخل المسجد الحرام من جهة باب إبراهيم في (الرسم ٩٠) الذى ترى فيه قباب المسجد وشرفاته .

(٣) باب صغير — بمدرسة الشريف عبد المطلب .

(٤) باب الداودية — صغير أيضا وله ١٣ سلما .

(٥) باب العمرة — وسمى بذلك لأن المعتمرين من التعميم يخرجون ويدخلون منه في الغالب وسماه الأزرقى باب بنى سهم ، وهو ذو طاق واحد ويتزل منه الى مستوى المسجد بثقى عشرة درجة .

وفي الجانب الشمالى : (١) باب عمرو بن العاص — ويقال له : باب السدة لكونه سدّ ثم فتح ، ويقال له : الباب العتيق ، وهو ذو فتحة واحدة صغيرة ويعلو أرض المسجد بنجس عشرة درجة .

(٢) باب الزمامية — وهو باب صغير ذو فتحة واحدة وله تسع درجبات تصل بك الى أرض المسجد .

(٣) باب العجلة — لكونه عند دار العجلة ولا يدرى ما هذه العجلة ، ويقال له باب الباسطية لأنه مجاور لمدرسة عبد الباسط وله فتحة واحدة واثنان عشرة درجة .

(٤) باب القطبي — ويقال له : باب الزيادة لكونه غربي الزيادة التي في شمالى المسجد ، وهو ذو فتحة واحدة وله ١٣ درجة .

(٥) باب سويقة — وهو في صدر زيادة دار الندوة أى في شماليها ، ويعرف الآن بباب الزيادة ، وكان يقال هذا على باب القطبي ، ولباب سويقة ثلاث فتحات ويتزل منه الى أرض المسجد بثلاث عشرة درجة .

(٦) باب المحكمة — وهو صغير ذو فتحة واحدة ولا سلم له .

(٧) باب الكتبخانة — ويقال له : باب المدرسة ذو فتحة واحدة .

(٨) باب دريبة — وهو في الطرف الشمالى الشرقى وذو فتحة واحدة .

مآذن المسجد الحرام — له سبع مآذن : (الأولى) مثذنة باب العمرة في ركن المسجد الشمالى الغربى ، وقد بناها المنصور العباسى في عمارته للمسجد سنة ١٣٩ هـ .

وجدها وزير صاحب الموصل سنة ٥٥١ هـ . وأصلحت في سنة ٨٤٣ هـ . في ولاية السلطان جقمق ، وفي سنة ٩٣١ هـ . أمر السلطان سليمان بهدم هذه المنارة وإعادة بنائها محكما ، (الثانية) مئذنة باب السلام عمرها المهدي العباسي سنة ١٦٨ هـ . (الثالثة) مئذنة باب عليّ عمرها المهدي أيضا في التاريخ السالف ، وجددت بالحجر الأصفر في عمارة السلطان سليمان للمسجد . (الرابعة) مئذنة باب الحزورة (باب الوداع) عمرها المهدي أيضا ، ثم عمرت زمن الأشرف شعبان صاحب مصر ، وكانت سقطت سنة ٧٧١ هـ . فعمرت في السنة التالية . (الخامسة) مئذنة باب الزيادة عمرها المعتضد العباسي لما بنى الزيادة سنة ٢٨٤ هـ . ثم جددها الأشرف برسبای في سنة ٨٢٦ هـ . (السادسة) مئذنة قايتباي بالمدرسة المعروفة باسمه ، وهي مجاورة لباب السلام على يسار الداخل الى المسجد وقد عمرت في حدود سنة ٨٨٠ هـ . (السابعة) مئذنة السليمانية في المدرسة المعروفة باسمها ، وكل هذه المآذن حصلت فيها زيادات وترميمات في العمارة الكبيرة التي قام بها السلطان سليم الثاني وأبوه في المسجد كما ستقف على ذلك بعد ، وكذلك رمت في سنة ١٠٧٢ هـ . على يد سليمان بك والى جدّة والحرم من قبل السلطان محمد كركلار الأغا وكل هذه المآذن يؤذن عليها الآن في الأوقات الخمس وشيخ المؤذنين أو الميقاتي يؤذن على قبة زمزم فيتبعه باقي المؤذنين على المآذن ومثبت في الحائط الجنوبي لهذه القبة مزولة أهداها رجل مراكني الى المسجد وهي في غاية الضبط والإحكام وعليها ميقاتهم في النهار . أنظر في (الرسم ٩١) ست مآذن من السبع .

توسعة المسجد الحرام وعمارته وتاريخ ذلك — ذكر الأزرق والامام أبو الحسن الماوردي وغيرهما أن المسجد الحرام كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه ليس عليه جدار يحيط به ، وكانت الدور محذقة به من كل جانب وبين الدور أزقة يدخل منها الناس ، وكانت حدوده حدود المطاف الآن وهو على ذلك من عهد إبراهيم عليه السلام ، فلما أن استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى دورا هدمها ووسع بها المسجد — وكانت تلك أول زيادة —

وأبي بعضهم أن يأخذ الثمن وامتنع من البيع فوضع أئمانها في خزانة الكعبة فأخذوها بعد ذلك، وقال لهم عمر: إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها ولم تنزل الكعبة عليكم ثم جعل سيدنا عمر على المسجد جدارا قصيرا محيطا به دون القامة وكانت المصابيح توضع عليه فكان عمر أول من اتخذ للمسجد جدارا ووضع له المصابيح، وذكر القاضي في جامعه: أن أول من استصبح لأهل الطواف عتبة بن الأزرق وكانت داره لاصقة بالمسجد فكان يضع في جداره مصباحا كبيرا يضيء لمن يطوف بالبيت . ولما كان زمن عثمان وكثر الناس آسرى دورا وسع بها المسجد وقد أبي قوم أن يدعوا فهدم عليهم فصاحوا به فقال لهم : إنما جئكم على حامي عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد ثم أمر بهم إلى الحبس حتى شفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجهم . وجعل عثمان للمسجد أروقة فكان أول من اتخذ الأروقة له وكانت توسعة عمر في سنة ١٧ هـ . وتوسعة عثمان في سنة ٢٦ هـ . وفي سنة ٦٤ هـ . اشترى عبد الله بن الزبير دورا وسع بها المسجد من جانبيه الشرق والجنوبي توسعة كبيرة ، ومن جملة ما اشتراه بعض دار الأزرق جد الأزرقي صاحب تاريخ مكة وكانت شرق المسجد، وقد اشترى بعضها هذا ببضعة عشر ألف دينار، وفي سنة ٧٥ هـ . حج عبد الملك بن مروان وعمر المسجد ولم يزد فيه ولكن رفع جدره وسقفه بالساج، وجعل في رأس كل أسطوانة ٥٠ مثقالا من الذهب ثم وسعه ابنه الوليد وتقض عمل أبيه وعمله عملا محكما وسقفه بالساج المنزخرف وأزر المسجد من داخله بالرخام وجعل له شرفا ، وجعل على رأس الأساطين الذهب على صفائح الشبه من الصفر (الشَّيْبَة والشَّيْبَة نوع من النحاس) وجعل في وجوه الطيقان من أعلاها الفسيفساء وهو أول من جعلها بالمسجد الحرام وأول من نقل إليه أساطين الرخام . وفي ولاية زياد بن عبد الله الحارثي على مكة أمره أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس

(١) فعل حكومتنا مثل هذا . فن أخذت منه شيئا للصالح العامة وأبي أخذت منه أودعته خزينة

بزيادة المسجد الحرام فوسعه من جانبه الشمالى ومن جانبه الغربى، ولم يجعل فيما وسعه من الجانبين إلا رواقا واحدا، وكان آتداء عمل ذلك فى المحرم سنة ١٣٧ هـ . والفراغ منه فى ذى الحجة سنة ١٤٠ هـ . وكانت زيادته ضعف ما كان عليه المسجد وقد زينته بالذهب وأنواع النقوش وبني مشذنة بنى سهم . ولما حج المنصور سنة ١٤٠ هـ رأى سحارة الحجر بادية فأمر عامله زيادا المذكور بتغطيتها بالرخام ليلا حتى اذا أصبح لا يراها إلا مغطاة وقد فعل ما أمر به على السراج قبل أن يصبح الصباح ثم إن المهدي بن أبى جعفر وسع المسجد الحرام بعد موت أبيه من أعلاه ومن الجانب اليمانى ومن الموضع الذى انتهى إليه أبوه فى الجانب الغربى حتى صار على ما هو عليه اليوم ما عدا الزيادتين فانهما أحدثتا بعده كما سيأتى . وكانت عمارة المهدي فى نوبتين الأولى فى سنة ١٦١ هـ . وزاد فيما زاده أبوه رواقين، والثانية فى سنة ١٦٧ هـ . وكان أمر بها لما حج حجته الثانية فى سنة ١٦٤ هـ . ورأى الكعبة فى شق من المسجد فكره ذلك وأحب أن تكون فى وسطه، فدعا المهندسين وشاورهم فى ذلك فقدروا ذلك فاذا هو لا يستوى لهم من أجل الوادى والسيل، وقالوا : إن وادى مكة له سيول قوية العزم ونخشى ان حولنا الوادى عن مكانه أن لا يتم لنا ما نريد، فقال المهدي : لا بد لى من سعة المسجد حتى تكون الكعبة فى وسطه ولو أنفقت فيه جميع ما فى بيوت المال وعظمت نيته فى ذلك وقوى عزمه، فقدر المهندسون ذلك وهو حاضر ونصبوا الرماح على الدور من أول موضع الوادى الى آخره ثم ذرعوه من فوق الرماح حتى عرفوا ما يدخل فى المسجد من ذلك وما يبقى فى الوادى ، ثم خرج المهدي الى العراق وخلف الأموال فاشتروا من الناس دورهم ووسعوا المسجد ولم يكمل ذلك إلا فى خلافة ابنه موسى الهادى لمعالجة المنية للمهدي، وكان مما عمل بعد موته بعض الجانب اليمانى وبعض الغربى، وأنفق المهدي رحمه الله فى ذلك أموالا عظيمة بحيث صار ثمن الذراع المربع مما دخل فى المسجد الحرام خمسة وعشرين دينارا — اثني عشر جنيها ونصفا — وثمانه مما دخل فى الوادى خمسة عشر دينارا، ونقل الى المسجد الحرام أساطين الرخام

من مصر وغيرها في السفن حتى أنزلت بجدة وحملت منها على العجل الى مكة ، قال الأزرقي : ووسع المهندسون باب بنى هاشم الذي يستقبل الوادي وجعلوا إزاءه بابا في الجهة الأخرى يقابل خط الخزامية — وهو باب الحزورة أو البقالين — وقالوا إذا جاء سيل عظيم ودخل المسجد خرج من ذلك الباب .

وفي خلافة هارون الرشيد عمل أمير مكة عبد الله بن محمد بن عمران الطلحي مظلة للمؤذنين التي على سطح المسجد ليؤذنوا فيها يوم الجمعة وكانوا يؤذنون قبل ذلك في يومها على سطح المسجد صيفا وشتاء .

ولم يزد في المسجد الحرام بعد عمارة المهدي سوى زيادة دار الندوة في الجانب الشامي (الشمالي) وزيادة باب إبراهيم في الجانب الغربي ، وكان سبب الزيادة الأولى كما فصله الفاسي عن إسحاق الخزامي أن بعض أهل الخير كتب الى وزير الخليفة المعتضد العباسي يحسن له جعل ما بقى من دار الندوة مسجدا ويقول له : إن هذه مكرمة لم تنهيا لأحد من الخلفاء بعد المهدي ، فلما بلغ ذلك المعتضد عظمت رغبته وأخرج لذلك مالا عظيما فأخرجت القمام — جمع قمامة وهي الكاسية — من دار الندوة وجعلت مسجدا ووصلت بالمسجد الكبير وعمره بأساطين وطاقت وأروقة مسقفة بالساج المزخرف ثم فتح لها في جدار المسجد الكبير اثنا عشر بابا بمقود ستة كبار، تحت كل عقد منها باب سعته خمسة أذرع في ارتفاع أحد عشر، وبين العقود الكبيرة ستة صغيرة تحت كل عقد باب سعته ذراعان ونصف في ارتفاع ثمانية أذرع وثلاث ، وجعل في هذه الزيادة من الخارج ثلاثة أبواب ، بابان طاقتان وباب طاق واحد شارعة الى الطريق التي حولها وجعل سقفا مسامتا لسقف المسجد الكبير وبني فيها مئذنة وشرفا ، وفرغ من ذلك في ثلاث سنين ، وذرع هذه الزيادة طولا أربعة وستون ذراعا من الشمال الى الجنوب ، وذرعها عرضا من وسط الجدار الشرقي الى وسط الغربي سبعون ذراعا بالحديد . ولم يبين إسحاق الخزامي السنة التي فرغ فيها من عمارة هذه الزيادة ولعل ذلك كان في سنة ٢٨٤ هـ . على مقتضى ما ذكره إسحاق من أن الكتابة الى المعتضد بسبب إنشائها كانت في سنة ٢٨١ هـ . ثم ذكر

أن القاضي محمد بن موسى لما كان إليه أمر البلد غير الطاقات (الأبواب) التي كانت في جدار المسجد الكبير وجعل ذلك بأساطين حجارة مدوّرة عليها ملاين - كتل خشبية في نهاية الأعمدة ومبدأ العقود - ساج بعقود من الآجر والحص الأبيض، فوصل الزيادة بالمسجد الكبير ووصولاً أحسن من الأول حتى صار من في دار الندوة من مصل ومستقبل يرى القبلة كلها وكان ذلك في سنة ٣٠٦ هـ . وقد كانت دار الندوة منزلاً للخلفاء والأمراء في صدر الإسلام إذا حجوا ، ولكن أهمل أمرها في منتصف القرن الثالث فأخذ يتهدم بناؤها وألقيت فيها القمام حتى أضيفت إلى المسجد .

وأما الزيادة التي في الجانب الغربي المعروفة بزيادة باب إبراهيم فنقل القاضي رحمه الله أنه لما كانت أيام جعفر المقتدر بالله أمير المؤمنين أمر أن يجعل هذا المحل مسجداً ويوصل بالمسجد الكبير ، فعمل على ما هو عليه اليوم فاتسع الناس به وصلوا فيه وكان ذلك سنة ٣٧٦ هـ . والمسقى الذي بالزيادة المذكورة من عمل الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون وكان إنشائه في حدود سنة ٧٥٩ هـ . أو في السنة التي بعدها ، وطول هذه الزيادة ٥٧ ذراعاً إلا ربعاً وعرضها اثنان وخمسون ذراعاً وربع .

وفي سنة ٦٤١ هـ . أجرى صاحب اليمن علي بن عمر عمارة داخل باب السلام ووقف كثيراً من الكتب للمسجد الحرام . وفي سنة ٧٨١ هـ . أرسل الأمير زين الدين العثماني من مصر مملوكه سودون باشا لعمارة المسجد الحرام وكان مما عمله تحلية الباب والميزاب وتبييض سطح الكعبة .

وفي ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة ٨٠٢ هـ . ظهرت نار من رباط رامشت المعروف الآن برباط ناظر الناصر عند باب الحزورة المعروف بباب عزورة بالجانب الغربي من المسجد الحرام ، فلم يكن غير لحظة حتى تعلقت النار بسقف المسجد وعم الحريق الجانب الغربي وبعض الرواقين المقدمين من الجانب

الشامى بما فى ذلك من السقوف والأساطين الرخام وصارت قطعاً وانتهى الحريق إلى محاذة باب العجلة وصار ما احترق أكواماً عظيمة تمنع من الصلاة فى موضعها ومن رؤية البيت الشريف ثم من الله بعمارة ذلك فى مدة يسيرة على يد الأمير يسوق الظاهرى ، وكان قدومه لذلك سنة ٨٠٣ هـ . فلما رحل الحاج من مكة شرع فى رفع الأكوام حتى فرغ منها ، ثم ابتدأ فى العمارة حتى عاد ذلك كما كان ، وكان الفراغ من ذلك فى أواخر شعبان سنة ٨٠٤ هـ . وعجب الناس كثيراً من سرعة العمارة فى هذه المدة لأن من رأى ذلك قبل العمارة يقطع بأن هذه العمارة إنما تم فى مدة سنتين باعتبار العادة فى العمارات ، فسهل الله فراغها فى تلك المدة وجعلت الأساطين فى الجانب الغربى كلها من حجارة منحوتة وكذلك الجانب الشامى ما خلا أساطين يسيرة فى مقدمه فانها رخام مكسر ملصق بالحديد ، ولم يبق من ذلك محتاجاً للعمارة إلا سقف الجانب الغربى وما أخره عن إتمام ذلك إلا فقده خشب الساج ولو وجده لأتم ذلك قبل موسم سنة ٨٠٤ هـ . ولما كان المحرم مفتوح شهور سنة ٨٠٧ هـ . قدم إلى مكة الأمير يسوق فأخذ يجمع الخشب ويعده للسقف ثم وضعه فى محاله بسرعة ، وكان ذلك الخشب من العرعر جىء به من الطائف إلى مكة ، وقد عمر فى تلك السنة مواضع من المسجد كانت متشعبة وسقوفاً فيه ونقشه وكان ذلك فى أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق . وفى هذه السنة عمرت سقاية العباس بالبحر وكانت بالخشب عمرها الجواد الأصبهاني وزير صاحب الموصل .

وفى سنة ٨١٥ هـ . عمرت أماكن بالمسجد ، وفى سقفه وكان القائم بذلك قاضى مكة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة من مال تطوع به أهل الخير . وقد كثر بعد ذلك الخلل والتشعب فى جدر المسجد وعمده وأبوابه وسقفه فقيض الله لإصلاح ذلك الأمير زين الدين مقبلاً القديدى موقداً من قبل ملك مدر وصاحبها الأشرف برسباى ، فقام بعمارة كبيرة فى كل المسجد فأقام عشرات العقود وجدد كثيراً من أبواب المسجد وعمرت سقوفه وطلبت بالنورة وكان ذلك فى سنتي ٢٥ و ٢٦ بعد الثمانمائة .

وفي سنة ٨٤٢ هـ . عمر الأمير سيدوم سقف المسجد ، وفي سنة ٨٥٢ هـ .
رُم بعض أماكنه بريم خواجه ناظر الحرمين من قبل السلطان چقمق .

وفي سنة ٧٧٨ هـ . عمر السلطان الغورى باب إبراهيم فجعل له عقدا بعد أن
لم يكن ، وجعل فى أعلاه قصرا وفى جانبيه سكنين وبيوتا تغل بالكراء وبى مياضة
خارج باب إبراهيم .

وفي سنة ٩٧٩ هـ . صدر أمر السلطان سليم خان ببناء المسجد الحرام على
أكمل درجات الاتقان وأن يعترض عن السقف بقبب دائرية وأرسل الى سنان باشا
صاحب مصر ليعث من يقوم بهذا العمل من الكبار ، فعين الباشا أحمد بك فكان
تعييننا صادف أهله فإنه طبع على حب الخير وعدم الاكتراث بالدنيا وشدة العطف
على الفقراء ، وقد وصل مكة سلخ ذى الحجة سنة ٩٧٩ هـ . ومعه الإجازات السلطانية
بمباشرة البناء على أن يكون تحت إشراف القاضى حسين مدبر المملكة الحسينية وسفير
الأقطار الحجازية ، واستصحب أحمد بك شيخ المهندسين بمصر المعلم محمدا المصرى ،
وقد بدأ بالهدم يتلوه التعمير من باب السلام وكان ذلك فى الرابع عشر من ربيع الأول
سنة ٩٨٠ هـ . ولم يزل يبنى على الشكل الذى نراه الآن حتى أتم الجانين الشرقى
واليمانى ، وقد أتى نعى السلطان سليم خان وتولية ابنه السلطان مراد ، وورد منه أمر
لأحمد بك بأن يستمر فى عمارة المسجد ويستنجزه الاتمام ، فخذ جدّه فى العمارة حتى
أتم المسجد فى أواخر سنة ٩٨٤ هـ . فكان زهة الناظر وجلاء الخطاير وبلغ ما أنفق
فى هذه العمارة ١١٠٠٠٠ دينار (٥٥٠٠٠٠ جنيه تقريبا) ومائة ألف من الذهب
الإبريز ، وذلك عدا ما وصل من مصر من مواد البناء مثل الخشب والحديد وأهلة
القباب المطلية بالذهب ، وهذا الشكل هو الذى تراه بالمسجد الى يومنا هذا وقد
وصفناه لك قبلا .

وفى هذه العمارة خفض العمال أرض الشارع الموصل الى المسفلة بحيث صار
يصرف ما عساه يدخل الى المسجد من مياه السيول التى كثيرا ما كانت سببا فى تقص

أركانه وهدم بنيانه وقد رُم المسجد الحرام في سنة ١٠٧٢ هـ . سليمان بك والى جدة
وشيخ المسجد الحرام بمال زوّده به سلطان مصر محمد كركار الأغا .

هذا وقد كانت الزيادات التي تختلف من الدور التي دخلت في تربع المسجد
في كل عماراته يبنى بعضها مدارس وبعضها أروقة يسكن فيها فقراء طلبة العلم
في المسجد، وكان لها أوقاف جمّة ولكن كثيرا ما تغيرت أوقافها واستبدل بها غيرها
أو خرجت من يد واقف الى يد آخر أقوى منه ، ومن ذلك مدرسة قايتباي التي
لا تزال للآن على يسار الداخل الى المسجد من باب السلام فانها بعد أن كانت
مدرسة تدرس فيها علوم الدين ولها أوقاف بمصر تصرف غلاتها عليها ضعفت أوقافها
شيئا فشيئا فتقلوها من دار علم الى دار ضيافة كان يتزل فيها أمراء الحج المصري ثم
سار يسكنها بعض أشرف بني غالب .

مقام إبراهيم عليه السلام — (١) ما المراد به . قال تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ
وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾
وقال تعالى ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ قال شيخ المفسرين ابن جرير في تفسيره
اختلف أهل التأويل في مقام إبراهيم فقال بعضهم : مقامه هو الحج كله (أى
مشاعره)، وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وعطاء، وقال آخرون : مقام إبراهيم
عرفة والمزدلفة والجمار، وحكى ذلك عن هؤلاء الثلاثة أيضا، وقال آخرون : مقام
إبراهيم الحجر الذي قام عليه إبراهيم حين ارتفع بناؤه وضعف عن رفع الحجارة وأسندته
الى ابن عباس، وقالت طائفة رابعة : بل مقام إبراهيم هو مقامه المعروف في المسجد
الحرام وعزا ذلك الى قتادة وعمار والسدى، ثم قال ابن جرير : وأولى هذه الأقوال
بالصواب عندنا ما قاله القائلون إن مقام إبراهيم هو المقام المعروف بهذا الاسم الذي
هو في المسجد الحرام، لما روينا عن عمر بن الخطاب أنه قال : قلت يا رسول الله !
لو اتخذت المقام مصلى فأنزل الله ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ولما حدثنا
يوسف بن سليمان قال : حدثنا حاتم بن إسماعيل قال : حدثنا جعفر بن محمد عن
أبيه عن جابر قال : استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا

ثم تقدم الى مقام ابراهيم فقرأ ((وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)) بفعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين ، فهذان الخبران يثبتان أن الله تعالى ذكره إنما عنى بمقام ابراهيم الذى أمرنا الله باتخاذ مصلى هو الذى وصفنا ، ولو لم يكن على صحة ما اخترنا فى تأويل ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان الواجب فيه من القول ما قلنا ، وذلك أن الكلام محمول معناه على ظاهره المعروف دون باطنه المجهول حتى يأتى ما يدل على خلاف ذلك مما يجب التسليم له ، ولا شك أن المعروف فى الناس بمقام ابراهيم هو المصلى الذى فيه قال الله تعالى ذكره ((وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)) وقد روى الخبرين اللذين ذكرهما ابن جرير البخارى فى صحيحه الأول فى كتاب التفسير والثانى فى كتاب الحج ونرى أن الآية صريحة فى أن المصلى بعض من المقام أى موضع التيام والحجر لا يصح أن يكون مصلى لصغره فالمقام مكان غيره أكبر منه ولعل الحجر المعروف الآن بمقام ابراهيم كان موضوعا فى مكان قيامه علامة عليه .

(٢) قياس المقام - (الحجر) وتحليلته . قال القاضى عز الدين بن جماعة : حررت لما كنت مجاورا بمكة سنة ٧٥٣ هـ . مقدار ارتفاع المقام عن الأرض فكان $\frac{7}{8}$ الذراع ، وأعلى المقام مربع من كل جهة $\frac{1}{2}$ الذراع ، وموضع غوص القدمين ملابس بالفضة ، وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط من ذراع التماس المستعمل فى مصر . هـ .

وأقول ما حلى المقام فى خلافة المهدي العباسى لأنه رفع فانثلم لرخاوة مجرده ، فكتب الحجة الى المهدي يعرفونه بذلك وأنهم يحشون عليه أن يتفتت ، فبعث المهدي فى سنة ١٦١ هـ . بألف دينار أو أكثر فضهبوا بذلك المقام من أعلاه وأسفله ، فلما كان فى خلافة المتوكل زاد فى تضييب المقام سنة ٢٣٦ هـ . ومقدار ما زاده ٨٠٠٠ مثقال من الذهب و ٧٠٠٠٠ درهم من الفضة وكان ذلك فوق حليته الأولى ثم أن جمعفر بن الفضل عامل مكة ومحمد بن حاتم قلعا حلية المتوكل وضرباها دنانير ليستعينا بها على ما قيل فى حرب إسماعيل بن يوسف العلوى الذى خرج وأفسد بمكة والحجاز فى سنة ٢٥١ هـ . ولم تزل حلية المهدي على المقام الى أن قلعت عنه

في محرم سنة ٢٥٦ هـ . لأجل إصلاحه لأن الحجبة ذكروا لعامل مكة علي بن الحسن العباسي أن المقام وهي وتسلت أحجاره ويخشى عليه ، وسألوه في تجديد عمله وتضيبه حتى يشتد فأجابهم لسؤالهم وزادهم ذهباً وفضة الى حليته الأولى ، فعمل له طوقان من ذهب فيهما ١٩٩٢ مثقال ، وطوق من فضة ، وأحضر المقام الى دار الإمارة وأذيت له العقاقير بالزئبق وشد بها شداً جيداً حتى التصق ، وكان قبل ذلك سبع قطع زال عنها الالتصاق لما قلعت الحلية عنه سنة ٢٥٥ أو ٢٥٦ هـ . لأجل إصلاحه ، وكان الذي شدته بيده في هذه السنة بشر الخادم مولى أمير المؤمنين المعتمد العباسي وحمل المقام بعد لصقه وتركيب الحلية عليه لشده الى موضعه وكان ذلك في يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ٢٥٦ هـ .

(٣) موضع المقام والمصلى خلفه — قال التقي الفاسي : روى الأزرقى

— توفي سنة ٢١٧ هـ — عن ابن أبي مليكة أن موضع المقام الآن هو موضعه في الجاهلية وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفين بعده إلا أن السيل — سيل أم نهشل سنة ١٧ هـ — ذهب به في خلافة عمر رضي الله عنه فجعل في وجه الكعبة — الجهة الشرقية التي فيها الباب — حتى قدم عمر فردّه الى مكانه بمحضر من الصحابة ، ونقل المحب الطبري عن مالك في مدوّنته أنه قال : كان المقام في عهد ابراهيم عليه السلام في مكانه اليوم وكان أهل الجاهلية ألصقوه بالبيت خيفة السيل ، فكان كذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، فلما ولى عمر ردّه بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حتى أخروه ، قال التقي الفاسي : وهذا يخالف قول الأزرقى وحديث جابر الصحيح ، ثم قال بعد كلام طويل : فيتحصل فيمن ردّه الى موضعه الآن — سنة ٨١٢ هـ — ثلاثة أقوال : أحدها أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، والثاني أنه عمر ، والثالث أنه غيرهما ، ثم قال : موضع المقام الآن هو موضعه في عهد الخليل عليه السلام من غير خلاف أعلمه في ذلك ، وأما الخلاف في موضعه اليوم هل هو

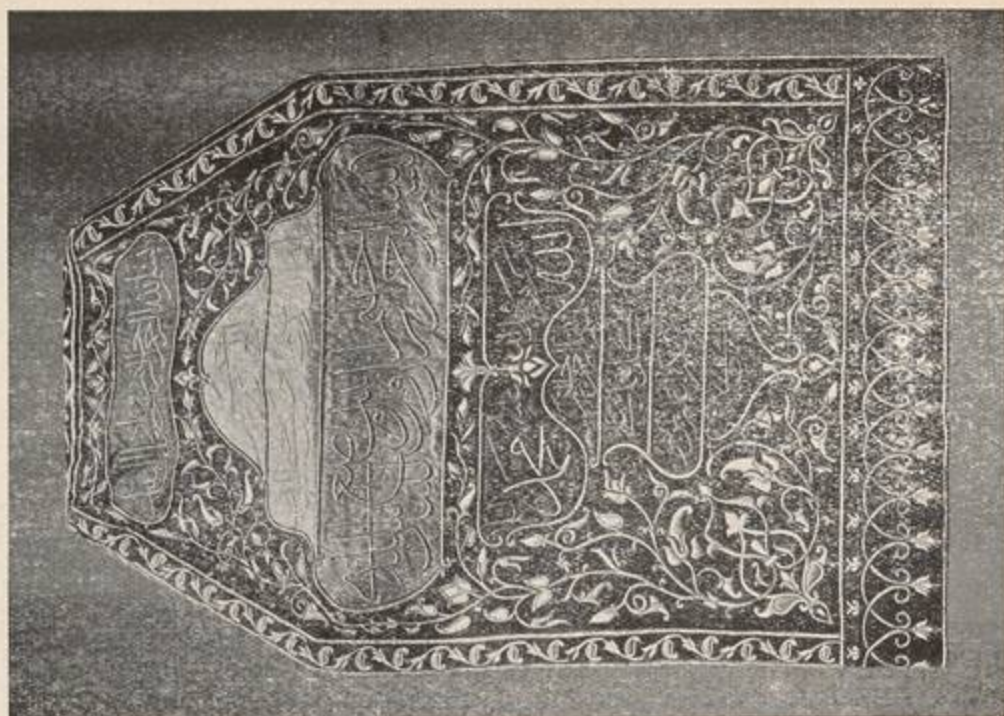
موضعه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن أبي مليكة أو لا كما قال مالك ،
ثم قال وكان ردّ عمر للمقام الى موضعه هذا لما غيره عنه السيل سنة ١٧ هـ .

قال التقي الفاسي : المقام الآن تحت قبة عالية من خشب قائمة على أربعة أعمدة
دقيقة من حجارة منحوتة بينها أربعة شبابيك من حديد بين كل عمودين شباك ، ومن
الجهة الشرقية يدخل الى المقام ، والقبة مزخرفة من باطنها بالذهب ، ومما يلي السماء
مبيضة بالنورة ، وأما المصلى الذي هو خلف المقام فعليه ظلة قائمة على أربعة أعمدة
منها عمودان عليهما القبة إذ هي متصلة بالقبة ، والظلة مزخرف سقفها من الباطن
بالذهب ومبيض من أعلاه بالنورة ، وأحدث وقت صنع فيه ذلك شهر رجب
سنة ٨١٠ هـ . واسم الملك الناصر فرج صاحب الديار المصرية والشامية مكتوب فيه
بسبب هذه العمارة ، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر مكتوب
في الشباك الشرق بسبب عمارته له سنة ٧٢٨ هـ . ومقام ابراهيم في وسط القبة
بين شبابيكها الأربعة الحديدية ، ويحيط بالمقام قبة من الحديد — مقصورة —
مثبتة في الأرض برصاص مصبوب بحيث لا يستطيع قلع القبة التي فوقه إلا بالمعاول
وشبهها ، ولعل هذه القبة الحديدية هي التي كانت توضع فوقه عند قدوم الحاج الى
مكة صوتا له لكونها أشدّ تحملا للازدحام والاستلام على ما ذكر ابن جبير في رحلته
سنة ٥٧٩ هـ . وقد ذكر ما يدل على أن المقام لم يكن ثابتا بل كان تارة يجعل
في الكعبة وتارة في موضعه الآن في قبة من خشب ، فاذا كان الموسم أبدل بها القبة
الحديدية ، قال التقي الفاسي وما عرفت متى جعل المقام ثابتا في القبة على صفته
التي هو عليها الآن ، وأما القبة التي فوق القبة الحديدية التي في جوفها المقام فاطن
أن الملك المسعود صاحب اليمن ومكة أول من بناها . هـ .

وقد جدّدت قبة المقام في سنة ٩٠٠ هـ . وكذلك في سنة ١٠٤٩ هـ . ونقشها
بالذهب في سنة ١٠٧٢ هـ . سليمان بك والى جدّة ومكة من قبل سلطان مصر محمد

كرلار ، وقد رأيت مكتوبا على القبة من الجهة الجنوبية « أمر بتجديد هذا المقام الشريف مولانا العبد الفقير الى الله تعالى سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى عز نصره فى ١٥ شهر رجب الفرد سنة ٥٩٠٠ هـ . ومكتوبا عليها فى الجهة الغربية المقابلة لباب الكعبة « أمر بتجديد هذا المقام المعظم سيدنا ومولانا السلطان المظفر سليم خان بن السلطان بايزيد خان - وعلى الجهة الشمالية بقية أجداده - سنة ١٠٤٩ هـ . » وقد قست المسافة بين المقصورة التى على المقام وجدار الكعبة الذى فيه الباب من الوسط فاذا هى ١٥٠,٤٠ مترا، ودخلت المقصورة مع المطوف فوضع من ماء زمزم على أثر القدمين وشربنا منه فى حجتنا هذه سنة ١٣١٨ هـ . وكان خليقا بى وبالمطوف أن تتجنب التبرك بالآثار والشرب من مواطئ الاقدام وأن ندع هذه البدعة جانبا ولا نفعل عند هذا الأثر سوى ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة عنده امتثالاً لأمر الله تعالى ﴿ وَأَنْخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ ﴾ ولكنى كنت فى هذا الوقت لما تتضح معلوماتى الدينية فى الحج ومشاعره ولم أكن وقفت تمام الوقوف على تأثير البدع السيئ فى الدين ، وقد دعانى الإنصاف الى ذكر الواقع ودعانى البصر بالدين الى انكار ما حصل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ .

وقد رسمت المقام فى حجتى سنة ١٣٢٥ هـ . وهو الذى تراه فى (الرسم ٣٣) بجوار الكعبة والمنبر ، وبالتأمل فى الرسم تجد فى كل جهة شباكين وترى فى وسط المقام القبة . وفى (الرسم ٩٣) الجانب الأمامى من كسوة المقام التى تصنعها مصر ، وفى الجدول الآتى ما سطر على كسوة المقام :



53. The Carpet on Ibrahim's mausoleum.

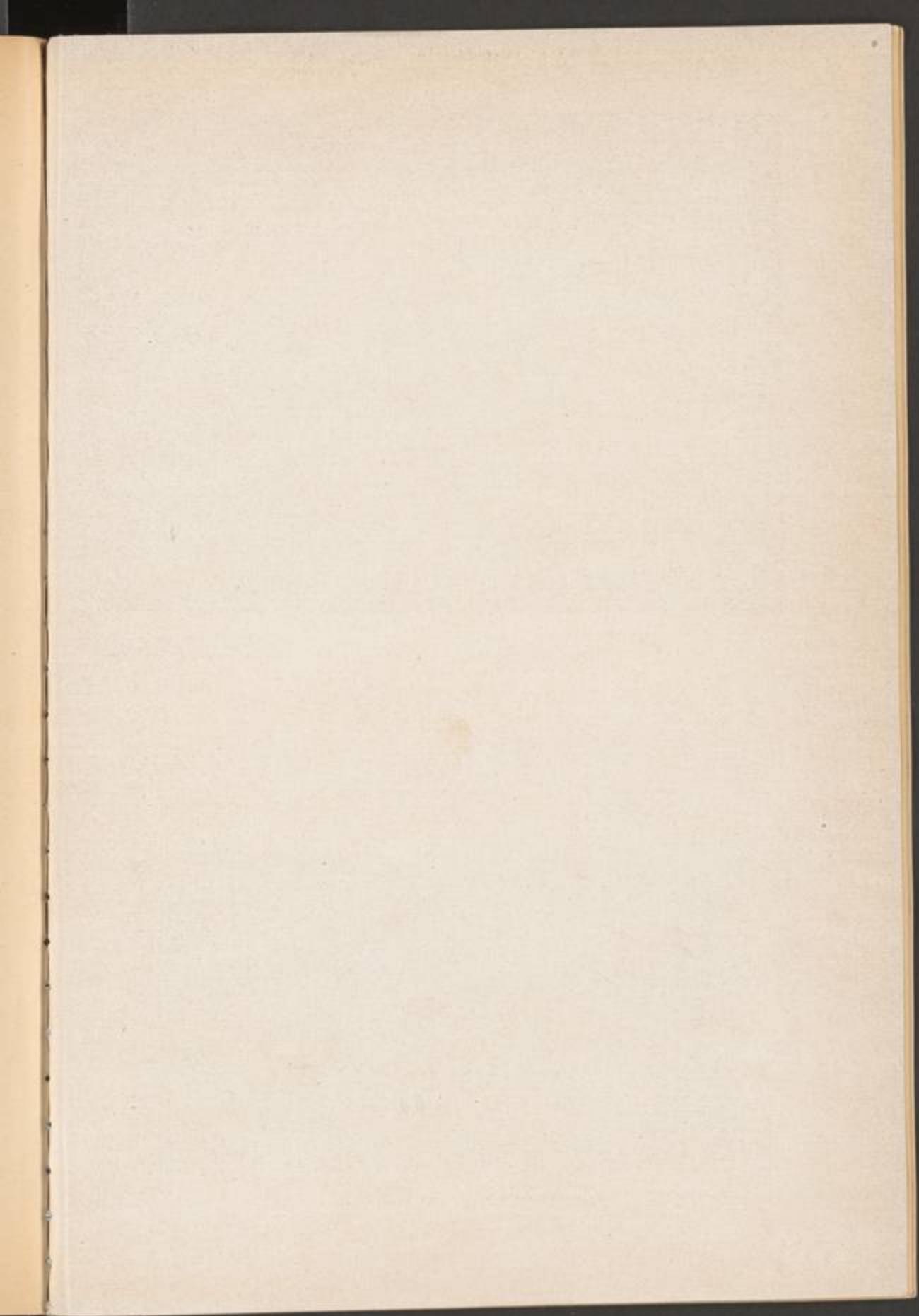
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

منظر الكعبة المشرفة بالسيارة الكريمة بركة المكرم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ



92. The Northern-Eastern view of the Kaaba and the Praying Places of the four caliphs in the Mosque of Mecca.



ما سطر على كسوة مقام إبراهيم عليه السلام

الوجه الرابع	الوجه الثالث	الوجه الثاني	الوجه الأول
الطائفين والعاكفين والركع السجود واعلم أن الله عزيز حكيم . صدق الله ربنا وخالفنا العزيز الرحيم اليه سيلا ومن كفر فان الله غفي عن العالمين حسن رضى الله عنه حسين رضى الله عنه ابن السلطان أحمد خان خلد الله خلافته وأيد بالعدل سلطنته الى انتهاء الزمان وزيade الموران سنة ١٣٢٧ هـ	وصهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي إليك ثم اجعل على كل جبل منين جزا ثم ادعون يا أيديك سمعا دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع عشان رضى الله عنه علي رضى الله عنه السلطان محمد خان الخامس ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان ابن السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان	منابة للناس وأنا وأخذوا من مقام إبراهيم صل قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذا ربعة من العايرهم من بيكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن أبو بكر رضى الله عنه عمر رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شيما	بسم الله الرحمن الرحيم . وإن جعلنا البيت بسم الله الرحمن الرحيم . وإن قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى بسم الله الرحمن الرحيم . إن أول بيت وضع للناس للذى الله جل جلاله . محمد صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سيلا

المقامات الأربع أو مواقف الأئمة في الصلوات المفروضة

قال التقي الفاسي في كتابه شفاء الغرام :

مقام الشافعي خلف مقام إبراهيم بينه وبين جدار الكعبة الشرفى $\frac{1}{4}$ ذراعا بذراع الحديد وبينه وبين الأسطوانتين المؤخرتين من سباط مقام إبراهيم $\frac{1}{4}$ أذرع - وأقول إن هذا المقام لا وجود له الآن وإمام الشافعية يصلى في مقام إبراهيم أو على سطح زمزم قال : ومقام الحنفى بين جدار محرابه الى وسط جدار الحجر $\frac{5}{6}$ ذراعا ، ومن جدار محرابه الى حد حاشية المطاف $\frac{1}{4}$ ١٠ أذرع بالعتبة ، وعرض العتبة نصف ذراع وقيراطان ، ومقام المالكي من جدار محرابه الى وسط جدار الكعبة الغربى $\frac{2}{3}$ ٣٧ ذراعا ومن جدار المحراب الى حاشية المطاف بالعتبة $\frac{1}{4}$ ١٠ أذرع ، ومقام الحنبلى من جدار المحراب الى الحجر الأسود فى الجنوب $\frac{2}{3}$ ٢٧ ذراعا بعتبة الحاشية « ذراع الحديد $\frac{1}{4}$ ٥٦ سنتيا كما سأتى بيانه » .

(١) مقام الحنفى قال التقي الفاسي : فى أوائل سنة ٥٨٠١هـ . وأوائل سنة ٥٨٠٢هـ . بنى مقام السادة الحنفية وهو قائم على أربع أساطين من حجارة عليها سقف مدهون مزخرف ، وأعله مما يلى السماء مطلى بالنورة وبين الأسطوانتين المقدمتين محراب مرخم ، ثم قال : وأنكر عمله على هذه الصفة جماعة من العلماء منهم الشيخ العلامة زين الدين الفارسكورى الشافعى وألف فى ذلك تأليفا حسنا ، والشيخ سراج الدين البلقينى وولده جلال الدين قاضى القضاة بالديار المصرية وكذلك القضاة وأفتوا بهدم هذا المقام وتعزير من أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة ، ورسم ولى الأمر بهدمه فعارض فى ذلك بعض ذوى الهوى فلم يتم الأمر ، وسبب الإنكار ما حصل من شغل الأرض بالبناء وقلة الانتفاع بموضعه وما يتوقع من إفساد أهل اللهوفيه لأجل سترته لهم ، وسبب المعارضة أن بعض علماء الحنفية إذ ذاك أفتى بجواز بقاءه لما فيه من تظليل المساميين من الحر ووقايتهم من البرد والمطر ، وحكمه فى ذلك حكم الأروقة والأساطين التى فى المسجد ، وفى سنة ٨٣٦هـ . كشف الأمير سودون

المحمدي سقف المقام المذكور وعمره وزخرفه أحسن مما كان ووضع عليه من أعلاه قبة خشب مبيضة ترى من فوق ولا أثر لها داخل المقام، وفرش فيه حجارة حمراء من حجر الماء ثم جدد مرارا بعد ذلك، وآخر مرة في سنة ٩١٧ هـ واستمر على ذلك إلى سنة ٩٢٤ هـ. فلما حج الأمير مصالح الدين الرومي في موسم سنة ٩٢٣ هـ بدا له أن يهدمه فهدمه في مفتتح سنة ٩٢٤ هـ. وجعله قبة كبيرة شامخة على أربع بتر (قوائم مبنية) عراض جدًا بأربعة عقود، وكل ذلك عمل بحجر الماء المنحوت ذي اللون الأحمر فالأصفر، وهذا الحجر يؤتى به من جهة الحديدية ويقال له: الشميسي، وزاد في طول المقام وعرضه وانتهى بحجراه إلى إفريز حاشية المطاف وبقيت هذه القبة حتى سنة ٩٤٩ هـ. فأمر يهدمها السلطان لأنها أخذت بناء كبيراً من المسجد، فنفذ الأمر الأمير خشقلدي نائب جدة ومباشر العائر السلطانية فهدم هذه القبة في أوائل شهر رجب سنة ٩٣٩ هـ. ثم شرع في بناء مقام عظيم للحنفية، وشكله أربع بتر جميلة في الأركان أخذت من أنقاض القبة الأولى وهي من حجر الماء، وستة أعمدة مثنى من حجر الصوان كل عمود قطعة واحدة؛ فن ذلك عمودان بين البترتين المقدمتين وآخران بين المؤخرتين وعمود بين البترتين من ناحية باب العمرة وآخرين البترتين من جهة باب السلام مقابل للأول، وعلى ذلك عشرة عقود لطاف. وعلى ذلك سقف مزخرف من خشب الساج مصنوع صناعة ظريفة، وفوق هذا السقف ظلة للبلغين بأربع بتر، وستة أعمدة ألطف من الأعمدة التحتية وعلى شكلها في الوضع، وعلى جميعها سقف مزخرف فوقه جملي (جملون) غطى بالرصاص لدفع المطر وفي وسط السقف الأول طاقة يرى المبلغ منها الإمام، وفي المقام سلم جميل يصعد عليه المبلغ إلى الظلة في أوقات المكتوبة وقد أتم هذا البناء في ١٣ رمضان من السنة المذكورة، وفي سنة ٩٧٤ هـ رخم مقام الحنفية بأمر السلطان أحمد خان، وفي سنة ١٠١٠ هـ. رخم محراب هذا المقام وفي سنة ١٠٧٢ هـ. بنى سليمان بك وإلى جدة وشيخ الحرم وناظر عمارته من قبل السلطان محمد كزلاز الأعيا - المقام الحنفي بالحجر الصوان المنحوت وبالحجر الأصفر وصفح أعلى سقفه بالرصاص المطلى

بالذهب ، وجعل عليه رصافتين طليتا بالذهب كما جعل أمامه أربع رصافيات مطلية بالذهب ونمش نقوشا جميلة بماء الذهب والأصباغ البديعة انظر (الرسم ٩٢) وفيه ترى الجهة الشمالية والشرقية من المسجد والكعبة في وسط الصحن ، والذي في يسار الرسم مقام الحنفى ذو الطبقتين ومقام المالكي ثم أعمدة المطاف ثم الحجر على شكل نصف دائرة بجوار الكعبة ، والذي على يمينها مقام إبراهيم فالقبة فباب بنى شيبة فمزرم عليها قبة أيضا ، ويلاصقها سقاية العباس ، والذي في جنوب السقاية مقام الحنبلي .

(٢ و ٣ و ٤) مقامات الشافعي والمالكي والحنبلي . عمر الأمير يسبق هذه المقامات الثلاث في سنة ٨٠٧ هـ . وكان كل مقام منها عبارة عن بترتين عليهما عقد لطيف في أعلاه ثلاث شراريق وفيه خشبة معترضة علقت فيها الخطاطيف للقناديل ، وبين البترتين من أسفل جدار لطيف بنى من حجارة ونورة فيه محراب إلا مقام الشافعي فإنه لا محراب فيه ، قال الفاسي في كتابه شفاء الغرام : وقد ذكرنا صفتها القديمة في أصل هذا الكتاب ولكن هذا الأصل لم يوجد بعد الفاسي ولا عثر عليه قال ابن ظهيرة في كتابه الجامع اللطيف : مقام الشافعي كذلك الى يومنا هذا ، وأما مقام المالكي والحنبلي فقد أدركتهما كذلك ثم غيرا بعد سنة ٩٣٠ هـ . بأحسن مما كانا عليه في أيام السلطان سليمان خان ، قال : ووصفهما الآن كل مقام بأربع أساطين ممتنة الشكل ، كل أسطوانة قطعة واحدة من الحجر الصوان المكي ، وتحت كل أسطوانة قاعدة منحوتة بتربيع وتئين ، وفوقها أخرى كذلك من الحجر الصوان فوق ذلك سقف من الخشب المدهون المزخرف فوقه أخشاب بيهية جملي (جملون) عليها صفائح الرصاص لدفع المطر ، وفي كل مقام محراب فيما بين الأسطوانتين المقدمتين الى جهة القبلة ، وهما كذلك الى هذا التاريخ وكان المباشر لذلك عبد الكريم اليازجي الرومي ، وفي سنة ٩٧٤ هـ . رمت المقامات الثلاث بأمر السلطان أحمد خان .

وفي سنة ١٠٧٢ هـ . نقشت الثلاثة بماء الذهب والأصباغ الجميلة وذلك بأمر سليمان بك والى جدّة السابق ذكره، وكذلك جعل في أعلى كل مقام منها رصافية مطلية بالذهب وأمام كل منها ثلاث كذلك .

كيفية الصلاة في المقامات الأربع — قال ابن ظهيرة في كتابه الجامع اللطيف : أما كيفية الصلاة فانهم في زماننا — منتصف القرن العاشر — يصلون مرتين الشافعي في مقام الخليل عليه السلام ، ثم إمام الحنفية بعده في مقامه ، ثم إمام المالكية بعده في مقامه ، ثم إمام الحنبلية بعدهم في مقامه ، وهذا في الفجر والظهر والعصر والعشاء ؛ وأما في صلاة المغرب فكانت فيما أدركناه قريبا يصلي الحنفي والشافعي في وقت واحد فحصل بذلك التخليط والتشويش على المصلين من الطائفتين بسبب اشتباه أصوات المبلغين فأنتهى ذلك الى مولانا السلطان سليمان فبرز أمره بالنظر في ذلك وإزالة هذا التخليط ، فاجتمع القضاة والأمير على بك نائب جدّه في الحطيم وقضوا بأن يتقدّم الحنفي في صلاة المغرب وعند التمشيد يدخل إمام الشافعي وكان هذا في حدود سنة ٩٣١ هـ . واستمر الى وقتنا هذا — عام ٩٤٩ هـ . — بجزى الله الساعى في ذلك خيرا ؛ وأما المالكي والحنبلي فلا يصلون المغرب أئمة فيما أدركناه ؛ وأما كيفية الصلاة فيما تقدّم من الزمان فكانوا يصلون مرتين كما في الأربع الفروض المتقدمة إلا أن المالكي كان يصلي قبل الحنفي مدة ، ثم تقدّم عليه الحنفي بعد سنة ٧٩٠ هـ . ونقل الفاسي عن ابن جبير أنه اضطرب كلامه في الحنفي والحنبلي ، لأنه ذكر ما يقتضى أن كلا منهما كان يصلي قبل الآخر ، أما صلاة المغرب فكان الأئمة الأربعة يصلونها جميعا في وقت واحد فيحصل للمصلين بسبب ذلك لبس كبير من اشتباه أصوات المبلغين واختلاف حركات المصلين فأنكر العلماء ذلك وسعى جماعة من أهل الخير عند ولى الأمر إذ ذاك وهو الناصر فرج بن برقوق الحرکسى صاحب مصر فبرز أمره في موسم سنة ٨١١ هـ . بأن إمام الشافعية بالمسجد الحرام يصلي المغرب وحده فتفد أمره بذلك ، واستمر الى أن تولى الملك المؤيد صاحب

مصر فرسم بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب كما كانوا فنفذوا ذلك في ليلة السادس من ذى الحجة سنة ٨١٦ هـ . وكذلك يجتمع الأئمة الثلاثة غير الشافعي على صلاة العشاء في رمضان ويجتمع الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة بالمسجد الحرام في صلاة التراويح ويحصل بسبب اجتماعهم التشويش على المصلين الذي كان يقع دائما في صلاة المغرب وأعظم لكثرة الأئمة .

هذا وقد أئكر العلماء من كل المذاهب تعدد لأئمة في الصلوات الخمس ، واستشنعوا ذلك خصوصا في صلاة المغرب إذ يصلى الكل دفعة واحدة أنظر (شفاء الغرام) أما في وقتنا هذا (سنة ١٣١٨ هـ) فالحنفي يتدى بالصلاة في جميع الأوقات ويتلوه المالكي ثم الشافعي ثم الحنبلي إلا صلاة الصبح فيبدأ بها الشافعي ويتأخر بها عنهم الحنفي .

وأما الوقت الذي حدث فيه تعدد الأئمة في الصلوات المفروضة فقال القاسمي : لم أعرفه تحقيقا ثم قل ما يدل على أن الحنفي والمالكي كانا مع الشافعي في سنة ٤٩٧ هـ . وأن الحنبلي لم يكن في ذلك الوقت وإنما كان إمام الزيدية ، ثم قال : ووجدت ما يدل على أن إمام الحنبلية كان موجودا في عشر الأربعين وخمسمائة راجع الرسالة التي كتبها الشيخ جمال الدين القاسمي في بدعة تعدد الأئمة .

منبر المسجد الحرام — كان الخطباء من الخلفاء والولاة يحطبون بالمسجد الحرام يوم الجمعة قياما على الأرض في وجه الكعبة وفي الحجر حتى كانت سنة ٤٤٤ هـ . إذ قدم معاوية بن أبي سفيان من الشام حاجا وصحبته منبر من خشب ذو درجات ثلاث خطب عليه بالمسجد الحرام وتركه وكان كلما تخرب عمره ، ولم يزل يخطب عليه حتى حج هارون الرشيد فأهدى له عامله على مصر موسى بن عيسى منبرا من خشب ذا درجات تسع ونقش بديع ، فكان منبر المسجد ونقل الأول الى عرفة ، ثم أمر الواثق العباسي بعمل منبر للمسجد وأحرلني وثالث لعرفة ولما حج المتصربن المتوكل العباسي في خلافة أبيه جعل له منبر عظيم فخطب عليه بمكة ثم خرج وخلفه بها

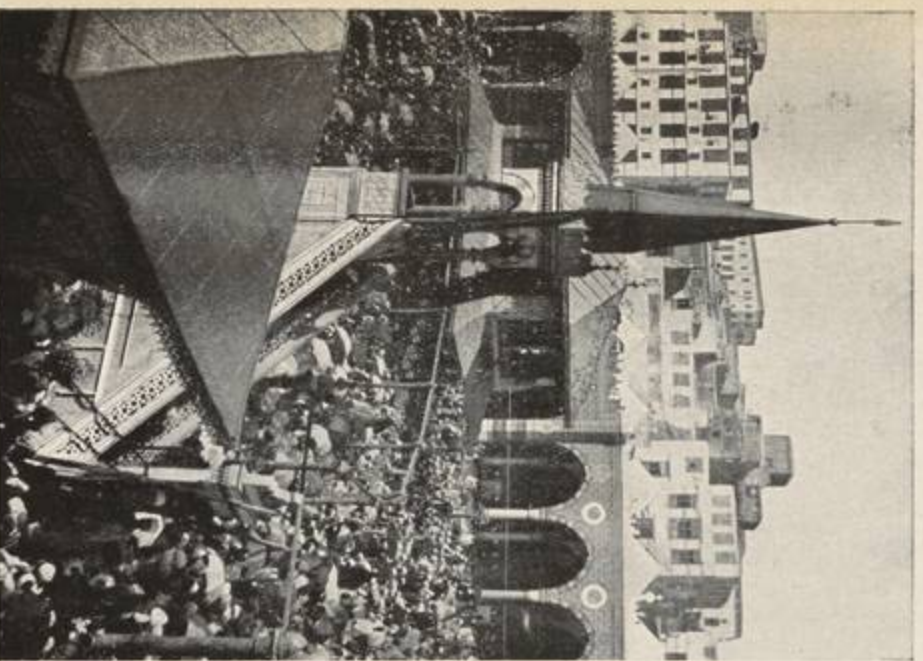
1870

1870

1870

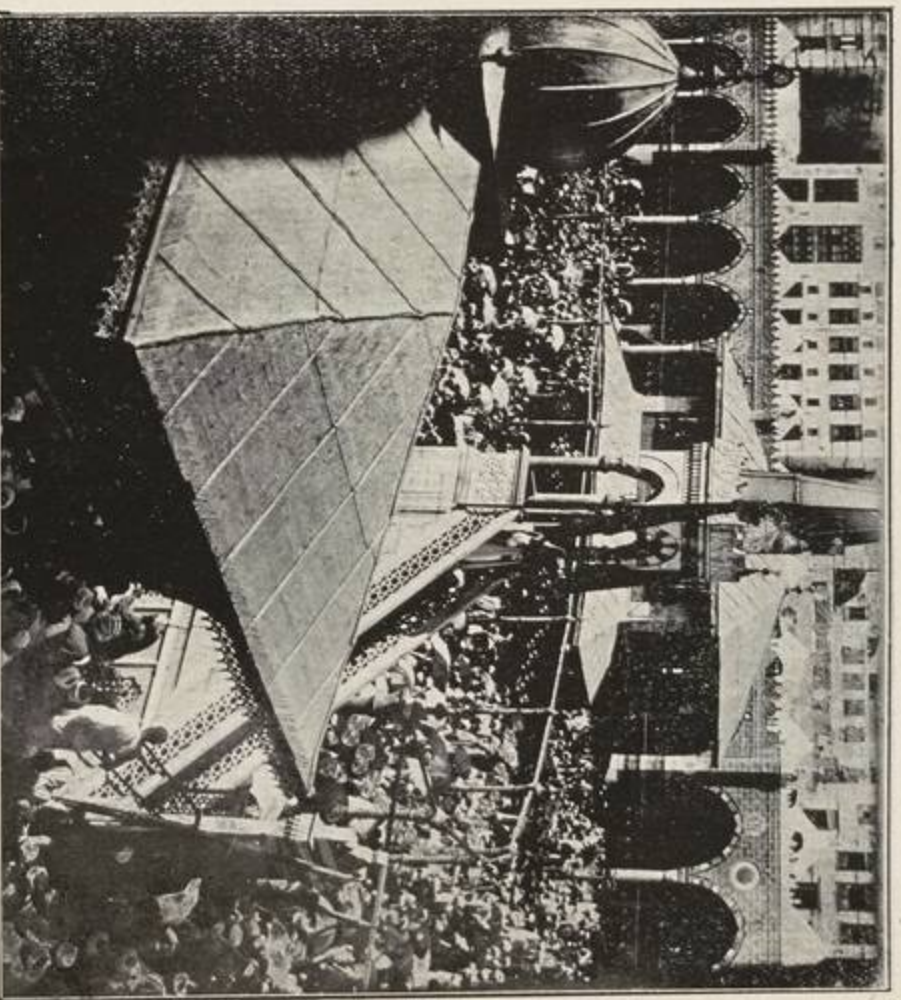
منظر الخطيبين على المنبر في صلاة الجمعة بجزيرة مكة

صحة ٢٥٣



المنبر بالمسجد الحرام والحجاج مجتمعون لصلاة الجمعة

صحة ٢٥٣



44. The preacher in the Pulpit during Friday Prays at Mecca Mosque.

95. The pulpit of the Mosque of Mecca 1325 A. H.

وجعل للمسجد بعد ذلك عمدة منابر، فمن ذلك منبر عمله وزير المقتدى العباسي وأرسله من بغداد وكان منقوشا عليه بالذهب « لا إله إلا الله محمد رسول الله الإمام المقتدى بالله أمير المؤمنين » وقد بلغت نفقاته ألف دينار (٥٠٠ جنيه) ولما وصل إلى مكة أحرقه المصريون ولم يبد اعتراضا على ذلك أمير مكة محمد بن جعفر، وأقول من قطع الخطبة لملوك مصر وخطب لملوك بني العباس بعد أن قطعت الخطبة لهم نحو مائة سنة وأبي أهل مصر إلا أن تكون الخطبة للمستنصر العبيدي صاحب مصر فخطب له . ثم كان بعد ذلك يخطب حينئذ لبني العباس وحينئذ لملوك مصر يقدم منهم من يجزل له العطاء ، وكانت عادة الخطباء بمكة أن تكل الثناء للملك كإلا من ذلك ما كان يقال لذلك الكامل في الخطبة (صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزائر ووليدتها سلطان القبليتين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين الملك الكامل خليل أمير المؤمنين) . ومنها منبر عمل في دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر في سنة ٧٦٦ هـ . وقد أصلح مراراً قال التقي القاسبي هو باق يخطب عليه الآن — سنة ٨١٥ هـ . وما حوالها — ومنها منبر حسن أنفذه الملك المؤيد صاحب مصر في موسم سنة ٨١٨ هـ . وخطب عليه في سابع ذي الحجة وهجرت الخطبة على الذي قبله، وفي السنة السابقة أرسل شيخو صاحب مصر منبرا من خشب خطب عليه في يوم التروية .

وفي سنة ٨٦٦ هـ . أرسل الملك الناصر « خوشقدم » صاحب مصر منبرا من خشب خطب عليه بالمسجد في ثاني ذي الحجة من السنة المذكورة ، وفي سنة ٨٧٧ هـ . أرسل الملك الأشرف قايتباي الظاهري منبرا من خشب خطب عليه في أول ذي الحجة سنة ٨٨١ هـ . وفي سنة ٩٦٦ هـ . بعث السلطان سليمان خان بالمنبر الرخام القائم الآن بفناء المسجد وهو آية في الأحكام ودقة الصناعة ودليل على ما للصناع من البراعة، وتراه في (الرسم ٩٤) كاملا، وفي (الرسم ٩٥) إذا دقت النظر رأيت الخطيب على المنبر يلبس جبة وقباء (قفطانا) وقد لف على صدره مع رأسه « شالا » .

وقد كتب على المنبر من جهة الكعبة « الحمد لله رب العالمين قد بنى سليمان منبرا
لبلد أمين » وعلى الجهة المقابلة لها « إنه من سليمان وإنه بسم الله صدق الله جل
اسمه سنة ٩٦٦ هـ . » وقد أرخ القاضي صلاح الدين بن ظهيرة القرشي المكي سنة
ورود هذا المنبر بقوله :

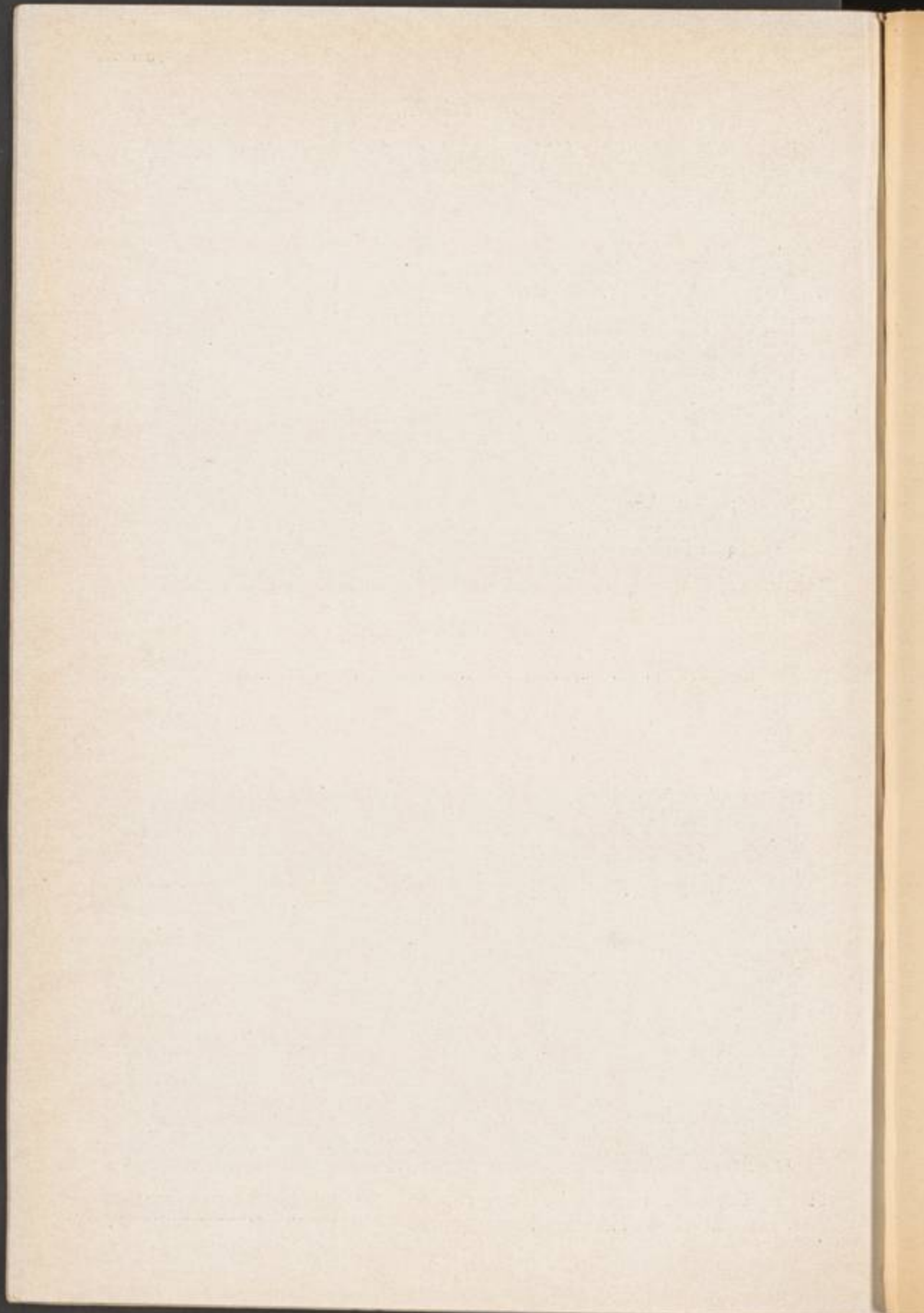
شيد الله ملك من * أسبغ الله ظله
وبأم القرى لقد * ضاعف الله نزه
إن ذا المنبر الذي * قدحوى الحسن كله
هاك تاريخه الذي * شهد الخلق فضله
لسليمان منبر * بالدعا شاهد له

سنة ٩٦٦ هـ

وأول خطبة خطبت عليه خطبة عيد الفطر قالها السيد أبو حامد النجاري ،
وفي الثاني والعشرين من ذى الحجة سنة ١٠٢٠ هـ . شرع في تركيب هلال المنبر
الذي أرسله السلطان وكان أعلى المنبر مبني بالآجر فهدم ذلك وجعل له ألواح ركبت
فيها الفضة المطلية بالذهب .

وقد كان الخطباء إذا أرادوا الخطبة في المسجد وضعوا المنبر لصق جدار الكعبة
بين الركن الأسود والركن اليماني ، فإذا أراد الخطيب أن يخطب استلم الحجر أولا ،
ثم دعا وصعد المنبر ، وبعد الخطبة كان ينقل المنبر الى مكانه بجوار زمزم ، فلما
أهدى السلطان سليمان الى المسجد الحرام منبره المذكور بقي مكانه واستمرت الخطبة
عليه الى اليوم ، وترى في (الريم ٩٦) الستارة التي تسدل على باب المنبر وهي من صنع
مصر .

والعادة الآن بل ومن قديم الزمان أنه اذا أراد الخطيب أن يخطب للجمعة يقبل
بين شخصين من الأغوات يتهادى بينهما يسد كل منهما راية ، ثم يعمد الى الحجر
الأسود فيقبله ويدعو عنده ، ثم يقصد الى المنبر بين الأذنين وأمامه شخص يضرب
بالفرقة — عود به جلد رقيق — في الهواء فيسمع من في داخل المسجد وخارجه

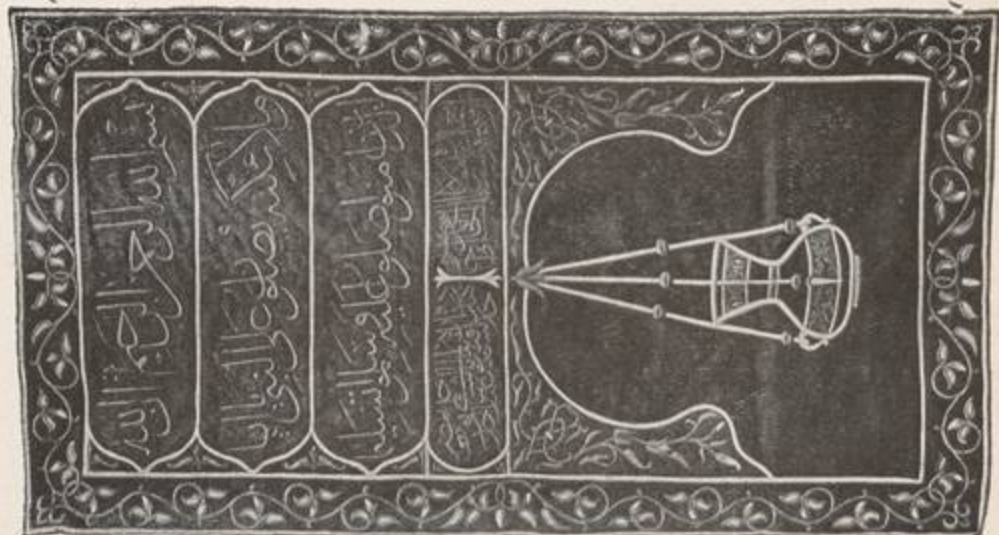


صلاة الجمعة حول الكعبة المشرفة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا دَعْوَةُ آدَمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ رَبِّي صَلِّ عَلَى آلِكَ وَسَلَّمَ

97. Pilgrims attending the Friday Prayers round the Kaaba.



96. A view of the curtain of the door of the pulpit in the Mosque of Mecca.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا دَعْوَةُ آدَمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ رَبِّي صَلِّ عَلَى آلِكَ وَسَلَّمَ

صلاة الجمعة حول الكعبة المشرفة

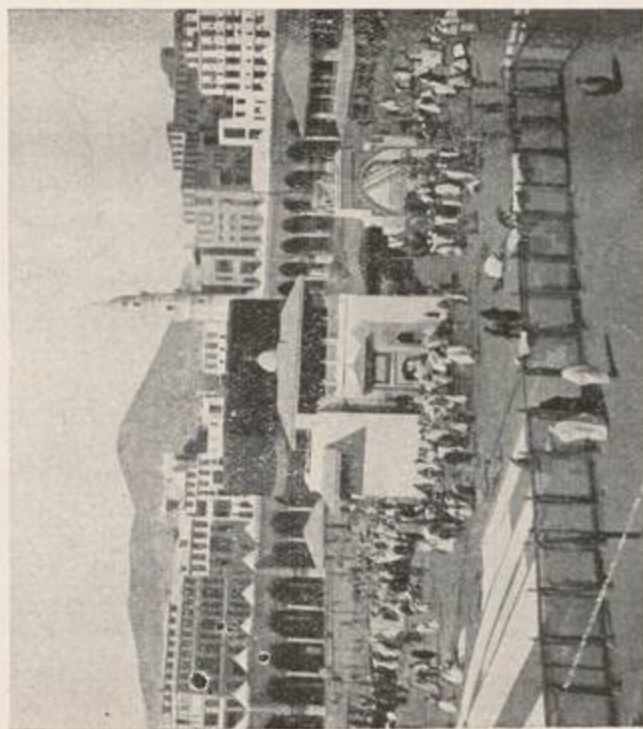


98. A view of the Friday Prayer in the Mosque of Mecca in El Hegga in 1325.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا
 وَكُنَّا لَهُ كَانِفِينَ

صحة ٢٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا
 وَكُنَّا لَهُ كَانِفِينَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا
 وَكُنَّا لَهُ كَانِفِينَ

99. A view of Zamzam with the pilgrims drinking from it.

صوتها الشديد، ويقصد بذلك إعلام الناس بخروج الخطيب، فإذا ما كان على باب المنبر ناوله شخص هنالك سيفاً وثبتت الرايتان بجانب المنبر، فإذا ما رقى الدرجة الأولى ضربها بسيفه ضربة مسمعة، وكذلك يفعل في الدرجة الثانية والثالثة، فإذا ما وصل إلى العليا فعل بها كذلك ثم يدعو بدعاء خفي ويسلم على الناس يمينا وشمالا فيردون عليه، ثم يأخذ المؤذنون على ظهر زمزم في الأذان الثاني وبعد الفراغ منه يشرع في الخطبة ومما يقوله فيها: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ما طاف بهذا البيت طائف ويشير بأصبعه إلى الكعبة ويدعو للخلفاء الأربعة وعمى النبي صلى الله عليه وسلم وسبطيه وأمهما وجدهما وكذلك يدعو للخليفة وأمير مكة وإذا فرغ من الخطبة صلى وانصرف بجانبه حاملا الرايتين وبين يديه المفرقع يعلم الناس بانتهاء الخطبة والصلاة ﴿شَرَعُوا لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللهُ﴾ ويرى في (الرسم ٩٧) الناس وهم يصلون الجمعة بالمسجد الحرام في ذي الحجة سنة ١٣٢٠ هـ . والذي على يمين الكعبة مقام إبراهيم فباب بني شيبه فزمزم والسقاية — السقاية الآن مخزن لأدوات المسجد — وفي (الرسم ٩٨) منظر صلاة الجمعة في ذي الحجة سنة ١٣٢٥ هـ .

بئر زمزم — هذه البئر تقع جنوبي مقام إبراهيم بحيث إن الزاوية الشمالية الغربية من البناء القائم عليها محاذية للحجر الأسود على بعد ١٨ مترا منه، وماؤها طعمه قيسونى والبناء القائم عليها مربع من الداخل طول ضلعه ٥,٢٥ أمتار وهو مفروش بالرخام، وهذا البناء طبقتان : في الأولى منهما خدمة البئر، وفي الثانية خدمة من الخصيان (الأغوات) ويصعدا إليه من يريد الاستحمام على سلم من الخشب انظر (الرسم ٩٢) تجد بناء زمزم في شرقيه داخل المسجد . ويرى في (الرسم ٩٩) بناء زمزم والحجاج يدخلون إليه يستقون .

وهي بئر قديمة العهد ترجع إلى زمن إسماعيل عليه السلام، فإن أمه هاجر لما نزلت به في مكان البيت وظمى ولدها إسماعيل طلبت الماء فلم تجد به فجاء جبريل عليه السلام وبحث الأرض بعقبه، في رواية غمزها بعقبه — وكنتاهما في صحيح

البخارى — فنبع الماء على وجه الأرض ، فكان ذلك نشأة زمزم ، وأدارت هاجر عليه حوضاً خيفة أن يفوتها الماء قبل أن تملأ قربتها ، قالوا : ولو تركته لكانت زمزم عينا تجرى على وجه الأرض — على ماورد في الصحيح — وذكر الفاكهي ما يدل على أن ابراهيم عليه السلام حفر بئر زمزم بعد أن نبعت العين . وإذ ذلك بدأت عمارة مكة ولم يكن لأحد فيها قبل ذلك قرار فسكنتها قبيلة جرهم رغبة في ماؤها ، وقد غلب ذو القرنين إبراهيم على زمزم ردحا من الزمن ومازال ماؤها يتنفع به سكان مكة حتى استخفت جرهم بحرمة الكعبة وحرمتها فدرس موضعه حتى صار لا يعرف ، وقيل إن جرهما طمست البئر حين نفيت من مكة ، ولما كان زمن عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم أرى في المنام مكان زمزم فاستبانها وحفرها قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد مدة طويلة أخذ ماؤها يتقل حتى كاد ينقطع في سنة ٢٢٣ هـ . لأن البئر أهملت وهدم كثير من جوانبها فأخذ رجل من أهل الطائف يقال له محمد بن بشير يعمل فيها . قال الأزرقي : وقد صليت في قعرها وفيه ثلاث عيون : عين حذاء الركن الأسود وعين حذاء أبي قبيس والصفاء وعين حذاء المروة ، قال : وكان ذرع غورها من أعلاها الى أسفلها ٦٩ ذراعاً ، منها ٤٠ مبذية و ٢٩ نقر في الجبل من أسفلها ، قال التقي الفاسي : وقد قيس بحضورى ارتفاع فم البئر عن سطح الأرض وقطره ومحيطه فكان الارتفاع ذراعين إلا ربعا والقطر أربعة ونصفا والمحيط خمسة عشر ذراعاً إلا قيراطين ، وذلك بذراع الحديد $\frac{1}{4}$ ٥٦ سنتياً — قال التقي الفاسي : — أوائل القرن التاسع — وزمزم الآن داخل بيت مربع في جدرانها تسعة أحواض للماء تملأ من بئر زمزم ليتوضأ الناس منها ، وفي الحائط المقابل للكعبة شبابيك ، وفوق هذا البيت ظلة للؤذنين ولم أدر من أقام ذلك على هذه الصفة ، ثم ذكر أنه في سنة ٨٢٢ هـ . أجرى إصلاح كبير بل عمارة جديدة في هذا البيت وأحواضه والظلة التي فوقه للؤذنين وأن ذلك كان على نفقة الجناب العالي الكبير الشيخ علي بن محمد بن عبد الكريم الجيلاني نزيل مكة .

وفي سنة ٩٣٣ هـ . عمل لدائر بيت زمزم طراز مذهب وكتب فيه اسم مولانا
السلطان الملك المظفر سليمان نخبه آل عثمان .

وفي سنة ٩٤٨ هـ . جدد بيت زمزم على يد الأمير خشقدى فرنحت أرضه
وجعل عليه سقف فوقه مظلة مسقوفة بالخشب المنحرف عليه جملى (جمالون)
فى وسطه قبة مصفحة بالرصاص .

وفي سنة ١٠٢٠ هـ . وضع بأمر السلطان أحمد خان شبكة من الحديد بداخل
البئر ومنخفضة عن سطح الماء بمتراً ، لأن بعضاً من المجاذيب كانوا يلقون أنفسهم
فيها ليموتوا فداء حسب تصوّرهم وتجدد الآن — ١٣١٨ هـ . — مكتوباً على الشباك
الشمالى من جهة الباب « ماء زمزم شفاء من كل داء^(١) » « آية ما بيننا وبين المنافقين
أنهم لا يتضلعون من زمزم^(٢) » السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١ هـ . وتجدد مكتوباً
على بابها ما يأتى :

سرور لسلطان البسيطة والورا * عبد الحميد البر بجر المكارم
ونصر له أيضاً وفتح ورفعته * بتعمير هذا المآثر المتقادم
حفيرة ابراهيم يوم آبن هاجر * وركضة جبريل على عهد آدم

وعلى الشباك القبلى « ماء زمزم لما شرب له^(٣) . لا يجمع ماء زمزم ونار جهنم
فى جوف عبد^(٤) » (السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١ هـ) .

وقد ورد كثير من الأحاديث فى فضل ماء زمزم ، فمن ذلك ما رواه الطبرانى
فى معجمه بسند رجاله ثقات . وفى صحيح ابن حبان من حديث ابن عباس رضى
الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم » وذكر
البخارى فى صحيحه : أنه لما شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم غسل بماء زمزم

(١) رواه الديلمى فى مسند الفردوس وهو حديث ضعيف . (٢) رواه الحاكم وابن ماجه
والبخارى فى تاريخه . (٣) رواه أحمد فى مسنده والبيهق فى سننه وشعبة وابن أبى شيبة عن جابر بن
عبد الله بن عمرو . (٤) لم تر من خروج هذا الحديث .

قال العلامة ابن القيم في كتابه زاد المعاد في باب الطب : ماء زمزم سيد المياه وأشرفها وأجلها قدرا وأحبها الى النفوس وأغلاها ثمنا عند الناس ، وهو هزيمة جبريل وسقيا اسماعيل وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي ذر : وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة وليس له طعام غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إنما طعام طعم » وزاد غير مسلم بإسناده وشفاء سقم وفي سنن ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ماء زمزم لما شرب له » وقد ضعف هذا الحديث طائفة بعبد الله بن المؤمل راويه عن محمد بن المنكدر ، وقد روينا عن عبد الله بن المبارك أنه لما حج أتى زمزم فقال : اللهم إن ابن أبي الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه عن نيك صلى الله عليه وسلم أنه قال « ماء زمزم لما شرب له » فإني أشربه لظما يوم القيامة وابن أبي الموالى ثقة ، فالحديث اذا حسن وقد صححه بعضهم وجعله بعضهم موضوعا ، وكلا القولين فيه مجازفة ، وقد جربت أنا وغيرى من الاستشفاء بماء زمزم أمورا عجيبة وأستشفيت به من عدة أمراض فبرأت باذن الله وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريبا من نصف الشهر أو أكثر ولا يجد جوعا ويطوف مع الناس كأحدهم ، وأخبرني أنه ربما بقى عليه أربعين يوما وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مرارا ، انتهى كلامه فليس في الاستشفاء به مطعن لا من جهة الحديث ولا من جهة الطب وما الطب إلا التجارب ، وقد جرت عادة الناس بنقل هذا الماء الى الجهات النائية تبركا به ، قال التقي الفاسي : والأصل في جواز نقله ما روينا في جامع الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أنها حملت من ماء زمزم في القوارير ، وقالت : حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأداوى والقرب وكان يصب على المرضى ويسقيهم ، وروينا في شعب الايمان للبيهقى وفي سننه وقال : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

والحجاج في زمننا يستحضرون معهم المنسوجات البيضاء ويغسلونها بماء زمزم ويحفظونها في صحن المسجد (الرسم ٩٩) ثم يلفونها ويحفظونها ليكفونوا فيها بعد الوفاة ويأخذون الآن مياهها الى بلادهم في أواني صينية (دوارق) أو صفايح كبيرة ليتبركوا بها أو يهادوا، وإن حديث عائشة مع ما فيه من الغرابة ليس فيه ما يدل على جواز نقل هذه المياه للتبرك بها بل فيه أن هذا التقل للشرب منه أو مداواة المرضى به أى باستعماله شرابا أو صبا لا يحفظه في البيوت وأتماس البركة والخير به من هذه الناحية .

سقاية العباس — سقاية العباس حجرة كبيرة شرقي الكعبة وجنوبي زمزم ذات نوافذ وسقفها جملي (جمالوني) بارز عن جدرها ليستظل به الناس وقد وصفها الفاسي في وقته فقال : إنها بيت مربع في أعلاه قبة كبيرة وفي جهاتها الأربع عدا الجنوبي منها شبابيك من حديد ، وفي جانبها الشمالي من الخارج حوضان بينهما الباب وفي وسط البيت بركة كبيرة تملأ بالماء من زمزم بواسطة قناة سماوية من زمزم الى جدر البيت ثم يسلك قناة أرضية الى البركة فيخرج منها الماء على شكل فوارة وقال : إنها عمرت في سنة ٨٠٧ هـ . وقد كان العباس بن عبد المطلب يسقى فيها الحجيج ، وقد ذكر الفاسي : أن مقدار ما بين هذه السقاية والحجر الأسود ثمانون ذراعا بالذراع الحديد — $\frac{1}{4}$ ٥٦ سنتيا — أنظر (الرسم ٩٢) .

متفرقات في المسجد الحرام :

(١) الممشى الأربعة — قال العلامة الشيخ عبد الرحمن في بعض مسوداته : وأما الممشى الأربعة التي إحداها الى باب السلام ، والأخرى الى باب الصفا ، والثالثة الى باب العمرة ، والرابعة الى باب الخزوة فقد أحدثت بعد أن فرش المطاف بالمرمر سنة ١٠٠٣ هـ .

(٢) المزاويل بالمسجد — قال ابن ظهيرة : وفي الظلة التي فوق بيت زمزم مزولة يعلم بها الماضي والباقي من النهار ، وفي سادس ذي الحجة سنة ١٠٧٩ هـ .

وضع الشيخ محمد بن سليمان المغربي مزولة تجاه باب السلام بنى لها بكرة طول قامته الرجل ويرى الانسان رسومها حبال الركن الشرقى على ممشى باب السلام وكان موضعها فيما سلف مزولة عملها الوزير الأصفهاني الملقب بالحواد .

(٣) قناديل المسجد — في الجهة الشرقية ١٦٧ ، وفي الغربية ١٤٧ ، وفي الشمالية ٣٣٠ ، وفي القبلىة ١٨٧ ، وبين أعمدة المطاف ٢٥٧ ، فالجملة ١٠٨٨ .
عدا ما في زيادتي دار الندوة و ابراهيم وهذا حسب تعدادى لها سنة ١٣٢٠ هـ .

(٤) موظفو المسجد الحرام — له شيخ هو الوالى عادة ونائب ووكيل للنائب ومدير يقوم بشؤونه وفيه من الموظفين ما يقارب سبعمائة : منهم ١٠٧ مدرّس يتقاضى ٤٤ منهم مرتبا يتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ قرش والباقون متبرعون بالتدريس ، ومنهم ٧٩ إماما وخطيبا للحنفية المتبرعون منهم ٣٤ ، ويتقاضى ٤٥ منهم مرتبا . وللشافعية ٢٤ إماما وخطيبا المتبرعون منهم ١٦ والباقون بمرتب وأئمة ، وخطباء المالكية ١٤ المتبرعون منهم ثمانية : وللحنبلية ٥ المتبرعون اثنان منهم ، والامام أو الخطيب يتقاضى مرتبا يختلف بين ٤٠ و ١٠٠٠ و ٢٠٠٠ قرش ، ومنهم ٥٢ خصيا (أغا) من بينهم رئيس و تقيب لهم ، ومن ذلك ٤١ مؤذنا و ٨ وقّادين و ١٢ فراشا و ١٠ محافظين على النظام (مشدين) و ٣٠ كاسا و ٣٠ بوابا و ١١ جابادا (ملاء للماء) و ١٨١ غسالا لقناديل المسجد و ١٨ خادما خدمة سائرة ومن ضمنهم ٢٠ لهم مرتبات قديمة ، و ١٥ موظفا في سقاية زمزم الخ ، أما الذين يقومون بخدمة الكعبة فسدتها من باب بنى شيبه . وانلخدمة في المسجد الحرام وراثية في الأكثر .

وأول من رتب الأعوات في المسجد أبو جعفر المنصور وهم يقومون بأعمال مختلفة وخدمة المسجد الحرام مهنة من أشرف المهن يتباهى بها الخلفاء والسلاطين من قديم ، ومن ضمن الرتب في الدولة العلية رتبة « خادم الحرمين الشريفين » .

قال صديقنا محمد لبيب بك البتانونى ويدرس بالمسجد الحرام بعض العلوم العربية والتفسير على الطريقة القديمة العقيمة ويقدر عدد الطلبة ببضع مئات جلهم

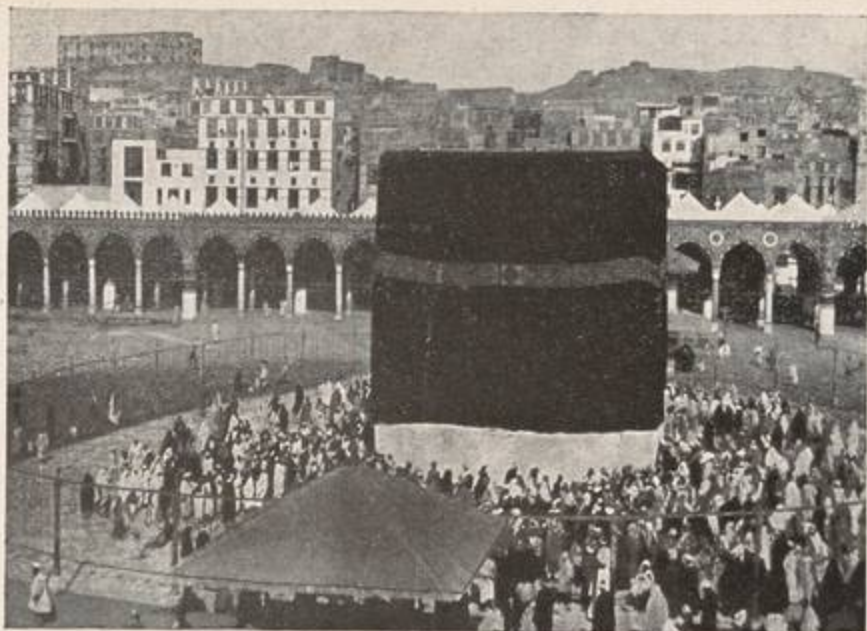
177

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

178

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

البيعة الأبرار لا يظن من البيعة العريضة



سجفة الأبرار لا يظن من البيعة العريضة

100. The Western view of El Kaaba.

فقدت النساء الجوارح



101. The women's enclosure in the Mecca Mosque.

من الجاوه الذين يفرون الى هذه البلاد من المظالم التي تساقط على رؤوسهم من حكومة بلادهم، ويشغلون وقت الدرس بالدراسة وفي وقت الفضاء يعملون عملا يرتزقون منه .

(٥) أعمدة المطاف — في سنة ١٣٣٢ هـ . أمر الواثق بالله بعمد عشرة جعلت على المطاف، وكانت من الخشب طويلة وأمر بثمان ثريات وضعت عليها ليستصبح بها الطائفون، وكانت مقسمة على جهات الكعبة الأربع في كل جهة ثنتان، ثم زيد في الأعمدة فبلغت اثنين وثلاثين من الخشب، ثم أبدلت بأعمدة من الحجر والأجر فكان منها ثمانية عشر من الأجر المخصص وأربعة عشر من الحجارة المنحوتة، ووصل بينها بعوارض من الخشب تعلق فيها القناديل، ثم حصل فيها تغيير حتى كانت أخيرا من النحاس وصل بينها بعوارض الحديد، علق في كل عارضة ٧ قناديل، والعمود يمثل مدفعين جبليين فم أحدهما على فم الآخر، وعدد هذه الأعمدة ثمان وثلاثون انظر (أعمدة المطاف في الرسم ١٠٠) .

مصلى النساء بالمسجد الحرام — كان النساء يصلين في المسجد مع الرجال يقف الرجال في المقدمة والنساء بعد الصبيان في المؤخرة كما هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن هناك فاصل بين النوعين وفي الطواف يختلطن بالرجال ولما بلغ خالد بن عبد الله قول الشاعر :

يا جبذا الموسم من موفد * وجبذا الكعبة من مشهد

وجبذا اللاتي يزاحمننا * عند استلام الحجر الأسود

فقال خالد : اما إنهن لا يزاحمنك بعد هذا، وأجلس عند كل ركن حرسا بأيديهم السياط يمنعون النساء أن تختلط بالرجال، ومثل هذا ما حكاه الزمخشري في خالد قال : لما بلغ خالد ما قاله رجل من موالي الأنصار :

ليتنى في المؤذنين نهاري * إنهم يبصرون ما في السطوح

فيشرون أو يشير إليهم * بالهوى كل ذات دل مليح

فأمر بهدم المنائر، فقال فيه الفرزدق :

ألا قبح الرحمن ظهر مطية * أنت تنهادى من دمشق بخالد

وكيف يؤم الناس من أمه * تدين بأن الله ليس بواحد

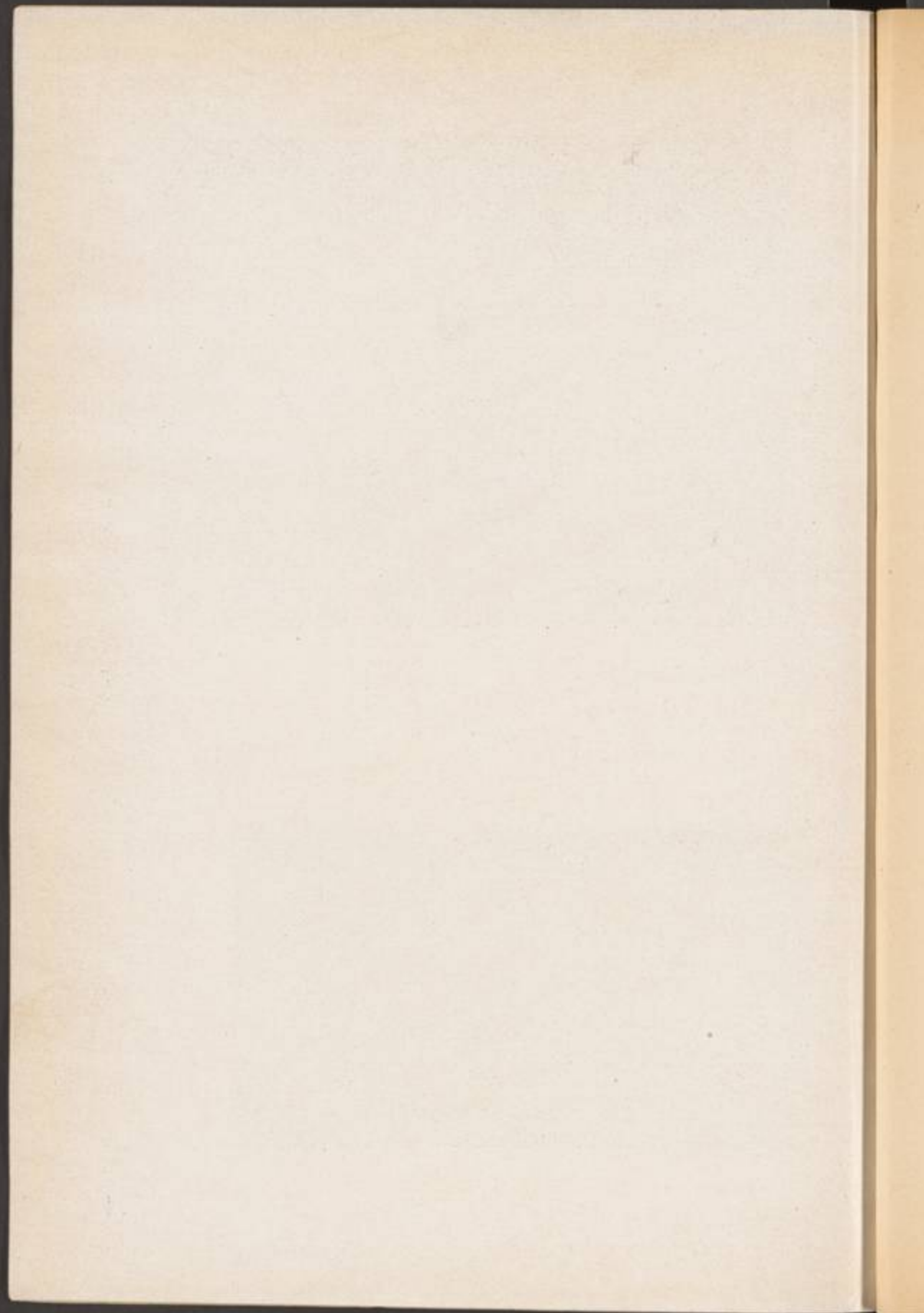
بني بيعة فيها الصليب لأمه * ويهدم من كفر منار المساجد

أما أول من وضع حاجرا بين مصلى الرجال والنساء فعلى بن الحسين الهاشمي أمر بحبال ربطت في الأساطين التي يجلس عندها النساء ففصلت بينهن وبين الرجال ، وفي سنة ١٣٢٠ هـ . رأيت داخل المسجد الحرام حظيرة للنساء يفصلها عن باقي المسجد خشب « شيش » على ارتفاع مترين وترى في الرسم (١٠١) النساء داخل هذه الحظيرة قائمات وجالسات وراكعات وساجدات ، وقد رفع الفاصل عون الرقيق باشا أمير مكة فلم أجده في حجتي سنة ١٣٢٥ هـ .

الكعبة المشرفة

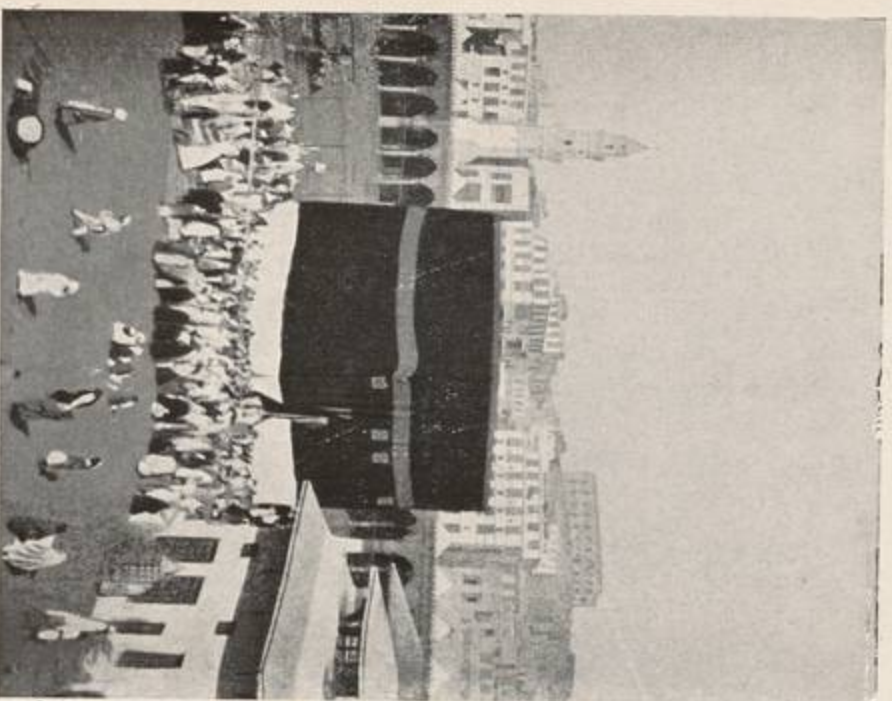
أسماء الكعبة - وصفها ومقاسها - بناء الكعبة وعمارته - تحليتها - معاليقها وما اهدى اليها - كسوتها - كشف أجزاء الكسوة - نفقات الكسوة - سدانة الكعبة ومفتاحها - تطيب الكعبة - صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فيها - الحجر الأسود - الحطيم والحجر - الحج في الجاهلية وما يتبعه - إنساء الشهور .

أسماء الكعبة - لها أسماء كثيرة منها الكعبة سميت بذلك لتكعبها أى تدويرها، وقال القاضي عياض : سميت بذلك لتكعبها أى تريبها وكل بناء مرتفع مربع كعبة ، ومنها البيت العتيق : لأن الله أعتقه من الجابرة فلم ينله جبار قط ، ومنها المسجد الحرام لقوله تعالى ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ والمراد به الكعبة بلا خلاف وورد إطلاق المسجد الحرام على غير الكعبة، ومنها البنية وقد كثر قسم العرب برب هذه البنية، ومن أسمائها نادر والغرية القديمة وقادس والدُّوَار .



الكتيبة المشرفة من تحت الجوف والشرق وبها بابها

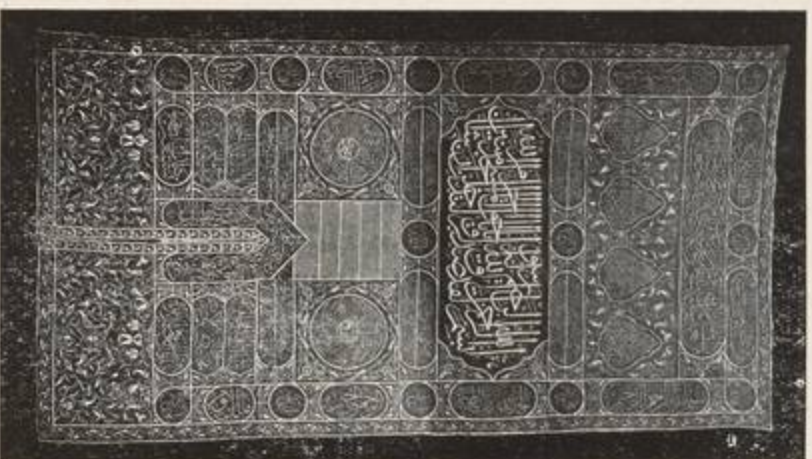
صفحة ٢١٣



الكتيبة المشرفة من تحت الجوف والشرق وبها بابها

منظر من تحت الجوف والشرق وبها بابها

صفحة ٢١٣



103. A view of the Curtain of the door of El Kaaba

وصف الكعبة الآن ومقاسها — في وسط المسجد الحرام بناء نغم يمثل
 حُجْرَة كبيرة مرتفعة البناء مربعة الشكل تقريبا ، هي المعروفة بالكعبة أو بالبيت
 الحرام انظر شكل الكعبة في (الرسم ١٠٢) والواجهتان الظاهرتان الواجهة الشرقية
 والواجهة الجنوبية وترى به الكسوة وحزامها المقصب وإزارها الأبيض وستارة
 الباب مطوية والحجاج متراحون لتقبيل الحجر الأسود (الرسم ٥٩) والذي على يمين
 الكعبة سقاية الحاج وزمزم ، وفي جدار الكعبة الشرقى يسيل الى الشمال بنحو
 ٢٠ درجة ، وكذلك يسيل جدارها الشمالى الى الشرق ٢٠ درجة أيضا ، وارتفاعها
 ١٥ مترا ، وطول ضلعها الشمالية ٩,٩٢ أمتار ، والغربية ١٢,١٥ مترا ، والجنوبية
 ١٠,٣٥ أمتار ، والشرقية ١١,٨٨ مترا ، وفي الضلع الشرقى بابها ويرتفع عن الأرض
 بنحو مترين ، وارتفاعه هو متران وعتبته مصفحة بصفائح الفضة ، وكذلك مصراعا
 الباب إلا أن صفائح الفضية مطلية بالذهب ، وكذلك قفل الباب وذلك من مدة
 خلافة السلطان سليمان القانونى سنة ٩٥٩ هـ . وعلى الباب ستارة مزركشة آية
 فى الجمال وهي من ضمن الكسوة التى تأتى الى الكعبة من مصر انظر (الرسم ١٠٣)
 ويصعد الى الباب على مدرج من خشب مصفح بالفضة ، ويلصق جدر الكعبة
 من أسفلها ببناء من الرخام يسمى بالشاذر وان أقيم تقوية للجدران ، وهو يحيط بها
 من جهاتها الأربع ، وارتفاعه فى الجهة الشمالية ٥٠ سنتيا فى عرض ٣٩ ، ومن
 الجهة الغربية ارتفاعه ٢٧ فى عرض ٨٠ ، ومن الجهة الجنوبية ارتفاعه ٢٤
 فى عرض ٨٧ ، ومن الجهة الشرقية ارتفاعه ٢٢ فى عرض ٦٦ ، كما حققته بالمقاس
 فى حجاتى الأربع قال أبو حامد الاسفراينى وابن الصلاح والنووى وغيرهم : أصل
 الشاذر وان ما نقصته قريش من عرض جدر أساس الكعبة حين ظهر على الأرض
 كما هو عادة الناس فى الأبنية ، وهو عند الشافعية والمالكية من البيت فالمطاف
 بعده ، وليس من البيت عند الحنفية ومذهب الحنبلية أن الاحتراز عنه مطلوب إلا
 أن ترك الاحتراز لا يفسد الطواف ، ولا يعلم متى بدئ البناء على أصل الشاذر وان ،
 وقد جدد البناء عليه مرات فبنى فى سنة ٥٤٢ هـ .

وفي سنة ٦٣٦ و ٦٦٠ و ٦٧٠ و ١٠١٠ هـ . وبين ذلك وقبله وبعده .

وفي الركن الجنوبي الشرقى للكعبة من الخارج المجر الأسود (الرسم ١١٨) الذى هو مبدأ الطواف ، ويرتفع عن الأرض مترا ونصفا والمجر أسود اللون ذو تجويف أشبه بطاس الشرب وقد حدث فيه الآن تشقق وعمل له فى سنة ١٢٩٠ هـ . غطاء من الفضة ، فى وسطه فتحة مستديرة قطرها ٢٧ سنتيمترا أعنى شبرا وثلاثا ، يرى منها المجر ويستلم .

ويواجه ركن المجر من البلاد الجزء الجنوبي من بلاد الحجاز الى عدن وهرير ومدغشقر وأستراليا وجنوب الهند والصين .

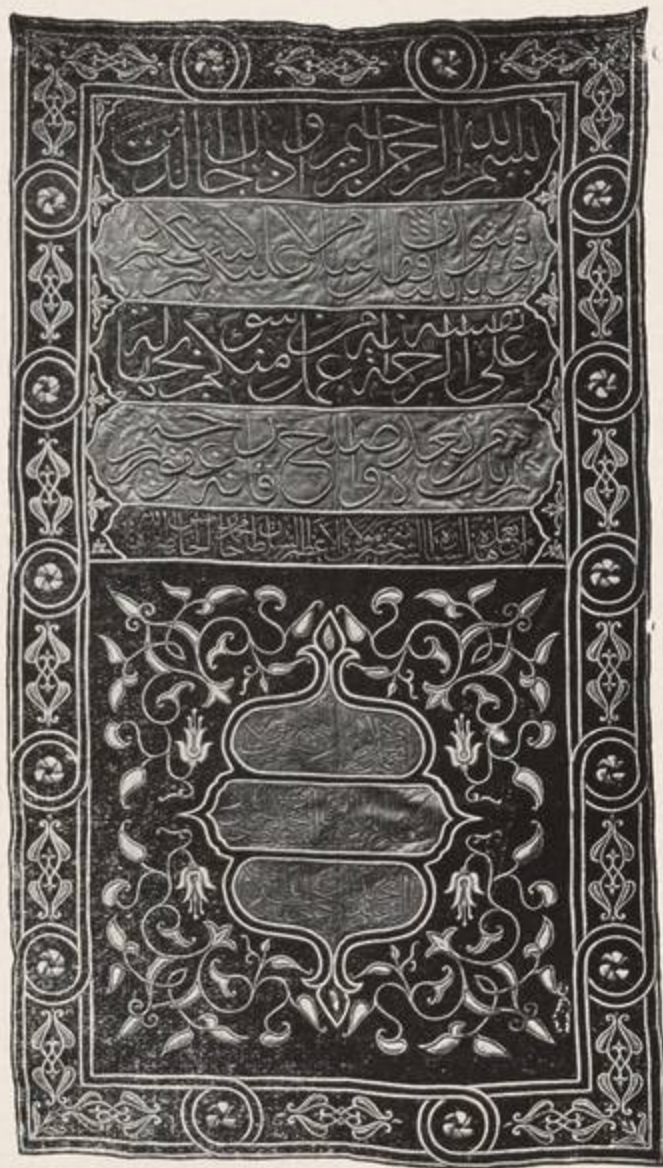
وركن الكعبة الشمالى الشرقى يسمى بالركن الشامى والعراق ويواجهه من البلاد الجزء الأكبر من بلاد الحجاز والعجم وتركستان والعراق وشمال الهند والسند والصين وسيريا .

وركن الكعبة الشمالى الغربى ويسمى بالركن الغربى يسامته من الجهات غرب روسيا وجميع أوروبا والأستانة وبلاد المغرب ومصر الى الشلال .

وركن الكعبة الغربى الجنوبي ويسمى بالركن اليمانى يسامته من البلاد الجزء الجنوبي من أفريقيا من سواكن على البحر الأحمر والرأس الأخضر على المحيط الأطلسى الى رأس الرجاء الصالح ، فكل جهة تستقبل ركنها : (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) .

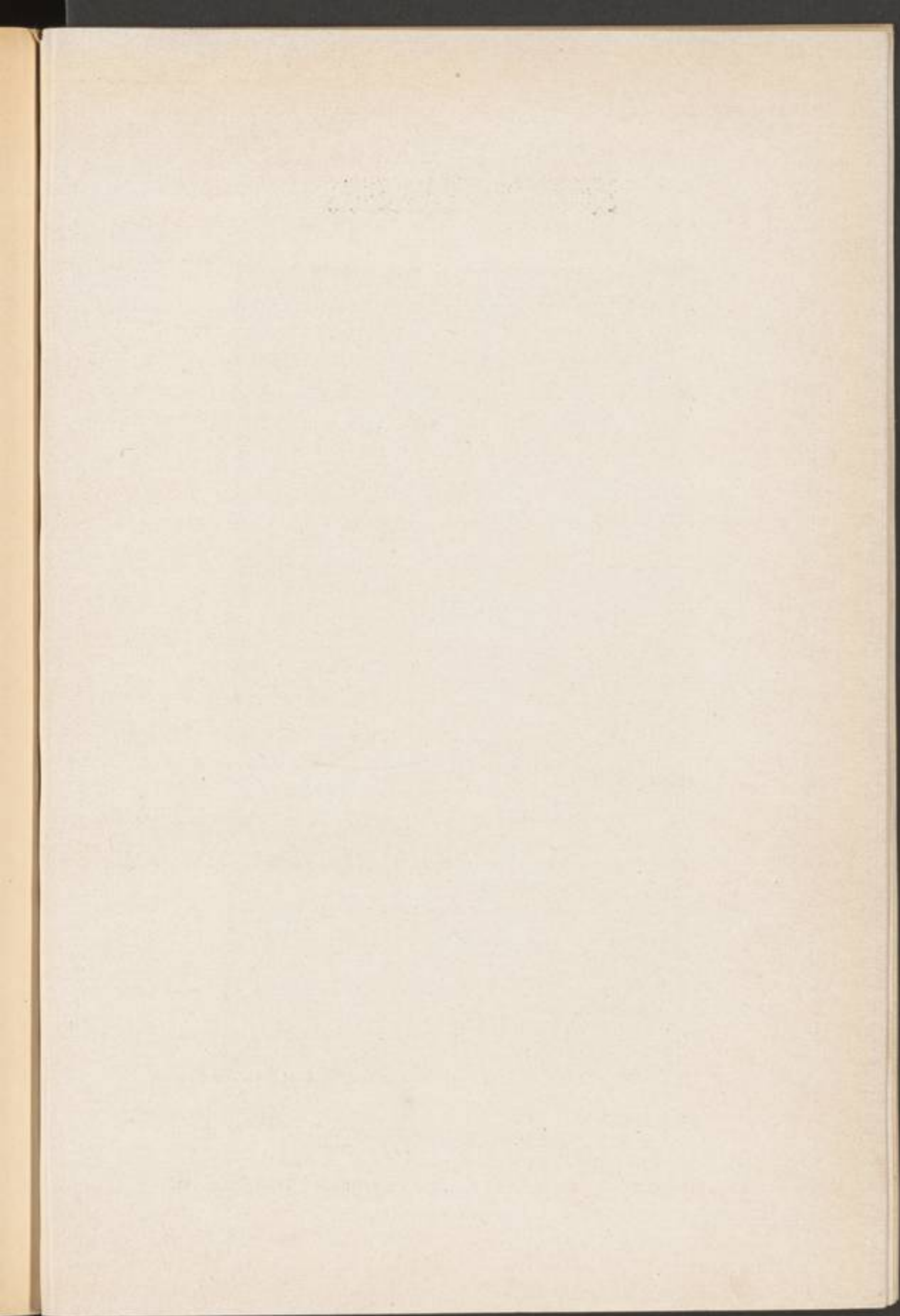
والكعبة مبنية من الحجارة الصماء ذات الحجم الكبير واللون الأزرق ، وبداخل البيت ثلاثة أعمدة من خشب العود الماوردى الجيد ، قطر الواحد منها ربع المتر وهى على صف واحد من الشمال الى الجنوب وعلى يمين الداخل للكعبة فى زاوية الركن الشمالى الشرقى باب يصعد منه على مدرج الى أعلى الكعبة يقال له : باب التوبة مسدولة عليه ستارة من الحرير المزركش . أنظر (الرسم ١٠٤) وسقف الكعبة منقوش بالنقوش العربية البديعة ومعلق به هدايا ثمينة أهداها اليها الملوك

مِنْظَرٌ مِنْ تَابَاتِ التَّوْبَةِ خِلَاةِ الْكَعْبَةِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ إِلَّا بِحَمْدِهِ إِنَّ أَكْبَرَهُ عِلْمًا مَنْظَرٌ مِنْ تَابَاتِ التَّوْبَةِ خِلَاةِ الْكَعْبَةِ

104. The curtain to the door of El Tawba (repentance) inside the Kaaba.



في الأعصر المختلفة . وفي سنة ١٢٩٥ هـ . فرش السطح بالواح المرمر وبدأته من الجهات الأربع حلقات تربط بها الكسوة الخارجية حتى تكون مسدولة على الجدر ، كما أنه يوجد في الشاذروان حلقات تربط بها من الأسفل وهي مصنوعة من النحاس الأصفر ، وقد عددت ما بالشاذروان من هذه الحلقات فإذا بها ١٤ في الجهة الغربية و ١٢ في الجنوبية و ١٤ في البحرية و ٨ في الشرقية وفي الغالب مثل ذلك في الأعلى . وكسوة الكعبة من حرير أسود من نسيج مصر مكتوب فيها « الله جل جلاله لا إله إلا الله محمد رسول الله » في كل جزء من أجزائها أنظر (الرسم ١١٢) . وهي تُغير كل سنة وتأتي من مصر وتوضع على الكعبة مع ستر مقام إبراهيم في يوم ١٠ ذى الحجة والناس بمبني ، وفي ٢٧ ذى القعدة من كل سنة يوضع على هذه الكسوة إزار من القماش الأبيض بعرض مترين يدور بها من أسفلها أنظر (الرسم ١٠٢) . وذلك علامة على إحرامها كما يزعمون والحقيقة أن الشيبى أمين مفتاح الكعبة يقطع من كسوة الكعبة نحو المترين من أسفلها ويضع بدل ذلك الإزار ويبيع الجزء المقطوع للحجاج الذين يقدون إلى مكة قبل يوم عرفة وبعده ، ويزعم بعض الناس أن ذلك الإزار الأبيض يوضع وقاية للكسوة من أيدى من يريد العبث بها أو اقتطاع جزء منها ليتبرك به ، والجدران من الداخل مكسوة بالأطلس الأحمر على شكل مثلثات كتب عليها — الله جل جلاله — وبعض آيات قرآنية هدية من السلطان العثماني ، وبالجدران تحت الستار تواريخ وكتابات فيها أسماء من عمر أو جدد شيئاً في الكعبة أو المسجد ، من ذلك في الجهة الشمالية الأبيات الآتية :

قد بدأ التعمير في بيت الاله * قبله الاسلام والبيت الحرام
 أم خاقان الورى مصطفى خان * دام بالنصر العزيز المستدام
 بادرت صدقا الى التعمير ذا * إنما كان بالهام السلام
 وارتجت من فضله سبحانه * أن يجازيها به يوم القيام
 قال تاريخا له قاضى البلد * فعمرته أم سلطان الأنام
 أحمد بك شيخ الحرم المكي سنة ١١٠٩ هـ

ومما كتب في الجهة الغربية : بسم الله الرحمن الرحيم (أمر بعمارة البيت المعظم
 الامام الأعظم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله (هكذا) أمير المؤمنين بلغه الله أقصى
 آماله وتقبل منه صالح أعماله في شهر سنة ٦٢٦ هـ . وصلى الله على سيدنا محمد وآله
 وسلم) وفيها تاريخ للأشرف قايتباي كتب سنة ٨٨٤ هـ . وفيها أيضا كتب (أمر
 بتجديد هذا البيت المعظم العبد المفتقر الى رحمة ربه يوسف بن عمر بن علي بن
 رسول . اللهم أيده بعزير نصرك واغفر له ذنوبه برحمتك يا كريم يا غفار سنة ٥٦٨٠
 وفي جدران الكعبة من الداخل أيضا الكتابات الآتية : بسم الله الرحمن الرحيم
 ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ أمر بتجديد هذا البيت المعظم العتيق
 الى الله سبحانه وتعالى خادم الحرمين المحترمين السلطان بن السلطان مراد خان بن
 السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان خلد الله تعالى ملكه وأيد سلطته في آخر
 شهر رمضان المبارك المعظم سنة ١٠٤٠ هـ من الهجرة النبوية (على صاحبها
 أفضل التحية) بسم الله الرحمن الرحيم (أمر بتجديد سقف البيت الشريف وجميع
 داخل الحرم وخارجه مولانا السلطان ابن السلطان محمد خان سنة ١٠٧٠ هـ) .
 « وتاريخ للسلطان الأشرفي أبي النصر برسباي خادم الحرمين الشريفين بلغه الله آماله
 سنة ٨٢٦ هـ » .

وفي شمالي الكعبة الحطيم — وهو ما حطم من الكعبة وكسر — وهو بناء
 مستدير على شكل نصف دائرة ارتفاعه ١,٣١ متر، وعرض جداره من الأعلى
 ١,٥٢ متر، ومن أسفل ١,٤٤ متر، وهذا البناء مغلف بالرخام وأحد طرفيه محاذ
 للركن الشامي والآخر محاذ للركن الغربي وسعة الفتحة التي بين طرفه الشرقي وآخر
 الشاذروان ٢,٣٠ متر، وسعة الفتحة الأخرى التي بين طرفه الغربي ونهاية الشاذروان
 ٢,٢٣ متران، والمسافة التي بين طرفي نصف الدائرة ثمانية أمتار، ووراء الحطيم
 بمسافة اثني عشر مترا المطاف . والأرض التي بين جدار الكعبة الشمالي وبين الحطيم
 هي المعروفة بالحجر، ويدخل إليها من الفتحتين السالقتين وهي مفروشة بالرخام والمسافة
 من منتصف جدار الكعبة الشمالي ووسط تجويف الحطيم من الداخل ٨,٤٤ أمتار .

وفي أعلى الجدار الشمالى فى منتصفه الميزاب الذى وضع لتصريف ماء المطر الذى ينزل على سطح الكعبة ، وهو من الذهب أرسله السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٠ هـ . انظر (فى الرسم ١٠٥) ما كتب فيه .

وما بين الحجر الأسود وباب الكعبة يسمى بالملتمم ، لكون الحاج يلتمم هذا المكان للدعاء فيه وكان صلى الله عليه وسلم يدعو فيه .

وعلى مقربة من الشاذروان بين باب الكعبة والركن العراقى حفرة تسمى المعجزة يقال إن ابراهيم عليه السلام كان يعجن فيها ملاط البناء ، وعمقها ٣٠ سنتيا ، وعرضها متر ونصف تقريبا فى طول مترين ويقال : إن جبريل عليه السلام صلى بالنبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس فى هذا المكان حين فرضها الله على أمته ، وبهذا المكان نقش على حجر : لأبى جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله تعالى آماله وزين بالصالحات أعماله وذلك فى شهور اثنتين وثلاثين وستائة ٥٦٣٢ هـ . وصلى الله على سيدنا محمد .

وقد صليت بالمعجزة ركعتين جلست بعدهما فرأيت بالشاذروان تجاه المعجزة لوح رخام نقش فيه هذه الكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ أمر بعمارة سقف البيت الشريف وتجديد ميزاب الرحمة وتقوية جدار بيت الله الحرام تجديدا بحرمه ، وطرقه من ذهب وفضة وجلبار بخير القرآن العظيم أسس بنيانه على تقوى من الله العبد المفتقر الى رحمة ربه ملك البرين والبحرين سلطان الروم والعراق خادم الحرمين الشريفين السلطان أحمد خان خلد الله ملكه الى آخر الزمان رسم فى محرم سنة ١٠٣١ هـ .

وأمام الجدار الشرقى مقام ابراهيم عليه السلام ، وشمالى المقام بقليل المنبر الرخام وجنوبه بقليل بئر زمزم وفى شرق المقام يصلى إمام الشافعية الصلوات الخمس وقد قدمنا لك ذلك بالتفصيل .

أما المطاف فإنه يحيط بالكعبة كما قدمنا وقد قست المسافة بينه وبين جدر الكعبة الأربعة فإذا هي ١٣,٢٥ مترا من الجهة الشرقية و ٢٠,٤٤ مترا من الجهة الشمالية و ١٦,١٥ مترا من الجهة الغربية و ١٤,٧٥ مترا من الجهة الجنوبية .

بناء الكعبة وعمارتها — قال تعالى ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ . قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في تفسير قوله ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين ﴾ . اختلف أهل التأويل في تفسيره ، ذلك فقال بعضهم . تأويله : إن أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه مباركاً وهدي للعالمين للذي ببكة ، قالوا وليس هو أول بيت وضع في الأرض لأنه قد كان قبله بيوت كثيرة ، وقال آخرون : بل هو أول بيت وضع للناس ، ثم قال : والصواب من القول في ذلك ما قال جل ثناؤه فيه ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي ﴾ . ومعنى ذلك إن أول بيت وضع للناس أي لعبادة الله فيه مباركاً وهدي يعني بذلك وما بآل نساك الناسكين وطواف الطائفين تعظيماً لله وإجلالاً له للذي ببكة لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما حدثنا به محمد بن المنثري قال : حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال : « المسجد الحرام » قال ثم أي؟ قال : « المسجد الأقصى » قال كم بينهما؟ قال : « أربعون سنة » فقد بين هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسجد الحرام هو أول مسجد وضعه الله في الأرض على ما قلنا .

قال التقي الفاسي في كتابه شفاء الغرام ما ملخصه : لا شك أن الكعبة المعظمة بنيت عدة مرات ، واختلف في عدد البناءات ويتحصل من مجموع ما قيل في ذلك أنها بنيت عشر مرات بناء الملائكة وبناء آدم وبناء أولاده وبناء انخليل وبناء العالقة وبناء جهم وبناء قصي بن كلاب وبناء قريش وبناء عبد الله بن الزبير وبناء

الحجاج ابن يوسف الثقفي ، وإطلاق العبارة بأنه بنى تجوز لأنه لم يبن إلا جزءا منها على ما يأتي بيانه ، ثم بين أن بنايات الملائكة وآدم وأولاده لم يأت بها خبر ثابت ، وأما بناء الخليل بخاء به القرآن والسنة قال تعالى : ﴿ واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ الآيات . وروى الفاكهي عن علي رضي الله عنه : أن ابراهيم أول من بنى البيت وجزم به الشيخ عماد الدين ابن كثير في تفسيره وقال : لم يحيى خبر عن معصوم أن البيت كان مبنيًا قبل الخليل . وذكر الأزرقى عن ابن اسحاق ذرع بناية ابراهيم قال : كان طول البيت في السماء تسعة أذرع وجداره الشرقى ٣٢ ذراعا وجداره الشمالى ٢٢ ذراعا وجداره الغربى ٣١ ذراعا والجنوبى ٢٠ ذراعا ، وكان بابها بالأرض ، وكان ابراهيم بنى وإسماعيل ينقل له الحجارة على كتفه . أما بناء العالقة وجزم فرواه الأزرقى عن علي بن أبي طالب . وذكر المسعودى : أن الذى بناها من جرم الحارث بن مضاض الأصغر ، وبناها بعد العالقة قصى بن كلاب وقد سقفها بخشب الدوم الجيد ويجريد النخل . قال الحلبي : والحق أن الكعبة لم تبن جميعا إلا ثلاث مرات : الأولى بناء ابراهيم عليه السلام ، والثانية بناء قريش وكان بينهما ١٦٧٥ سنة والثالثة بناء عبد الله بن الزبير وكان بينهما ٨٢ سنة ؛ وأما بناء الملائكة وآدم وشيث فلم يصح ؛ وأما بناء جرم والعالقة وقصى فانما كان ترميما . اهـ .

وأما بناء قريش للكعبة فهو ثابت بالسنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم وحضره صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين سنة كما جزم به ابن اسحاق وغير واحد من العلماء ، وقيل : ابن خمس وعشرين سنة كما جزم به موسى بن عقبة في مغازيه وابن جماعة في منسكه ، وكان من خبر هذا البناء أن الكعبة احترقت ستورها وأكثر أخشابها فأوهن ذلك من بنيانها ، وتلا ذلك سيل أوهى البناء وصدع الجدران فأجمعت قريش أمرها على تجديدها ورفع بابها حتى لا يدخلها إلا قرشي ، فقدر الله أن رمى البحر بسفينة الى ساحل جدة كانت لتاجر رومي يدعى « باقوم » ، فخرج الوليد ابن المغيرة يتاع الخشب فاذا بباقوم وسفينته فأخبره بما اعتموه ، فأنبأه

باقوم بأنه بناء نجار فاستصحبه الوليد معه ليقوم بالبناء، ولما أرادوا الهدم تقدم عائذ ابن عمران فاقطع حجرا ففتر من يده الى مكانه فقال يا معشر قريش : لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا ، لا يدخل فيه مهر بنى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم أن القوم هابوا هدمها وقرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها فأخذ المعول وقام عليها وهو يقول « اللهم لم ترع » ويقال : لم ترع اللهم لا يزيد إلا الخير ثم هدم وتبعه الناس حتى انتهوا الى أساس ابراهيم فوجدوا حجارة خضراء كالأسنة ، وفي نسخة كالأسنة فأقاموا بناءهم الحديد عليها ، وكان صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة روى ذلك البخارى في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وعباس ينقلان الحجارة ، فقال عباس للنبي صلى الله عليه وسلم : اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة نخر الى الأرض وطمحت عيناه الى السماء ثم أفق فقال : إزارى إزارى فشد عليه إزاره . ه .

قال ابن اسحاق : ثم أن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البيسان موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه دون الأخرى حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال ، فضربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا « لعنة الدم » فكثت قريش على ذلك أربع ليال أو نحسا ثم أنهم اجتمعوا في المسجد وتساوروا وتناصفوا ، فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية ابن المغيرة بن عبد الله وكان عامئذ أسن قريش كلها فقال يا معشر قريش : اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه هو أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ففعلوا ، فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا هذا محمد ، فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم : هلم الى ثوبا فأتى به ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه وفي ذلك يقول هبيرة بن وهب :

تشاجرت الأحياء في عضل حطه ^(١) * جرت طيرهم بالنحس من بعد أسعد
تلاقوا بها البغضاء بعد موذة * وأوقد نارا بينهم شر موقد
فلما رأينا الأمر قد جد جدّه * ولم يبق شيء غير سل المهند
رضينا وقلنا العدل أول طالع * يحيى من البطحاء من غير موعد
فقد جاءنا هذا الأمين محمد * فقلنا رضينا بالأمين محمد
بخير قریش كلها أمس شيمة * وفي اليوم مهما يحدث الله في غد
بغاء بأمر لم ير الناس مثله * أعم وأرضى في العواقب واليد
أخذنا بأطراف الرءاء وكلنا * له حقه من رفعه قبضة اليد
وقال ارفعوا حتى اذا ما علت به * أكرمهم وافي به خير مسند
وكل رضينا فعله وصنيعه * فأعظم به من رأى هادو مهتد
وتلك يد منه علينا عظيمة * نروح بها مدى الزمان وتغتندي
وما زالوا يبنون حتى أتموا بناءها وكان ارتفاعه من الخارج ثمانية عشر ذراعا
بزيادة تسعة أذرع على ارتفاعها في بناء الخليل ، واقتصوا من عرضها أذرا جعلوها
في الحجر لقصر النفقة الحلال التي أعدوها لعمارتها عن ادخال ذلك ، ورفعوا بابها
ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ، وكبسوها بالحجارة وجعلوا في داخلها ٦ دعائم
في صفين في كل صف ثلاث من الشمال الى الجنوب ، وجعلوا في ركنها العراقي
من الداخل ساما يصعد عليه الى سطحها الذي جعلوا فيه ميزابا يصب في الحجر .
وأما بناء ابن الزبير للكعبة فانه ثابت مشهور وسبب ذلك وهن في الكعبة
من حجارة المنجنيق التي أصابتها حين حوصر ابن الزبير بمكة في أوائل سنة ٦٤ هـ .
لمعاندته يزيد بن معاوية ومن الحريق الذي أصابها من نار أوقدها نفر من أصحاب
ابن الزبير في خيمة له ، فطارت الرياح بلهب تلك النار الى الكعبة فأحرقت كسوتها
وما فيها من خشب الساج ، فوهت جدرها وانقض بنيانها من عل وكانت حجارتهما
تتناثر اذا ما وقع عليها الحمام ، فلما فك الحصار عن ابن الزبير وارتحل عن مكة

(١) عضل به الأمر : اشتد .

الحصين بن نمير بعد أن نعى له يزيد بن معاوية — رأى ابن الزبير أن يهدم الكعبة وينبئها ، فوافقته على ذلك نفر قليل وكره ذلك كثيرون منهم ابن عباس رضى الله عنهما ، ولما أجمع على هدمها خرج كثير من أهل مكة الى منى خشية أن يصيبهم عذاب ، وأمر ابن الزبير رضى الله عنهما جماعة من الحبشة فهدموها وأختار هؤلاء رجاء أن يكون فيهم الحبشى الذى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يهدمها — روى الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » وفى رواية البخارى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « كأتى به أسودا أفحج^(١) يقلعها حجرا حجرا » فهدمت الكعبة كلها حتى بلغت الأرض وكان يوم السبت متصرف جمادى الآخرة سنة ٦٤ هـ . وبنائها على قواعد إبراهيم وأدخل فيها ما أخرجه قريش منها فى الحجر آعتادا على الحديث الذى أخبرته به خالته عائشة وسياقى ، وزاد فى طولها على بناء قريش نظير ما زادته قريش فى طولها على بناء الخليل وذلك تسعة أذرع ، فصار ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعا وهى سبعة وعشرون مدمما كما ، وجعل لها باين لاصقين بالأرض أحدهما بابها الموجود اليوم ، والآخر مقابل له مسدود ، وجعل فيها ثلاث دعائم فى صف واحد وجعل لها مدرجا فى زاويتها العراقية من الداخل يصعد عليه الى ظهرها ، وجعل لها ميزابا على سطحها يصب فى الحجر ، وجعل فيها روازن توضع فيها المصابيح ، ولما فرغ من بنائها خلقها بالطيب ظاهرا وباطنا وكان يجرها كل يوم برطل من العود وفى يوم الجمعة برطلين ، وقد بقيت حجارة فرشها فى المطاف .

وأما بناء الحجاج للكعبة فثابت مشهور ، وذلك أن الحجاج بعد محاصرته ابن الزبير وقتله له كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير زاد فى الكعبة مائيس منها وأحدث فيها بابا آخر واستأذنه فى رد ذلك الى ما كان عليه فى الجاهلية ، فكتب اليه عبد الملك أن يستد بابها الغربى ويهدم ما زاده بن الزبير من الحجر ويكبسها به^(٢)

(١) الفحج فى المشى تباعد العقبين وتدافى صدور القدمين .

(٢) فى القاموس كبس البئر والنهر يكبسهما طهما بالتراب ، ولعل المعنى هنا يبنئها به أو يبلطها .

على ما كانت عليه ، ففعل ذلك الحجاج وبنائه في الكعبة الجدر الشمالى والباب الغربى المسدود وما تحت عتبة الباب الشرقى وهو أربعة أذرع وشبر على ما ذكر الأزرقي ، وترك بقية الكعبة على بناء ابن الزبير ، وكان ذلك سنة ٧٤ هـ . ثم ان عبيد الملك ابن مروان ندم على ما وقع منه في أمر الكعبة ، وقال : وددت والله أنى كنت تركت ابن الزبير وما تحمل حين أخبره الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي أنه سميع من عائشة رضی الله عنها حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمده ابن الزبير فيما فعله بالكعبة ، وحديث عائشة رواه أبو داود الطيالسي ، قال : حدثنا سليم بن حبان قال حدثنا سعيد بن المثني عن عبد الله بن الزبير رضی الله عنهما ، قال : أخبرتني عائشة رضی الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية لهدمت الكعبة وأزقتها بالأرض وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا ولزدت ستة أذرع من الحجر في البيت فان قرينها آستقصرت ذلك لما بنت البيت .

ولم يحصل في الكعبة تغيير بعد بناء ابن الزبير والحجاج الى سنة ١٠٣٩ هـ . اللهم إلا في ميزانها وبابها وبعض أساطينها وما دعت الضرورة الى عمارته في جدرها وسقفها وجدرها الذي يصعد منه الى سطحها وعتبتها ورخامها . وكان سليمان بن عبد الملك يحب أن يرد الكعبة الى بناء ابن الزبير حين أخبره بذلك خليفته الامام العادل عمر ابن عبد العزيز بن مروان لما سأله عن ذلك ، ولكن منعه من ذلك حبه أن لا يغير عملا عمل بمشورة أبيه ، ويروى أن الخليفة هارون الرشيد — وقيل : أبوه المهدي ، وقيل : جدّه المنصور — أراد أن يغير ما صنعه الحجاج ويرد الكعبة الى بناء ابن الزبير فنهاه عن ذلك الامام مالك بن أنس وقال له : نشدتك الله أن لا تجعل بيت الله ملعبا للولك لا يشاء أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب هيئته من قلوب الناس .

وكان مالكا رحمه الله لاحظ في ذلك قاعدته المشهورة : درء المفاسد أولى من جلب المصالح .

ومما جدد في الكعبة بعد بناء ابن الزبير والحجاج أن الوليد بن عبد الملك أرسل من الشام الرخام الأحمر والأخضر والأبيض ففرشت به وأزرت جدرها من الداخل .
وقد انفتح الجدار الشمالي الذي أقامه الحجاج من بقية البناء وكان الفتح مقدار نصف أصبع فرمم ذلك بالحصص الأبيض ، وبعد سنة ٢٠٠ هـ . رفعت الفسيفساء التي كان معمولاً بها سطح الكعبة لأنها ما كانت تمنع مياه المطر أن تسرب إلى الداخل ، ووضع مكانها المرمر المطبوخ وشيد بالحصص . وفي زمن المتوكل العباسي سنة ٢٤١ هـ . قلع العتبة السفلى لباب الكعبة وكانت قطعتين من خشب الساج دثرتا من طول الزمان وأبدل بها قطعة من خشب الساج ألبست صفائح الفضة ، وكذلك جدد المتوكل رخام الكعبة وأزرها بالفضة وألبس سائر حيطانها وسقفها الذهب ، وفي سنة ٥٤٢ هـ . عمر سقفها والمدرج الذي في بطنها ، وكذلك أصلح رخامها حوالي سنة ٥٥٠ هـ . وكانت هذه العماره من قبل جمال الدين المعروف بالجواد وزير صاحب الموصل ، وفي سنة ٥٥٩ هـ . تضعضع الركن اليماني من زلزلة حدثت . وأصلح وعمرها المستنصر العباسي سنة ٦٢٩ هـ . وجدد رخامها الملك المظفر صاحب اليمن في سنة ٦٨٠ هـ . وفي رمضان سنة ٨١٤ هـ . أصلح بعض سقفها وروازنها وعتبتها ، وكان ذلك عقب مطر عظيم كان من أجله يتدفق من باب الكعبة إلى المطاف كأفواه القرب ، وقد عملت إصلاحات جزئية في الروازن والسقف والرخام والأخشاب التي يركب فيها حلق الحديد الذي تربط به الكسوة في سنتي ٨٢٥ و ٨٢٦ هـ . وكان ذلك بأمر الملك الأشرف برسبای صاحب الديار المصرية والشامية والحرمين ، ورمت الكعبة في سنة ٩٥٩ هـ . زمن السلطان سليمان ، وفي زمن السلطان أحمد (١٠١٢ - ١٠٢٣) حدث بعض التصدع في جداري الكعبة الشرقي والغربي وكذلك في جدر الحجر ، فأراد هدم البيت فمنعه من ذلك علماء الروم وأشاروا عليه بعمل نطاق يلم الشعب ، فعمل نطاقين من نحاس أصفر غلف بالذهب وكتب في بعضه بالرسم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وفي بعض آخر « لا إله إلا الله محمد حبيب الله » إلى غير ذلك من الكلمات الجميلة والآيات الشريفة مثل قوله : (حسبنا الله ونعم

الويل) وقد ركب النطاق السفلى على الكعبة في ليلة السبت ١٢ محرم سنة ١٠٢٢ هـ . ووضعت له أعمدة ثبت أسفلها بالرصاص في الشاذوران ، وفي ليلة الأحد شرعوا في وضع النطاق العلوي حتى آتموه ، وفي سنة ١٠٣٩ هـ . نزلت أمطار كثيرة عمت مكة وحرارتها وعلت المياه عن قفل باب الكعبة بذراعين حتى اذا ما مضى يومان انهدمت دفعة واحدة ما عدا الجهة ايمانية ، فغددها السلطان مراد خان الرابع ، وقد أرسل مندوبين من الأستانة ومهندسين من مصر أقاموا بناءها وراعوا تجديدها سنة ١٠٤٠ هـ . وقد بذل في سبيل ذلك المال الكثير . وفي سنة ١٢٩٥ هـ . فرش سطح الكعبة بالواح المرمر .

ومن الميازيب التي عملت للكعبة ميزاب عمله الشيخ أبو القاسم رامث صاحب الرباط المشهور بمكة وصل به خادمه بعد موته سنة ٥٣٧ هـ . وميزاب أنقذه الخليفة المقتنى العباسي سنة ٥٤١ هـ . جعل عوض الميزاب السابق . وميزاب عمله الناصر العباسي من خشب مبطن بالرصاص في الموضع الذي يجري فيه الماء وظاهره مما يبدو للناس مطلي بفضة ، وقد حلّى هذا الميزاب في سنة ٧٨١ هـ . ثم عمل بهد ذلك ميزاب من النحاس ثم جعله السلطان سليمان القانوني من الفضة سنة ٩٥٩ هـ . وفي سنة ٩٦٢ هـ . ورد من مصر ميزاب من ذهب وضع موضع الميزاب الفضة ، وأخذ الأول الى الخزانة العالية للتبرك به ووصلحت بنو شيبة سدنة الكعبة عما زاد الميزاب من الفضة بمائتي أشرفي ، وفي سنة ١٠٢١ هـ . غيره السلطان أحمد بآخر من الفضة منقوش بالذهب والمينا اللازوردية ، وفي سنة ١٢٧٣ هـ . أرسل السلطان عبد المجيد ميزابا من الذهب هو الموجود الآن انظر في (الرسم ١٠٥) ما عليه من الكتابة .

وأقول من حلّى الميزاب بالذهب الوليد بن عبد الملك ، وفي سنة ٤٥٥ هـ . أخذ بنو الطيب الميزاب وحملوه الى اليمن فابتاعه صاحب اليمن الذي امتك مكة أيضا في السنة المذكورة وردّ الميزاب الى مكانه .

مِزَابُ الرَّحْمَةِ



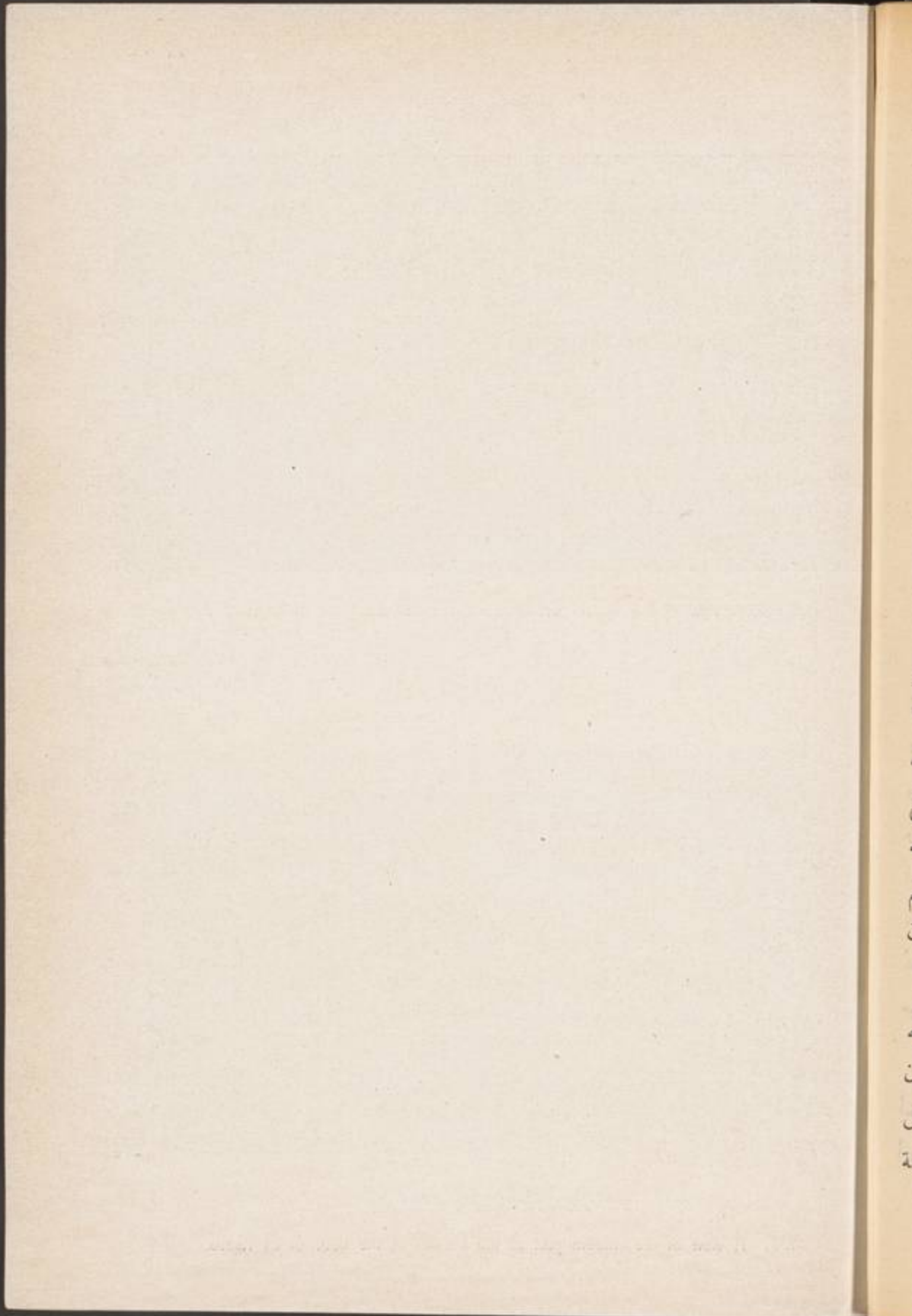
مِزَابُ الرَّحْمَةِ

(الرسم ١٠٥)

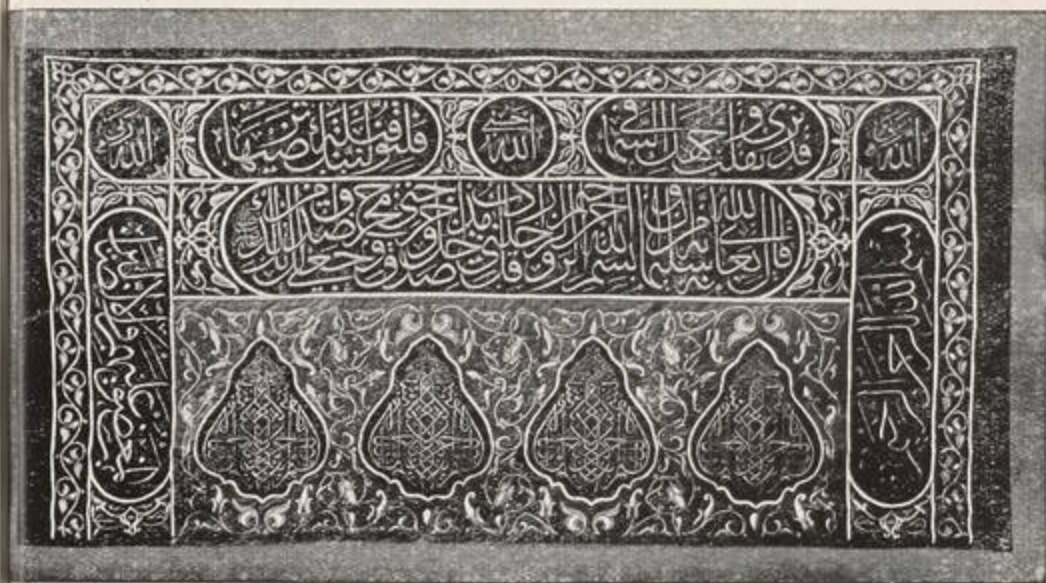
The gutter of El Rahma.

ومن الأبواب التي صنعت للكعبة باب عمله الجواد وزير صاحب الموصل سنة ٥٥٠ هـ وركب سنة ٥٥١ هـ وكان مكتوبا فيه اسم الخليفة المقتدى العباسي، وبه حلية تستوقف الأبصار، ومنها باب عمله الملك المظفر صاحب اليمن لما حج سنة ٦٥٩ هـ وكان عليه صفائح فضة زتها ٦٠ رطلا صارت لبني شيبه، ومنها باب من السنط الأحمر عمله الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر ركب على الكعبة بعد قلع باب المظفر وكان عليه من الفضة ٣٥٣٠٠ درهم، وباب رابع عمله الملك الناصر حسن سنة ٧٦١ هـ وهو من خشب الساج وزيدت حليته سنة ٧٧٦ هـ فكان مقدارها لا يزيد على ٣٠٠٠٠ درهم، وعلى هذا الباب اسم الملك الناصر محمد بن قلاوون واسم حفيده الأشرف شعبان واسم الملك المؤيد لأن بعض خواصه زاد في حليته سنة ٨١٦ هـ ٢٠٠ درهم وطلاه بالذهب.

وفي سنة ٧٨١ هـ حلى زين الدين العثماني باب الكعبة وميزابها بمعرفة مملوكه سودون باشا حينما أرسله لعمارة المسجد الحرام. وفي سنة ٩٦١ هـ أمر السلطان سليمان بتصفيح الباب بالفضة. وفي سنة ٩٦٤ هـ أمر بهمل باب الكعبة نأتي بالباب الأول وركبت عليه ألواح من الخشب الآس الأسود مصفحة بالفضة



القبول من بيت الله الحرام



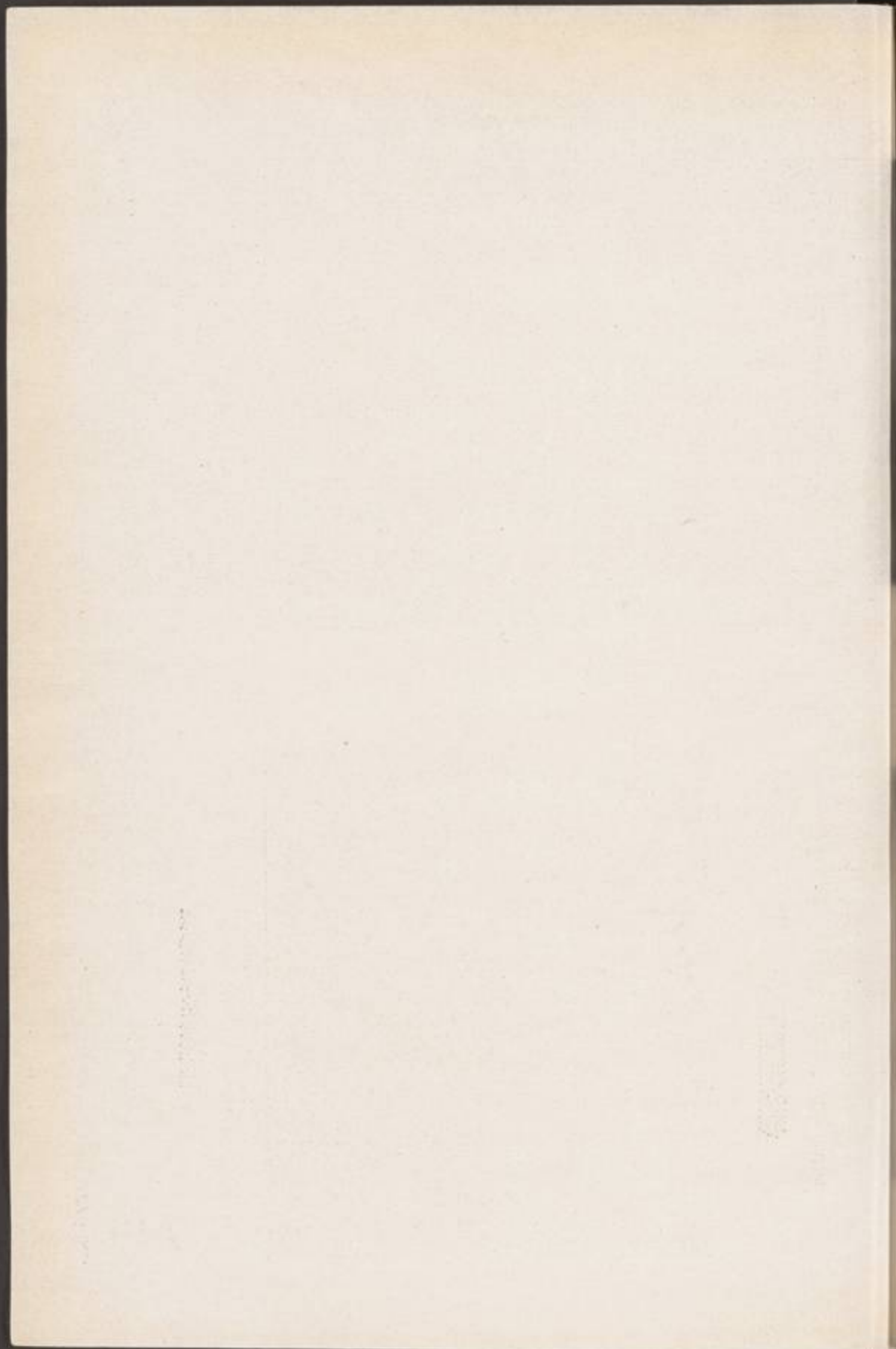
106. A view of the upper part of the curtain of the door of El Kaaba.

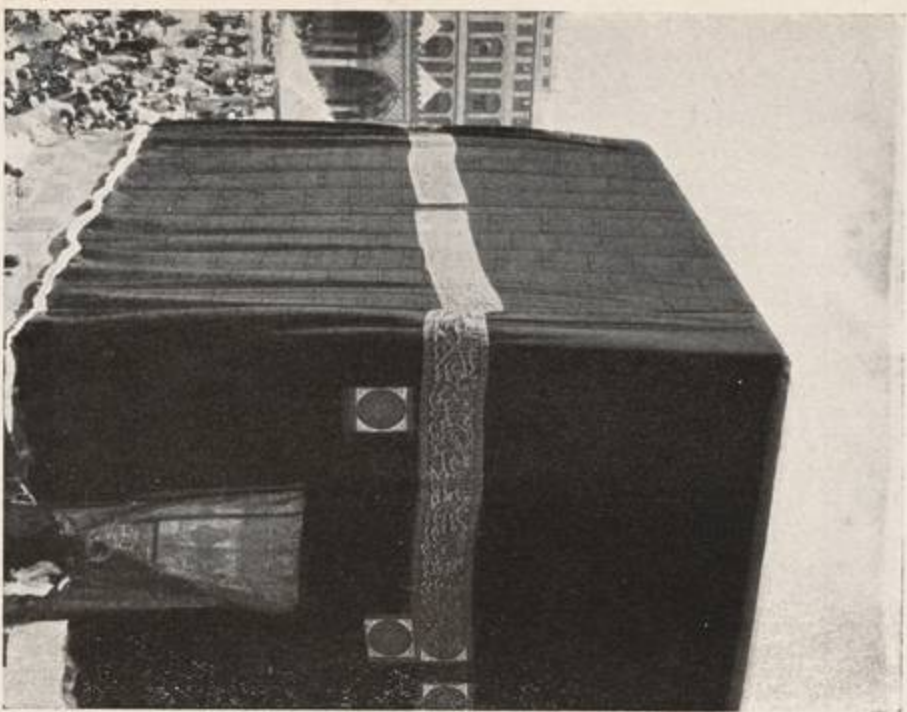
القبول من بيت الله الحرام



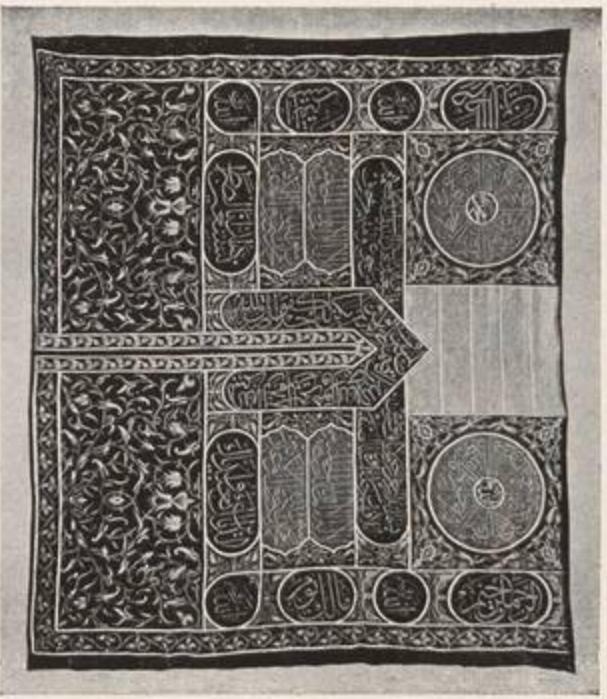
القبول من بيت الله الحرام

107. A view of the middle part of the curtain of the door of El Kaaba.





109. The Eastern and Southern side of the Kaaba with door



108. A view of the lower part of the curtain of the door of El Kaaba.

القبعة الأمامية من تحت البجنوب والشرق

المطلية بالذهب ، وقد قُدِّر الذهب بمبلغ ٢٧١٠ أشرفى ، والفضة بأربعة قناطير إلا قليلا ، وقد وضعت الفضة على أصل الباب القديم المصنوع من الساج وأعطى بنى شيبه ١٠٠٠ أشرفى عوض الفضة القديمة ، وقد كتب عليه بالبسملة وقوله تعالى ﴿ رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ وتاريخ تجديده ، وقد أُرِخ ذلك بعضهم « بقوله زين الباب » .

وفى سنة ١٠٤٥ هـ غير الباب وجعل فيه من الحلية الفضية ما زنته ١٦٦ رطلا وطلّى بالذهب البندقى بما قيمته ألف دينار وكان ذلك زمن السلطان مراد الرابع .
ولباب الكعبة ستارة مقصبة تسدل عليه كما ترى فى (الرم ١٠٩) ، وترى نقش الستارة وما كتب عليها فى الرسوم ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨

تحلية الكعبة — أول من حلاها فى الجاهلية على ما قيل : عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم بالغازلين الذهب اللذين وجدتهما فى زمزم حين حفرها ، وأول من حلاها فى الاسلام الوليد بن عبد الملك ذهب البيت ، وقيل : أبوه عبد الملك قد سبقه فإنه غطى الأستوانة الوسطى بصنائح الذهب بل قيل : إن ابن الزبير جعل على الكعبة وأساطينها صنائح الذهب وجعل مفاتيحها من ذهب ، وكانت حلية الوليد بصنائح الذهب جعلها على الباب والمايزاب وعلى أساطينها وأركانها من الداخل ، وقيمة ذلك الف دينار . وأرسل الأمين محمد بن هارون الرشيد الى عامله على مكة ١٨٠٠٠ دينار ليضربها صفائح توضع على بابى الكعبة — لعل الثانى باب التوبة داخلها — فصفحهما بها وأخذ منها مسامير وحلقتين للباب . وبعث المتوكل العباسى إسحاق ابن سلمة الصائغ فلبس زاويتين من زوايا الكعبة الذهب على فضة كانت فيهما ، وقلع الذهب الذى فى الزاويتين الأخرين ولبسه على الفضة وجعله فى الزاويتين ، فكانت الزوايا كلها سواء ، وعمل منطقة من فضة ركبها فوق إزار الكعبة وكانت منقوشة عرضها ثلثا ذراع وجعل لها طوقا من ذهب منقوشا ومتصلا بهذه المنطقة ، وكان فى أعلى هذه المنطقة رخام منقوش فلبسه

الذهب الرقيق وغير كلاب الباب - شناكله - التي يشد بها إذا فتح فجعلها من فضة بدل النحاس، وتقدم ما صنعه بعتبة الباب، قال إسحاق : كان مبلغ ما في الزوايا والطوق من الذهب ٨٠٠٠ مثقال، وما في المنطقة وعلى عتبة الباب وكرسی المقام من الفضة قريب من ٧٠٠٠٠ درهم، وما ركب من الذهب على جدر الكعبة وسقفها نحو من مائتي حق، في كل حق خمسة مثاقيل أي ١٠٠٠ مثقال ذهباً، وكان هذا كله سنة ٢٤١ هـ . وأمر المعتضد العباسي بعد أن كتب له الحجة بعمل ذهب على عضادتي باب الكعبة عوض ما أخذه بعض العمال على مكة وضربه دنائير استعان بها على حرب العلويّ الخارجى سنة ٢٥١ هـ . وكذلك أمر بصنع ذهب على أسفل الباب بدل ما أخذه بعض العمال لتسكين فتنة بين الخياطين والحزازين سنة ٢٦٨ هـ . وأمرت أم المقتدر العباسي غلامها لؤلؤا بالباس الأسطوانة التي تلي باب الكعبة صفائح الذهب من أسفلها الى أعلاها وكان بعضها قبل ذلك ملبسا بصفائح الذهب وبعضها الآخر مموها وذلك في سنة ٣١٠ هـ . وأرسل الوزير الجواد ٥٠٠٠ دينار سنة ٥٤٩ هـ . عملت بها صفائح الذهب والفضة في داخل الكعبة وأركانها . وكذلك حلّى باب الكعبة الملك المظفر صاحب اليمن وحفيده الملك المجاهد والملك الناصر قلاوون صاحب مصر، وحفيده الملك الأشرف شعبان سنة ٧٧٦ هـ . وكثير غيرهم .

معاليق الكعبة وما أهدى إليها من الحلّى - أهدى ساسان بن بابك من ملوك الفرس للكعبة غزاليين من ذهب وجواهر وسيوفا وكثيرا من الذهب ودفن ذلك في زمزم، ويقال : إن كلاب بن مرة أول من جعل في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة لها . ولما فتح في عهد عمر بن الخطاب مدائن كسرى كان مما بعث إليه هلالان فعلقهما في الكعبة، وبعث عبد الملك بن مروان بالشمستين وقدحين من قوارير . وبعث أبسه الوليد بقدحين . وبعث الوليد بن

يزيد بالسريير (الكرسي) وبهلاين . وبعث أبو العباس السفاح بالصفحة الخضراء . وأرسل أخوه المنصور القارورة الفرعونية . وبعث المأمون بياقوتة ثمينة . وأهدى جعفر المتوكل شمسة عملها من ذهب مكاملة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد وسلسلة تعلق في وجه الكعبة كل سنة . وأسلم ملك من ملوك التبت وكان له صنم من ذهب في صورة إنسان يعبده وكان على رأس الصنم تاج من ذهب مكلل بحorz الجواهر والياقوت الأحمر والأخضر والزبرجد وكان على سرير مربع مرتفع عن الأرض على قوائم والسريير من فضة، وعلى السرير فرشاة الديباج وعلى أطراف الفرش إزار من ذهب وفضة مرخاة، والإزار على قدر الكرسي في وجه السرير، فلما أسلم ذلك الملك أهدى السرير والصنم إلى الكعبة . وأهدى إليها المعتصم العباسي قفلا فيه ألف دينار . وأسلم بعض ملوك السند فأهدى إليها طوقا من الذهب مكالا بالزمرذ والألماس وياقوتة خضراء زنتها أربعة وعشرون مثقالا وقد علق في الكعبة سنة ٢٥٩ هـ . وأهدى جعفر بن المعتمد قصبية من فضة داخلها كتاب فيه بيعته وبيعة أبي أحمد الموفق، فعلقت في الكعبة في صفر سنة ٢٦٢ هـ . وبعث المطيع العباسي إليها قناديل كلها فضة خلا واحدا من الذهب زنته ٦٠٠ مثقال وذلك في سنة ٣٥٩ هـ . وأهدى صاحب عمان بعد سنة ٤٢٠ هـ محاريب مبنية زنة المحراب أزيد من قنطار، وقناديل في غاية الإحكام، وقد سمرت المحاريب في الكعبة مما يلي بابها . وأهدى إليها الملك المنصور صاحب ايين سنة ٣٦٢ هـ . قناديل من ذهب وفضة . وبعث إليها الظاهر بيبرس قفلا ومفتاحا . وبعث على شاه وزير السلطان أبي سعيد ملك التتر إلى الكعبة سنة ٧١٨ هـ . بحلقتين من الذهب مرصعتين باللؤلؤ الباخش، كل حلقة زنتها ألف مثقال، وفي كل حلقة ٦ لؤلؤات فاخرات، وبينها ٦ قطع بلخش فاخر وقد علقنا زمنا يسيرا ثم رفعنا وأخذهما أمير مكة إذ ذاك رميته بن أبي نمي . وأهدى السلطان شيخ أويس صاحب بغداد

الى الكعبة ٤ قناديل اثنان ذهباً واثنان فضة وذلك في اثناء عشر السبعين والسبعائة، فعلقت في الكعبة قليلاً ثم أخذها أمير مكة عجلان بن رميثة . قال التقي الفاسي : وأهدى الناس الى الكعبة بعد ذلك قناديل كثيرة . والذي في الكعبة الآن - سنة ٨١٢ هـ - من المعاليق ١٦ قنديلاً ، منها ثلاثة فضة وواحد ذهباً وآخر بلورا واثنان نحاساً والباقي زجاج حلبي وهي تسعة ، وليس فيها الآن - سنة ٨١٢ هـ - شيء غير هذه القناديل من تلك الهدايا الفاهرة ، وسبب ذلك امتداد أيدي الولاة وغيرهم اليها . قال الأزرقى : ولا يجوز أخذ شيء من حليسة الكعبة لا للحاجة ولا للتبرك ، لأن ما جعل للكعبة وسبل لها يجري مجرى الأوقاف ، ولا يجوز تغييرها عن وجوهها وفيها تعظيم الإسلام وإرهاب الأعداء ، أشار الى ذلك المحب الطبري وقد أهدى لها بعد ذلك هدايا قيمة منها الباقي للآن ومنها ما عبثت به الأيدي .

وإذ قد عرضنا عليك صورة تاريخية لمسابقات الملوك والأمراء في تحلية الكعبة وميزابها وأبوابها وتعاليقها بحلي الذهب والفضة نرى من الواجب علينا أن ننبهك الى أن إنفاق أموال المسلمين العامة في هذه السبل ياباه الدين لأنه من الإسراف الممقوت ، وخير لنا أن تنفق هذه الأموال في مصالح المسلمين العامة وإن أحترامنا لبيت الله الحرام لا يحول دون احترام الدين وتعليقاته وإرشاداته ، وليس من الدين في شيء أن نعطل جزءاً من أموال المسلمين عن استثماره وإنفاقه فيما يعود بنفع حقيقي على المسلمين ، ولعلك محتج علينا بما فعله عمر رضي الله عنه من إرسال الهلالين اللذين أرسلنا اليه بعد فتح مدائن كسرى ، وانا مع عدم قطعنا بصحة النسبة اليه لا نرى فيه حجة لمعارض لأحتمال أن يكون عمر أراد به إلهاب الحمية في نفوس المسلمين وأستنابهم الى الجهاد حيث يرون في الهلالين ثل عروش الأكاسرة وتذليل ملكهم لعز الاسلام والظفر بما آذنوا وآكثروا ، فعسى أن يوجه الملوك همهم وأموالهم الى الصالح النافع يأخذوا بأنفسهم عما لا يفيد ولا يجدى .

كسوة الكعبة - (أنظر الرسم ١٠٩ الذي ترى فيه الحزام المقصب والكرداشيات وستارة الباب منسدلة) .

أول من كسا الكعبة أسعد أبو كرب ملك حمير وذلك قبل الهجرة بقرنين وقد كساها الخصف^(١) والمعافر^(٢) والملاء^(٣) والوصايل^(٤) والعصب^(٥) والمسوح^(٦) والأنطاع^(٧) والبرود^(٨)، وجعل للكعبة بابا ومفتاحا وفي ذلك يقول مفتخرا :

ورد الملك تبع وبنوه * وزئوم جدودهم والحدودا^(٩)
إذ جبيتا جيانا من ظفار * ثم سرنا بها مسيرا بعيدا^(١٠)
فأستبحنا بالخييل ملك قباذ * وابن أفلود^(١١) جاءنا مصفودا^(١٢)
فكسونا البيت الذي حزم الله ملاء معصبا وبرودا
وأقنا به من الشهر عشرا * وجعلنا لبابه إقليدا^(١٣)
ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا * وسجدنا عند المقام سجدوا
ونخرجنا منه الى حيث كنا * ورفعنا لواءنا معقودا

ولما بنت قريش الكعبة آسترفدهم بناؤها لكسوتها فعملوا لها كسا شتى من أنواع الثياب، كلما جاءت كسوة طرحت على سابقتها، ولم تزل قريش تكسو الكعبة حتى كان زمن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وكان مثيرا فقال: أكسوها من مالي عاما وقوموا بكسوتها عاما، فسمى عدل قريش لذلك، وأستمر الأمر على هذا حتى عهد

- (١) الخصف محرمة : جمع خصفة وهي الثوب الغليظ جدا . (٢) والمعافر في الأصل اسم بلد سميت به الثياب المعافرية التي تصنع فيه . (٣) الملاء : جمع ملاءة وهي ثوب لين رقيق نسج واحد وقطعة واحدة وتسمى الربطة . (٤) الوصايل : جمع وصيلة وهي ثوب أحمر مخطط يمانى . (٥) العصب : برود يمانية يعصب غزها أي يجمع ويشد ثم يصبغ بعضه وينسج مع غير المصبوغ فيأتي موثى . (٦) المسوح : جمع مسح وهو ثوب من الشعر غليظ ويقال له : البلاس . (٧) الأنطاع : جمع نطع وهو بساط من الأديم أي الجلد . (٨) البرود : جمع برد وهو ثوب مخطط وكساء يأنحف به . (٩) تبع : لقب ملك ملوك حمير . (١٠) ظفار : كانت مدينة من مدن اليمن قريية من صنعاء وأطلالها باقية ولها إقليم يسمى الآن باسمها . (١١) أبو كسرى . (١٢) لعله أمير من أمراء الشام أو العراق . (١٣) المفتاح .

التي صلى الله عليه وسلم . ومما كسوها به مطارف^(١) الخبز الأخضر والصفير وشقاق^(٢) الشعر وأكسية من أكسية الاعراب وكرار^(٣) الخبز والوصائل والأنطاع^(٤) والنمارق^(٥) العراقية والحبرات^(٥) اليمنية والأتماط^(٦) .

وأول عربية كست الكعبة في الجاهلية نيسلة بنت حباب أم العباس بن عبد المطلب كستها الحرير والديباج، وسبب ذلك أنها أضلت أبنها خوارا أخا العباس وجعلت تنشد :

أضلته أبيض لودعيًا * لم يك حلوبًا ولا دعيًا
أضلته أبيض غيرخاف * للفتية الغر بنى منافع
ثم لعمر ومنتهى الأضياف * سنّ لفهر سنة الإيلاف
* في القريوم^(٩) القر والإصياف *

ونذرت إن وجدته لتكسون الكعبة، فأتاها به رجل من جذام فوفت بما نذرت . تلك كساها في الجاهلية، وأما كسوتها في الإسلام فكساها النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر الخبر اليمنية، وكساها عمر، وعثمان القباطي^(١٠) المصرية، وكساها عثمان أيضا البرود اليمنية وهو أول من ظاهر لها بين كسوتين، وكان عمر رضى الله عنه يتزع كسوتها كل سنة ويستبدل بها جديدة، ويقسم الأولى بين الحاج، وكساها عبد الله ابن عمر ما كان يحلل به بدنه من القباطي والحبرات والأتماط، وكساها كذلك معاوية وكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء، والقباطي في اليوم التاسع والعشرين من رمضان، وكساها الديباج يزيد بن معاوية وأبن الزبير وعبد الملك بن مروان .

(١) الطريفة : فسيجة تنسج من صوف أو شعر في عرض ذراع . (٢) الشقة : نوع من الثياب الرقيقة المستطيلة . (٣) نوع من الأكسية مفردة كر . (٤) النمرقة : الوسادة وكساء يوضع على الرجل يسمى الطنفسة . (٥) الحبرات : جمع حبرة وهي ما كان من البرود مخططا . (٦) ضرب من البسط واحدنا نمط . (٧) اللودعي : الخفيف الذكي الفاريف . (٨) الحلوب : لم أقف على معناه . (٩) القر : البرد . (١٠) القباطي : جمع قبطية بالضم وهو ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض وكأنه منسوب إلى القبط وهي بلدة بمصر ينسب إليها أقباطها .

وفي سنة ١٦٠ هـ . حج المهدي العباسي فذكر له السدنة أن كساوى الكعبة
 كثرت عليها والبناء ضعيف يخشى عليه من ثقلها ، فأمر بتجريدها وأن لا يسدل عليها
 إلا كسوة واحدة وأستمر ذلك الى يومنا هذا . وكساها المأمون ثلاث كسا الديقاج
 الأحمر يوم التروية والقباطى يوم هلال رجب والديقاج الأبيض الذى أحدثه المأمون
 يوم ٢٧ من رمضان للقطر . وكساها حسين الأفتس بأمر أبى السرايا كسوتين من
 القز الرقيق إحداهما صفراء والأخرى بيضاء . وكساها بعد ذلك كثير من الملوك
 والأمراء أنواعا من الكسا كالديقاج الأبيض الخراسانى والديقاج الأحمر الخراسانى .
 وكساها أبو النصر الاسترابادى سنة ٤٦٦ هـ . كسوة بيضاء من عمل الهند ، وكسيت
 فى هذه السنة أيضا الديقاج الأصفر وكساها الخبرات وغيرها الشيخ أبو القاسم رامشت
 صاحب الرباط المشهور بالمسجد الحرام وذلك فى سنة ٥٣٢ هـ . وكانت كسوته
 بثمانية عشر ألف دينار مصرية على ما قال ابن الأثير ، وقيل : بأربعة آلاف دينار .
 وكسيت فى بدء خلافة الناصر العباسى كسوة خضراء ، وكسيت فى زمنه كسوة سوداء ،
 قال الفاسى : وقد استمرت الى الآن — سنة ٨١٢ هـ — إلا أنه فى سنة ٦٤٣ هـ .
 كساها منصور بن ربيعة شيخ الحرم ثيابا من القطن مصبوغة بالسواد .

وفى سنة ٧٥١ هـ . أراد الملك المجاهد أن يزرع كسوة الكعبة التى باسم
 المصريين ويكسوها كسوة من عنده تكون باسمه ، فأخبر صاحب مكة المصريين
 فقبضوا عليه ، وفى ذلك يقول الجلال المؤذن بالمسجد الحرام :

يا راقد الليل مسرورا بأوله * إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

فإن أمنت بليل طاب أوله * فرب آخر ليل أجمع النارا

وفى سنة ٨١٠ هـ . أحدث فى كسوة الجانب الشرقى جامات منقوشة بالحري
 الأبيض ووضع ذلك أيضا فى السنين الأربع التالية ثم ترك فى سنى ١٦ و ١٧ و ١٨
 بعد الثمانمائة .

وفى سنة ٨١٩ هـ . ملئ الجانب الشرقى من الكسوة من تحت الطراز بالجامات
 المصنوعة من الحري الأبيض ، والآن تصنع من القصب المطلى بالذهب ، أنظر

الجامات في (الرسم ١١٠) الذي معه الرسمان (١١١ و ١١٢) . وعمل في هذه السنة لباب الكعبة ستارة عظيمة الحسن لم يسبقها مثلها . وفي داخل الجامات السابقة مكتوب « لا إله إلا الله محمد رسول الله » بالبياض على شكل دوائر ، واستمرت الجامات البيض المذكورة خمس سنين متتالية ثم أزيلت و عوض عنها جامات سود في سنة ٨٢٥ هـ . وفي كسوة الكعبة طراز من حرير أصفر وكان قبل ذلك أبيض ، وعمل أصفر حوالى سنة ٨٠٠ هـ . وفي الطراز مكتوب آيات من القرآن قريبة من الآى المكتوبة عليه الآن غير أن مواضعها منها مختلفة ، أنظر الطراز في (الرسم ١١٠) ولمهلل الدمياطى في سواد كسوة الكعبة :

يروق لى منظر البيت العتيق إذا * بدا لطرفى فى الإصباح والطفل

كأن حلتة السوداء قد نسجت * من حبة القلب أو من أسود المقل

وكسوة الكعبة من سنة ٧٥٠ هـ من الوقف الذى وقفه الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر بن قلاوون على كسوة الكعبة كل سنة وعلى كسوة الحجرة النبوية والمنبر النبوى فى كل خمس سنين مرة ، وهذا الوقف عبارة عن ثلاث قرى بسوس وسنديس وأبى الغيط من قرى القليوبية ، اشتراها من بيت المال ووقفها على كسوة الكعبة والحجرة ، وقد اشترى السلطان سياهان بن السلطان سليم خان عدة قرى بمصر أضافها الى القرى التى وقفها على الكسوة الملك الصالح وهذه القرى هى :

- (١) سلكه ؛ (٢) سرو بجنجة ؛ (٣) قريش الحجر ؛ (٤) منايل وكوم رحان ؛
- (٥) بيجام ؛ (٦) منية النصارى ؛ (٧) بطايا ولم تزل موقوفة على ذلك حتى حل وقفها محمد على باشا فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ، وتعهدت الحكومة بصنع الكسوة من مالها العام ولا يزال ذلك دأبها لآن .

وهاك نص الوقفية^(١) :

(١) نقلت عن مرآة مكة لحضرة أمير اللواء البحرى العثمانى أيوب صبرى باشا .

A view of the Curtain of the door of El Kâba.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

All rights of reproduction and publication are reserved to the publisher El Lewa Ibrahim Rifaat Pasha, Director of the Pilgrimage Caravan 1326.

The Gilt belt of the Kaaba with verses from the Koran.



All rights of reproduction and publication are reserved to the publisher El Lewa Ibrahim Rifaat Pasha, Director of the Pilgrimage Caravan 1326.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

All rights of reproduction and publication are reserved to the publisher El Lewa Ibrahim Rifaat Pasha, Director of the Pilgrimage Caravan 1326.

The out-clothing of El-Kaaba.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

All rights of reproduction and publication are reserved to the publisher El Lewa Ibrahim Rifaat Pasha, Director of the Pilgrimage Caravan 1326.

صورة وقفية الكسوة الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي رفع القبة الخضراء، ووضع بساط الغبراء، وسمك في سمائه الأفلاك، وملك في أرضه الأملاك، ففتح مناهج الملك والدولة الغراء، بين وقاية السلاطين، وحسن رعاية الأمراء، وجعل الكعبة البيت الحرام لشعائر الدين الزهراء، (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه) واستسعد بحجة يوم الجمرات، ثم الصلاة والسلام على سيد الأنبياء، مجد أعلم الرسل الأعلام والأنبياء، وعلى آله الكرام الأتقياء، وأصحابه العظام الأصفياء، نعمة العبد المحتاج إلى عفوره الصمد . محمد بن قطب الدين محمد، القاضي بالعساكر المظفرة المنصورة في ولاية أنطولى . أما بعد فهذا وثيقة أثيقة بديعة المعاني والبيان، هادية منمقة أنيقة بليغة المباني والتبيان، توارى عباراتها راحا رحيقا، بل هي أصفى، وتجارى استعاراتها مسكا سحيقا بل هي أزكى، يشعر عما هو الحق القاطع، ما حواه فخواها، ويخبر عما هو الصدق الساطع، ما أذاه مؤداها، وهو أنه قد بان لكل ذى عقل سديد، أن الدنيا الدنية قنطرة العابرين، ورباط المسافرين، يحل هذا ويرحل ذلك ولا يدري أحد إلا ويمتطى صهوتى أدهم الليل وأشهب النهار ويسير مع السائرين إلى منتهى الآجال والأعمار، وهي لا وعظة ما قال سيد الكائنات^(١)، عليه أفضل الصلوات، «استمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت»، فلا ريب أن العاقل من اعتبر من الرواحل واتخذ فيها لرحيله ذخيرة وزادا، واتخذ لبقائه الباقي عتة وعتادا، بالصدقات التي ينال بها النجاة، ويتوسل بها إلى الجنات، على ما نطق به القرآن، وحديث رسول الرحمن، حيث قال عز من قائل (إن الله يجزي المتصدقين) والمتصدقات وقال عليه الصلوات التامات، «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» ألا وهي الوقف .

(١) المعروف أن هذه الجمل من خطبة قس بن ساعدة التي ألقاها بسوق عكاظ وشهدها النبي صلى الله عليه وسلم قبل عهد الرسالة .

فلما تفكر في جميع ذلك السلطان الأعظم ، وخالقان الأكل الأكرم ، ظل الله في أرضه ، وخليفته على خليفته في رفعه وخفضه ، علوى العلا ، من آل عثمان عثمانى الحيا ، من سلاطين الزمان سلطان البحرين والبرين ، العرض القائم بالسنة والفرض ، عاشر المجددين لدين الاسلام بأحسن المعاشر ، وعاشر السلاطين العثمانية كالعقد العاشر ، السلطان بن السلطان بن السلطان « سليمان » شاه بن السلطان « سليم » خان بن السلطان « بايزيد » خان لا زالت حديقة حقيقة العالمين منضرة بماء حياته ، ونماء ذاته ، وحديقة العالمين منورة بضياء صفاته ، وببضاء سناء حسناته ، وبلغ أرواح آبائه وأجداده الرحمة وسقامم بالكوثر وأسبغ عليهم نعم غفرانه وأنذر ورأى منها في نفسه النفيسة نعم الله تعالى جزيلة ، لا يسع شكرها على ذاته الكريمة ، منه منة جميلة ليس في طوقه ذكرها أراد استقرارها بالأوقات القاره ، واستمرارها بالادارة الداره ، متفكرا في قول الملك الخلاق ، « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » ، ونظر في قول الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، وعلم بأن تعظيم الكعبة المستورة بالأستار الشريفة العالية وتشريفها في الحج يوجب الجنة ، ويصير الهدف الساتر من العذاب والجنة ، وسائما في قلبه الفسح من قول الرسول « من زارني وجبت له شفاعة » أن يستشفع منه بتكريم قبره بالأستار بل بتشريف مرقد الاتباع ، وستر مرشد الأسياع ، أيضا بالازار تنزيلا اياه منزلة الزيارة الدائمة ، والخدمة القائمة ، على مر الدهور والأعصار فان تلك المواضع وان كانت جرت العادة بسترها لكنها كانت بالأموال المتطرقة ، والاثمان المتفرقة ، فأحب أن يكون ما يصرف الى هذه الآثار الشريفة ، من الأموال المتميزة المتبركة المنيفة ، فعين لهذا أجمل أملاكه وأسبابه ، وأجمل أمواله وأكسابه ، فلذلك قد قال لدى المولى الفاضل ، التحرير الكامل ، مصباح رموز الدقائق ، مفتاح كنوز الحقائق ، كشف المشكلات ، حلال المعضلات ، الموقع أعلى هذا الكتاب ، يسر الله له حسن المآب ،

بقوله الشريف ، ولطفه اللطيف ، العارى عن الاعتساف ، الحاوى على الاقرار والاعتراف ، الذى يجوزه الشرع ، لاحتوائه على ما يغير الأصل والفرع ، وحكى بأنه قد وقف أوقافا وسبلها ، وحبس أملاكا وكلها ، على النمط الأكنى الأشمل ، وعلى الطريق المشروع الأكل ، لتكون لهذه المصلحة أوقافا قارة ، وادارات دائره ، فى الدنيا العاجلة ، ومفيدة له فى يوم الجزاء والآجلة وتكون عدّة معدّة لغده عن أمسه ، ومزية منورة لا تفارقه فى رسمه ، وتصيرها جسرة من العذاب وجنة ، ويكون جزاها مثل جزاء الحج المبرور الجنة ، وتكون باعثة للرفاعة وموجبة للشفاعة ، منها جميع القرى الثلاث المسماة بيسوس وأبو الغيث وحوص بقمص الواقعة بالولاية المصرية التى كان حاصل منها فى السنة الواحدة مبلغ (٨٩٠٠٠) درهم ومنها جميع القرى السبع الجديدة الواقعة فى الولاية الشرقية بالديار المصرية أولها قرية (سلكه) كان حصل منها فى تلك السنة مبلغ (٣٠٤٩٦) درهما وثانيها قرية (سيرونججة) حاصلها فيها مبلغ (٧١٨٢٠) درهما وثالثها قرية (قريش الحجر) حاصل ما فيها مبلغ (٥١٣٠٤) درهما ورابعها قرية (منايل وكوم ريحان) حصل ما فيها مبلغ (٣٧٨٤٠) درهما وخامسها قرية (بحام) حصل ما فيها (١٤٩٣٤) درهما وسادسها قرية (منية النصارى) وحصل ما فيها مبلغ (٦٠٨٥٨) درهما وسابعها قرية بطاليا وحاصلها فيها (١٠٤٨٤) درهما يكون جميع النقود المزبورة فى تلك السنة المسفورة مبلغ (٣٦٥١٥٢) درهما فضا محاذيا بنصف القطعة رايحا فى الوقت أيد الله تعالى دولته من سكها باسمه السامى ، ورفه رعاياه بعدله المتوفر النامى ، وقف جميع القرى المزبورة المستغنية عن التعريف والتحديد ، والتبيين والتوصيف ، لثمرتها فى مكانها عند أهاليها وجيرانها ، ولكونها مشروحة ومعلومة فى الدفاتر السلطانية والمناشير الخاقانية بجملة ما لها ، من الحدود والحقوق ، وما ينسب اليها بالاصالة والحقوق ، والمراسم والمرافق ، والمداخل والطرائق ، خلا ما يستثنى

منها شرعا من المساجد والمعابد والمنابر والمعابر ، والمرابد والمقابر ، والأماكن والأوقاف ، وسائر ما يعرف ميبنا بينه بالأسمى والأوصاف ، وسلم جميعها الى من ولاه عليها بموجب الشرع المنصوص ، ونصبه للخدمة بالأمانة والاستقامة في هذا الخصوص ، وتسامها هو منه للتصرف فيها بالوجه السداد ، على ما هو المراد ، تسليما وتسامما صحيحين شرعيين .

§ ثم عين السلطان الفايق على حذافير السلاطين في الآفاق ، بالاستهلاك والاستحقاق ، والسابق في مضامير التساير بمكارم الأخلاق ، ومراسم الاشفاق ، لا زالت شموس سعادته أبدية الاشرار ، وما برحت نجوم سلطته حمية عن الانحراق ، مما يحصل من تلك القرى الموقوفة المذكورة على حسب التخمين التي مدارها حصل السنة المشروحة المزبورة فالتعين على هذه النسبة في جميع الأعوام ، قلت المحصولات أو حلت بتفاوت الشهور والأيام ، مبلغ مائتي ألف درهم وستة وسبعين ألف درهم ومائتي وستة عشر درهما لأستار ظاهر الكعبة الشريفة شرفها الله تعالى في كل سنة مرة على ما جرت به العادة القديمة في السنين الماضية القديمة طبقا على هذا التخمين بعد الصرف المذكور في السنة مبلغ ثمانية وثمانين ألف درهم وتسعمائة درهم وستة وثلاثين درهما وشرط أن يحفظ ذلك الباقي بحفظ المتولى تمام خمسة عشر عاما فيكون عدد الجمع في هذا العام على التخمين التام مبلغ ثلاثة عشر مرة مائة ألف درهم وأربعين درهما فعين من هذا الباقي في المحفوظ المجموع المسطور لأستار المواضع التي تجدد في انقضاء كل خمسة عشر عاما مرة وبعد تجديدها المزبور لا تجدد كل سنة بل تروح الى انقضاء خمسة عشر عاما أخر ثم تجدد مرة أخرى كذلك ثم فثم الى أن ينقضى الدهر ويتم لكل مرة من تلك المرات ، وفي كل كرة من هذه الكرات ، بالتخمين المزبور ، والتعين المذكور مبلغ سبعمائة ألف درهم وأحد ونمسين ألف درهم وثلثمائة درهم وسبعين درهما فزيا

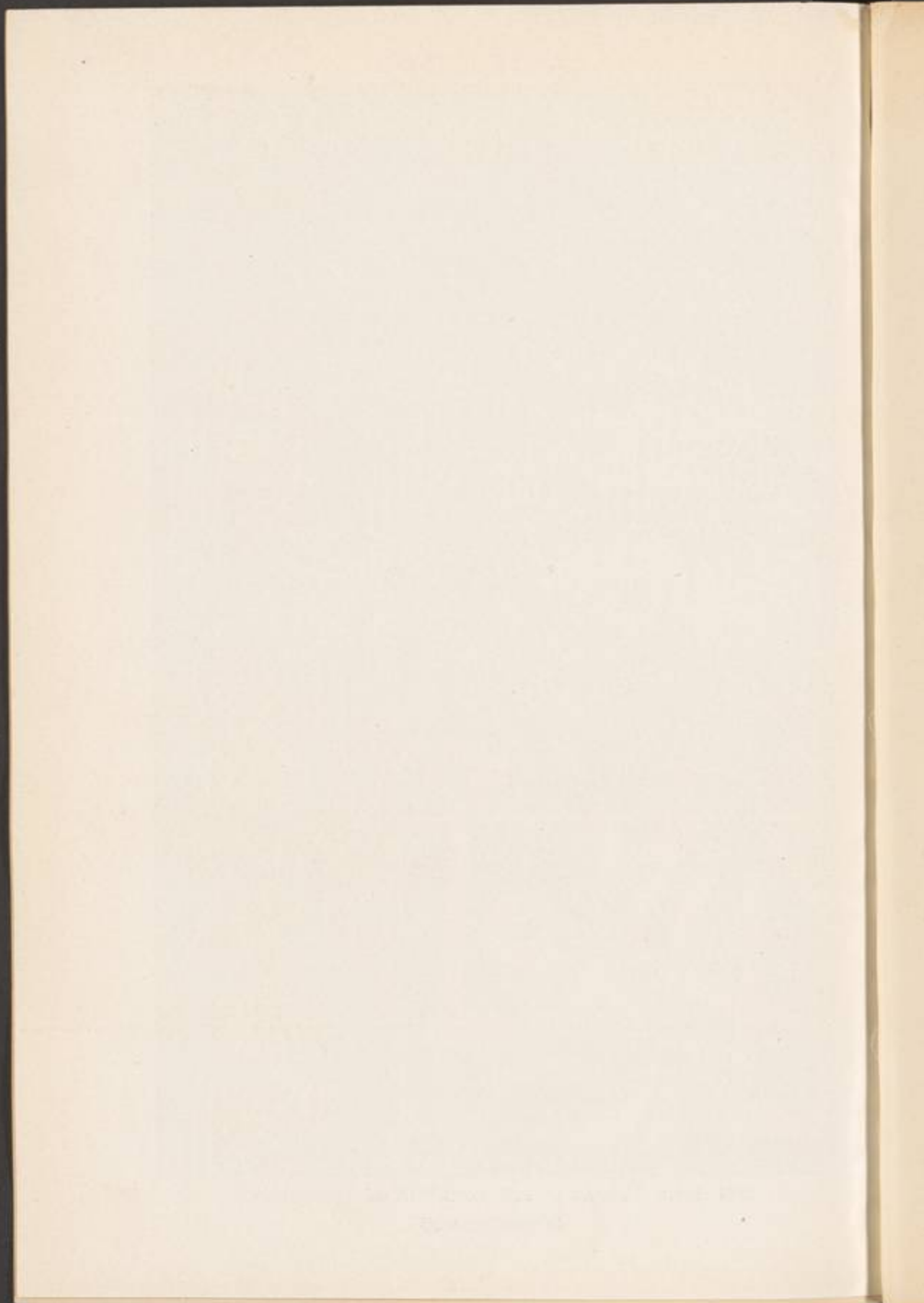
رايحا في الوقت وتلك المواضع التي يصرف اليها هذا المقدار في خمسة عشر عاما مرة وهي داخل الكعبة الشريفة، والروضة المطهرة المنيفة، أعنى بها التربة المنورة لسيد الكونين، ورسول الثقلين، نبينا محمد (عليه أفضل الصلاة والسلام) ، الى يوم القيام، بالمدينة المنورة والمقصورة المعمورة ، في الحرم الشريف ، والمذبح المنيف ، فيه ومحرا به محراب التهجد ، والأستار الأربعة لنفس الحرم الشريف ومحراب ابن العباس وقبره وقبر عقيل بن أبي طالب وحضرة الحسن وحضرة عثمان ابن عفان وفاطمة بنت أسد (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) وما زاد بعد هذا وهو مبلغ خمسمائة ألف درهم واثنتين وثمانين ألف درهم وستمئة وسبعين درهما لاحتقال أن يقع في بعض السنين النقصان، بسبب الشراقى وطوارق الحدثان ، لأن هذا بالتخمين ، وان لزم في بعض السنين، جبر النقصان ، فليجبر من هذا الفضل ذاك الزمان ، وان وجد في انقضاء المدة وبعد الصرف شيء مما يزيد ويفضل سواء كان هذا المقدار، أو أكثر منه أو أقل فليشتر بالموجود المزبور الملك المناسب للوقف من العقار . الواقع في موضع الرغبة والاشتهار ، ليكثر محصول الوقف ، وتوفير مواضع الصرف، بالحاق هذا المشتري والمتاع بسائر الأوقات واستغلاله معها وصرف غلاته الى المصارف الميينة بالأوصاف وتمية الوقف وتقويته بهذا التكثير وتمشيته وتوسعته بذلك التوفير ، وهذا بعد رعاية شرط أنه ان وقعت المضايقة في هذا الوقف أو في الوقف الآخر الذي وقفه السلطان أيضا على مصالح الفقراء الذاهبين الى الحجاز وعلى حاملهم وعلى سائر مهماتهم وكتب له وقفية مستقلة مشتملة على هذه الشروط والقيود ، تكون مرعية بالخلود والايود، يلزم أن يعين كل واحد الآخر من الجانبين بزوائده، وبفضائل عوائده، باتمام ما يهيم ويلزم له وبتكيله لدفع مضايقته وضرورته واسعاده واجتهاده اقرارا واعترافا صحيحين شرعيين، مصدقين محققين مرعيين ، وقفنا صحيحا شرعيا ، وحسبا صريحا

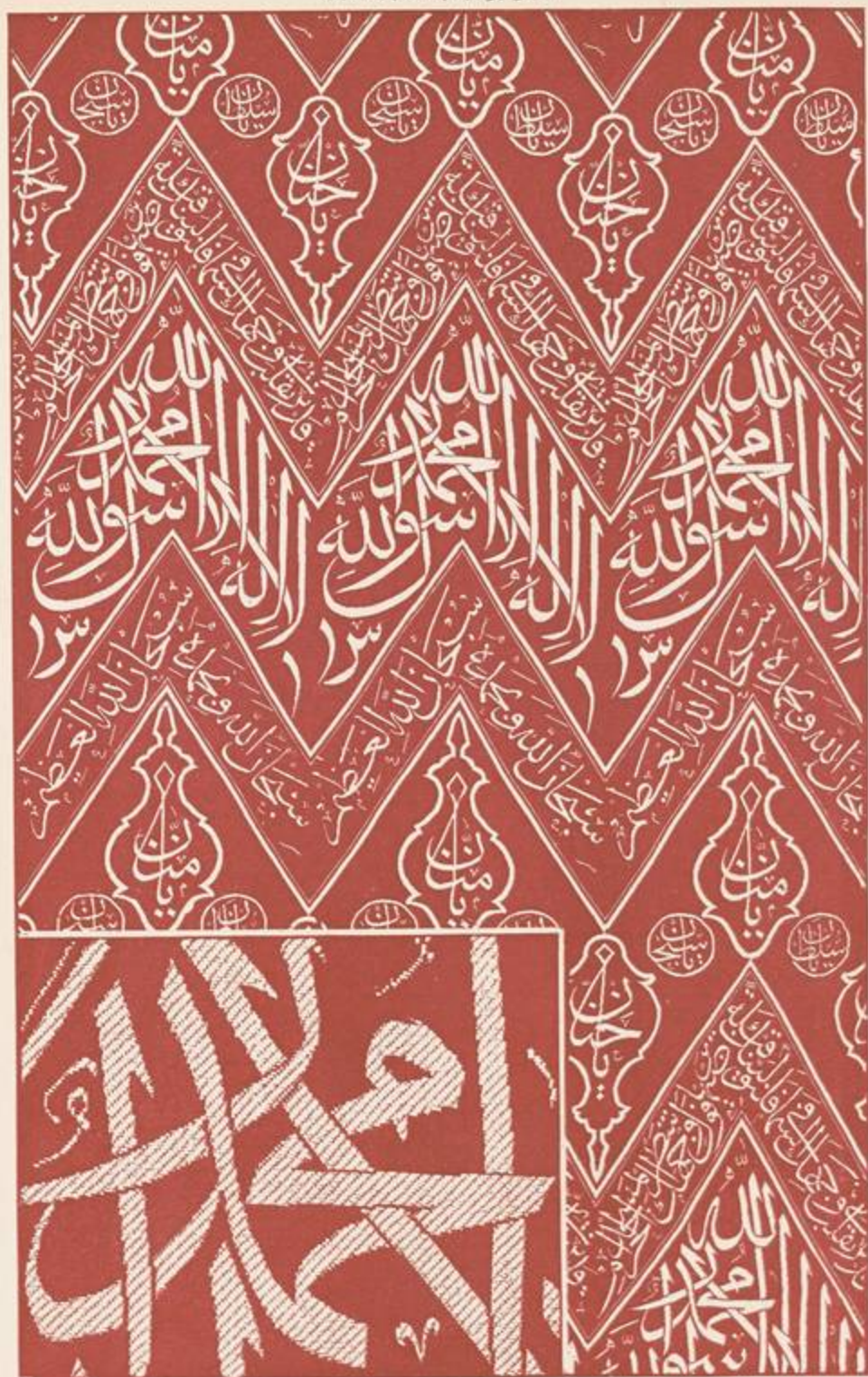
مرعيا ، حاويا على الحكم بصحته أصلا وفرعا ، على وجه يعتد به دينا وشرعا ،
 وغب رعايته شرائط الحكم والتبجيل ، وفي حصول الوقف والتسبيل ، لدى المولى
 الفضل التحرير الكامل الموقع أعلا هذا الصك الديني ، والحفظ اليقيني ، وفتح الله
 تعالى أبواب الحقوق بمفاتيح أعلامه ، وأحكم الأمور بثبوت أحكامه ، فصار وقفا
 لازما مساسلا متفق عليه على مقتضى الشرع ومرضى أحكامه بحيث لا يرتاب
 صحته وابتراجه لوقوع حكم المولى الموصى اليه على رأى من رآه من الأئمة الماضين
 المجتهدين (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) علما بالاختلاف الجارى بينهم
 فى مسألة الوقف علم خلوده بخلود السموات وأبوده بأبود الكائنات الى أن يرث الله
 الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين فلا يحل بعد ذلك لأحد يؤمن بالله ورسوله
 واليوم الآخر ينقضه أو يبطله أو يحوله أو يبدله فلا يملك بعد ذلك المؤمن أو خائفا
 من الله المهيمن بعد ما سمع قول رب العالمين (ألا لعنة الله على الظالمين) وأجر
 الواقف بعد ذلك على أرحم الراحمين جرى ذلك .

وحرر بالأمر العالى الخاقانى لا زال عاليا فى صفر المظفر المنخرط فى سلك
 شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة من هجرة من لاني بعده . وصلى الله عليه وعلى
 آله وصحبه الذين وفوا عهده .

قال التقي الفاسى : والكعبة تكسى فى عصرنا هذا يوم النحر من كل سنة إلا أنه
 لا يسبل عليها ثوبها فى هذا اليوم بل يسبل نصفه فقط ، والباقي فى أو انحرذى الحجّة
 وقد جرت عادة بنى شيبه أن يأخذوا الكسوة القديمة عند ورود الحديدية ويتصرفوا
 فيها بالبيع وغيره .

وذكر القاضى فى جامعته أن أمراء مكة كانوا يأخذون ستر باب الكعبة مع
 جانب كبير من الكسوة أو ٦٠٠٠ درهم عوضا عن ذلك ، الى أن رفع ذلك عنهم





THE HOLY CARPET IN THE INTERIOR OF THE KAABA

الشريف عنان بن مغامس حين ولى مكة سنة ٧٨٨ هـ . وتبعه أمراء مكة الى زمن السيد حسن بن عجلان فكان يأخذ ستر الباب وكسوة المقام ويهديها الى من يشاء من الملوك وغيرهم ، وقد استمر ذلك لأمرء مكة الى الآن — العشر الثانية بعد الثمانمائة — هـ .

قال التقي : ولم يكسها أحد من الملوك بعد الملك الصالح إسماعيل إلا أخوه الملك الناصر حسن لكن كسوته كانت لباطن الكعبة لا لظاهرها وهي الكسوة التي في جوفها الآن — آن الفاسي — وقد أرسل هذه الكسوة سنة ٧٦١ هـ . وكان قبلها كسوة للمظفر صاحب اليمن ، وهو أول من كسا الكعبة من الملوك بعد انقضاء دولة بني العباس من بغداد وذلك في سنة ٦٥٩ هـ . واستمر يكسوها عدة سنين مع ملوك مصر، وانفرد بكسوتها في بعض السنين . وأول من كساها من ملوك مصر بعد بني العباس الملك الظاهر بيبرس .

وفي سنة ٨٢٥ هـ . أرسل برسباي ملك مصر كسوة حمراء لباطن البيت ، وكان كلما ولى ملك أو سلطان أرسل الى الكعبة كسوة من الحرير الأحمر لداخل البيت وبأخرى خضراء للمحجرة الشريفة النبوية . فلما استولت الدولة العلية على مصر سنة ٩٢٣ هـ . اختصت بكسوة المحجرة الشريفة النبوية وكسوة البيت الداخلية — في (الرسم ١١٣) جزء من كسوة الكعبة الداخلية — واختصت مصر بكسوة الكعبة الخارجية فكانت ترسلها كل سنة ولا زال دأبها للآن . ومصر ترسل سنويا كسوة الكعبة الخارجية وستارة لبابها انظر (الرسم ١١١) وأخرى لباب التوبة (الرسم ١٠٤) — باب المدرج الداخلي — وثالثة لباب المنبر انظر (الرسم ٩٦) وكسوة لمقام ابراهيم الخليل عليه السلام وكسا لمفتاح الكعبة وقد قدمنا لك في (ص ٧ و ٨ و ٩) قطع الكسوة ووصفها وما تصنع منه ، وذلك في الإشهاد الذي كتب بتسليم الكسوة للحملى بتاريخ ١٥ ذى القعدة سنة ١٣٢١ هـ . وهالك وصفا لها أحسن تفصيلا من

الأول أرسله لنا حضرة عبد الله بك فائق مأمور الكسوة بتاريخ ١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٧ وقد أجهلناه فيما يأتي :

كشفت بتفصيل أجزاء كسوة الكعبة التي أرسلت من مصر

في سنة ١٣٢٥ هـ . الموافقة سنة ١٩٠٨ م . وكسوة مقام التحليل الخ

أحمال الكسوة — هي أحمال من نسيج حرير أسود « كخ »^(١) منقوش بالكتابة تتألف من ٦٢ ثوبا طول الواحد منها ٢٦ ذراعا بلديا — ٥٧ سنتيا — وعرض الثوب ٩٠ سنتيا بجملة أذرع الأثواب ١٦١٢ ذراع جميعها مغطى ومخيطة بالحرير الأسود المفتول « وبالشموط والخرز » القطن ومبطن « بالبقعة »^(٢) البيضاء « المقصورة »^(٣) وبالجميع أحبال وعراو « نوار »^(٤) من القطن « المردون »^(٥) والكل مخرز بالجلد « السخيتاني »^(٦) الأحمر والجلد « الكوسلة »^(٧) ومركب على كل حمل منها حزام من الأخرمة الثمانية الميمنة بعد ومركب على حملين منها أربع « رنوكلات أو كرداشيات »^(٨) يأتي بيانها بعد وهالك تفصيل الأحمال وما عليها من الأخرمة .

حملان مركب كل منهما من ٩ أثواب بجملة الأثواب ١٨ والأذرع ٤٦٨ وعلى هذين الحملين الحزام الأول والثالث .

حملان مركب كل منهما من ٨ أثواب بجملة الأثواب ١٦ والأذرع ٤١٦ وعلى هذين الحملين الحزام الثاني والرابع .

حملان مركب كل منهما من $\frac{٧}{١}$ أثواب بجملة الأثواب ١٥ والأذرع ٣٩٠ وعلى هذين الحملين الحزام الخامس والسابع .

(١) الكخ : المكتوب . (٢) الشموط : المفتول الرفيع . (٣) الخرز : المفتول الغليظ .
(٤) البقعة : نسيج قطنى . (٥) المقصورة : العريضة . (٦) النوار : شريط قطنى يوضع على منق العرضين . (٧) المردون المفتول . (٨) السخيتاني : جلد المعز المدبوغ .
(٩) الكوسلة : جلد غير مدبوغ ؛ (١٠) الرنوكة أو الكردشبة : الدائرة (انظر الرسم ٣) .

حملان مركب كل منهما من $\frac{1}{4}$ ٦ أثواب بجملة الأثواب ١٣ والأذرع ٣٣٨
وعلى هذين الحملين الحزام السادس والثامن .

وباقى أجزاء الكسوة الأخرى مصنوع من الحرير الأطلس الأسود « السادة »^(١)
البالغ مقاسه ٢١١ ذراع ومن الأطلس « الساسى »^(٢) الأحمر والأخضر الموضوع عليه
« مخيش »^(٣) الفضة الأبيض ومخيش الفضة الملبسة بالذهب « البندقى »^(٤) الأصفر .

أحزمة الكسوة . هي ثمانية :

الحزام الأول	طوله	$12 \frac{7}{8}$	ذراعا	وزنة المخيش	$\frac{7}{12}$	١٠٣٠	مثقال .	
» الثانى »	»	$11 \frac{7}{8}$	»	»	»	٩٤٧	$\frac{1}{4}$	
» الثالث »	»	$12 \frac{7}{8}$	»	»	»	١٠٣٩	»	
» الرابع »	»	$11 \frac{7}{8}$	»	»	»	٩٨٣	$\frac{1}{4}$	
» الخامس »	»	$10 \frac{7}{8}$	أذرع	»	»	٩٠١	$\frac{1}{4}$	
» السادس »	»	$9 \frac{7}{8}$	»	»	»	٨٦٢	$\frac{1}{4}$	
» السابع »	»	$10 \frac{7}{8}$	»	»	»	٨٦٧	$\frac{1}{4}$	
» الثامن »	»	$9 \frac{7}{8}$	»	»	»	٨٨٢	$\frac{1}{4}$	
							$7513 \frac{1}{3}$	

كردشيات الكسوة — هذه الكردشيات أربع طولها ستة أذرع مشغول
عليها من المخيش بنوعيه السابقين ما زنته ٤٠٥ مثقال وهى مركبة على الحملين اللذين
عليهما الحزام الأول والثانى وتوضع فى واجهة الكعبة الشرقية .

برقع الكعبة — هذا البرقع أربع قطع مصنوع من الحرير الأطلس الأسود
« السادة » الذى بلغ مقاسه $\frac{1}{4}$ ٤٦ ذراعا، ومن الأطلس الساسى الأحمر والأخضر
وقد وصل الجميع بعضه ببعض ووضع عليه مخيش الفضة الأبيض والفضة الملبسة

(١) السادة : غير المنقوش . (٢) الأطلس الساسى : نوع من الحرير يأتى من الخارج .
(٣) المخيش : أسلاك فضية . (٤) البندقى : الذى عياره ٩٩ % .

بالذهب البندقى الأصفر والجميع أيضا مبطن « بالبقعة » البيضاء المقصورة وعليه من الدائر والوسط نوار وعُمرًا من القطن « المردون » ومبطن أيضا بالأطلس السامى الأخضر من فوق « البقعة » ويتكوّن البرقع من القطع الآتية :

العتبة ^(١) وذرعها	$12 \frac{2}{3}$	ذراعا	وزنة ما عليها	من الخيش	بنوعيه	$\frac{1}{3}$	١٤٠٤	مثقال
الطرّاز ذرعه	$11 \frac{2}{3}$	»	»	»	»	»	$1057 \frac{1}{3}$	»
القائم الكبير	$11 \frac{2}{3}$	»	»	»	»	»	$1455 \frac{2}{3}$	»
» الصغير	٩	أذرع	»	»	»	»	٩٠١	»
وصلة القائمين	»	»	»	»	»	٤٣	مثقالا
							$4861 \frac{1}{3}$	

وعلى البرقع ما يأتى : ستة أزرار فضية عيار ٩٠ مطلية بالذهب البندقى مركب كل منها على شمسيتين^(٢) .

أثنتى عشرة شمسية نسجت من الأطلس الأحمر وشغل عليها الخيش بنوعيه وبطنت بالجلد السخيتانى الأحمر، وعلى كل منها شرابة من القطن الهندى .

اثنتى عشرة شرابة صغيرة صنعت من القطن الهندى الأحمر والقصب « والكثير^(٤) الشبخانة » الأصفر والأبيض والخيش العقادى^(٥) الأصفر، وكل منها ركب على شمسية خمس شرابات كبيرة شغلت من الحرير الأسود والقصب والخيش العقادى « والكثير الشبخانة » الأصفر والأبيض ، وكل شرابة لها « قيطان » شغل من الحرير الأسود .

- (١) الستارة مكوّنة من أربع قطع تسمى العليا منها العتبة والتي تحتها الطراز والتي تليها القائم الصغير والسفلى التي فيها الفتحة تسمى القائم الكبير، والوصلة ما توصل به القطع بعضها ببعض .
- (٢) الشمسية : دائرة مزركشة من النسيج تشبه أشعة الشمس توضع تحت الزرار . (٣) الشرابة : جملة خيوط فضيرة جمعها تشبه الكرة . (٤) الكثير الشبخانة : نوع ملفوف من الخيش . (٥) الخيش العقادى نوع مطلى بالذهب .

كسوة مقام أبينا ابراهيم الخليل عليه السلام — هذه الكسوة مؤلفة من خمس قطع القوائم الأربعة والسقف ومقاس ما فيها من الحرير الأطلس الأسود السادة ثلاثون ذراعا وهي مصنوعة من المواد المصنوع منها البرقع الا أنها ليست مبطنة بالأطلس الساسي الأخضر كالبرقع وأجزاء الكسوة وما عليها كما يأتي :

القائم الأول	طوله	$\frac{1}{8}$	أذرع	وزنة ما عليه من الخيش	٦١٤	مثقال
» الثاني	»	$\frac{1}{8}$	»	»	»	»
» الثالث	»	$\frac{1}{8}$	»	»	»	»
» الرابع	»	$\frac{1}{8}$	»	»	»	»
السقف ...	»	$\frac{1}{4}$	»	»	»	»
				من الفضة البيضاء	١٣٩	

٢٥٨٨

خمسة أزرار فضية سبق وصفها . عشر شمسيات سبق وصفها .
عشر شرابات صغيرة » » . أربع شرابات كبيرة سبق وصفها .
» سيجق^(١) شبكة بأزرار وشرابات من القطن الهندى الأحمر بنجرز مركب
فى أسفل المقام .

ستارة باب مقصورة ابراهيم الخليل — هذه الستارة مركبة من قطعتين طول كل منهما ١٠ أذرع ومن وصلة للقطعتين وهي مصنوعة من المواد المصنوع منها البرقع وزنة ما على القطعة الأولى من الخيش $\frac{2}{3}$ ٩١٥ مثقال وما على الثانية $\frac{1}{4}$ ٩٠٦ مثقال وما على الوصلة ٤٨ مثقالا فالجملة ١٨٧٠ وعليها ما يأتي :
خمسة أزرار فضية كالتى سبق وصفها . عشر شمسيات كالتى سبق وصفها .
عشر شرابات صغيرة .

ستارة باب التوبة — هذه الستارة مصنوعة مما صنع منه البرقع ومقاس ما فيها من الحرير الأطلس الأسود السادة $\frac{1}{4}$ ١١ ذراعا، وزنة ما عليها من الخيش بنوعيه $\frac{2}{3}$ ١٠٢٤

(١) السجق : شبكة من النسيج فى أطرافها كرات .

ستارة باب المنبر المكي - مصنوعة أيضا من المواد المصنوع منها البرقع ،
ومقاس ما فيها من الحرير الأطلس الأسود السادة $\frac{1}{4}$ ٦ أذرع ، وزنة ما عليها من
المخيش بنوعيه ٣٩٧ مثقال .

كيس مفتاح الكعبة - هذا الكيس من الأطلس الساسي الأخضر الذي
مقاسه ذراع وثمان وموضوع عليه مخيش فضة ملبس بالذهب البندقى الأصفر
الذى زنته ٤٥ مثقالا « وكثير ششخانه » أبيض « وترتر^(١) » فضة أبيض مثقالين
وهو مبطن بالأطلس الساسي الأخضر ومركب عليه « قيطان بشرابتين » مصنوعتين
من قصب ومخيش عقادى أصفر و « كثير ششخانه » .

أصناف لزوم الكسوة

- ثلاثة أحبال « مجاديل^(٢) » زنتها ١٨٠ رطلا .
- واحد وأربعون جبلا « عصفورة^(٣) » زنتها ٨٢ رطلا .
- ستة وثلاثون ذراعا من « البفته الخام » السمرء للخزم بها .

والكسوة وتوابعها تسلم الى الشيبى سادن الكعبة بعد أن تصل مكة بمقتضى
إشهاد شرعى يحضره العلماء والكبراء ويحفظها فى بيته القريب من الصفا، حتى اذا
ما كان صباح يوم النحر والمججاج بمنى ألبستها الكعبة وتثبت عليها بواسطة حلقات
من النحاس الأصفر فى دائرة الكعبة العلوى وفى الشاذروان، ويوضع عليها حزامها
فيا دون ثلثها الأعلى . أما الكسوة القديمة فيرسل المقصب منها عادة الى سيادة
الشرىف، واذا كان الحج بالجمعة يرسل الى جلالة السلطان، وغير المقصب يأخذه
الشيخ الشيبى فيبيعه للمجاج . ويجوار باب السلام حوانيت تباع فيها الكسوة

(١) الترت: دوائر منقوبة من وسطها . (٢) المجاديل : أحبال غليظة تعلق منها الكسوة
فى سطح الكعبة بعد أن تحاط بأعلى الكسوة . (٣) العصافير: أحبال رفيعة تربط بها الكسوة فى حلق
النحاس المثبت فى دائرة الكعبة العلوى والشاذروان .

مخصوصة بذلك . وكان عمر يترع الكسوة القديمة كل سنة ويفترقها على المجاج ، وتبعه في ذلك عثمان الى أن وجد شيئاً منها على حائض ، فأمر بحفر حفرة وألقى فيها الكسوة القديمة وأهال التراب عليها خوفاً أن يلبسها جنب أو حائض فقالت له عائشة : إن ثياب الكعبة اذا نزع عنها لا يضرها من لبسها من حائض ولكن بعها واجعل ثمنها في سبيل الله تعالى وابن السبيل ، ومن ثم صاروا يبيعونها ويأخذ الآن بنو شيبه ثمنها لأنفسهم ، وقد اختلف العلماء في جواز بيعها فنقل جواز ذلك عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما ، وبه قال بعض الشافعية ، وقال بعضهم بعدم جواز بيعها وما أجمل كلمة عائشة التي ذكرناها .

والكسوة تعمل سنويا بمصر في دار فسيحة بالخرنفس وإدارتها موكولة لمديرها عبد الله بك فائق .

ومصاريف الكسوة في هذه السنة (١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م) ٤١٤٣ جنيه وتفصيلها كما يأتي :

جنيه	
٥٠٤	مرتب مأمور الكسوة ٣٠٠ جنيه ومرتب كاتب ومخزني ٢٠٤ جنيه .
١٢٩	مرتبات خدمة سائرة .
٣٥١٠	نفقات في صنع الكسوة من ثمن حرير ونجيش فضة ملبس بالذهب وأجرة العمال ونفقات المهرجان الخ .

٤١٤٣

وكانت نفقاتها في سنة ١٣٢٥ هـ - ٤٠٨٤ جنيه ، وقد ازدادت نفقاتها في إبان الحرب الكبرى وبعدها حتى كانت في سنة ١٣٤٠ هـ - ١٠٣٢٢ جنيه وذلك لارتفاع أثمان الأشياء بعد قيام الحرب الكبرى وزيادة أجر العمال زيادة كبيرة .

والكسوة مكتوب في كل جزء منها هذه العبارة « لا إله إلا الله محمد رسول الله . الله جل جلاله » (انظر الرسم ١١٢) وكذلك ستارة الباب مكتوب فيها آيات من

القرآن وبعض كتابات أخرى (انظر الرسم ١١١) ومكتوب على طراز الكسوة أو حزامها من جهاتها الأربع بعض آى القرآن المتعلقة بالكعبة ومن صنعت الكسوة في عهده من الملوك (انظر الرسم ١١٠) وانظر في (الرسمين ١١٤ و ١١٥) حرفي «س» و«و» بحجمهما الأصلي من ضمن الكتابة التي في الطراز وانظر في (الرسم ١١٦) قطعة من ستارة الكعبة وانظر الكرداسية (الجامه) وما نقش داخلها في (الرسمين ٣ و ١١٧).

وهذا الخط العربي الجميل المسطور على الكسا والستائر والحزام وكيس الكعبة من كتابة الخطاط الماهر الذائع الصيت عبد الله بك زهدى كتبها في عهد إسماعيل باشا خديوى مصر والد جلالة ملك مصر الآن فؤاد الأول .

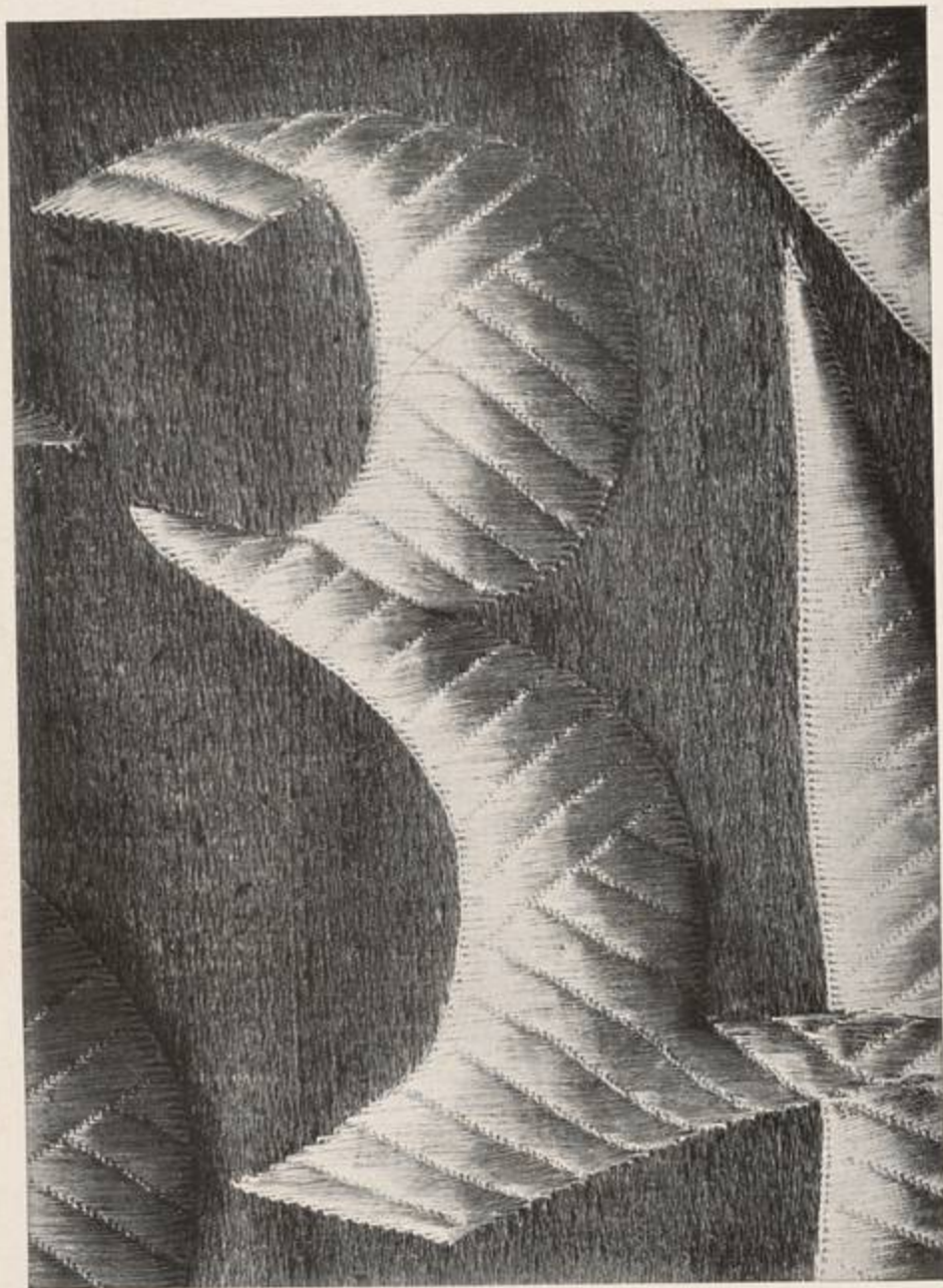
سدانة الكعبة ومفتاحها - سدانة الكعبة خدمتها والقيام بشأنها وفتح بابها وإغلاقه، وكانت أولا في حى طسم قبيلة من عاد فلما استخفوا بالكعبة وحرمتها أهلكتهم الله، فوليت ذلك جرهم فسلكوا مسلك أسلافهم فأوردهم الله مواردهم ثم وليت البيت خزاعة فساروا سيرة سابقهم فترع الله ذلك من أيديهم الى قصى، وذلك أن أبا غبشان آخر من ولى البيت من خزاعة أجمع مع قصى في شرب بالطائف فأسكره قصى وأشترى مفاتيح الكعبة منه بزق نحر وأشهد عليه ودفعها لابنه عبد الدار وطير به الى مكة فأفاق أبو غبشان أندم من الكسعى^(١) فضربت به الأمثال في الحمق والندم وخسارة الصفقة وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

وبيعة كعبة الرحمن جمعا * بزق بأس مقتخر الفخور

(١) الكسعى الذى يضرب به المثل في الندم هو عامد بن الحارث الكسعى الذى آخذ قوسا وخمسة أسهم وركن في محباً فر قطع فرمى حمارا وحشيا منه ففقد منه السهم وصدم الجبل فأورى نارا فظن أنه قد أخطأ فرمى ثانيا وثالثا الى آخرها وهو يظن خطأ فعمد الى قوسه فكسرها ثم بات فلها أصبح نظر فاذا الحجر مضرحة مصرعة وأهيمه بالدم مضرحة فندم فقطع إبهامه وأنشد

ندمت ندامة لو أن قصى * تطاوعنى إذا لقطعت نحمى

تبين لى سفاه الرأى منى * لعمر أيتك حين كسرت قوسى

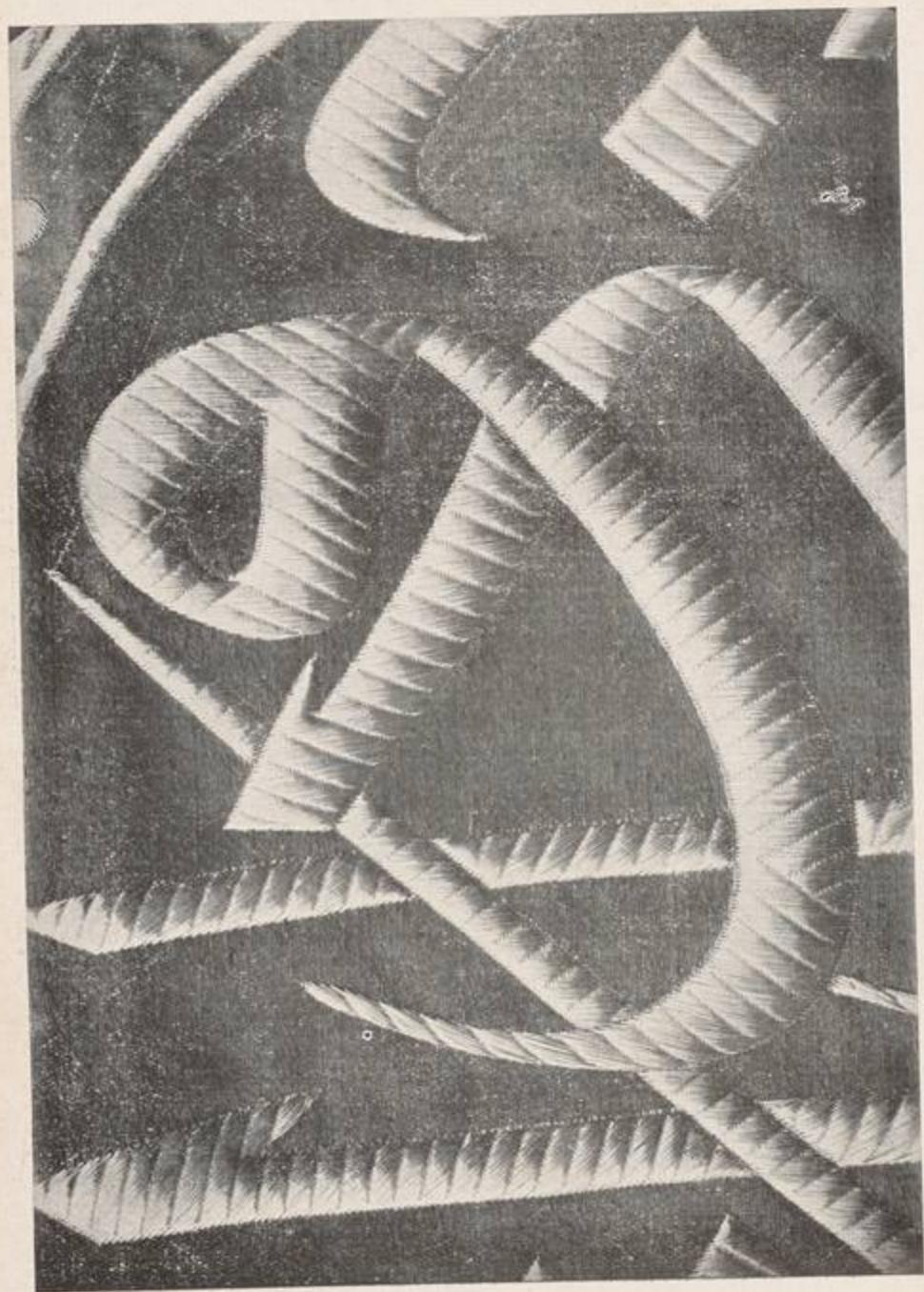


حرف (س)

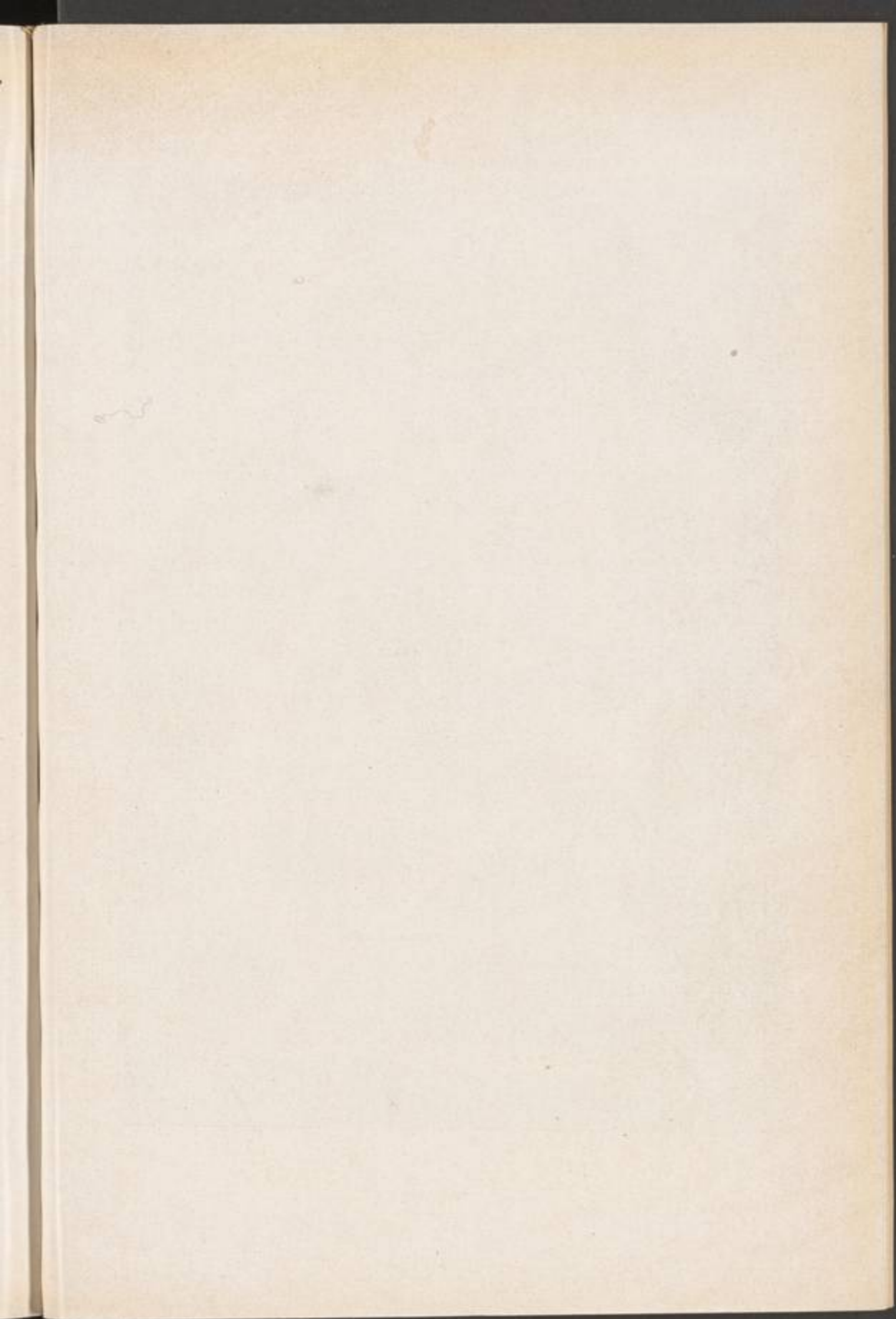
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

114. A copy of the letter (س) in the same size as what is written on the Belt of the Kaaba.

حرف و (



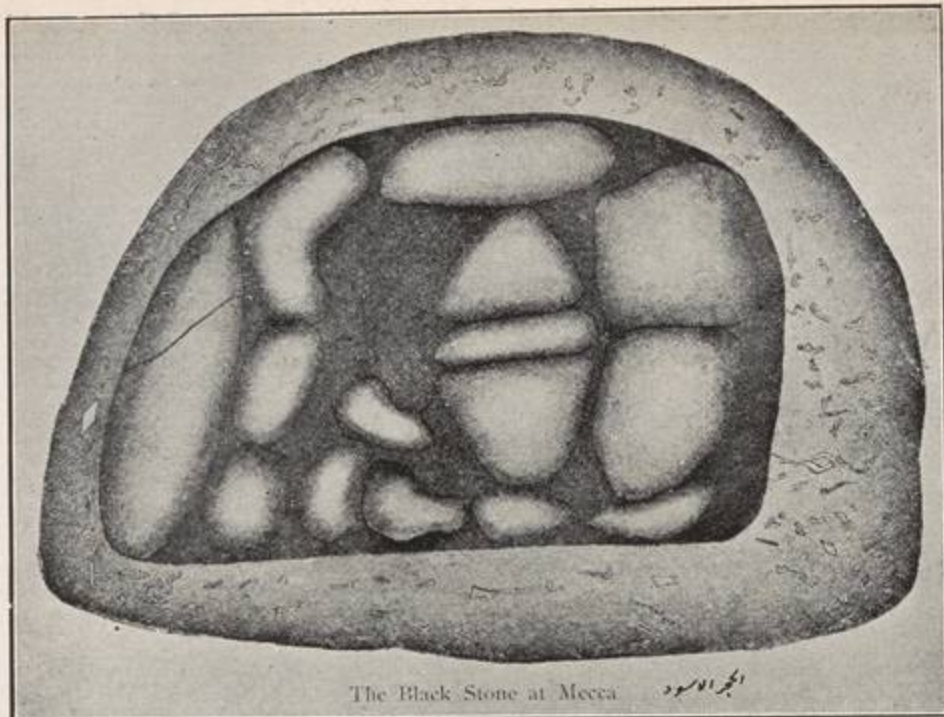
115. A copy of the letter (و) in the same site as what is written on the Belt of the Kaaba



منظر ستارة الكعبة

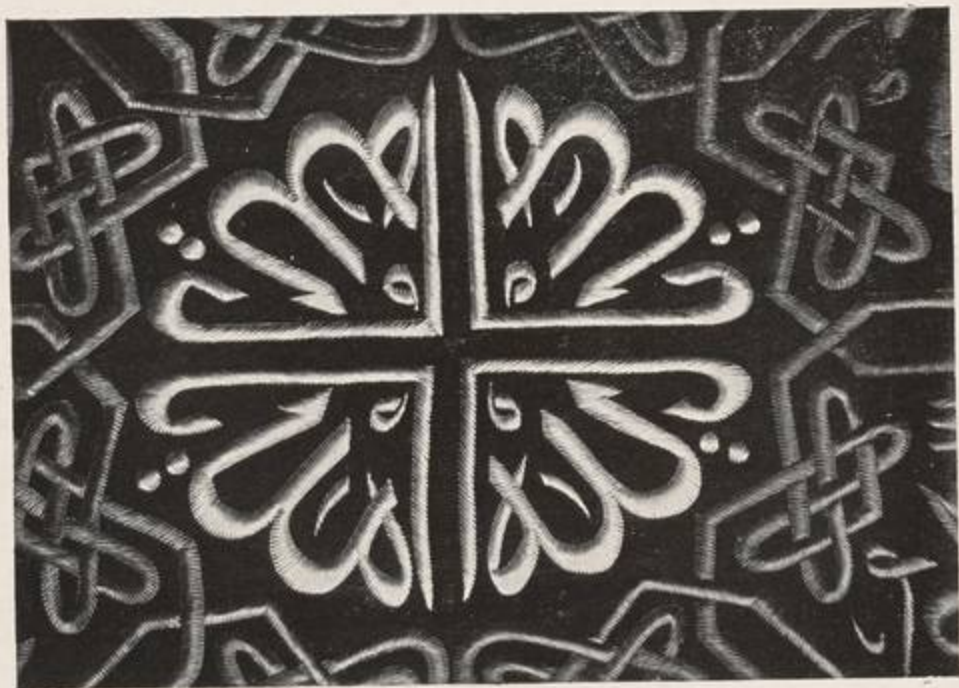


116. The curtain before the door of the Kaaba.



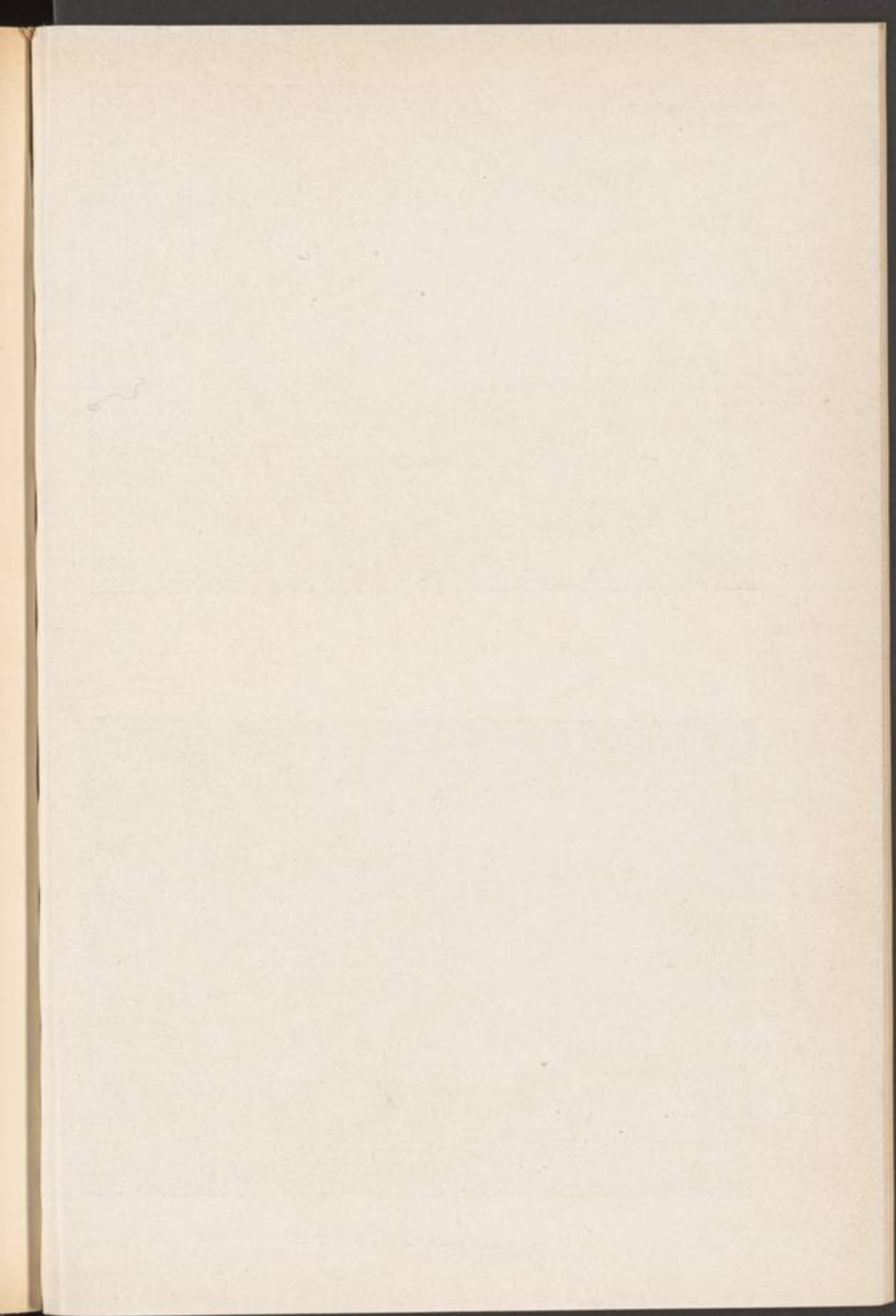
The Black Stone at Mecca الحجر الاسود

جزء من كسوة الكعبة الشريفة



117. A view of the part of the carpet of El Kaaba (Va Allah).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ
 إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ الْعَظِيمِ



وقال آخر

أبوغبشان أظلم من قصي * وأظلم من بني بكر خزاعة
فلا تلحوا قصيا في سراها * ولوموا شيخكم إذ كان باعه

وقال آخر :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت * بزق نحر فبئست صفقة البادي

وأخذ المفتاح بعد عبد الدار ولده عثمان ولم تزل السدانة في ذريته حتى آنتقلت الى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، وقد مات عثمان ولم يعقب فصارت الى ابن عمه شيبه بن عثمان، ولا تزال في يد ولده للآن . وقد ردّ صلى الله عليه وسلم المفتاح الى عثمان بن طلحة بعد أن أخذه منه عمر، وقال : خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة الى يوم القيامة لا يترعها منكم إلا ظالم وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها﴾ وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال : «هاكم المفتاح يا بني شيبه وكاوا بالمعروف» قال العلماء هذه ولاية من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لأحد أن يترعها منهم . قال المحب الطبري : هذا إن حافظوا على حرمة البيت فإن استخفوا بها فلا خطر في أن يقام عليهم مشرف يمنعهم من الظلم .

وقد حدث في سنة ٩٩٦ هـ . لثلاث بقين من رمضان أن فتح الشيخ عبد الواحد الشيبى الكعبة لزيارة النساء جريا على العادة فسرق من حجره مفتاح الكعبة ، وكان مصفحا بالذهب فخلصت ضخمة وأغلقت أبواب المسجد وقتش الناس فلم يظفروا به ثم وجده سنان باشا بايمن مع رجل أعجمى بلغه أنه عنده فكبس داره فاذا بالمفتاح فيها مع مسروقات أخرى اعترف بها ، فجز رأسه ورد المفتاح الى الشيخ عبد الواحد .

وقد جرت العادة من زمن مديد أن يصنع مع الكسوة كيس لمفتاح الكعبة يحفظ فيه عند أكبر بنى شيبية ، أنظر في الرسم ٢ هذا الكيس ، وقد نقش في إحدى جهتيه ﴿ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ وفوق ذلك وتحت أمر بعمل هذا الكيس المبارك مولانا السلطان محمد الخامس ، وفي الجهة الأخرى في الوسط قوله تعالى ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وفوق ذلك وتحت جدد هذا الكيس أفندينا عباس حلمي باشا خديو مصر سنة ١٣٢٧ هـ .

تطيب الكعبة — روى الأزرقى عن عائشة رضى الله عنها قالت : طيبوا البيت فان ذلك من تطهيره وقالت : لأن أطيب الكعبة أحب إلى من أن أهدي لها ذهباً وفضة ، وقد أجرى معاوية بن أبي سفيان للكعبة وظيفة الطيب لكل صلاة وكان يبعثه في رجب كما أخدمها عبيدا ، ثم اتبع الولاة بعده سنته . وكان عبد الله ابن الزبير يجرها كل يوم برطل من الحجمر — بضم ميم الأولى وكسر الثانية وبوزن عنبر وهو العود الرطب — وفي يوم الجمعة برطلين . وجرت العادة بأن يرسل مع الكسوة كل سنة «غلايتان» من النحاس مملوءتان بماء الورد التقي ليغسل به الكعبة .

صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة — روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فنزل بفناء الكعبة وبعث الى عثمان بن طلحة بفناء بالمفتاح ففتح له الباب ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وعثمان بن طلحة وأسامة وبلال ، فلما خرجوا ابتدرهم الناس فقلت لبلال أصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت؟ قال : نعم ! قلت : أين؟ قال : بين العمودين المقدمين تلقاء وجهه ، وفي رواية للشيخين عن ابن عمر : فسألت بلالا حين خرج ماذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جعل عمودا عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت يومئذ ستة

أعمدة ثم صلى ؛ وروى البخارى أيضا عن ابن عمر أنه كان اذا دخل الكعبة مشى قبل الوجه حتى يدخل ويجعل الباب قبل الظهر يمشى حتى يكون بينه وبين الجدار الذى قبل وجهه قريب من ثلاثة أذرع فيصلى يتوحن المكان الذى أخبره بلال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه وليس على أحد بأس أن يصلى فى أى نواحى البيت شاء . وكان ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دخلته هذه ركعتين كما رواه كثير من الصحابة . وروى النسائى ومسلم عن أسامة بن زيد وابن سعد فى كتاب الطبقات ، وأحمد فى مسنده ، والطبرانى فى معجمه عن الفضل بن العباس والشيخان والنسائى عن ابن عباس أن ثلاثهم قالوا : لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم فى الكعبة وإنما دعا فيها وصلى ركعتين خارجها عند بابها . وقد رجح التقي الفاسى فى كلام طويل جميل رواية الإثبات على رواية النفى وذكر كثيرا من المسالك التى سلكها العلماء فى الجمع بين هاتين الروايتين المتنافيتين وتقدها فارجع إليها إن شئت . وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة بعد هجرته أربع مرات فى يوم الفتح وفى اليوم التالى له وفى حجة الوداع وفى عمرة القضية ، وكل هذه الدخلات فيها خلاف إلا دخلته يوم الفتح فليس فيها خلاف ، وإنما اختلفوا فيها هل صلى داخل الكعبة أو خارجها . وقد استحج جمهور العلماء الصلاة فيها لما ثبت عندهم من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فيها ، ومنع ذلك طائفة من العلماء منهم ابن عباس ومحمد بن جرير واصبغ المالكى وبعض أهل الظاهر قالوا لا تصح فيها صلاة أبدا ، لا فريضة ولا نافلة ومذهب مالك صحة النفل غير المؤكدة فيها . وأما الفرض فالمشهور من مذهبه عدم صحته فيها ، وقيل : يجوز ومثل الفرض النوافل المؤكدة ، والأصح عند الحنابلة صحة النفل فيها وعدم صحة الفرض . ومذهب أبى حنيفة والشافعى صحة الفرض والنفل فيها . ويصلى المرء الى أى جهاتها شاء .

الحجر الأسود — قدّمنا لك وصفه والآن نذكر لك شيئا من أخباره وما ورد من الأحاديث فى شأنه وتراه فى (الرسم نمرة ١١٨) .

(١) تاريخه — روى الأزرقى عن ابن عباس . أن الله تعالى أنزله مع آدم عليه السلام ليستأنس به ، وروى ابن إسحاق : أن الله أودعه جبل أبي قبيس وقت طوفان نوح وأنه لما بنى الخليل البيت جاءه جبريل بالحجر الأسود فوضعه الخليل موضعه من البيت ، ولما أكره بنو بكر بن عبد مناة وغبشان بن خزاعة جرهما على الرحيل من مكة دفن عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي الحجر في زمزم وأنطلق هو ومن معه من جرهم الى اليمن ثم أخرج من زمزم ووضع مكانه . ولما احترقت الكعبة في عهد ابن الزبير تصدع الحجر فكان ثلاث فرق وانشطت منه شظية كانت عند بعض آل بنى شيبة وقد شدّه ابن الزبير بالفضة ماعدا الشظية ثم تزلزلت الفضة حول الحجر وخيف عليه أن ينقض ، فلما أعتمر هارون الرشيد في سنة ١٨٩ هـ . أمر بالحجارة التي بينها الحجر فنقبت بالماس من فوقها ومن تحتها ثم أفرغ فيها الفضة ، ولما وافتى مكة عدوّ الله أبو طاهر القرمطي في سابع ذى الحجة سنة ٢١٩ هـ . يجيشه الجرار أعمل سيفه في الطائمين والمصلين وفي مكة وشعابها وقتل هو وجيشه ما يربو على ثلاثين ألفا (عن كتاب الخميس) دفن كثيرا منهم في بئر زمزم وفي المسجد الحرام بغير غسل ولا تكفين ولا صلاة ونهبوا أموال الحجيج وأهل مكة ، وركض أبو طاهر وهو سكران شاهر سيفه راكب فرسه ودخل المطاف فبات فرسه وراثت وطلع الى باب الكعبة وهو يقول :

أنا بالله وبالله أنا * يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وقد أقام بمكة أحد عشر يوما ، وفي ١٤ ذى الحجة قلع الحجر الأسود من مكانه وذهب به الى بلاد هجر وبقى موضعه خاليا يضع الناس فيه أيديهم للتبرك ، وفي يوم النحر من سنة ٣٣٩ هـ . وافتى بالحجر سنبر بن الحسن القرمطي وقد شدّه بالفضة من شقوق حدثت فيه بعد قلعه ، ووضع بيده في مكانه وشدّه الصانع بحص أحضره معه سنبر وقال : أخذناه بقدره الله ورددناه بمشيئة الله ، وكان وضع الحجر قبل حضور الناس من منى فكانت مدة بقاءه بيد القرامطة اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة أيام ، وقد بذل مدبر الخلافة ببغداد للقرامطة خمسين ألف دينار ليردوا الحجر

الى موضعه فأبوا وقالوا أخذناه بأمر ولا نرده إلا بأمر . وكان مما فعلوا أن قلعوا باب الكعبة وأخذوا كسوته^(١) .

(١) في خلافة المعتمد العباسي (سنة ٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) ظهر شخص بسواد الكوفة يقال له : قرمط دعا أهل السواد والبادية ممن ليس لهم عقل ولا دين الى مذهبه فأجابوه وكان ما دعاهم اليه أنه جاء بكتاب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) يقول الفرج بن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانة إنه داعية المسيح وهو عيسى وهو الكعبة وهو المهدي وهو أحمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل وأن المسيح تصور في جسم إنسان وقال : إنك الداعية وإنك الحجّة وإنك الناقة وإنك الدابة وإنك يحيى بن زكريا وإنك روح القدس ، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول المؤذن : الله أكبر ثلاث مرات أشهد أن لا إله إلا الله مرتين أشهد أن آدم رسول الله أشهد أن نوحا رسول الله أشهد أن إبراهيم رسول الله أشهد أن عيسى رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله وأن القبلة الى بيت المقدس وأن الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيها شيء . ويقرأ في كل ركعة الاستفتاح وهو المنزل على أحمد بن محمد بن محمد بن الحنفية وهو الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المنجد لأوليائه بأوليائه قل : إن الأهلّة مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها لأوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلا وآتقوني يا أولى الألباب وأنا الذي لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الخليم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي فمن صبر على محنتي وبلاتي وأختارني أدخلته في جنتي وأخذته نعيي ، ومن زل عن أمري وكذب رسلي أخذته به مهانا في عذابي وآتممت أجلي وأظهرت أمري على السنة رسل وأنا الذي لم يعل جبار إلا وضعته ولا عزيز إلا أذلته وبئس الذي أجبر على أمره ودام على جهالته وقال لن يبرح عليه عاكفين وبه موقنين أولئك هم الكافرون ثم يركع ، ومن شرأته أن يصام يوما في السنة وهما المهرجان والنيروز وأن التبيذ حرام وانحر حلال ولا غسل من جنابة ، لكن الوضوء كوضوء الصلاة وأن يؤكل كل ذي ذى ناب وكل ذي مخلب . هـ .

ومن القرامطة علي بن الفضل القرمطي ظهر بصنعاء اليمن في سنة ٢٩٣ هـ . وأرتكب المحظورات وأحل لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات وسائر المحرمات . وكان عنوان كتابه من باسط الأرض وداحيا ومززل الجبال ومرسها على بن الفضل الى عبده فلان وكان يؤذن في مجلسه أشهد أنت على بن الفضل رسول الله وكان يشد على المنبر بصنعاء .

خذى الدف يا هذه وأضربي * وغنى هذا ذيك ثم اطربي
تسولي نبي بني هاشم * وهذا نبي بني يعرب
أحل البنات مع الأمهات * ومن فضله زاد حل الصبي
وقد حط عنافروض الصلاة * وحط الصيام ولم يتمب
إذا الناس صلوا فلا تهضي * وأن أمسكوا فكلني وأشربي
ولا تطلي السعي عند الصفا * ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك الناكثين * من الأقربين أو الأجنبي
فلم ذا حلت لهذا الغريب * وصرت محرمة للأب

وفي سنة ٣٤٠ هـ . قلع الحجبة الحجر ووضعوه في الكعبة خوفا عليه وجعل له طوق من فضة ويقال : إنه كان عليه من الفضة ٣٠٩٧,٥ درهم ثم رد الى مكانه .
وفي سنة ٤١٣ هـ . يوم النفر الأول ضرب رجل الحجر ثلاث ضربات بدبوس فانخدش وجهه وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار وتشقق ، فجمع بنو شيبه الشظايا وعجنوها بالمسك واللك وملؤا الشقوق وطلوها بطلاء .
وقد أخذ أمير مكة داود بن عيسى الحسنى طوق الحجر الأسود قبيل عزله عن مكة سنة ٥٨٥ هـ . وفي سنة ٧٨١ هـ . قلع الحجر من موطنه وحلى من حلية أرسلها الأمير سودون باشا .

(٢) استلام الحجر الأسود وتقبيله — روى البخارى ومسلم عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أنه سئل عن استلام الحجر فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله ، وكذلك روى عن جابر وعمر وغيرهما ، وفي سنن الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد على الحجر ، وفي سنن البيهقى عنه أيضا قال : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبله وسجد عليه ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هكذا ، وفي مسند الشافعى عن ابن عباس أنه قبل الركن — الحجر الأسود — وسجد عليه ثلاث مرات ، ولم ير الامام مالك السجود عليه وقال : أنه بدعة وخالفه الجمهور فى ذلك ، وأخرج الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان يزاحم على الركنين — الحجر والركن اليمانى — فقيل له فى ذلك ، فقال : إن أفعل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن مسحهما كفارة للخطايا ، وأخرج أحمد بن حنبل وابن حبان فى صحيحه

= أليس الفرائض لمن ربه * وأسقاه فى الزمن المخبى

وما الخمر إلا كآء السماء * حلال فقدست من مذهب

وهى قصيدة طويلة حلل فيها سائر المحرمات — لعنه الله — وقد هلك مفسودا مسبوا فى سنة ٣٠٣ هـ . ومدة محنته وكفره ١٩ سنة ، وقد قويت شوكة القرامطة وأمتد سلطانهم وعلا ظلمهم فهتكوا جرمات الله ونهبوا قوافل الحجاج وقتلوا النساء والأطفال ، وكان منهم أبو طاهر القرمطى صاحب حادثة الحجر الأسود .

عنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحط الخطايا حطا . وروى سعيد بن منصور عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لامرأة لا تراحمي على الحجر إن رأيت خلوة فاستلمي وإن رأيت زحاما فكبري وهللي إذا حاذيت ولا تؤذي أحدا ، وفي البخاري عن عائشة ما يقتضى ترك استلام الحجر للنساء وهو محمول على ما إذا حضر الرجال كما دل عليه الحديث السابق .

وأخرج السنة البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي ومالك عن عابس ابن ربيعة قال : رأيت عمر رضي الله عنه يقبل الحجر ويقول : إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ، وزاد مسلم والنسائي في رواية ولكن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بك حفيا ولم يذكر يقبلك ، والحفي المبالغ في الاكرام والعناية من الحفاوة .

الحطيم والحجر — الحطيم يطلق الآن على الجدار المطيف بالحجر وبذلك قال ابن عباس ، وقيل : أن الحطيم ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحجر إسماعيل أي البقعة المحصورة بين الكعبة والحجر غربا والمقام وزمزم شرقا ، وهذا ما حكاه الأزرقي عن ابن جريح ، وفي كتب الحنفية أن الحطيم المكان الذي فيه الميزاب وذلك ألقى بالاشتقاق لأن ذلك المكان حطم من الكعبة وفصل منها والأكثر على القول الثاني .

والحجر ما أطاف به الحطيم — الجدار — وقد ذكر الأزرقي : أن إبراهيم عليه السلام جعل الحجر إلى جنب البيت عريشا من أراك يقتحمه العنز وكان زربا لغنم إسماعيل وقد تقدم أن قريشا أدخلت في الحجر أذرا من الكعبة حين بنتها لما قصرت عليهم النفقة الحلال التي أعدوها لعارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها ، وأن ابن الزبير أدخل ذلك في الكعبة حين عمرها ، وأن الجحاج أخرجها منها واستمر ذلك ليومنا ، وعلى ذلك فبعض الحجر من الكعبة وبعضه ليس منها ، ويدل لذلك ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ! لولا أن قومك حديث عهد بشرك لهدمت الكعبة فالزقتها بالأرض وجلعت

لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قرينها استقصرتها حيث بنت الكعبة ، وفي رواية فإن بدا لقومك من بعدى أن يننوه فهلمى لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع ، وفي مسلم عن عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت من الحجر خمسة أذرع ، وذكر عطاء أن ابن الزبير زاد في البيت خمسة أذرع من الحجر ، وأنه بدله أساس نظر إليه الناس فبنى عليه ، وأما ما رواه الشيخان من حديث عائشة قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجر أمن البيت؟ قال : نعم ! قلت : فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال : إن قومك قصرت بهم النفقة الخ ، فلا يعارض ما ذكرنا من أن بعضه من البيت لأن حديث عائشة هذا مطلق وأحاديثها السابقة مقيدة ، والمطلق يحمل على المقيد ، وقد اختلف الفقهاء هل يصح الطواف من الحجر بعد السبعة الأذرع من البيت أم لا يصح الطواف إلا من وراء الحطيم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم قال كثيرون بالأقول وقال آخرون بالثاني .

ونذكر لك طرفا من عمارة الحجر فنقول : لما حج المنصور العباسي سنة ١٤٠ هـ . دعا زياد بن عبيد الله الحارثي أمير مكة وقال له : إني رأيت الحجر بادية حجارته فلا أصبحن حتى يستر جداره بالرخام فدعا زياد بالعمال فرحموه ليلا على ضوء المصابيح ، ثم جدد المهدي رخامه سنة ١٦١ هـ . ولم يزل به حتى رث فقلع وألبس رخاما جميلا في عهد المتوكل العباسي سنة ٢٤١ هـ . وعمر الحجر المعتضد العباسي سنة ٢٨٣ هـ . والوزير جمال الدين المعروف بالحواد في العقد الخامس بعد ٥٠٠ هـ . وعمر قبله أيضا وفي زمن الناصر العباسي سنة ٥٧٦ هـ . وعمره المستنصر العباسي والملك المظفر صاحب اليمن ، والملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٠ هـ . والأشرف شعبان سنة ٧٨١ هـ . وذلك بأمر الأميرين بركة وبرقوق مدبري دولته ، وعمره أيضا الظاهر برقوق سنة ٨٠١ هـ . — المكتوب على الحجر من الجهة الغربية تاريخ ٧٨٠ — وثبت كثير من رخام الحجر بالجبس في سنة ٨٢٢ هـ . وأصلح قسم كبير

من رخام الجدار وأرض الحجر سنة ٨٢٦ هـ . وذلك بأمر الأمير زين الدين مقبل القديري ، وعمره السلطان جقمق سنة ٨٤٣ هـ . وقايتباى سنة ٨٨٠ هـ . والسلطان سليمان سنة ٩٤٠ هـ . والسلطان محمد خان سنة ١٠٧٣ هـ .

وقد تقدم لك وصف الحجر الآن ومقاسه فى ص ٢٦٦ وتزيد على ذلك أن فيه رخامة خضراء تحت الميزاب يقال إنها موضع قبر إسماعيل عليه السلام والناس يتحرون هذه الرخامة للصلاة عندها ، مع أن الصلاة الى القبور أو عليها منهى عنها . وفى الحديث الصحيح « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وأكثر المؤرخين على أنه مدفون بالحجر ويؤيد ذلك قول ضرار بن الخطاب :

لم يحظ بالحجر فيما قد مضى أحد * من البرية لا عرب ولا عجم
بعد ابن هاجر إن الله فضله * إلا زهير له التفضيل والكرم

يعنى زهير بن الحارث بن أسد .

ومما رأيت مكتوبا على حائط الحجر من الجهة الغربية تواريخ لمحمد بن قلاوون ولبرقوق ولجقمق ولقايتباى هى التى قدمناها لك . ومكتوب على الحجر قبالة الميزاب من الأعلى :

نعم المطاف ترابه * فى عين أرمد إثم^(١)
ويطوفه بالليل والشمس قوم هجد
الله بارك فرشه * مع من بناه يخلد
زان المطاف بمرمر * ملك الأنام محمد

ثم تاريخ للسلطان سليمان سنة ٩٤٠ هـ . وبعده

لا سيما من نسلهم * سلطاننا المستمجد
بزال صارم سيفه * للظى الصلال^(٢) محمد

(١) الارمد : المريض بالرمد ، والإثم : الكحل .

(٢) هكذا فى الحجر .

الله خلد ما لكه * والعدل فيه مؤيد

كالبدر يشرق نوره * إذ جنّ ليل أسود

وتاريخ للسلطان محمد خان سنة ١٠٧٣ هـ . وفي أول حائط الحجر في الأعلى من

الجهة الشرقية :

الحمد لله الذي * جعل المطاف منورا

بضيا جبينه زين * كالشمس أصحى^(١)

الحج في الجاهلية وما يتبعه

من زمن مديد والعرب في جاهليتها تحج الى البيت الحرام وكانوا على دينين حلة وحمس ، فالحمس قريش ومن والاها من كنانة ونحزاعة والأوس والخزرج وقضاعة وجديلة وغطفان وعدوان وغيرهم من قبائل العرب سماوا بذلك لتحمسهم في دينهم ، والحماسة : الشجاعة ، والأحمس : الشجاع أولانهم احتموا بالحمساء وهي الكعبة ، وكانت قريش إذا زوجت عربيا من بناتهم شرطوا عليه أن كل من ولدت منه فهو أحمسى على دينهم يرون أن ذلك أحفظ لشرفهم وأبسط لسلطانهم ، وكانت لهم في العرب ميزة لم تكن لغيرهم ومنشأ ذلك فضل فيهم وكال في أخلاقهم ، فقد كانوا حلفاء متآلفين وبكثير من شريعة إبراهيم متمسكين ولم يكونوا كالأعراب الأجلاف ولا كمن لا يوقره دين ولا يزينه أدب ، وكانوا ينجثون أولادهم ويحجون البيت و يقيمون المناسك ويكفنون موتاهم ويغتسلون من الجنابة وتبرءوا من^(٢) الهريرة وتباعدوا في المناكح من البنت و بنت البنت والأخت و بنت الأخت غيرة وبعدا من الجوسية ، ونزل القرآن بتوكيد صنيعهم وحسن اختيارهم وكانوا يتزوجون بالصداق والشهود و يطلقون ثلاثا ، ولذلك قال عبد الله بن عباس وقد سأله رجل عن طلاق العرب فقال : كان الرجل يطلق امرأته تطليقة ثم هو أحق بها فان طلقها ثنتين فهو أحق بها أيضا فان طلقها ثلاثا فلا سبيل له اليها ولذلك قال الأعشى :

(١) هكذا في الحجر . (٢) الهريرة سيردون الحب .

أيا جارتى ببني فانك طالقہ * كذاك أمور الناس غاد وطارقه
وبيني فقد فارقت غير ذميمة * وموموقة منا كما أنت وامقه^(١)
وبيني فان البين خير من العصا * وأن لا ترى لى فوق رأسك بارقه
وكان من عادة الحمس اذا أحرموا أن لا يأتقطوا الأقط^(٢) ولا يأكلوا السمن
ولا يسلوه — لا يطبخوه ولا يعالجوه — ولا يبخضوا اللبن ولا يأكلوا الزبد ولا يلبسوا
الوبر ولا الشعر ولا يغزلوه أو ينسجوه أو يستظلوا به ما داموا حرما، وما كانوا كذلك
يأكلون شيئا من نبات الحرم، وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ولا يخفرون فيها الذمة
ولا يظلمون، وكانوا يطوفون بالبيت عليهم لباسهم، وكانوا اذا أحرم الرجل منهم
في الجاهلية وأول الاسلام فان كان من أهل البيوت تقب تقبا في ظهر بيته فمته يدخل
ومنه يخرج، وما زالوا كذلك حتى بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فأحرم عام
الحديبية، فدخل بيته وكان معه رجل من الأنصار فوقف الأنصارى بالباب فقال له
ألا تدخل؟ فقال الأنصارى: إني أحسى^(٣) يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنا أحسى ديني ودينك سواء، فدخل الأنصارى مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الباب، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ((وليس البرأان تأتوا البيوت من
ظهورها ولكن البر من آتى وأتوا البيوت من أبوابها وآتقوا الله لعلكم تفلحون)) وقال
الحمس لأنفسهم: لا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فإنكم إن فعلتم ذلك
استخفت العرب بجرمكم، وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم
فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها وجعلوا موقفهم بطرف الحرم من جهة نمره
يظنون به عشية عرفة ويفيضون منه الى المزدلفة، فاذا عمت الشمس رءوس
الجال وقفوا وكانوا يقولون: نحن أهل الحرم لا نخرج من الحرم ونحن الحمس،
فعلوا ذلك وأقروا سائر العرب على الوقوف بعرفة والإفاضة منها وتلك شريعة إبراهيم
يعرفونها حق المعرفة ولكن ترفعهم ومغالاتهم تنكب بهم عن سبيلها، فشرعوا لهم من

(١) ومقه: أحبه. (٢) طعام يخذ من الخوض الفتحى يطبخ ثم يترك حتى يمتص أى يخرج

ماؤه، والاقط مثله ويحرك ككتف ورجل وإبل.

الدين ما لم يأذن به الله ، ومنشأ ذلك الغلو أن الله تعالى لما أهلك أبرهة الحبشي صاحب الفيل وسلط عليه الطير الأبايسل (الجماعات) عظمت جميع العرب قريشاً وأهل مكة ، وقالوا : أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم فازدادوا في تعظيم الحرم والمشاعر الحرام والشهر الحرام ووقروها ، ورأوا أن دينهم خير الأديان وأحبها الى الله تعالى ، وقالت قريش وأهل مكة : نحن أهل الله وبنو إبراهيم خليل الله وولاية البيت الحرام وسكان حرمه وقطانه فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف العرب لأحد مثل ما تعرف لنا ، فابتدعوا عند ذلك أحدانا في دينهم أداروها بينهم فكان منها ما تقدم . ومنها أنهم ما كانوا يميزون لأحد من الحلة — من ليسوا بحمس — أن يطوف بالبيت أول طوافه إلا اذا لبس ثوبا أحسبيا يشتره أو يستأجره أو يستعيره فاذا ما أتى الواحد منهم باب المسجد رجلا كان أو امرأة قال : من يعير مصونا من يعير ثوبا الخ فان وفق لثوب أحسب لبس وطاف به وإن لم يوفق ألقى ثيابه بباب المسجد من الخارج ثم دخل للطواف عريانا فيبدأ بأساف — صنم — ليستلمه ثم يستلم الركن الأسود ثم يأخذ عن يمينه ويطوف جاعلا الكعبة عن يمينه فاذا ختم طوافه سبعا استلم الركن ثم استلم نائلة — صنم — فيختم بها طوافه ثم يخرج فيجد ثيابه كما تركها لم تمس فيأخذها ويلبسها ولا يعود بعد ذلك الى الطواف عريانا ، وكان بعض النساء يلبسن درعا مفرج المقادير والمآخير ومنهن من تتخذ سيورا تعلقها في حقوتها^(١) وتستتر بها وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

وكانت العادة أن يطوف العراة من الرجال نهارا ومن النساء ليلا وكان ، من له فضل ثياب من الحلة ولم يجد ثوبا أحسبيا يطوف فيه طاف في ثيابه التي قدم بها من الحل ، فاذا ما أتم طوافه نزعها فجعلها لقا يطرح بين أساف ونائلة فلا يمسها أحد ولا يتنفع بها حتى تبلى من وطء الأقدام والشمس والرياح والمطر ، قال ورقة بن نوفل يذكر اللقا

(١) الحفوة : معقد الازار .

كفى حزنا كرسى عليه كأنه * لقا بين أيدي الطائفين حريم

وكان من خبر الطواف عربيا أنه جاءت امرأة يوما وكانت ذات هيبة وجمال
فطلبت ثيابا فلم تجد وتحتم عليها الطواف عربانة فترعت ثيابها بباب المسجد ثم دخلت
عربانة قد وضعت يديها على فرجها وجعلت تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله
أخ^(١)م مثل القعب باد^(٢)ظله * كأن^(٣) حمى خير^(٣) تملأه

بفعل فتیان مكة ينظرون اليها وتزوجت في قريش ، وجاءت امرأة أخرى تطوف
عربانة وكان عليها مسحة الجمال فرآها رجل فأعجبته فدخل الطواف وطاف في جنبها
لأن يمسها فأدنى عضده من عضدها فالتزقا فخرجا من المسجد من ناحية بنى مسم
عاريين على وجوههما فزعين لما أصابهم من العقوبة ، فلقيهما شيخ من قريش
خارجا من المسجد فسألها عن شأنهما فأخبراه بقصيتهما فأفتاهما أن يعودا الى المكان
الذي أصابهما فيه ما أصابهما ويدعوا الله سبحانه مخلصين عازمين على ترك العود
فرجعا ودعوا وأخلصا فآفترقت أعضاءهما وذهب كل الى ناحية .

عادة سيئة وبدعة شنيعة أبن الاسلام إلا هدمها والقضاء عليها ، فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع على بن أبي طالب الى أبي بكر أمير الحج ليؤذن
في الناس بأربع : لا يطوف بالبيت عربان ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يجتمع
مسلم ومشرك في الحرم بعد عامهم هذا ، ومن كان له عند النبي صلى الله عليه وسلم
عهد فعهدته الى مدته ومن لم يكن له عهد فعهدته أربعة أشهر ، وذلك ما جاء
في الآيات من سورة الاعراف وسورة التوبة ففي الأولى ((يا بني آدم خذوا زينتكم
— ثيابكم — عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل
من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة
الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك تفصل الآيات تقوم يعلمون)) وفي الثانية ((براءة من

(١) عريض . (٢) القدح الضخم . (٣) تعرقه ، والملال والملة : عرق الحمى .

الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر وأعلموا انكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين — الى أن يقول — إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم يتقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم إن الله يحب المتقين)) وفيها ((يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم)) وقال في سورة المائدة ((إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار)) .

وكان من عادة أهل الجاهلية أن يدخلوا الكعبة لابسى أهديتهم حتى سنّ لهم الوليد بن المغيرة خلع الخف والنعل إذا ما دخلوا فاستن العرب بسنته إعظاما للكعبة وإجلالا . وكان من عادتهم أيضا إذا اقترب موسم الحج أن يخرج مریدوه الذين يرجون اليه تجارة من ديارهم الى عكاظ فيوافوه مستهل ذى القعدة ويقيموا فيه عشرين ليلة تقوم فيها أسواقهم وتتفق سلعهم وتتجاز كل قبيلة الى منزل أعدوه للقرى فأقاموا عليه الزايات واستدعوا اليه الأضياف يستقبلهم القادة منهم والأشراف فيتزولونهم أهلا وسهلا ومرعى خصبا، وتختلط القبائل بعضها ببعض في بطن السوق متناشدين ومتبايعين ، فاذا ما مضت العشرون انصرفوا الى مجنة فأقاموا بها عشرا أسواقهم فيها قائمة وتجارتهم رائجة ، فاذا رأوا هلال ذى الحجة انصرفوا الى ذى المجاز فأقاموا به ثمان ليال يرقجون فيها البضاعة ثم يخرجون من ذى المجاز الى عرفة يوم

(١) سوق على طريق الصنعا وراء قرن المنازل بمرحلة وهي سوق لقيس بن عيلان وثقيف وأرضها لنصر . (٢) سوق بأسفل مكة على بريد منها وهي سوق لكثانة وأرضها أرض كثانة وهي التي يقول فيها بلال :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بنخ وحول اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يسدون شامة وطفيل

وشامة وطفيل : جيلان مشرفان على مجنة . (٣) سوق لهذيل عن يمين الموقف من عرفة على

فرسخ من عرفة .

التروية ، وسموه بذلك لأنه ينادى بعضهم بعضا بذى المجاز أن ترووا من الماء لأنه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة ، وكان يحضر هذه المواسم من يتنقى مع الحج التجارة ، أما من أرادته فحسب فيخرج متى شاء . وكان أهل مكة يخرجون يوم التروية بعد أن يترروا من الماء فتزل الحمس في طرف الحرم من نيرة يوم عرفة ، والحيلة تقف بعرفة وكذلك كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بترك الحمس الى الحلة ، وكانوا لا يتبايعون يوم عرفة ولا أيام منى ، فلما أن جاءت الحنيفة أحلت ذلك قال تعالى ((ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم)) وكانت الحلة تفيض من عرفة يوم عرفة اذا طلقت الشمس للغروب والحمس يفيضون من نيرة في الوقت نفسه فيلتقون جميعا في المزدلفة ويبيتون بها حتى اذا طلع الفجر واختلط بياض النهار بظلام الليل وقف الجميع على قزح حتى تطلع الشمس على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال ، فيدفعوا من المزدلفة الى منى وكانوا يقولون أشرق شيركيا غير وفي إفاضة الحمس نزل قوله تعالى ((ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم)) فجعلت الإفاضة للجميع من عرفة وخطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يوم عرفة فكان مما قال : وإنا لا ندفع من عرفة حتى تغرب الشمس ويحل فطر الصائم وندفع من مزدلفة غدا إن شاء الله قبل طلوع الشمس ، هدينا مخالف لهدى أهل الشرك والأوثان .

وكان أهل الجاهلية يرون أن من أجز الفجور العمرة في أشهر الحج ويقولون اذا برأ الدبر وعفى الوبير ودخل صفر حلت العمرة لمن اعتمر ، يعنون دبر الإبل التي حجوا عليها ووبرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام : دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة ، واعتمر عمرة كلها في ذى القعدة عمرة الحديدية وعمرة القضاء وعمرة من الجعرانة .

وكانوا يعظمون الحرم والأشهر الحرم فلا يعدو بعضهم على بعض فيها ويلقى الرجل قاتل أخيه وأبيه فلا يتعرض له بسوء ، وكان الرجل اذا أحدث الحدث

(١) طلعت الشمس : تغير لونها . (٢) الدبر : جمع دبرة وهي قرحة الدابة . (٣) عفى : كثر .

فقتل أولطم أو ضرب اتخذ من لحا شجر الحرم قلادة لعنقه وقال : أنا ضرورة فلا يقتص منه ، وقد أبطل الإسلام ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ضرورة في الإسلام وإن من أحدث حدثا أخذ بحديثه .

والذي سنّ لهم تلك الشرائع الخرفاء عمرو بن لحيّ بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعي الذي غير دين الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام وكان سييدا شريفا مطاعا في قومه يطعم الطعام ويحمل المغرم وكل ما قال فهو دين متبع لا يعصى ، وهو الذي جاء بهبل من أرض الجزيرة بفعله في الكعبة وجعل عنده عشرة أقداح يستقسمون بها ، في كل قدح منها كتابة يعملون بما تضمنته فكان مكتوبا في أحدها أمرني ربي وفي آخرهناني وثالث غفل ، فاذا أراد الرجل أمرا أو سفرا أخرج هذه الأقداح الثلاثة فضرب بها فإن خرج الأول مضى وإن كان الثاني نكص وإن طلع الثالث أعاده الكرة حتى يخرج الأمر أو الناهي ، أما السبعة الباقية فمكتوب على أحدها الفعل وفي ثان نعم وفي ثالث لا وفي رابع منكم وفي خامس من غيركم وفي سادس ملصق وفي سابع المياه ، فاذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا أيما أو يدفنوا ميتا ذهبوا الى هبل بمائة درهم وجزور ثم قالوا لغاضرة بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي الذي أمر القداح هذه مائة درهم وجزور ولقد أردنا كذا وكذا فأضرب لنا على فلان بن فلان فان كان كما قال أهله خرج «الفعل» أو «نعم» أو «منكم» فما خرج من ذلك اتهموا اليه في أنفسهم وإن خرج «لا» ضرب على المائة فان خرج «منكم» كان منهم وسيطا وإن خرج «من غيركم» كان حليفا وإن خرج «ملصق» كان دعيا نفيا ، فمكثوا زمانا وهم يخلطون حتى جاء الإسلام بتحريم ذلك ، قال تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم — الى أن يقول — وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنمنا الخمر والميسر والأنصاب ^(١) والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ ^(٢) .

(١) الانصاب : الحجارة التي كانوا يذبحون عليها القرابين لأنهم . (٢) نجس .

وعمر هو هذا هو الذي غير تلبية إبراهيم ، فبينما هو يسير على راحلته في بعض مواسم الحج وهو يلبي إذ تمثل له إبليس في صورة شيخ نجدى على بعير أصهب فسأله ساعة ثم لبي إبليس فقال : لبيك اللهم لبيك ، فقال عمرو بن لحي مثل ذلك ، فقال إبليس : لبيك لا شريك لك ، فقال عمرو مثله ، فقال إبليس : إلا شريك هو لك ، فاستنكر ذلك عمرو ، فقال إبليس : بعده ما يصلحه : إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، فقال عمرو : ما أرى بهذا بأسا فما زالت كذلك حتى ردها الإسلام الى ما كانت عليه في شريعة إبراهيم « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . أن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك » .

ومن عادة العرب في جاهليتهم — كما حكاه الفاكهي — أن الصبية اذا بلغت ألبسها أهلها من الثياب أحسن ما يجدون وجعلوا عليها من الخلي ما يقدرون ودخلوا بها المسجد الحرام سافرة الوجه فتطوف بالبيت والأبصار ترنو إليها والناس يتساءلون من هذه فإن كانت حرة قالوا : فلانة بنت فلان ، وإن كانت مولدة قالوا : مولدة فلان قد بلغت أنت تحدر في بيتها وأراد أهلها أن تستكن في كنها فاذا قضت طوافها خرجت تشبعها الأبصار العفيفة ، فاذ ذلك يرغب الناس في نكاحها إن كانت من الحرائر وفي شرائها إن كانت من الاماء ، وبعد أن تصل الى بيتها تحتجب فيه فلا تخرج منه إلا الى بيت زوجها أو الى حظيرة سيدها فكانوا يعطون للخطيب فرصة يتعترف فيها جمال المخطوبة وجعلوا ذلك في جوار البيت ليأمنوا النظرات الخبيثة .

وكانت الإفاضة في الجاهلية الى صوفة أخزم بن العاص ، وكان له ولد تصدق به على الكعبة يخدمها بفعل اليه حبشية بن سلول الخزاعي الإفاضة بالناس من أجل نذره الذي نذر ، وكان الى حبشية حجابة الكعبة وإمارة مكة فحينما يقف الناس في الموقف يقول حبشية : أجزيا صوفة فيقول صوفة أجزوا أيها الناس فيجوزون ، وولى الإفاضة بعده ولده أخزم الذي نذره للكعبة وقام بخدمتها مع أخواله من جرهم وأعقب أخزم على الإفاضة ولده من بعده في زمن جرهم ونخاعة حتى انقرضوا ، ثم صارت الإفاضة في عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر في زمن قريش

في عهد قصي ، وكانت من بنى عدوان في آل زيد بن عدوان يتوارثونها حتى جاء الإسلام وكان عليها أبو سيارة العدواني الذي أفاض بالمشركين في سنة ثمان ، وأفاض أمير مكة عتاب بن أسيد بالمسلمين .

وكان حضنة البيت يكرمون الحجاج في الجاهلية ، فروى عن هاشم بن عبد مناف أنه كان يقول لقريش إذا حضر الحاج : يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته خصمكم الله بذلك وأكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره فأكرموا أضيافه وزوار بيته يأتونكم شعنا غبرا من كل بلد .

وروى مثل هذا عن قصي بن كلاب بن مرة فكان كل قرشي يخرج خرجا من ماله في كل موسم من مواسم الحج يعطيه لمن يقوم بالرفادة — إطعام الحاج — من قريش فيصنعه طعاما للحجاج أيام الموسم بمكة ومنى ، وبقى ذلك مدة في عهد الإسلام — حكاة الأزرقى .

إنساء الشهور — إنساء الشهور تأخيرها عن أماكنها الفطرية ، والنسب مصدر من قول القائل : نسأت في أيامك ونسأ الله في أجلك أى زاد الله في أيام عمرك ومدة حياتك حتى تبقى فيها حيا ، وكل زيادة حدثت في شئ فالشئ الحادث فيه الزيادة بسبب ما حدث فيه نسيء ، ولذلك قيل للبن إذا كثرت بالماء نسيء وقيل للمرأة الحبلى : نسيء ، ونسئت المرأة لزيادة الولد فيها ، وقيل : نسأت الناقة وأنسأتها إذا زجرتها ليزداد سيرها .

كان أهل الجاهلية إذا ما رغبوا في القتال في شهر المحرم أحرروه إلى صفر وأحلوا القتال في المحرم وسموا صفر المحرم وربيع الأول صفر وهكذا حتى يكون ذو الحجة في نهاية السنة الشهر المحرم ، وكانوا يفعلون هذا سنة ويتركونه سنة ، فكان ذو الحجة يعود إلى مكانه الأول بعد أربع وعشرين سنة ، وأول من أنسأ الشهور من مضر مالك بعد كنانة ثم ابنه ثعلبة ثم أخوه الحرث بن مالك المعروف بالقلمس ثم سرير بن الحرث ، ثم كانت النساء في بنى فقيم من بنى ثعلبة حتى جاء الإسلام ، وكان آخر من نسأ منهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن عبد بن فقيم وهو الذى جاء في زمن

عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى الركن الأسود فلما رأى الناس يزدحمون عليه قال : أيها الناس أنا له جار فأخروا عنه ، تخفقه عمر بالدرة ثم قال أيها الجلف الجاني قد أذهب الله عزك بالاسلام ، وكان الذى اليه أمر النساء يقوم بفناء الكعبة يوم الصدر والناس حوله متجمعون فيقول : اذا أراد أن لا يحلوا المحرم ، أيها الناس ! لا تحلوا حرمانكم وعظموا شعائركم فإني أجاب ولا أعاب ولا يعاب لقول قلته فهناك يحرمون المحرم ذلك العام ، واذا ما كانت السنة التي يريدون الإنساء فيها يقول : أيها الناس قد انسات العام صفر الأوّل يعنى المحرم — وكانوا يسمونه صفر الأوّل وصفر صفر الثانى — فيطرحونه من الشهور ولا يعتدون به ويتدثون العدة فيقولون لصفر وشهر ربيع الأوّل : صفرين ، ويقولون لشهر ربيع الآخر وجمادى الأوى : شهرى ربيع ، ويقولون لجمادى الآخرة ولرجب : جمادين ، ويقولون لشعبان : رجب ، ولرمضان : شعبان ، واشوأل : رمضان ، ولذى القعدة : شوأل ، ولذى الحجة : ذا القعدة ، ولصفر الأوّل وهو المحرم الذى أنساه : ذا الحجة ، فيحجون تلك السنة فى المحرم ويبطل من هذه السنة شهرا ينسأه ، وكانوا ينسئون عاما ويتركون آخر ، فكان يقع فى كل شهر من شهور السنة حجتان فى عامين ، وكانوا يحلون فى الأشهر الحرم دماء المحلين طيبى وخشم لأنهم كانوا يعدون على الناس فيها من بين العرب فيعزونها ويطلبون بثأرهم ولا يقفون عن حرمانها كما كان يفعل سائر العرب من الحلة والخمس فانهم ما كانوا يعتدون فى شهر حرام ولو لقي أحدهم قاتل أبيه أو أخيه ولا يستاقون مالا إعظاما لحرمه هذه الشهور .

بقى الأمر على هذا المنوال حتى كانت سنة ثمان من الهجرة بقاء الحج فى ذى القعدة وحج المسامون والمشركون فى هذا العام فدفعوا معا فكان المسلمون فى ناحية يدفع بهم عتاب بن أسيد ويقف بهم الواقف لأنه أمير مكة من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان المشركون ممن لهم عهد ومن ليس لهم عهد فى ناحية أخرى يدفع بهم أبو سياره العدوانى على أنان له عوراء رسنها من ليف .

فلما كانت سنة تسع وقع الحج في ذى الحجة فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه الى مكة أميرا على الحج بعد أن علمه المناسك وأمره بالوقوف على عرفة وعلى جمع - المزدلفة - ثم نزلت سورة براءة بعد سفر أبي بكر الى مكة بالحجيج فبعث بها النبي صلى الله عليه وسلم مع علي رضى الله عنه وأمره اذا خطب أبو بكر وفرغ من خطبته قام فقرأ على الناس سورة براءة ونبذ الى المشركين عهدهم - حسب ما قدمنا - وقال : لا يجتمعن مسلم ومشرك على هذا الموقف بعد عامهم هذا، وكان أبو بكر رضى الله عنه يخطب الناس ويصلى بهم ويقف المواقف ويدفع منها بالحجيج .

ومما تضمنته سورة التوبة إبطال النسيء قال تعالى فيه ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ .

فلما كانت سنة عشر أذن الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في الحج فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع التي أسلفنا لك تفصيلها وخطب خطبته المشهورة بعرفة وذكروا فيها النسيء وأبطله ولما تضمنته هذه الخطبة من الشرائع الحكيمة والنصائح القيمة نوردنا لك بنصها وفضها كما رواها ابن هشام في سيرته .

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير، أيها الناس أسمعوا قولي فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم

ستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من
 آتمته عليها وإن كل ربا موضوع ولكن لکم رءوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون
 قضی الله أنه لا ربا وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله وإن كل دم كان
 في الجاهلية موضوع وإن أول دماءکم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب
 (وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل) فهو أول ما أبدا به من دماء الجاهلية ،
 أما بعد : أيها الناس فإن الشيطان قد یئس أن يعبد بأرضکم هذه ولكنه إن يطع
 فيما سوى ذلك فقد رضی به مما تحقرون من أعمالکم فاحذروه على دينکم ، أيها الناس
 إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونہ عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا
 عدّة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله وإن الزمان قد استدار كهيئته
 يوم خلق السموات والأرض وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة
 حرم ثلاث متوالية ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ، أما بعد : أيها الناس
 فإن لکم على نساءکم حقا ولهن عليكم حقا لکم عليهن أن لا يوطئن فرشکم أحدا تکرهونه
 وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لکم أن تهجروهن
 في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن آتتهن فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ،
 واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندکم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا وإنکم إنما أخذتموهن
 بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي فاني قد بلغت
 وقد تركت فيکم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه ،
 أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وإن المسلمين إخوة
 فلا يحل لامرئ من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسکم
 اللهم هل بلغت — فذكر لي ان الناس قالوا — اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : اللهم اشهد .

قال ابن اسحاق : حدثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الأشعري عن
 عمرو بن خارجة قال : بعثني عتاب ابن أسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في حاجة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فبلغته ، ثم وقفت تحت نافذة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لغامها ليقع على رأسى فسمعتة وهو يقول : أيها الناس إن الله قد أدى الى كل ذى حق حقه وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، ومن ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

وفي هذا اليوم نزل قوله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

وإذ قد اتهمنا من الحج وتاريخه نذكر لك كلمات مفصلة عن مشاعره .

الصفا والمروة

قال تعالى ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو أعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم ﴾ .

الصفا — الصفا الذى هو مبدأ السعى فى أصل جبل أبى قبيس جنوبى المسجد الحرام على مقربة من بابه المسمى باب الصفا وهو مكان شبيه بالمصلى طوله ستة أمتار وعرضه ثلاثة مرتفع عن الأرض بنحو مترين يصعد اليه بأربع درجات ، وفى جنوبى هذا المكان أى وراءه أربع درجات أخرى صاعدة أقيم عليها ثلاثة عقود فى صف واحد من الشرق الى الغرب ، وبعد هذه الدرجات الخلفية أصل جبل أبى قبيس وحول الصفا جندا ريمحيط به ما عدا الجهة الشمالية التى منها المرتقى ، ويظهر أن فى الأرض درجا آخر غير الظاهر استتر لما رفع مستوى الشارع يدل على ذلك ما ذكره التقي الفاسى فى كتابه وصفا للصفا ، قال ما ملخصه : الصفا مكان مرتفع من جبل له درج وفيه ثلاثة عقود ، والدرج من أعلى العقود وأسفلها ، وبعض الدرج الذى أسفل العقود مدفون وذلك ثمان درجات ثم فرشاة — مصطبة — مثل بعض الفرشات الظاهرة التى أمام العقود ثم درجتان وما عدا ذلك ظاهر للعيون

وهو درجة أسفل العقود ثم فرشاة كبيرة ثم ثلاث درجات ثم فرشاة كبيرة هي السفلى الملاصقة للأرض ، وربما علا التراب على هذه وما ذكرناه من الدرج المدفون شاهدناه بعد حفرنا عنه في شوال سنة ٨٠٤ هـ .

والمروة في الشمال الشرقي للمسجد الحرام على بعد منه وهي منتهى السعى في أصل جبل قعيقعان وهي محل مرتفع كالصفا يصعد إليه بخمس درجات فقط بعدها مصطبة طولها أربعة أمتار في عرض مترين ، بعدها مصطبة أخرى عرضها متر واحد وهي ملاصقة بلحمار المروة الشمالي إذ حولها ثلاث جدر في شمالها وشرقيها وغربيها ، والدور من وراء ذلك ، ومن دون الدرجات الخمس عقد شاهق من الجدار الى الجدار وهو بعيد عن مبدأ الدرج من أسفل بنحو مترين ، والشارع الذي بين الصفا والمروة هو المسعى وطوله ٤٠٥ متر، وعرضه تارة عشرة أمتار وتارة اثنا عشر مترا ، وهذا الطريق مقسم الى ثلاثة أقسام يمشى الساعي في القسمين المتطرفين ويهرول في القسم الوسط ، والقسم الأول من الصفا الى الميادين الأخضرين وهما عمودان أخضران أحدهما في الحائط المقابل للمسجد ، وثانيهما حذاءها بجوار باب المسجد الحرام المسمى بباب البغلة وطول هذا القسم خمسة وسبعون مترا ، والقسم الوسط يتدنى من هذين الميادين وينتهي الى ميادين آخرين أحدهما بباب المسجد المسمى بباب علي والآخر في الحائط المقابل لجدر المسجد في الناحية الثانية ، وطول هذا القسم سبعون مترا والثالث من هذين الميادين الى المروة وطوله ٢٦٠ متر وأول من أحدث بناء ودرجا في الصفا والمروة عبد الصمد بن علي في خلافة أبي جعفر المنصور ثم حكمت بعد ذلك بالنورة في خلافة المأمون العباسي (انظر هذا الميل في يمين الرسم ٢٠١) .

والصفا في الأصل العريض من الحجارة الملس والمروة : واحد المرو وهي الحجارة البيض تقتدح بها النار ولا تكون سوداء ولا حمراء .

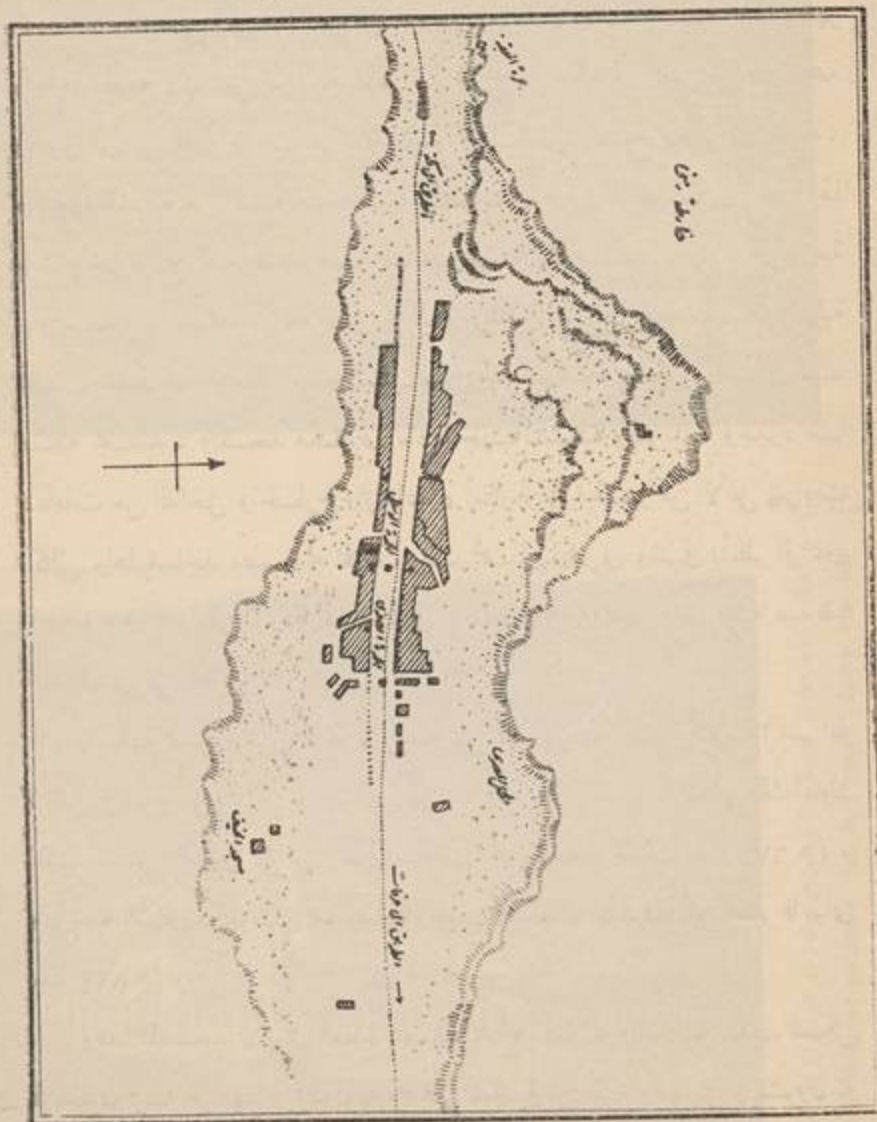
مِنَى

هى الموضع الذى يتزله الحاج ليلة عرفة حتى تشرق الشمس على شير ويتزله أيضا يوم النحر وأيام التشريق ولياليها حتى يرمى الجمار، وقد قطعنا المسافة بين مكة وبينها فى ساعتين و٥٥ دقيقة وبدأنا سيرنا من معسكرنا بجزول جنوبى مكة الغربى، والمسافة من المعلاة فى شمالى مكة الى منى ٦ كيلومترا تقريبا تقطع فى ساعتين بسير الجمل المعتاد، وحد هذا الموضع من جهة مكة بحجرة العقبة التى بايع الأنصار عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن جهة المزدلفة وادى محسر، وظاهر كلام الشافعى والنووى أن العقبة ليست من منى وغيرهما يقول : هى منها أما عرضه فعرض الوادى المحصور بين الجبال الشاهقة وذلك ٦٣٧ مترا استخراجا من مقاس الفاسى . ومنى الآن بلدة صغيرة يقطعها المحمل طولاً فى ٢٠ دقيقة وعرضها صفان من البيوت على جانبي الطريق الذى يشقها شقين، والذى يتدنى من مكة ويوصل الى عرفات، وعرض هذا الطريق مختلف فتارة عشرة أمتار وتارة عشرين ويقل عن ذلك ويكثر وبيوتها مبنية بالجر الأصم وأكثرها طبقتان انظر (الخرية ١٢٠) ولا تسكن إلا مدة الحج وجوها حار لأنها واد بين جبال شاهقة، ويزيد حرارتها الأنفاس المتصاعدة من آلاف الحجاج الذين تفص بهم هذه البلدة فى وقت واحد .

وبمنى الجمرات الثلاث وجامع الخيف ومسجد الكوثر وغار المرسلات والصخرة التى قام عليها ابراهيم حينما هم بذبح ولده اسماعيل أو مسجد الكبش ، وقد زرت هذه الأماكن فى صباح ١٢ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ . وهالك وصفها عن مشاهدة .

مسجد الخيف - هذا المسجد ببنى فى الجهة الجنوبية على يسار القادم من عرفات ويمين المقبل من مكة انظر (الخرية ١٢٠) وهو مسجد وسيع محكم البناء مستطيل الشكل طول ضلعه البحرية ١٣٠ مترا، وضلعه الغربية طولها ١٠٠ مترا، وبابه الأكبر فى واجهته البحرية وفوق هذا الباب مؤذنة بنيت بالطوب الأحمر ارتفاعها ١٤ مترا، وعلى يسار الداخل منه مقابر تعلوها قباب أقيمت على

عقود ، وفي جهة المسجد الغربية أربعة أروقة (بواكى) كل رواق يمتد من شمالي المسجد الى جنوبيه ، وعرض الأربعة ٣٧ مترا أى من صحن المسجد الى جداره الغربى ، وفي كل رواق ٢١ عقدا أعنى فى كل جدار يمتد من الشمال الى الجنوب ، والأروقة مسقوفة بقباب ظاهرة من الداخل فقط أما سطح المسجد فمستو ، وعرض



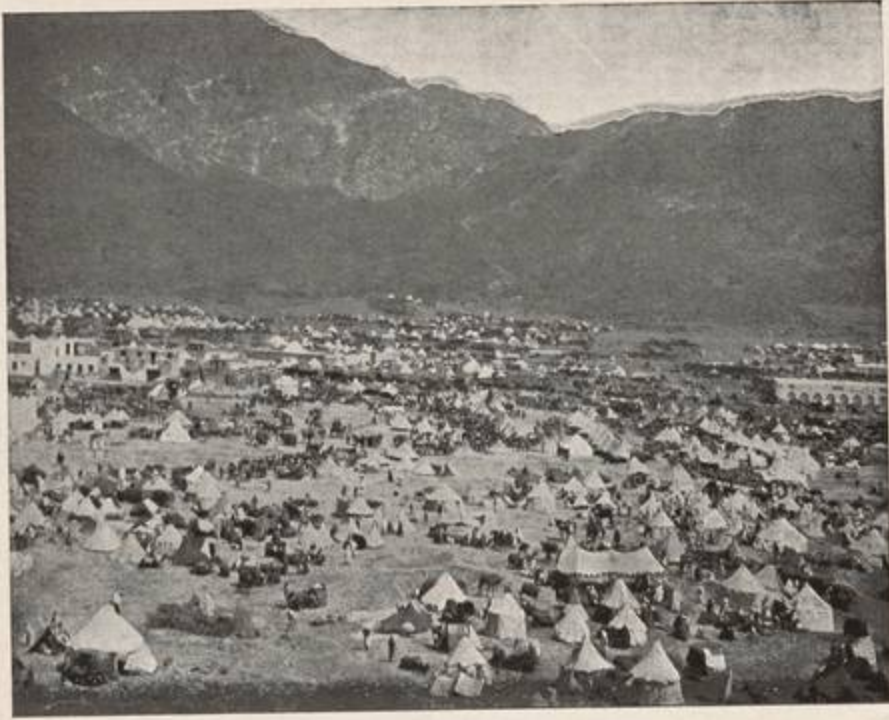
(النخريته نمرة ١٢٠)

الرواق الفضاء ٥ر٤ أما بالحدران فضعف ذلك ، وسمك الجدر التي أقيمت عليها قباب الأروقة ١,٥٥ ، وفي وسط الرواق الملاصق للجدار الغربي منبر ومحراب عليهما قبة نخمة ، وفي صحن المسجد قريب من جداره الشرقي قبة عظيمة أقيمت على ثمانية عقود وبها محراب وهي في موضع خيمة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكانها الأوقات الخمسة أولها الظهر وآخرها الصبح لأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من مكة في الثامن من ذي الحجة ووصل الى منى ظهرا وبات بها ليلة التاسع ، ولما صلى الصبح رحل الى عرفة ، وبالجبهة الشرقية من القبة مئذنة مبنية بالطوب الأحمر ارتفاعها ١٤,٦٠ مترا ولها باب صغير خارج القبة يصعد منه اليها ودرجها ثلاث وسبعون ، وارتفاع الدرجة ٢٠ سنتيا ، وبالمسجد أربعة صهاريج كبيرة متجاورة بين القبة والضلع الشمالية أقيمت لحفظ مياه الأمطار بها والشرب منها في مواسم الحج ولكنها كانت في سنتنا مستة مجدبة ، والمسجد مكشوف ماعدا جهتيه الشمالية والغربية وجدره لها دعائم من الداخل والخارج وارتفاعه ٥ أمتار وعلى الجدر من الأعلى شرفات كالتي نراها بمسجد مصر وله ثلاثة أبواب شمالي وغربي وشرقي (أنظر الرسمين ١٢١ و ١٢٢) وانظر أروقة المسجد في (الرسم ١٢٣) الذي ترى فيه صديقنا محمد افندي على سعوديا .

وبالجبهة الشرقية من المئذنة الشرقية على علو أربعة أمتار مكتوب (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم جدد لله الملك المعظم ملك الملوك الملك المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن مسجد الخيف سنة ٦٧٤ هـ) . وعلى بابه الشمالي مكتوب (عمر مسجد الخيف السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي سنة ٨٩٤ هـ) .

وهذا المسجد الأثري العظيم يتخذة حجاج المغاربة والدارنة كبيت للسكن فينصبون فيه خيامهم ويؤدون به أعمالهم المعاشية من طبخ وغسل وينشرون به لحوم الغذاء لتجفف ويأكلوا منها أياما ، وقد رأيتها وهي منشورة بالجامع في خيوط ،

بموسى كبر الخيام بموسى كبر



بموسى كبر الخيام بموسى كبر

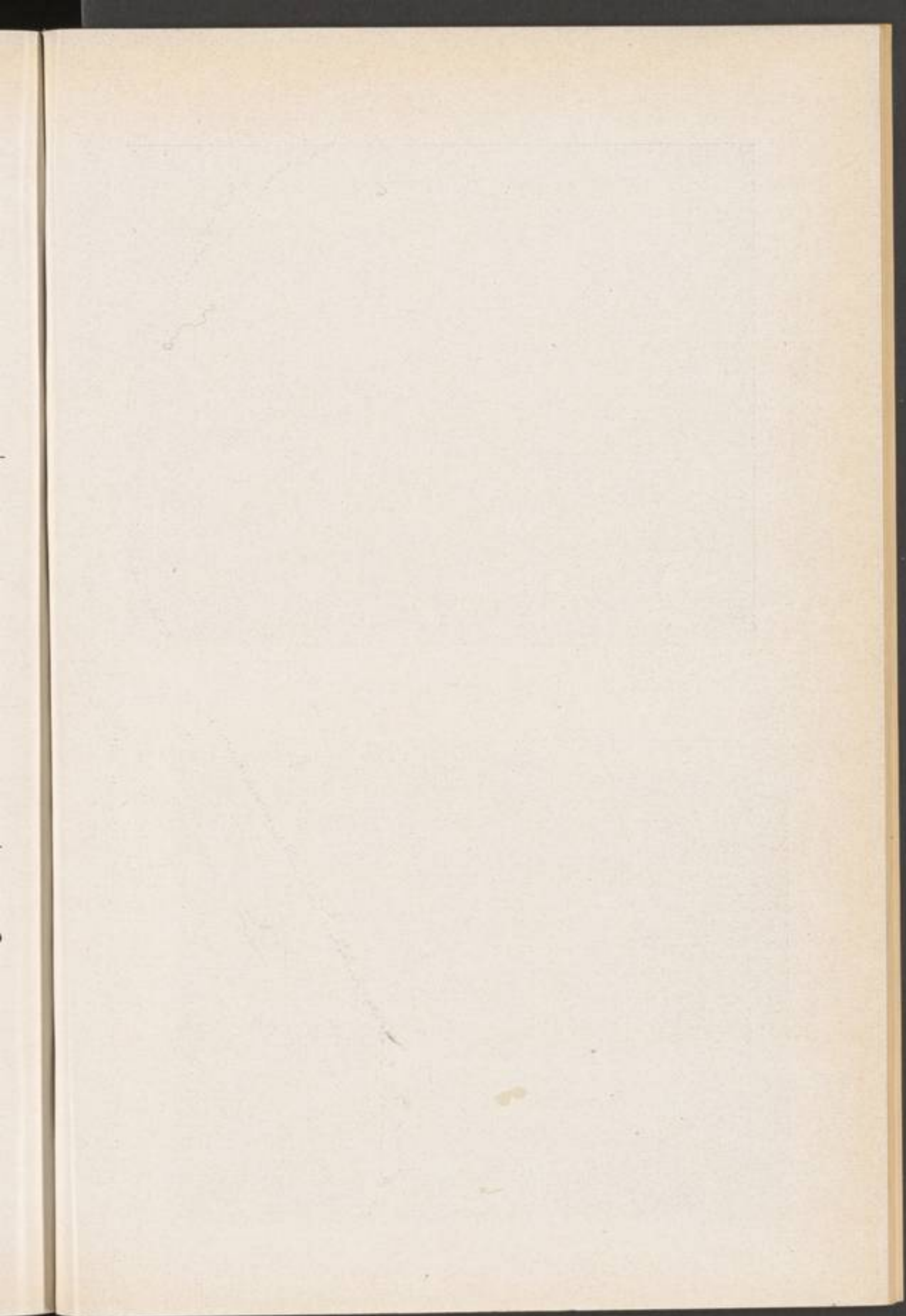
119. Pilgrims camping at Mina

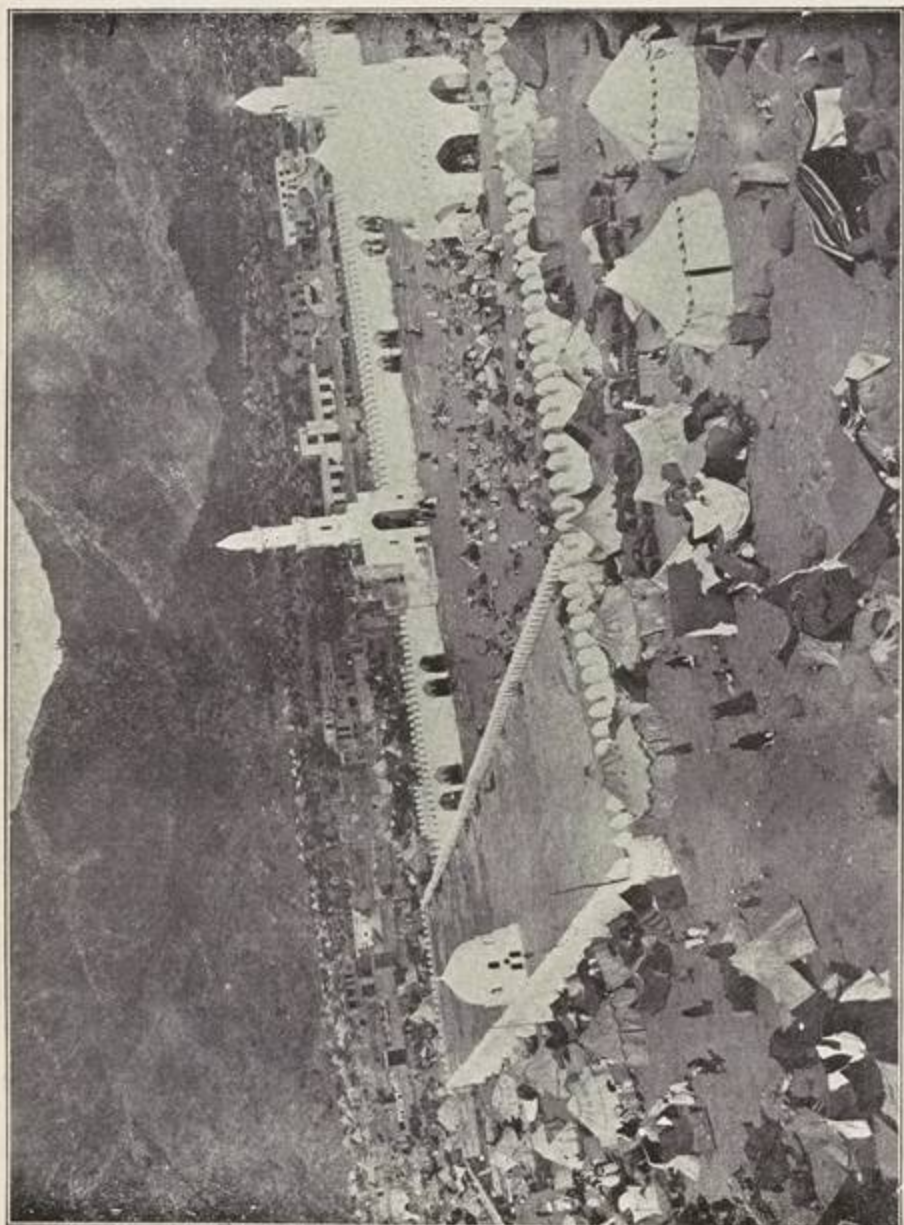
بموسى كبر الخيام بموسى كبر



بموسى كبر الخيام بموسى كبر

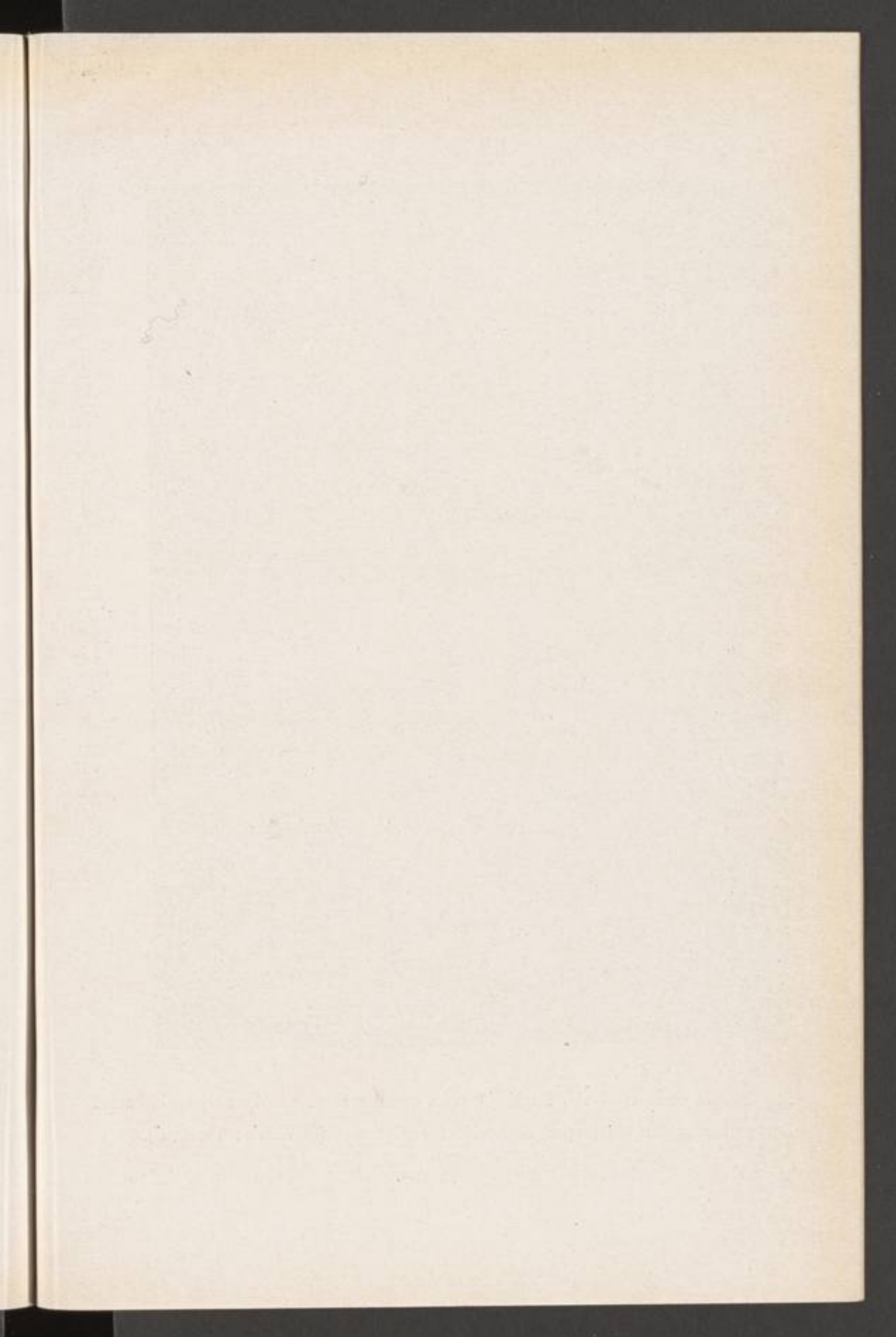
121. Mosque of El Kheif at Mina showing the dome under which the Prophet Mohamed performed the five prayers during his last pilgrimage (Al Wida'a : "Farewell").



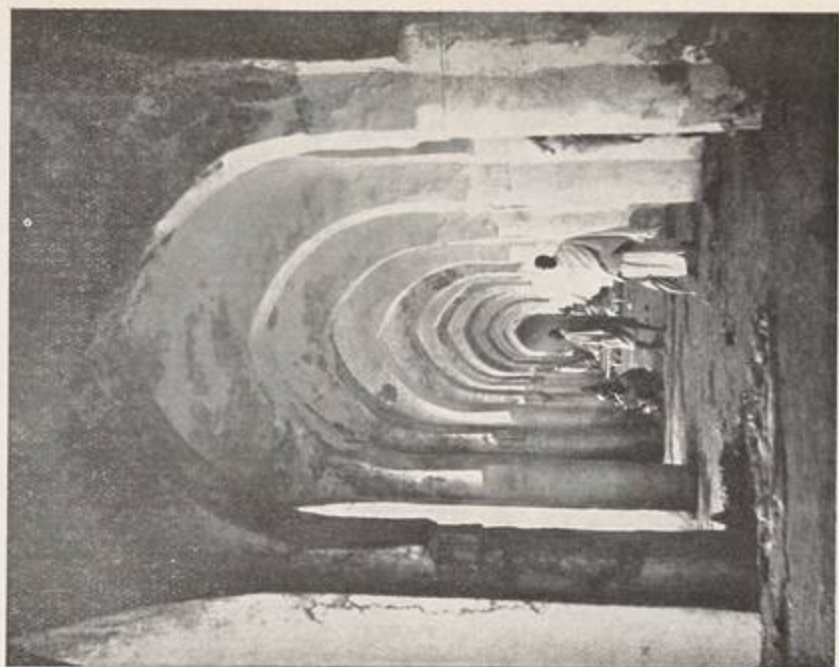


مسجد الخيفة بموضع القبلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى فيه حجرة النبوة
 حديق الطبع والنشر مطبعة دار امير المؤمنين في مكة المكرمة في سنة ١٣٢٥ هـ

122. Mosque of El Kheif at Mina showing the dome under which the Prophet Mohamed performed the five prayers during his last pilgrimage (Al Wida'a ; "Farewell").



الآثار العتيقة في مكة



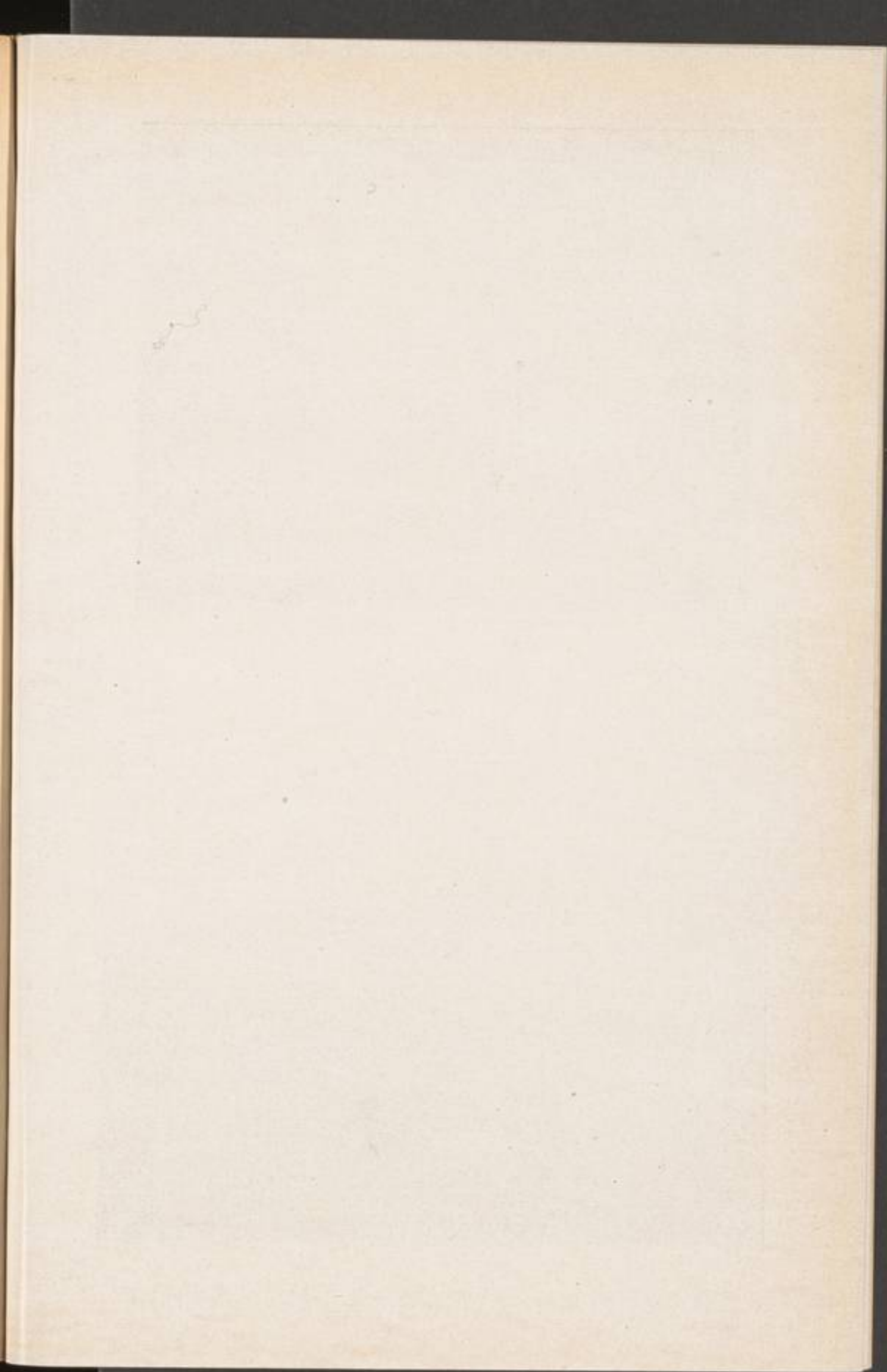
123. Arcades of El Kheif Mosque at Mina.

مسجد نزل سور الكوثر في

الآثار العتيقة في مكة



124. A view of the Mosque of (Nozool Soret El Kawthar) in Mina in 1325.



بل يكادون يجعلون الجهة الشمالية منه محلات أدب وإن ذلك لأمر تسمت منه الطباع ويندى له وجه الأدب ويحظره الشرع فانه أمرنا بتنظيف المساجد وتطيبها لا تلويثها ولكنه الجهل يعنى صاحبه عن الطريق السوى وكان حربا بالحكومة الخجارية أن تعنى بذلك المسجد عناية تتناسب مع مركزه وتنوط به من الخدم ما يقوم بواجب نظافته ويمنع العابثين به مما يحدثونه .

وقد عمر هذا المسجد في زمن الخليفة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسي سنة ٢٥٦ هـ . وجدده الوزير محمد بن علي المعروف بالجواد الأصفهاني سنة ٥٥٩ هـ . وكذلك أم الخليفة العباسي الناصر لدين الله وأقام فيه عمارة الملك المظفر صاحب اليمن وهو الذي أقام المئذنة التي يجوار القبة وقد قدمنا لك ما عليها من الكتابة الدالة على هذه العمارة .

وفي سنة ٥٧٢ هـ . أشق عليه أحمد بن عمر المعروف بابن المرجاني التاجر الدمشقي ما يزيد على ٢٠٠٠٠ درهم . وفي سنة ٨٢٠ هـ . عمر بعرفة الشيخ علي البغدادي ولم يعرف من قام بنفقة هذه العمارة . وفي سنة ٨٧٤ هـ . أمر الملك الأشرف قايتباي ببناء هذا المسجد فبنى بناء محكما وأقيمت القبة التي هي الآن على مصلى النبي صلى الله عليه وسلم وبني الى جانب القبة مئذنة ذات أدوار ثلاثة وكذلك أقام المئذنة التي على باب المسجد الشمالي وجعل بجانب هذا الباب دارا يسكنها أمراء الحج وجعل للمسجد بابا في جهته الشرقية وخوخة صغيرة الى الجبل الجنوبي الذي فيه غار المرسلات . وفي سنة ١٠٧٢ هـ . عمره السلطان محمد قزلاز الأضا وكان القائم بالعمارة والى جدة وشيخ الحرم سليمان بك . قال التجارى وهذه العمارة وغيرها من العمارات التي قام بها مكتوبة في حجر يجدار المقام الحنفي . وفي سنة ١٠٩٢ هـ . عمره سليمان أغا مرسلا من قبل السلطان محمد خان .

مسجد الكوثر - في وسط منى على يمين القاصد الى عرفات مسجد صغير يبعد عن الطريق نحو ٤٠ مترا يسمى مسجد الكوثر زعموا أن سورة الكوثر نزلت في مكانه على النبي صلى الله عليه وسلم (انظر شكله في يمين اللوحة ١٢٤) وتجسد

باللوحة قائمة البرق - التلغراف - وبهذا المسجد حجر نقشت فيه كتابة بالخط المغربي لم أعرف منها إلا لفظة "وقفية لله" ويجواره بئر صالحه للشرب ويزوره أكثر الحجاج بقصد التبرك .

مسجد الكبش - هذا المسجد بنى على يسار الذهاب الى عرفات وهو في شمالي جمرة العقبة على نحو ٣٠٠ متر منها في سفح جبل ثبير ، والكبش الذي أضيف اليه هو الذي فدى الله به نبيه اسماعيل لما شرع أبوه الخليل في ذبحه ويجوار هذا المسجد الصخرة التي ذبح عليها الفداء . وذكر الفاكهي عن علي بن أبي طالب ما يقتضى أن الذبح حدث في غير هذا المكان وأنه بين الجمرتين الأولى والوسطى في سفح الجبل المقابل لثبير ويؤيده ما رواه المحب الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم في منحر إبراهيم الذي نحر فيه الكبش فاتخذوه منحرا وكل منى منحر ، ومنحر الرسول بين الجمرتين (أنظر في زاد المعاد لابن القيم ، بحث أن الذبيح اسماعيل لا اسحاق) وهذا المسجد وهذه الصخرة يتراحم الحجاج على زيارتها تراحما شديدا (أنظر رسم قبة الكبش^(١) ٣٢٨) والصخرة في جوف الجبل فيها فلح كبير يزعمون أن السكين التي أراد أن يذبح بها إبراهيم ولده فلتت من يده رحمة بالذبيح فغاصت في هذا الصخر ففلحته ، ويجوار الصخرة مغارة يزعمون أن إبراهيم عليه السلام سكن فيها مع هاجر ويبلغ طولها ٤ أمتار وعرضها مترين ونصفا وعلى يمين الداخل فيها كهف ثغر في جوف الجبل .

غار المرسلات - هذا الغار بسفح جبل جنوبي مسجد الخيف يقال له جبل الصفايح ، وهو غار صغير يبعد عن الطريق بنحو ٣٠٠ متر ، به موضع مستدير يقال إنه محل رأس النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يستظل بالجبل وفيه نزلت عليه سورة المرسلات كما يقولون ، وزحام الحاج على هذا الغار بالغ أشده . ومن المساجد التي بنى ولم أزرها مسجد البيعة ومسجد منى وهالك وصفهما عن الفاسي .

(١) نقلت عن مرآة مكة تأليف اللواء البحري العثماني أيوب صبري باشا .



(قبة الكيش رسم ٣٢٨)

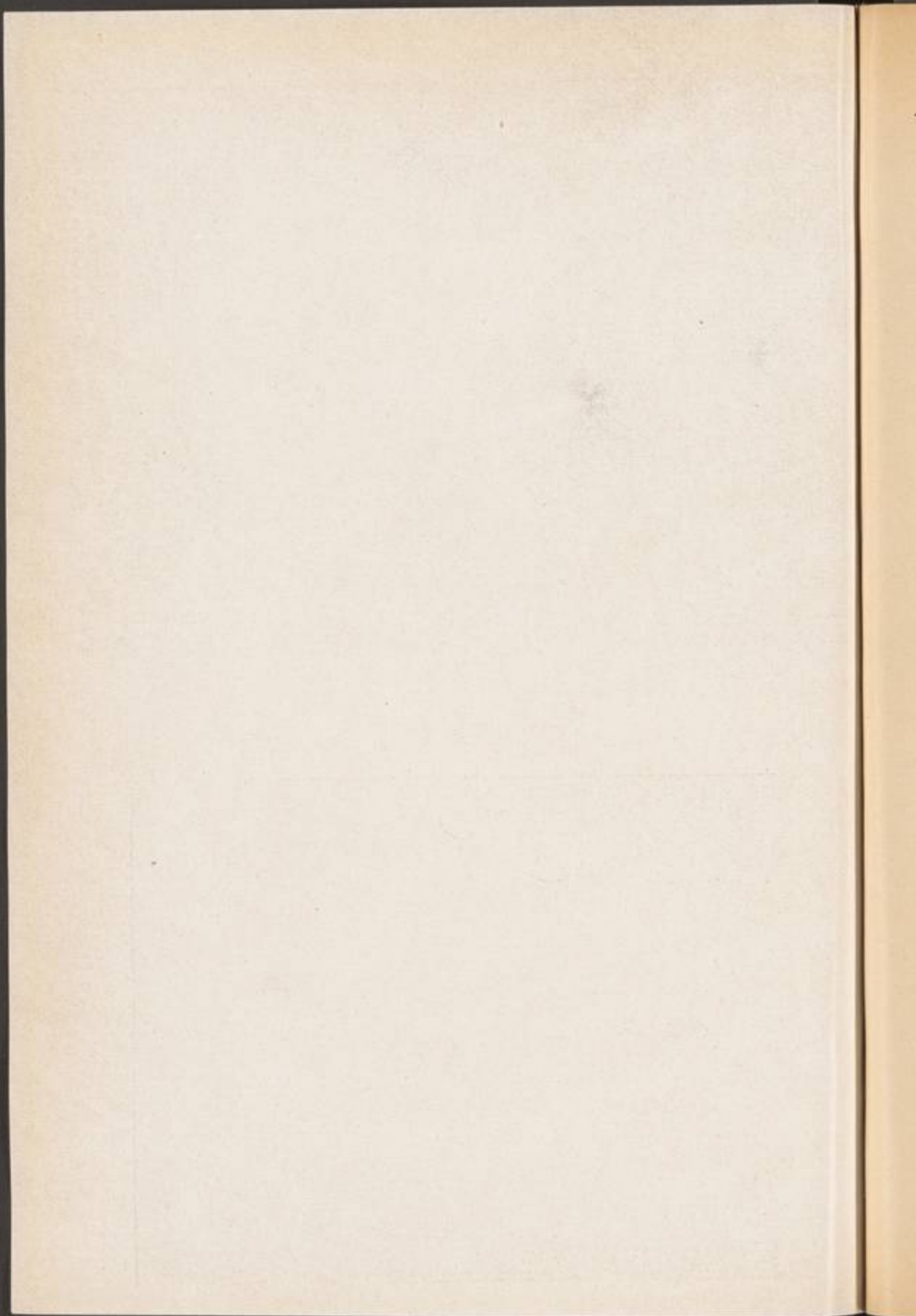
مسجد البيعة — هذا المسجد يقرب العقبة التي هي حد منى من جهة مكة وهو وراء العقبة يسير الى مكة في شعب على يسار الذهاب الى منى وسمى بذلك لأن عنده حصلت البيعة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الأنصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب على ما ذكر أهل الأخبار وقد ذكر التقي الفاسي أن طوله $\frac{1}{4}$ ذراعا بذراع الحديد، وأن به رواقين كل منهما مسقوف بثلاث قباب على أربعة عقود، وأن له بابين في الجهة الشمالية والجهة الجنوبية وذكر أنه متخرب وأن فيه حجرين مكتوب في أحدهما (أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله ببنيان

هذا المسجد مسجد البيعة التي كانت أول بيعة بايع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد عقده له (؟) العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وفي الآخر تعريفه بمسجد البيعة وأنه بنى في سنة ٢٤٤ هـ . وأمير المؤمنين المشار اليه هو أبو جعفر المنصور العباسي . وعمره أيضا المستنصر العباسي قال : ووجدت ذلك في حجر ملقى حول هذا المسجد لتخربه وفيه أن ذلك سنة ٦٢٩ هـ .

مسجد منى - ويقال له مسجد المنحرج ذكره الفاسي وقال : إنه عند الدار المعروفة بدار المنحرج بين الجمرات الأولى والوسطى على يمين الصاعد الى عرفة وفيه حجر مكتوب فيه (هذا مسجد سيد الأولين والآخرين صلى فيه الضحى ونحر هديه وفيه : ابن الملك قطب الدين أبا بكر بن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن أمر بتجديد عمارته بعد زيارته في سنة ٦٤٥ هـ . وطول هذا المسجد من محابه الى مؤخره ثمانية أذرع وعرضه سبعة أذرع بذراع الحديد (ذراع الحديد $\frac{1}{4}$) ٥٦) .

الجمار - الجمار التي ترمى بالحصىات هي بنى والأولى منها هي التي تلى مسجد الخيف ، والوسطى التي بينها وبين جمرات العقبة ، والأخيرة جمرات العقبة - انظر مواقعها من منى (في الخريفة ١٢٠) .

وهي أقرب الجمار الى مكة وهي حائط من الحجر ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار في عرض نحو مترين أقيم على قطعة من صخرة مرتفعة عن الأرض بنحو متر ونصف ومن أسفل هذا الحائط حوض من البناء تسقط اليه حجارة الرجم ورمى الجمار بهذا الترتيب مطلوب على مذهب مالك حتى لو وقع على غير هذه الصفة ولم يتدارك في وقت الأداء وهو النهار على المشهور لزمه دم والمسافة التي بين جمرات العقبة والجمرة الوسطى ١١٦,٧٧ مترا ، والتي بين الجمرات الأولى والوسطى ١٥٦,٤٠ مترا ، وقد تقدم في ص ٤٨ من الرحلة وصف الأعلام التي على الجمار وبيان حدود المرمى بما نقلناه





حقوق الطبع والنشر محفوظة باسم اسم اللؤلؤ ابراهيم فقيمتاشا امير سراج المصر في الحج ١٣٢٥

125. Stone throwing at Satan (El Shytan el Wossta) at Mecca.

صحيفة ٣٣٩

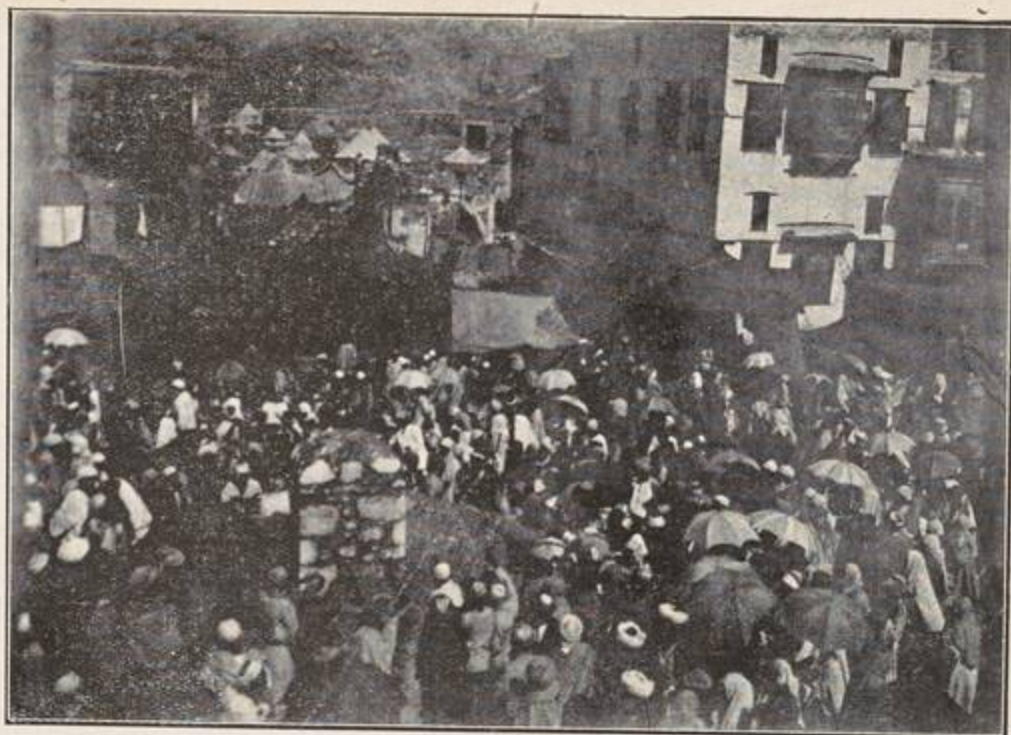
رؤيا الحج بالجمرة الاثنية



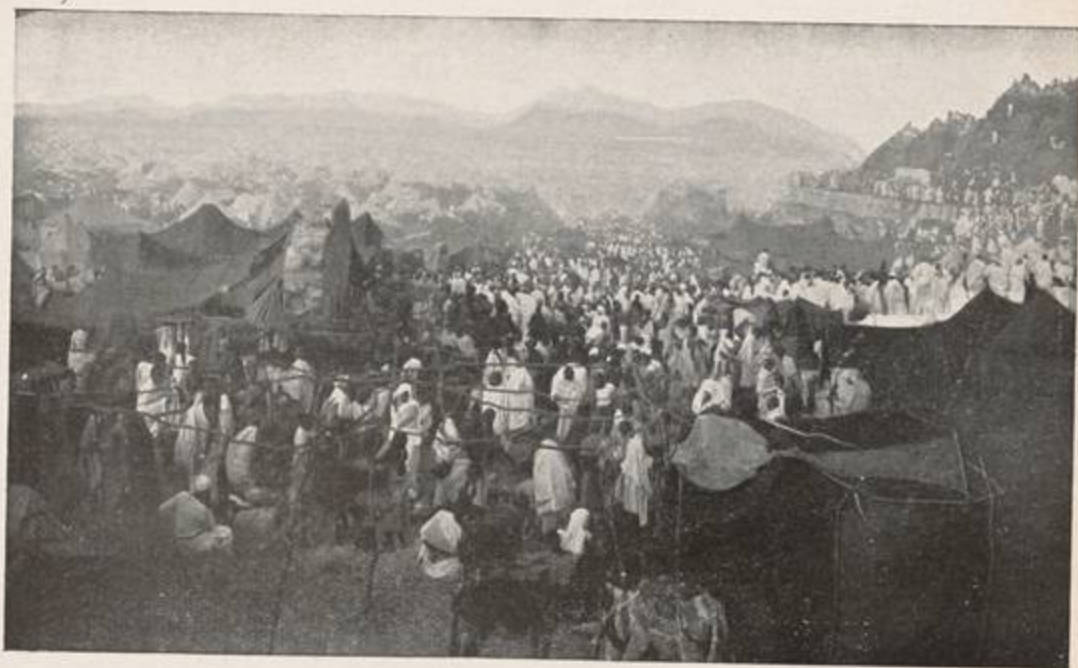
126. A view of the throwing stones in the Largest Room (Gamret El Akaba) in Mina in 1325.

179 lines

179 lines



127. The third stone throwing at Shylan at Mecca



128. A view of the market in Arafat in 1325.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

هناك عن المحب الطبري ، وزيدك الآن أن الأزرقى ذكر في كتابه أن جمرة العقبة أزالها جهال الناس عن مكانها الأصلي برميهم الحصى في غير موضعه وردّها الى مكانها الذى لم تزل عليه إسحاق بن سلمة الصائغ الذى أنفذه المتوكل للقيام بأمر تتعلق بالكعبة وبني من ورائها جدارا رفعه عنها وجعل بجانب الجدار مسجدا حتى لا يتمكن شخص من أن يرميها من أعلى لأن السنة لمن أراد الرمي أن يقف من تحتها في بطن الوادى فيجعل مكة عن يساره ومنى عن يمينه ويرمى كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنظر الجمار الثلاث والحجاج يرمونها في الرسوم ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧) .

قال ابن الكلبي : إنما سميت الجمار جمارا لأن آدم كان يرمى إبليس فيجمر من بين يديه والإجمار الإسراع ، قال لبيد من قصيدة له :

وإذا حركت غرزي أجمرت * أو قرأى عدو جون قد أبلى^(١)

أو سميت هذه الأماكن باسم ما يرمى فيها لأن الجمرة الحصىة .

المنحرج بمنى — أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن منى كلها منحرج وكان الناس ينحرون قريبا من منحيم الحجاج في الأعوام السالفة في حفر تحفر لذلك . أما في عامنا هذا فكانت الحفر بعيدة عن المنحيم بما يقرب من ألف متر . والحجاج يذبحون الهدى والفداء في وقت واحد من يوم النحر ولا يأكلون مما يذبحون بل يرمونه بالجهة الشرقية من منى ، وكان فقراء الحجاج من الدكارنة والمغاربة يجردون اللحوم من العظام ويعملون منها أحبالا تجفف في الشمس فتكون غذاء لهم في سفرهم حتى يصلوا المدينة المنورة ، وكانت الذبائح المتروكة تتبع منها روائح كريهة لأنها ما كانت تدفن ولكن في السنين المقبلة عملت حفر عميقة دفنت فيها الذبائح وكلف عمال الصحة بردها .

(١) الغرز ركاب من جلد توضع فيه الرجل وقراب السيف معروف والعدو السير السريع والجون من الخيل الأدهم وأبل أكل الزبل وهو نوع من الشجر يتقطر منه الماء .

المفجر بمنى - مكان خلف الجبل المقابل لثبير، سمي بذلك لما بخر فيه من الدماء عند ما دارت ریح الحرب بين قصى وشيعته وبين بنى الغوث بن أذ بن طابخة ويقال لهم صوفة وذلك بسبب تقدم الأولين الى رمى جمرة العقبة قبل بنى الغوث . وبهذا المكان مجرى قناة عين زبيدة وقد أقيم عليه آلة بخارية قوتها ثمان خيول لتوصيل الماء فى أنابيب الى ميدان منى إذ يحول الجبل بين المجرى والميدان ، وبواسطة الأنابيب يصعد الماء الى الجبل ثم ينزل فيها الى وادى منى ويصب فى أحواض أعدت له هناك ليشرب منها المجاج ، وهذه الآلة أحضرها أحد أغنياء الهند كما سمعت وترتب لها ما يكفيها من الفحم والشحم والزيت وأجور العمال ، وإن مما يذكر مقرونا بأشد الأسى أن هذه الآلة وقف عملها لأن أيدى الطامعين تصل الى ما أعدت لها ولإدارتها وترتب على ذلك غلو المياه حتى أن القرية من الماء بيعت فى سنة ١٣٣١ هـ بثلاثة قروش ونصف صحيحة، ويتغنى الأعراب الذين يبيعون الماء بالنشيد الآتى :

رأيت الماء * فى سوق منى * يبعث وشرا

حتى أن اللاش^(١) * ما يرد الماء

وترى فى اللوحة ٧٩ الآلة البخارية والطريق اليها والجبل المجاور لها ومجرى القناة .

منى موطن توحيد - كانت منى فيما سلف منصوبة فيها الأصنام فنصب بها عمرو بن لحي سبعة أصنام منها واحد بين مسجد منى والجمرة الأولى على بعض الطريق ، وثان على الجمرة الأولى ، وثالث على المدعى ، ورابع على الجمرة الوسطى ، وخامس على شفير الوادى ، وسادس وسابع على الجمرة الكبرى (جمرة العقبة) وقسم على هذه الأصنام حصى الجمار التى هى إحدى وعشرون حصاة ، فيرمى كل وثن منها بثلاث حصيات ، ويقال للوثن حين يرمى ، أنت أكبر من فلان - يعنى الصنم

(١) اللاش : البخيل .

الذى قبله - فلما أن جاء الاسلام قضى على عبادة الأصنام واستبدل بها عبادة الله وحده وذكره (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) .

حكم البناء بمنى - أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله ألا تبني لك بمنى بيتا أو بناء يظلك من الشمس فقال لا إنما هو مناخ من سبق . وأخرجه أبو داود عن أحمد بن حنبل والترمذى قال ابن عساکر بعد إخراجها لهذا الحديث : مفهوم هذا الخطاب يدل على أنه لا يجوز إحياء شيء من مواتها ولا تملك جهة من جهاتها بل هى للناس سواء ، ويدل على ذلك قوله تعالى (سَوَاءٌ أَلْعَاكُفُ فِيهِ وَالْبَادِ) على القول بأن الضمير يرجع للحرم .

الحصيات بمنى ورفعها - روى الأزرقي في تاريخه عن جده قال : حدثني يحيى بن سليم عن ابن خيثم عن أبي الطفيل قال : قلت ياأبا الطفيل هذه الجمار ترمى فى الجاهلية والاسلام كيف لا تكون هضابا تسد الطريق ؟ قال : سألت عنها ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال : إن الله تعالى وكل بها ملكا فما تقبل منه رفع وما لم يتقبل منه ترك ، وكذلك روى الأزرقي فى رفع المتقبل منه عن ابن عمر وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما . وروى المحب الطبرى عن أستاذه شيخ الحرم ومفتيه أنه شاهد ارتفاع الحجر عيانا ، ومع أن هذه الأقوال صادرة عن غير معصومين لسننا ملزمين بأن نعتقد اعتقادهم فانا راجعنا فى كتب الرجال أسانيدنا التى ذكرها الأزرقي فلم نجد لها سندا صحيحا .

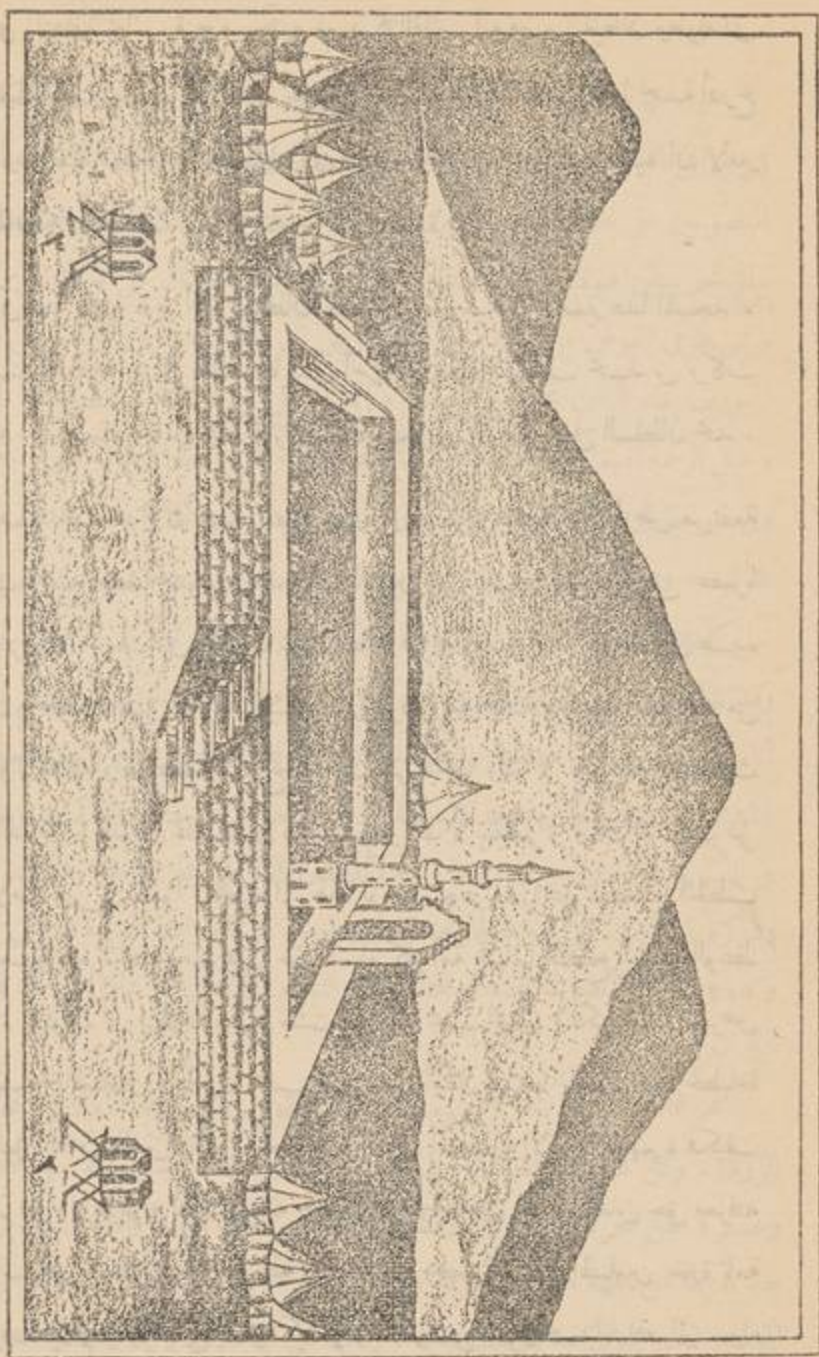
المزدلفة

المزدلفة الموضع الذى يؤمر الحاج بنزوله والمبيت فيه بعد دفعه من عرفة ليلا وهو بين مأزمية عرفة من جهتها ومحسر من جهة منى ، ومازما عرفة هو الذى يقال له المضيق ، وسميت بذلك لازدلاف الناس اليها : أى اقترابهم ، وقيل لمحىء الناس اليها

في زلف من الليل: أى ساعات؛ ويقال للمزدلفة جمع سميت بذلك لاجتماع الناس بها؛ وقيل لاجتماع آدم وحواء فيها؛ وقيل لجمع الصلاتين بها . وطول المزدلفة من حدها الذى لى منى وهو طرف وادى محسر الى حد مزدلفة الذى لى عرفة ، وهو أول المأزمين مما لى المزدلفة ٤٣٧٠ متر، وبوسط المزدلفة المشعر الحرام الذى يستحب للحجاج الوقوف عنده للدعاء والذكر غداة يوم النحر امتثالا لقوله تعالى ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ واقداء بنبينا صلى الله عليه وسلم فإنه لما أصبح يجمع أتى قزح فوقف عليه وقال : « هذا قزح وهو الموقف وجمع كلها موقف » أخرجه أبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح . وهذا المشعر هو المسمى بقزح ، ويقول ابن عمر رضى الله عنهما : المشعر الحرام المزدلفة كلها ومثله فى كثير من كتب التفسير وهذا محمول على المجاز كما ذكره المحب الطبرى . وقد ذكر التقي القاسمى فى كتابه شفاء الغرام صفة البناء الذى على قزح فى سنة ٥٨١١ . فقال : إنه بناء مربع يشبه المنارة عرض كل ضلع من أضلاعه اثنا عشر ذراعا ونصف ذراع بالذراع الحديد إلا أن الجهة الشرقية تنقص ثلث ذراع — ذراع الحديد $\frac{1}{4}$ ٥٦ سنتيا — وفى أعلاه اثنتان وعشرون شرافة ، وله درج من ظاهره وباطنه ، وعدد الذى من ظاهره ٢٤ والذى من باطنه ٢٠ وارتفاعه فى السماء ثلاثة عشر ذراعا ، قال : وهذا البناء يقف عليه من يمكن من الوقوف عليه ومن لا يمكن يقف بجوار هذا البناء، وجرت عادة الناس أن يصعدوا من الدرج الظاهرى ويتزلوا من الدرج الباطنى . أما الآن فعلى جانبي الطريق جداران ارتفاع كل منهما أربعة أمتار، وعرضه ثلاثة أمتار والمسافة بينهما ٦٠ مترا، والمحل الذى يحده هذان الجداران هو المسمى فى عرف الناس المشعر الحرام (أنظر المزدلفة فى الرسم ٣٢٧) .

وتجد فى أسفل الرسم الشقذف تحت رقم ٢ و ٣

(١) أخذناه عن مرآة مكة التى ألفها بالتركية اللواء البحرى أيوب باشا صبرى العثمانى .



وادی المزدلفه
المشعر الحرام

وفي المزدلفة بجانب قنح مسجد صغير ذكر الفاسي أنه قصير الحيطان وطوله الى جهة القبلة ستة وعشرون ذراعا إلا ثلث ذراع والمقابلة لها تنقص عنها خمسة أذرع إلا ثلثا وعرضه اثنان وعشرون ذراعا وفي قبلته محراب فيه حجر كتب عليه أن الأمير يلبغا الخالصي جدد هذا المكان بتاريخ ذى القعدة سنة ٧٦٠ هـ .

وفي سنة ٨٤٢ هـ . أمر السلطان جقمق الأمير سيدون بتعمير هذا المسجد .
وفي سنة ٨٧٤ هـ . في سلطنة قايتباي أمر أمير مكة الشريف محمد بن بركات بتبويضه . وفي سنة ١٠٧٢ هـ . عمره سليمان بك والى جدّة من قبل السلطان محمد .

وهذا المسجد الآن مهتم بعض جدره ويقف الإمام به فوق أرض مرتفعة فيخطب المجيج خطبة صيغت منذ مئات السنين فلا تناسب بينها وبين عصرنا الحاضر ولا أثر لها في القلوب شأن خطبة عرفة وغيرها واذا قارنت بين هذه الخطب وخطب النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة ومزدلفة ومنى وما تضمنته من الحكم والأحكام والمواعظ والنصائح أدركت سرّ تأخرنا وأتنا لا ننتهز الفرص فنبت روح الدين ونوحد بين المسلمين ونربطهم برباط لا ينقسم ، وكان الواجب على ولاية الأمر أن ينهوا الخطباء الى هذا بل يقسروهم قسرا على تعصير الخطب وأن يجعلوا مع الخطباء مترجمين حتى تسمع كل أمة بلسانها النصح البليغ والوعظ الرقيق ، فتتوب الى ديارها وقد ملئت قلوبها بحب الدين وتمكن فيها الحرص على مصالح المسلمين ولكن لا عجب إن سمعت أمثال هذه الخطب فان خطباءنا من أجهل الناس بالدين وشؤون العمران وأحوال المسلمين إلا قليلا منهم ، فكيف يصفون دواء لا يعرفونه لداء يجهلونه فأس الإصلاح رجال عرفوا الدين حق معرفته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وخبروا شؤون المسلمين خبرة تامة بل شؤون غيرهم أيضا حتى يأمنوا كيدهم ويسلموا من شرهم همدانا الله الى سواء السبيل .

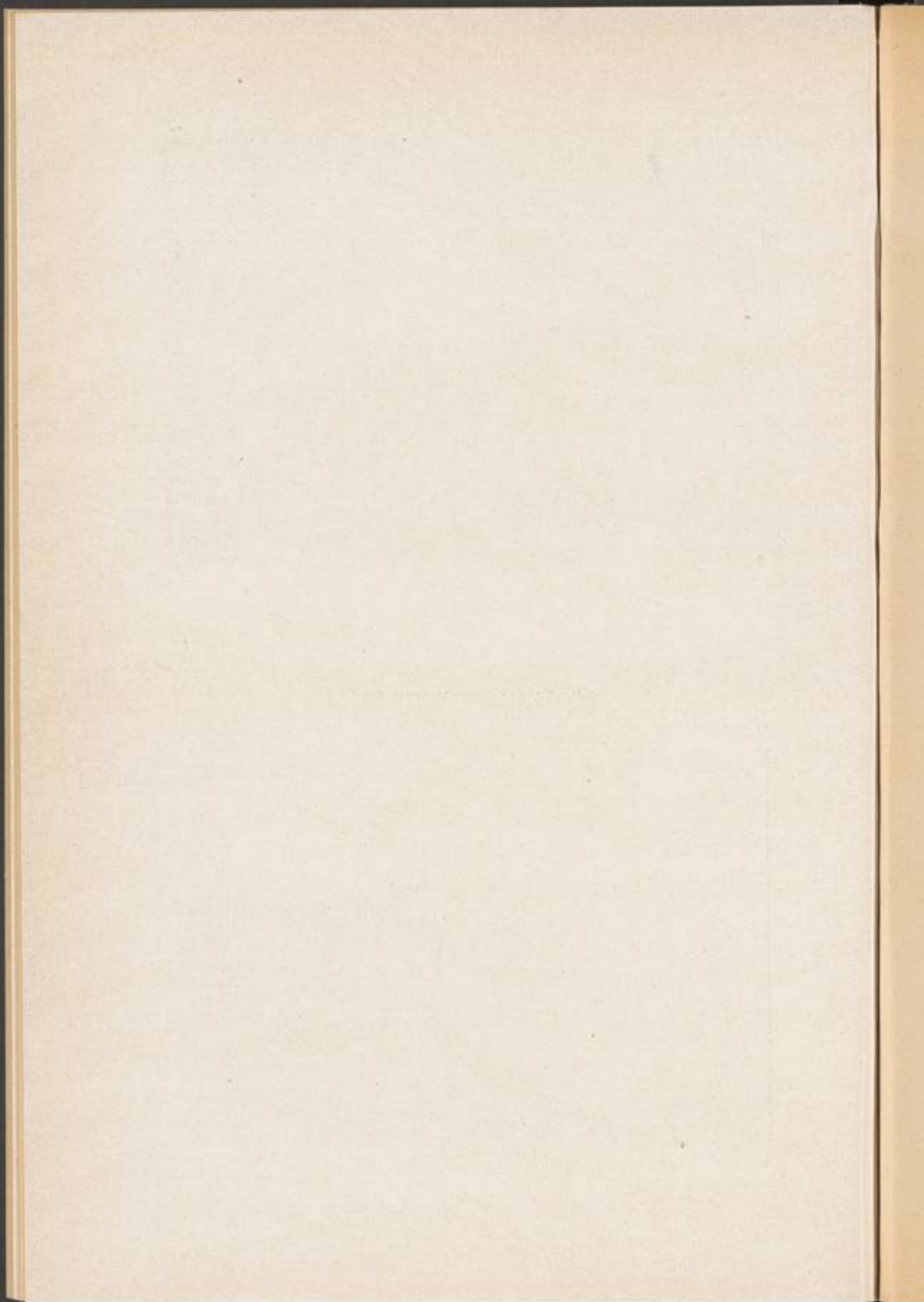
عرفة

ميدانها وجبالها - على بعد ٢١٤٧٦ متر من باب المعلاة بمكة تجدد في طريق الطائف عامين هما حدود عرفة من جهة مكة وهما في الحل بعد العالمين المنصوبين على حدود الحرم بمسيرة ٢٥ دقيقة وعرفة ميدان واسع أرضه مستوية يبلغ نحو مياين طولاً في مثلها عرضاً وتحيط به سلسلة جبال على شكل قوس كبير ويمر بطرفي القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف ، وفي شماليه جبل الرحمة المعروف عند الناس بجبل عرفات ، وإنما جبل عرفات ما أطاف بهذا الميدان وجبل الرحمة أصغر جزء فيه ويبلغ ارتفاع هذا الجزء ثلاثين متراً وطوله نحو ٣٠٠ متر ، وفي متوسط ارتفاعه مستو طوله ١٥ متراً في عرض ١٠ أمتار به مسجد إبراهيم كما يقولون ، وفي قنة الجبل مستو واسع مبلط في وسطه مصطبة في ركنها الغربي علم مبني كأعلام الحرم يعلق به جملة مصابيح يتهدى بها الناس ليلاً الى موطن الجبل ، وقد تقدم تفصيل بعض ذلك في ص ٤٤ من الرحلة ، وبهذا الميدان يحج الحاج أيام عرفة وبه جملة مساجد وعدة أحواض وسوق ، ومجرى عين زبيدة يطيف بالميدان كما تطيف الجبال ، وقد قدمنا لك ذكر الأحواض ووصفها بالتفصيل ومقاسمها في الرسم (٧٧) وفي ص ٢٠٨ و ٢٠٩ وكذلك تكلمنا على مجرى عين زبيدة بعرفة وذكرنا الكتابات التي وجدناها بجبل الرحمة دالة على العمارات المختلفة في ص ٢١٤ و ٢١٥ وذكرنا أيضاً ما تقدمناه هناك من النظام والأعمال فلا داعي لذكره فأرجع اليه ان شئت .

عرفة موقف - لا يقوم الحج إلا بالوقوف في عرفة تاسع ذي الحجة بعد الزوال ، وكل عرفة موقف إلا بطن عرنة كما قضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبطن عرنة ما بين العالمين اللذين هما على حدود الحرم والعالمين اللذين هما حد عرفة من جهة مكة ، وعرفة تطلق تارة على ما يشمل بطن عرنة وتارة على الموضوع الذي يجزئ فيه الوقوف فقط ، ويدل على الاطلاق الأول استثناءها من عرفة كما جاء في الحديث .

وقد حرّر القاضي عز الدين بن جماعة في منسكه موقف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفات فقال : اجتمع والدي تغمده الله برحمته في تعيينه وجمع فيه بين الروايات فقال : إن الفجوة المستعلية المشرفة على الموقف وهي من ورائه صاعدة في الرابية وهي التي عن يمينها، وورائها صخرتان متصلتان بصخر الجبل المسمى جبل الرحمة، وهذه الفجوة بين الجبل المذكور والبناء المربع عن يساره وهي إلى الجبل أقرب بقليل بحيث يكون الجبل قبالة الواقف إذا استقبل القبلة ويكون طرف الجبل تلقاء وجهه، والبناء المربع عن يساره بقليل، قال الثقي القاسمي بعد أن حكى ذلك عن ابن جماعة : البناء المربع المشار إليه هو الذي يقال له بيت آدم بعرفة وكان سقاية للحاج أمرت بعملها العجوز والدة المقتدر العباسي على ما هو مكتوب في حجر في حائطها القبلي . ٥١ .

مسجد نمرة — على مسيرة ٢٠ دقيقة من جبل الرحمة تجدد علمين يمر من بينهما الحجاج وهما على حدود عرفة من جهة مكة ومبنيان بعيد أحدهما عن الآخر، ارتفاع كل منهما خمسة أمتار في عرض ثلاثة، وعلى مسيرة ١٥ دقيقة جنوبي هذين العلمين اللذين تراهما في الخريفة (٧٨) تجد مسجد نمرة ويسمى مسجد عرنة وجامع إبراهيم ومصلى عرفة وهو جامع كبير طوله ٩٠ متراً في عرض ٨٠ أحاطت به الأروقة من جميع جوانبه وله محراب يرتفع ثلاثة أمتار وعرضه ١,٥ متر ويدخل في الحائط نحو متروله منبر بدرجات عشر وارتفاعه متران ونصف والمياه تصل إليه من مجرى عين زبيدة أيام عرفة، والحجاج يجمعون في هذا المسجد بين صلاتي الظهر والعصر جمع تقديم يوم عرفة، وقد جمع بينهما النبي صلى الله عليه وسلم في بطن عرنة كما تقدم في حجة الوداع، وهذا المسجد يرجع إنشاؤه إلى العقد الخامس بعد المائة، وقد عمّر في عصور مختلفة فمن ذلك عمارة للسلطان جقمق في سنة ٨٤٣ هـ . على يد الأمير سيدون وعمارة للسلطان قايتباي سنة ٨٧٤ هـ . جعل فيه رواقين وعمّر في سنة ١٠٧٢ هـ . في زمن السلطان محمد علي يد سليمان بك والي جدة . انظر المسجد (في الرسم ٤٣) وتجد فيه الأروقة والحجاج بلباس الإحرام رجالاً ونساء .



الحج والعمرة فان مع التعمرة



129. Photo of the pilgrims in Arafat.

معسكر الحجاج بعد صلاة الظهر في المشعر الحرام



معسكر الحجاج بعد صلاة الظهر في المشعر الحرام

130. Camp of Pilgrims from the Eastern side & Rahma Mountain.

مسجد الصحرات - هذا المسجد أسفل جبل الرحمة وهو مسجد صغير زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مكانه وسمى بذلك لأن بأرضه صخورا كبيرة بعضها الى جانب بعض . انظر جدره المهتمة في الشرق الجنوبي (الرسم ٤٢) .

سوق عرفة - يوجد بعرفة سوق كبير جدا يباع فيه كافة أنواع المأكولات وهو قريب من جبل الرحمة المشهور بجبل عرفات أنظر (في الرسم ١٢٨) السوق وترى به القصايين قد علقوا اللحوم في حبال مدت بين أعمدة من السنط أو السلم والخط الأبيض الذي في شمالي الرسم مسجد نمرة .

مناظر الحجاج في عرفات - تجدد (في الرسم ٤٤) الحجاج على جبل الرحمة وذلك في تاسع ذى الحجة سنة ١٣٢١ وهذا المنظر أخذته وأنا بالموقف تحت الجبل وترى أعلى المحمل « بيرقه » ظاهرا به ، وفي نهايته « الرمانة » يخيل الى الناظر أنها رجل فوق الجبل وترى الخطيب بلباس أبيض وقد أمسك بيده كتابا يقرأ منه الخطبة ، والوجه الكبير البارز بالصورة وجه الشيخ محمد أبي النور نجل الشيخ طموم الكبير صهرنا وكان حاملا آلة الرسم وإنك لتشاهد الحجاج ملؤا ظهر الجبل حتى لم يدعوا به موضع قدم وهم من أجناس مختلفة ينطقون بلغات شتى يجارون جميعا الى الله أن ينقر لهم ما أسلفوا ويوفقهم الى عمل ما فيه السعادة لهم في أولاهم وأحرامهم .

وتجدد في (الرسم ١٩٢) خيام الحجاج بجانب الصحرات التي يجوار جبل الرحمة وترى في الرسم رجلا راكعا نصفه العلوى بلا رداء والخيام التي في أعلى الرسم فيها عساكر الدولة الذين هم حرس للشريف والوالى .

وفي (الرسم ١٣٠) تخيم الحجاج بميدان عرفات في سنة ١٣٢٠ هـ . وكذلك (الرسم ٧٦) وتجده حوضا من ضمن الحياض التي بالميدان وهو الحوض الخاص بركب المحمل الشامى وقد قدمنا لك وصفه في الكلام على عين زبيدة .

الطريق من مكة الى عرفات ومشاعر الحج فيه

الطريق بين مكة وعرفات واد بين جبال تكتنفه من الجانيين تارة لتباعد وأخرى لتقارب، وللوادي في مواضع تنائها وتدانيها أسماء مختلفة تعلق بكثير منها بعض أعمال النسك فعند خروجك الى مكة من جهة المعلاة تجد على يمينك جبلا يسمى الحجون قد أشرف على مقبرة المعلاة فيه قبر عبد الله بن عمر بن الخطاب أو الحجون الجبل الذي بحذائه قال الشاعر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

والحجون حد المحصب من جهة مكة وحدّه الآخر من جهة منى مكان به سبيل يسمى سبيل الست، والمحصب جزء من الطريق الى منى وهو مسيل للساء وسمى بذلك لأن السيل يجمع فيه الحصى وهي الحصا الصغير، والمحصب نزل النبي صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه من منى ولهذا يستحب للحجاج النزول فيه أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم والمسافة من باب بنى شيبه الى سبيل الست الذى هو حد المحصب من جهة منى ٧٥٠٠ ذراع بذراع اليد على ما قدره الفاسى وذلك ٣٦٧٥ مترا باعتبار الذراع ٤٩ سنتيا على ما حققناه من كلام الفاسى - وبما أن المسافة من باب بنى شيبه الى باب مقبرة المعلاة ٢١٢٧ ذراعا بذراع اليد أى ١٠٤٢ مترا تقريبا فالمسافة بين باب المعلاة وسبيل الست ٢٣٨٧ مترا أى طول الوادى الواسع المسمى بالمحصب، ويطلق المحصب على الموضع الذى ترمى فيه الجمار لأن به ترمى الحصباء وهي الحصى الصغير؛ قال عمر بن أبى ربيعة

نظرت اليها بالمحصب من منى * ولى نظر لولا التخرج عازم
فقلت أشمس أم مصابيح بيعة * بدت لك تحت السجف أم أنت حالم^(١)
بعيدة مهوى القُرط إما لنوفل * أبوها وإما عبد شمس وهاشم
ومتد عليها السجف يوم لقيتها * على عجل تباعها والحوادم

(١) الستر.

فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا * عشية رحنا وجهها والمعاصم
 اذا ما دعت أترابها فاكثفتها * تمايلن أو مالت بهن المآل^(١)
 طابن الصبي حتى اذا ما أصبها * نزعن وهن المسامات الظالم
 وبعد سبيل الست يضيق الوادي وعلى بعد ٣١٢٠ مترا من السبيل تجدد على
 يسارك جمرة العقبة وهي حد منى من جهة مكة فالمسافة بين باب المعلاة بمكة وأول
 منى ٥٤٠٧ مترا، وتجدد على مقربة من جمرة العقبة في شعب على يسارك مسجد البيعة
 في المكان الذي بايع فيه الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة عمه العباس
 ومن جمرة العقبة يتسع الوادي اتساعا كبيرا فيكون ميدانا فسيحا عرضه من مؤخر
 مسجد الخيف الذي يلي الجبل الى الجبل المقابل له في الناحية الأخرى ٦٣٧ مترا
 ويضيق عن ذلك ويتسع، وطوله من جمرة العقبة حتى نهاية وادي محسر من جهة
 المزدلفة ٣٥٢٨ مترا، وهذا الميدان هو المسمى بنى يشقه طريق من الغرب الى
 الشرق في أوله جمرة العقبة التي يرميها الحاج بالجمارة في يوم النحر وأيام التشريق،
 وتليها الجمرة الوسطى على بعد ١١٦,١٧ مترا وتليها الجمرة الأولى على بعد ١٥٦,٤٠ مترا
 من الثانية، والجمرتان الأخيرتان في وسط الطريق وترمي بالجمارة في أيام التشريق
 فقط، والجمار أعلام منصوبة لبيان موضع الرمي وهي أشبه بالأعمدة وقد تقدم لك
 وصفها ورسمها في منى، ومساكن منى بجوار هذه الجمار على جانبي الطريق، وبني
 ينجر الهدي ويبيت الحجاج ليالي التشريق ويتحللون بعد الحلق أو التقصير عقب
 النحر يوم الأضحية وقد قدمنا لك قريبا وصفها تفصيلا وفي آخر منى يضيق
 الوادي ويسمى في مضيقه وادي محسر الذي يستحب للحجاج الإسراع فيه،
 والمحسر - بصيغة اسم الفاعل مع تشديد السين - من الحسر وهو كشطك الشيء
 وكشفك إياه، يقال: حسر عن ذراعيه ويجوز أن يكون من الحسر بمعنى الإعياء
 يقال: حسرت الدابة والعين اذا أعيت ويتسع الوادي بعد انتهاء وادي محسر
 في مسافة طوله ٣٨١٢ مترا تنتهي الى المأزمين والوادي في هذا الاتساع يسمى
 (١) جمع ما كم أو ما كمة بفتح الكاف وتكسر وهى لجة على رأس الورك.

المزدلفة وعلى مقدار ٢٥٤٨ مترا من أوله من جهة المحسر المشعر الحرام أو قرح الذى يقف فيه الحجاج غداة يوم النحر للدعاء ، وعلامته جداران هنالك واحد عن اليمين وآخر عن الشمال ؛ وفى المزدلفة يبىء الحجاج ليلة النحر بعد أن يدفعوا من عرفة ويجمعون فيها بين المغرب والعشاء جمع تأخير (انظر ما تقدم فى المزدلفة) والوادي من نهاية المزدلفة يضيق الى ٥٠ مترا عرضا ويمتد على بعد ٤٣٧٢ مترا ، أى الى العلمين اللذين هما حدّ الحرم من جهة عرفة وهما بناءان أشبه ببنائى المشعر إلا أنهما أصغر منهما والمسافة بينهما مائة متر ؛ والوادي فى هذه المسافة يسمى المآزمين أو طريق المآزمين أو المضيق بين مزدلفة وعرفة وسمى بالمآزمين لأن الجبلين اللذين بينهما الوادي يسمى كل منهما مأزما ويقول أهل اللغة . المآزم الطريق الضيق بين جبلين وفى أول المآزمين على يمين الميعم عرفة طريق آخر إليها أخصر من طريق المآزمين يسمى طريق ضب يستحب للحجاج أن يسلكه اذا توجه الى عرفة صباح يومها كما يستحب له أن يسلك طريق المآزمين اذا أفاض من عرفة ، وبانتهاء المآزمين ينتهى الحرم من جهته الشرقية ويتبدى وادي عرنة الذى يتجنب الحاج الوقوف فيه يوم عرفة وهو ضيق فى أوله وينتهى بوسع كبير وطول هذا الوادي من العلمين المحدين للحرم الى العلمين الآخرين المحدين لعرفة من جهة المزدلفة ١٥٥٣ مترا ، وهذان العلمان بناءان بعيد أحدهما عن الآخر ارتفاع الواحد منهما خمسة أمتار وعرضه ثلاثة ، وفى جنوبى هذين العلمين على بعد ربع ساعة مسجد نمرة الذى قدمنا لك وصفه كما قدمنا لك قياس عرفات والكلام على ما فيها من الآثار فأغنانا عن الإعادة ، وعلى ذلك فبعد المواضع التى بهذا الطريق كما يأتى :

- متر
 ١٠٤٢ من باب بنى شيبه الى باب مقبرة المعلاة .
 ٢٣٨٧ » » المعلاة الى سبيل الست : أى طول المحصب .
 ٣١٢٠ » سبيل الست الى جمره العقبة .
 ٣٥٢٨ » جمره العقبة الى وادي محسر : أى طول منى .

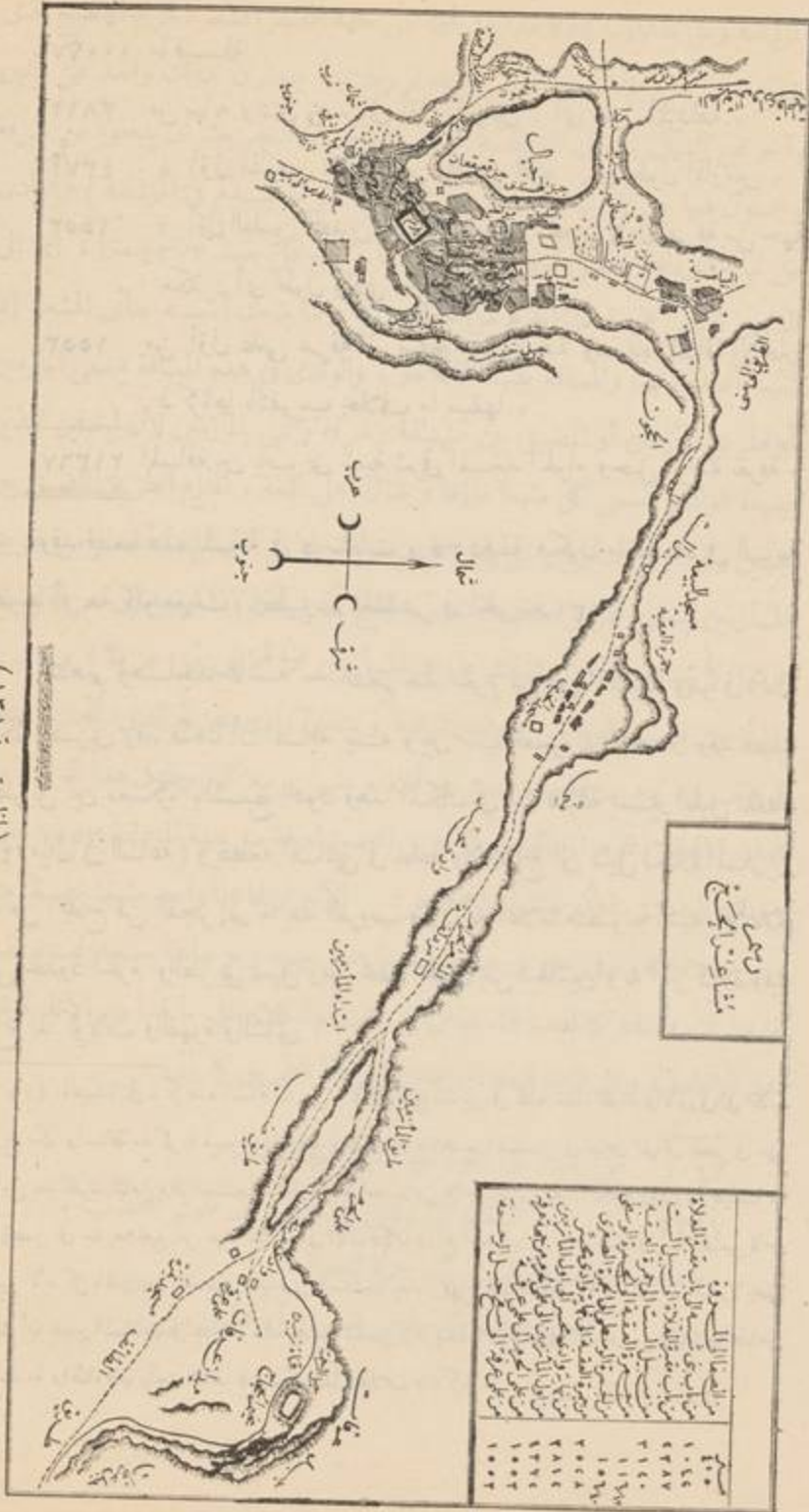
متر	ما قبله
١٠٠٧٧	من نهاية وادي محسر الى أول المازمين : أى طول المزدلفة .
٤٣٧٢	« أول المازمين الى العلمين المحدين للحرم : أى طول المازمين .
١٥٥٣	« أول العلمين المحدين للحرم الى العلمين المحدين لأول عرفة من جهة مكة : أى طول وادي عرنة .
١٥٥٣	من أول علمى عرفة الى سفح جبل الرحمة وهذه المسافة الأخيرة ذكرناها بالتقريب بخلاف ما سبقها .

٢١٣٦٧ المسافة بين باب بنى شيبه شرقى المسجد الحرام وجبل الرحمة بعرفة ^(١) .

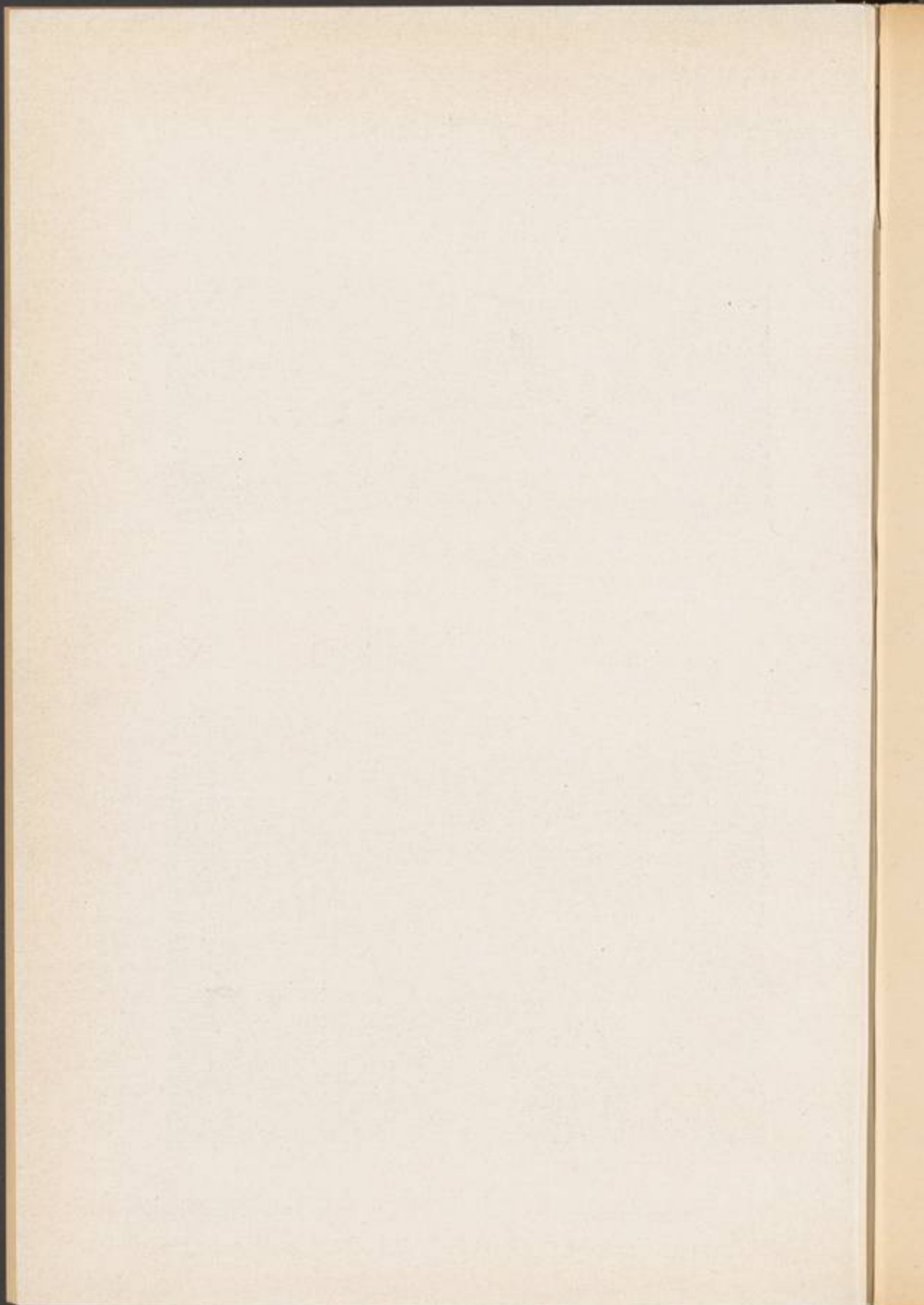
وقد قطعنا هذه المسافة فى ٥ ساعات و ٣٥ دقيقة فىكون ما قطعناه فى الساعة تقريبا أربعة كيلومترات (انظر رسم المشاعر فى الخريطة ١٣١) .

التنعيم ومساجد عائشة — التنعيم حد الحرم من جهة المدينة وهو فى شمال مكة الغربى وقد قدمنا أن المسافة بينه وبين باب العمرة ٦١٤٨ مترا وقد قطعنا الطريق بين معسكرنا بالشيخ محمود وهذا المكان فى ٤٠ دقيقة بسير الخليل المعتاد (٤ أميال فى الساعة) ويقطعه الماشى فى ساعة ولا يحتاج الى دليل لكثرة المارين به من الحجاج من الفجر الى ما بعد الغروب ولأن به أعلاما منصوبة أشبه بالأعلام التى بحدود الحرم والطريق سهل رملى تحفه الجبال من الجانبين وبه آبار كثيرة وفيه تباع المأكولات والقهوة والشاى .

(١) اعتمادنا فى ذكر هذه المسافات على ما ذكره النقي القاسمى فى كتابه شفاء الغرام والأزرقى فى كتاب تاريخ مكة والمسافة مذكورة فهما بذراع اليد وتارة بذراع الحديد المستعمل فى قياس القماش بمصر فى عهد القاسمى بعد القرن الثامن وقد استنتجنا مقدار ذراع الحديد من قياس القاسمى بحدركعبة ومقارنته بقياسنا لما ولم يحصل فى جدرها تغيير من عهد القاسمى الى الآن فكان ذراع الحديد $٥٦ \frac{1}{4}$ سنتيا ورأينا القاسمى قاس بعض الأماكن بالذراعين الحديدى واليدوى فاستنتجنا مقدار ذراع اليد فاذا هو ٤٩ سنتيا تقريبا ولا يخفى عليك أن تقدير المسافات فى هذه الأمكنة محتمل للنقص والزيادة باعتبار ما فى الأرض من نشوز وانخفاض واستقامة وانثناء فان رأيت مخالفا فلا تشكر فنشأ الخلاف ما ذكرنا .



(الطبعة ١٣١١)



عَمَلُ الْعِمْرَةِ



132. The two posts of Al-Umrah (two columns limiting the sacred Territory)

مَسْجِدُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ وَعَمَلُ الْعِمْرَةِ



133. Mosque El-Sayyida Eishah and the two posts of Al-Umrah.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

وقد أقيم عند التنعيم علمان يفصلان الحل من الحرم ارتفاع كل منهما ستة أمتار، وعرضه ثلاثة وهما مبنيان بالججر والملاط الجيد والذي بناهما محمد أو أحمد ابن المقتدر الراضى بالله سنة ٣١٥ هـ . (انظر رسمهما فى الشكل ١٣٢) ويجوار هذين العلمين مسجد عائشة الذى أقيم فى مكان إحرامها بالعمرة بعد أن حجت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وطول هذا المسجد ١٦ مترا فى عرض ١٥ وارتفاعه ٤ أمتار ومكتوب فى محرابه بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّحِدِينَ ﴾ هذا مسجد السيدة عائشة رضى الله عنها بمجده السلطان محمود فى أول جمادى الثانية سنة ١٠١١ هـ . ومن عمر هذا المسجد عبد الله ابن محمد بن داود العباسى أمير مكة ثم العجوز والدة المقتدر العباسى ثم زوج الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٦٤٥ هـ . على ما ذكره التقي القاسمى وكذلك عمره محمود بك والى جدة بصفة تكة مرتفعة وهى باقية الى الآن وذلك سنة ١٠١٢ هـ . كما ذكره السنجارى (انظر غربى الرسم ١٣٣) وخلف مسجد عائشة حوض أعد لخزن المياه طوله ٢٤ مترا ، وعرضه ١٩ مترا ، وعمقه ثلاثة وسطحه مواز لسطح الأرض بنى بالججر والملاط الجيد ، وفى كل من جهتيه الشمالية والجنوبية سلم يوصل الى قاعه ويتكون من سبع درجات وبأعلى الجهة الشرقية من الخزان حجر سطر به تاريخه غير أنه مقلوب الوضع لم أتمكن من قراءته وحول الخزان آثار بناء قديم ، وهناك أيضا صهريج كبير كان يمتلئ من السيول ويتوضأ منه المعتمرون وهذا الصهريج قديم ، ولما حج سنان باشا الوزير المجاهد فى سنة ٩٧٨ هـ . اعتمر من التنعيم فرأى هذا الصهريج خاويا ورأى ما يعانىه المعتمرون فى حمل الماء من مسافات بعيدة ليشربوا منه ويتوضوا فحركته الشفقة الى بئر قديمة هنالك تبعد عن الخزان بنحو مائتى متر قد ملأها التراب فأمر بإصلاحها وأقيمت هنالك ساقية ومجرى مرتفع مقدار قامة يجرى الماء فيه من البئر الى هذا الصهريج الذى عمره الوزير المذكور والى الخزان السابق الذى أنشأه وجعل للقائم بترج المياه أجرا من ريع أوقاف له بمصر وذلك فى سنة ٩٨١ هـ .

ولقد انتفع الناس من حجاج وسابلة بمياه هذا الصهرح وذلك الحوض أحقابا ولكن أغفلتهما يد العناية فنضب منهما الماء وبدأت يد الدهر تضرب فيهما بمعولها .

وفي غربى الخزان مصلى صغير ارتفاع جدره ٨٠ سنتيا وبه محراب وحجران عن يمين المحراب وشماله مكتوب فى أحدهما حفرا بالخط الكوفى تاريخ سنة ٥٣١ هـ . وما وقف عليه ، وفى ثانيهما بالحفر أيضا كتابة بالخط المغربى لم أتبن رسمها . وتقلت التاريخ فاذا هو سنة ٣٠١ هـ . كما تبيته من حضرة الأثرى يوسف افندى أحمد .

الطائف

كنت أود زيارة الطائف ومشاهدتها وخبرة طرقها حتى أكتب ما أكتب عن مشاهدة ولكن ما تيسرلى ذلك وتيسر للطيب الأثر محمد صادق باشا من ضباط أركان الحرب ومن المهندسين البارعين أن شاهد الطائف وذهب من أحد طريقيه ورجع من الآخر وذكر ذلك بكأبه « دليل الحج للوارد الى مكة والمدينة من كل فج » فأذكر ذلك نقلا عنه مع تغيير تقتضيه صياغة الألفاظ وإضافة ما يستدعيه المقام مع بيان ذلك . قال طيب الله ثراه وأكرم مثواه :

فى شهر شعبان سنة ١٣٠٤ هـ . حضرت الى مكة لأمر يتعلق بغلال الصدقة فوجدت سعادة الشريف عون الرفيق باشا وسعادة الوالى صفوت باشا عازمين على التوجه الى الطائف فى آخر الشهر لشدة الحر بمكة ودعونى أن أكون برفقتهم فلييت .

وفى يوم الثلاثاء غرة رمضان الموافق ٢٤ مايو سنة ١٨٨٣ م . قبل الغروب بنصف ساعة خرجنا من مكة ميمين الطائف ومقدار الحرارة ٣٩ درجة (سنجراد) وبلدة الطائف فى الجنوب الشرقى لمكة ، ولها طريقان يقطع أقصرهما فى ١٨ ساعة فسلكا الطويلة لسهولتها عن الأخرى فسرنا ٢٠ دقيقة مبحرين مشرقين الى جبل حراء المشهور بجبل النور ونزلنا بجوار ساقية ، وبعد الغروب سرنا وعطفنا يسارا

من بعد جبل النور تاركين منى يمينا سالكين طريق السيل أو « اليمانية » مبحرين مشرقين حتى وصلنا الى « بئر اليرود » فاسترحنا فيه قليلا ، ثم سرنا مشرقين ساعتين في طريق يمثل نصف دائرة ولجنا بعدهما مدخل جبال « السولة » وبعد نصف ساعة استرحنا ببقعة بين الجبال ، وفي الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ من ليللة الأربعاء شرقنا في صعود قليل وبلغنا أعلى الجبل الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ وكان الشريف يركب عربته تارة وتخته أخرى (التخت وعاء تحفظ فيه الثياب ومراده التختروان) وحصانه ثالثة فأمر برجوع العربة الى مكة من هذا المكان لتعذر سيرها فيه من كثرة الحجارة والصخور وعسر الطريق وسرنا في هبوط مهبط كثرت الأحجار في منحدره الى مكان فسيح بين جبال ، وفي الساعة ١٢ والدقيقة ٢٠ من يوم الأربعاء وصلنا بقعة فسيحة بها زروع وجنات تحيط بها الأسوار وفيها نخيل وليمون أزواج شتى وبعض فواكه لما تتضح وينوع في الجبل تتحد منه المياه يسمونه نهرا وهذا المكان يسمى « وادي اليمانية » وقد دخل الراكب أحد بساينته وضر بنا الخيام في ظلال أشجاره واسترحنا بياض النهار وتغدينا وأنسانا عناء السفر ووعناؤه تغريد الطيور من قرى وشحور وحمام وزرزور وبلغت الحرارة ٣٧° وبعد الغروب سرنا نحو ساعتين ونصف ومررنا « بالسولة » وفي الساعة ١٢ ليلا نزلنا بمحل متسع به مياه جارية واستظلنا بخيامنا ، وفي يوم الخميس ٣ رمضان الساعة ١٠ رحلنا وسرنا بين صخور مرتفعة وعقبات صعبة حتى الساعة الثالثة والنصف من ليلة الجمعة وبتنا بمحل يقال له « نبيه » أو « كوجك دره » وهناك بئر تسمى « بئر عابد » وكانت الحرارة ٣١° وفي الساعة ١٠ من يوم الجمعة تابعنا السير وبعد مضي نصف ساعة صعدنا الى عقبة حجرية أفضت بنا الى مستو فسيح به أشجار وسرنا الى الجنوب ، وفي الساعة الثانية مررنا « بالحديرة » ، وفي الساعة الرابعة « بأم حمص » ، وفي الساعة السادسة بمحل يسمى الجيم ، وفي سن ٧ وق ٤٠ وصلنا « الطائف » وهي في صحراء متسعة تحيط بها جبال صغيرة غير منتظمة أرضها صالحة للزراعة لأنها تتكون من طين ورمل شديد النعومة ، ويقال للطائف أيضا وادي العباس

والزمن الذي استغرقناه في قطع الطريق من مكة الى الطائف ٣٦ ساعة آمتطينا فيها متون الإبل . « وبلدة الطائف » يحيط بها سور من اللبن بناه الشريف غالب سنة ١٢١٤ هـ . ليتحصن به مما عساه يجد من غدر سعود بن عبد العزيز الذي حج للمرة الثانية في سنة ١٢١٥ هـ . وخشيه الشريف على نفسه . وداخل هذا السور ٤٠٠ منزل و ٢٠٠ حانوت وستة جوامع أشهرها جامع عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - حبر الأمة وابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن والمتوفى في سنة ٦٨ هـ . وله إحدى وسبعون سنة وبجواره مقام الطيب والظاهر ولدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبها أيضا سبعة مساجد ودائرة للحكومة ومنزل للمدير ومستشفى للجند ومساختان وحمام وقلة لحبس المجرمين حبس بها مدحت باشا الشهير ورفاقه وتوفوا بها ، وعدد سكانها ٢٠٠٠ نفس وبيوتها في أكثر الأشهر خالية من السكان إلا القليل ولا تعمرا إلا في الصيف حيث يؤمها المكيون فرارا من حر مكة وقيلظها ، ويجوار الطائف جنات مثمرة وعيون جارية وقرى أهلة ويوجد خارجها بعيدا عن سورها نحو ٢٥ منزلا بعيدا بعضها عن بعض ومحاطة بالأشجار داخل الأسوار والمنزل منها يتركب من طبقتين في كل طبقة حجرات ثلاث نفذ بعضها الى بعض ، وهذه المنازل لأغنياء مكة خصوصا أميرها والشيخ عمر الشيبى .

وهواء الطائف شديد الخفاف منطلق التيار قرب العصر وتارة في الصباح وتبلغ الحرارة نهارا ٢٩° وعند الغروب ٣٠° وفي الليل ٢٤° وإذا اشتد تيار الهواء لا تنقص درجة الحرارة إلا قليلا ويصعب السير خارج المنازل قبل الظهر الى العصر ولو بمظلة لأنه يهب على المسار حرارة جافة تكرارة النار تجعله ضيق الصدر وإنها لشديدة الوقع على الأغراب ، أما المكيون فاشدة الحرارة ببلدهم لا يشعرون بالألم الكبير اذا مروا وقت الظهيرة بالطائف لأنهم مروا على هواء السموم حتى أورشهم ذلك نحافة في الجسم وكسلا في النفس فيجدون في هواء الطائف رحمة لهم بالنسبة لما تعودوه من جوهم المحرق ، ويشتكى أهل الطائف أنفسهم من شدة الحرارة في هجيرى النهار ، أما الذين اكتنوا بالبيوت فلا يصل اليهم ذلك الحر اللاغ لأن

الأبنية تمنع تياره أن يمر بها ويطيب للناس الجلوس بعد العصر تحت الأشجار وبساتين الطائف قليلة وأشهرها « الهدة » غربي البلد بثلاث ساعات . ولانتظام درجة الجو دائما بالطائف تنضج فواكهها على الهيئة حتى تبلغ غايتها فتكون لذيدة جيدة بخلاف بقاع الحجاز الأخرى ولذا شبهوا الطائف ببلاد الروم ، أما في الفاكهة فنعم ، وأما في الهواء فلا ؛ ومن فواكهها الطيبة عنها لا سيما النوع المعروف بعنب الجاوش والحوخ والمان خصوصا الملبسي والتين العلي والبرشومي والتوت الشامي والبرقوق والبلح والليمون وأنواع الخضراوات ، وقد دعاني مرارا الشيخ عمر الشبي للإفطار بمنزله ورأيت منه ما سرني من جميل خلقه وحسن لقائه وبشاشة وجهه وكرم نفسه ، ومنزله خارج السور تحيط به جنة من أشجار وأزهار وأعنان مختلفة فيها قناة جارية تأتي من جبل هنالك وتتمى الى حوض كبير نصطف حوله اذا جنحت الشمس للغروب فتشرح منا الصدور - وقد وافاه القدر في سنة ١٣٠٦ هـ . فرحمه الله رحمة واسعة . والسواقي هناك عمقها من ستة أبواع الى تسعة بحسب الأرض وبالمياه مواد كبريتية تمنع رغوة الصابون كما ينبغي وهي سريعة البرودة عند مرور الهواء ، وقيل إنها في الشتاء تجمد ولولم ينزل ثلج ودرجة الحرارة بالطائف معادلة لدرجاتها بجدة لكن هواء الأولى جاف وهواء الثانية رطب ، والطائف مرتفعة عن البحر بنحو ١٥٤٥ متر وعن مكة بنحو ١٢٦٦ متر وجميع عربان الطائف مطيعون لسعادة الشريف أمير مكة وللحكومة وأغلبهم مقيم بأرض « سفيان » و « تقيف » .

ولبعضهم عادات وحشية يعتقدونها دينية منها : أنهم لا يختنون صبيانهم إلا بعد البلوغ أعني بعد سن خمس عشرة سنة وصفة الختان عندهم أن يساخوا جلد المختون من أسفل سرتة بعرض بطنه الى ثلثي نخذه مع جميع جلد ذكره وأكثرهم يموت من ذلك ويكون المختون قد خطب له زوجة من قبل فتحضر وقت سلخه وترغد تشجيعا له مع ضرب الطبول وهو واقف ثابت يهز خنجره بيده ويذكر بأعلى صوته بدون تضجير بل بفرح اسمه وألقابه ونسبه حتى تنتهي عملية الختان وإن تأوه كان ذلك عارا عليه ولا ترضى به خطيبته ، وقد بدؤوا في نحو هذه العادة الشنعاء ؛ أما

إنهم فلا يختن وصفة عقد النكاح عند هؤلاء أن أحد أقارب الزوجة يقول لها :
 زوّجتك فلانا فقط بدون أن يحضر فقيه أو يذكر مهر ونسأؤهم لا يستترن عن الرجال ،
 وقد بلغني عن سعادة أحمد فيضى باشا « قومندان » الحجاز عامة وكان قد سبق له
 الخدمة باليمن أنه يوجد بالعسير قبائل يتركون بناتهم يختلطن بالرجال حتى يجبلن
 فيزوّجون البنت ممن جبلت منه وإن لم تحبل فتلك المعرة عندهم . وبمسقط يزوّجون
 الذكور بالذكور ويحببونهم كالنساء في بيوتهم ويخضبون أيديهم ويكحلون عيونهم
 ويحفون وجوههم وأذنانهم^(١) .

(١) ذكرتني هذه العادات بعادات أهل سواكن بالسودان ومربوط وسبوه غربي البلاد المصرية
 فإن العادة في سواكن إذا ما رغب الشخص في الزواج أن تحضر الزوجة ومن في سنها والزوج وأترابه
 ويكشف نصفه الأعلى بطنه وصدره وظهره ويضرب سياطا محدودة على ظهره وبين كتفيه فإن حرك جسمه
 من الألم رغبت عنه الزوجة ولو لم يحرك لسانه بكلمة وإن لم يبد المسأ قبلته بعلاها ودعاه أترابها « أبا البنات »
 وفي ليلته الزفاف يجتمع مع الزوجة سبع من مثيلاتها في السن يلبسن كلباسها ويستترن وجوههن ويدخل
 عليهن الزوج فإن ميز زوجته من يتهن دخل بها وإن لم يميز أتفق عليهن سبعة أيام ثم يعاد التمييز فإن عرفها
 فيها وإلا أتفق على ريفقاتها سبعة أخرى إلى أن تكرر عملية التمييز سبع مرات فإن لم يعرف زوجته في الأخيرة
 قدمت إليه والنهائم من الأزواج يتفقون مع « المساشطة » لتشير إلى الزوجة فيعرفها من بين أترابها . ومن عادة
 أهل سواكن أن الزوجة إذا أسدلت على باب حجرتها سترًا لا يدخلها الزوج إلا أن ترفسه وأن البكر إن
 حملت من السفاح لا يعار ذلك عليها بل يقول أهلها « رزق جانا نظرده ؟ » وإن لم تحمل قيل لها « يا وحشة
 ما حدة نظر اليك » والعادة عندهم في ختان المرأة أن يكشطن مانتا من الفرج عن باقي الجسم حتى يكون الكل
 في مستو واحد وبعد الكشط يضم الفخذان وتربط الرجلان ويوضع في الفرج عود رفيع كهود القمع تبول
 منه البنت فإذا ما تزوجت فتق بقدر الحاجة فإذا ما أتى الوضع وسع حتى يخرج منه الحمل فذلك ثلاث عمليات
 جراحية فظيمة .

أما أهل مربوط فالعادة عندهم في الزواج أن يذهب الخطيب إلى الآبار التي ينزح منها المياه بكر النساء
 فينتق منهن من يشاء ويصال عن أبيها وأبن يقيم ويذهب إلى خيمته ويخطب إليه ابنته فيدع له الخيمة بعد أن
 يحلها من أسرته حاشا المخطوبة فيجلس إليها الخطيب بعد أن ينصب بندقيته بالباب ويحادثان ساعات ثم
 ينصرف وتعود الأسرة إلى بيتها ثم يعاود الخطيب ذلك حتى تتوثق بين الخطيبين روابط الألفة والمحبة
 فيترجها ولو بعد حملها منه وإن رغب عنها اغترب عن أهلها ستة كاملة ثم يلتجئ إلى عظيم ليقدر عليه دية =

وكان الطائف أولا مسكن العالقة ثم آل ثمود ثم بنى ثقيف وكان به زمن الجاهلية صنم اللات تعبدته ثقيف من دون الله وكان على صورة رجل يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج، وكان من خبر ثقيف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غزاهم في سنة ثمان وحاصر ديارهم ولما لم يؤذن له بالفتح رحل عنهم وقال: اللهم اهد ثقيفا وائت بهم فاستجاب الله دعوته وأرسلوا في سنة تسع ستة منهم وقد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان فيما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوه شهرا واحدا بعد قدومه فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى وإنما يريدون بذلك فيما يظهر أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذرارهم ويكرهون أن يروعوا قومهم يهدمها حتى يدخلهم الإسلام، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها، وقد كانوا يسألونه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا

== فإن قبل ما قدره إلا قتل، و يكفى في عقد الزواج أن تقدم شاة للخطوبة والمهر عندهم من الجمال والغنم والمز و يتفاوت بحسب اليسر والعسر وهو حق لأهل الزوجة فإن أبت إلا أخذه أقصوها عنهم إن آت غضبي اليهم من بيت زوجها . وابن العم له السيطرة على بنت عمه فلا تتزوج إلا برضاه أو تقديم رشوة اليه فإن أبى تزويجها عاشت عائسا حياتها .

وفي سيوه يتزوج الرجال الغلمان ويعاشرونهم كما يعاشرون النساء بل غلام الرجل مقدم على زوجه و يلبس الغلمان قلائس (حلوقة) مزركشة وعلى قدر ما فيها من الزخرف يكون تقدير المهور لهم ومعرفة درجتهم في الجمال والحسن .

وكنا نود أن نربأ بقلنا عن تدوين هذه المختازى وتسطير تلك القضايح التي يمتقها كل دين ولا يرضاها إلا الجهل والوحشية والبعده عن أسباب المدنية ولكنا ذكرناها لينبه الناس الى واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه ما جنى تلك الجنايات على هؤلاء الجهال إلا تقاعدنا عن التعلم والتعليم حتى أصبحنا في جهالات مظلمة وعادات منكرة .

أوثانهم بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه وأما الصلاة « فلا خير في دين لاصلاة فيه » .

ولما قدم الطائف أبو سفيان والمغيرة علا هذا اللات وأخذ يضربها بالمعول، وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالقأس: واهالك واهالك، ولما هدمها أخذ ما عليها من الذهب والفضة والجزع .

قال الامام ابن القيم استنباطا من هذه القصة في كتابه زاد المعاد: لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطلها يوما واحدا فإنها شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألبتة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته وكثير منها بمنزلة اللات والعزى — شجرة سمرة لغطفان كانوا يعبدونها — ومناة الثالثة الأخرى — صخرة كانت تعبدها هذيل وخراعة — أو أعظم شركا عندها وبها والله المستعان، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق وتميت وتحيي وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعلها إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة — القذة ريش السهم — وأخذوا مأخذهم شبرا بشبر وذراعا بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم فصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير وطمست الأعلام واشتدت غربة الاسلام وقل العلماء وغلب السفهاء وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ولأهل الشرك والبسوع مجاهدين الى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ومن ثبتوا بالطائف الحجاج بن يوسف الثقفى المعروف .

قال صادق باشا : بعد اقامتي بالطائف جملة أيام رغبت في العودة الى مكة وأعددت البغال اللازمة للسفر في صباح يوم الخميس ١٧ رمضان لأتني عزمت على سلوك طريق الكرا الذي لا يصلح للسير فيه سوى البغال ، ونبه الوالي على ثلاثة من العسكر أن يكونوا برفقتي الى مكة ، وبعد الظهر ودعت الشريف والوالي وفي العصر أحضرت البغال ووضعت عليها الأثقال ، وفي الساعة العاشرة رحلنا من الطائف منتهجين سبيل الكرا ما بين الشمال والغرب ، وبعد ربع ساعة دخلنا بين جبال واجترنا جملة محاجر فأراضى مرملة تحف بها الجبال ذات اليمين وذات الشمال ، وفي الساعة ١٠ والدقيقة ٥٥ صعدنا الى محجر بين جبال حجرية صماء ثم هبطنا الى طريق مستوي سمي "بالجميرات" أو الجبال الحجر ، وفي الساعة ١٢ والدقيقة ٥ صعدنا الى محجر آخر ثم هبطنا ثم صعدنا فوق تلال متعددة ، وبعد عشر دقائق غرب الطريق ، وبعد ٧ دقائق هبطنا الى أرض واسعة نزلنا بها بجوار بئر تسمى "بئر العسكر" عذبة المياه صليتنا عندها المغرب وتابعتنا المسير الساعة ١٢ ونصفا ، وبعد ٥ دقائق مررنا بمحجر صعب وجملة أخوار ، وبعد ١٠ دقائق مررنا بمحداق وبيوت في "وادي محرم" وفي الساعة ٣ والدقيقة ١٠ قلنا من عقبه كأداء صعوبة المرتقى لعلوها وكثرة أحجارها ولهذا لا يمكن أن يميز منها إلا فرد فرد ومرور التختروان من هذا الطريق متعذر ، وبعد أن علونا صحورا وانثنى الطريق عدّة اثناءات الى الساعة ٣ والدقيقة ١٠ حيث وصلنا "الهده" وهو أعلى الجبل وهناك بيوت وبساتين والقواكه في هذه الجهة أطيب وألذ من فواكه غيرها لاعتمادها هوائها وارتفاعها عن سطح البحر بنحو ١٧٥٨ متر وبتنا في مكان متسع مفروش بالأبسطة ، وفي الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ ليلا سرنا راكبين ، وبعد ٥ دقائق مررنا بدرب الجبال على اليمين وتركناه لكونه خاصا بسير الإبل ، وبعد ٣ دقائق ابتدأ النزول من الجبل من درب ضيق صناعي غير منتظم كثير الانعطاف ، وفي الساعة ٩ والدقيقة ٤٥ مررنا بعين جارية

من الجبل تصب في حوض ميني وتتدفق منه الى الصخور ويقال ان هذا الماء سريع الهضم جدا وكان هبوط البغال من هذه البقعة اليافعة حاملة أثقالها من الغرائب لشدة انحدارها ولولا مهارة البغالة وحذقهم في تحميل الأمتعة وربطها بحيث يستقر عليها الراكب ولا تضطرب به في صعود أو هبوط — لأصاب الراكب خطر عظيم إذ يخيل الى الراكب أن البهيم نازل به من سلم مرتفع ولولا قبضه على رباط البرذعة الخلفي لانكسب على الأرض في كل منحدر، والخيل والحمار لا تصلح للركوب في هذه الطرق لشدة الصعود والانحدار وكثرة الأحجار والانعطافات التي تمثل مسير الثعبان — وبهذا الطريق سلك الاشارات البرقية بين مكة والطائف —

وفي الساعة ١١ مررنا بماء جار عذب، وفي الساعة ١١ والدقيقة ٢٥ اجتمع الدر بان وفي الساعة ١٢ والدقيقة ٤٨ وصلنا "الكرا" — آخر صعوبة في الجبل — وهناك ماء عذب جار وعرب راعية نساؤهم لابسات قمصا سوداء من صوف أو غيره ويغطين رؤوسهن بنجر سوداء تنثى الى الخلف وتظل الأعين تسمى "بيرام" ويسترن القم مع العنق فقط دون الوجه، وبعد أن مكثنا قليلا لتصليح الأحمال سرنا وكانت الساعة واحدة وربعاً من يوم الجمعة وكان السير بانحدار خفيف، وفي الساعة ١ والدقيقة ٤٨ وصلنا الى آخر الجبل المسمى "بوادي حريف الرأس" وفي الساعة ٢ والدقيقة ٢٥ نزلنا بقعة مرملة تحيط على الجبال فلما نحو الجنوب الغربي، وفي الساعة ٣ والدقيقة ١٠ وصلنا قهوة "شداد" وهذه القهوة إحدى قهوا ثلاث بهذا الوادي ساقنا اليها البغال ليتفجع من صاحبها وهي مركبة من أربعة أخصاص متفرقة قطر الواحد منها ثلاثة أمتار ونصف في ارتفاع متر ونصف بأحدها أسرة القهوى والباقيات للمسافرين والدواب، ولما لم يمكننا الجلوس بها من شدة الحر وتعرض أبوابها للهب السحوم عرض علينا القهوى خصه بعد أن أخلاه من أسرته فوجدنا به بعض الأثاث ودجاجا بعضه قائم يلتقط الحب وبعضه مفترش بيضه فمرشنا

السجادات في الجهة الخالية ولبننا نتظر زوال القيلولة مع سموها والفرخ تكأ كئ
وتبعث منها رائحة بشعة والنصب مامل الأعضاء وساعده القيط ، وفي الساعة ٩
التحينا ناحية الجنوب الغربي ، وفي الساعة ١٠ والدقيقة ١٥ وصلنا "وادي النعان"
وعلى اليمين مبدأ بناء مجرى عين زبيده ثم بعد مدة غربنا في طريق واسع بين جبال
وهو صالح لسير العربات من مكة الى ابتداء وادي حريف الرأس ، وفي الساعة ١١
والدقيقة ٨ وصلنا قهوة عرفات ويجوارها عساكر ضبطية للخفر وبعد الاستراحة
قمنا الساعة ١ من ليلة السبت وبعد ٥٠ دقيقة بلغنا جامع نمرة بعرفات ، وفي الساعة ٢
والدقيقة ١٠ مررنا بين العلمين ، وفي الساعة ٤ ليلا دخلنا مكة المباركة .

فتكون المسافة من الطائف الى مكة خمس عشرة ساعة وربعا بالغال وبعض
الناس يقطعها في ١٣ ساعة وذلك من أقرب طريق ، وهالك بيان ارتفاع الأماكن
المشهوره عن سطح البحر الملح بالقدم الانكليزي وكل عشرة أقدام تساوي
ثلاثة أمتار :

قدم	متر		قدم	متر
٢٧٤٠	٨٢٢	الكر مرافع عن بحرجة بمقدار	٩٣٠	٢٧٩
٥٨٦٠	١٧٥٨	الهدا » » » »	١٠٥٠	٣١٥
٥١٥٠	١٥٤٥	الطائف » » » »	١١١٤	٣٣٤
			١٧٦٠	٥٢٨

وقبل أن تغادر مكة الى المدينة نذكر لك جدولاً بأمرائها من الفتح الاسلامي
الى يومنا هذا ونشفعه بأحرف المسافات بين مكة والمدن الاسلامية الهامة .

أمراء مكة

كانت إمارة مكة الى عمال الخلفاء حتى سنة ٣٥٨ هـ . فاترعاها منهم الأشراف
الحسينيون وبقيت فيهم الى سنتنا هذه - ١٣٤٣ - حيث اترعها منهم الوهابيون
كما يسميهم الناس أو الإخوان كما يسمون أنفسهم وهؤلاء الأشراف أربع طبقات
الموسويون أو بنو موسى والسليانيون والهواشم وهذه الطبقات الثلاث وليت
٢٤٠ سنة من ٣٥٨ الى ٥٩٨ هـ . والطبقة الرابعة قتادة وبنوه حكوا ٧٤٥ سنة
من ٥٩٨ الى ١٣٤٣ هـ . ولا يزالون في حرب وقتال مع الإخوان والله العالم بمن
يستقر له الأمر وأول من ملكها من الأشراف جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد
الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن
المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب .

وسترى من المعلومات التي ذكرناها بالجدول أنه قلما وجد بين الأشراف
مصالح وأن الحرب قلما انطفا سعيها بينهم من أجل الإمارة حتى بلغ الأمر
ببعضهم أن قتل أخاه وطبخ لحمه ودعا إخوته الباقين لوليمة قدم لهم فيها لحم أخيه
وأقام على رأس كل منهم سيافين حتى لا يستفزهم الغضب الى الانتقام وكانوا
يجدون من الحكام المجاورين من يساعدهم على قتل بعضهم بعضا حتى تفاقم الشر
بينهم فكانوا أسوأ أسرة وجدت بين أفرادها أسوأ العلاقات وكان خليقا بحكام
البلد الحرام والمثرفين بجوار بيت الله أن يكونوا مثالا حسنا للإمارة والولاية
ولكن الملك عقيم خصوصا اذا كان بسيد الجهلاء الذين يحسبون مجرّد نسبهم الى
الرسول صلى الله عليه وسلم نفرا لهم وشرفا وإن نبذوا أخلاقه وأعماله وآداب دينه
ولقد سموا أنفسهم شرفاء ويعلم الله أن أكثرهم من الشرف براء وهالك جدول الأمراء
وتاريخ ولايتهم ومدتها ما وجدنا الى معرفة ذلك سبيلا .

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
عنتاب بن أسيد	أوائل شوال سنة ٥٨	ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له حين بعته : هل تدري الى من أبعثك أبعثك الى أهل الله فاستوص بهم خيرا - يقولها ثلاثا
المحرز بن حارثة	سنة ١٤	
قنفذ بن عمير النيمي	...	
نافع بن الحارث الخزاعي	...	
خالد بن العاص	...	ولاية مكة في عهد عمر بن الخطاب من ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ الى ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٣ هـ .
أحمد بن خالد	...	
طارق بن المرتفع	...	
الحارث بن نوفل	...	
علي بن عدي	سنة ٢٤	
خالد بن العاص المتقدم	...	
الحارث بن نوفل	...	
عبد الله بن خالد بن أسيد	...	تولوا في خلافة عثمان رضي الله عنه الذي قتل سنة ٣٥ هـ .
عبد الله بن عامر الحضرمي	...	
نافع بن الحارث الخزاعي	...	
خالد بن العاص المتقدم	...	
أبو قتادة الأنصاري	سنة ٣٦	تولوا مكة في خلافة علي رضي الله عنه الذي استشهد في سنة ٤٠ هـ .
قثم بن العباس	...	
عنتبة بن أبي سفيان	سنة ٣٩	
مروان بن الحكم	...	
سعيد بن العاص	...	تولوا في خلافة معاوية الذي توفي سنة ٦٠ هـ .
عمرو بن سعيد	...	
خالد بن العاص المتقدم	...	
عبد الله بن خالد بن أسيد	...	
عمرو بن سعيد	سنة ٦١	بعض ولاية مكة زمن يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير وقد بايع الناس عبد الله بن الزبير سنة ٦٢ هـ . وتوفي يزيد سنة ٦٤ هـ . واستشهد عبد الله سنة ٧٣ هـ .
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان	...	
عثمان بن محمد بن أبي سفيان	...	

معلومات	تاريخ التولية	اسم الأمير
باقي ولاية مكة زمن يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير وقد باع الناس عبد الله بن الزبير سنة ٥٦٢ . وتوفي يزيد سنة ٥٦٤ . واستشهد عبد الله سنة ٥٧٣ .	سنة ٥٦١	الحارث بن خالد المخزومي ...
	...	عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب
	...	يحيى بن حكيم
	سنة ٧٣	الحجاج بن يوسف الثقفي ...
ولاية مكة في زمن عبد الملك بن مروان المتوفى سنة ٥٨٦	مسلمة بن عبد الملك بن مروان
	...	الحارث بن خالد المخزومي المتقدم
	...	خالد بن عبد الله القسري ...
	...	نافع بن علقمة الكنانى
توليا زمن الوليد بن عبد الملك المتوفى سنة ٥٩٦ . وبقى خالد مدة في ملك سليمان .	سنة ٨٦	عمر بن عبد العزيز
	سنة ٨٩	خالد بن عبد الله القسري المتقدم
	...	طلحة بن داود
	...	عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد
توليا في زمن سليمان بن عبد الملك سنة ٥٩٩ . وبقى خالد الى زمن عمر	محمد بن طلحة بن عبد الله ...
	...	عروة بن عياض
	...	عبد الله بن قيس بن مخزوم ...
	...	عثمان بن عبد الله العدوي ...
تولوا في خلافة عمر بن عبد العزيز الذي توفي سنة ٥١٠ . وبقى عثمان مدة في زمن يزيد .	سنة ١٠١	عبد الرحمن بن الضحاك القرشي
	...	عبد الواحد بن عبد الله النصري
	...	ابراهيم بن هشام المخزومي ...
	...	محمد بن هشام
تولى الثلاثة في زمن هشام بن عبد الملك الذي توفي سنة ٥١٢	نافع بن عبد الله الكنانى ...
	...	يوسف بن محمد الثقفي ...
	سنة ١٢٥	عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز
	سنة ١٢٦	عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز
ول في زمن يزيد بن الوليد الذي توفي بعد خمسة أشهر من ولايته وخلفه أخوه ابراهيم وخلع بعد أربعين يوما وتولى عبد العزيز الى زمن مروان

معلومات	تاريخ التولية	اسم الأمير
عنه مروان بن عبد العزيز .	سنة ١٢٦	عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك
تولى على مكة قهرا	أبو حسنة الخارجي ...
ولاه مروان بعد قتل أبي حمزة وإخراج جيشه منها	عبد الملك بن محمد بن عطية...
	...	الوليد بن عروة السعدي ...
وليا مكة من قبل مروان بن محمد أيضا وقتل مروان سنة ١٣٢ هـ	...	محمد بن عبد الملك بن مروان
ولياها في زمن مؤسس الدولة العباسية السفاح عبد الله بن محمد	سنة ١٣٢	داود بن علي بن عبد الله بن عباس
ابن علي بن عبد الله بن عباس وتوفي أبو العباس السفاح	...	عمر بن عبد الحميد ...
سنة ١٣٦ هـ	العباس بن عبد الله بن معبد
	...	زياد بن عبد الله الحارثي ...
ولاهم أبو جعفر المنصور	الهيثم بن معاوية العتكي ...
	سنة ١٤٣	السري بن عبد الله بن الحارث
تولى من قبل النفس الزكية محمد بن عبد الله الذي خرج على	سنة ١٤٥	محمد بن الحسن بن معاوية
أبي جعفر بالمدينة وبايعه الأئمة من أهل عصره كمالك	...	ابن عبد الله بن جعفر
وأبي حنيفة ومن في طبقتهم .	سنة ١٤٥	السري بن عبد الله بن الحارث
ولاهم أبو جعفر المنصور أيضا وتوفي أبو جعفر سنة ١٥٨ هـ .	سنة ١٤٦	عبد الصمد بن علي بن عبد الله
	...	ابن عباس ...
	سنة ١٤٩	محمد بن ابراهيم الامام ...
ولاهم محمد المهدي بن المنصور وتوفي المهدي سنة ١٦٨ هـ .	سنة ١٥٨	ابراهيم بن يحيى بن محمد ...
وتبق عبيد الله مدة في زمن الهادي .	سنة ١٦١	جعفر بن سليمان بن علي ...
	سنة ١٦٦	عبد الله بن قثم بن العباس ...
خرج الحسين هذا على العباسيين واستولى على مكة حتى قتل	سنة ١٦٩	الحسين بن علي بن الحسن بن المثنى
مع مائة من جنده يوم الزبوية وكان ذلك في زمن موسى	...	أحمد بن اسماعيل ...
الهادي الذي توفي سنة ١٧٠ هـ	أحمد البربري ...
ولى هؤلاء أخو الهادي هرون الرشيد الذي توفي سنة ١٩١ هـ	...	سليمان بن جعفر ...
	...	العباس بن موسى ...

معلومات	تاريخ التولية	اسم الأمير
	...	العباس بن محمد بن إبراهيم
	سنة ١٦٩	عبد الله بن قثم
ولى هؤلاء أخواله ادى هرون الرشيد الذي توفي سنة ١٩١ هـ .	»	علي بن موسى
	»	الفضل بن العباس
	»	محمد بن عبيد الله
	»	موسى بن عيسى بن موسى ...
ولاه محمد الأمين بن الرشيد ولما قتل الأمين سنة ١٩٧ هـ . وخلفه أخوه المأمون . بقى داود مدة واليا على مكة .	»	داود بن عيسى بن موسى ...
تولى من قبل أبي السرايا السري بن منصور الشيباني الذي قام بالعراق يدعو لأهل البيت .	»	الحسين بن الحسن المعروف بالأفطس
ولاه الحسين بن الحسن لما بلغه قتل أبي السرايا سنة ٢٠٠ هـ . وخاف على نفسه بطش العباسيين وكان الحسين وعلى من أقبح الناس سيرة .	سنة ٢٠٠	علي بن محمد بن جعفر الصادق
توليا من قبل المأمون .	سنة ٢٠٠	محمد بن عيسى بن يزيد الحلودي
	...	يزيد بن محمد المخزومي ...
جاء من اليمن واستولى على مكة عنوة وقتل يزيد بن محمد .	سنة ٢٠٢	إبراهيم بن موسى الكاظم ...
	...	عبيد الله بن الحسن
	...	صالح بن العباس
تولوا مكة من قبل المأمون العباسي وتوفي المأمون سنة ٢١٨ هـ	سليمان بن عبد الله
	...	محمد بن سليمان
	...	الحسن بن سهل
	...	عبيد الله بن عبد الله بن الحسن
تولوا في عهد المعتصم بن الرشيد وتوفي المعتصم سنة ٢٢٨ هـ وبقى محمد بن داود في الولاية مدة الواثق بن المعتصم الذي توفي سنة ٢٣٢ هـ .	سنة ٢١٨	صالح بن العباس
	...	أشاش التركي
	...	محمد بن داود بن عيسى ...
تولوا في زمن المتوكل بن المعتصم الذي قتل سنة ٢٤٧ هـ . وتولى بعده ابنه المنتصر فأت بعد سنة أشهر .	سنة ٢٣٢	علي بن عيسى بن جعفر ...
	سنة ٢٣٩	عبد الله بن محمد بن داود ...
	...	عبد الصمد بن موسى

معلومات	تاريخ التولية	اسم الأمير
تولوا في زمن المتوكل بن المعتصم الذي قتل سنة ٢٤٧ هـ . وتولى بعده ابنه المتصرفات بعد ستة أشهر .	سنة ٢٣٩	محمد بن سليمان بن عبد الله ...
	...	محمد المتصرف بن المتوكل ...
تولوا في عهد المستعين بن المعتصم .	سنة ٢٤٧	إيتاح مولى المعتصم ...
	...	عبد الصمد بن موسى ...
نائب جعفر بن الفضل على مكة ومات بالجدري سنة ٢٥٢ هـ	جعفر بن الفضل ...
	...	إسماعيل بن يوسف ...
تولوا في عهد المستعين ولكن لم يباشرا العمل والمستعين توفى سنة ٢٥٢ هـ .	سنة ٢٥٢	العباس بن المستعين ...
	...	محمد بن طاهر بن الحسين ...
تولوا في خلافة المعتز بن المتوكل الذي قتل سنة ٢٥٥ هـ	عيسى بن محمد بن إسماعيل ...
	...	محمد بن أحمد بن عيسى ...
ولاية المهدي بن الواثق الذي قتل سنة ٢٥٦ هـ .	سنة ٢٥٥	علي بن الحسن الهاشمي ...
	...	الموفق طلحة بن المتوكل ...
تولى هؤلاء التسعة في خلافة المعتضد على الله بن المتوكل وأحمد ابن طولون صاحب مصر ولي عقداً ولم يباشرا وتوفى المعتضد سنة ٢٧٩ هـ	إبراهيم بن محمد بن إسماعيل ...
	...	أبو المعيرة محمد بن أحمد ...
	...	أبو عيسى محمد بن يحيى ...
	...	الفضل بن العباس ...
	...	هرون بن محمد ...
	...	أحمد بن طولون ...
	...	محمد بن أبي الساج ...
	...	يوسف بن أبي الساج ...
المعتضد المتولى سنة ٢٧٩ هـ
لم يعلم من ولاية مكة في عهد	سنة ٢٨٩ هـ	عج ...
هؤلاء الخلفاء الا اثنا عشر	سنة ٢٩٥ هـ	مؤنس الخادم ...
الذين ذكرناهم وأبو طاهر	سنة ٣٢٠ هـ	ابن ملاحظ ...
من القرامطة دخل مكة	سنة ٣٢٢ هـ	ابن محلب أو ابن محارب ...
وحدث فيها فساداً وابن طمع	سنة ٣٢٩ هـ	أبو طاهر القرمطي ...
وولده تولوا مكة بالعقد لا بالباشرة .	سنة ٣٣٢ هـ	محمد بن طمع المعروف بالاختيد وولده أبو القاسم وعلى
	سنة ٣٣٤ هـ	أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز
واستمرت ولايته الى سنة ٣٦٣ هـ

معلومات	تاريخ التولية	اسم الأمير
تراجعت مصر من يد العباسيين الى يد العبيديين أو القاطميين من سنة ٥٣٥٨ . ومن ذلك الوقت ابتداء حكم الأشراف بمكة وأول من وليها منهم جعفر بن محمد من الأشراف الحسينيين .	سنة ٣٥٨	جعفر بن محمد بن الحسين أول الأشراف
	...	عيسى بن جعفر
تولى مكة لما غاب عنها أبو الفتوح حينما تراج على العبيديين .	سنة ٣٨٤	أبو الفتوح الحسن بن جعفر
	...	أبو الطيب داود بن عبد الرحمن
من بنى أبي الطيب داود بن عبد الرحمن .	سنة ٤٣٠	تاج المعالي محمد شكر بن أبي الفتوح
	...	عبد تاج المعالي
قدم الى مكة من اليمن وانزعها من بنى أبي الطيب واستعمل العدل والاحسان	محمد بن أبي الفاتك
	سنة ٤٥٥	علي بن محمد الصليحي
ولى مكة من قبل الصليحي وهو من الأشراف الحسينيين .	»	محمد بن جعفر بن محمد
	...	حزرة بن وهاس بن أبي الطيب
اتزع حزة مكة من ابن جعفر ولكن ما لبث أن استرجعها منه	محمد بن جعفر بن محمد
	سنة ٤٨٤	القاسم بن محمد بن جعفر
اتزع مكة من يد القاسم ثم استردها القاسم منه . كان قويا شجاعا .	»	الأصبهاني سارتمكين
	سنة ٤٨٨	القاسم بن محمد بن جعفر
من الأدباء الشعراء .	سنة ٥١٨	فليته بن القاسم
	سنة ٥٢٧	هاشم بن فليته
صادر أموال أعيان مكة وتجارها والمجاورين بها .	سنة ٥٤٩	القاسم بن هاشم
	سنة ٥٥٣	عيسى بن فليته
حصلت فتنة بين القاسم وعمه عيسى انتهت بطرد القاسم من مكة .	سنة ٥٥٧	القاسم بن هاشم
	...	عيسى بن فليته
في سنة ٥٦٧ هـ أُنشأ ولاية عيسى انقضت دولة العبيديين بمصر واستولى عليها السلطان صلاح الدين الأيوبي ودعا للعباسيين .	سنة ٥٦٥	مالك بن فليته
	...	عيسى بن فليته
عزله الناصر العباسي في ١٥ رجب سنة ٥٧١ هـ .	سنة ٥٧٠	داود بن عيسى

معلومات	تاريخ التولية	اسم الأمير
<p>نحى مكثرا عن مكة طاشتكين أمير الحج العراقي بعد أن جرى بينهما قتال شديد انتهت فيه دور كثيرة وأحرقت وصلب مكثرا من الحجاج أموالهم .</p>	سنة ٥٧١	مكثر بن عيسى
	طاشتكين
	القاسم بن مهنا الحسيني
<p>ولاء طاشتكين بعد أن أظهر له القادم مجزه عن حكم مكة .</p>	داود بن عيسى
<p>في زمنه أبطل صلاح الدين المكوس التي كانت يتقاضاها أمير مكة من الحجاج عن طريق عيذاب وهي سبعة دنانير مصرية عن كل شخص وعوضه عنها ثمانية آلاف أردب من القمح .</p>	سنة ٥٨٧	مكثر بن عيسى
<p>انتزع مكة من مكثر وبذلك انقضت ولاية بني فليته المعروفين بالهواشم والشريف قتادة هو جد الأشراف الذين يحكمون مكة الى الآن سنة ٥١٣٤٣ هـ .</p>	سنة ٥٩٧	الشريف قتادة بن ادريس الحسيني العلوي
<p>قيل انه قتل أباه خنقا وكان أبوه مريضا .</p>	سنة ٦١٧	الحسن بن قتادة
<p>انتزع مكة من الحسن ملك اليمن المسعود ابن الملك الكامل صاحب مصر وولى عليها المسعود علي بن رسول نائبه علي اليمن .</p>	سنة ٦١٩	علي بن رسول
<p>ولى مكة من قبل الملك المسعود .</p>	سنة ٦٢٦	صارم الدين ياقوت عتيق المسعود
<p>» » » الكامل .</p>	طفة تكين التركي
<p>ولى مكة بمساعدة علي بن رسول صاحب اليمن بعد المسعود وقد انتزعت منه واستردها ثمانى مرات حتى توفي راجح سنة ٦٥٤ هـ بعد أن نزعت منه مكة لأخر مرة سنة ٦٥٢ هـ .</p>	سنة ٦٣٠	راجح بن قتادة
<p>ولى عليها بمساعدة الملك الناصر صاحب مصر .</p>	سنة ٦٣٩	الحسن بن علي بن قتادة
<p>انتزع إمارة مكة من أبيه راجح الذي أخرج حمازا من مكة بلا قتال .</p>	سنة ٦٥٢	جهاز بن الحسن بن قتادة
<p>انتزعا مكة من غانم في شوال سنة ٦٥٤ هـ .</p>	سنة ٦٥٤	غانم بن راجح
<p>تقاتل مع إدريس حتى قتله سنة ٦٦٧ هـ واقدر بالولاية .</p>	سنة ٦٥٤	إدريس بن قتادة ومحمد أبو نجي الأتول
<p>لما قتل أبوه استنجد بجماز بن شبيحة فأخرج أبانجي ثم استرد أبو نجي مكة</p>	محمد أبو نجي الأتول
<p>كان واليا على المدينة وأضاف اليه قلاوون صاحب مصر مكة فأخذها أياما ولكن لم يلبث أن استرجعها منه أبو نجي .</p>	سنة ٦٨٨	غانم بن إدريس
	جهاز بن شبيحة

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
رميبة وحميضة ولدا أبي نجي	سنة ٧٠١	تنازل أبوهما عن الملك لهما ولما حج ببرس أمير الكرك ولى أخوهم عطفة وأبا الغيث لما شكوا اليه وقبض على رميثة وحميضة وأخذهما معه .
رميبة وحميضة ولدا أبي نجي	سنة ٧٠٣	استعاد مكة سنة ٧٠٣ هـ . ووقعت بينهما فتن وكذا بينهما وبين عطفة وأبي الغيث وقتل حميضة أخاه أبا الغيث سنة ٧١٤ هـ وقتل حميضة سنة ٧١٨ هـ وبقي التنازع بين رميثة وعطفة زمانا طويلا هذا بأخذ مكة مرة وذاتينغها منه أخرى حتى استقر الملك لرميثة بعد سنة ٧٣٧ هـ .
رميثة منفردا ...	سنة ٧٣٧	
بجلان بن رميثة ...	سنة ٧٤٥	اشترك معه في الولاية بعد سنة ٧٤٦ هـ أخوه ثقبه الذي توفى سنة ٧٦٢ هـ فأشركه معه ابنه أحمد حتى توفى سنة ٧٧٧ هـ .
بجلان وثقبه ...	سنة ٧٤٦	
سند ومغاسم ابنا رميثة ...	سنة ٧٤٧	ولاهما صاحب مصر في حين ولاية بجلان وثقبه وقتل مغاسم سنة ٧٦١ هـ .
أحمد بن بجلان منفردا ...	سنة ٧٧٧	استقل بالملك بعد وفاة أبيه وأشركه معه في الملك ابنه محمدا سنة ٧٧٨ هـ وتوفى أحمد سنة ٧٨٨ هـ .
محمد بن أحمد بن بجلان منفردا	سنة ٧٨٨	قتله أمير الحج المصري بعد أن تولى ١٠٠ يوم .
عنان بن مغاسم ...	»	ولاد مكة الظاهر برفوق وأشرك عنان معه أحمد بن ثقبه وعقيل بن مبارك بن رميثة ظانا أن ملكه يدوم بذلك ولكن عزله برفوق وولى على بن بجلان فأشرك على معه عنانا ثم استقل على بالملك سنة ٧٩٤ هـ .
محمد بن بجلان ...	سنة ٧٩٧	ولى بعد قتل أخيه على .
حسن بن بجلان ...	سنة ٧٩٨	ولاه سلطان مصر لما قتل على فحضر الى مكة فسلم له أخوه محمد .
بركات بن الحسن ...	سنة ٨٠٩	أشركه أبوه معه في هذه السنة .
أحمد بن الحسن ...	سنة ٨١٠	أشركه أبوه مع أخيه بركات وتولى الحسن نيابة السلطنة في جميع بلاد الحجاز .
رميثة بن محمد بن بجلان ...	سنة ٨١٨	ولى رميثة سلطان مصر فأرسل الحسن ابنه بركات يستعطف السلطان فأعاد الحسن .
الحسن بن بجلان ...	سنة ٨١٩	
على بن عنان بن مغاسم ...	سنة ٨٢٧	ولاه برسيابى ملك مصر ثم أعاد الحسن .
الحسن بن بجلان ...	سنة ٨٢٨	توفى بمصر سنة ٨٢٩ هـ وكان من العلماء الفضلاء .
بركات بن الحسن ...	سنة ٨٢٩	توفى مرارا وكان من العلماء الأنجواب .

معلومات	تاريخ التولية	اسم الأمير
عزل أخوه بركات وتولى هو مكانه ولكن البعث أن أعيد بركات .	سنة ٨٤٥	علي بن الحسن
عزل بعد سنة بأخيه أبي القاسم .	»	بركات بن الحسن
أخرج بركات سنة ٨٤٩ هـ . ثم عاد الى مكة وبقى عليها الى سنة ٨٥١ هـ حيث ذهب الى مصر ومات بها سنة ٨٥٣ هـ .	سنة ٨٤٦	أبو القاسم بن الحسن
أعادته الى ولاية مكة السلطان جقمق وبقى بها حتى توفي سنة ٨٥٩ هـ .	سنة ٨٥١	بركات بن الحسن
كان عالما فاضلا حج في ولايته السلطان قايتباي سنة ٨٨٤ هـ .	سنة ٨٥٩	محمد بن بركات
قد أشركه أبوه معه في الملك من سنة ٧٧٨ هـ . واستقل به بعد وفاته سنة ٩٠١ هـ .	سنة ٩٠١	بركات بن محمد
تولى كل من هؤلاء بعض شهور وتغلب عليهم أخوهم بركات حتى صفا له الملك سنة ٩٠٨ هـ . واستمر فيه الى أن توفي سنة ٩٣١ هـ .	سنة ٩٠٧	هزاع بن محمد
	»	أحمد بن محمد
	سنة ٩٠٨	حمضة بن محمد
أشركه السلطان الغوري مع أبيه في ولاية مكة من سنة ٩١٨ هـ ولم تعد سن أبي نبي ٧ سنوات وبعد وفاة أبيه استقل بالولاية وقد أقره مع أبيه السلطان سليم لما فتح مصر سنة ٩٢٢ هـ .	سنة ٩٣١	أبو نبي الثاني محمد بن بركات
أشركه السلطان سليمان مع أبيه في ولاية مكة سنة ٩٤٥ هـ وتوفي في حياة أبيه سنة ٩٦١ هـ .	سنة ٩٤٥	أحمد بن أبي نبي
شارك أباه في الملك من سنة ٩٦١ هـ . واستقل بعد وفاة أبيه سنة ٩٩٢ هـ .	سنة ٩٩٢	حسن بن أبي نبي
ولى كل منهما مكة مع أبيه في حياته وتوفيا قبل وفاة والدهما . هو أكبر أولاد الحسن ولى بعد وفاة أبيه ولم يعقب أبو طالب .	سنة ١٠١٠	حسين ومسهود ابنا الحسن
ولى بعد وفاة أبي طالب .	سنة ١٠١٢	أبو طالب بن الحسن
أشركه الأشراف مع أخيه إدريس ثم خلع سنة ١٠١٩ هـ .	»	إدريس بن الحسن
أشرك مع عمه إدريس وفهيد وبعد نزاع استقرت له الولاية سنة ١٠٣٢ هـ .	سنة ١٠٣٢	فهد بن الحسن
ولاه أحمد باشا والى اليمن من قبل السلطنة وقد قاتل أخاه محسنا فهزته .	سنة ١٠٣٧	محسن بن الحسين بن الحسن
ولاه قانصوه باشا بعد أن قتل أحمد خنقا اقتصاصا منه للشيخ عبد الرحمن المرشدي مفتي مكة الذي قتلته أحمد لضغائن بينه وبينه .	سنة ١٠٣٩	أحمد بن عبد المطلب بن الحسن
	سنة ١٠٤٠	مسعود بن إدريس بن الحسن
	»	عبد الله بن الحسن

معلومات	تاريخ التولية	اسم الأمير
تنازل عن الإمارة لابنه محمد واستدعى محسن بن زيد من اليمن وأشركه مع ولده أيضا .	سنة ١٠٤٠ ...	عبد الله بن الحسن
قتله ناي بن عبد المطلب بن الحسن الذي دخل مكة ونهب بيوتها .	سنة ١٠٤١ ...	محمد بن عبد الله بن الحسن
بعد أن قتل ناي سنة ١٠٤٢ هـ خلصت له الولاية الى أن توفى سنة ١٠٧٧ هـ	زيد بن محسن
قتل في المحرم سنة ١٠٤٢ هـ بعد أن تولى ١٠٠ يوم .	سنة ١٠٤١ ...	فاي بن عبد المطلب
ولى بعد وفاة أبيه ثم ولى ثلاث مرات أخرى ومجموع مدة الولاية ٧ أشهر و ١٥ سنة .	سنة ١٠٧٧ ...	سعد بن زيد
أشركه معه أخوه سعد ثم هربا سنة ١٠٨٢ هـ .	سنة ١٠٨٠ ...	أحمد بن زيد
ولى بعد هروب أحمد وسعد وبقى في الولاية حتى توفى سنة ١٠٩٤ هـ . وكان حميد السيرة .	سنة ١٠٨٢ ...	بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نفي
حصلت يده وبين الأشراف فتن انتهت بخلعهم .	سنة ١٠٩٤ ...	سعيد بن بركات
ولاه السلطان بعد خلع سعد وتوفى سنة ١٠٩٩ هـ .	سنة ١٠٩٥ ...	أحمد بن زيد
تنازلا الإمارة بعد وفاة أحمد بن زيد بقاء الأمر السلطاني بتولية أحمد بن غالب فسلم له سعيد في السنة نفسها .	سنة ١٠٩٩ ...	أحمد بن غالب
ولاه والى جدة فخرج أحمد من مكة .	سنة ١١٠١ ...	سعيد بن سعد بن زيد
نازع سعيد بن سعد محسنا فتنازل عن الملك لمساعد بن سعد وهذا تنازل عنه لسعيد .	سنة ١١٠٣ ...	محسن بن حسين بن زيد
ولى بأمر سلفاني وكان في بلاد الروم فأتاب عنه ابنه سعيدا .	»	مساعد بن سعد
طلب الولاية له والى جدة ولكن قاتل سعد عبد الله وانزع مكة منه .	سنة ١١٠٥ ...	سعيد بن سعد
استمر في هذه الولاية الى سنة ١١١٣ هـ حيث نزل عن الإمارة لابنه سعيد .	سنة ١١٠٦ ...	عبد الله بن هاشم
حصلت يده وبين الأشراف فتن كثيرة فعزلوه وولوا عبد المحسن .	سنة ١١١٣ ...	سعد بن زيد
نزل عن الامارة بعد تسعة أيام لعبد الكريم .	سنة ١١١٦ ...	سعيد بن سعد
أخرجه من مكة سعد بن زيد .	»	عبد المحسن بن أحمد بن زيد
طعمه عبد الكريم عدة طعنات مات منها .	»	عبد الكريم بن يعلى
	»	سعد بن زيد

معلومات	تاريخ التولية	اسم الأمير
تفانلا على ولاية مكة وقد تولها الأول ثلاث مرات مجموعها ست سنين وعشرة أشهر وتولها الثاني خمس مرات مجموعها عشر سنين وسبعة أشهر .	سنة ١١١٦ ...	عبد الكريم بن يعلى
	»	سعيد بن سعد
تولى بعد وفاة أبيه سعيد .	سنة ١١٢٩ ...	عبد الله بن سعيد
لما عزل الأشراف عبد الله أرادوا الولاية لبعد المحسن بن أحمد بن زيد فأبأها فأرادوها لأخيه مبارك فأبأها له واختار على بن سعيد .	سنة ١١٣٠ ...	علي بن سعيد
	»	يحيى بن بركات
تنازل عن الولاية لوالده .	سنة ١١٣٢ ...	مبارك بن أحمد بن زيد
	سنة ١١٣٤ ...	يحيى بن بركات
اتزع الامارة منه عمه مسعود مع أنه الذى ساعده عليها .	سنة ١١٣٦ ...	بركات بن يحيى
	»	مبارك بن أحمد بن زيد
»	»	عبد الله بن سعيد
»	سنة ١١٤٣ ...	محمد بن عبد الله بن سعيد
»	سنة ١١٤٥ ...	مسعود بن سعيد
اصطلح مع عمه سنة ١١٥١ هـ وبقى تحت طاعته الى أن توفى سنة ١١٦٩ هـ .	»	محمد بن عبد الله بن سعيد
	»	مسعود بن سعيد
»	سنة ١١٤٦ ...	مسعود بن سعيد
»	سنة ١١٦٥ ...	مسعود بن سعيد
»	سنة ١١٧٢ ...	جعفر بن سعيد
»	سنة ١١٧٣ ...	مسعود بن سعيد
»	سنة ١١٨٤ ...	عبد الله بن سعيد
»	»	أحمد بن سعيد
اتزع الولاية من أحمد بمساندة حملة مصرية برئاسة عبد الله محمد بك أبى الذهب قاتله ثم قبض عليه ابن أخيه سرور ابن مساعد وأودعه السجن حتى توفى سنة ١١٩٥ هـ .	»	عبد الله بن حسين بن يحيى
	»	ابن بركات
»	سنة ١١٨٥ ...	أحمد بن سعيد
»	»	مرور بن مساعد

معلومات	تاريخ التولية	اسم الأمير
ولى غالب بعد وفاة أخيه وفى أيامه ظهر الوهابية وفى سنة ١٢٢٨ هـ أقصاه عن الولاية محمد على باشا وأسكن سلانيك فسات بها سنة ١٢٣٠ هـ وتولى يحيى الى أن نزلت منه الإمارة سنة ١٢٤٢ هـ . لقتله الشريف شبر المنعمى .	سنة ١٢٠٢ سنة ١٢٢٨	غالب بن مساعد يحيى بن مرود
تولى عبد المطلب بعد يحيى ولكن لم توافق الدولة العثمانية على توليه بل ولت محمد بن عون بطلب محمد على باشا وتوجه عبد المطلب الى بلاد الروم وولته الدولة على مكة سنة ١٢٦٧ هـ . وعزلت محمدا فذهب أيضا الى بلاد الروم وفى سنة ١٢٧٢ هـ ولى مكة وعزل عبد المطلب فذهب الى بلاد الروم .	سنة ١٢٤٢ سنة ١٢٦٧	عبد المطلب بن غالب بن مساعد عبد المطلب بن غالب محمد بن عبد المعين بن عون
ولى بعد وفاة أبيه محمد بن عون .	سنة ١٢٧٤	عبد الله باشا بن محمد بن عبد المعين
قتله أفغانى بجده .	سنة ١٢٩٤	حسين باشا الشهيد ابن محمد ابن عبد المعين
فصل عن الامارة سنة ١٢٩٩ هـ .	سنة ١٢٩٧	عبد المطلب بن غالب
تولى فى ٢٤ ذى القعدة وكان بالأساتذة فوصل الى مكة فى ١٠ ذى الحجة سنة ١٢٩٩ هـ .	سنة ١٢٩٩	عون الرقيق باشا بن محمد بن عبد المعين
ولى وأعطى رتبة الوزارة فى ١٥ شعبان من السنة نفسها .	سنة ١٣٢٣	على باشا
ولى فى ٦ شوال سنة ١٣٢٦ هـ . ثم أعلن نفسه ملكا على الحجاز ثم خليفة .	سنة ١٣٢٦	حسين بن على
ولها من قبل السلطان عبد العزيز بن السعود أمير نجد بعد أن سقطت مكة فى أيدي جنده وطرده منها الحسين بجاشيه .	سنة ١٣٤٣	خالد بن لوى

جدول المسافات بين مكة وأمّهات المدن الإسلامية

الموقع بالنسبة لمكة	ميل	أمّهات المدن	الموقع بالنسبة لمكة	ميل	أمّهات المدن
في الشمال الشرقى	١٣٤٤	هراء	في شمالها	١١٢	المدينة
»	١٥٩٠	بلخ	في شمالها الغربى	٨٤٠	القدس
»	١٧٣٨	غزنة	»	٨٥٤	الفسطاط
»	١٣٠٠	مرد الشاهجان	في الشمال	٧٢٨	دمشق
»	٢٠٧٠	هرمز	في الشمال الشرقى	٦٤٢	بغداد
»	١٦٤٢	كابل	في الجنوب	٤٧٦	تغر
»	١٦٥٢	الملتان	في الجنوب الغربى	٤٧٦	زبيد
»	٣٢٢٠	رلى	في الشرق	٣٣٣	الأحساء
»	١٤١١	ثانة	في الجنوب الشرقى	٥٢٨	مهرة
»	١٨٠٦	كنبايت	في الجنوب الغربى	٤٠	الطائف
في الجنوب الشرقى	٣٧٨٠	الكولم	في الشمال الشرقى	٦١٠	البصرة
»	٣٠٥٢	سرديب	»	٥١٠	الكوكة
»	٥٤٣٢	الخنسا	في الغرب	١٢٤	بيذاب
»	٢٦٣٠	الزيتون	في الشمال الغربى	٨٠٠	الطور
في الشمال الشرقى	٣٩٣٤	خان بالى	»	٦٨٠	اللقاء
في الشمال الغربى	٤٩٩٨	قراقرم	في الشمال	٧٨٤	الموصل
في الشمال الشرقى	١٩٧٤	بلاصاعون	في الشمال الشرقى	٩٤٠	أصفهان
»	١٩٧٤	كاشغر	»	١٠٦٤	الساغانية
»	١٩٠٤	اسفيجاب	»	١٠٨٠	توريز
»	١٧٤٠	فرغانة	»	١١٠٠	تيسابور

تابع) جدول المسافات بين مكة وأمّهات المدن الإسلامية

الموقع بالنسبة لمكة	ميل	أمّهات المدن	الموقع بالنسبة لمكة	ميل	أمّهات المدن
في الشمال الغربي	١٩٣٢	رومية	في الشمال الشرقى	١٣٩٠	أطرار
»	٣٢٥٠	غزناطة	»	١٧٨٠	أمروسة
»	٣٣٦٠	أشبيلية	»	١٧٥٦	بدخشان
»	٣٢٦٦	قرنيطه	»	١٥٩٦	ترمذ
»	٣٣٨٨	أسنى	»	١٢٨٨	بخارى
»	٣٢٣٠	سبته	»	١٦٣٨	سمرقند
»	٢٦٣٢	مراكش	»	١٣٢٥	كركاج
»	٢٤٤٨	فاس	»	١٢٤٦	السرراى
»	١٧٧٤	تلمسان	»	٢٠١٦	البلغار
»	٢٠٧٢	تونس	في الشمال الغربى	١٥٧٠	القرم
في الجنوب الغربى	٢٢٤٠	غانة	»	١٣٥٠	طرايزون
»	٢٤٤٠	جيمى	»	١٥١٢	كسطنطينية
»	١٠٢٢	جرى	»	١٤٢٨	قصون
في الشمال الغربى	١٣٣٠	أوقات	»	١١٩٠	قيسارية
في الجنوب الشرقى	١١٤٨	بيدسوا	»	١٢٣٢	قونية
»	١٤١١	قاة	»	١٦١٠	القسطنطينية

(ملحوظة) هذا الجدول نقلناه عن درر الفرائد المؤلف في القرن العاشر والذي عندنا منه نسخة خطية. وبمقارنة ما ذكرهنا عن المسافة بين مكة والمدينة بما نذكره بعدد عن المسافة بينهما يمكننا أن نعرف مقدار الميل في القرن العاشر.

وإذ قد اتينا من مكة ووصفها وذكر آثارها ومسجدها الحرام وكعبتها التي جعلها الله قياما للناس وعرفناك أخبار ضواحيها ووصفها ورسمها وأمرائها والمسافات بينها وبين المدن الهامة نتابع سيرنا الى المدينة عاصمة الحجاز الثانية ومهد الاسلام الثاني ومثوى خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

الاحتفال بسفر المحمل من مكة

في منتصف الساعة الثانية عشرة العربية من صباح يوم الاثنين ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ . سارت قوتنا من معسكرها بالشيخ محمود الى المسجد الحرام فوصلت بعد نصف ساعة وهناك وجدنا في الجهة الشرقية العساكر الشاهانية مصطفة قبالة باب على رضى الله عنه واصطف حرسنا في الجهة المقابلة بجوار المسجد بعد أن ألبس مجملنا كسوته القصيدية وكذلك اصطف موظفو الحكومة الحجازية بمكة بأوسمتهم وملابسهم الرسمية وبعد فترة أقبل دولة الولى بركنه ووقف بين هذا الجمع المحتشد فتقدم اليه أمير المحمل الشامى عبد الرحمن باشا يقود زمام جملة وسلمه الزمام فدار بالمحمل خمس دورات ثم سلمه لأمره بعد أن لثم مقوده ولحظتئذ صدحت الموسيقى الشاهانية بسلام جلاله السلطان وهتف العسكر والحضور بالدعاء له ثلاثا ثم تقدم اليه أمير المحمل المصرى بزمام مجمله فتسلمه منه ودار به خمس دورات كما فعل بسالقه وسلمه للأمر وصدحت الموسيقى بالسلام الملكى ثم ألقى الشيخ السنباطى خطبة دعا فيها لجلالة السلطان ودولتى الشريف والولى وختمها بالدعاء للجناب الخديوى وعقب ذلك انصرف المحملان يتبع كلا حرسه الى مقره بمعسكره .

السفر من مكة الى المدينة

(اليوم الأول) في منتصف الساعة الثانية العربية من يوم الخميس ٢٨ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ . قام ركبتنا من مكة ميما المدينة فسار نحو الشمال الغربى ٣٠ دقيقة ، ثم نحو الشمال الشرقى مثلها ، ثم أشمل ٤٥ دقيقة ، ثم سار نحو الجنوب الشرقى ساعة

و ١٥ دقيقة، ثم شرق ٣٠ دقيقة، ثم تابع السير نحو الشمال الشرقى ساعتين ونصفاً وإذا بنا في المحطة الأولى (بئر البرود) وكانت الساعة وقت وصولنا تسعاً وربعا سرنا منها ٦ ساعات وأضعنا ساعة وثلاثة أرباعها في إصلاح الأحمال بين لحظة وأخرى، وذلك أن مقوم المحمل قدم لنا كثيرا من الجمال التي لم تميز على الحمل ولم نتعود رؤية الطرايش والكسا العسكرية وكانت أفتابها - عددها - منفوشة غير مدمجة فلم تلبث أن هبط علوها فارتخت أحزمتها فسقط أكثر الأحمال وهربول غير المذلل من الجمال أضف إلى ذلك رجوع العربان إلى بيوتهم لقضاء لوازم السفر ونوط كل خمسين جملا بواحد منهم فقل من سلم من العثور، ولقينا يوما شديد النصب دائب التعب ولكن في سبيل الله ما لقينا، والطريق واد بين جبال تحفه من الجانبين محصب في أوله وحجري في وسطه إلى حذاء جبل النور - حراء - ومترب في آخره حتى بئر البرود اللهم إلا بعض مسافات قليلة فانها حجرية، والجبال تارة تتداني حتى لا يكون بينها إلا واد عرضه ٦٠ مترا وتارة لتتأوى فتنفرج عن واد سعته من ٣٠٠ متر إلى ألف وقد يقل أو يزيد عن ذلك، ولما بلغنا بئر البرود وجدنا المحمل الشامى سبقنا إليه والزحام على البئر شديد فلم نتمكن من أخذ مياه إلا بعد الساعة الخامسة العربية ليلا ولولا ما استصحبناه معنا من مكة من المياه الكافية لأضربنا الظما إضرارا بليغا وكان يرافق الركب الشامى ركب الحجاج من أتباع ابن الرشيد وعدده يقارب ١٢٠٠٠ نفس معهم ألوف الحيوان والنظر لقلتنا وكثرتهم وسبقهم دائما إلى الآبار رأيت أن تتأخر عنهم يوما فوافقني الأمير والأمين على ما رأيت وذلك لتمكن من أخذ المياه بسهولة فتأخرنا يوما بعد وادى الليمون .

وبئر البرود بئر عظيمة مطوية بالحجارة المنحوتة قطرها ٦ أمتار، وعمقها ١٢ مترا وماؤها عذب لا يزيد ارتفاعه في قاعها عن ٥٠ سنتيا، وبالبئر شجرة حمير ضخمة نبتت في أصل البئر واخرقت جدارها الشرقى وأظلت فروعها البئر وفناءها، والناس يجلسون على جذوعها لأخذ المياه من البئر بالكيزان إذا ما قلت فإن كثرت أخرجوها بالدلاء ولهذا البئر سلم من خارج جدرها ينتهى بفتحة إلى قاعها ولكن بابها العلوى

مردوم، وهذا البئر أشبه ببئر البردويل بمربوط مصر. ويجوارها بئر أخرى مردومة، وأسس أبنية في جملة مواضع، عرض الجدار منها ثلاثة أمتار وهي من الحجر الصلب الضخم ذي النقط البيضاء والسوداء، وإن في هذا الآية على أنه كان بهذه الجهة بلدة كبيرة ذات مدنية في الأزمنة الغابرة، ويدل على ذلك قول كثير:

غشيت لليلى بالبرود منازلًا * تقادم واستنت بهن الأعاصر^(١)

وأوحشن بعد الحى إلا معالما * يرين حديثات وهن دوائر

ومن هذه البئر طريق سهل يوصل الى الطائف كما أخبرني بذلك متعهد الجمال

(المقوم) والذي حفرها خراش بن أمية الخزاعي الكعبي وله يقول الشاعر:

* بين البرود وبين بلدح نلتقى *

(اليوم الثاني) وفي مبتدأ الساعة الأولى من صباح الجمعة ٢٩ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ . رحلنا من بئر البرود واتجهنا نحو الشمال الشرقي حتى وصلنا « وادي فاطمة » في الساعة الرابعة والربع وكان الطريق خورا ذا أشجار كبيرة على شاطئيه والجبال تكتنفه من الجانبين ومن بدء وادي فاطمة تغير اتجاهنا الى الشرق، وهذا الوادي متسع به أراض زراعية مرتفعة نحو ثلاثة أمتار بها حشيش يسمى العتري ينبت المطر وهو من أجود الأغذية للحيوان وهناك مساكن للأعراب الذين يحافظون على هذا الثبت ليبيعوه في مكة وللسابلة، وقد استمر سيرنا بهذا الوادي حتى الساعة الخامسة والنصف واذ ذاك دخلنا واديا آخر به نخيل وأشجار وبيوت من الجانبين ومازلنا نسير في تعاليجه حتى وصلنا « وادي الليمون » في الساعة السابعة والربع ولم نسترح في خلال ذلك إلا ١٥ دقيقة ويحتوى هذا الوادي على بيوت بنيت في أحضان الجبال وحدائق ذات بهجة بها النخيل والليمون والبطيخ والخيار والبامية والقطن الذي يرتفع نحو مترين وقلته كالحجير، ولبعض الحدائق أسوار بنيت من

(١) - الأعاصر جمع إعصار وهي ريح شير الغبار فيرتفع في السماء كأنه عمود واستناتها مرورها مريما .

المجارة الصماء ذات اللون الأزرق والمجم الكبير غير أنها متهدمة وتوجد بها آثار أبنية قديمة تدل على أنه كان لهذه الجهة شأن في سالف العصور .

وبهذا الوادى قناة بنيت بالحجارة والملاط المتناسك عمقها ثلاثة أرباع المتر ، وعرضها ستة أعشاره وعمق الماء في قاعها ٥٠ سنتيا وماؤها عذب فرات صاف كأنه مقطر يجري ليلا ونهارا صيفا وشتاء ولكنه يتهدى في الآخرا الى الصحارى حيث تستشفه ولا تشكر بالانبات ، فلو أنه حول حيث ينبت الزرع والأشجار لأجدى ذلك عظيم الاجداء ، وهذه القناة تسير نحو الشرق في سفح الجبل على مدى بعيد قطعناه في نصف ساعة وجزء كبير من أبنيتها متهدم ، وقد سألت شيخا هرا من أصل هذه القناة فأخبرني أنها تأتي من عين في قاع بئر غؤور في أرض صلبة بلغ عمقها ٢٠ قامة وغطيت بالأحجار فوقها الأتربة ثلاث قامات أخرى ولا تكشف هذه العين إلا اذا أريد إجراء عمارة بها وهى على يمين السالك نحو يثرب .

وبوادى الليمون « سوق » باعته من مكة فيه الخوم والأرز مطبوخة وغير مطبوخة ، وبه الخيار والقنء والبطيخ والكراث والعيش والجنين والبصل الأخضر والجلف والإبل والغنم وغير ذلك أزواج شتى .

(اليوم الثالث) وفي الساعة السابعة من نهار السبت أول المحرم سنة ١٣١٩ هـ . سار ركبنا من وادى الليمون نحو الشمال ساعتين و ٢٠ دقيقة ثم الى الشمال الشرق ساعة ثم شرق أخرى فتلك أربع ساعات وثلاث ألقينا بعدها عصا التسيار للبيت وقطعنا فيها واديا سهلا تكثر به الحصباء وتحفه الجبال الشاخنة من حاشيته وقد وجدنا بعد مسير ثلاث ساعات ونصف بئرا حجرية على يميننا مأوها العادى به ملوحة وفي فصل المطر يكون عذبا .

(اليوم الرابع) وفي الساعة الحادية عشرة الليلية في صباح الأحد ثانى المحرم سنة ١٣١٩ هـ . سار ركبنا نحو الشمال الشرق ٥٥ دقيقة ، وأشمل ساعة ونصفها ، وأبجر مشرقا نصفها ، ومغربا ٣٧ دقيقة ، وأشمل ساعتين ونصفا ثم سار نحو الجنوب

الشرق ساعة وربعا، والشمال الشرق ساعة واحدة فتلك ثمان ساعات و ١٧ دقيقة قطعنا في أولها عقبة عوجاء استنفدت ساعة ونصفا ولقينا بعد مسير ثلاث ساعات ونصف غابة ذات أشجار كثيرة إلا أنها متفرقة وبعد الغابة بساعتين ونصف سرنا ساعة في واد فسيح جباله اليمنى دانية واليسرى نائية متقطعة تكوّن تلالا عالية ثم ضاق الوادى كما بدأ، وفي مبدأ العقبة وجدنا حفائر في أراض رملية بها ماء عذب كماء النيل يخرجه النكت في الأرض باليد وإنه لماء غزير يكتفى الآلاف من الناس والحيوان وهناك النخيل ذات ائمين .

وقد أتممنا نهارنا وبتنا ليلتنا بمحطة يقال لها الحفائر أو الضريبة وصلناها في منتصف الساعة الثامنة نهارا، والماء بها عذب غزير في حفائر عمقها ٥٠ سنتيا وماؤها يكون مرا في السنين التي يجبس فيها ماء المطر، وكان الهواء في يومنا هذا شديد الجفاف غاية في الاعتدال وكان الماء وقت الظهيرة باردا جدا كأنه مثلج أما بالليل فكان الطقس باردا .

وبهذه المحطة لصوص شاهدت منهم رمى الحجيج بالحجارة الصغيرة حتى اذا كانوا يقظين وشعروا بالحجارة أجل اللصوص سطوهم لفرصة أخرى وإن كان حارسهم نامت عينه مشوا على أيديهم وأرجلهم واستلبوا ما يصلون اليه وعادوا، وقد شاهدتهم في الصباح حينما سار المحمل يركبون الهجن ويتربصون من يتخلف عن الركب ليسلبوه ماله ولكن بعناية الله وقوته لم يصلوا الينا بسوء ولم يسترقوا شيئا إلا ما تركه الحجاج من جلود الأنعام ورءوسها وأرجلها وأكراشها .

وقد كان معنا ثلاثة من العربان استأجرناهم بجنيمات عشرة ليرشدوا ركبنا الى مواطن المياه العذبة وليعرفونا منازل اللصوص وقد أحسنوا القيام بما كلفوا به فان أحدهم كان يرافق دائما العسس - الدورية - حينما يمرون على المعسكر ليلا .

(اليوم الخامس) وفي صباح الاثني ثالث المحرم الساعة ١١ والدقيقة ١٥ الليلية قمنا من الضريبة وسرنا نحو الشمال الشرقى في خور ذى أشجار كثيفة ترتفع أرضه تارة

وتتخفف أخرى قطعناه في ساعة وثلاثة أرباعها الى واد آخر عظيم الاتساع سرنا فيه ساعة وربعا في أرض حجرية صعبة المسلك ثم أعقبنا أرض سهلة غابت فيها الجبال عن الأبصار، ولتمام الساعة العاشرة تغير سيرنا الى الشمال وبعد نصف ساعة وصلنا « محطة البركة » فتلك احدى عشرة ساعة وربع استرحنا منها في أثناء الطريق ساعة واحدة، وبهذه المحطة حوض يسمى بركة زبيدة متقن البناء مربع ضلعه ٥٠ مترا، وعمقه نحو الثلاثة ويجواره جملة برك بها ماء الأمطار يمثل اتصال بعضها ببعض نهرا أحاطت به الأشجار الكثيفة من أجناس شتى كالسنط والنبق والسلم، وبهذه الجهة لصوص من عربان عتية ولكن كفانا الله شرهم فلم يسلبونا شيئا وقد اشتد الحر بعد الظهر ومات من خيلنا حصان أصابه مغص فقضى عليه .

(اليوم السادس) وفي صباح الثلاثاء رابع المحرم الساعة ١١ ليلا غادرنا البركة متجهين نحو الشمال الغربي في أرض سهلة لم تصادفنا بها إلا ثلاث عقبات حجرية صلبة قطعنا كلا منها في ربع الساعة واتهينا الى محطة « الغدير أو المكر والمكير » في الساعة ١١ والدقيقة ٢٠ نهارا ولم نسترح من ذلك إلا ساعة وقت الظهر الذي كان الحر بعده شديدا، وبهذه المحطة مياه كثيرة متخلفة من الأمطار وفيها تبايع الحشائش والتبن والمسلى والأغنام وخشب الحريق متوفر بها وأرضها زراعية وهي قبل المحطة المعتادة محطة « حاذا » بساعة ونصف .

(اليوم السابع) وفي منتصف الساعة الثانية عشرة ليلا صباح الأربعاء خامس المحرم قمتا من « الغدير أو المكر والمكير » فشرقنا ساعتين ونصفا وسرنا الى الشمال الشرقي ساعة ونصفها ونحو الشمال ست ساعات ووصلنا « محطة الهضاب » في منتصف الساعة الحادية عشرة نهارا وقد استرحنا بالطريق ساعة وقت الظهر فالمسير عشر ساعات قطعنا في الخمس الأولى منها ملاحا اذا أصابها وابل المطر تعذر عبورها لرخاوة أرضها ، وفي الخمس الثانية أسهلت الأرض وانفرجت عنها الجبال الى مدى واسع « ومحطة الهضاب » جمال تبايع ولا ماء بها وخشب الحريق قليل .

(اليوم الثامن) وفي ليلة الخميس سادس المحرم الساعة ٨ والدقيقة ١٥ قمنا من الهضاب وسرنا نحو الشمال خمس ساعات ونصفا ونحو الشمال الغربي سبعا ونصفا فوصلنا إلى « صفيينة » في منتصف الساعة الحادية عشرة نهارا بعد أن استرحنا بالطريق ساعة ورربعها ، وبعد قيامنا من الهضاب بساعتين وثلاثة أرباع وجدنا على ميسرتنا ملاحه طويلة ملحها شديد البياض باد على وجه الأرض وقد اجترأها في أربع ساعات وقبل أن نصل إلى صفيينة بساعة صعدا إلى عقبة حجرية قطعناها في الساعة الباقية وأولها وآخرها صعب المسلك مسيرة خمس دقائق في مبدئها ومثلها في منتهها وما بين ذلك طرق متعددة اختطتها الأرجل المشاشية .

وصفيينة هذه بلدة أمير مكة الآن الشريف عون الرقيق باشا وهي قرية صغيرة أبنيتها بالطين المكس بعضه فوق بعض يسكنها نحو ٤٠٠ نسمة وبها حوالي ١٠٠ نخلة صغيرة وكبيرة وقليل من شجر الليمون وشجر الطرفاء وفيها ٣٦ بئرا مبنية بالحجر عمق الواحدة منها ثلاث قامات وماؤها رائق نظيف معين لا ينضب ولكنه لا يروى ، وأراضي هذه القرية صفراء تشبه أراضي مريوط يزرع بها الشعير والقمح وبعض الخضراوات وقد بتنا بها ليلتين في الأولى منهما سرق حصان لنا كان مريضاً باحتقان في الحنجرة وكانت تنزل من أنفه مواد مخاطية وكان مريوطا خارج المعسكر للاشتباه في مرضه ولذلك تمكنوا من أخذه وقد بلغني خبر السرقة في الساعة الثامنة ليلا من الضابط المنوط بالحراسة (النوبتجي) فأحضرت في الحال عمدة البلدة المدعو سعدا وأخبرته الخبر وأكدت عليه ضرورة رجوع الحصان فأسرع في الحال وركب مع بعض أقربائه هجنا واقتفوا أثر اللصوص فوافوناه في الساعة الرابعة من الليلة التالية وقد أنهكه التعب فسرنى ذلك جد السرور وفرح الراكب أيما فرح وقد كفا العمدة أمير الحج بجنهين انجليزيين - وكان له مرتب مثلهما - وجبة حمراء وشهادة بأنه « تحوى » المحمل أى من أمنائه ففرح بذلك فرحا شديدا .

وفي الليلة الأولى أيضا اقترب بعض اللصوص من المعسكر زاحفين على أيديهم وأرجلهم فبادرهم الجندي الخفير (الديده بان) بضرب الرصاص فانشوا راجعين بعد أن أصيب واحد منهم برصاصة في فخذه كما وردت بذلك الأخبار الأكيذة في الصباح، وبلغني أنهم سيحضرون في الليلة التالية ليأخذوا بثأرهم فأعدت لذلك العدة واتخذت الحيطه فعند الغروب أمرت « البروجي » بتمرير نوبة^(١) كبسة ففى لحظة يسيرة وقف العساكر بشكل مربع محكم داخله المجاج وجمالم وتأس كل صف ضابط ونصب المدفعان في اتجاه البلدة وأمرهم رئيس المائة (اليوزباشي) أن يتشكوا بشكل ضرب النار ففعلوا وبعد أن مررت بهم ونهت عليهم بما يلزم زمّر « البروجي » ترميرة الانقضاض (دستور) . وقد بلغني أن العربان لما شاهدوا تمرين العسكر والمدافع وجهت أفواها نحو البلدة جبنوا عن الاقتراب من المعسكر وبتنا ليلتنا الثانية في أمان واطمئنان ولم يحدث ما يكدر الصفو فحمدنا لله رعايته لنا وردّه المسلوب الينا ولم نسمع قبل ذلك أن العربان استلبوا شيئا وردوه ولكن رعاية الله فوق كل رعاية .

(اليوم التاسع) وأقنا يوم الجمعة سابع المحرم بصفينة للاستراحة والاستجمام اذ المياه بها كثيرة .

(اليوم العاشر) وفي منتصف الساعة الثانية عشرة وقد أصبح صباح السبت ثامن المحرم قنا من صفينة وسرنا الى الشمال الشرق ثلاث ساعات ونصفا والى الشمال الغربى سنا ونصفا فتلك عشر ساعات سيرا واسترحنا ساعة وقت الظهر فكنا في منتصف الساعة الحادية عشرة نهارا قبالة « السويرجية » في ميسرتنا مسيرة ست ساعات وأقنا حيث انتهى بنا السير ولم نخرج على محطة السويرجية لأنه كان معنا المياه الكافية والطريق من صفينة الى قبالة السويرجية سهل رملى إلا بعض بقاع فيه ، وأشجاره كثيرة وحره شديد وبه جملة برك تجمع فيها ماء المطر فسقينا منها

(١) تكون عند هجوم العدو بغنة .

الحيوان وقد وافانا حيث أقننا الشيخ « بريكة الشويب » شيخ قبيلة مطير وله مرتب سنوي ٦٠ ريالاً (بطاقة) يأخذها من صرة المحمل عند مروره بأرضه نظير محافظته عليه ، وقد طلب من الأمير مرتب السنة الماضية أيضاً لأن المحمل لم يمتز فيها من الطريق الشرقى الذي نحن بصدد وصفه فلم يتقاض مرتبها — والعادة تثبت عند العرب بمرة واحدة — فأبى عليه الأمير فأسرهما في نفسه وتصادف أنه لما حضر الشيخ بريكة كان معه نحو ثلاثين هجاناً مسلحين فاناخوا هجنهم قبالة سرادق الأمير فأمر بنقلهم الى جهة أخرى بلهجة شديدة فامتلات من ذلك نفس الشيخ وصحبه واستبنت ذلك في وجوههم فتلافيت الأمر وأخذتهم الى خيمتي وذبحت لهم كبشاً وصنعت لهم ثريداً يعالوه الأرز فسرى عنهم وأكلوا وشكروا وازداد فرحهم لما قدمت لهم شاياً وقهوة وأوقدوا ناراً أمام خيمتنا وصنعوا لنا قهوة عربية ودعوني فشربت معهم وكان مما قاله لي الشيخ بريكة ساعة حضر الى خيمتنا هذه الجملة :

(يابيه الباشا هذا علومه فاسدة يا راجل) وقال بلا خوف : نحن كلاب يقول لنا امشوا امشوا، ولكن اكرامنا له وحقاوتنا به أزلت ما علق بنفسه وطلب الى أن أتكلم مع الباشا الأمير بشأن مرتب السنة الماضية فكلمته واتفق الأمير مع أمين الصرة والكتاب الأول على أن يصرف له نصف المرتب فرضى الشيخ بذلك ورجا الأمير في أن يكلم وزير المالية في صرف النصف الآخر اليه فوعده المساعدة وأعطاه نصف رأس من السكر ونحو رطل من البن وبعض من « البقسماط » وكذلك أعطيته بعض البن والسكر فزاد فرحه وشكره وعاد الى قبيلته بعد أن رافقنا يوماً بعد حدوده التي كان يرافق المحمل اليها كل سنة .

(اليوم الحادى عشر) وفي منتصف الساعة العاشرة ليلاً قننا من « السورجية » وسرنا نحو الشمال الغربى تسع ساعات ونصفاً ونحو الغرب ساعتين ونصفاً واسترحنا ساعة وقت الظهر فتلك ثلاث عشرة ساعة وصلنا بعدها الى « محطة الحجريّة » قبل المغرب بساعة ونصف وكان طريقنا خيراناً يشبه بعضها بعضاً تخفض تارة وترتفع أخرى وبه أشجار عتيقة ضخمة والجبال متدانية وقيل أن نصل الى الحجريّة

بساعتين ونصف بدأنا السير في عقبه سهلة في أولها متشعبة طرفها لا يسع الواحد منها إلا جملا واحدا وفي وسط هذه العقبة منحدر شديد يتر منه الجمل تلو الجمل بعسر ومشقة حيث إن الجمل لا ينزل من المنحدر إلا اذا صاحبه ثلاثة أشخاص يأخذ بمقوده واحد ويسند ممينة الشقذف ثان وميسرته ثالث، وقد مر جميع الركب بهذا النظام ولم يقع منه إلا رجل طاعن في السن يسمى أبا حلاوة يرافق المحمل سنويا ومعه سوط - فرقلة - يفسح به الطريق للركب، فإنه وقع وأصابته رضوض صاحبه الى مصر، وتنتهى العقبة بمضيق بين جبال شاهقة به أشجار كثيفة ومياه مطر كثيرة .

وبالحجرية ست آبار عذبة المياه عمق الواحدة منها سبعة أمتار وبها حشائش للحيوان تباع بأثمان عالية .

وقد وجدنا بالمحطة رجلا مغربيا مصابا بالجدري لا يستطيع النهوض تركه رفاقه على « شبرية^(١) » وسط أشجار سنط كثيفة فأشفقنا عليه واستجدنا له المحسنين وأجرنا له جملا يركبه ورجلا يخدمه وجعلناه في مؤخرة الركب على بعد ١٠٠ متر منه حذر أن تنتقل الينا جراثيم مرضه وقد أخذت صحته في التقدّم من ذلك الحين لشدة فرجه برؤية ركبنا وإشفاقنا عليه وكان من خبر هذا الرجل مع رفقتنا أنه الذى دفع لهم أجرة الجمال وأنه كان معه ٤٠ جنينها أخذوها وتركوه وسط غابة لا يأوى إليها إلا الوحوش الضارية وقد بلغنى من أهل المدينة أنه تم شفاؤه وأنه عرف رفاقه بالمدينة فأخذ منهم نقوده وتركهم وشأنهم .

(اليوم الثانى عشر) وفي صباح الاثنين عاشر المحرم الساعة ١١ ليلا قمنا من الحجرية وسرنا نحو الشمال الغربى ساعة ونصفا الى الشمال الشرقى ساعتين ثم الى الشمال الغربى ثمان ساعات ونصفا وقد استرحنا بالطريق من الساعة الخامسة نهارا

(١) الشبرية عبارة عن مستطيلين من الخشب طول كل منهما نحو ١٥٠ سنتى فى عرض ٧٥ وضع أحدهما فوق الآخر على قوائم أربع فى الزوايا الأربع ووصل بين كل ضلعين متقابلين بأحبال على شكل شبكة ما عدا الجهة العلوية ويوضع على ظهر الجمل ويركب فيه شخصان كل فى ناحية ويسميا بعض العوب بحلبة .

لغاية الساعة الحادية عشرة ثم واصلنا السير حتى وصلنا تجاه محطة « غرابة » فعزسنا هنالك بعد تمام الساعة الخامسة ليلا والطريق سهل واسع جباله متناثية وأرضه مستوية تصلح للزراعة وبعد قيامنا من الحجريّة بنصف ساعة هبت علينا رياح شديدة ملأت الجوّ بالأتربة حتى كان الشخص لا يبصر جاره وقد قلت سير الجمال فدعونا الله أن تقلع عنا فبعد الغروب بنصف ساعة أخذ تيارها يخف شيئا فشيئا وصفا الجوّ من الغبار وسارت الإبل على ضوء القمر ضعف ما كانت تسير بالنهار . وقد بدأنا من الحجريّة في غابة كثيفة ساعتين ونصفا وبها طرق متعدّدة (مدقات) ووجدنا بها بعض حجاج تردّهم ركب المحمل الشامي كما وجدنا غيرهم بالمحطات السابقة وكنا نحل من نجد الى المدينة ولا ماء حيث عزسنا .

(اليوم الثالث عشر) ورحلنا عن الغرابة صباح الثلاثاء الساعة ١١ ليلا فأشملنا مغربين ثماني ساعات وسدسا وغربنا ساعة ونصفا فوصلنا محطة « الغدير » الساعة ٨ والدقيقة ٤٠ نهارا والطريق أكثره سهل عظيم الاتساع مستو صالح للزراعة ، وفي منتهاه عقبة ذات صعود وهبوط وتعاريج كثيرة تدانت فيها الجبال وقد قطعناها في ساعة ونصف وقد وجدنا بالطريق بئرا ملأها مياه المطر، أما محطة الغدير فيها بركة مبنية طولها ١٠٠ متر في عرض ١٠ وعمق مترين أو يزيد وهي في حجر الجبل وبجوارها مياه أخرى وقد أطلق أحد العربان «بندقيته» على خادم من خدام سلطان المكّة والشجر وهو يغترف الماء من البركة ولكن طاش سهمه وقد بحثنا عن هذا الشق فلم نظفر به .

ومحطة الغدير المسلى واللبن الحامض والأغنام والحشيش للحيوان وبها الصوص . (اليوم الرابع عشر) وفي الساعة العاشرة من ليلة الأربعاء ثاني عشر المحرم سرنا من محطة الغدير نحو الشمال الغربي سبع ساعات ونصفا وغربنا ساعة ونصفا واتبعنا ناحية الجنوب الغربي ثلاث ساعات وإذا بنا في « المدينة المنورة » على صاحبها أزكى الصلوات والتسليّات وكان وصولنا إليها في منتصف الساعة الحادية عشرة نهارا ، وقد استرحنا بالطريق نصف ساعة والطريق من الغدير حجريّ صعب

المسلك سرنا فيه فرادى سبع ساعات وكان يعلو بنا تارة وينحدر أخرى وقد وجدنا قبل وصولنا الى المدينة بقريب من ثلاث ساعات غديرا يمثل جزءا من نهر النيل في اتساعه وقت الفيضان ويقال له غدير الأغوات ، وكذلك يوجد خارج المدينة جملة آبار مررنا بها وماؤها مالخ لا يصلح للشرب وأكثرها مردوم غير معتنى به .



ولا يفوتنا أن نذكر لك أنه عند قيامنا من مكة قام معنا مائتا رجل وجملة بمحطة أسلاك ومغازل — ما يلف حوله السلك بالعمود — لخط الاشارات البرقية الذي شرع في إنشائه بالطريق الشرقي بين مكة والمدينة فسارت معنا آمنة مطمئنة ووزعت تلك الأحمال على المحطات التي انتخبها الشريف لذلك حتى محطة الحجرية قبل المدينة بمحطتين وقد كان بعض العربان يسألني عن السلك والغرض منه ومن توزيعه فكنت أبين له منافعه العاقمة والخاصة من تسهيل المخابرات وتعيين مرتبات لمن يحافظ عليه فكنت أرى فيهم الغيظ والتذمر وكنت أراهم يتحدث بعضهم الى بعض في شأنه كأنما ياتمرون عليه وقد تحقق ذلك فانه بعد وصولنا الى المدينة بيومين بلغنا أن العربان قطعوا الأسلاك وحرقوا ١٢٠٠ عمود من الخشب كان يحملها ٣٠٠ رجل من جدة، فسطا عليها العربان ونهبوها وقتلوا بعض جمالتها وبلأ الباقي الى الجبال والفيافي وبعد أن بلغنا الخبر بأسبوع قدم الى المدينة الفريرق صادق باشا العظم المنوط به إنشاء الخط البرقي ومعه ركنه — أركان حربه — وبعض خدمه فازين من العربان الذين أرادوا بهم سوا لما علموا أن صادقا هو القائم بذلك ، وكان حضورهم من طريق الساحل الى ينبع ومنها سلكوا الى المدينة طريقا غير معتاد يسمى طريق بويط ينتهي شمالي المدينة بمحطتين ولما وصل في مسيره الى محطة « الملاليح » شمالي المدينة أخبر الدولة برقا بما حصل فعزلته وعينت « فريقا » بدله إرضاء للشريف عون الرقيق باشا وهكذا تعمل مع كل موظف يخلص في عمله فيتصادم حقه بباطل الشريف وهواد فيشئ به الى أولى الأمر بالاستانة فيعزلونه ويولون غيره .

وقد زارني صادق باشا وزرته مرات فوجدت فيه عاقلا ناهبا وعالما متضلعا وشهما مخلصا يقدر الأمور حق قدرها ويعمل للدولة كل ما فيه إصلاحها ورقبها ولكن ذلك لا يعجب الشريف بل يريد عاملا اذا أمره أطاع واذا أغرض ساعد وكان من أمره مع صادق باشا أنه لما أتم الخط البرقي بين الشام والمدينة وشرع في مده الى مكة قابل الشريف فسأله أي الطرق يسلكه الخط البرقي فقال: «الطريق السلطاني» فامتعض الشريف وقال: بل الطريق الشرقي وخطب الباب العالي في ذلك فأيده في قوله وجاء الأمر لصديق باشا بأن يذعن لقوله، فلم يسعه إلا التسليم مع أن الطريق السلطاني طريق مأمون عامر البلاد والسكان والآبار ولكن الشريف كبر عليه أن لا يمر الخط ببلدته « صفيينة » بالطريق الشرقي فضرب برأى الباشا عرض الخائض مع أنه محض الصواب والمصلحة وعرض الخط لسطو اللصوص وعبثهم به وبالقائمين بمده، على أني أجزم بأن الشريف هو الذي حرضهم على ذلك وكتب الى السلطان بأن العربان قطعوا الأسلاك انتقاما منه لاختلافه لصدتكم وأنه أرسل اليهم عساكره فأدبوهم وضربوا على أيديهم فأرسل له السلطان مكافأة على ذلك ١٥٠٠ ريال و٦٠ جبة جوخ ليفرقها على عساكره فحرضهم على التخريب ليتوصل الى هذه المكافأة ومن جهة أخرى فإنه يكره سهولة المخابرة مع الدولة لأنه لو خالفها استطاعت في زمن وجيز أن تجلب عليه من خيلها ورجلها مالا قبل له به، ويؤيد ذلك أني لما حججت في سنة ١٣٢٥ هـ . وسلكت الطريق السلطاني سمعت مشايخ العربان يقولون إن الشريف عرفنا أن مد الخط الحديدي الى الحجاز يمكن الألمان من بلادهم وينزل الضرر بهم وبارزاقهم لأنه سيحرمهم نقل الحجاج وأمتعتهم وذلك مصدر من مصادر عيشهم وأن ذلك ينشر الحرية بين الناس فيقف السيد مع عبده جنباً الى جنب في المقاضاة ويخاطبه خطاب الند للند وترى الجارية منزلتها بمنزلة سيدها والأعراب قاطبة من أبغض الناس لهذه الأمور لأن الخدمة الخارجية

على العبيد والمنزلة على الجوارى فكيف ينصاعون لأوامرهم إذ سؤوا بهم، فمن هذا
وأمثاله تستنتج خلق الشريف وتصوب ما ارتأيت في إغرائه العربان على حرق
الأعمدة وتقطيع الأسلاك — نرجع الى سياق السفر، جرت العادة أن المحمل اذا
اقرب من المدينة بات عند مثنوى سيدنا حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول صلى الله عليه
وسلم وشهيد أحد وهو يبعد عن المدينة بمسير ساعة ولما تركنا هذه العادة في حجتنا
هذه ودخلنا المدينة بدون أن نيت عنده وزرناه في يوم آخر كما سيأتي إن شاء الله .
وقد شاهدنا القبة الخضراء المقامة على قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه قبل أن
نصل الى المدينة بثلاث ساعات وكان الجو صافيا واستقبلنا خارج المدينة بمسيرة
ساعة كثير من أغوات المسجد النبوي وأخبرونا بأن الاشاعات ذاعت لما أن تأخر
محملنا عن المحمل الشامي وحسبوا أن العرب أوقعت بنا حتى لم يفتر أحد ولكن كذب
ظنهم وحضرنا جميعا بمعونة الله سالمين ومعنا نحو ٨٥ حاجا من تابعي المحمل الشامي
الذين خلفهم في الطريق وقد ساعدنا على حملهم الى المدينة سلطان المكلمة والشجر
فانه — وفقه الله — أجر لنا ٢٠ جملا من ماله الخاص . وقد أرسل صاحب الدولة
شيخ المسجد النبوي مندوبين من قبله لتحييتنا وتهنئة السلطان وركبه بالقدوم سالمين
وقد راقفونا حيث يتزل جنودنا كل سنة في غربي المدينة الجنوبي وذلك بجوار
« باب الحميدية » الذي شيده سلطاننا الحالي عبد الحميد الثاني ويسمى باب العنبرية
وقد نقش عليه هذان البيتان :

باب لطيفة شاده ملك الورى * خاقاننا الغازى الحميد شاه

يا سعد أزعج باب سعد ناجح * سلطاننا عبد الحميد بناه

١٣٠٥ هـ

وهما من إنشاء مفتي الشافعية السيد جعفر البرزنجي . انظر المعسكر والباب

في (الرسم ١٣٤) .

معسكر المحمل المصري خارج باب البئر بالمدينة المنورة سنة ١٣٢٠



134. The Egyptian Mahmal camping outside the Ambarieh gate at Medina

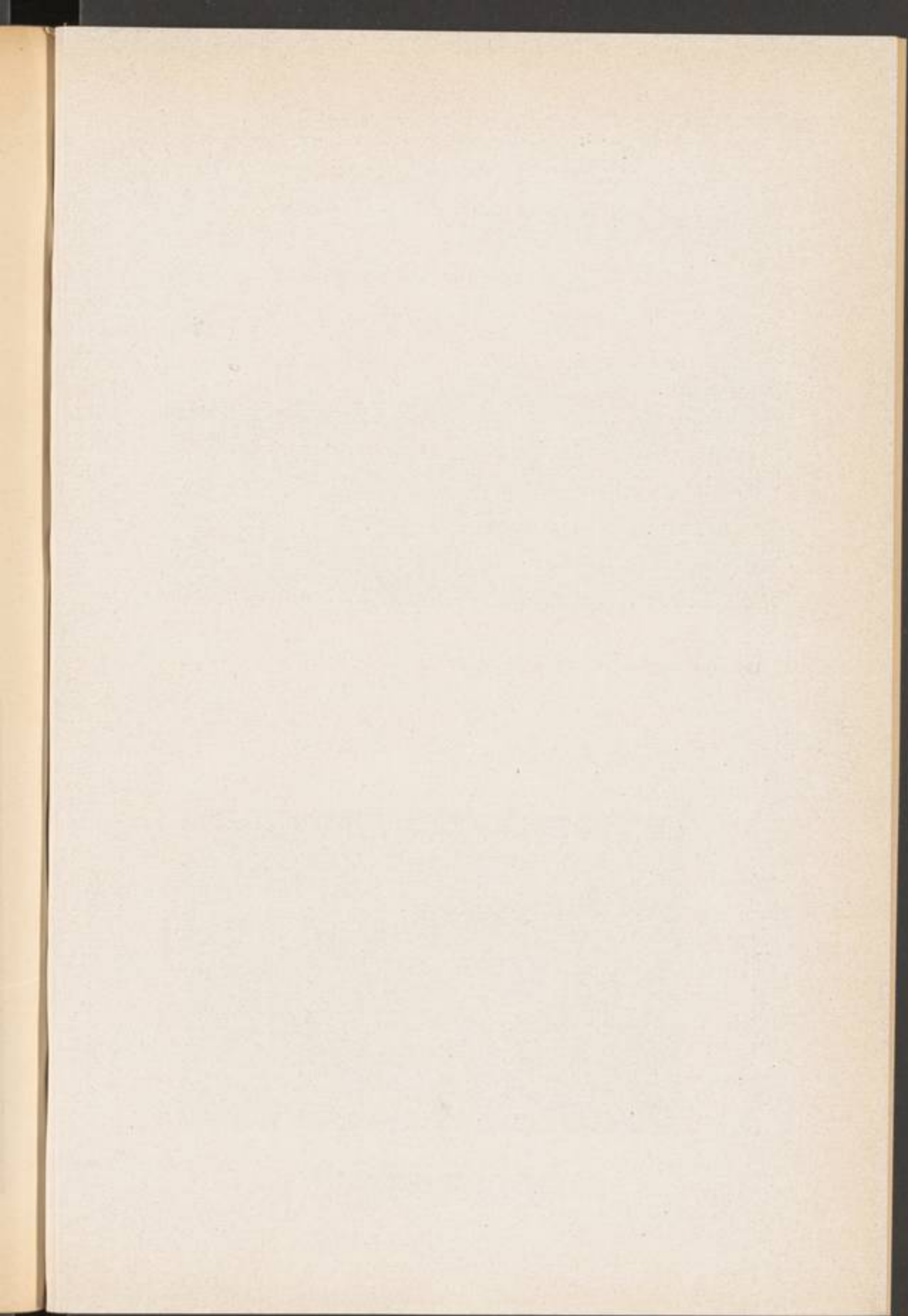
صحيفة ٣٨٣

الفريق عثمان باشا فريد شيخ الحرم النبوي



135. A photo of El Farik Osman Pacha Farid the Sheikh of Nabawi Mosque.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ



دخول المدينة المنورة

في يوم الخميس ١٣ المحرم سنة ١٣١٩ هـ . اغتسلنا ولبسنا ثيابا بيضاء ويممنا المسجد النبوي لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فدخلنا المسجد ووقفنا تجاه قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وسلمنا عليه ، ثم خطونا خطوة الى اليمين وسلمنا على أبي بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ، ثم خطونا أخرى وسلمنا على الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين ، ثم زرنا مكانا يقال له « مهبط الوحي » ومكانا آخر يزعم الناس أن سيدفن فيه عيسى عليه السلام ، ومكانا ثالثا يقال أنه مقبرة فاطمة الزهراء ، وكذبوا فان الواقدي قال : قلت لعبد الرحمن بن أبي الموالي إن الناس يقولون إن قبر فاطمة بالبقيع : فقال ما دفنت إلا في زاوية في دار عقيل وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع ، وكل هذه الأماكن شمالي حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم خرجنا بعد ذلك من المسجد من باب جبريل وزرنا مقبرة البقيع فبدأنا بزيارة الخليفة الثالث جامع القرآن عثمان بن عفان وثينا بزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وأولاده وأقربائه وثلثنا بشهداء البقيع ثم زرنا قبر مالك ابن أنس إمام دار الهجرة والفقهاء الورع ، وزرنا الامام نافعا أحد القراء المشهورين وكذلك زرنا غيرهم ممن دفن بالبقيع رضی الله عن الجميع ورحمهم رحمة واسعة .

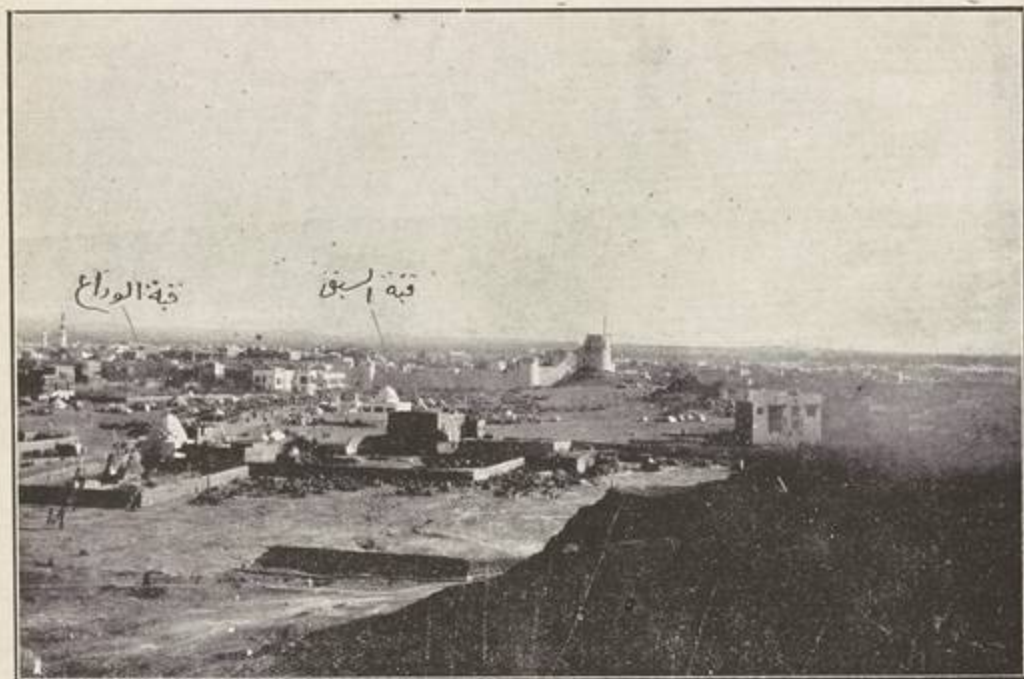
وقد زرنا في هذا اليوم الفريق عثمان باشا فريد محافظ المدينة وشيخ المسجد النبوي فاذا به رجل كامل متواضع طلق الحيا محمود الخلق وقد أكرمنا وبالغ في الحفاوة بنا وقد أبلغته تحية الخديوي فشكر له ودعا وقال إنه من مدة لم تأتينا مكاتبات من جنابه فقلت له إنه عازم على الحج والزيارة ففرح بذلك فرحا شديدا وأشار بأنه يود أن ينعم عليه الخديوي بنقود (فحزك إصبعيه الإبهام والسبابة) فقلت له إنه اذا حج كثير إنعامه وزاد إحسانه فازداد سرورا الى سروره وقال إنني معجب بظرفك وجميل حديثك وحسن جوابك^(١) .

(١) عثمان باشا فريد أصله من الشراكة وقد مكث في مشيخة الحرم الى أن أعلن الدستور في سنة ١٩٠٨ هـ . فعزل وكان رجل عمل وشدة ودهاء وسياسة ، ومن آثاره في المدينة باب العزيزية وقاعة في وادي العقيق على مقربة من مسجد السيد عبيد المحسن أسعد وغرس أشجارا بالمناخة تظل الناظرين بها انظره في (الرمم ١٣٥) .

ويمية المحافظ — في يوم الجمعة ١٤ المحرم أقام لنا سعادة المحافظ وليمة فخمة دعا إليها سلطان المكلة والشحر ونجله وحفيده وأمير الحج المصري وأمين صرته ورئيس حرسه — قومندانه — والضباط والموظفين وأعيان المدينة فكانوا نحو الستين تناولنا طعام العشاء دفعة واحدة على ثلاث عشرة مائدة وضعت على النمط التركي فوق كراسي قصيرة وفرشت حولها الفرش الوثيرة على الأبسطة القيمة الجميلة بجلسنا حولها وقدمت لنا أطعمة فاخرة أتقن صنعها وجمل شكلها فذكرتنا بموائد الملوك والأمراء وكانت الموسيقى الشاهانية والمصرية والمزمار البلدي تطرب الحضور بالأغنام الشجية والأنوار ساطعة من المصابيح الموضوعة على الجدر والتخيل التي بفناء المنزل على شكل منظم فكانت ليلة بدعة وحفلة أنيقة تناولنا فيها الحديث في مختلف الشؤون وكان المحافظ ينتقل بين الحضور يجلس مع هذا لحظة يجيبه ويؤانسه ومع آخر أخرى ومع ثالث نالته وهكذا يجي ضيوفه بما جبل عليه من كمال الشيم .

والذي بعثه لاقامة هذه الويمة الحفاوة بسلطان المكلة والشحر عوض بن عمر القعيطي ، وفي نهاية الحفلة صدحت الموسيقى بالسلام الملكي وهتف للسلطان ثلاثا وألقيت بعض الخطب بالعربية والتركية وبعض أشعار ارتجالية وأنصرفنا شاكرين .

الاحتفال بإدخال المحمل المسجد النبوي — في صباح السبت ١٥ المحرم ألبس المحمل كسوته المقصبة واحتمله جملة وسار من معسكرنا يتقدمه أميره وأمين الصرة ففرقة من العساكر الشاهانية بضباطها وموسيقيها ويحفظه من الجانبين الحرس والفرسان ودخل المدينة من باب العنبرية وسار في شارعها وقطع المناخة ولما وصل إلى الباب المصري (الرسم ١٣٦) وهو أشبه بباب زويلة المعروف — ببوابة المتولى بالقاهرة — تجل الركوب أدبا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وسلكنا طريقا معوجا عرضه ٤ أمتار إلى أن وصلنا إلى باب السلام (الرسم ١٩٠) من أبواب المسجد النبوي في ركنه الجنوبي الغربي وهناك وجدنا محافظ المدينة وشيخ المسجد النبوي الفريق عثمان باشا فريد ينتظرنا قسم مقود الجمال الذي يقل



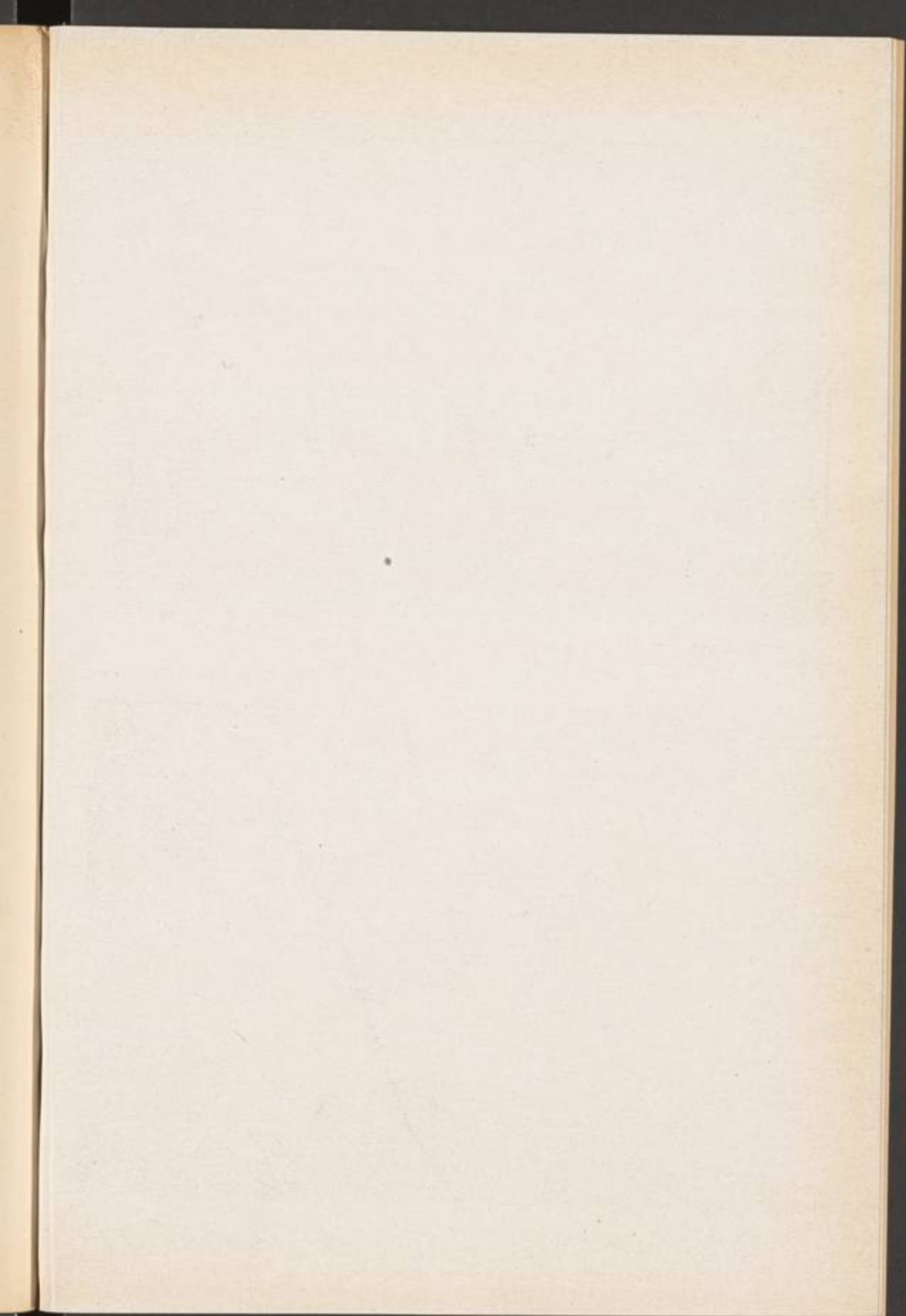
137. The Northern-Western view of Medina Mosque in 1325.



البيت المقدس المبارك الشريف

136. The " Egyptian gate " at Medina.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الطيب الطاهر
والآله الطيبين الطاهرات
الطاهرات
والسنة النبوية
الطاهرة
الطاهرة



المحمل من يد الأمير وأناخه وأدخلنا المحمل المسجد ووضعناه بجوار المنبر النبوي كما هو العادة كل سنة ثم جلس المحافظ والأمير والأمين ومن حولهم الموظفون وفككتنا كسوة المحمل قطعة قطعة ووضعنا في وسط المحتشدين أو المحتفئين والغرض من هذا التفكيك أن يحمل كل موظف قطعة ويدخل الجميع المقصورة النحاسية لوضع الكسوة بها وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد حمل كل منا قطعة واشترك المحافظ مع أمير الحج في حمل العلم الكبير «البيرق» وسار الجميع يتقدمهم المحافظ والأمين نحو الحجر وقد آرتدوا الملابس والعمائم البيضاء وتقدم كثيرون واشتركوا معنا في الحمل فكثرت العدد وتنبه «الأغوات» لذلك فأقصوا الدخيل ودخلنا المقصورة ودعونا وقد تيسر لي الدخول مرتين أخريين مع «الأغوات» لإيقاد المصابيح .

وقد أقمتنا بالمدينة اثني عشر يوما كنت أؤدى فيها أكثر الصلوات بالمسجد النبوي استراحة للثواب وكثيرا ما كنت أتلو القرآن في المصاحف التي أبدع تسطيرها مهرة الخطاطين من الأتراك، وإن جمال روايتها وحسن تنسيقها ليستريدك من القراءة فيها فالبصر ممتع واللسان مرتل والقلب متدبر والمقام كريم والذكرى تهبج فيالها من ساعات لا يحيط الوصف بأثرها في النفس .

وبالمسجد مكتبة مملوءة بالمصاحف الخطية ودلائل الخيرات ذات الكتابة البديعة، وللكتبة رئيس وعمال يجمعون المصاحف والدلائل من القارئین عند الصلاة ويوزعونها بعدها على من رغب في التلاوة فيها .

زيارة شهداء أحد

قبل أن نذكر لك حديث الزيارة ووصف ما شاهدناه ورسومه نتقدم اليك بموجز عن غزوة أحد التي أبلى فيها المسلمون بلاء حسنا واستشهد كثير منهم وكان لهم فيها من العظة والاعتبار ما سلك بهم في المستقبل نهجا أما وطريقا رشدا وعمدتنا في ذلك " زاد المعاد في هدى خير العباد " للامام الهمام ابن قيم الجوزية .

لما قتل الله أشراف قرش بيدر وأصيبوا بمصيبة لم يرزؤوا بمثلها ورأس فيهم أبو سفيان بن حرب لذهاب أكابره أخذ يؤلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين بجمع قريبا من ثلاثة آلاف من قريش وحلفائهم والأحابيش وجاءوا بنسائهم لثلاثا يفرّوا ليحاموا عنهم ثم أقبل بهم نحو المدينة فقتل قريبا من جبل أحد بمكان يقال له عيين^(١) وذلك في شوال من السنة الثالثة واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أيخرج اليهم أم يمكث في المدينة؟ وكان رأيه أن لا يخرج من المدينة وأن يتحصنوا بها فان دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة والنساء من فوق البيوت ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاتهم الخروج يوم بدر وأشاروا عليه بالخروج فنهض ودخل بيته ولبس لأتمته - درعه ولباسه الحربى - وخرج في ألف من الصحابة واستخلف ابن أم مكتوم على الصلاة بمن يقى في المدينة فخرج يوم الجمعة . فلما صار بالشوط بين المدينة وأحد انعزل عبد الله بن أبي بنحو ثلث العسكر وقال : تخالفنى وتسمع من غيرى ، فتنعمهم عبد الله ابن عمرو بن حزام يوبخهم ويحضهم على الرجوع ويقول : تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع فرجع عنهم وسبهم . وسأله قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من اليهود فأبى وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادى - شاطئه - وجعل ظهره الى أحد ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم فلما أصبح يوم السبت تهباً للقتال وهو في سبعمائة فيهم خمسون فارسا واستعمل على الرماة وكانوا خمسين عبد الله بن جبير وأمره وأصحابه أن يلزموا مركزهم وأن لا يفارقوه ولو رأوا الطير تخطف العسكر وكانوا خلف الجيش وأمرهم أن ينضحوا^(٢) المشركين بالنبل لثلاثا يأتوا المسلمين من ورائهم وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين يومئذ^(٣) وأعطى اللواء مصعب بن عمير^(٤)

(١) الجبل المقابل لجبل أحد . (٢) بستان بقرب دباب وهو الجبل الذى عليه مسجد الراهية .

(٣) الشعب الطريقتى في الجبل أو ما انفرج بين الجبلين . (٤) يرشوا . (٥) جمع وطابق .

(٦) الدرع لبوس من الحديد يتق به المحارب بأس الحرب .

واستعرض الشبان يومئذ فرد من استصغره عن القتال وأجاز من رآه مطيقا وتعبت قريش للقتال وهم في ثلاثة آلاف فيهم مائتا فارس، فجعلوا على ميمينهم خالد بن الوليد وعلى اليسرة عكرمة بن أبي جهل ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه الى أبي دجانة سماك ابن خرشة وكان شجاعا بطلا يختال عند الحرب ثم قاتل المسلمون قتالا شديدا وكان شعار المسلمين يومئذ « أمت أمت » وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار فانهمزوا وولوا مدبرين حتى انتهوا الى نسايمهم فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه وقالوا : يا قوم، الغنيمة الغنيمة ! فذكروهم أميرهم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسمعوا فظنوا أن ليس للمشركين رجعة فذهبوا في طلب الغنيمة وأخلوا الثغر وكر فرسان المشركين فوجدوا الثغر قد خلا من الرماة بغازوا منه وتمكنوا حتى أقبل آخروهم فأحاطوا بالمسلمين فأكرم الله بعضهم بالشهادة وهم سبعون وولى الصحابة وخلص المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرحوا وجهه وكسروا ربايته - إحدى أسنانه التي بعد الثنيتين الأماميتين - اليمنى وكانت السفلى وهشموا البيضة على رأسه ورموه بالحجارة حتى وقع لشقه وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين فأخذ على بيده واحتضنه طلحة بن عبيد الله وقتل مصعب بن عمير بين يديه فدفع اللواء الى علي بن أبي طالب ونسبت^(١) حلقتان من حلق^(٢) المغفر في وجهه فاتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما فسقطت^(٣) ثناياه من شدة غوصهما في وجهه وامتنص مالك بن سنان - والد أبي سعيد الخدري - الدم من وجته وأدركه المشركون يريدون ما الله حائل بينهم وبينه فحال دونه نفر من المسلمين نحو عشرة حتى قتلوا ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم^(٤) عنه، وترس أبو دجانة بظهره عليه والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك، وصرخ الشيطان بأعلى صوته أن محمدا قد قتل ووقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين وفر أكثرهم وكان أمر الله قدرا مقدورا، ومرة أنس بن

(١) غلقت . (٢) زرد ينسج على قدر الرأس يابس تحت القلنسوة . (٣) الناي الأستان

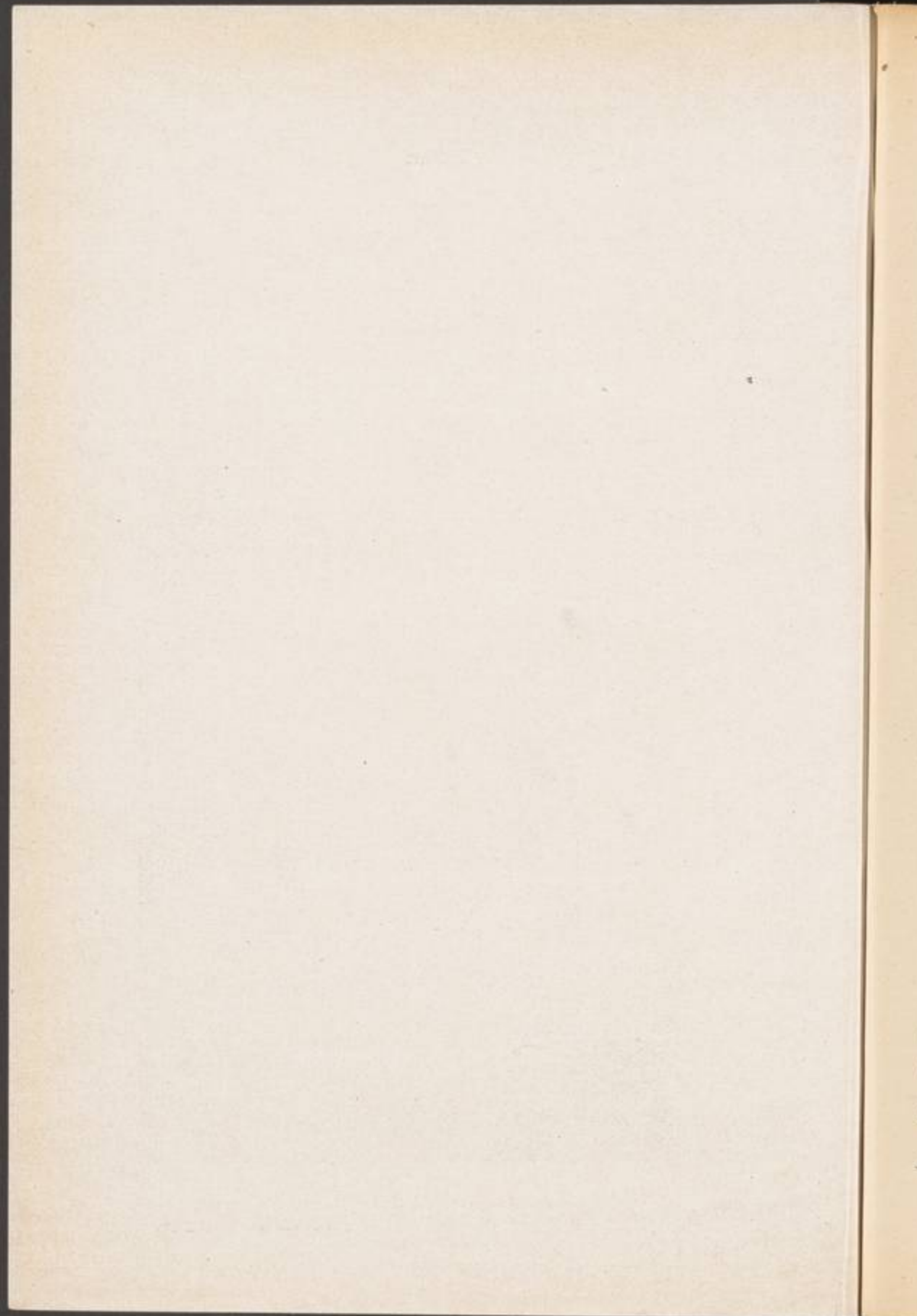
الأربع التي في مقدم الفم تذان فوق وثنان تحت . (٤) نحاهم عنه .

النضر بقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم فقال ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل الناس ولقي سعد بن معاذ فقال يا سعد! إني لأجد ريح الجنة من دون أحد فقاتل حتى قتل ووجد به سبعون ضربة وجرح حينئذ عبد الرحمن بن عوف نحواً من عشرين جراحة، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو المسلمين وكان أول من عرفه تحت المغفر كعب بن مالك فصاح بأعلى صوته يا معشر المسلمين! أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار بيده أن اسكت، واجتمع إليه المسلمون ونهضوا معه إلى الشعب الذي نزل فيه فلما امتدوا إلى الجبل أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن خلف على جواد له يقال له (العود) كان يعلفه بمكة ويقول أقتل عليه محمداً، فلما اقترب منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة فطعنه بها بغاءت في رقوته فمكروا منهزماً وأيقن أنه مقتول بذلك الجرح فمات منه في طريق سرف مرجعه إلى مكة .

وقد أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلو صخرة هنالك فلم يستطع لما به بفلس طلحة تحته حتى صعدها وحانت الصلاة فصلى بهم جالساً، وصار ذلك اليوم تحت لواء الأنصار .

وقتل المسلمون حامل لواء المشركين فرفعتهم لهم عمرة بنت علقمة الحارثية فاجتمعوا إليه .

ولما انقضت الحرب أشرف أبو سفيان على الجبل فنادى أفيكم عهد أفيكم ابن أبي خافة أفيكم عمر بن الخطاب فلم يجيبوه فقال لقومه: أما هؤلاء فقد كفيتهم، فلم يملك عمر نفسه وقال: يا عبد الله ان الذين ذكرتهم أحياء وقد أبق الله لك ما يسوءك، وإنما سألت عن هؤلاء الثلاثة لعلمهم وعلم قومهم بأن قيام الإسلام بهم ثم قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال، فأجابه عمر وقال: لا سواء . قتلتنا في الجنة وقتلناكم في النار وكان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص اختبر الله عز وجل به المؤمنين وأظهر به المنافقين ممن كان يظهر الإسلام بلسانه وهو مستخف بالكفر



جبل السلا



138. A view of the Mountain of Salâ.

جبل السلا

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود



الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود

139. Al-Liwa Ibrahim Pasha Rifaat and Ibrahim Eff. Hamdy El Kharboully on Sele'i Hills at Medina.

(وَلِيْمَحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَحَقِّقَ الْكَافِرِينَ) فاكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته، وكان مما نزل من القرآن في يوم أحد ستون آية أوها (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) الى آخر القصة . ولنعد الى حديث الزيارة .

في يوم الخميس ٢٠ المحرم سنة ١٣١٩ هـ . عزمنا على زيارة الشهداء بأحد ورؤية ما هناك من الأبنية فسلكنا طريقا في شمالي المدينة الغربي رمليا سهلا، عن يمينه وشماله حدائق ومزارع بها النخيل والليمون وكثير من الخضراوات وفيها العيون والآبار والسواقي ولكن أكثرها مهمل قد ملأته الرياح بالأتربة، ورأينا على يسارنا « قبة السبق » ويقال إنها في المكان الذي كان الصحابة يتسابقون فيه بجيهم وترها في (الرسم ١٣٧) وعلى الميسرة أيضا مسجد ذو قبتين يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس في مكانه الدرع يوم أحد وهذا لا يتفق مع ما أسلفنا لك من أنه لبس لأمته بيته وأنه ظاهر بين درعين في الشعب من جبل أحد صبيحة القتال ، وبالطريق مسجد آخر زعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم استراح بمكانه مرجعه من أحد ويجواره علامة — ادعوا أنها على موضع ظهره صلى الله عليه وسلم :

والدعاوى اذا لم تقيموا عليها « بينات أبناؤها أديعاء

وقد مررنا بجبل سلع بعد مسير ثلاث الساعة، وفي المحرم سنة ١٣٢٦ هـ . زرت هذا الجبل مع الشيخ ابراهيم حمدي خربوطي أمين مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بك وقد وجدنا في الجبل كتابة كوفية خطت بالنحت نصها كما أملاه على رفيق «أمسى وأصبح عمر وأبو بكر يشكوان الى الله من كل ما يكره» وترى في (الرسم ١٣٨) شكل الكتابة التي تحققنا صحتها من حضرة الأستاذ يوسف افندي أحمد الأثرى بوزارة الأوقاف عند تقديم الرسم اليه في ١٧ مايو سنة ١٩٢٤ م .

وكذلك مكتوب في الجبل « يقبل الله عمر — الله يعامل عمر بالمغفرة » وترى في (الرسم ١٣٩) صورتي مع صورة رفيق ونحن جالسون على جبل سلع، وكان

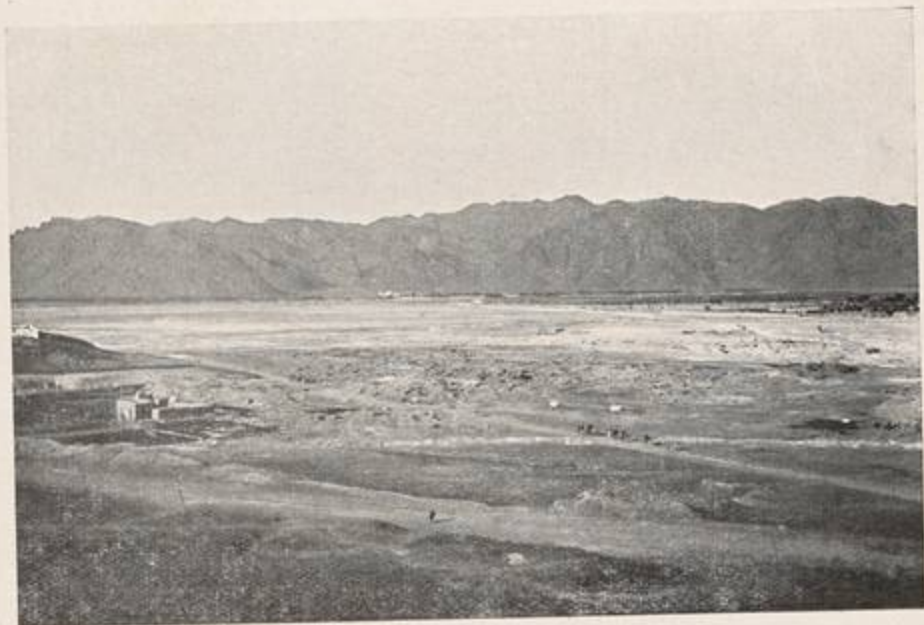
الجبل على يسارنا ثم تركناه وانعطفنا نحو اليمين فكان الجبل وراء ظهورنا وأحد أمام عيوننا وقد بلغناه بعد مسيرة ثلاثي ساعة من المدينة أنظر (الرسم ١٤٠) وترى في وسطه مسجد سيدنا حمزة والبساتين في شماليه وجنوبيه والطرق الى المدينة ، والحفر التي تراها بالرسم موضع أخذ النورة التي يصنع منها الآجر .

مسجد سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم النبي

صلى الله عليه وسلم وشهيد أحد

هو مسجد محكم البناء خال من الزخارف به قبة فوق مقصورة حمزة التي أسدل عليها ستر مقصب هو في الأصل من ستارة باب الكعبة التي تصنعها مصر وقد كتب في هذا الستر من إحدى نواحيه - بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكْتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾ ومن ناحية أخرى - بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أنظر (الرسم ١٣٤) ، وترى شكل المقصورة في (الرسم ١٤١) الذي أخذه حضرة محمد افندي على سعودى في حجته معنا سنة ١٣٢٥ هـ . والجالسون من اليمين الى اليسار هم شيخ الضريح فسعودى افندى فأمر الحج فابراهيم افندى حمدى أمين مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بك ، وترى في (الرسم ١٤٢) المسجد على الميسرة وأمامه صهريجان متقنا البناء لهما بابان من الحديد يملآن من مياه الغدير الذى يبعد عن المدينة بنحو أربع ساعات ، ويصل الماء من الغدير اليهما فى قناة مبنية تشبه مجرى عين زبيدة والذى بناهما على بك كبير حجة الساطران عبد الحميد ، وتراهما فى الرسم على يمين المسجد فوقهما شبابيك ظاهرة والقسم الأقر من البناء الذى بعد النخلة مسكن لخادم المصرع ، والقسم الثانى منه المرتفع المبانى أقيم فوق المكان الذى استشهد به سيدنا حمزة ودفن به الى عام نيف وثلاثمائة ثم أتى سليل جارف من جهة الطائف فكشف عن ساقيه فنقل الى الربوة التى بنى عليها مسجده الذى تراه فى (الرسم ١٤٣) ولكن جاء فى كثير من كتب السير أن حمزة قتل تحت جبل الرماة

بين جبل سلع الى جبل اجد



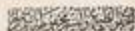
140. A view of the road from Gebel Salà to Ohod in Medina.

صحيفة ٣٩٠

منظر خروج سيدنا حمزة



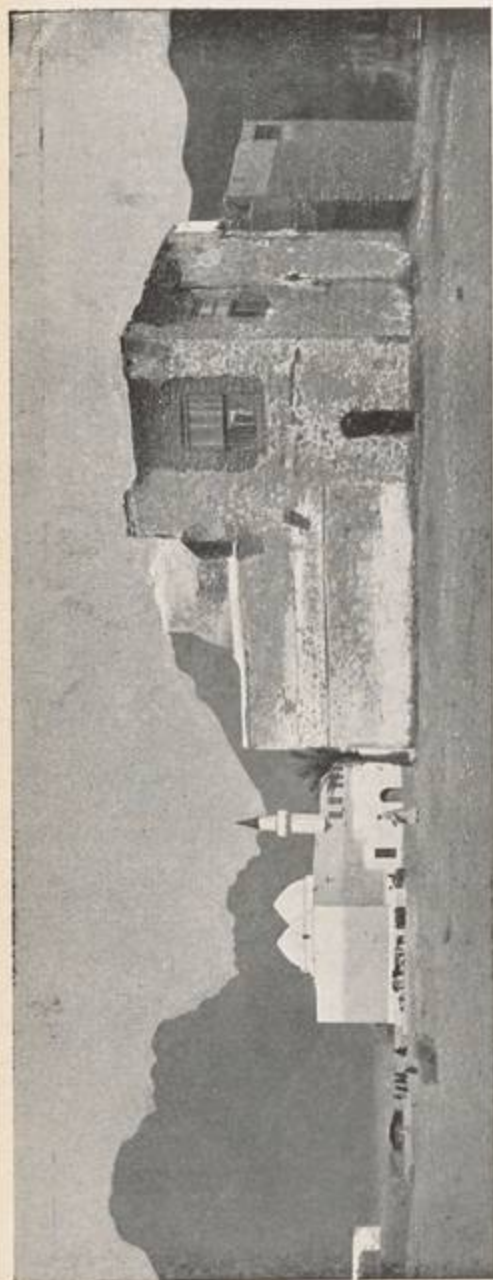
141. The Mausoleum of Sayyedna Hamza, the uncle of the Prophet Mohamed in Ohod at Medina.



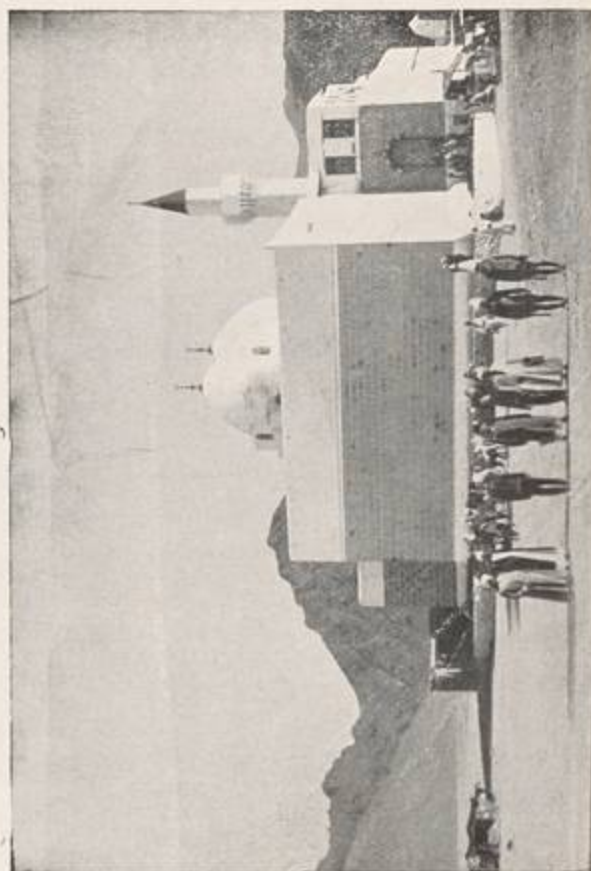
• 112

oleum

منظر مسجد وشهدية حمزة بن عبدالمطلب في مكة المكرمة



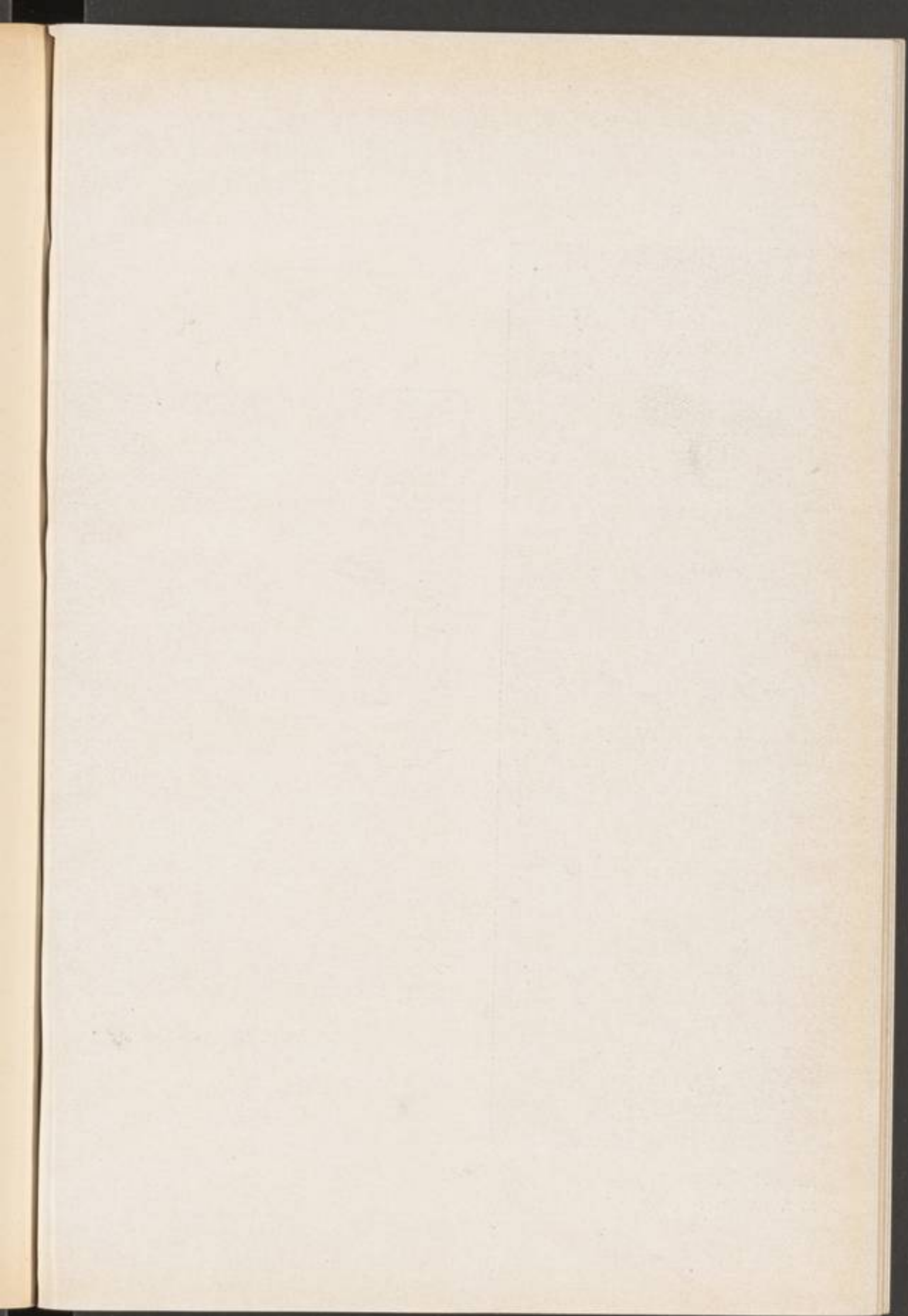
منظر جبل احد وبيت شريك ومسجد سيدنا حمزة



منظر جبل احد وبيت شريك ومسجد سيدنا حمزة

143. View of Mount Uhud with the mausoleum and Mosque of Hamza

142. The Mosque and place of Martyrdom of Hamza, the uncle of the Prophet Mohamed, in Ohod at Medina



وهو جبل عينين وإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر به فنقل عن بطن الوادى الى ربوة هنالك فالمدفن غير المصرع ، والربوة نقل اليها وقت الغزوة وقد تكون الربوة التى نقل اليها بعد القرن الثالث ربوة أخرى هى التى عليها المسجد الآن والله بالحقيقة خير وتجد فى المصرع ضريحاً كتبت عليه الأبيات الآتية المتضمنة لعارة زامر باشا .

أعظم بمشهد ليث الله حمزة من * بيوم أحد لخير الخلق قد نصرا
وفل فيه جيوش الشرك فأنهزمت * وباع لله نفسا والجنان شرى
فيا له مشهد يزهو بروتقه * حسنا ويزرى بهاه الشمس والقمر
قد فاز زامر باشا حين عمره * بأعظم الأجر والمولى له شكرا
وقال يمن له وفى يؤرخه * بجنب أكرم عم قد بنى أثرا

سنة ١٢٨٧ هـ

وهناك لوحة أخرى تضمنت تاريخ عمارة سليم بك سنة ١٢٦٥ هـ . وهالك نصها :
مسجد حاز كل نغور وسؤدد * وبدا نوره الى العرش يصعد
فيه صلى النبي بالصحب صباحا * وسما إذ غدا لحمزة مشهد
مسجد منه روح خير شهيد * رجعت بالرضا لفوز مؤبد
وبه بقعة حوته ونفس * اطمأنت بجنة وبتقعد
أسد الله عم طه المرجى * من أتاه لاشك بالخير يرفد
سيد الشافعين حمزة ترى * من يكشف الكروب قد صار يقصد
هو ذخير الورى لكل ملم * من به لاذ فى البرية يسعد
هو بحر يفيض برا وجودا * من رجاه أنا له خير مقصد
وهو للنجى به خير حصن * وهو درع لخائف جاء ملهد
هو منجى الغريق هادى الحيارى * فيه الله كم أغاث وأنجد
مسجد الزاية الشريفة هذا * للذى شاده قصور تشيد

ويوم التمام أترخه البرى * بيت يفوق درا منضد
ياله مشهد بهى تسامى * قد بناه سليم بك وجدد

سنة ١٢٦٥ هـ

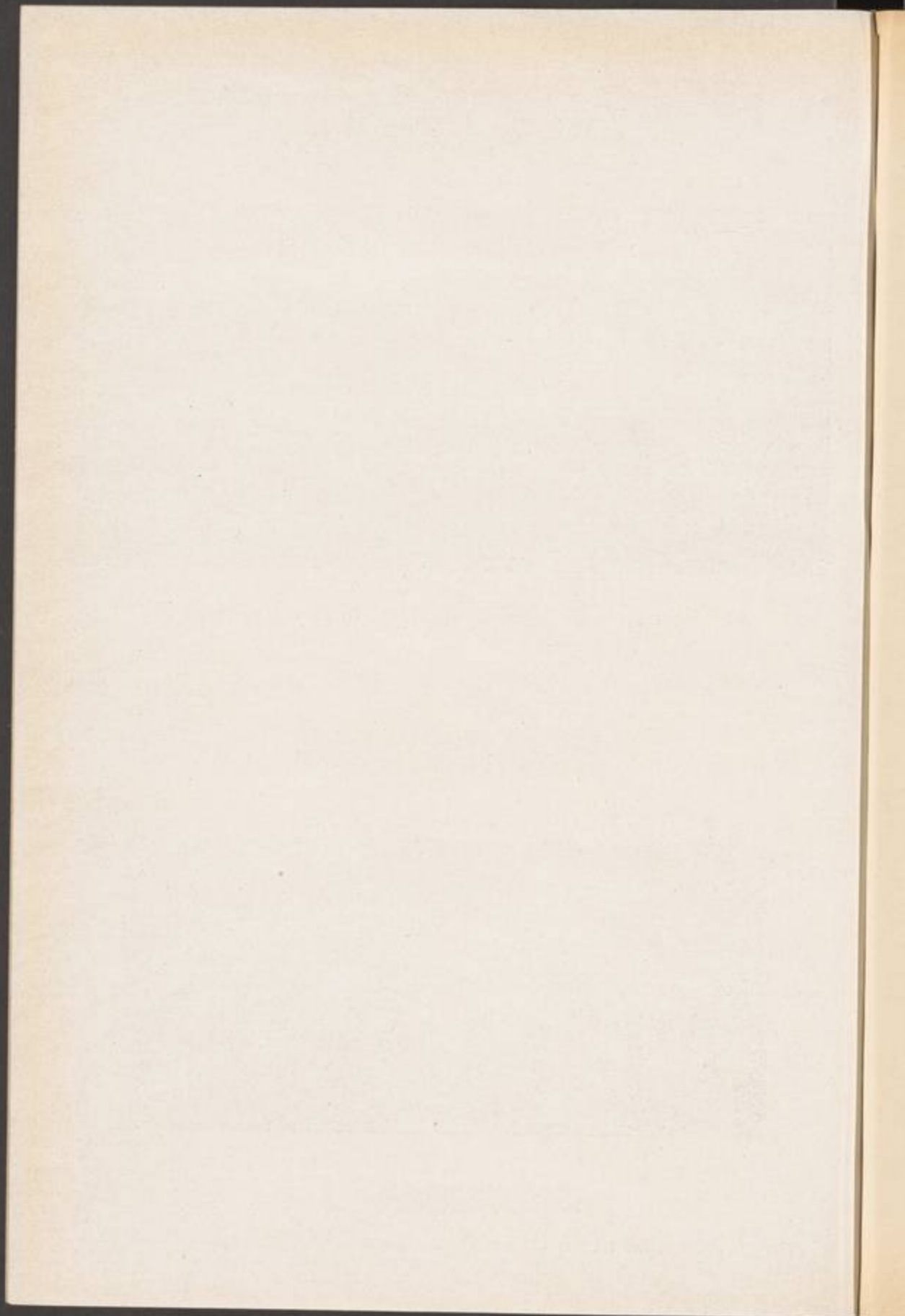
وإني لتأخذنى رعدة ساعة أقرأ هذه الأبيات التى تضمنت الشرك الصراح وإذا كان
حمزة ذخر الورى لكل ملم كما يقول هذا الشاعر الأحمق فما الذى بقى لله تعالى شأنه
اللهم إن الجهل قد طبق على قلوب الناس وعموا عن دينه وتغالوا فى تقديس الأشخاص
حتى أسندوا لهم ما هو لله وحده، فاللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من
لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، وتجد مكتوبا فى لوحة على القبر الذى بالمسجد هذين

البيتين

قف على أبوابنا فى كل ضيق * واطب الحاجات وابشر بالمنى

غمانا ملجأ للطالين * وبناتجلى الكروب والعنا

وكذب على حمزة من قال هذا الشعر بلسانه ونسب اليه ما لا يليق بإسلامه ولا يتفق
مع مقامه وهل حمزة المؤمن الموحد يدعو الناس الى دعائه من دون الله فى المضايق
ويزعم أنه يرفع عنهم الضر والكروب وقد سمع قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ
إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ الْأَرْضَ أَكْفَاءً ۗ اللَّهُ مَعَ الَّذِينَ قَالُوا مَا تَدْكُرُونَ ﴾
وهل يرضى أن يكون دون المشركين الذين اعترفوا بأن الله يبيح وحده ولا يجار عليه
قال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ اللهم إن حمزة براء مما قاله بعض الجاهلين على لسانه
ظانا أنه قرابة اليه وإن حمزة إذا كان يسره شيء منا فإنا هو أتباعنا لكتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم وأن تلجأ فى السراء والضراء الى الله وحده ﴿ ذَلِكَ الَّذِينَ
الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ومن بنى مسجد حمزة أم الخليفة الناصر العباسى
فى سنة ٥٩٠ هـ . وزاد فيه الأشرف قايتباى زيادة فى جهته الغربية وكان من ضمنها
بئر فى غربى المسجد وأقام بيوت خلاء وحفر بئرا هناك يرتفق بها المسارة واتخذ لها
درجا وذلك كله فى سنة ٨٩٣ هـ . على يد شاهين الجمالى، وفى شمالى المسجد مقبرة

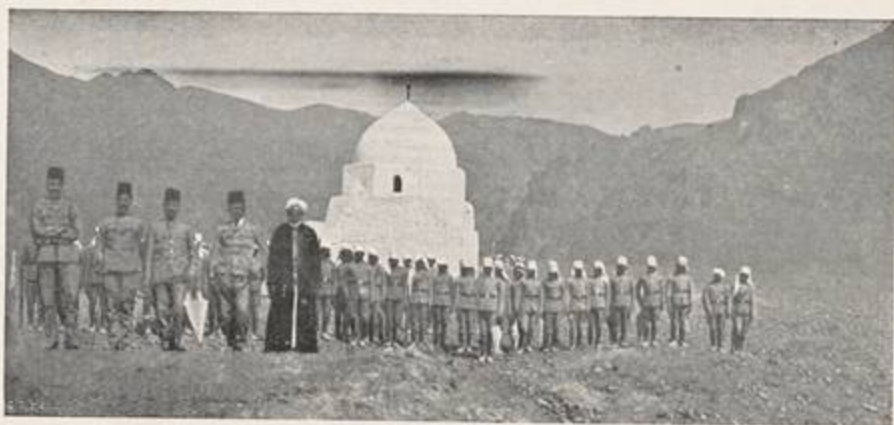


منظر قبة الثنايا بجبل احد بالمدينة المنورة



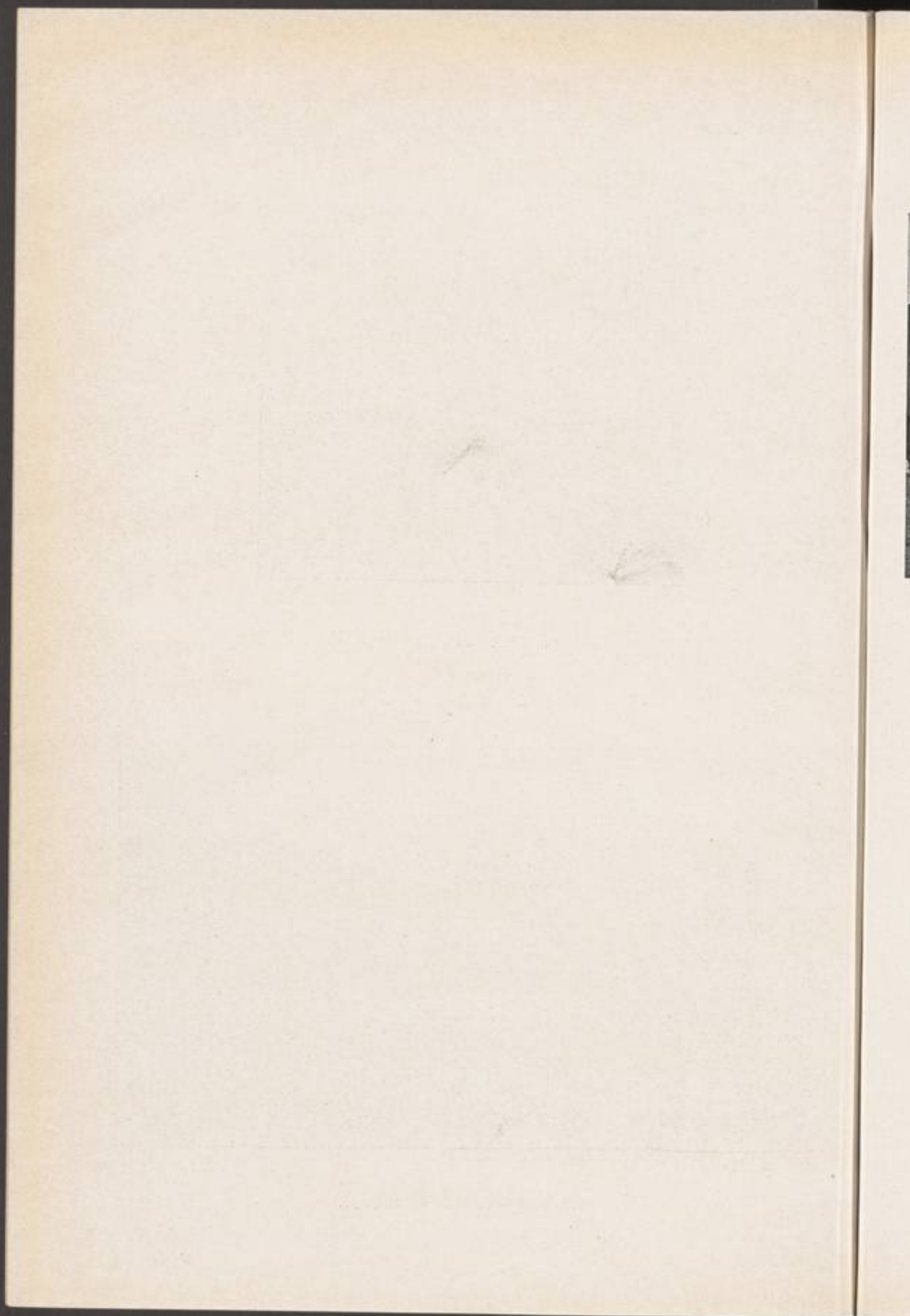
144. The dome of Ef Thanaya in the neighbourhood of Ohod at Medina.

سَمْرَقِيَّةُ الثَّنَايَا بِجَبَلِ أَحَدٍ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ



سَمْرَقِيَّةُ الثَّنَايَا بِجَبَلِ أَحَدٍ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

145. A photo of the soldiers and officers near the dome of El Thanaya in Gebel Ohod.



منظر من جبل احد سنة ١٣٢١

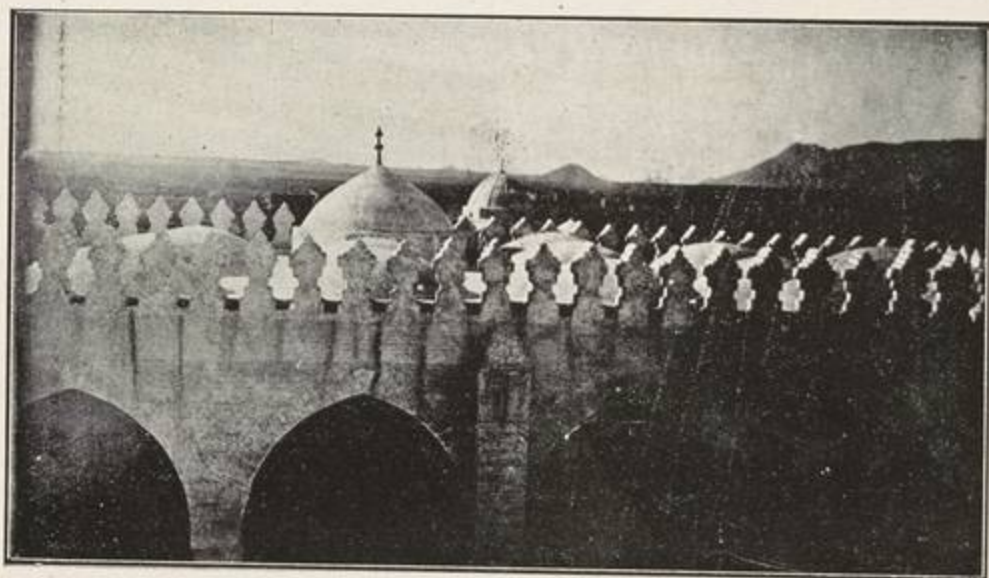


سجفة ٣٩٧

146. A view from Ohod Mountain in 1321.

داخل مسجد قبا سنة ١٣٢٥

داخل مسجد قبا سنة ١٣٢٥



سجفة ٣٩٧

147. Holy Mosque of Koba at Medina.

شهد أحد وعلى بابها حجر منقوش عليه تاريخ بنائها في سنة ٢٧٥ هـ . ويجاور المقبرة عين تسمى عين الثنايا مأوها عذب وينزل إليها بسلم منتظم ، وهناك قبة الثنايا التي تراها في (الرسم ١٤٤) والسيدات المرافقات للحمل واقفات دونها وفي (الرسم ١٤٥) ترى جنودنا مصطفىا عندها ومعه الشيخ محمد تحه - المرشد للآثار - واليوزباشي محمود رياض وضابط آخر ويقال إن هذه القبة في المكان الذي كسرت فيه ثناياه صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد ، ولا مستند لمن زعم ذلك وإنما هو إشاعة بين أهل المدينة . وهناك أيضا مصلى صغير مقاسه أربعة أمتار في ثلاثة يقولون إنه في موضع إصابة حمزة ولكن لم يثبت ذلك في أثر ، وبين هذا المصلى والمصرع قريب من ثمانين مترا ، ويجوار المصرع الذي قدمنا لك ذكره بئر مالحة عمقها نحو ١٥ مترا ، وعلى بعد ٤٠٠ متر من المصرع جبل أحد وهو أحمر اللون كثير الرءوس أنظر جبل أحد في (الرسوم ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٦) ويقابل أحدا من الجهة الأخرى جبل عينين والودى بينهما ، وقد شاهدت به محلا يقولون إنه الذي جلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد هزيمة أصحابه في أحد والله أعلم حيث جلس رسوله . ويلصق الجبل مسجد الفسح يزعمون أن في مكانه نزل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فانشُرُوا يَرَفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ قال السيد نور الدين علي بن عبد الله في كتابه « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » بعد ذكر أن الآية نزلت فيه : ولم أقف على أصل لذلك وأقول أن سبب النزول يدل على أنها لم تنزل في هذا المكان إذ جاء عن مقاتل أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم في الصفة وفي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، بغناء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير أهل بدر : قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذي قاموا بين يديه

من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من المجلس وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فقال المنافقون للساميين : أستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء قوم أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم أقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم فأزل الله تعالى الآية السابقة فالرسول صلى الله عليه وسلم وقت الحادثة التي فيها نزلت الآية لم يكن بأحد وإنما كان بالصفة بجوار مسجده صلى الله عليه وسلم في المدينة ، ولكن المرتزقين من أهل مكة والمدينة مجتدون في اختلاق آثار نبوية ليستدرروا بها أموال العامة والعاملة أتباع كل ناعق .

زيارة مسجد قباء

قال تعالى في سورة التوبة ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ أَمَّنْ أُسِّسَ بِنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مِنْ أُسِّسَ بِنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جَرِيفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لَا يَزَالُ بِنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

قال الحافظ بن حجر في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخارى : اختلف في المراد بقوله تعالى : ﴿ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ فالجمهور على أن المراد مسجد قباء وهو ظاهر الآية ، وتقدم في فضل المسجد النبوى حديث أبى سعيد الخدرى — عند مسلم — أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال : هو مسجدكم هذا ، وفي رواية لآحمد والترمذى عنه اختلف رجلان في المسجد الذى أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد المدينة

(١) ترقبا . (٢) شفا كل شىء . - حرفه ، والجرف ما تجرفه السيول وأكلته من الأرض ، والجار : الساقط . (٣) شكاً وثقافاً .

فسألاه عن ذلك فقال : هو هذا وفي ذلك — يعنى مسجد قباء — خير كثير، وقدمنا أيضا الجمع بأن كلا من المسجدين أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه وأنهما المراد من الآية، وان السرفى اقتصره صلى الله عليه وسلم على ذكر مسجد المدينة دفع توهم اختصاص ذلك بمسجد قباء اه .

وروى البيهقي في الدلائل عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ هم أناس من الأنصار ابنتوا مسجدا فقال لهم أبو عامر ابنوا مسجدكم واستعدتوا بما استطعتم من قوة فإني ذاهب الى قيصر ملك الروم فأتى يجند من الروم فأخرج محدا وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنا فرغنا من بناء مسجدنا فنجب أن تصلى فيه وتدعو بالبركة فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ — انخ وهذا المسجد لا أثره الآن بل دثر من زمن بعيد .

لما سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يخرجون كل يوم الى الحرة^(١) أول النهار فينتظرونه فما يردهم إلا حر الشمس فبعد أن رجعوا يوما أو في رجل من اليهود على أطم^(٢) من أطامهم لأمر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين^(٣) فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته يا بنى قيلة — يعنى الأنصار — هذا جدكم — حظكم — الذى كنتم تنتظرونه ، فنار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف بقاء على كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس وكان له مربد — الموضع الذى يسط فيه التمر ليبس — فأخذه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسسه وبناه مسجدا ، وكان يعمل فيه بنفسه ولم يزل يزوره صلى الله عليه وسلم ويصلى فيه أهل قباء ، وكان يؤمهم فيه معاذ بن جبل ، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تزل الصحابة تزوره وتعظمه ، وفى صحيح البخارى كان سالم مولى أبى حذيفة رضى الله تعالى عنهما يؤم المهاجرين الأولين من أصحاب النبي صلى الله

(١) الحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . (٢) الأطم بضمه وبضتين القصر وكل بيت مربع مسطح وكل حصن مبنى بحجارة . (٣) لابسين ثيابا بيضا .

عليه وسلم في مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر ، ولما تولى عبد الملك بن مروان زاد فيه ، ولما بنى عمر بن عبد العزيز مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قباء ووسعه وبناه بالحجارة والجص وأقام فيه الأساطين من الحجارة في جوفها عمد الحديد والرصاص ونقشه بالفسيفساء وعمل له مغارة وسقفه بالساج وجعله أروقة — بواكي — وفي وسطه رحبة ، وتهدم على طول الزمان حتى جدد عمارته جمال الدين الأصفهاني وزير « بنى زنكي » ببلاد الموصل وذلك في سنة ٥٥٥ هـ . وجدّد أيضا في سنة ٦٧١ هـ . وعمر بعضه الناصر بن قلاوون سنة ٧٣٣ هـ . وجدّد غالب سقفه الأشرف برسباي سنة ٥٨٤٠ هـ . وسقطت منارته سنة ٥٨٧٧ هـ . تجددت في سنة ٥٨٨١ هـ . وكذلك جدد بعض جدره وسقفه وأنشئ اذ ذلك سبيل وبركة قبالة المسجد ، وقد عمر عدة مرات في زمن الدولة العثمانية وآخرها عمارات كانت في مدة السلطان محمود الثاني وابنه السلطان عبد الحميد وتاريخ عمارة الأول مكتوب على حجر فوق باب المسجد .

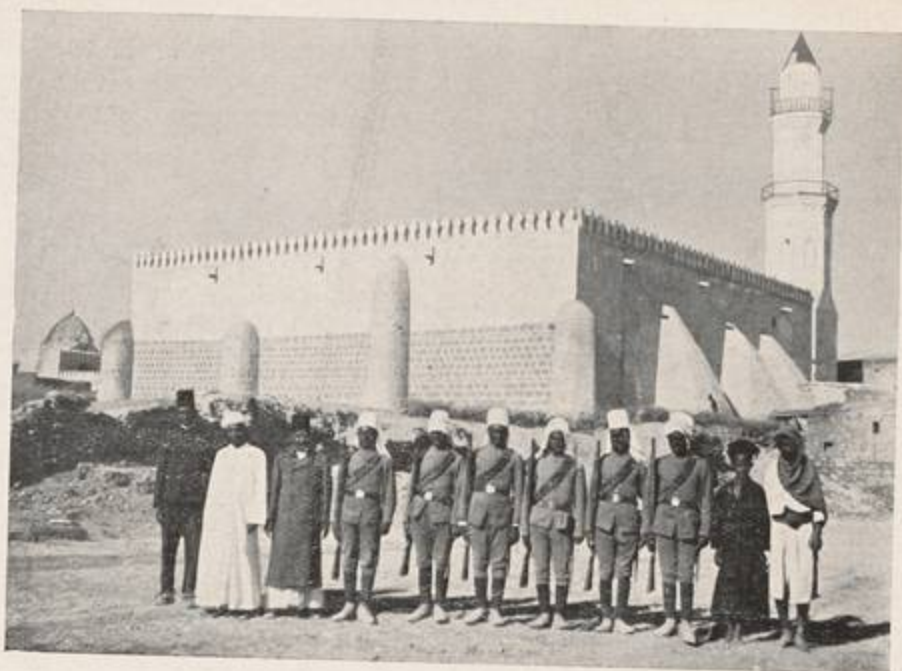
وقد وصفه السيد الشريف علي بن عبيد الله صاحب كتاب « وفاء الوفا » في عصره آخر المائة التاسعة فقال : المسجد سبعة أروقة ثلاثة جهة القبلة في كل رواق سبع أساطين من الشرق الى الغرب ، وفي جهة الشمال رواقان كذلك وفي الشرق رواق وفي الغرب رواق في كل منهما أسطوانتان ، والرحبة بين الأروقة ، وبين الأسطوانة وجارتها سبعة أذرع وجداره البحري طوله ثمانية وستون ذراعا ونصف ، والجنوبي أو القبلي يزيد عن ٧٠ ذراعا ، وطوله من الشمال الى الجنوب تسعة وسبعون ذراعا وأما صحنه أو رحبته فطوله من المشرق الى المغرب واحد وخمسون ذراعا ، وعرضه من الشمال الى الجنوب ستة وعشرون ذراعا وربع ، وطول ذرعه في السماء من أرض المسجد الى سقفه ١٩ ذراعا ، وارتفاعه من الخارج من البلاط الذي في غربيه الى أعلى شراريفه أربعة وعشرون ذراعا ، وارتفاع منارته خمسون ذراعا وقاعدتها مربعة تسعة في تسعة والمسافة بين عتبة باب المسجد النبوي المعروف بباب جبريل وعتبة باب مسجد قباء سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع بذراع اليد أي ٣٥٢٨ متر

1875

1875

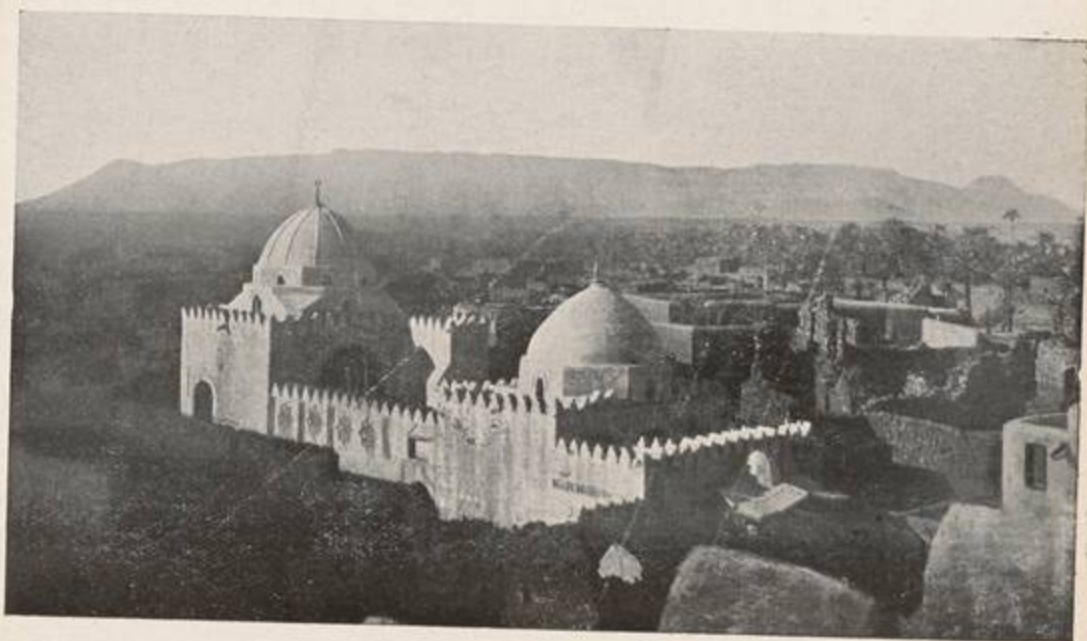
1875
1875
1875
1875
1875

مسجد قبا بالمدينة المنورة



148. A view of the Mosque of Koba in Medina in 1321.

رَبِّهِمْ عَوَّلُوا إِلَىٰ مَلَأَةِ الْأَيْدِي مِنَ جَهَنَّمَ قَبَا



149. The higher parts of Medina as seen from the door of Koba Mosque

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

إذ ذرَع اليَدِ كما حَقَّقناه ٤٩ سَنِيًّا تَقْرِيْبًا أَمَّا الْمَسْجِدُ الْآنَ — سَنَةَ ١٣١٨ هـ . —
فَقَدْ زَرَنَاهُ وَهُوَ فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ لِلْمَدِينَةِ وَقَطَعْنَا الْمَسَافَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْسَكِنَا أَمَّا بَابُ
الْعَنْبَرِيَّةِ فِي ٤٠ دَقِيقَةً بِسِيرِ الْخَيْلِ الْمَعْتَادِ — الْأَشْكَينِ — وَهُوَ مَرَبِعُ الشَّكْلِ ضَلَعُهُ
٤٠ مِترًا وَأَرْتِفَاعُهُ سِتَّةُ أَمْتَارٍ (أَنْظُرِ الْمَسْجِدَ مِنْ دَاخِلِهِ فِي الرَّسْمِ ١٤٧) بِهِ ٢٩ عَمُودًا
وَهِوَ مَبْنِيٌّ بِالْجِجْرِ بِنَاءً مَتَقَانًا دَعَامَاتُ مِنْ الْخَارِجِ لِتَقْوِيَةِ جِدْرِهِ (أَنْظُرِ الرَّسْمَ ١٤٨)
وَالَّذِينَ بِالرَّسْمِ مِنَ الْيَسَارِ الْقَائِمُ مَقَامَ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ رَئِيسِ الْحَرَسِ (قَوْمِنْدَانِ)
فَالْقَاضِلُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَصْطَفَى نَاضِرُ دَارِ الْعُلُومِ مُحَمَّدُ أَفَنْدِي أَبُو السَّعُودِ كَاتِبُ الصَّرَةِ
الْأَوَّلِ فَبِمَضِّ الْعَسْكَرِ فَائِثَانِ مِنْ عَرَبِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَدِيرُونَ
السُّوَاقِيَّ وَذَلِكَ فِي حِجَّةِ سَنَةِ ١٣٢١ هـ . وَهُوَ مَحْرَابٌ وَمِثْدَنَةٌ وَمَنْبَرٌ خَامِيٌّ وَفِيهِ بَيْتٌ
تَنْسَبُ لِأَبِي أَيُّوبِ الْأَنْصَارِيِّ وَيَجُورُ الْبُرْشُجْرَةُ نَبَقٌ وَنَخِيلٌ وَقَطْنٌ قَلِيلٌ ، وَفِيهِ
مِصْبِيٌّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِهِ مَوْضِعٌ يُقَالُ : إِنَّهُ مَبْرُكٌ نَاقَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَأَحْرِيْقَالَ إِنَّهُ نَزَلَ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ
عَلَى الْأَتْقَى الْخِطِّ﴾ وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ ، فَانِ الطَّبْرِيُّ رَوَى عَنِ الزُّهْرِيِّ وَغَيْرِهِ أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ حَتَّى نَزَلَ بِذِي أَوَانَ — بَلَدٌ بَيْنَهُ بَيْنَ
الْمَدِينَةِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ — وَكَانَ أَحْسَابُ مَسْجِدِ الضَّرَارِ أَتَوْهُ وَهُوَ يَتَّجِهُ إِلَى تَبُوكَ
وَرَجُوهَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَقَالَ إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَلَوْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَتَيْنَاكُمْ فَصَلِينَا لَكُمْ
فِيهِ ، فَلَمَّا أَقْفَلَ وَنَزَلَ بِذِي أَوَانَ وَإِنْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي شَأْنِ مَسْجِدِ الضَّرَارِ ، فَدَعَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحَابِيَّيْنِ وَقَالَ لهُمَا : اذْهَبَا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ
فَأَهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ فَفَعَلَا وَحَرَّقَاهُ بِنَارٍ فِي سَعْفٍ — جَرِيدٍ — فَأَيْنَ ذُو أَوَانَ مِنْ هَذَا
الْمَكَانِ بِمَسْجِدِ قَبَاءِ الَّذِي زَعَمُوا نَزُولَ الْآيَاتِ السَّالِفَةِ فِيهِ ، وَفِي الْمَسْجِدِ مَوْضِعٌ يُقَالُ :
إِنَّهُ طَاقَةُ الْكُشْفِ يَزُورُهُ النَّاسُ وَلَا أُدْرَى كُشِفَ أَيْ شَيْءٌ . وَآخِرُ مَدَّةِ تَجَدُّدِ فِيهَا هَذَا
الْمَسْجِدُ سَنَةَ ١٣٤٥ هـ . كَمَا هُوَ مَسْطُورٌ عَلَى حِجْرٍ فَوْقَ بَابِهِ ، وَالْمَسْجِدُ مَفْرُوشٌ
بِالْحَصِيرِ وَأَنْظَفُ مَا يَكُونُ . وَفِي غَرْبِيِّ الْمَسْجِدِ مَسْجِدُ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهِ
قُبَّةٌ تَحْتَهَا مَكَانٌ زَعَمُوا أَنَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي كَانَتْ تَطْحَنُ فِيهِ الشَّعِيرَ ، وَيَجُورُ مَسْجِدُ

فاطمة مسجد الشمس ، أنظر شكاهما في (الرسم ١٤٩) وموقعهما من مسجد قباء في (الرسم ١٥٠) وفي الرسم الأول جبل عير، وفي الشمال الغربي للمسجد على بعد مائتي متر منه بئر أريس وتسمى بئر الخاتم وبئر التفلة وهي داخل حديقة وعمقها ١٢ مترا ، وفي أسفلها فتحتان يجرى منهما الماء الى قاع البئر وفتحة ثالثة تصلها يجرى العين الزرقاء التي يشرب منها أهل المدينة كما سنبينه إن شاء الله تعالى ، وأريس الذي سميت البئر باسمه رجل من اليهود ومعناه بلغة أهل الشام الفلاح ، وتسمى بالخاتم لأن بها وقع خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس ، قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده وفي يد أبي بكر بعده وفي يد عمر بعد أبي بكر ، قال : فلما كان عثمان جالس على بئر أريس فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط قال فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده وكان ذلك بعد ست سنين من خلافته ، وثبت عن ابن عمر في صحيح مسلم أنه سقط من يدي معقيب وهو دوسي من أصحاب المهاجرين ، وفي صحيح البخاري حديث طويل فيه أنه صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر أريس فتوضأ منها وجلس على قفها (المرتفع منها) وكشف عن ساقيه وأدلى بهما في البئر وأن أبا هريرة تبعه اليها وثلثهما أبو بكر وأتى بعده عمر ثم عثمان فتوضأ جميعا منها وجلسوا عليها كما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسمى هذه البئر أيضا بئر التفلة ، ويقولون : أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها فعذب ماؤها بعد أن كان أجاجا ، وقد ذكر الغزالي هذا في إحيائه وقال العراقي مخرج أحاديثه أنه لم يقف على أصل حديث تفلته صلى الله عليه وسلم في بئر أريس . وقد جدد أبو بكر بن أحمد السلامي درجا لهذه البئر ينزل منه الى قاعها من يريد الوضوء أو الشرب وذلك في سنة ٧١٤ هـ . وماء البئر غزير يسير الى بركة داخل الحديقة وهو عذب فرات شديد النظافة ويجزء أن يوضع في الأواني المصنوعة من طين المدينة يبرد كأنه مثلج . ويسقى منها البستان المسمى بستان بئر النبي صلى الله عليه وسلم وقف المرحوم محمد باشا العثماني الصدر الأعظم ، ويتولى إدارته الآن مدير الخزينة الجليلة النبوية ، وفي هذا البستان أنواع من الفواكه

مسجد قبا من الخارج من الشمال والشرق سنة ١٣٢٥



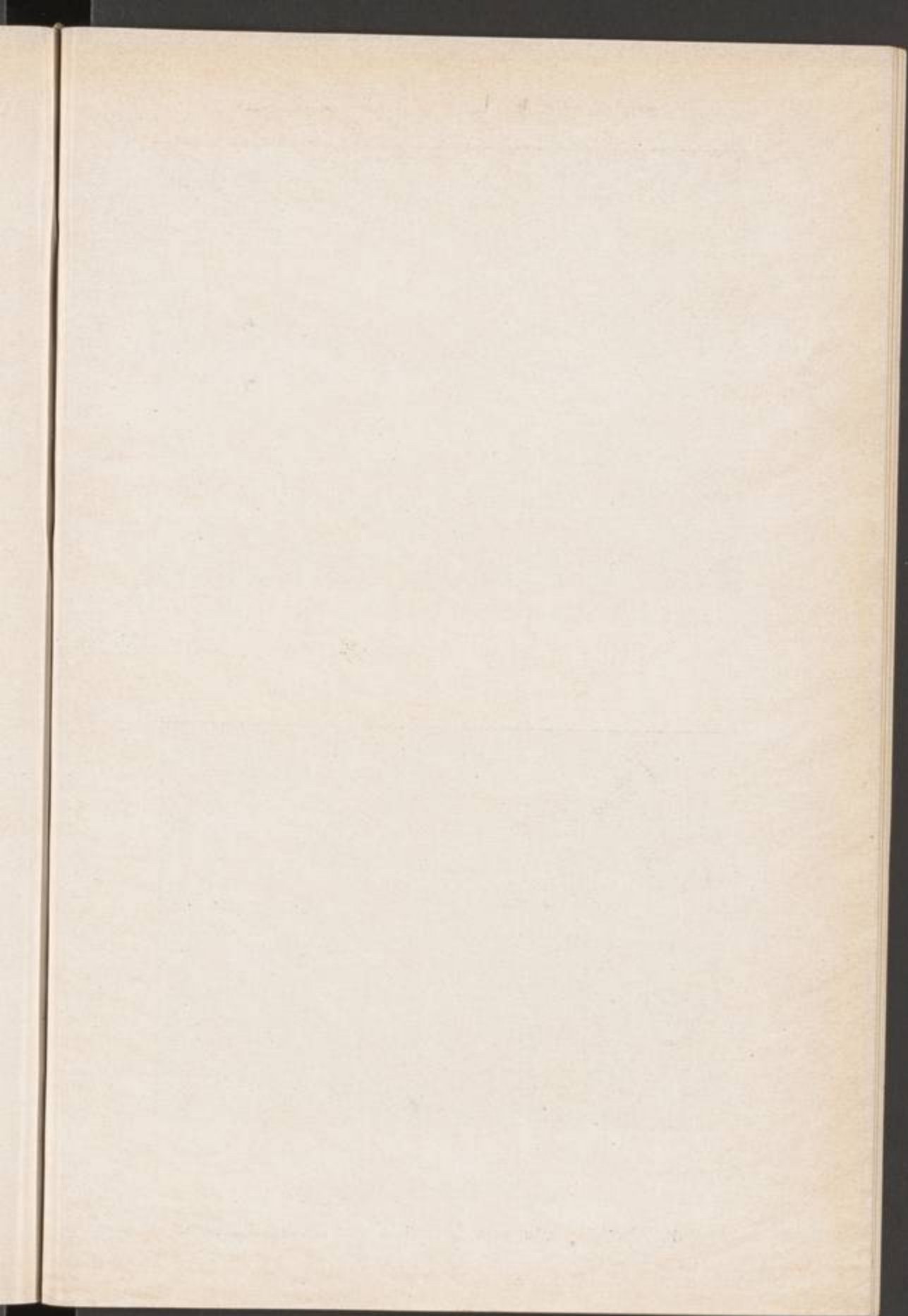
150. Outside view of the Mosque of Koba from the North and East.

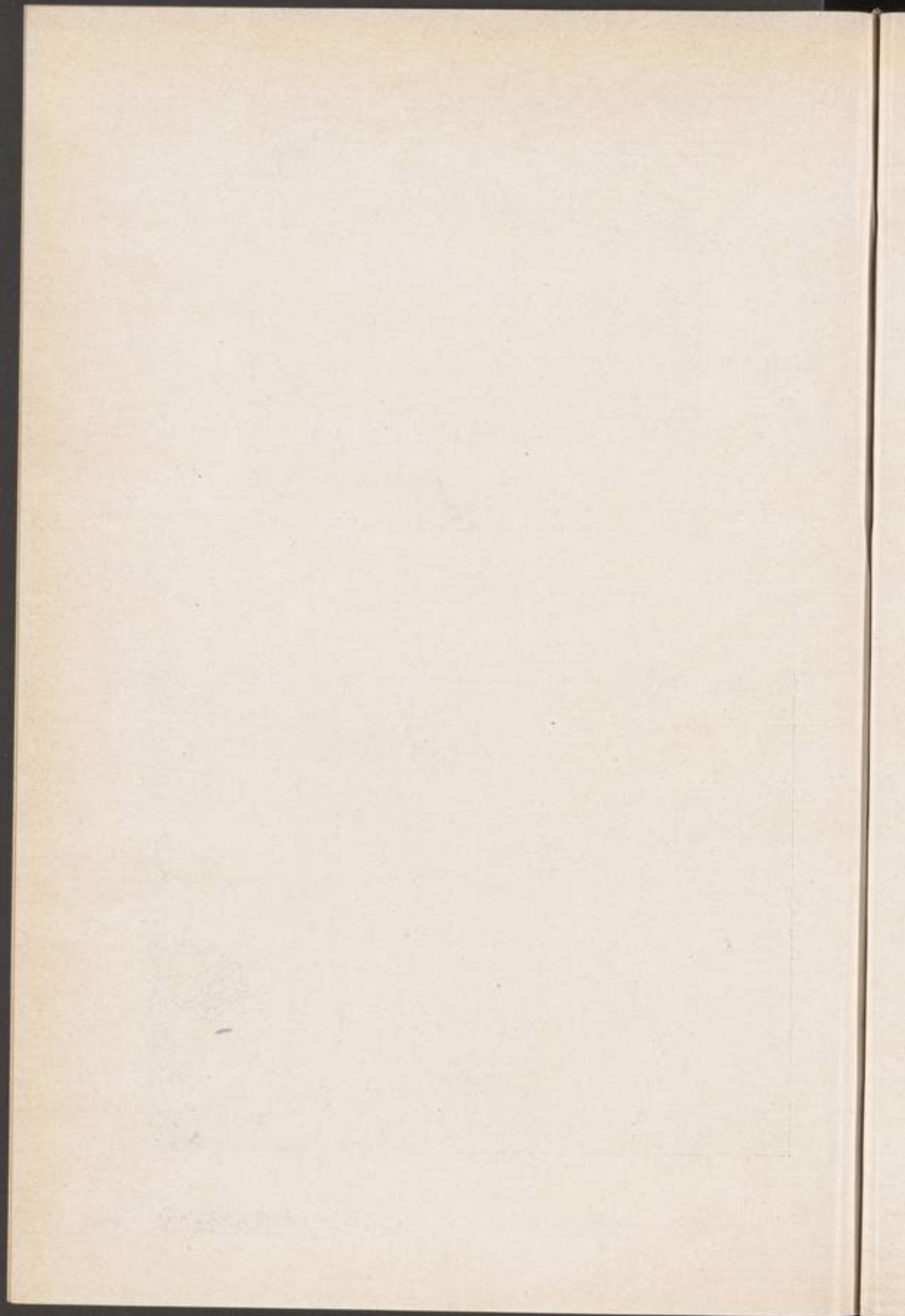
مِنظر خارج المسجد من الشمال والشرق سنة ١٣٢٥



مِنظر توزيع المياه من بئر خاتيم في قبا بالمدينة المنورة

151. Receiving water from El Khatims' well in Koba at Medina.





ساقية بآب المارسة في مكة المكرمة



152. Raising water by means of a Sakia at Medina.

ساقية بآب المارسة في مكة المكرمة



153. A sakia at Bakaih in Medina

ساقية بآب المارسة في مكة المكرمة

والأشجار ويقصده أهل المدينة للقبولة فيه والتروض ، وترى في (الرسم ١٥١) الساقية المقامة على البئر والأبنية التي حوالها والساقية على خلاف المعروف عندنا بل هناك قائمان على البئر وضعت عليهما عارضة فيها بكرتان يتر بكل رشا أن يربطان بطرفي الغرب من جهة، ومن جهة أخرى بحيوان يجزها، فإذا كان الحيوان بجانب البئر كان الغرب قد امتلأ بالماء فيمشى الحيوان الى جهة واحدة طول الرشاء فيكون الغرب بظاهر البئر فيسكب في القناة ثم يرجع الحيوان الى حيث بدأ ، والرشاء أثناء ذلك يتدلى حتى يغترف الغرب من البئر ثانية ثم يستأنف الحيوان السير ثانية وهكذا والحيوان متمر على ذلك فيعرف المبدأ والمنتهى ويتحول بإشارة خفيفة اذا ماسكب الدلو ويسمى كل بكرتين بجلبهما سانية، وقد يكون على البئر سانية وثنتان وثلاث الى ثمان ، ولكل سانية حيوان يجزها قد يكون بعيرا أو ناقة وقد يكون بقرة أو حمارا ، والغرب قربة هي جلد الشاة كاملا وقد تكون دون هذه اذا كان يجزها حمار أو عجل صغير أو ماشا كلهما، أنظر الرسمين (١٥٢ و ١٥٣) والطريق من المدينة الى قباء مخوف لكثرة التخيل به على الخائنين ، فالواجب اتخاذ الرفيق وحمل السلاح اذ هناك أعراب أشقياء يترصدون من ينفر من ركبهم فيسلبونه ماله وربما قتلوه، وقد حدث أن أحد ركب المحمل سار مع صاحب له يودعه فبعد عن المدينة مسيرة ساعة وعند أوبته اصطاده اللصوص وضربوه على صفحة عنقه بعضا ذات رأس كبيرة كروية يسمونها «الدبسة» وسلبوه نقوده وتركوه فلما أفاق رجع اليها مشحوب اللون ومكث يعالج نفسه عشرة أيام حتى عاد الى طبيعته الأولى .

إخراج المحمل من المسجد النبوي وزيارة محافظ المدينة لنا

في يوم السبت ٢٢ المحرم سنة ١٣١٩ هـ . تجعنا بالمسجد النبوي وأخرجنا الكسوة من المقصورة النحاسية كما أدخلناها ووضعناها على المحمل الذي أقله جماله ، وكانت العساكر الشاهانية والمصرية مصطفة صفين خارج باب السلام ومعهم الموسيقيان تعزفان بشجى الألحان وصرنا في موكب من الطريق الذي قدمنا

منه حتى نخرجنا من باب العبرية ، أنظره في (الرم ٢٠٤) فوضعنا المحمل هناك بمسكنا قبالة سرادق الأمير وعينا له من يقوم بحراسته وقد تفضل سعادة الفريق عثمان باشا فريد شيخ المسجد ووالي المدينة وزارنا بنجيمنا فاستقبلناه استقبالا حسنا فاصطف جنودنا صفين على اليمين وعلى الشمال من باب العبرية الى سرادق الأمير ، ولما أن حضر حيي التحية العسكرية وأطلق له ٢١ مدفعا ، وكنت مع الأمير والأمين وضباط الحرس وموظفي المحمل في انتظاره ولبث محضرتنا ثلث الساعة وحيي في وداعه بمثل تحيته في قدومه ، وقد سره حسن اللقاء وكال النظام ، وكال الشاء للضباط والعسكر لما رأى من انتظامهم البديع وزيهم الجميل ، وكان الوالى راكبا في قدومه ورجوعه عربية جميلة المنظر يقودها جوادان فرنجيان ويسوقها وطني وأمامها وخلفها حوالى العشرين من الفرسان غير النظاميين وكان سعادته يرتدى جبة وقباء — قفطانا — من « الصوكيس » الأبيض وعلى رأسه عمامة ذات طربوش تركي وعلى عينيه نظارة ولحيته سوداء وعليه سمي التقوى والوقار وأهل المدينة يحبونه لحسن عمله وعدم طمعه فانه لا يأخذ عن كل حمل يغادر المدينة سوى ريال واحد و (المدعى) يأخذ آخر .

سلطان المكلة والشحر

قبل أن نتكلم على المدينة المنورة ووصفها وآثارها وعلى مسجدها النبوي وصفنا وتاريخنا نذكر كلمة عن سلطان المكلة والشحر الذى رافقنا ركبه في السفر والذى دلنا على علو نفسه وكريم خلقه فعاله الطيبة ، والمكلة والشحر ثغران في جنوبي بلاد العرب على ساحل المحيط الهندى بينهما وبين عدن مسيرة ٢٤ ساعة في الباهرة البحرية .

وباسمهما سميت الولاية التى يسيطر عليها هذا السلطان ويبلغ تعداد سكانها مائتى ألف نسمة وفيها ٦٠٠٠ جندى على ما أخبرنى نجله ولأمر ثلاث بواخر كبيرة تجارية في المحيط الهندى وقد رافقنا (عوض بن عمر القعيطي) سلطان المكلة والشحر

في سفرنا من مكة الى المدينة وكان بصحبته نجله الثاني (عمر بن عوض القعيطي) أما غالب نجله الأكبر فتركه والده بالسلطنة يدير شؤونها مدة غيابه في الحج ، وكان ابن غالب هذا المسمى محمدا بصحبة جده وكذلك كان بصحبته أسرته ووكيله السيد حسين المحضار الشريف وطبيب هندي ونحو ٩٠ جنديا ما بين سودانيين وهنود مسلحين بأسلحة قديمة ذات فتيل وفي بلادهم يحملون البنادق الحديثة من طراز (هنري مارتيني) التي لا تصرح الدولة بدخولها في بلاد العرب مع أني شاهدت مع الأعراب جميع أنواع البنادق الحديثة من سمه (ماركة) مارتيني وفورد ولتفورد الانكليزية ، وسمات أخرى فرنسية ويطليانية وغيرها ، وشاهدت بندقية رصاص دمدم الخ ، وهذه الأسلحة تحضرها اليهم المراكب الشراعية - السنايك - من الثغور البحرية مثل جيبوتي ومصوع وغيرها وتباع لهم بأثمان عالية فلا يقل ثمن البندقية عن عشرة جنيهات إنجليزية ، وأن أحسن هدية تقدمها للعربي السلاح وذخيرته ، وكثيرا ما طلبوا مني الذخائر بواسطة المقوم فلم أجبهم الى ما طلبوا . وجند هذا السلطان يحملون البنادق مشعلة الفتيل دائما ويضعون البارود والرصاص في أوان بعضها فضي وبعضها نحاسي على شكل قرن الحيوان ، وفي وسطهم أحزمة ضخمة وضعوا بها سكاكين صغيرة وكبيرة داخل جرب فضية ذات نقش بديع ومنظر بهيج ويلبسون قميصا واسعا من القطن (بفته) عليه لباس آخر ضيق طويل أبيض يشبه (البنطلون) وعلى رؤسهم العائم البيضاء ذات الحجم الكبير ، وفي أقدامهم النعال أو (المراكيب) وأكثر ما يأكلون الأرز بالخلرطل والحمص واللحوم ولم أرهم قط يأكلون الخضراوات ومما يأكلون يا كل الأمير وأسرته غير أنهم يزيدون على ذلك الحلو كالهريسة والشعرية الفرنجية ، ولباس السلطان كلباس أمراء الهنود وقد أرسل لي نجله وحفيده رسمهما الشمسي مع كتاب يأتي ذكره بعد ، فوجدت لباس النجل كلباس الضابط الانجليزي الفارس الا أنه مقصب كلباس التشريفة الكبرى وعلى الرأس طربوش ، وزى الحفيد كرى أمراء الهند الفرسان وهو مقصب كما أبته وتراهم يتقلدون سيوفهم في الحفلات الرسمية أنظر النجل والحفيد

في الرسمين (١٥٤ و ١٥٥) أما نساؤهم فلباسهن الظاهري ثياب ساترة كل البدن من الفرق الى القدم لا تمثل شيئا من الجسم وما من الثوب أزاء العينين منسوج على هيئة «التنتنة» والحواري الخدم يلبسن فوطا تلف على الجسد من الوسط الى القدم، وفوق ذلك قميص من «الشاش» الأبيض، والرأس والوجه والذراعان مكشوفة .

وفي أثناء سفرنا من مكة الى المدينة كان ركبنا يتأخر في التحميل خصوصا في الأيام التي كما نرحل فيها قبل شروق الشمس وكنا نضطر لانتظارهم بما أنهم أصبحوا منا، فرأيت من الجميل أن أعين لهم قسمين من العسكريين يساعدهم وقت الرحيل فكان ركبهم يسايرنا بلا تأخير .

مساعدة الأمير للفقراء — كنا نجد أثناء السير كثيرا من الحجاج الذين رافقوا المحمل الشامي وانقطعوا عنه في الطريق لضعفهم عن المشى وكنا نجدهم في أراض موحشة ليس معهم زاد ولا ماء فكنا نجعلهم على جمالاتنا عند ما نسقى الخيول ونحفظ الأحمال قياما بواجب الأخوة الإسلامية، ولما بلغ عددهم نحو الأربعين استعظفت الأمير لهم فأمر — أكرمه الله — من فوره بتأجير ٢٠ جملا فاستأجرتها ودفع أجرها في الحال فوزعنا عليها الفقراء لكل جمل فقيران، وكان من جدهم أن المحمل رافقه مائتا جمل وجمل كانت تحمل الأسلاك البرقية وكانت توزعها تباعا في الطريق، فلما أردنا الاستئجار وجدنا فيها العدد الكافي، ولما تكاثرت عديدهم ركب الضعفاء وتناوب الأقوياء حتى وصلنا المدينة بسلام، وقد بلغ المتخلفون خمسة وثمانين غير من وجدناه بالطريق جثة هامدة فواريناه بالثرى بعد التكفين، وقد كان هذا التخلف نتيجة الإسراع في السير، فان المحمل الشامي جد فيه حتى عطب منه في الطريق ما ينيف على مائة جمل رأيناها بأعيننا ولو كانت عنده رحمة بالإنسان والحيوان وسار الهويئا ما تخلف من تخلف ولا عطب ما عطب وفي العجلة الندامة وفي التأني السلامة .

هدايا الأمير لموظفي المحمل — رأى الأمير ما قننا به نحوه من الخدمات الجليلة التي لم يدفعنا إليها الا شعور نفسي وإيمان يقيني زرع في قلوبنا شجرة المودة

عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود



عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود

154. The son of the Sultan of El Mekalla & El Shehr Omar ibn Awad.

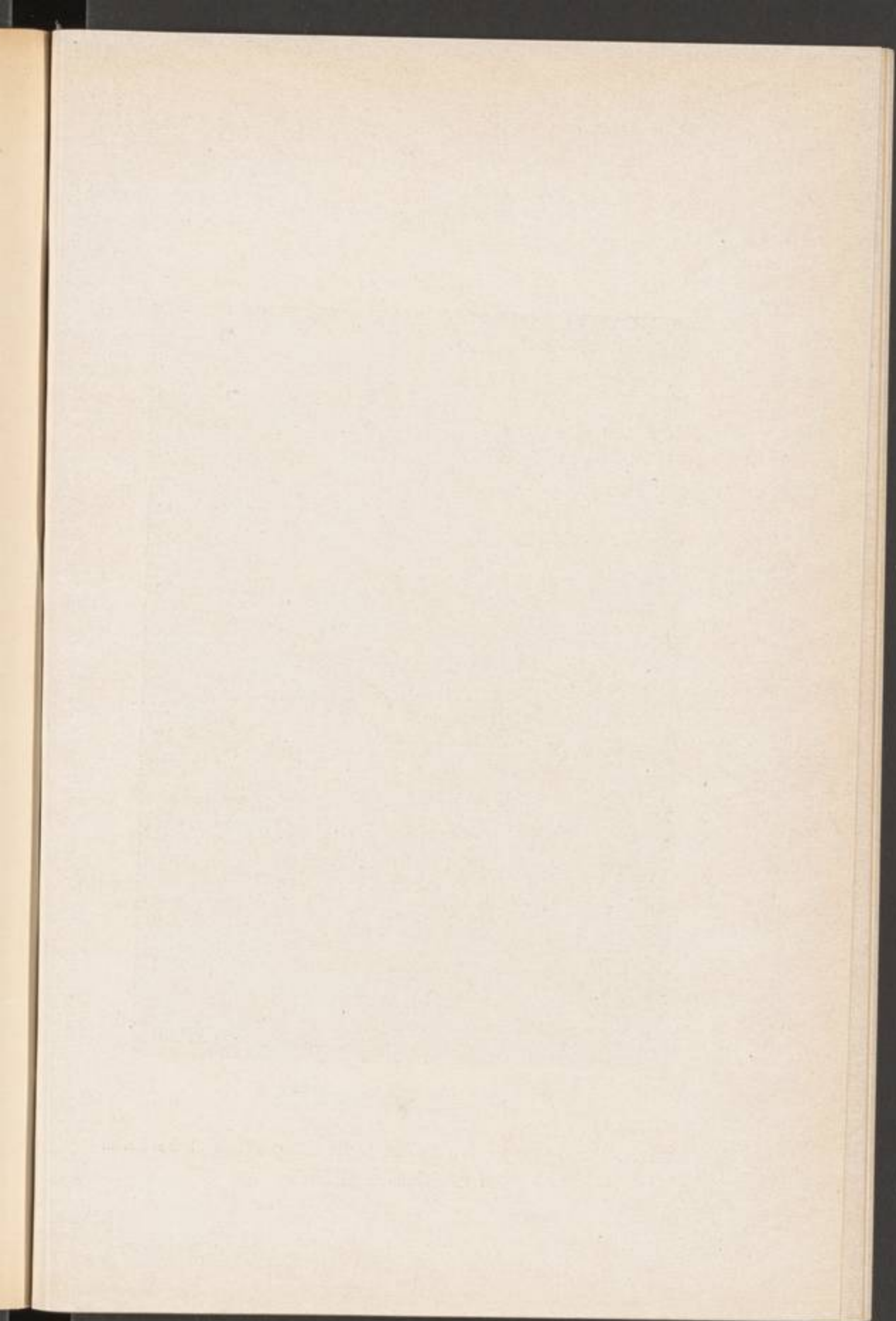
وا
ن
س
ت
ها
قه
لها
ب
ناه
جة
ف
ونا
ات
ودة

محمد بن غالب بن عبد الملك بن عبد العزيز



محمد بن غالب بن عبد الملك بن عبد العزيز

155. Mohamed ibn Ghaleb the son of the Crown Prince of the Sultan
of El Mekalla & El Shehr



والإخاء والمساعدة للغرباء فأبى — أكرمه الله — إلا أن يكافئنا على ما قدمنا
بهدايا قيمة .

فأهدى سيفاً وخاتماً من الماس لأمير الحج اسماعيل باشا صبرى الطويجي .
وأهدى « « « « لرئيس الحرس إبراهيم بك رفعت — صاحب
الرحلة — أنظر السيف في يمين الرسم ٢٤٦

وأهدى ساعة فضية بديعة لرئيس مائة (يوز باشى) الحرس الرجالة عبد الوهاب
حبيب أفندى .

وأهدى علبة دخان من الفضة المسكوفى لضابط الخيالة الملازم الأول
أحمد كامل أفندى .

وأهدى علبة دخان من الفضة المسكوفى لرئيس المائة (يوز باشى) الطبيب
سليمان كامل أفندى .

وأهدى علبة دخان من الفضة المسكوفى للملازم الثانى فى المشاة محمد كامل أفندى .

« ساعة فضية صغيرة لضابط المدفعية الملازم الأول اسماعيل كامل أفندى .

« من النيكل أسبوعية للملازم الأول فى المشاة إبراهيم أحمد أفندى .

« دبوساً ذهبياً

« سوارين صغيرين من الذهب } لكريمات رئيس الحرس إبراهيم بك رفعت

« ٢٥ جنينها « وينتيا » للحرس وزعت عليهم .

وساعة أن ناولنا تلك الهدايا اثنىة أبدى لى سروره السار من المساعدات التى

تقدمنا بها اليه والى صحبه فشكرنا له حسن الرعاية .

الأمير وعرب ينبع البحر — عزم الأمير على السفر من المدينة الى ينبع

حيث البواخر الكثيرة التى تقله هو وحاشيته الى وطنهم ولكن حال دون نفاذ العزم

ما أجمله لك .

لما علم مشايخ ينبع وعربانها وعربان غيرها بوصول الأمير الى المدينة تواردوا

عليه وفوداً كل وفد يريد الاتفاق معه على القيام بمعدات السفر ورواحله ، وكلما اتفق

مع وفد أتى آخر ليفسد على سابقه اتفاقه تارة بالطمع فيه وتارة بنقص الأجر عنه وتارة بتعهده بتقديم رهينة وكلهم لا يبغي من وراء ذلك إلا أن يصاحبه الأمير فينتهب أمواله في الطريق ، وقد تراحت هذه الوفود أمام بيت الأمير كأنما هو حاكم المدينة وأخيرا أشار عليه كبير من كبراء الأشراف أن يوزع على مشايخ الطريق ٢٠٠٠ جنيه ان كانت معه ليسير في أمان واطمئنان وإن لم تكن معه فالأولى به أن يرافق المحمل المصري كما حضر معه ، فلما سمع تلك الإشارة عض بنان الندم على ما بذل من الهدايا النفيسة والمال الوافر لشريف مكة ووالها أُملا في أن يكون مرعى الجانب مشمولاً بجياظتهما حتى يصل الى جدة ولكن خاب فآله ، فكلم محافظ المدينة في أمر سفره ورجاه أن يبعث معه قسما من العسكر الى ينبع أو جدة ويتعهد هو بنفقات السفر ذهابا وإيابا فلم يجبه لأنه محظور عليه أن يبعث العسكر خارج المدينة الى مكان يستغرق السير اليه أكثر من ثلاث ساعات إلا بإذن من الدولة ، ونصح له المحافظ أن يصحب المحمل لأنه خير كفيل بالراحة والأمن فرجع من عنده غير مرتاح النفس مضطرب الرأي فأبرق الى الشريف والوالى أن يأذنا باستصحاب بعض الجند معه من المدينة الى جدة ومكث أسبوعا ينتظر الإجابة فلم تأته فأبرق الى شركة البواخر الخديوية أن تأجره باخرة من الوجه الى جدة ثم عدن ، فلم تفده ويظهر أن الإشارة حجزت في مكتب البرق لأنها لا توافق مشرب الدولة أو أن العمال قصرُوا في تسليمه رد الإشارة كما هو دأبهم ، ويحسن أن نعلم أن الإشارة التي ترسل من المدينة الى مكة ترسل للشام أولا فالسويس فسواكن بغدة فمكة وذلك بواسطة شركة « الايسترن الانكليزية » .

وقد أشرت على الأمير — وكنت أتردد عليه لأتعرّف لأعيب الأعراب واستكشف من كلامهم ما عقدوا عليه القلوب — بأن يصحب المحمل وأن لا يتخذ لذلك بديلا إذ قرأت آيات السوء في وجوه أولئك المتسابقين فاتفق رأيه على ذلك وسار معنا بركبه إلا القليل منه .

وكان الأمير استأجر من مكة الجمال لتقله الى المدينة بغدة ونقدها الأجرة فلما تحوّل عزمه الى ينبع أو الوجه فز الجمالة بما أخذوا وكذلك استأجر بالمدينة جمالا

ودفع أجرة بعضها ففتر أصحابها بما أخذوا ولم يقدموا له شيئا مع أن الشيخ محمدا
أبا حميدى المقدم أشار عليه بأن لا يدفع الأجرة كلها للجلالة بخالف، فكان الفرار وضاع
عليه ما تقد وان كان المقدم تعهد له بسداد ما أخذوا وقدم له ١٤ جملا الى ما أجره
ولم يفر أربابها ولكن ذلك لم يكف ركب، ورغب الجمالة عن المشى بطريق الوجه
فاضطر لقلّة الجمال أن يرسل كثيرا من خدمه وعبيده الى ينبع براجدة بحرا في المراكب
الشراعية، وقد ذكرتني معاملة الأعراب لهذا الأمير بأبيات قالها عالم مغربي في عرب
المجاز لما أن حج في سنة ١٢٧٠ هـ . قال :

من رام أن يلقى تباريح الكرب * فليأت أجلاف العرب
يلقى الجمال والحلال والحشب * والشعر والأوتاد حيثما انقلب
هم أسرق الناس عن أم وأب * وأسمح الناس وأخرى من نهب

ولما سمعت العرب هذه الأبيات همت بقتله ولكن الله عصمه وقد قلبها الى
مدح الشيخ أحمد الجمل من علماء الأزهر فقال :

من رام أن يلقى تباريح الكرب * فليأت أحلاف العرب
يلقى الجمال والحلال والحشب * والشعر والأوتار حيثما انقلب
هم أشرف الناس عن أم وأب * وأسمح الناس وأجزى من يهب

مرتب الأمير وأمنيته — بلغنى أن الأمير يتقاضى من الانكليز مرتبا سنويا
قدره ١٠٥٠٠٠ روبية أى ٧٠٠٠ جنيه انجليزى وذلك نظير موالاته لهم وعدم انتهاكه
لحرمتهم . ولما رأى ابن الأمير نظام جندنا وجمال موسيقانا كمنى فى أن أرسل
اليه جوقة موسيقى وضباطا يعرفون فن المدفعية ليعلموا رجاله ، ولما حضرت مصر
وصلنى منه الكتاب الذى ترى صورته الشمسية فى (الرسم ١٥٦) وتعرف منه لغتهم
ومبلغ اللغة العربية من أستاذهم ، واستجزى فى هذا الكتاب ما طلبه ورغب فى أن

كتاب نجل سلطان مكة والشعر لأمير الحج



رسالة من نجل سلطان مكة والشعر لأمير الحج

Message from the Son of the Sultan of El-Makla and Eshshehr to the Ameer of the Pilgrimage Caravan.

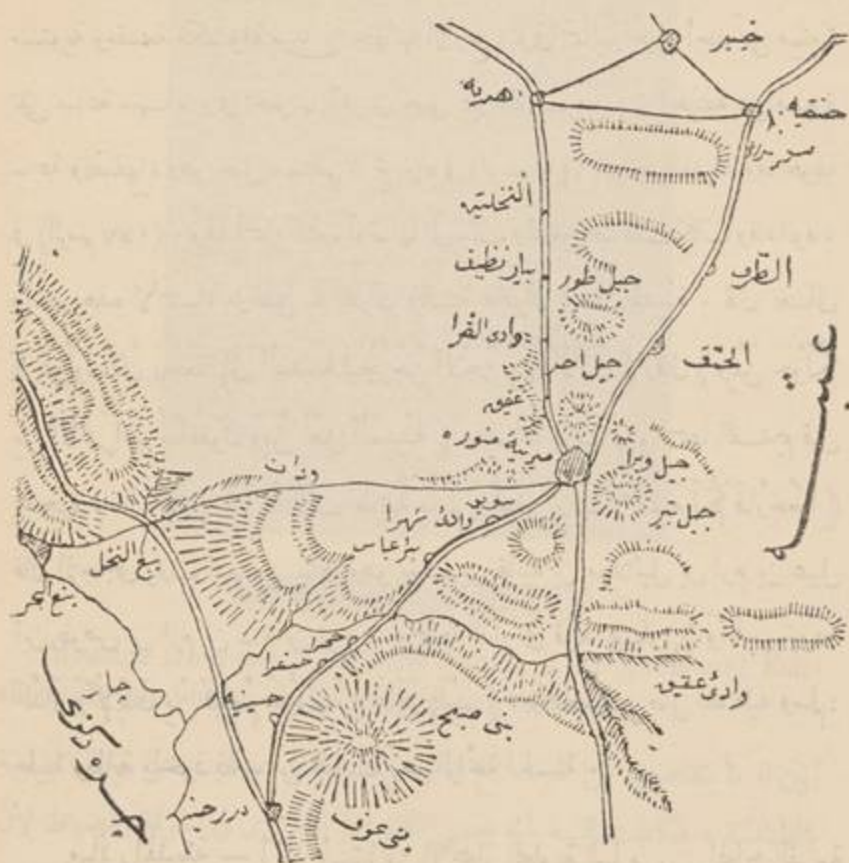
أين له ما يتقاضونه من المرتب الخ ما جاء بكتابه الذي عبر فيه عن رجال المدفعية بالطائفة ، فكتبت إليه بأنه يحسن تكليم سمو الخديوي في الجوقه والضباط لأن ارسال بعثات تعلم فنونا حربية في بلد أجنبي يحتاج الى تصريحات رسمية وأرسلت له ولأبن أخيه رسمي الشمسي فلم يجب بعد أن كاتبه ثلاث مرات فقطعت المكتبة .

المدينة المنورة

أسمائها وموقعها — المدينة العاصمة الثانية لولاية الحجاز وهي في شمالي مكة تبعد عنها نحو ٥٠٠ كيلو متر وقد قطعنا المسافة بينهما من الطريق الشرقي في ١٢٥ ساعة و ٥٠ دقيقة بسير الجمل في ركب المحمل وهي واقعة على الدرجة ٣٩ والدقيقة ٥٠ طولاً شرقياً، وعلى الدرجة ٢٤ والدقيقة ٣٢ عرضاً شمالياً وهي في صحراء مستوية ومتسعة مكشوفة من جهاتها الأربع، وفي شمالها جبل أحد على مسيرة ثلثي ساعة منها، وفي جنوبها الغربي جبل عير بالقرب من ذى الحليفة على مسيرة ساعة ونصفها، وهو جبل مستقيم شامخ تراه في (الرسم ١٤٩) وانظر المدينة وما حولها في (الرسم ١٥٧). ولها أسماء كثيرة أوصلها إلى نيف وتسعين صاحب كتاب وفاء الوفا، وأشهر هذه الأسماء ما نطق به القرآن والسنة فالقرآن سماها المدينة. قال تعالى ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ﴾ وقال ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُتَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ وسماها يثرب وهو اسمها القديم قبل الهجرة. قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ قال الزجاجي يثرب اسم من بناها وهو يثرب بن قانية بن مهلائيل بن ارم بن عييل ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح. وسماها الدار في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾. وسماها النبي صلى الله عليه وسلم: طيبة وطابة مأخوذ ذلك من الطيب وهو الرائحة الحسنة.

مباني المدينة — أكثر أبنيتها من الأحجار المجلوبة إليها من المحاجر القريبة وبيوتها ضيقة غير منتظمة أكثرها من غير رحاب مرتفعة البناء ذات طبقتين وثلاث وأكثر، وقل أن تجد فيها بناء ذا طبقة واحدة وأكثر الطبقات الأرضية مشحون

بالبضائع التجارية وحجراتها ضيقة تشبه في شكلها قيعاننا إلا أنها ذات «لوانين»
 وحواليها مرتفعة الأبواب عن الأرض بنحو متر، وبيوت أكبر الأشراف ضخمة متينة
 ذات شكل جميل ومنظر بديع ووجهاتها مبنية بالآجر الأسود ولها رواش «مشرقيات»
 مصنوعة من الخشب الخروط الجميل وأبوابها مرتفعة عن الأرض وترى في (الرسم ١٥٨)
 واجهة أكبر فندق في المدينة يسمى دار السرور وهو الآن — سنة ١٣٢٦ هـ —
 لورثة السيد عبد الله المدني الذي كان عضواً بمجلس إدارة المدينة وترى في (الرسم ١٥٩)



المدينة المنورة وما حولها

(الرسم ١٥٧)

منظر المدينة من الجهة الغربية الجنوبية سنة ١٣٢٥



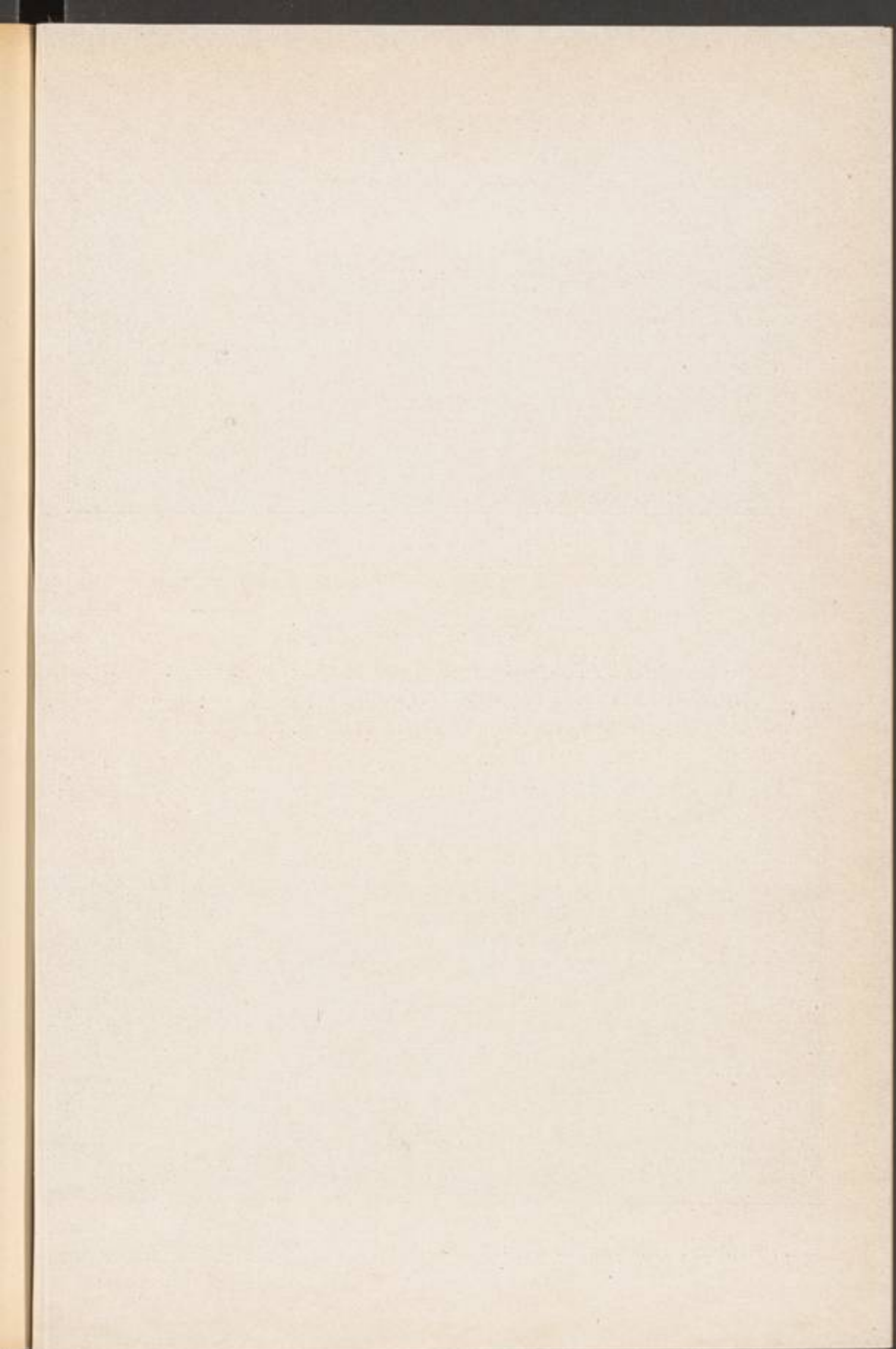
159. A western and southern view of El Medina.

منظر المدينة المنورة من جهة الباب الشامي

هذا رسم الجهة البحرية من المدينة المنورة وبه القلعة السلطانية منشأ السلطان سليمان العثماني وبها الخمسة المنارات للحرم النبوي وبها بيوت السادة الاسعدية مع الجنبته المسماة بالسبيل عند العامة والخاصة وهي على شمال الناظر لهذا الرسم والقبه تسمى قبة السبق لسابقة خيل الضعاية نحوها وهذا الرسم مأخوذ من فوق جبل سام

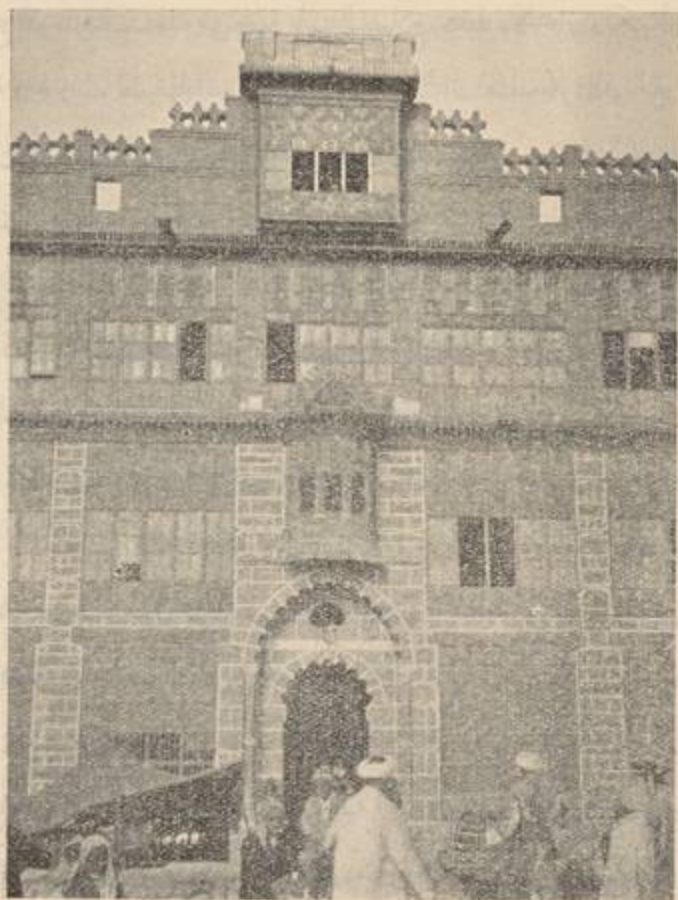


161. Medina as seen from the "Syrian gate".



أكبر فنادق المدينة المنورة

A view of the largest hotel in medina in the year 1321.



للرحوم السيد عبد الله مدني وعدد غرفه ٣٧١

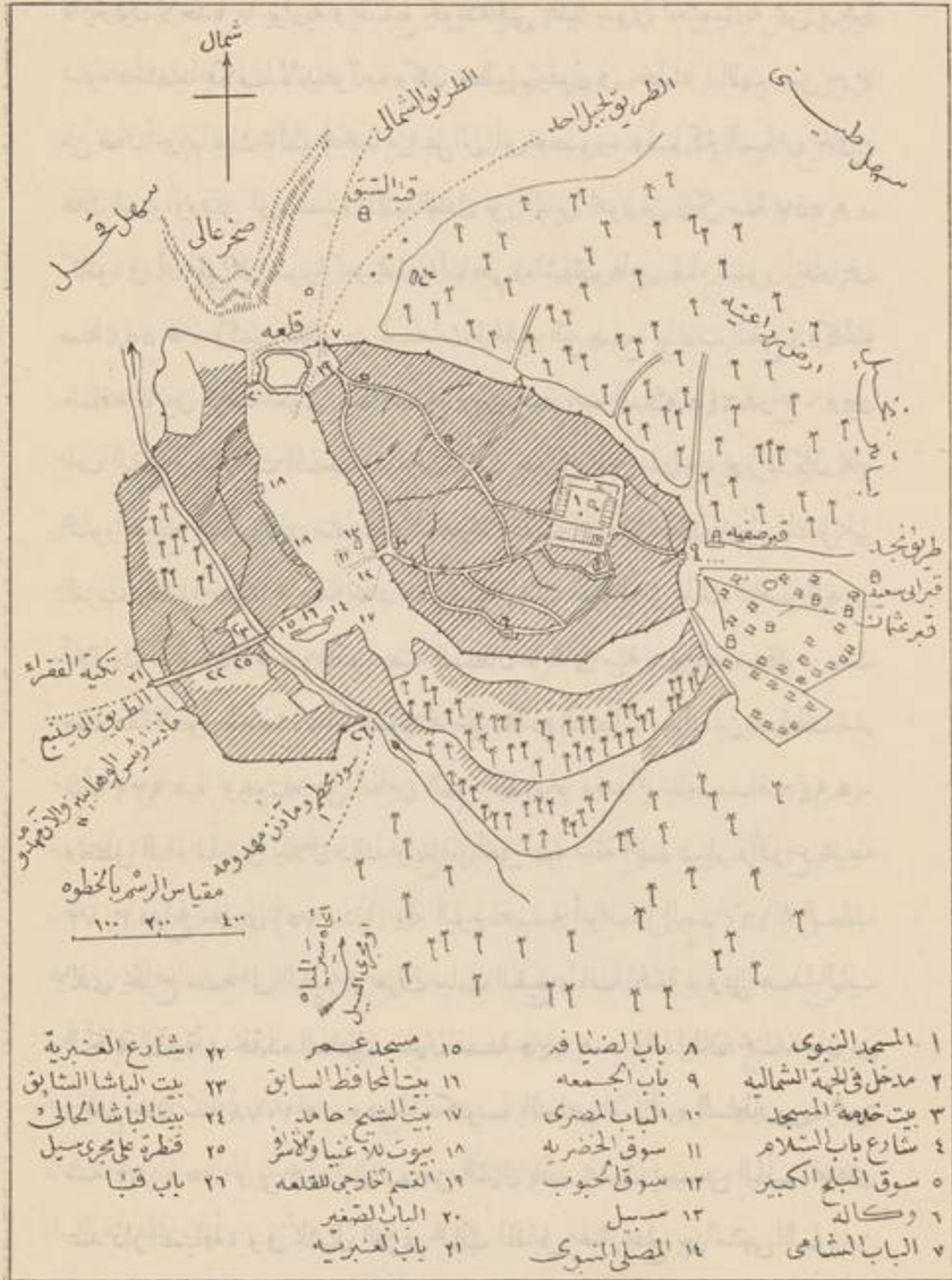
(الرسم ١٥٨)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في هذه المدينة المنورة
أكبر فنادق المدينة المنورة

منظر المدينة من الجهة الغربية الجنوبية ، وحارات المدينة ضيقة لا يزيد عرض الواحدة عن المترين ، وشوارعها لا تزيد على أربعة وأحسنها شارع غرب المسجد النبوي يسمونه حارة الساحة وهو أطول الشوارع وفيه أجمل المباني وبه دار المحافظة ، والشارع الموصل للمسجد من جهة باب السلام مبلط بالأحجار ولكن أرضه غير مستوية والحارات لضيقها يسمونها أزقة ، منها في شمال المسجد زقاق البقر وزقاق الخياطين وزقاق الحبس وزقاق عنقني وزقاق السمهيدى وزقاق البدور وزقاق الأغوات وحارة البقيع ، وفي هذه الحارة رباط كتب بالنقر على حجر فيه : (وقف هذا الرباط المبارك لوجه الله تعالى العبد الفقير ياقوت المظفرى المنصورى والماردانى على الفقراء والمساكين الغرباء الرجال خاصة دون النساء تقبل الله منه وأتابه الجنة برحمته وكرمه بتاريخ ست وسبعائة) وفي جنوبى المسجد زقاق باهو وزقاق الكبريت وزقاق القماشين وزقاق حيدر وزقاق الحمامين وزقاق مالك بن أنس ، وللمدينة سور داخلى وآخر خارجى ، وأول من أقام لها سورا محمد بن اسحاق الجعدى بنى لها سورا منيعا فى سنة ٢٣٦ هـ . ليصد عنها هجمات الأعراب وغزوات البدو ، وجعل له أربعة أبواب باب فى المشرق يخرج منه الى بقيع الغرقدا ، وباب فى المغرب يخرج منه الى العقيق والى قباء ، وداخل هذا الباب فى حوزة المصلى الذى كان صلى الله عليه وسلم يصلى فيه العيد ، وباب شمالي غربى ورابع شمالي يخرج منه الى قبور الشهداء بأحد . وفى سنة ٣٧٢ هـ . بنى عضد الدولة بن بويه وزير الطائع لله بن المطيع سورا للمدينة وقد تهدم على طول الزمان ولم يبق إلا آثاره ورسومه ولا يدرى أن كان هذا السور موضع سور الجعدى أم لا ثم جدد للمدينة محمد بن أبى منصور المشهور بالحواد الأصبهاني وزير صاحب الموصل سورا محكما حول المسجد النبوى وذلك فى سنة ٥٤٠ هـ . قال ابن الأثير : رأيت بالمدينة إنسانا يصلى الجمعة فامسا فرغ ترحم على جمال الدين ودعا له فسألناه عن سبب ذلك فقال :

يجب على كل مسلم بالمدينة أن يدعوه لأنه لنا كفا في ضر وضيق ونكد عيش مع العرب لا يتركون لأحدنا ما يواريه ويشبع جوعته فبني علينا سورا احتمينا به ممن يريدنا بسوء فاستغينا فكيف لاندعوله ، وكان خطيبهم يقول في خطبته : اللهم صن حريم من صان حريم نيك بالسور محمد بن علي بن أبي منصور، ولما كثرت الناس خارج هذا السور ووصل الى المدينة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٥٧ هـ .
 كما هو في أن يبنى لهم سورا آخر يحفظ أبناءهم وماشيئهم فأمر ببناء السور الخارجى سنة ٥٥٨ هـ . وكتب ذلك على صفحات الحديد التي صفح بها باب البقيع ، وكانت مسافته ما بين الباب الغربى عند المصلى وبين عتبة باب السلام ٦٤٥ ذراع ، وبين باب البقيع وعتبة باب المسجد المعروف بباب جبريل ٤٣٣ ذراع ، وربما كان هذا السور موضع السور الذى بناه عضد الدولة وعفت آثاره لأنه كان بجوار المصلى من الغرب وهذا كذلك ، وقد جدد هذا السور الملك الصالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٥٥ هـ . وجدد بعضه السلطان قايتباى سنة ٨٨١ هـ . وقد درست معالم هذا السور بعد مدة ، أما السور الداخلى فجده السلطان سليمان بن السلطان سليم سنة ٩٣٩ هـ . وجعله على أساس السور القديم وقد أتم بناء سنة ٩٤٦ هـ .
 وتعطل البناء مدة فى خلال ذلك وبلغ ما أنفق عليه مائة ألف دينار وأذرع محيطه ٣٠٧٢ ذراع معمارى (٧٥ سنتيا) وله اليوم خمسة أبواب (الرسم ١٦٠) الباب الذى يخرج منه الى البقيع ويعرف بباب البقيع وباب الجمعة ، وعلى هذا الباب الكتابة الآتية : جده السلطان سليمان سنة ٩٤٥ هـ . والسلطان محمد خان بن ابراهيم خان سنة ١٠٧٨ هـ . وهذا مكتوب بالنحاس ، وعمره السلطان محمود سنة ١١٦٢ هـ . ولى هذا الباب من الشمال باب محدث يسمى الباب المجيدى عند دار الضيافة ، وفى الشمال الغربى الباب المقابل لجبل سلع بين منتهى السور من هذه الجهة وبين القلعة ويعرف بالباب الشامى ، ويليه من الغرب الباب الصغير وهو

خريطة المدينة المنورة



- | | | | |
|-----------------------|-------------------------|------------------|--------------------------|
| ٢٢ شارع الغنبرية | ١٥ مسجد عمر | ٨ باب الضيافة | ١ المسجد النبوي |
| ٢٣ بيت الباشا الشاذلي | ١١ بيت المحافظ السابق | ٩ باب الجمعة | ٢ مدخل في الجهة الشماليه |
| ٢٤ بيت الباشا المالكي | ١٧ بيت الشيخ حامد | ١٠ الباب المصري | ٣ بيت خدامه المسجد |
| ٢٥ قطرة على مجرى سيل | ١٨ بيوت للاغنيا والاشرف | ١١ سوق الحضريه | ٤ شارع باب السلام |
| ٢٦ باب قبا | ١٩ الغمر خارجي للقلعه | ١٢ سوق الحبوب | ٥ سوق البلع الكبير |
| | ٢٠ الباب الصغير | ١٣ سبيل | ٦ وكالة |
| | ٢١ باب الغنبرية | ١٤ المصلى النبوي | ٧ الباب الشامي |

(الرسم ١٦٠)

في جنوب القلعة الغربي (في الرسم ١٦١ ترى القلعة والجهة الشمالية من المدينة وترى قبة السبق في وسط الرسم من أسفل) ثم الباب المصرى في منتصف الجهة الغربية وقد فتح هذا الباب محمد على باشا بعد حربه للوهابية وتعميره للسور الداخلى (انظر الرسم ١٣٦) وقد عمر هذا السور أيضا السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٥ هـ . وجعل ارتفاعه نحو ٢٥ مترا وبني فيه ٤٠ برجاً تشرف على ضواحي المدينة للدفاع عنها، وفي هذا السور كثير من المزاغل وأبراجه مشحونة بالمدافع والذخائر الحربية . وفي غربى هذا السور سور آخر أوسع منه يحيط بالبيوت التي خارج السور الأتول في غربه وجنوبه ويتسدى من البقيع في الجنوب الغربى وينتهى بالقلعة التي أنشأها السلطان سليمان بن السلطان سليم في سنة ٩٣٩ هـ . وذلك في الجهة الشمالية، وله خمسة أبواب بابان عند البقيع يعرف أحدهما بباب العوالى لأنه يخرج منه إليها ولعل الثانى باب الكوفة؟ ويلى هذين البابين من الجنوب باب السد أو باب قباء لأنه يخرج إليها منه، وفي الغرب باب العنبرية يخرج منه الى الحزة والى وادى العقيق ويسمى أيضا بالباب الحميدى ، لأن السلطان عبد الحميد جدده وزاد في السور من ذلك فى سنة ١٣٠٥ هـ . وقد رأيت هذا مكتوبا على الباب (انظر الرسم ١٣٤) وهذا الباب من السور الخارجى والباب المصرى من السور الداخلى عليهما العمل فى دخول القوافل ونحروجها ، وفى نهاية السور الخارجى عند القاعدة تجد بابا يسمونه اليوم باب الكومه وهو يقابل سلعا، وهذا السور مبنى باللبن والطين ومجصص ويظهر أنه فى موضع السور الذى بناه اسحاق بن محمد الجعدى والمشهور بين أهل المدينة أنهم الذين بنوه زمن سعود الوهابى الذى يأتى ذكر هجومه على المدينة ، وقد تهدم كثير من هذا السور ، وبين السور الداخلى من الغرب والبيوت التي فى غربيه براح متسع يبلغ متوسط عرضه ٤٠٠ متر اشتره بعض ملوك آل عثمان ووقفه ومنع البناء فيه وجعله محطاً للحجاج والقوافل ومناخا لمطيمهم فسمى

لذلك بالمناخة ، ثم أطلقت المناخة على ما بين السورين من فضاء وبناء وأصبحت
 بكدمة مستقلة تقام فيها الجمعة ولا تعاد ، وفي المدينة ١٧ مسجدا و ١٨ مكتبة
 « كنيخانة » و ١٧ مدرسة تدرس فيها العلوم الأولية ومكتبا راقيا و ١٢ مكتبا
 للصبيان لكل مكتب فقيه وعريف ، وكان عدد التلامذة بالمكاتب ٣٢٠ وتلامذة
 المكتب الراقى ٥٥ وذلك في سنة ١٣٠٩ هـ . وفيها ٨ تكايا و ٢١ مشربا — سيلا —
 ومستشفى و ١٠٨ رباط للفقراء وقلعة وثكنة للعسكر ودار كبيرة للحكومة وقد زرت
 محل (البوليس) فوجدت رئيسه (القومندان) والكتبة جالسين على مساطب مرتفعة
 عن الأرض بنحو ٤٠ سنتيا ومفروشة بالسجادات والحصر، وفيها ١٠ مخافر (قره قول)
 وحمامان : أحدهما داخل المدينة بناه السلطان سليمان القانوني ، والثاني بالمناخة
 وهما أشبه بحمامات مصر وفيها مزولة لمعرفة الأوقات ، و ٤٠٠٠ منزل و ٩٣٢ حانوت
 ومخزن و ٤ متاجر كبيرة (وكالات) و ١٨ مخبزا و ٣٦ قهوة و ٤ محلات للأصباغ
 (البويات) و ٤٨٥ بستان فيها النخيل والأعناب ومن كل الثمرات .

وإذ سمعت الوصف الإجمالي لمباني المدينة وما فيها من الآثار فاستمع لما وقفنا
 عليه من تفصيل لبعض تلك الآثار .

مساجد المدينة — أما مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فسيأتي الكلام
 عليه في باب مسهب ذي فصول جملة وقد منّا لك وصف مسجد حمزة ومسجد قباء
 بما فيه الغناء فلنذكر وصف المهم من باقيها .

(١) مسجد القبلتين — قد زرت هذا المسجد في ٢٤ المحرم سنة ١٣١٨ هـ .
 وهو في الشمال الغربي للمدينة في رابية على شفير وادي العقيق الصغير ، والمسافة بينه
 وبين بئر رومة — بئر عثمان رضي الله عنه — التي في شمالي المسجد مسيرة ١٥ دقيقة وقد
 وجدته متخربا لم يبق منه الا بعض حيطانه (انظر الرسم ١٦٢) ومن عمره وجدّد سقفه
 الشجاعى شاهين الجمالى شيخ الخدم بالمسجد النبوى وذلك في سنة ١٨٩٣ هـ . وجدّده
 السلطان سليمان سنة ٩٥٠ هـ . كما رأيت ذلك مكتوبا عليه وسمى بمسجد القبلتين

آثار مسجد القبتین

REMAINS OF THE MOSQUE OF THE TWO QIBLAS
١٦٢



آثار مسجد القبتین



١٦٣

QIBLA OF THE
MOSQUE OF THE
TWO QIBLAS.

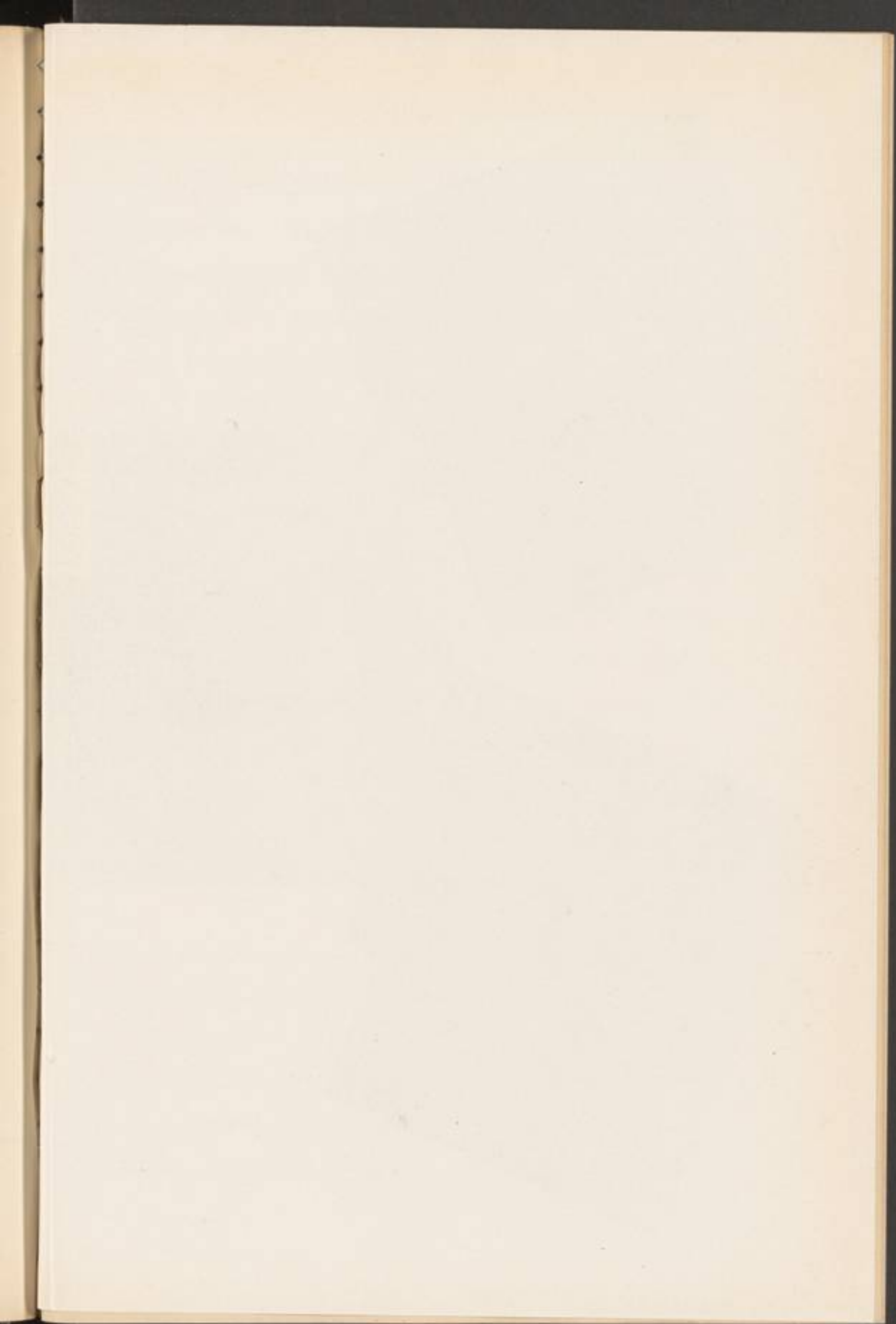
آثار مسجد القبتین

آثار مسجد القبتین

REMAINS OF THE MOSQUE OF THE TWO QIBLAS.
١٦٤



آثار مسجد القبتین



لما رواه يحيى عن عثمان بن محمد بن الأحنس ، قال : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بشر بن البراء في بني سلمة فصنعت له طعاما فأكل هو وصحبه ثم جاءت الظهر فصلاها بأصحابه في مسجد القبليتين ولما أن صلى ركعتين منها أمر أن يتوجه الى الكعبة فاستدار هو وصحبه اليها — قال الزمخشري : وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال — واستقبل الميزاب فهي القبلة التي قال الله تعالى ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ فسمى من أجل ذلك بمسجد القبليتين ، وروى عن محمد بن جابر ما يخالف ذلك فانه قال : صرفت القبلة ونفر من بني سلمة يصلون الظهر في المسجد الذي يقال له : مسجد القبليتين فاتاهم آت فأخبرهم وقد صلوا ركعتين فاستداروا حتى جعلوا وجوههم الى الكعبة ، وفي رواية البراء بن عازب عند البخارى في ذكر قصة التحويل : فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل ثم خرج بعد ما صلى فتر على قوم من الأنصار يصلون في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه توجه نحو الكعبة فتحترف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة . وروى يحيى عن رافع بن خديج أن التحويل كان بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يصلى الظهر ، وفي الصحيحين عن ابن عمر قال : بينما نحن في صلاة الصبح بقاء جاءنا رجل فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة ألا فاستقبلوها وكانت قبلة الناس الى الشام ، فاستداروا وتوجهوا الى الكعبة ، قال سعيد بن المسيب : وكانت الصلاة الى بيت المقدس سبعة عشر شهرا ، وهذه الروايات مع تضاربها في تعيين المسجد الذي كان يصلى فيه الرسول حينما حوّلت القبلة وتضاربها في الصلاة التي كان التحويل أثناءها تفيد في مجموعها تعدد المساجد التي حوّلت القبلة فيها أثناء الصلاة بل كل مسجد صلى فيه نحو البيتين فهو ذو قبليتين فلا معنى لتخصيص مسجد بني سلمة بهذه التسمية ، اللهم إلا أن نقول ما قاله الحافظ ابن حجر من أن التحقيق أن أول صلاة صلاها في بني سلمة الظهر ،

وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر فيئذ يكون مسجد بني سلمة أولى بالتسمية لأنه أول مسجد صليت فيه صلاة واحدة الى القبلتين وحصل ذلك بعده في عدة مساجد .

(٢) مسجد الفتح — في شمالي المدينة الغربي جبل يقال له « سلع » على قطعة منه ويسمى أيضا مسجد الأحزاب والمسجد الأعلى ، وهذا المسجد في المكان الذي قام فيه الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو على الأحزاب في غزوة الخندق فاستجاب الله دعاه وأرسل عليهم ريحا كفأت قلوبهم وقلعت خيامهم وجنودا لم يروها فانخذلوا ورحلوا .

روى أحمد في مسنده بسند رجاله ثقات عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا في مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين وكان الدعاء الذي دعا به — كما رواه ابن زبالة من طريق عمر بن الحكم : اللهم لك الحمد هديتني من الضلالة فلا مكرم لمن أهنت ، ولا مهين لمن أكرمت ، ولا معز لمن أذللت ، ولا منزل لمن أعززت ، ولا ناصر لمن خذلت ، ولا خاذل لمن نصرت ، ولا معطى لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا رازق لمن حرمت ، ولا حارم لمن رزقت ، ولا رافع لمن خفضت ، ولا خافض لمن رفعت ، ولا خارق لمن سترت ، ولا ساتر لمن خرقت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت ، ورويت أدعية أخرى أحسنها ما في الصحيح من حديث ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرضين رب العرش الكريم . وهذا المسجد عمره عمر بن عبد العزيز وكان رواقا واحدا ذا أعمدة ثلاث ولكنه تخرب بحدده في سنة ٥٧٥ هـ . الأمير سيف الدين الحسين بن أبي الهيثم أحد وزراء العبيديين ملوك مصر وجعله رواقا واحدا ذا عقود ثلاثة وقباه قبوا محكما ، وطوله من الشمال الى الجنوب عشرون ذراعا تقص يسيرا ، ومن الشرق الى الغرب سبعة عشر ذراعا ، وأسفل مسجد الفتح من جهة الجنوب

مسجدان آخران يقال للأول منهما : مسجد سلمان وللذى فى جنوبيه مسجد على رضى الله عنهما ، وقد جدد المسجدين الأمير سيف الدين السالف ذكره فى سنة ٥٧٧ هـ . وجدد الثانى أمير المدينة زين الدين ضعيم بن حشرم سنة ٨٧٦ هـ . والأول طوله من الشرق الى الغرب ١٧ ذراعا فى عرض ١٤ ، وذراع الثانى من الشمال الى الجنوب ١٣ ذراعا فى طول ١٦

(٣) مسجد الاجابة — هذا المسجد فى شمالى البقيع على يسار السالك الى « العريض » فوق تلال هى آثار قرية بنى معاوية بن مالك بن عوف من الأوس وهو مسجدهم ، وسبب هذه التسمية ما رواه مسلم فى صحيحه من حديث عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال : سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتى بالسنة — بالحدب — فأعطاني وسألته أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسمهم بينهم فمنعنيها .

وروى مالك فى موطنه هذه القصة عن عبد الله بن جابر عن عبد الله بن عمر ، وقد ذرع صاحب وفاء الوفاء هذا المسجد فى القرن التاسع فاذا هو من الشمال الى الجنوب عشرون ذراعا تنقص قليلا ، ومن الشرق الى الغرب ٢٥ ذراعا تنقص يسيرا .

(٤) مسجد الراية — هذا المسجد على يسار الداخل الى المدينة من طريق الشام فوق جبل ذباب ولهذا يسمى مسجد ذباب أيضا ، وقد روى ابن شبة عن عبد الرحمن الأعرج أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على ذباب ، وروى أيضا عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب قبته عليه فى غزوة الخندق ، وسبب تسميته بمسجد الراية ما رواه الواقدى أن يزيد بن هرمز كان يقاتل بالمواى على ظهر ذباب وكان رئيسهم يحمل الراية لهم . (أنظر المسجد فى نهاية الرسم ١٤٠ من جهة اليسار فوق القمة) .

(٥) مسجد السقيا — السقيا بئر بحجرة المدينة الغربية، وهذا المسجد عندها ومكانه الآن قبة شهيرة تسمى بقبة الروس عند باب العنبرية . روى الترمذى وقال حسن صحيح عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر حتى اذا كنا بحجرة السقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اثبتوني بوضوء فوضأ ثم قام فاستقبل القبلة فقال : اللهم إن ابراهيم كان عبدك وخالك ودعاك لأهل مكة بالبركة وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدمهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين . وفي بعض الروايات عند أحمد والطبراني أنه صلى هنالك فأقيم المسجد حيث صلى وقد ذرع هذا المسجد صاحب وفاء الوفاء فاذا هو سبعة أذرع في مثلها .

(٦) مسجد الفضيخ — هذا المسجد شرقي مسجد قباء على شفير الوادى في نسر من الأرض وهو مسجد صغير قال صاحب الوفاء : إنه أحد عشر ذراعا في مثلها وسبب تسميته بذلك ما روى ابن شبة عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حاصر بني النضير ضرب قبته قريبا من مسجد الفضيخ وصلى في موضع هذا المسجد ست ليال فلما حرمت الخمر خرج الخبر الى أبي أيوب في نفر من الأنصار وهم يشربون فيه فضيخا فخلوا وكاء السقاء فهارقوه فيه ، فبذلك سمي مسجد الفضيخ ، والفضيخ عصير العنب وشراب يتخذ من بسر مفضوخ ، ويقال لهذا المسجد : مسجد الشمس وقيل في تعليل ذلك إنه في مكان عال شرقي مسجد قباء فأقول ما تطلع الشمس تطلع عليه .

ولقد ذكرتني كلمة بسر بيتين ظريفيين رأيتهما في رحلة العياشي قالهما الشيخ محمد فتح الدين القليوبي وقد أهدى اليه بسر كثير النوى :

أرسلت لي بسرا حقيقته نوى * عار فليس لجسمه جلاب

ولئن تباعدت الجسوم فودنا * باق ونحن على النوى أحباب

(٧) مسجد بنى قريظة — هذا المسجد شرقي مسجد الفضيخ بعيد عنه بالقرب من الحرة الشرقية والظاهر أنه الذي ورد ذكره في حديث الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد فأتى على حمار فلما دنا قريبا من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار: «قوموا إلى سيدكم أو خيركم ثم قال: إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك فقال: نقتل مقاتلتهم وتسي ذريتهم» الحديث. وقد قاس هذا المسجد صاحب وفاء الوفاء — في القرن التاسع فإذا هو ٤٤ ذراعا من الشمال إلى الجنوب في عرض ٤٣ وقال إنه يحيط به جدار ارتفاعه نصف القامة وإن هذا الجدار جده الشجاعى شاهين الجمالى شيخ المسجد النبوى سنة ٨٩٣ هـ .

(٨) مسجد بنى ظفر — هذا المسجد يعرف أيضا بمسجد البغلة وهو شرقي البقيع بطرف الحرة الغربية . روى الطبراني بسند رجاله ثقات عن محمد بن فضالة الظفرى وكان ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد بنى ظفر بفلس على الصخرة التي في مسجدهم ومعه عبد الله ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأناس من أصحابه ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم قارئاً نقرأ حتى أتى على هذه الآية ((فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا)) فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اضطرب لحياه فقال : أى رب شهيد على من أنا بين ظهرائيه فكيف بمن لم أراه ، وعند هذا المسجد آثار في الحرة من جهة القبلة يزعمون أن أحدها أثر حافر بغلة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي غربى هذا الأثر مرفق غائص في الحجر زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم أتكا عليه ووضع مرفقه الشريف عليه فلان له الحجر ، وعلى حجر آخر أثر أصابع نسبوها كذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يثبت شيء من ذلك وإنما هو محض افتراء زوره المرشدون للآثار ليستدروا بذلك أموال الدهماء . وقد قاس هذا المسجد صاحب الوفاء في القرن التاسع فوجده ٢١ ذراعا في مثلها ، ومن عمر هذا المسجد المستنصر بالله أبو جعفر المنصور سنة ٦٣٠ هـ .

(٩) مسجد أبي بن كعب — ويعرف أيضا بمسجد بنى جديلة ، هذا المسجد غربى مشهد عقيل وأمهات المؤمنين على يمين الخارج من درب البقيع ، روى عمر بن شبة عن يحيى بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختلف الى مسجد أبى وأنه صلى فيه كثيرا ، وقد كان هذا المسجد متخربا ، وكانت توضع فيه آلات الحفارين بخدته الدولة العلية مع محرابه وأحكمت بناءه .

(١٠) مسجد المائدة — هذا المسجد شرقى المدينة وقد زرته مع جمع فوصلنا اليه من المدينة فى ثلاث ساعة ، ورأيت هنالك دائرة فيها نقر تمثل أوانى الأكل — أطباقا — يقولون أنها أثر المائدة التى نزلت على عيسى عليه السلام التى ورد ذكرها فى القرآن فى قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ وَإِنْ مَا قَالُوا زور و بهتان فإنه لم يثبت ذلك فى أثر ولا عرف أن عيسى عليه السلام أتى يثرب ولم يكن قومه الذين طلبوا منه إنزال المائدة يسكنونها إنما كانوا فى بلاد الشام ، وهكذا يضحك المغرضون على ضعاف العقول فيخترعون وينسبون وأولئك يصدقون ، وفى المدينة مساجد أخرى غير ما ذكرنا منها مسجد عروة الذى تراه فى (الرسم ١٦٣) وقد أخذ صورته خليل افندى القازانى ، ومسجد الجمعة الذى صلى فى مكانه الرسول صلى الله عليه وسلم أول جمعة بالمدينة بعد أن أدركته فى بنى سالم ابن عوف أثناء تحوله من قباء الى المدينة ، وهو فى وادى ذى صلب بمكان يقال له الغيب ، وترى هذا المسجد فى ميمته (الرسم ١٦٤) .

مصلى العيد — هو المعروف الآن بمسجد الغامة — وحقيقة مسجد الغامة بيدر — أول عيد صلاه الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ثنتين من الهجرة ، وكان يصلى فى النضاء وكانت تحمل اليه العترة فيصلى اليها ، والعترة رميح بين العصا والرح فيه زُجٌّ — الحديدية فى أسفل الرح — وكانت للزبير بن العوام أعطاه إياها النجاشى فوهبها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكان يخرج بها بين يديه يوم العيد ، وقد صلى العيد

مسجد عروه بالمدينة المنورة



163. The Mosque of Orwa at Medina.

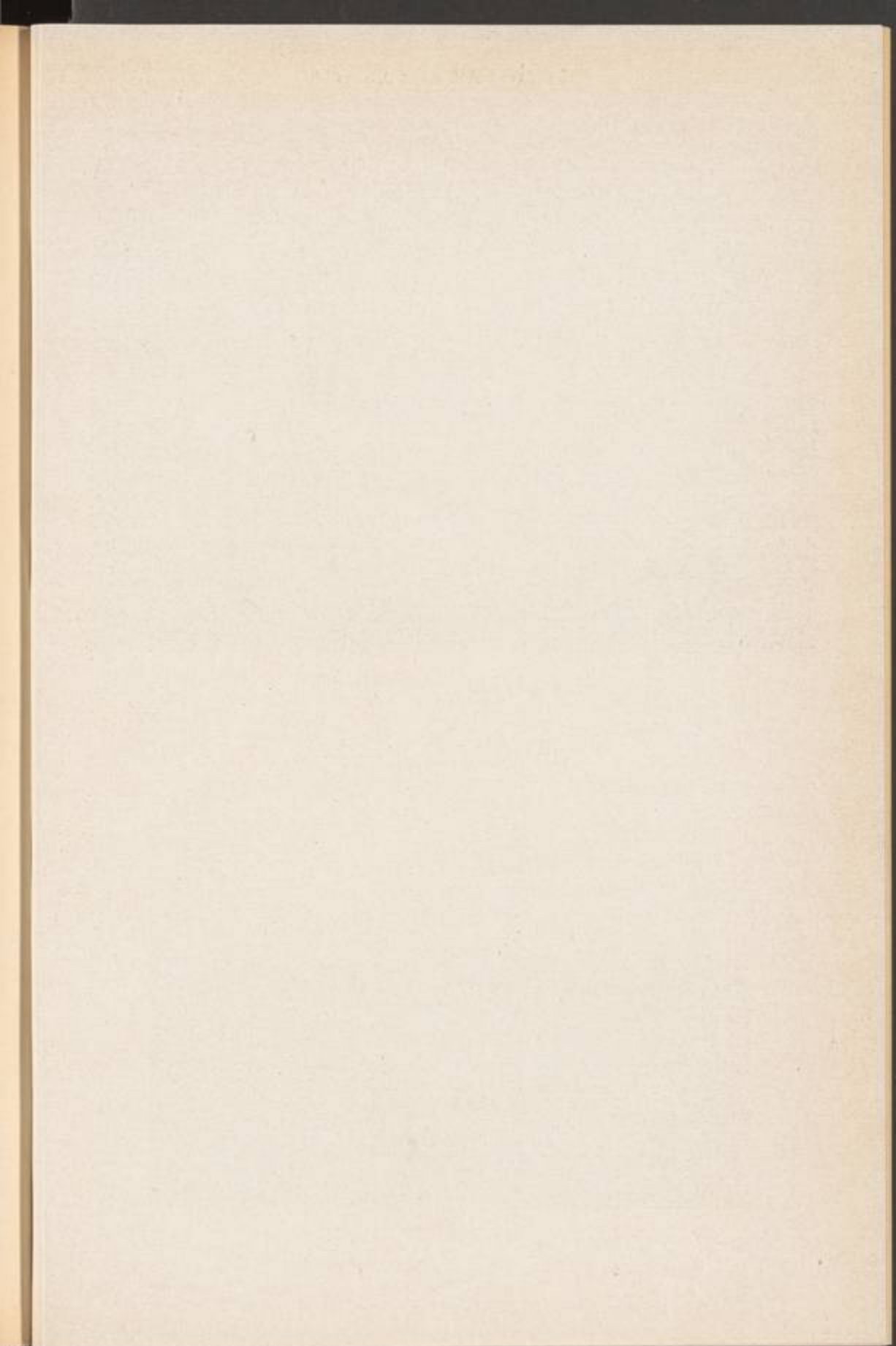
سجفة ٤٢٠

منظر خارج باب كعباءة بالمدينة المنورة سنة ١٣٢٦



منظر خارج باب كعباءة بالمدينة المنورة سنة ١٣٢٦

164. A view in the out of Bab Koba in Medina in 1326.



في أماكن مختلفة ولكنه في سنه الأخيرة داوم على صلاة العيد بمصلاه المعروف الآن بالمناخة غربى المدينة ، وهو في موضع الرقم ١٤ من خريفة المدينة ، وقد جاء في الجزء الأول من زاد المعاد في صفحة ١٢٠ أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى العيدين في المصلى الذى على باب المدينة الشرقى وهو المصلى الذى يوضع فيه محمل الحاج ، وأظن أن كلمة الشرقى سهو لأن ما بعدها يدل على أنه الغربى لأن المناخة في الجهة الغربية ، وهذا المصلى بينه وبين مسجد الرسول ١٠٠٠ ذراع أى قريب من نصف كيلومتر ، ولم يكن به بناء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما كان فضاء وقد ثبت النهى عن تضييقه والبناء فيه ، فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نرجح الى المصلى يستسقى فبدأ بالخطبة ثم صلى وكبر واحدة أفتح بها الصلاة وقال : « هذا جمعنا ومستمطرنا ومدنا لعيدنا ولفطرنا وأضحانا فلا يبنى فيه لبنة على لبنة ولا جهة » وفي بعض الروايات : هذا مستمطرنا ومصلانا لأضحانا وفطرنا لا يضيّق ولا ينتقص منه شيء ، وكان صلى الله عليه وسلم بعد أن ينصرف من صلاته يقوم مستقبل الناس فيخطبهم ولم يكن له منبر يقوم عليه كما دل على ذلك حديث أبى سعيد الخدرى في البخارى ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى الى المصلى فأقول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فان كان يريد أن يقطع بعثا قطعه أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف ، فقال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى اذا منبر بناه كثير بن الصلت واذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلى بجذته بشوئى فجذنى فأرتفع فخطب قبل الصلاة فقلت له : غيرتم والله فقال : أبا سعيد قد ذهب ما تعلم ، فقلت : والله ما أعلم خيرا مما لا أعلم فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة بفعاتها قبل الصلاة . ذكر ذلك البخارى في باب الخروج الى المصلى بغير منبر ، وكان صلى الله عليه وسلم يذهب الى المصلى من الطريق العظمى ويرجع من طريق آخر ليسلم على أهل الطريقين ويقضى حاجة من له

حاجة منها ويشهد البقاع ويظهر شعائر الاسلام ، والطريق العظمى هي المعروفة بدرب السويقة والطريق الأخرى غربى طريق بنى زريق وهي ضعف تلك في المسافة وسور المدينة الآن يمنع سلوكها .

وقد أقيم في بعض المصلى بناء بمسجد المصلى أو مسجد الغمامة ، وفي شماليه مسجد يعرف بمسجد أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (الرمس ١٦٥) وفي شمالي المسجد الأخير مسجد يعرف بمسجد على رضى الله عنه (الرمس ١٦٦) عمره أمير المدينة زين الدين ضغيم المنصوري سنة ٨٨١ هـ . ومكتوب على هذا المسجد :

الله مسجد للإمام على * أضفى بأحكامه زاهى البناء على
تود أن لو غدت هبا ساحة * زهر النجوم و فرق الفضل فيه جلى
دامت صلاة فيه وافية * تموم لموقف جرى فى سابق الأزل
خيرات سلطاننا عبد المجيد تمت * طول الزمان بوصل غير منفصل
جلت دعائمه اذ كان راسمه * مدير حكم لطيف الاسم والعمل
فياله مسجد دار البهاء به * يفوق شمس الضحى فى دارة الحمل
أرخته سار طول الدهر ناشيه * مليكنا الماجد السامى على الدول

ومسجد المصلى عمره بعد خرابه السلطان حسن بن السلطان محمد بن قلاوون ولاندرى تاريخ العمارة وانما تولى السلطان حسن من سنة ٧٤٨ هـ الى سنة ٧٦٢ هـ . ورممه الأمير برديك المعمار سنة ٨٦١ هـ . فى دولة الأشرف إينال وأحدث سقفا خارج المسجد يجلس عليه المبلغون ومدرجا خارجه على ميمنة الداخل من بابه يقوم عليه الخطيب أما المسجد الآن فانه ذو قباب ثمانية ومبنى بناء متقنا بالأجر الأسود . أنظر (الرمس ١٦٧) والذي بجواره مسجد عثمان والمثل ذو الرواشن الذى باليمين لأمين افندى برى شيخ القراشين بالحجرة النبوية ولأخيه الشيخ حسين .

مكتبات المدينة (كتبخاناتها) - فى المدينة كثير من الكتب القيمة النادرة المثل وهى مبعثرة فى مدارس متعددة ومكاتب مختلفة ، وبين هذه الكتب



رسم محمد علي سعودي افندي

مسجد سيدنا ابوبكر الصديق في مكة سنة ١٣٢٦

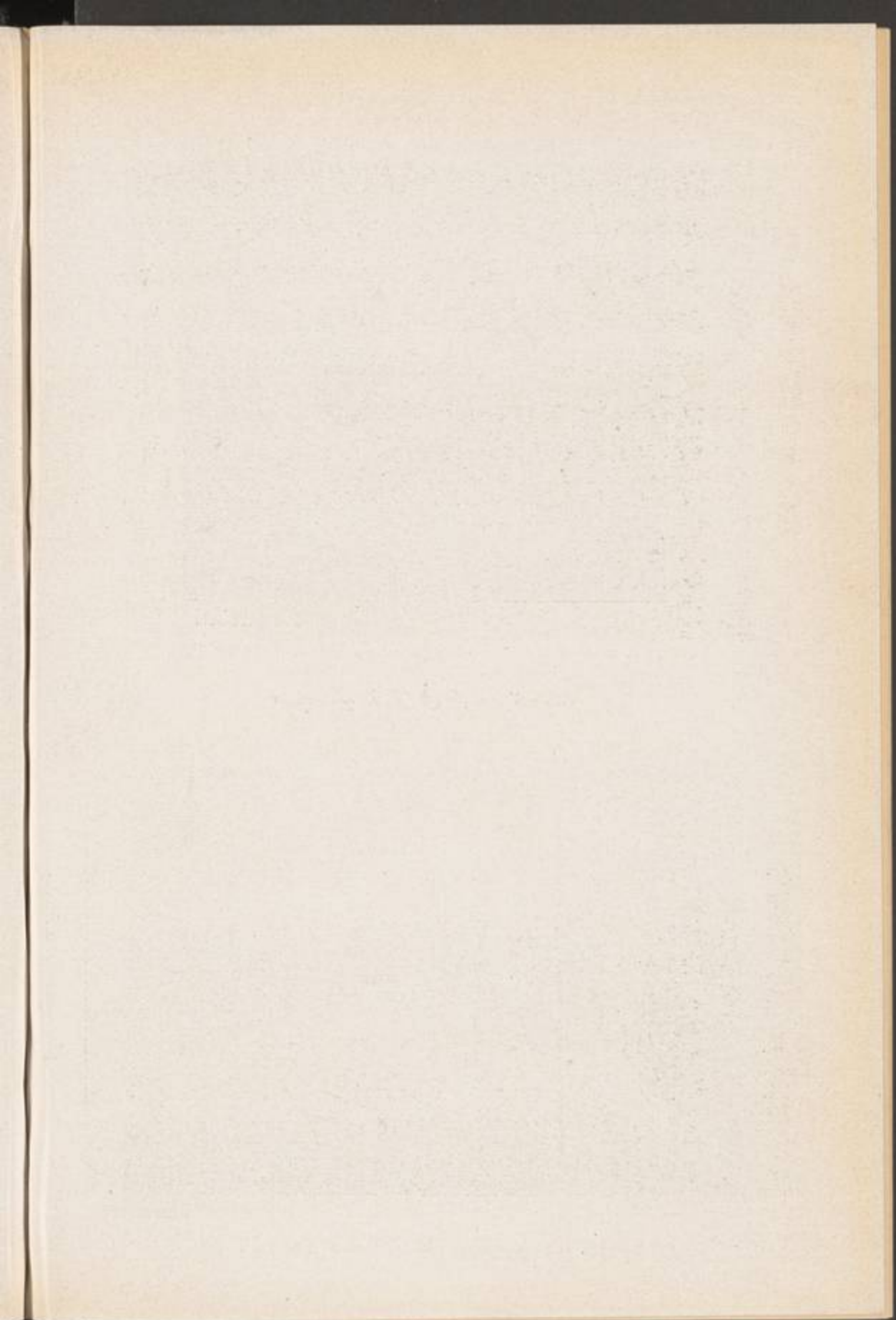
165. A view of Abo Bakr Mosque at Medina in Moharam 1326.



رسم محمد علي سعودي افندي

مسجد سيدنا علي في مكة سنة ١٣٢٦

166. The Mosque of Aly at Medina. 1326 A.H.



مسجد الغمامة بالمدينة المنورة

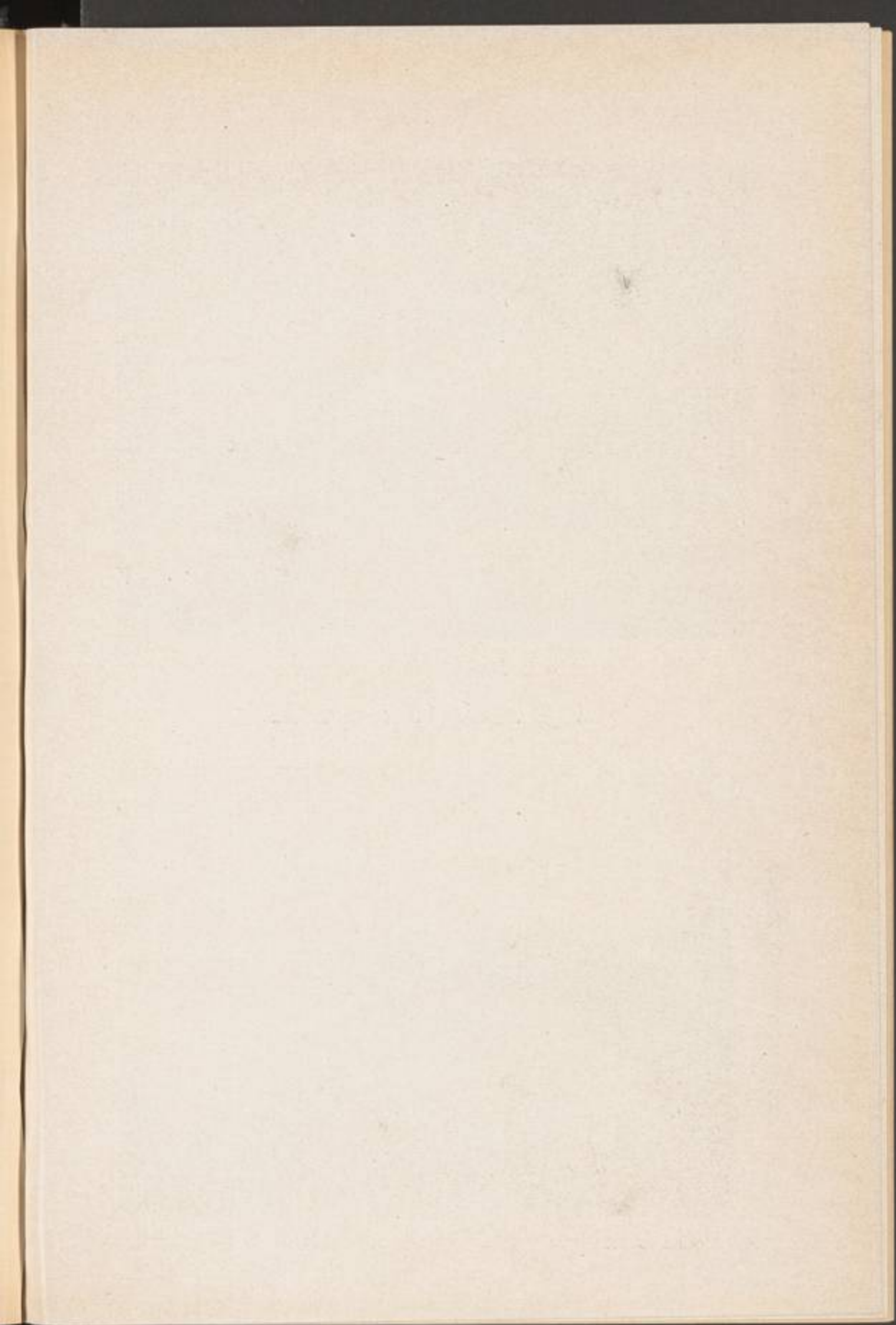


167. El Ghemama Mosque at Medina

منظر المدينة من فوق تكية محمد علي باشا



168. Medina as seen from the roof of the Charity house of Mohamed Aly Pasha.



مصاحف مكتوبة بالخط البديع الذي يسحر الطرف جماله و يأخذ بالنفس حسن روايته، وهانحن أولاء نذكر لك تلك الأماكن وتعداد ما فيها من الكتب والمصاحف .

	عدد
مصحف بالروضة التي بين منبر الرسول وقبره صلى الله عليه وسلم .	١٠٨١
» وكتاب بمكتبة مدرسة السلطان محمود بباب السلام بالمسجد النبوي	٤٥٩٦
الكتب التي بمكتبة مدرسة السلطان عبد الحميد الأول .	١٦٦٩
» » » » بشير أغا بجوار باب السلام .	٢٠٦٣
» » » » الشفاء التي أنشأها شيخ الاسلام فيض الله .	١٢٤٦
» » » » عازف حكمت شيخ الاسلام وهي قريبة من باب جبريل بالمسجد النبوي وهي أحسن المكاتب وأنظفها وأجملها ترتيبا .	٥٤٠٤
الكتب التي بمكتبة مدرسة عمر افندى .	١٢٦٩
» » » » مصطفى افندى الساقزى .	٥٩٣
» » » » أمين باشا شيخ المسجد النبوي سابقا .	١٥٨
» » » » مصطفى افندى التي تسمى مدرسته بالاحسانية	٤٦١
» » » » الشيخ عبد الغفور البخارى أحد المجاورين .	١٢٩
» » » » "تكية" الشيخ مظهر افندى .	١١٠٠
» » » » مدرسة حسين أغا ناظر "التكية" المصرية سابقا .	١٠٠
» » » » أمين افندى الفنايرجى .	١٠٠
» » » » محمد افندى ثروت .	٢٠٦
» » » » أحمد افندى البساطى أحد أئمة وخطباء المسجد النبوي .	١٠٥٠
» » » » مدرسة الكبلى الناظر أحد المجاورين . .	١٥٧
» » » » سليم بك رئيس التشرىفة للحضرة السلطانية .	٥٠٠

جملة ما بهذه المكاتب ٢١٨٥٥

تكايا المدينة — بالمدينة ثمان تكايا أشهرها التكية المصرية بالمناحة على يسار الداخل من باب العنبرية ، وطولها ٨٩ مترا في عرض ٥٠ وهى مبنية بناء متقنا وشكلها بديع كما ترى ذلك فى (الرسم ١٦٩) والذي بناها إبراهيم باشا فى عهد أبيه محمد على باشا جدد الأسمرة العلوية وجعل سقفها قبابا حتى لا يعبت بها الحريق أنظر (الرسم ١٦٨) الذي أخذته للمدينة من فوق سطح التكية والذي ترى فيه أربع مآذن من مآذن المسجد النبوى . وفى التكية محازن وأفران ومطبخ ويأتى لها القمح والأرز وما يلزم لها من ديوان الأوقاف بمصر ، وكذلك ما لناظرها وموظفيها من المرتبات وهم معينون من قبل الحكومة المصرية ، ويرد إليها الفقراء يوميا ليأخذوا الخبز والشربة ، وهالك ما ينفق يوميا ثمانمائة فقير فى أيام الزيادة وفى أيام العادة سنة ١٣٢١ هـ .

وأيام الزيادة هى أيام رمضان وأيام الخميس من النصف الثانى من شوال ومن النصف الأول من ذى القعدة وكذلك أيام الخميس من شهر المحرم وشهر رجب .

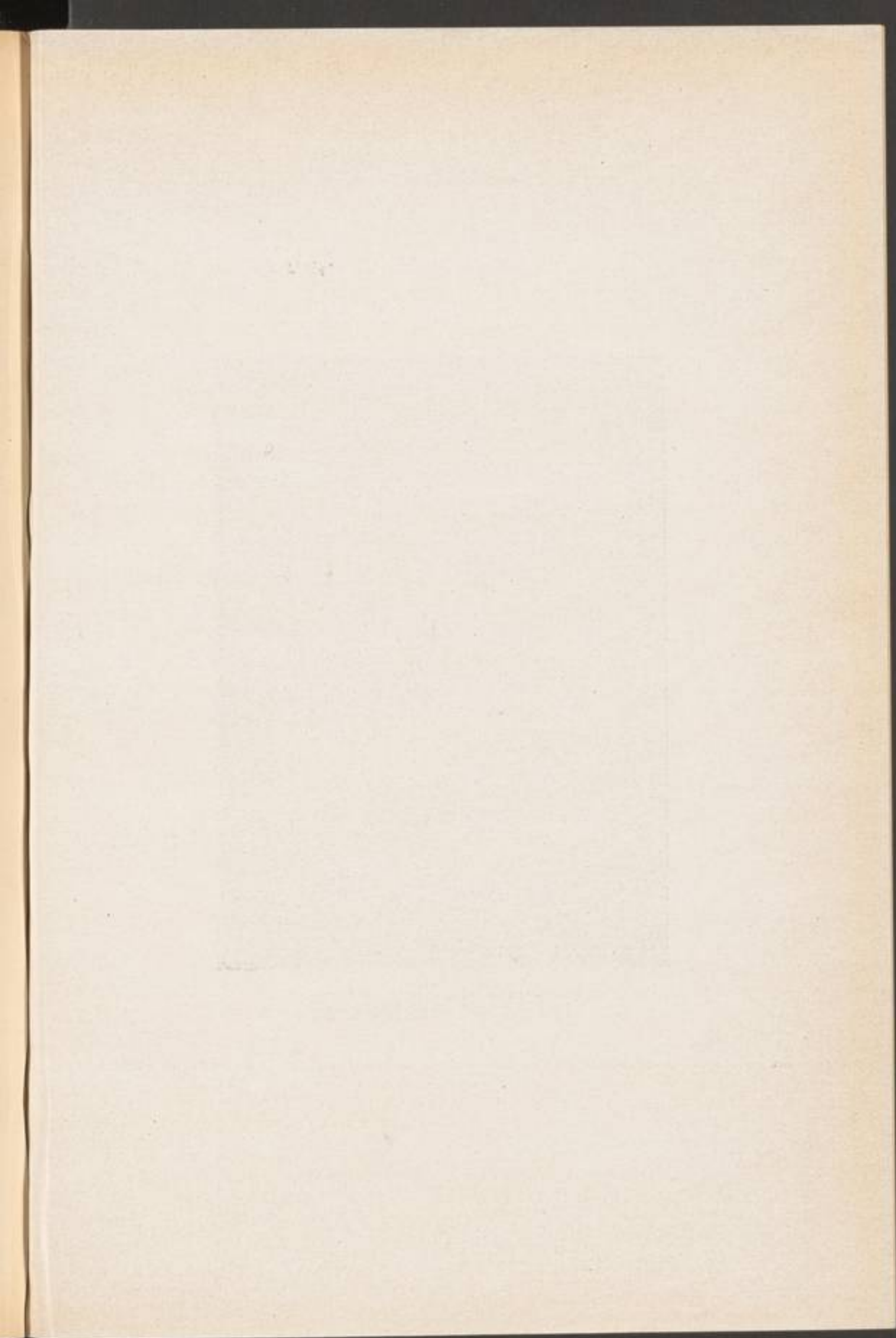
أيام العادة			أيام الزيادة		
ما يخص الفرد	الصف	مقدار المنفق	ما يخص الفرد	الصف	مقدار المنفق
درهم		أقنة	درهم		أقنة
١٥	سمين	٣	٤	سمين	٨
٢٠	أرز مصرى	٤٠	٥٠	أرز مصرى	١٠٠
٤٨	دقيق	٩٦	٤٨	دقيق	٩٦
—	—	—	٢٠	لحم	٤٠
—	حطب	٩٢	٤٦	حطب	٩٢
—	—	٢٣١	١٦٦	—	٣٢٦

واجهة
بنيان دارالبركة في مدينة المنورة



بنيان دارالبركة في مدينة المنورة

169. A view of the front part of the Alms-House of Mohamed Aly Pasha in Medina



وناظر التكية رجل تركي يسمى نجيب بك يقوم بواجب عمله خير قيام بل شاهدة جملة إصلاحات بالتكية أقامها من مرتبه الخاص ولا عجب فانه تقي كريم يحبه أهل المدينة وحكامها حبا جما، وكذلك موظفو التكية أخلاقهم حسنة يعاملون الفقراء باللين والرفق .

مقابر المدينة — تكلمنا على أحد ومقابر الشهداء به وبقى الكلام على مقبرة البقيع التي هي مدفن أهل المدينة الى يومنا هذا .

البقيع محل مستطيل شرقي المدينة خارج عن سورها طوله ١٥٠ مترا في عرض ١٠٠ ويقال له بقيع الغرقد لأن هذا النوع من الشجر كان كثيرا فيه ولكنه قطع ، والبقيع في أصل اللغة : الموضع الذي به أروم الشجر من ضروب شتى ، والغرقد كبار العوسج ، وبقيع الغرقد هذا هو الذي ورد ذكره في مرثية عمرو ابن النعمان البياضي لتومعه ، وقد دخلوا في بعض حروبهم حديقة من حدائقهم وأغلقوا بابها عليهم ثم أقتلوا فلم يفتح الباب إلا بعد أن قتل بعضهم بعضا فقال في ذلك :

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن العناء تفردى بالسودد
أين الذين عهدتهم في غبطة * بين العقيق الى بقيع الغرقد
كانت لهم أنهاب كل قبيلة * وسلاح كل مدرب مستنجد
نفسى الفداء لفتية من عامر * شربوا المنية في مقام أنكد
قوم هموا سفكوا دماء سراتهم * بعض ببعض فعل من لم يرشد
يا للرجال لفتية من دهرهم * تركت منازلهم كأن لم تعهد

وهذا المكان به مقابر كثير من الصحابة والتابعين وكبار المسلمين وقد دفن به من الصحابة نحو عشرة آلاف وتفرق باقيهم في البلدان ، ونظرا الى أن السلف الصالح كان يحنن البناء على القبور وتخصيصها وقد أفضى ذلك الى أنظاس معالم كثير

من قبورهم ، فلذلك لا تعرف قبور كثير منهم الا أفرادا معدودة أقيمت على قبور بعضهم قباب ، ومن أولئك الأفراد ابراهيم ورقية وفاطمة أولاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب رضى الله عنهما وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص وأسعد بن زرارة وخنيس ابن حذافة السهمي والحسن بن علي ، ومعه في قبره ابن أخيه زين العابدين علي بن الحسين وأبو جعفر الباقر محمد بن زين العابدين وجعفر الصادق بن الباقر ، ومن علم قبره بالبقيع العباس بن عبدالمطلب وأخته صفية وآبن أخيها أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وأمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وسعد بن معاذ الأشملي وأبو سعيد الخدرى ، وكل زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم دفن بالمدينة إلا خديجة فبمكة وإلا ميمونة فبسرف رضى الله عن الجميع ، والعباس والحسن بن علي ومن ذكرناه معه تجمعهم قبة واحدة هي أعلى القباب التي هنالك كقبة ابراهيم وقبة عثمان التي بناها السلطان محمود سنة ١٢٣٣ هـ . وقبة الزوجات وقبة اسماعيل بن جعفر الصادق وقبة الامام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة ، وقبة نافع شيخ القراء وهناك قبة تسمى قبة الحزن يقال إنها في البيت الذي آوت اليه فاطمة بنت النبي والتزمت الحزن فيه بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بالبقيع قباب كثيرة هدمها الوهابيون ، وترى في (الرسم ١٧٠) جملة قباب فالتى على يمين الناظر قبة ابراهيم ، والثانية لعقيل ، والثالثة لزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، والرابعة لبناته رقية وزينب وأم كلثوم ، والخامسة الكبيرة لآل البيت ، والتي على يمين البرجين لعاتكة وصفية عمتي الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانظر البقيع من الجهة الشرقية الجنوبية في (الرسم ١٧١) .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يزور بقيع الغرقد ويدعو لأهله بل أمره ربه بذلك كما يدل عليه حديث عائشة عند مسلم والنسائي فان فيه أن جبريل قال للنبي

منظر البقيع و قبائل الربيعة قبائل عثمان بن عفان وسيدة مالمك



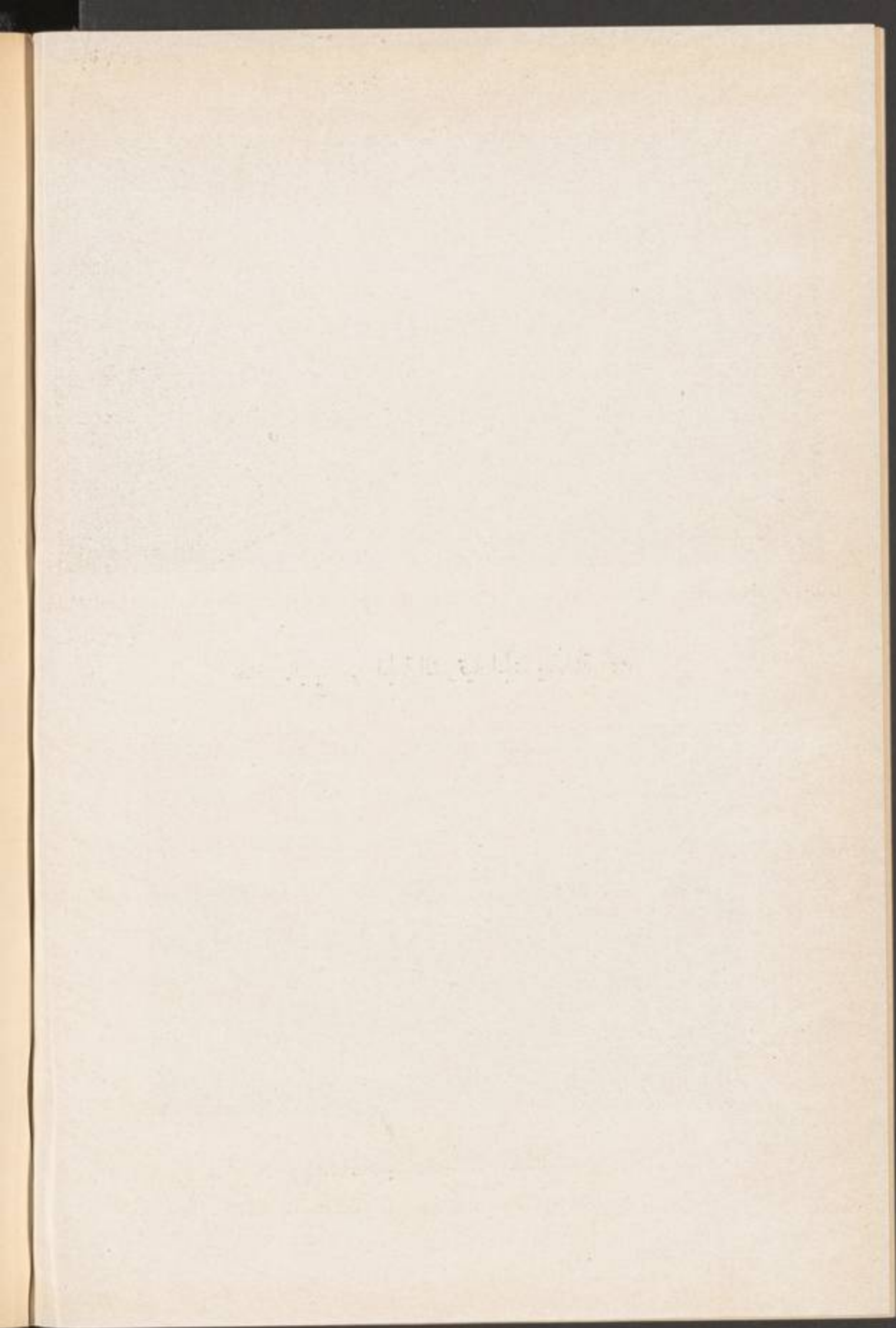
170. Baqui'a showing the dome of the Prophet's Family and the two domes of Othman and Malik.

منظر البقيع من الجهة الشرقية الجنوبية سنة ١٣٢١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَأَ لِلنَّبِيِّينَ أَزْوَاجًا
 مُطَهَّرَاتٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

171. A south-eastern view of Bakeea El Gharkad at Medina.



صلى الله عليه وسلم : إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم . ويزور أهل المدينة البقيع في كل يوم خميس ويضعون على القبور الريحان ويحانه بعض الأزهار ولا يدخل شيعة قبة أهل البيت بالبقيع إلا إذا دفع خمسة قروش كما أنه لا يدخل الكعبة إلا من دفع ريبالا ما لم يكن ذا يسار فيؤخذ منه مبلغ كبير وكذا خصى المسجد النبوي — الأغوات — المنوطون بخدمة الحجرة لا يجيزون لأحد دخولها إلا إذا دفع ريبالا فيدخلها قبل الغروب بساعة عند إيقاد الشموع ، ومن الأضرحة التي في خارج البقيع ضريح لعبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم وهو بداخل المدينة ، وضريح للشيخ على العريضي وهو واقع شرق المدينة على مسير ساعة منها وضريح للسيدة ملكة بنت السيد أحمد الرفاعي وهو بديار العشرة وبنائه من آثار السلطان محمود خان وضريح السيد زكي الدين خارج الباب الشامي وضريح أبي شجاع أحد فتناء الشافعية وضريح نور الدين الشهيد الأصفهاني وهما في شرق المسجد مما يلي الأبحار المفروشة .

أراضي المدينة وأوديتها وآبارها وزروعها — أرض المدينة قسمان الأول وهو الأكثر مادته رملية بيضاء خالية من الأملاح ملائته أشجار النخيل والكروم وأكثر ذلك شرق المدينة ، والثاني طيبته سوداء يزرع به القمح — بقلته — والشعير والرمان والبرتقال والخوخ والعنب والموز والليم والبطيخ والقارون والليمون الحلو والملح والأضالي — نسبة الى أضاليا ببلاد الأناضول — والورد والياسمين والنعناع والقل والكرب والطاطم والباذنجان الأسود والملوخية والبامية واللوبياء والقرع الكوسى والآستاني — الكبير الحلو — والفجل والحس وجميع أصناف الخضراوات ، وأكثر هذا القسم بقاء والحوالي وقربان جنوبي المدينة وبالعبق غريبا ، والأرض مقسمة الى بساتين لكل شخص بستان أو أكثر ، ومن أشهر هذه البساتين زهرة للنفس وشرحا للصدر وجلاء للبصر الداودية لمعتوق داود باشا والسبيل ، وبضيعة للسادة الأسعدية

وسواله للشريف شحات وأخيه ناصر، والشذقة معظمها لآل حماد، والحجرة للشريف منصور، والقائم للشريف عون أمير مكة، والقويم لزين العابدين المدني وبستان بئر النبي صلى الله عليه وسلم وقف الشهيد محمد باشا وكل هذه قبلى المدينة، وبستان أبى السعود المفتى وبستان الأسعدية وبستان محروس وبستان معتق قاشقجى وبستان الأسعدية. وكل هذه حول مشهد حمزة فى شمال المدينة على العيون التى هنالك وتسقى أراضي المدينة من مياه الآبار التى بعضها حلو وبعضها فيه يسير الملوحة وانحراج الماء من الآبار التى يختلف عمقها بين قائمتين واثنتى عشرة قامة بواسطة السوانى (جمع السانية) وتطلق فى اللغة على الدلو وعلى أدواته وعلى الناقاة التى يستقى عليها، ولكن يطلقها الآن أهل المدينة على الأدوات التى تخرج بها المياه من الآبار وهى بكرتان يمر عليهما جبلان ربط كل واحد منهما بطرف من طرفى الغرب أو القرية ويشد الجبلين بهم واحد الى جهة واحدة وقد يكون على البئر بكرتان وأربع وست الى ١٦ حيث يكون بالبئر ثمان قرب، وقد شرحنا لك فيما سبق طريقة إنحراج المياه من الآبار بواسطة السوانى وصورتين لذلك، وأشهر آبار المدينة : (١) بئر أريس، وقد فصلنا الكلام فيها حين وصفنا قباء؛ (٢) بئر الأعواف وهى إحدى صدقات النبي صلى الله عليه وسلم؛ (٣) بئرانا وهى التى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته عندها حينما حاصر بنى قريظة وشرب منها، وهذه البئر غير معروفة الآن وربما كانت فى المدينة باسم آخر غير هذا الاسم؛ (٤) بئر أنس بن مالك بن النضر وتضاف أيضا لأبيه وهى التى ورد ذكرها فى حديث أنس الصحيح قال: أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دارنا هذه فاستسقى فخلبنا شاة لنا ثم شبتة من بئرنا هذه فأعطيته فشرب وعمر بين يديه وأبو بكر عن يساره وأعرابى عن يمينه فأعطى الأعرابى فضله وقال: الأيمن فالأيمن، وهذه البئر تعرف الآن ببئر الحضارم وهى فى رباط شمالى الحديقة المعروفة بالعينية، وبقرب البئر قبة على قبر يزعمونه قبر عبد الله أبى النبي صلى الله

عليه وسلم ؛ (٥) بئر بضاعة في منتهى عمار المدينة من جهة الشمال وهي التي كان يلقي فيها لحوم الكلاب والمخاض وعذر الناس وسئل صلى الله عليه وسلم عن التوضؤ منها فقال : الماء طهور لا ينجسه شيء — روى ذلك أحمد والنسائي وصححه والترمذي وحسنه والدارقطني وأبو داود وابن ماجه — وزاد إلا ما غلب على ريحه وطعمه ولونه ، وفي رواية للبيهقي الماء طهور إلا إن تغير ريحه أو طعمه أو لونه ينجسه تحدث فيه ، وفي رواية للنسائي عن أبي سعيد قال : مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ من بئر بضاعة فقلت أنتوضأ منها وهي يطرح فيها ما يكره من التين ؟ فقال : الماء لا ينجسه شيء ؛ (٦) بئر بيرحاء . هذه البئر شمالي المدينة يعد سورها شرقي بئر بضاعة ولكن يفصل بينهما بئر بضبيعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعذب ماءها ، وكانت في بستان لأبي طلحة وقفه على أقاربه وبني عمه كما دل على ذلك حديث البخاري في كتاب الأشربة في (باب استعذاب الماء) روى عن أنس بن مالك أنه قال — كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا من نخل وكان أحب ماله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد — المسجد قبلها — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس : فلما نزلت ﴿لَنْ تَأَلَوْا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة فقال — يا رسول الله؟ إن الله يقول — ﴿لَنْ تَأَلَوْا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ : وأنا أحب مالى إلى بيرحاء وإنها صدقه لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نج ذلك مال رابع أو رايح — شك من الراوى — وقد سمعت ما قلت وإني أرى أنك تجعلها في الأقربين ، فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وفي بني عمه ؛ (٧) بئر رومة — هذه البئر شمالي المدينة على مسيرة ساعة منها وهي حد العقيق من جهة الشمال ، وقطرها أربعة أمتار وعمقها اثنا عشر مترا أو تزيد وبجوارها حوض وحجرة

للاستراحة ومزارع كثيرة ، وفي شمالي البئر البركة والعيون التي يحف بها النخيل ، وهذه البئر كانت لليهودى فاشتراها منه عثمان بن عفان بماله وتصدق بها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر ابن عبد البر أنها كانت ركية (بئرا) لليهودى يبيع ماءها للمسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها شرب في الجنة ، فأتى عثمان اليهودى فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها فاشترى عثمان نصفها ببئري عشر ألف درهم فغعله للمسلمين فقال له عثمان : إن شئت جعلت لنصيبى قرين وإن شئت فلي يوم ولك يوم فقال : بل لك يوم ولى يوم ، فكان إذا كان يوم عثمان آستقى المسلمون ما يكفيهم يومين ، فلما رأى اليهودى ذلك قال أفسدت على ركيتى فاشترى النصف الآخر فاشتراه بثمانية آلاف درهم ، وهذه البئر في أسفل وادى العقيق قريبة من مجتمع الأسيال في براح واسع من الأرض ، (٨) بئر غرس وهى بئر بقاء في شرقي مسجدها على نصف ميل من جهة الشمال ، روى ابن حبان في كتاب الثقات عن أنس رضى الله عنه أنه قال : اثتوني بماء من بئر غرس فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ، وفي المدينة آبار أخرى مثل بئر القويم وهى من أكبر آبار المدينة وبئر العباسية وبئر الصغية وبئر البويرة وبئر فاطمة ، وكل هذه الآبار جنوبي المدينة وبئر عروة بوادى العقيق ، وكان أهل المدينة فيما سلف يهدون من مياه البئر الأخيرة لأمرء الشام .

هذه هى الآبار التى عابها معول أهل المدينة فى سقى أراضيهم ومواشيتهم أما مياه الشرب لأنفسهم فىأخذونها من عين الأزرق أو العين الزرقاء على ما هو المشهور فى عرفهم ، وهذه العين مذشؤها بئر بقاء غربى مسجدها وتعرف بالجعفرية ، اجراها الى المدينة مروان بن الحكم عامل معاوية على المدينة بأمر منه فسار بها حتى مصلى الأعياد ، وقد أقيم عليها بعد قبة هنالك مفتوحة من جانبيها الشمالي والجنوبي حيث فى كل جانب منهما مدرج فى الأرض ينزل منه الناس لأخذ المياه

من العين أما العين نفسها فتخرج من شرق القبلة ثم تتجه نحو الشمال، وقد جدد هذه القبلة لإبراهيم باشا الذي أرسله أبوه لتجديد ما خرّبه الوهابيون وفي حدود الستين وخمس المائة أخذ منها الأمير سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء شعبة من عند مخرجها من القبلة فساقتها الى باب المدينة المعروف الآن بالباب المصرى ثم أوصلها الى الرحبة التي عند مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من جهة باب السلام وبني لها هنالك منهلاً بدرج تحت الدور يستقى منه أهل المدينة، وأخذ أمير من أمراء الشام يسمى أبا شامة من هذا المنهل شعبة صغيرة أدخلها الى صحن المسجد النبوي وجعل لها به منهلاً بدرج عليه عقد، وفي هذا المنهل فوارة ماء يتوضأ منها من يريد الوضوء ولكنها بلت الأرض، وكان يستنجد منها بعض الجهلة وبكشف عورته فسدت ولكنها أعيدت الآن (١٣١٨هـ) كما كانت، وقد جعل ابن أبي الهيجاء مصرفاً للعين الزرقاء يتسدى من المنهل الذي دون باب السلام ويسير في مكان يعرف الآن بسوق الخرازين ثم في مكان آخر يعرف بالساحة ثم يخرج الى ظاهر المدينة الشمالى من شرق القلعة التي بالباب الشامى، وقد أنشئ لها في المدينة مناهل أخرى منها منهلان بالساحة عند القلعة يواجهان بابها، ومنهلان داخلها، ومنهل بحارة «الأغوات» شرق المسجد النبوي في مكان يقال له: الحرة وكل المساقى (السبل) الموقوفة بالمدينة تستمد مياهها من هذه العين وكذلك حمام الصدر الأعظم محمد باشا الشهيد بحارة دروان، وحمام أحمد أفندى الترجمان مدير الحرم — بالمناخة — وتسقى منها بستين عدة في داخل المدينة، منها بستان العينية وقف الامام العيني شارح صحيح البخارى وهو في شارع باب السلام، وبستان آل برى زاده بالمناخة تجاه مصلى الاعياد أو مسجد الغمامة وبستان عبد العال في التاجورية بالمناخة وبستان السادة الأسعدية داخل الباب الشامى وبستان داود باشا، ولكنه خارج الباب الشامى، وداود هذا هو الذى كان والياً على بغداد ونجح على الدولة وضرب

سكة كتب عليها ((يادأود إنا جعلناك خليفة في الأرض)) ثم عفت عنه الدولة وعينته شيخا للمسجد النبوي أو الحرم في عرف أهل المدينة، وفي بستانه لوح رخام سطرت فيه أبيات شعرية آخرها (تاريخه غرسه ١٣٦٥ هـ) . أنظر البستان وسوره بجوار معسكر المحمل سنة ١٣٢٦ هـ . في (الرسم ١٧٢) الذي ترى في وسط أعلاه مسجد العريضي وقبته .

ومن هذه العين تملأ الدوارق التي بالمسجد والتي لا تحصى كثرة ويشرب منها الناس ويطوف ببعضها طائفون . أنظر الدورق في (الرسم ٣٣٠) .

وبعد أن تخرج العين الى ظاهر المدينة الشمالى تسير مبحرة فاذا ما كانت بين مسجد السبق وقبر ذى النفس الزكية ابن جعفر الصادق كان لها منهل هنالك (١) ومنهل آخر شرقى المسجد المذكور على يمين السائر نحو ثنية الوداع التي تسير العين إليها ثم تجاوزها مارة شمالى جبل سلع على مقربة من مسجد الراية ، ولها هنالك منهل قريب من ظهر الأرض له باب ودرج ثلاث ثم تمر غربى الجبلين اللذين فى شرقهما مساجد الفتح (مسجد الفتح ومسجد على ومسجد سلمان) ثم تسير حتى تصل الى مجمع مائها المسمى « بالبركة » حيث الغابة ذات الأشجار الكثيفة والبساتين النضرة والمزارع الطيبة ، وهذه العين تبدأ بعيدة المجرى عن ظهر الأرض وكلما سارت نحو الشمال اقتربت من ظاهرها حتى تكون على سطح الأرض



(الرسم ٣٣٠ دورق نغار) عند اقترابها من الغابة التي شرقى مسجد رومة ، والمناهل التي قدمنا ذكرها تسمى بالعيون ، وعين الأزرق أو العين الزرقاء كما يسميها أهل المدينة كانت ولا تزال موضع عناية الملوك والأمراء والنجار ، وقد وصل مجراها فى أزمنة مختلفة ثلاث آبار بئر تنسب للنبي صلى الله عليه وسلم بقباء وبئر الرباط وبئر

(١) عن امرأة مكة لأيوب صبرى باشا أمير اللواء البحرى العثماني .

معسكر الحجاز بالمدينة المنورة ١٣٢٦ بالداودية



172. A view of the camp of El Mahmal in El Dawadieh in Medina in 1326.

اجتماع أهالي المدينة المنورة



جموع أهالي المدينة المنورة

173. A photo of the people of Medina gathering.

Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header.

Handwritten text in the middle of the page, possibly a paragraph or section header.

Page 103

Handwritten text at the bottom of the page, possibly a signature or footer.

عَدَّق ، ولما تخربت في أوائل حكم العثمانيين بقيت مدة مهملة حتى لحق المدنيين من قلة الماء جهد شديد ، وقد عمرها السلطان سليمان سنة ٩٢٣ هـ . ثم خربها السيل فعمرها السلطان مراد الثالث سنة ٩٩٩ هـ . وضم الى منابعها بئر الغربال التي اشتراها سنة ٩٩٠ هـ . فزادت مياهها أضعاف ما كانت عليه ، وفي سنة ١١١١ هـ . اشترى السلطان مصطفى بئر العقدة وأضافها الى منابعها أيضا ، وفي سنة ١٢١٢ هـ . بنى مجراها السلطان سليم الثالث ولكن ماعتم أن خربه الوهابيون لما حاصروا المدينة سنة ١٢٢٤ هـ . فأصلحه محمد علي باشا ثم جدد البناء السلطان عبد الحميد بعد سنة ١٣٠٠ هـ . واشترى بئر بورية وأضافها الى منابعها فصار لها منابع متعددة تتصل بمجراها الأصلي بواسطة قنوات في جوف الأرض وأصبح المجرى كنهري تتدفق فيه المياه فيشرب الناس والأنعام وتسقى الرياض والمزارع .

والمياه يوزعها السقاءون على مساكن المدينة في قرب يملؤها من الحنفيات المتينة بجدر الخزانات أو المناهل التي ينزل إليها على درج واسع من الحجر يبلغ نحو الثلاثين لكل منهل .

ولعين الأزرق أوقاف ينفق منها على عمارتها والقائمين بخدمتها ولها أمير يرأس خدمها ويلاحظ شؤونها فيخرج كل سنة ما قد يتجمع في المجرى من طين وحشائش وغيرها .

وسميت هذه العين بالزرقاء أو بعين الأزرق لأن مروان الذي أجزاها بأمر معاوية كان يلقب بالأزرق لزرقه في عينه .

لئن قيل في زرق العيون شامة • فعندى أن اليمن في عينها الزرقا

وفي ضواحي المدينة عدا العين الزرقاء عيون وادي حمزة التي تبلغ أربعين عينا أو تزيد ، وحقيقة هذه العيون آبار فتح بعضها الى بعض فتكونت منها مجارى ضيقة تارة تكون نصف متر في مثله وتارة تكون أقل من ذلك أو أكثر ، فسموا تلك المجارى عيونا ، ومنشؤها شرق المدينة حيث الأرض عالية وتسير مغربة نحو حمزة ثم الى غربي المدينة حيث الأرض هنالك واطئة ، وكذلك من عيون المدينة

عين السلطان وتجرى بحذاء عين الأزرق في مجرى دون مجراها وماءها ملح، والغرض منها تطهير مجارى المدينة وسحب القاذورات الى خارج البلد .

وحول المدينة أودية كثيرة كوادى العقيق ووادى بطحان غربى المدينة ، وفى جزء منه بعض مبانيها ، ووادى رانون يأتى من جبل عير قبل المدينة ويمتز بقباة . ويختلط بوادى بطحان غربى المدينة ، ووادى مذنيب وهو شعبة من بطحان ، ووادى قناة فى شرق المدينة الشمالى ، وقد فاض هذا الوادى فى سنة ٧٣٤ هـ . فأغرق الجهة الشمالية من المدينة وصعب على الناس أن يصلوا الى مشهد حمزة أربعة أشهر ، ومن وديانها وادى مهزور ويأتى من الحرة الشرقية وقد سال هذا الوادى فى عهد عثمان سيلانا عظيما خيف على المدينة منه الغرق ، فعمل عثمان الردم الذى عند بئر مدرى ليرد به السيل عن المسجد النبوى والمدينة وتحول الى وادى بطحان ، وكذلك سال فى خلافة المنصور سنة بضع وخمسين ومائة حتى بلغ أنصاف النخيل فى بعض الجهات وهدم بيوت بطحان وبني جشم ، وقد وفق أهل المدينة الى ثقب كبير كشفوا عنه ففاضت فيه المياه وقد دلم على ذلك رجل عجوز من أهل العالية ، وأشهر هذه الأودية ، أولها فإن به المزارع الفسيحة والرياض الأنيقة والحدائق الشهيرة ، التى من أشهرها حديقة عبد القادر الرشيدى وحديقة السيد عبد المحسن أسعد وحديقة السيد عبد الله أسعد ، وفى هذا الوادى مسجد عروة (الرسم ١٦٣) وبئر عروة التى هى من أطيب آبار المدينة ماء وكان يهدى ماؤها فيما سلف لأمراء الشام والعراق وهى داخل حديقة الرشيدى ، وفيه مسجد للسيد عبد المحسن أسعد طوله ٣٠ مترا فى عرض نصفها وقد بناه فى سنة ١٣١٠ هـ . ويجواره قلعة سلطانية وإن شئت فقل هذا الوادى أطيب جهات المدينة ماء وهواء ، وحسبك فى ذلك حديث البخارى الذى رواه عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادى العقيق أتانى الليلة آت من ربى فقال : صل فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة ، وعن عامر بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب الى العقيق ثم رجع فقال يا عائشة جئنا من

العقيق فما ألين موطنه وأعذب ماءه قالت فقلت يا رسول الله أفلا تنتقل إليه؟ قال : وكيف وقد ابنتي الناس؟ ولطيب هذا الوادي أستقطعه بلال بن الحارث من النبي صلى الله عليه وسلم فأقطعه له كله، ولما كان زمن عمر أخذ منه العقيق الأدنى من المدينة وترك له الأقصى الذي به ذو الحليفة، قال عبد الله بن أبي بكر لما ولي عمر قال يا بلال : إنك استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضا طويلة عريضة فأقطعها لك وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنع شيئا سئله وإنك لا تطيق ما في يدك فقال : أجل قال : فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه وما لم تطق فادفعه إلينا نقسمه ، فأبى فقال عمر : والله لنفعلن فأخذ منه ما عجز عن عمارته فقسمه بين المساميين ، وهذا الوادي يطوف بالمدينة من جهة الجنوب والغرب والشمال ولكنه بعيد عنها فهو من جهة الجنوب بعد قباء شمالي وادي النقيع الذي حماه رسول الله صلى الله عليه وسلم نخيل الجهاد، وكانت فيه الدوحات العظيمة والغابات الكثيفة التي يستتر فيها الراكب ، ومبدؤه من جهة الغرب على ميلين من المدينة عند المدرج الحجري القريب من بئر عروة ويصل إليه الآتي من المدينة في ٤٥ دقيقة ويمتد غربا إلى ما بعد ذي الحليفة عند آبار على ، على مسير ساعتين وثلاث ساعة، أما من الشمال فينتهي عند بئر رومة على مسير ساعة من المدينة ، والقسم المقارب للمدينة من العقيق الغربي يسمى العقيق الكبير أو الأكبر وفيه بئر عروة، والأقصى الذي فيه ذو الحليفة يطلق عليه العقيق فحسب وهو الذي أبقاه عمر بيد بلال بن الحارث، والقسم الشمالي يسمى العقيق الصغير أو الأصغر ولديه بئر رومة ، وكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه عقيق ، وبالعقيق عرصتان وجموات ثلاث، والعرصة في الأصل الفضاء المتسع ليس فيه بناء، والجماء الهضبة سميت بذلك لأنها دون الجبل فهي أشبه بالشاة الجماء التي لا قرن لها : وإحدى العرصتين تلى بئر رومة وهي الكبرى منهما وتسمى عرصة البقل ، والأخرى بينها وبين العقيق الكبير وتسمى عرصة الماء، والعرصتان من أفضل بقاع المدينة وأكرم أصقاعها، وكان بنو أمية يمنعون البناء فيهما ضناهما ، ولم يكن لأمر المدينة أن يقطع بهما

قطيعة إلا بأمر الخليفة . كتب سعيد بن العاص الى عبد الأعلى بن عبد الله ومحمد بن صفوان الجمحي وهما ببغداد يذكرهما طيب العقيق والعرصتين في أيام الربيع فقال :

إلا قل لعبد الله أما لقيته * وقل لابن صفوان على القرب والبعـد

ألم تعلم أن المصلى مكانه * وأن العقيق ذو الأراك وذو المرد^(١)

وان رياض العرصتين تزينت * بنوارها المصفر والأشـكل^(٢) الفرد

وان بها لو تعلمان أصائلا * وليلا رقيقا مثل حاشية البرد

فهل منكما مستأنس فسلم * عل وطن أو زائر لذي الود

فأجابه عبد الأعلى :

أتانى كتاب من سعيد فشاقتى * وزاد غرام القلب جهدا على جهـد

وأذرى دموع العين حتى كأنها * بها رمد عنه المراود لا تُجـدى

فان رياض العرصتين تزينت * وأن المصلى والبلاط على العهد

وأن غدیر اللابتين ونبتـه * له أرح كالمسك أو عنبر الهند

فكدت بما أضمرت من لايح الهوى * ووجد بما قد قال أفضى من الوجد

لعل الذى كان التفرق أمره * يمن علينا بالدنو من البعد

فما العيش إلا قربكم وحديثكم * اذا كان تقوى الله منا على عمد

ولله ما قاله بعض المدنيين :

وبالعرصة البيضاء اذ زرت أهلها * مَهْمَا مَهْمَلَات ما عليهن سائس

نخرجن لحب اللهو من غير ريبة * عفائف باغى اللهو منهن آيس

يردن اذا ما الشمس لم يخش حرها * خلال نساتين خلاهن يابس

اذا الحز آذاهن لذن بحجرة * كما لاذ بالظل الظباء الكوانس

فأما الجماعات الثلاث فالأولى منها جماء تُضارع وتنتهى الى بئر عروة وما والاه

وفىها يقول أحيحة بن الجلاح :

(١) المراد : الغض من ثمر الأراك أو نضيجه . (٢) الأشكل : ذو الألوان المختلفة والفرد

الذى لا نظير له .

إني والمشعر الحرام وما * بحمت قريش له وما نحرروا
لاأخذ الخطة الدنية ما * دام يرى من تضارع حجر
والثانية منها جماء أم خالد وهي في شمال الأولى، والثالثة جماء العافر في شمال
الثانية، وفي إحدى هذه الجماوات يقول أبو قطفيفة :

القصر فالنخل فالجماء بينهما * أنهمى إلى القلب من أبواب جيرون^(١)
إلى البلاط فما حازت قرائنه * دور نرحن عن الفحشاء والهون
قد يكتم الناس أسراراً وأعلمها * وليس يدرون طول الدهر مكنوني
وقد كان بالعقيق في صدر الإسلام القصور الفاخرة والجنات الناضرة والثمار
الليانة التي تحدثك عنها الأشعار السائرة، ومن تلك القصور قصر عروة بن الزبير
ويجانبه بئر ويقول فيهما عامر بن صالح :

حبذا القصر ذو الظلال وذو البئر * ببطن العقيق ذات السقاة
ماء مزن لم يبلغ عروة فيها * غير تقوى الإله في المفضعات
بمكان من العقيق أنيس * بارد الظل طيب الغدوات
ويقول في البئر السري بن عبد الرحمن الأنصاري :

كفنونى إن مت في درع أروى^(٢) * واستقوا لى من بئر عروة مائى
سخنة في الشتاء باردة في الصيف * سراج في الليلة الظلماء

ومنها قصر عاصم بن عمرو، وقصر المغيرة بن أبي العاصي وقصر عنبة بن عمرو
وقد نزل به جعفر بن سليمان لما كان والياً على المدينة وابتقى إليه أرباضاً أسكنها
حشمه ثم تحوّل منه إلى العرصة فابتنى بها وسكنها حتى عزل وفي ذلك يقول
ابن المزكى :

أوحشت الجماء من جعفر * وطالما كانت به تعمور
كم صارخ يدعو وذى كربة * يا جعفر الخيرات يا جعفر
أنت الذى أحيت بذل الندى * وكان قد مات فلا يذكر

(١) دمشق . (٢) أروى بنت أوبس .

ومنها قصر المستقر لأبى بكر بن عبد الله بن مصعب وقصر عبد الله بن أبى بكر
ابن عمرو وقصر إبراهيم بن هشام وقصر آل طلحة وقصر خارجة وقصر عبد الله بن
عامر وقصر مروان بن الحكم وقصر سعيد بن العاص الجواد الشهير .

وبالجملة فقد كان العقيق صروحا شماء ورياضا فيحاء ومروجا خضراء ولا تزال
معالم تلك القصور قائمة تبديك عن مدينة واسعة ومجد تليد وعز منيع ، والله عبد السلام
ابن يوسف إذ يقول شوقا الى العقيق وساكنيه :

على ساكنى بطن العقيق سلام * وإن أسهرونى بالفراق وناموا
حظرتم على النوم وهو محرم * وحلاتم التعذيب وهو حرام
إذا بنتموا عن حاجرى وحجرتم * على السمع أن يدنو إليه كلام
فلا ميلت ريح الصبا فرع بانه * ولا سمجت فوق الغصون حمام
ولا قهقهت فيه الرعود ولا بكى * على حافتيه بالعشى غمام
فملى وما للربيع قد بان أهله * وقد قوضت من ساكنيه خيام
ألا ليت شعرى هل الى الرمل عودة * وهل لى بتلك البانتين ليام^(١)
وهل نهلة من بئر عمرو عذبة * أداوى بها قلبا براه أوام^(٢)
ألا يا حمامات الأراك اليكموا * فملى فى تغريدكن مرام
فوجدى وشوق مسعد ومؤانس * ونوحى ودمعى مطرب ومدام

أهالى المدينة — قال تعالى ﴿والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يسكن المدينة

(١) الحاجر : مثبت الزمتم ومجتمعه .

(٢) البان : ضرب من الشجر واحدته بانه والسام : الاجتماع فى بعض الأحيان .

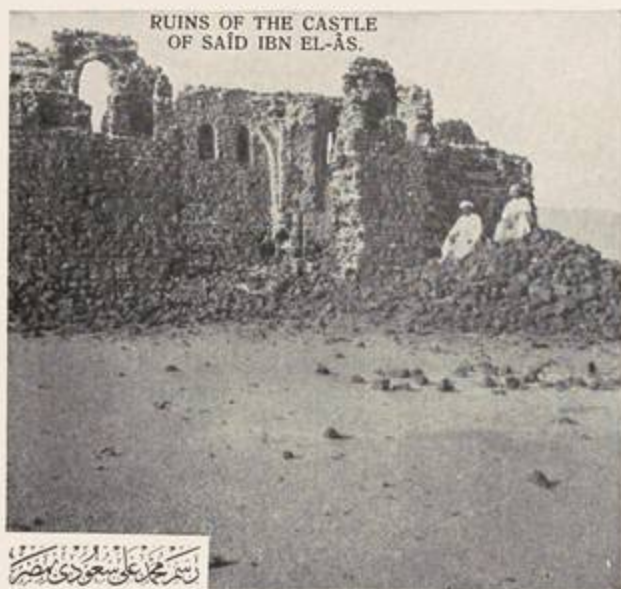
(٣) الأوام : حر العطش .

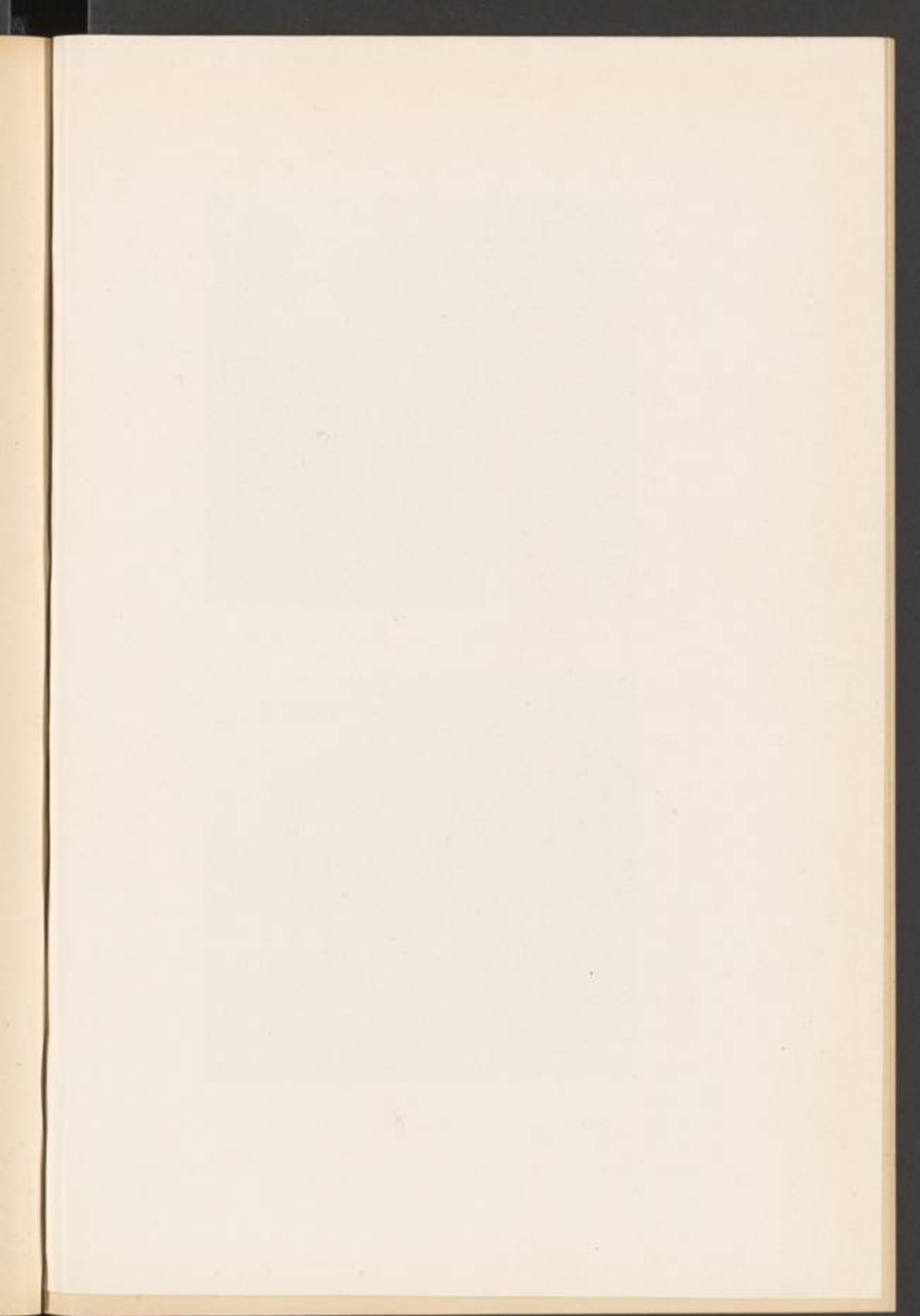
(٤) شدة الفقر .

٢٢٥ آثار قصر سعيد ابن العاص



٢٢٥ آثار قصر سعيد ابن العاص





حوالى ٥٦ ألفا بينهم من ذرية الأنصار الذين نزلت فيهم هذه الآية مالا يعدو أصابع اليد وأكثرهم من الشاميين والأتراك والهنود والمصريين والمغاربة الذين رحلوا الى المدينة ليجاوروا رسول الله صلى عليه وسلم وليسكنوا البلد الذى عز فيه الاسلام وانتشر منه نوره في قارات الدنيا القديمة، وأشهر الأمر العريقة بالمدينة السادة الأسعدية والسادة المدنية وآل حماد وآل برادة وآل البرى وآل الياس وآل الكردى وآل الرفاعى وآل سفّر وآل الطيار وآل الأنصارى، وبيت البساطى وبيت الداغستانى، وأشهر البيوت المصرية بيت الدمياطى وبيت الأسكندرانى وبيت حجاج الصعيدى وبيت طقّوس الصعيدى، وأشهر البيوت الشامية بيت الخطيب، وأشهر الأمر المغربية أسرة السكّانى وأسرة الجزائرى، وأشهر البيوت الهندية بيت لمبو وبيت الفتنى وبيت عبد الرسول وبيت السندي، ولا تزال الأخلاق الفاضلة التى أشادت بذكراها الآية رابضة في نفوس المدنيين، فالأخلاق مهذبة والنفوس مكلّمة والأكف موطأة بألقون ويؤلقون أنجاب كرماء أقاموا لنا الولائم الفاخرة ودعونا اليها بصدور منشرحة وبشاشة باشة، وما كان ذلك مكافأة لنا على خدمة قدمنا ولا انتظارا لشيء منا، غاية ما فى الأمر أنهم كانوا يأتون الى معسكرنا لسماع الموسيقى - وأنهم لشديدو الولع بها - كل يوم بعد العصر فكنا نفرش لهم السجادات ونجلسهم على الكراسى ونقدم لهم الشاي والقهوة، ومن دعونا فلبينا دعوتهم سعادة شيخ الحرم والسيد على زين العابدين الحبشى وأخوه وهما من أكابر الأشراف - كانت دعوتهما فى سنة ١٣٣٢ هـ وترى الذين كانوا معنا فى الولاية (الريم ١٧٣) - ومحيى الدين الدرازوى وله مرتب من وقف عباس باشا الأول يزيد إيراد سنويا على أربعة آلاف ريال، وبكبيرك ناظر التكية

(١) قد قل عددهم الآن وربما كانوا اثني عشر ألفا وسبب ذلك هجرة أهل المدينة الى الشام والأناضول والهند لما أن غادر الأتراك بلاد الحجاز وأصبحت السيطرة لذلك حسين فقطعت المراتب التى كانت ترد من تركيا وكذلك قطعت مراتب مصر أخيرا وتبرعات كانت تأتي من الهند وبنجارى وسبب كل هذا توتر العلاقات بين الحجاز وكثير من الممالك الاسلامية .

المصرية ومحمد أفندي التركي، وكانت هذه الولايم في بيوت جميلة وحدائق ذات بهجة تجرى من تحتها الأنهار، وقد بلغ من كرم أخلاقهم أنهم يستقبلون خارج المدينة الوافدين عليها من كل فج عرفوهم أو جهلوهم فيتلقونهم ببشاشة وسعة صدر ويدعونهم الى منازلهم فيجدون بها أهلا وسهلا وعيشا رغدا، وما فعلوا ذلك طمعا في مال أو رغبة في أجر ولكنه خلق تمكن فيهم فدفعهم الى إكرام الضيف لإرضاء لوازع النفس وإجابة لنداء الضمير. وأكثر أهل المدينة لوهم السمرة الضاربة الى السواد وفيهم ذو السمرة الخالصة أو البياض الناصع وأجسامهم نحيفة وحواسيهم رقيقة وهم يتعيشون من التجارة والزراعة القليلة والمرتبات التي يتقاضونها من أوقاف أرصدت لهم أو يأخذونها في نظير عمل يقومون به في المسجد النبوي، وكثير منهم يرتقى من الإرشاد الى المساجد الماثورة والأماكن والبقع المباركة. والبساتين والحقول يقوم بحراستها والخدمة فيها ورعى مواشيها، بل بالخدمة في البيوت أيضا جماعة من ذرية الأعمام يسمون النخولة وهؤلاء بالمدينة أشبه بالفلاحين في مصرنا ولولاهم ما قامت الزراعة وهم رافضة يبغضون أبا بكر وعمر واحتقارا لهم وعقابا على زعتهم الباطلة كلّفهم رئيس البلدية بأن يقوموا بطرد الكلاب من حول المسجد النبوي ويجمع بهم الأعمام في مواسم الحج ويؤجرون منهم الدور بما فيها !!!

والجارة بالمدينة في أصناف كثيرة فيتجر أهلها وأرباب البادية في التمر والسمن والخبز - وهو رخيص - وعسل النحل والحبوب من قمح وشعير وفول وحمص وذرة ورمس وعدس وأرز، وأكثر الحبوب يرد من مصر والشام والهند، والسمن والخبز أكثره يأتي به الأعراب من البوادي فيشترون به الحبوب والخبز والنعاس ويتجرون في الإبل والغنم والحيل الجيدة التي تأتي من نجد والحمير الحساوي، وفي الحرير بأنواعه والخياب القطنية والصوفية وتأتي إليها من تركيا ومصر والهند ويتجرون في السجادات وتأتي من فارس وبغداد والبصرة، ويأتي من الأخيرتين العباات التي يختلف ثمن الواحدة من نصف جنيه الى عشرين، وتأتي الأبسطه « الأكلمة » من فارس وريكا وبغداد، والنعاس يرد من مصر. وأهم صنف يتجرون فيه التمر الذي خصت

المدينة من أصنافه بما لم يخص به غيرها ، وقد بلغت أنواعه ١٧٢ نوعا منها الأنواع الحرة وتبلغ نحو ٧٢ صنفا ، وهذه يأكل منها أهل المدينة ويهدون ، ومنها الأنواع التي تسمى «لونا» وتقارب المائة ، وهذه يأكل منها عرب الجبال لرخص ثمنها ، ومن اللون ما له نوى وما ليس له ، والأبيض والأصفر والأحمر والغليظ والرفيع وذو الحجم الكبير والصغير ، أما الأنواع الحرة فأهمها «العنبرة» وطول التمرة منها يقارب ١٠ سنتيمترات في عرض نصفها ، وثمنها أربعة أمثال ثمن غيرها وهذا الصنف قليل ثم «الشابي» ويهدى لكثير من الأمراء والكبراء ثم «الحلوة» وهو أحب الأنواع إلى أهل المدينة بلحه ورطبه وتمره ثم «البيض» — طوله كعرضه — ثم «الشقري» ثم «السكر» ويتفتت في الفم بسهولة بلحه ورطبه وتمره كأنما هو سكر ثم «الطبرجلي» ويكون أصفر بلحا ورطبا ثم «البرني» و«العجوة» و«الخضريّة» ولونه أخضر بلحا ورطبا وتمرا «والرباعي» «والمكتومي» ويشبه فنجال القهوة ثم «سكر الشرق» ثم «الجاوي» وهو أسود اللون بطنا وظهرا رطبا وتمرا و«اللبانة» ولونها أبيض ولا تؤكل إلا تمرا وهي أنواع سبعة «والفند» وهو أحمر اللون ذو أنواع ، والحركة بارد إلا الشابي والجاوي فانهما حاران إذا أكل منهما المرء شرب من الماء كثيرا ولذلك لا يأكله أهل المدينة إنما يهدونه حيث الأجواء المناسبة لأكله .

وأكثر تجار الجيوب والتمر من المصريين ويلهم الترك والشوام والهنود ثم أهل المدينة، والاردب عند أهل المدينة يتقسم إلى ٢٤ مدا والمد خمس أقات — من القمح — والأفة ٤٠٠ درهم كأقتنا والكيلة عندهم ربع المد والشطر نصف الكيلة، والرطل المصرى يستعمل عند العطارين فقط والأفة تستعمل في كل شيء .
والعملة الأصلية في المدينة إجنيه العثماني (٨٧,٧٥ قرشا مصريا) والريال العثماني (١٦,٢٥) وكل النقود الذهبية والفضية في الدول المختلفة مستعملة بالمدينة .
وأشهر الأسواق بالمدينة سوق باب السلام ويمتد من هذا الباب بالمسجد النبوي إلى الباب المصرى على مسافة تقارب ٤٠٠ متر في شارع ضيق لا يعدو عرضه

أربعة أمتار ، وبهذا السوق الأشياء الثمينة ويليه سوق البلاط على يسار المتجه الى باب السلام ثم سوق الساحة بعده ثم سوق المناخة ، وفيه الحبوب والمحوم والخضراوات والفواكه والأشياء القديمة في مكان يقال له « سوق الحراج » .

عادات أهل المدينة — من عاداتهم في الزواج أنه اذا رغب قتي في الأقتان بفتاة اتفق أهله مع أهلها ثم تذهب أسرة الزوج الى منزل آل العروس فيقوم خطيب من قبل الأولين يخطب خطبا ثرية وشعرية يعدد فيها مفاخر الزوجة ويلمح فيها باسم العروس ثم يقوم خطيب من قبل أهل المخطوبة فيعدّد مآثر الزوج ومفاخر أسرته ثم يقبض المهر بأكله — وقد يؤخر بعضه في الأسر الفقيرة — ويستحضر المهر في صندوق من فضة به ورقة كتب فيها مقدار المهر وقيمة الجارية التي يشتريها والد الزوج لتخدمها ، والمهر لا يزيد على مائة جنيهه وقيمة الجارية من ٣٠ الى ٥٠ جنيها مجديا ، ويقدم مع المهر ملابس حريرية للزوجة مشغولة بالفضة « والتل » الكثيرين قيمتها من ٥٠ الى ١٠٠ جنيه ، ويبلغ ثمن « التكة » وحدها حوالي عشرة جنيهات في المهور الكبيرة ، والزفاف يكون بعد سنة من هذه الحفلة ولا يكون قبل ذلك حتى يتمكن والد الزوجة من إعداد الأثاث لمنزل زوجها وفرشه ، وهم يسرفون في الجهاز كما يسرف سكان القاهرة والمدن المصرية ، وتقام وليمة في منزل الزوج يوم نقل الجهاز يدعى اليها أقارب العروسين والأصحاب ويستكثرون من الأشخاص الذين يحملون الجهاز حتى أن لكل قطعة صغيرة حاملا خاصا ، ويدفع الزوج أجر الجمالين ، وفي حفلة الجهاز يعين يوم الدخول ليلة اثنين أو جمعة ويكون ذلك بعد نقل الجهاز بأسبوع كما هو عادتنا بمصر ، وتزف العروس وقت السحور الى منزل زوجها في عربة وحين تصل تزف مع زوجها داخل المنزل بحضور جمع من النساء سافرات يحملن الشموع ثم يدخل بها المخدع فاذا ما أشرقت الشمس خرج الزوج الى منزل العروس ليتغدى فيه ثم يرجع الى زوجته ، ولا يباح للزوجة أن تخرج من المنزل إلا بعد سنة وربما تساهلوا الى ستة أشهر ، وتقام ولائم للرجال والنساء ليلة الزفاف وليتين قبلها وليمة بعدها يبذر فيها المال تبذيرا كما أسرفوا في الجهاز والمهدية

— والشبكة — وكان خليقا يجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتجنبوا الإسراف والمخيلة وأن يقفوا عند ما رسمه من الحدود فيقتصدوا في المهور والأجهزة والولائم، ولكن الناس أولعوا بالزخارف والمظاهر عن رعاية المصالح والشرائع الحقة (وَزَيْنَ لَهْمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) .

وإن تكن هذه سيئة منهم فحسنة كبيرة فيهم أن الميت إذا فاضت روحه لا يرفع صوت ولا يشق جيب ولا تنوح نائحة ولكن تبكي العين ويحزن القلب ولا يقولون ما يغضب، الرب ولا تتبع امرأة جنازة، فهم في ذلك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جرت عادتهم أن الميت بعد أن يوارى التراب يقف أهل الميت فيعزيهم الناس ثم يعيدون الكرة إذا رجعوا إلى منزله ويحضرون إليه ليلتي ثلاثا ليقرءوا القرآن ويهدوه إلى روح الميت ويستغفروا له، ويقدم أهل الميت لكل قادم إليهم جزءا يتلوه فيه القرآن إن كان يحسن التلاوة، ويسرفون في المآتم كما يسرفون في الأفراح، فكل معزية طاعمة، ويزورون المقابر رجالا ونساء ليلة الاثنين وليلة الخميس ويأخذون معهم الرِّيحَان يضعونه على القبور كما شق رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة شقين ووضعها على قبرين، ويقرأ لهم القراء هنالك القرآن ويأخذون نظير ذلك ما تيسر من النقود، ولا يفرقون أطعمة هنالك كما تفعل ولكن يأخذون الماء ويديحونه للراغبين . و يقيمون مولدا لسيدنا حمزة عند مشهده كل سنة من أول رجب إلى منتصفه بحضرة أهل المدينة رجالا ونساء، وأهل مكة والطائف وجدة ورايح وسكان البوادي الذين يزورون المدينة كل عام في رجب، ويحضر أرباب الطرق وتذبح هنالك الذبائح ويطعم الطعام، ولولا ما في ذلك من اتخاذ القبور أعيادا ودعاء الموتى من دون الله والجلوس على المقابر وسن شرائع لم يأذن بها الله لدخل هذا في حظيرة الجائر . وكذلك يعملون مولدا لسيدنا علي العريضي عند قبره، ومسجده شرق المدينة على مسيرة ساعة ونصف منها، والمولد في الأكثر يكون في صفر، وهذا المولد يستمر أربعة أيام، والعريضي هذا شقيق ذى النفس الزكية ابن جعفر الصادق .

ومن عاداتهم في رمضان أنهم يتناولون فطورا خفيفا في المسجد النبوي بعد أذان المغرب لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ، وهذا الفطور من الأشياء الحلوة ونحو الزيتون والفطير وما شابه ذلك ثم يصلون المغرب ويذهبون الى بيوتهم ليتناولوا الفطور الكامل ، ويأخذون كل من يجردون في الطريق ، وبعد الأكل يحضرون الى المسجد لصلاة العشاء وصلاة التراويح ، وهذه تقام بأئمة كثيرين ينفون على الخمسين ، فكل كبيره ولأتباعه إمام ، والنساء لمن إمام واحد ، والأئمة إما من الشبان الذين حفظوا القرآن أو من علمائهم ، وأمام كل إمام شمعدانان بكل شمعتان تصرف من خزينة الدولة ، ويتقاضى هؤلاء الأئمة مرتبا من الدولة آخر رمضان أجرا لهم على إمامتهم ، وسراة البلدة يوزعون الثياب البيض على الفقراء والمساكين غب الصيام ، وعيد الفطر عندهم أربعة أيام يتزاورون فيها جميعا لكل جهة يوم مخصوص يزورون فيه أهالي الجهات الباقية ، ويقدم للزائرين الحلوى فيأكلون وماء الورد فيتطيبون والعود الهندى فيتبخرون . ويقاد في الحجرة النبوية ليلالى رمضان من العشاء الى إكمال صلاة التراويح أربعة عشر شمعدانا ذهبيا زنة الواحد سبع أقات كما حدثنا بذلك السيد عبد المحسن أسعد من كبار المدنيين .

وفي ٢٧ ذى القعدة من كل سنة تقدم كل أسرة هدايا الى حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهى أيكاس من « الشاش » بعدد أفراد الأسرة ، فى كل كيس من ٢٠ الى ٥٠ درهما من القمح الطيب النظيف ، ويضعون هذه الأيكاس فى الحجرة من الشباك فىأخذها الخصيان — الأغوات — خدم المسجد ويهادون بها الملوك والأمراء والأكابر ، ويتنقى أهل المدينة من وراء ذلك بركة أو بركة صدون الصدقة ولكن لا أدرى على من ؟ وليست تعطى لصنف من الأصناف الثمانية الذين تقسم فيهم الصدقات كما نطق بذلك القرآن .

ومواعيد سداد الديون عندهم حضور المحمل الشامى أو المصرى ، والأوّل أحب الى الدائنين لحضوره أولا والثانى أحب الى المدنيين لحضوره آخر .

ويعملون عقيقة الطفل يوم الولادة وربما كررها الأغنياء في اليوم السابع الذي يسمون فيه الموالود ويضعون عليه من الحلى ما ينوء به الرجل الكبير وبعد التسمية تحرك يد « الهون » داخله حركات متوالية إيذاناً بالتسمية فيزغرد النساء اذ ذلك، واذا ماتم للطفل أربعون يوماً على الأقل أثقله أهله بالزينة وزهبت به أمه وقريباته ومعهن القابلة تحمله الى المسجد النبوى قبيل المغرب، فبعد أن ينتهى النساء من صلاة المغرب بمكانهن الحاضر (التفقيصة) يأتى أحد الخصية — الأغوات — فيأخذه ويدخله الحجره ويضعه تحت الستر الذى هنا لك عند رأس النبي صلى الله عليه وسلم ويكون بصحبته عيش لت بالسمن يدخل معه الحجره ثم يوزع بعد ذلك على الأهل والأقارب فيما كلون منه ويتبركون، ويعطى للخصى نظير ذلك بن وسكر ودرهم معدودة .

وأكثر البيوت يقوم بالخدمة فيها الجوارى وعلى ربة المنزل أن تنظم وتشير .

ومن عاداتهم أنه اذا ضرب شخص آخر ضرباً يكاد يقضى عليه والتجأ الى أحد الأعيان وقال له : أنا فى وجهك — يعنى حماك وكنتك — فيأخذ هذا من فوره جمعا من أصحابه وأقربائه ويذهبون الى أسرة المضرور فأى شخص صادفوا منها ألحوا عليه حتى يتكفل لهم بتأجيل الأخذ بالثا سنة، ومتى تكفل أجازه قوميه وبعد السنة إما صلح على مال يدفعه أهل البلد وقد يتسامح فيه المدنيون حاشا الأعراب واما قصاص، وذلك قليل لأن الحفيظة يخفف أثرها مضى الزمن وأجتهاد آل الجنائز فى استرضاء أولياء المجنى عليه .

جوق المدينة — المدينة شديدة الحر فى الصيف ولا سيما قبيل الظهر الى ما بعد العصر حيث يشتد هبوب ريح السموم التى تؤدى بحياة كثير من الغريباء الذين لا يخطاطون، وتحف وطأتها من بعد العصر الى منتصف الليل، ومن ذلك الى الضحوة هواء لطيف يشرح الصدر وينعش النفس، وأعلى درجة تصل اليها الحرارة ٢٨ سنتجراد . والناس فى الصيف ينامون على ظهور البيوت يلتحفون السماء

لا فرق في ذلك بين غنى وفقير، وإذا ما هبت ريح السموم أثلجت الماء الساخن في مدة لا تعدو ١٠ دقائق، أما في زمن الشتاء فالبرد شديد وتنزل درجة الحرارة الى ١٠° فوق الصفر نهارا والى ٥° تحت الصفر ليلا، وجو المدينة في الجملة أشد من جو مصر صيفا وشتاء.

قرى المدينة أو توابعها — يتبع المدينة قُباء وقُرْبان والعوالى وكلها جنوبي المدينة، وتعتبر من ضواحيها، وفي شمالها العيون والبركة عند مسجد حمزة وهما من الضواحي والحَنَّا كَيْه ثم خَيْبَر وهما بعيدان عن المدينة في شمالها الشرقى، وكانت خير في صدر الاسلام دارا لبنى قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ وبها كان السموعل بن عاديًا الشاعر المشهور وهي بلدة عامرة أهلة ذات نخيل وحدائق ومياه تجري، وعلى مقربة من خيبر قدك التي صالح أهلها النبي صلى الله عليه وسلم على النصف من ثمارها سنة أربع من الهجرة ولم يوجف المسلمون عليها بنخيل ولا ركاب، فكانت له صلى الله عليه وسلم خالصة ينفق منها في المصالح العامة، وكان معاوية بن أبي سفيان قد وهبها لمروان ابن الحكم ثم ارتجعها منه لمؤجدة وجدها عليه، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ردها الى ما كانت عليه زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تُغَل في أيام إمرته ١٠٠٠٠٠ دينار أى ما يقرب من خمسة آلاف من الجنيهات المصرية وكان يتجافى عنها. وتتبع المدينة القُقْرَة وهي قرية على جبل عال منبع يسكنه الأحامدة أقوى القبائل وأعناها، وبينه وبين المدينة مسيرة ٢٤ ساعة ومياههم ومزارعهم بالجبل، ولا يعرف مسالكه أحد سواهم، فالحمراء فالصفراء فينبع النخل، فينبع البحر وكلها غربى المدينة على الطريق منها الى ينبع بساحل البحر الأحمر، والحمراء على مسيرة ٣٣ ساعة و ٣٥ دقيقة من المدينة ومسيرة ٢٥ ساعة و ٢٥ دقيقة من ينبع البحر وبها كثير من النخل وشجر الليمون، وسوق حوانيته مبنية بالجريد ويباع فيه التمر والحناء والموز والطاطم والملوخيا الخ والأجوبة الجلد والمرائح المصنوعة من الخوص، والصفراء على مقربة منها وهي في واد كثير المزارع والحدايق والمياه، وينبع النخل على مسيرة ١٢ ساعة من ينبع البحر وكانت قديما محطة للحمل لما كان يسلك

طريق البر وفيها ستون خَيْفًا — الخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء — وستفصل القول فيها عند الكلام على الطريق من ينبع البحر الى المدينة من جهة طريق الطريف أو درب الزجاج .

حرم المدينة — وردت أحاديث كثيرة تدل على أن للمدينة حرما يحرم صيده وقطع شجره واختلاء خلاله، نذكر من ذلك ما رواه الشيخان عن عبد الله بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن إبراهيم حرم مكة وودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وروى البخارى من حديث أبي هريرة : حرم ما بين لابتى المدينة على لسانى، ولابتا المدينة : حرّتاها الشرقية والغربية، وروى مسلم من حديث أبي سعيد الخدرى : اللهم إن إبراهيم حرم مكة بفعلها حراما وإني حرمت المدينة حراما ما بين ما زميها — جيلها، غير فى جنوبيها وثور خلف جبل أحد وهو صغير — أن لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف، وعند أبي داود : لا يختلى خلالها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلا من أشاد بها، قال النووى : اللابتان حدّ حرمةا من المشرق والمغرب، وغير وثور حدّها من الجنوب والشمال وإن تكن للمدينة حرّة جنوبية وأخرى شمالية فإنهما راجعتان الى الشرقية والغربية ومتصلتان بهما .

وبما دلت عليه هذه الأحاديث الصحيحة قال مالك والشافعى وأحمد . ولكن اختلفوا فى التفصيل وقال أبو حنيفة : لا حرم للمدينة وأستدل بحوادث جزئية فيها صيد وقطع للشجر والخلا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فراجعها إن شئت فى وفاء الوفاء أول الكتاب، قال الماوردى : إن محل الخلاف فيما كان من النبات والشجر فى موات الحرم فإن أنبته شخص فى ملكه جاز قطعه بلا خلاف، كما أنه لا خلاف فى جواز قطع ما يستنبت من غير الشجر كالخنطة والخضراوات مطلقا .

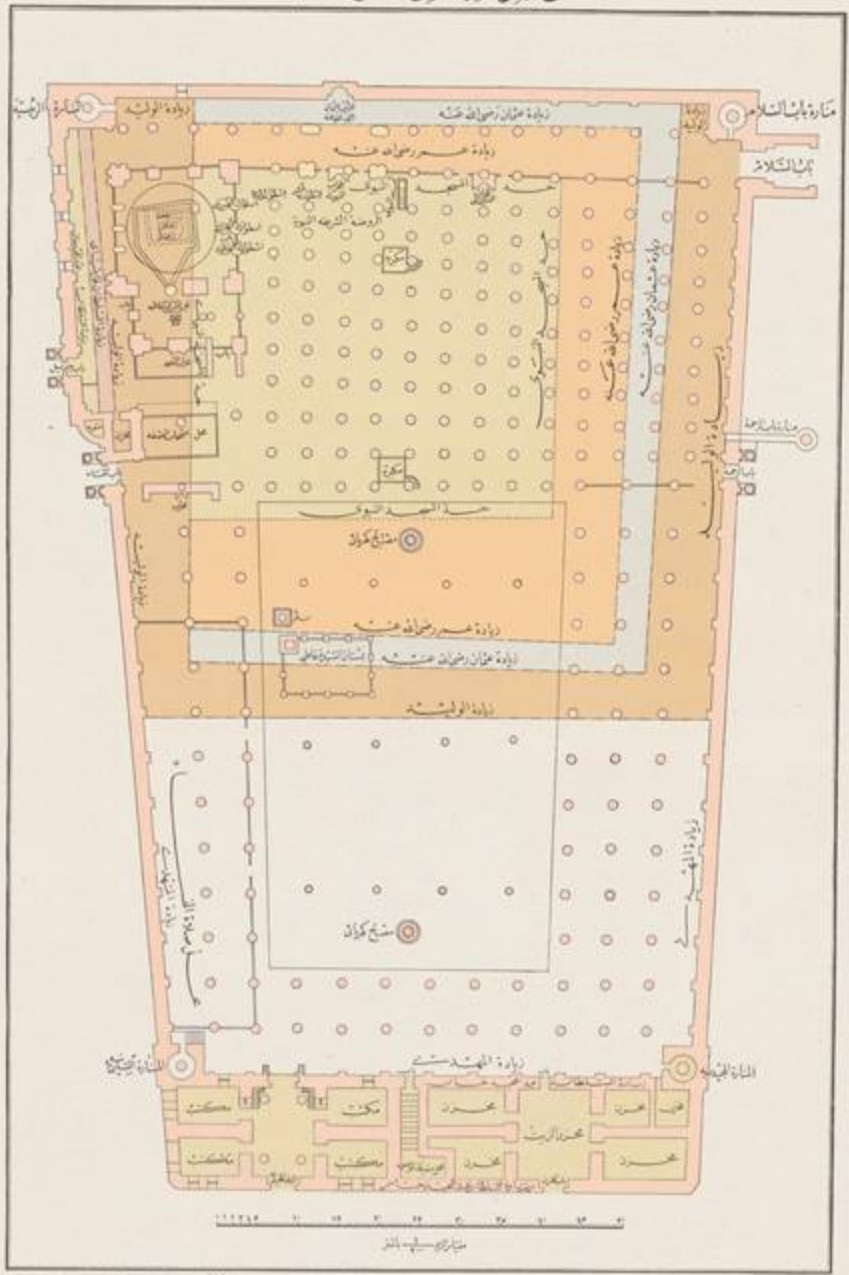
وأختلف القائلون بالتحريم فعن أحمد فى الجزاء روايتان، وعن الشافعى قولان الجديد عدم الجزاء وهو قول مالك، والقائلون بالجزاء اختلفوا فقيل : إنه كالجزاء

في حرم مكة وقيل : إنه أخذ السلب فيسلب من الصائد والقاطع فرسه وسلاحه وثيابه وقيل : الثياب فقط، ويكون ذلك للسالب على الأصح وقيل لفقراء المدينة ويترك للسلب ما يستر به عورته، وقد أكثر الفقهاء القول في هذه المسألة وتضاربوا وفرعوا وتعمقوا في البحث مما نجد المصلحة في تركه، وفيما قدمنا الكفاية في هذا الموضوع والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

المسجد النبوي

وصف المسجد الآن — (الرسم ١٧٤) المسجد النبوي في الجهة الشرقية من المدينة شكله شبه مستطيل متوسط طوله من الشمال الى الجنوب ١١٦,٢٥ متر، وعرضه من الجهة القبليّة أو الجنوبيّة ٨٦,٢٥ متراً، وعرضه من الجهة الشماليّة أو الشماليّة ٦٦ متراً وهو شامخ البناء سقفه قباب أقيمت على عقود تحملها أعمدة متينة بلغ عددها ٣٢٧ عمود بما في ذلك الملصق منها بالحدرد ووسط المسجد الى الشمال صحن غير مسقوف يسمونه الحصوة في غربه ثلاثة أروقة وفي شرقه رواقان وفي شماله ثلاثة وفي جنوبه اثنا عشر رواقاً (باكية) (الرسم ١٧٥) وفي (الرسم ١٧٦) بعض العقود والصحن الذي ترى به الحمام يلتقط الحطب الذي يرمى به الناس في الصحن صدقة عليه، والأعمدة التي بالجهة الغربية من الجدار الجنوبي الى الشمالي ١١٢ والتي بالجهة الشرقية كذلك ٨٦ عدا أربعة أعمدة في أركان الحجر الشريفة، والتي في الجهة القبليّة موازية للصحن ١٠٧ والتي في الجهة الشماليّة كذلك ١٨ فالجملة ٣٢٧ عمود من الحجر الصوّاني المتين، كثير منها مغطى بطبقة من المرمر الموشى بماء الذهب وثير الموشى، وبين كل عمودين زجاجات (فنايير) ثلاثة توضع فيها المصابيح، وقد علفت في عوارض بين الأعمدة بسلاسل فضية، وللمسجد خمسة أبواب اثنان في الجهة الغربية وهما باب السلام في أول الجدار الغربي من جهة الجنوب أنظر (الرسم ١٩٠) وباب الرحمة في ثلث هذا الجدار من هذه الجهة أنظر (الرسم ١٨٩) وواحد في الجهة الشماليّة يقال له باب التوسل أو الباب المييدي وهو

رِسْمُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ



تمت الطباعة في دار الطباعة والنشر بمكة المكرمة في شهر ربيع الثاني سنة 1385 هـ



منظر داخل الحرم النبوي الشريف من الجهة البحرية (البواكي)



175. Arcades of the Mosque at Medina.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَأَ الْإِنْسَانَ مِنْ أَحْسَنِ عَشْرٍ
 وَخَلَقَهُ مِنْ نَارِ الْحَمِيمِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَجَعَلَ مِنَ النُّجُومِ نَارًا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنَ اللَّيْلِ نَارًا
 تَهْتَدُ بِهَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنَ النَّجْمِ نُورًا
 تَهْتَدُ بِهَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنَ الْوَسْمِ نَارًا
 تَهْتَدُ بِهَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنَ الْوَسْمِ نَارًا
 تَهْتَدُ بِهَا

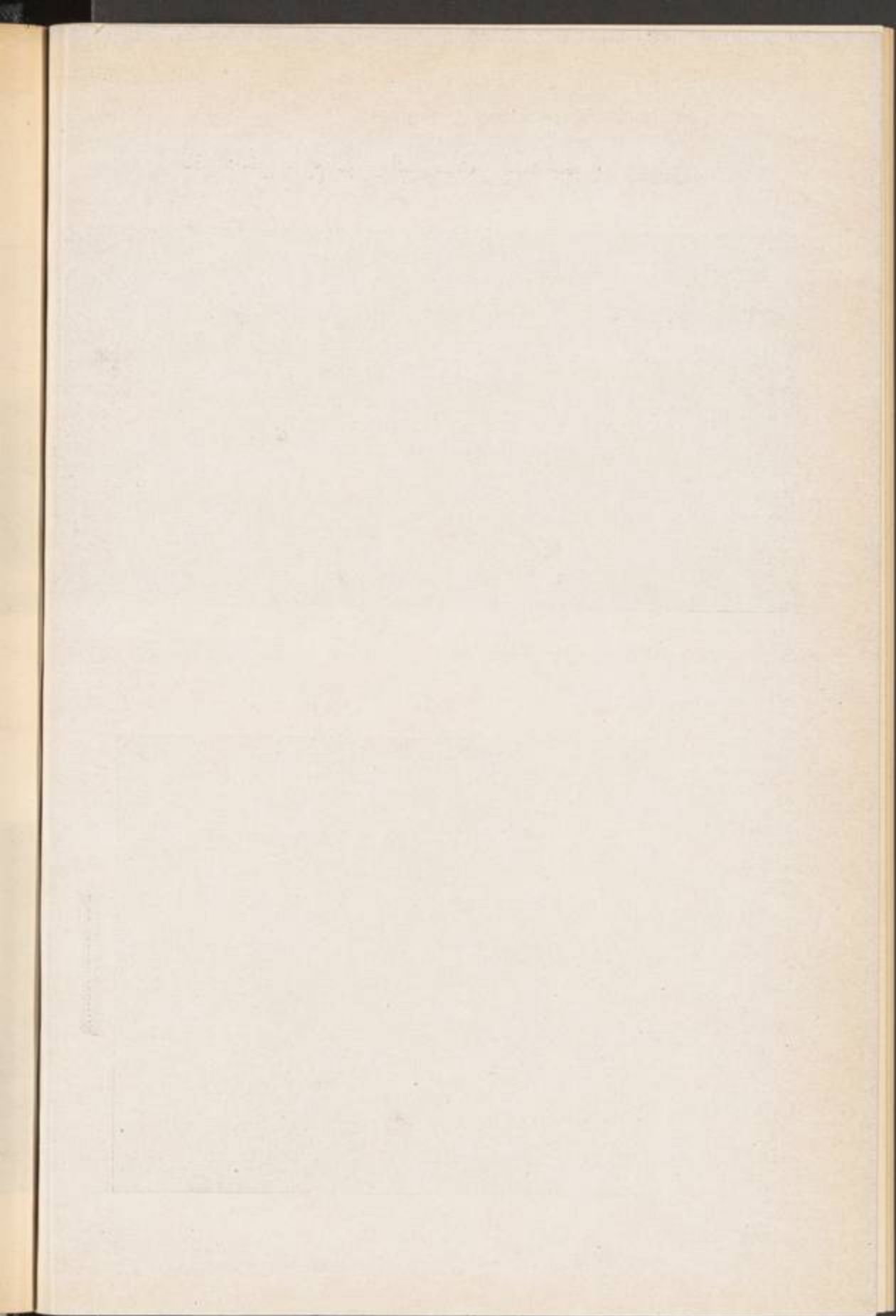
سجينة ٤٤٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَأَ الْإِنْسَانَ مِنْ أَحْسَنِ عَشْرٍ
 وَخَلَقَهُ مِنْ نَارِ الْحَمِيمِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَجَعَلَ مِنَ النُّجُومِ نَارًا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنَ اللَّيْلِ نَارًا
 تَهْتَدُ بِهَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنَ النَّجْمِ نُورًا
 تَهْتَدُ بِهَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنَ الْوَسْمِ نَارًا
 تَهْتَدُ بِهَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنَ الْوَسْمِ نَارًا
 تَهْتَدُ بِهَا



176. The pigeons at the Prophet Mosque.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَأَ الْإِنْسَانَ مِنْ أَحْسَنِ عَشْرٍ
 وَخَلَقَهُ مِنْ نَارِ الْحَمِيمِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَجَعَلَ مِنَ النُّجُومِ نَارًا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنَ اللَّيْلِ نَارًا
 تَهْتَدُ بِهَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنَ النَّجْمِ نُورًا
 تَهْتَدُ بِهَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنَ الْوَسْمِ نَارًا
 تَهْتَدُ بِهَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنَ الْوَسْمِ نَارًا
 تَهْتَدُ بِهَا



قريب من الزاوية الشمالية الشرقية، وبابان في الجهة الشرقية أحدهما باب النساء في مقابلة باب الرحمة، والداخل منه يرى على يمينه محرابا وعلى يساره الصَّفَّة أو دكة الأغوات وهي مستطيلة طولها ١٢ مترا في عرض ٨ وأرتفاعها ٤٠ سنتيا وفي جنوبه قريبا منه باب جبريل، وبالمسجد خمس مآذن في كل ركن من أركانه مئذنة وخامسة أمام باب الرحمة تسمى مئذنة باب الرحمة، والتي في الزاوية الغربية الجنوبية تسمى مئذنة باب السلام والتي في الزاوية الشرقية الجنوبية تسمى المئذنة الرئيسية التي يؤذن عليها رئيس المؤذنين والتي في الركن الشمالى الشرقى تسمى المئذنة السلیمانية والتي في الشمال الغربى تسمى المئذنة المجيدية، وفي الرواق الثالث من الجهة القبليّة تجدد المنبر وعن يساره المحراب النبوي وعن يمينه المحراب السلیماني أنظر (الرسم ١٨٤ و ١٨٥) وأما المحراب العثماني لثالث الخلفاء فهو في الجدار القبلي وهو في نهاية الزيادة التي زادها عثمان رضى الله عنه في المسجد أنظر (الرسم ١٨٥) وفي شمال المسجد ردهتان (صالتان) داخل كل منهما أربع حجرات، ثنتان عن اليمين وثنان عن الشمال ويفصل البنائين مكان مستطيل به صنابير (حنفيات) للوضوء ومراحيض وحمام وهو في الطبقة الثانية يصعد اليه بسلم في مدخل بابه الذي بالمسجد، وتحت هذا المكان ميضأة لها باب خارج المسجد، وتجاه هذا الباب الأخير باب آخر في الجانب الثانى للشارع يدخل منه إلى ميضأة ثالثة، والمكان الأول خاص بأغوات المسجد وخدمه ومن يرغبون من الأكابر والأعيان .

والردهة الغربية مكشوفة وحجراتها مخازن للزيت والقناديل والحصر ولها بابان واحد داخل المسجد والآخر خارجه، وبين المئذنة المجيدية وهذه المخازن مخزن آخر له باب مستقل داخل المسجد وكان قبل ميضأة للأغوات والحسدم، أما الردهة الثانية وحجراتها ففي الجهة الشرقية وهي مكتب أو مدرسة يعلم فيها الصبيان القرآن ومبادئ العلوم الأولية وهذه الردهة (الصالة) هي طرقة الباب المجيدى، والمكتب ذو طبقتين أرضية وعلوية، وفي شرق الصحن أو الرحبة حديقة صغيرة سورت بسور حديدى بها نبق ونخيل يحيط بنخلة كبيرة يقال إنها : مكان نخلة للسيدة فاطمة

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديقة تنسب اليها ، وفي جنوبي الحديقة بئر حلوة
 الماء تنسب للنبي صلى الله عليه وسلم ويقال : لها زمزم المدينة ، والأزوقة التي شرق
 الصحن أقيم حول معظمها شبكة من الخشب الرفيع (الشيش) وجعل ما أطافت به
 مصلى للنساء خاصة فون في عزلة عن الرجال ، ويدخلن من باب النساء جنوبي هذه
 الحظيرة وفي وسط الرحبة عدّة أعمدة أقيمت عليها مصابيح أو تُرَيَّات (كهر بائية)
 وترى في (الرسم ١٧٧) بستان السيدة فاطمة وبعض عقود المسجد وبعض أعمدة
 الاضاءة عليها المصابيح وتقفيصة مصلى النساء وترى كوما من التراب الذي أخرج
 في سنة ١٣٢٦ هـ . من المقصورة أثناء تعميمها وكذلك ترى القبة الخضراء و«الطرة»
 العثمانية فوق العقود وترى الأعمدة التي كسيت قواعدها بالنحاس الأصفر ونحن هنالك ،
 وترى اثنين من الهنود قد احتبى أحدهما ولبس الآخر عمامة ذات عذبة . وفي زاوية
 المسجد الجنوبية الشرقية جزء فصل من المسجد بسور من النحاس الأصفر طول كل من
 ضلعيه الجنوبية والشمالية ١٦ مترا ، وكل من الشرقية والغربية ١٥ مترا ويقال له
 المقصورة الشريفة وداخلها بناء ذو خمسة أضلاع تمثل الشماليتان منها ساقى مثلث ،
 والثلاث الباقية أضلاع في مربع ، وأرتفاعه نحو ستة أمتار وفيه قبر الرسول صلى الله عليه
 وسلم في الجهة القبليّة ثم في شماليه قبر أبي بكر الى الشرق قليلا ثم قبر عمر شرق قبر سلفه
 قليلا ، والبناء الخارجى أقامه نور الدين زنكى لما بلغه اعترام الصليبيين الذين كان
 يحاربهم على إخراج الجنة الشريفة فبنى ذلك البناء ونزل بأساسه الى منابع الماء ثم
 أفرغ عليه الرصاص حتى لا يستطيعوا له تقبا ، وفي شمال السور النحاسى متصلة به
 مقصورة أخرى ضلعها الجنوبية ١٤ مترا ، والشمالية كذلك تزيد نصفها والشرقية
 والغربية ٧ أمتار ونصف وداخلها ضريح زعموا أنه على قبر فاطمة الزهراء بنت

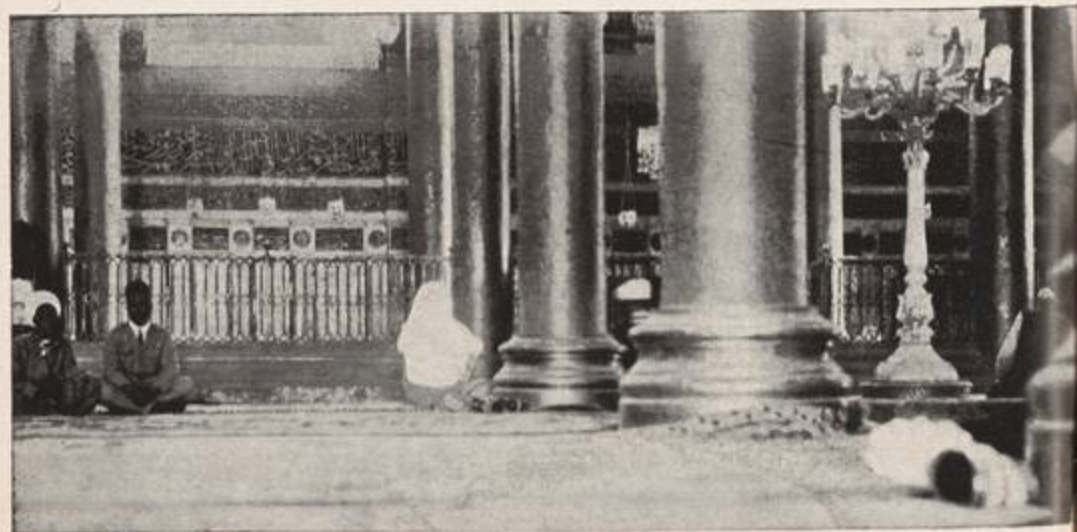
(١) قال السهردى ويصحن المسجد أربعة مشاعيل أثنان في جهة القبلة وأثنان في جهة الشام وكل
 واحد كالأسطوانة وبأعلاه سرجة عظيمة تشعل ليالى اليازات المشهورة ولا أدري ابتداء حدوث ذلك اه
 قال صاحب الزفة وقد أعيد ذلك كما كان في أربعة أركان الصحن على أعمدة من رخام أبيض على كل واحد
 (فانوس) كبير من جام (فضة) حوله أربعة فتاديل كفتاديل المسجد معلقة بسلاسل على معلق أربعة من
 حديد ، وفي سنة ١٢٩٦ هـ نقلها شيخ الحرم النبوى الى داخل الصحن اه .

قسم من داخل المسجد النبوي راسم من الجهة الشمالية



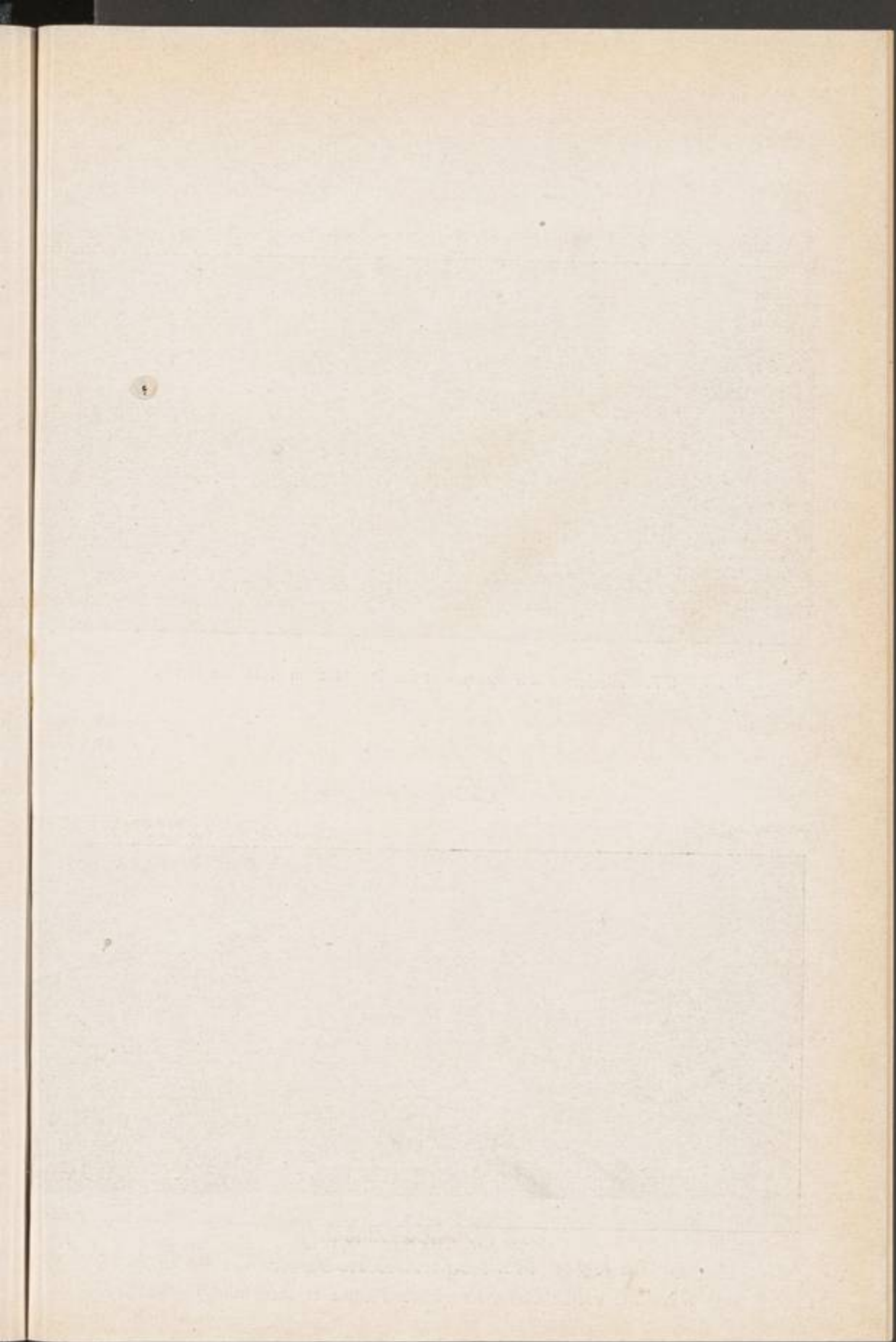
177. Interior of the Mosque at Medina as seen from the North.

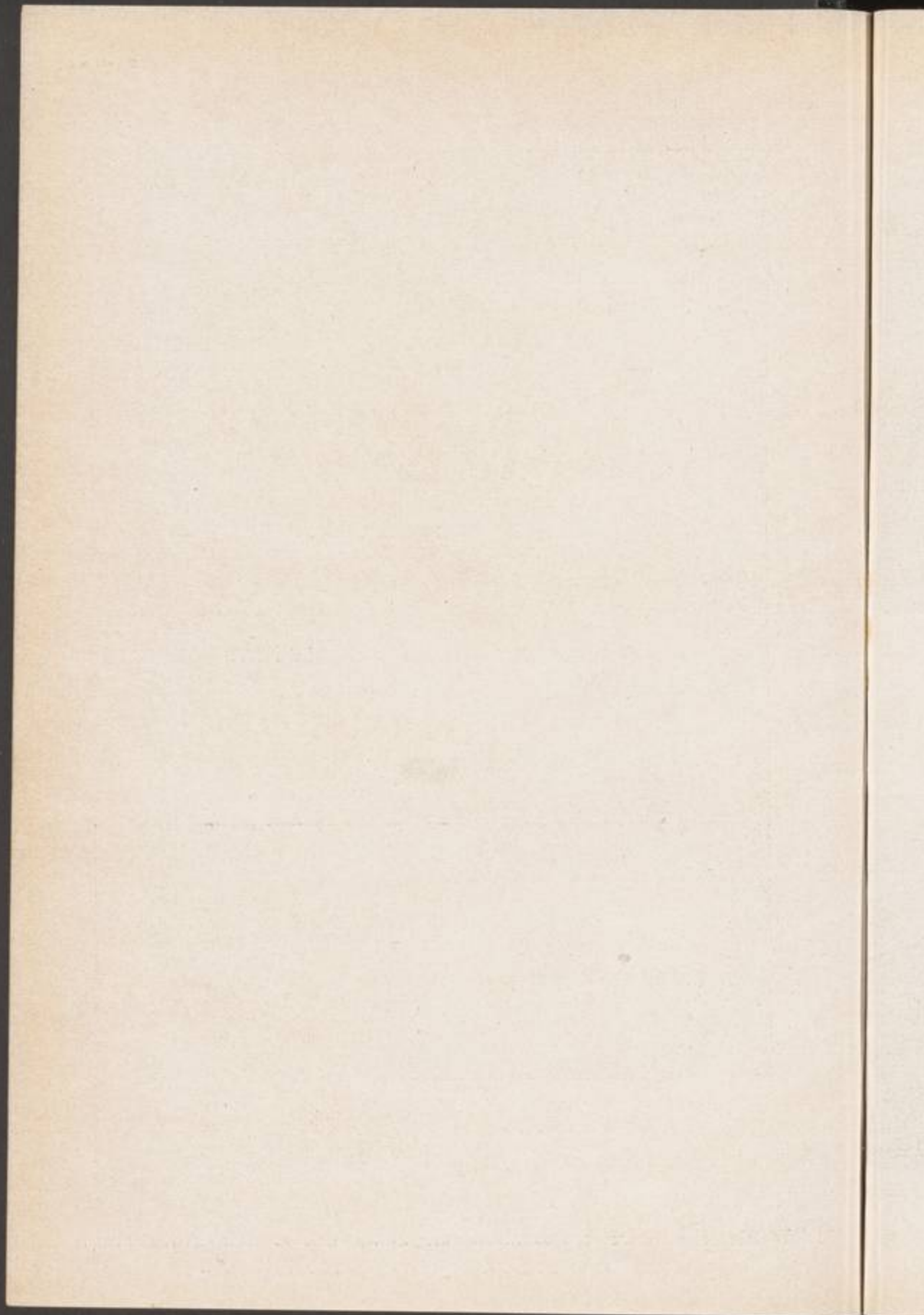
منظر داخل الحرم النبوي من الجهة الجنوبية



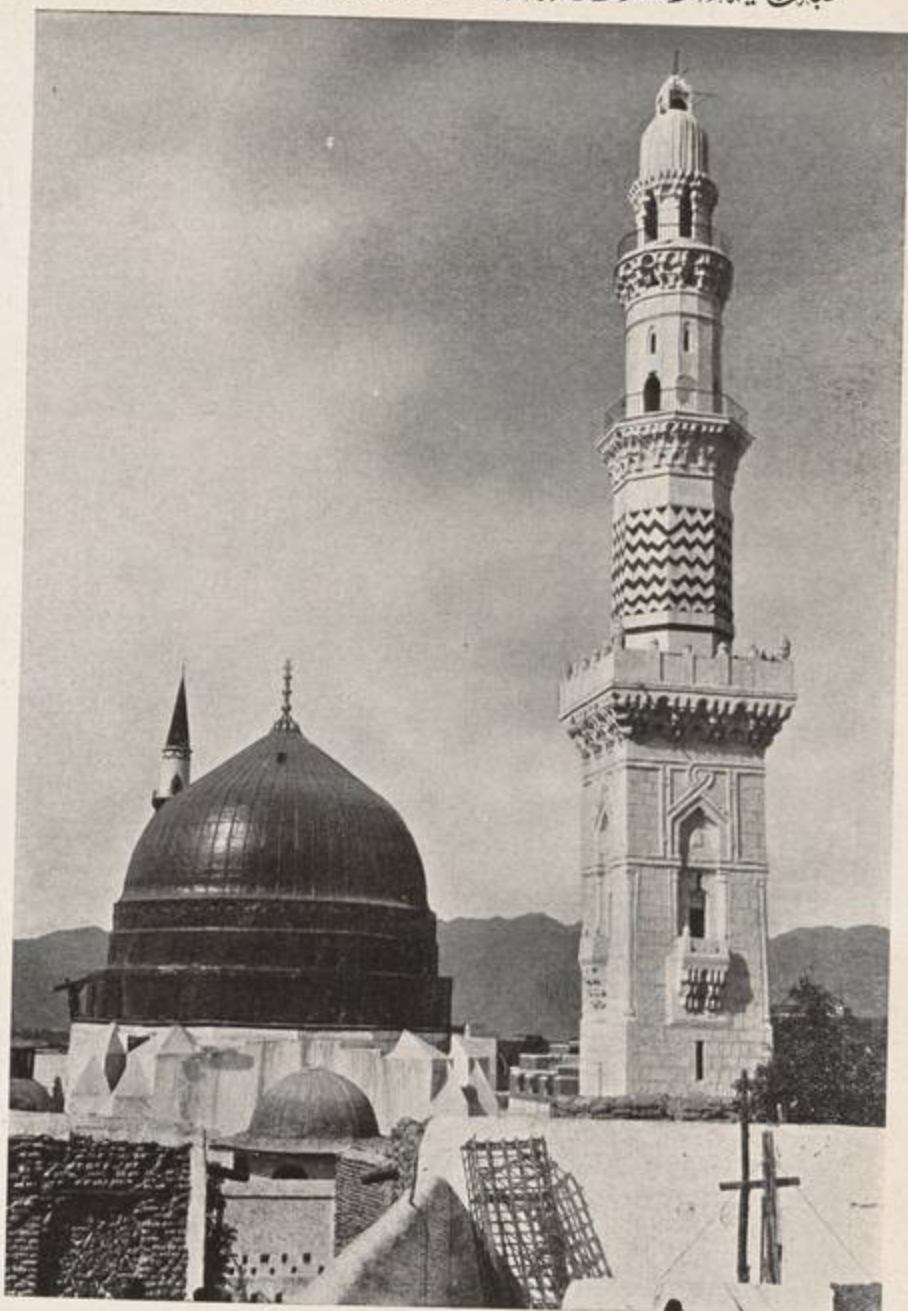
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

179. The interior of the Mosque of Medina as seen from the South.





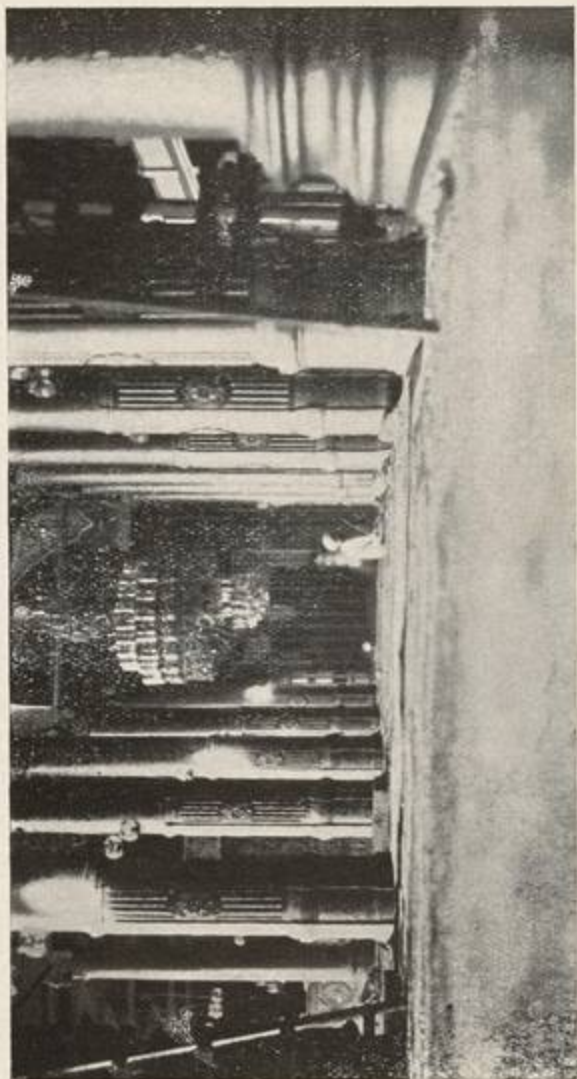
فَالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَابْنِ كَعْبٍ الصَّيْدِيِّ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَسَلَّمَ بِمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ



حَقِيقَةُ الْعَمَلِ الطَّيِّبِ وَالشَّيْخِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاللَّوْءِ الْبَاهِيَةِ رَأْسِهَا أَمِيرُ الْحِجَابِ الْمَضَرِّي

فِي حَرَمِ مَدِينَةِ الْحَرَامِ

قصر الامراء في القاهرة منظر من باب القصر



180. The Northern view of the Sherif's Room.
الاعمدة المربعة هي اشارة لحدود المسجد النبوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ لَمْ يَرْوِ عَنْهُ فَهُوَ كَمَنْ لَمْ يَرْوِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمَنْ لَمْ يَرْوِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَمَنْ لَمْ يَرْوِ عَنِ اللَّهِ

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يثبت، ويرجحون أن قبرها بالبيع ويوصل هذه المقصورة بالمقصورة الأولى بابان يجدارها الجنوبي، وللمقصورة الكبيرة باب غربى في الروضة يسمى باب الوفود أو باب الرحمة، وفي جنوبه شباك التوبة، ولها باب آخر في الجهة الجنوبية ويدخل إليها من باب في الجهة الشرقية، ومن باب آخر فيها في الجهة الشمالية وهو الذى يدخل منه الأغوات لإيقاد الحجر الشريفة، وبزوايا المقصورة النبوية أربعة أعمدة كبيرة مزوية أقيمت عليها القبة الخضراء التى تراها مع المثدنة الرئيسية فى (الرسم ١٧٨) وفى شمالى مقصورة فاطمة ذكة كذكة الأغوات قالوا: أنها فى متجد النبي صلى الله عليه وسلم. وبين المنبر والقبر الروضة وطولها ٢٢ متراً فى عرض ١٥ ويفصلها عن الرواقين القبليين سور نحاسى ارتفاعه حوالى متر، به بابان عن يمين ويسار المحراب النبوى أنظر السور النحاسى فى (الرسم ١٧٩). وترى فيه عبد اللطيف عبد القادر أحد الأغوات والذى بجانبه «البكاشى» مصطفى افندى رفق وانظر فى (الرسم ١٨٠) قسماً من الروضة فى الأعمدة الجميلة المنفرعة و«نجفة» كبيرة وشباكاً من شبابيك المقصورة، ذاك وصف إجمالى للمسجد النبوى، أما ما فيه من النقوش البديعة والكتابات الجميلة التى بسقف المسجد وجدره وأعمدته ومحاريبه فقل فى وصفها ما شئت، فإنه ليس فى الدنيا مسجد عنى به المملوك — خصوصاً ملوك العثمانيين — والأمراء والأفراد كالمسجد النبوى الذى به تعاليق نفيسة وهدايا ثمينة أهديت للمسجد والحجرة لا تجد لها مثيلاً فى مكان آخر، وحسبك أنها قومت بسبعة ملايين من الجنيهات ولا بأس من أن نجلها لك، يوجد بالمسجد النبوى عند المقصورة ٦٢٠ قنديل معلقة فى العوارض الحديدية التى بين الأعمدة بسلاسل من فضة فى المسقف القبلى وبسلاسل من صفر فى باقى المسجد وفيه نجفات كثيرة من البلور، ومن ذلك نجفتان كبيرتان على أطرافهما تنانير يوقد فيها الشمع أهداهما إلى المسجد النبوى عباس باشا الأول، والكبيرة منهما معلقة فى المسقف القبلى مما يلى الروضة من جهة الشمال أنظرها فى (الرسم ١٨٠) وكذلك أهدى أربع شجرات على أعمدة من البلور مفرعات بأغصان ماثلة عليها تنانير صافية

وضعت بالروضة المطهرة وما يليها من المغرب في صف واحد بين الأساطين . أنظر (الرسم ١٧٩) وبالمقصورة ١٠٦ قنديل حول الحجر الشريفة منها ٣١ غير البراقات في الرواق الذي تجاه الوجه الشريف وكلها من الذهب المرصع بالألماس والياقوت والباقي قناديل كقناديل المسجد معلقة بسلاسل الذهب، ومن ضمنها الثريتان المعلقتان على يمين قبر فاطمة ويساره ، وبأعلى الدائرة التي حول الحجر معاليق من الجواهر الثمينة ومكانس من اللؤلؤ الفاخر، وقد أرسل السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٤ هـ . شمعدانين عظيمين من الذهب الخالص المرصع بالألماس الفاخر طول كل منهما نحو قامة ، ويقال إن ثمنها ٣٠٠٠٠٠٠ جنية مجيدي (الجنيه المجيدي يساوي ٨٧,٧٥ قرشا صحيحا مصريا) وقد وضع بالمقصورة أحدهما تجاه رأسه الشريف والآخر في محاذة رجله الكريمة، وقبل ذلك أهدى شمعدانين كبيرين من الذهب الخالص وأهدى بعد ذلك عدة مباحر وقواقم من الذهب والفضة .

وقد كان الملوك والأمراء في الأعصار المختلفة يتسابقون في الهدايا الى المسجد وكثيرا ما سلبها قوم لينتفعوا بها في مصالحهم الشخصية، ومن أولئك السالبين جواز ابن هبة الحسيني أمير المدينة لما ورد الأمر سنة ٨١١ هـ . بعزله وتولية ثابت بن نفيير والأمير عُمر بن هيازع الحسيني سنة ٨٢٤ هـ . وبرغوث بن بتير بن جريس ودبوس ابن سعد الحسينيان سلبا كثيرا من قناديل المسجد سنة ٨٦٠ هـ . وحسن بن زبير المنصوري سلب في سنة ٩٠١ هـ . ما في القبة التي كانت بصحن المسجد من النقود والقناديل والسبائك، وكذلك فعل الوهابيون لما استولوا على القطر الحجازي وتملكوا المدينة سنة ١٢٢١ هـ . وهدموا القباب التي بالبقيع وغيره وقد فرق ما أخذوه على المجاهدين وهودي منه بعض الملوك ورد كثير منه الى المسجد النبوي .

ويحسن بنا أن نورد لك في هذا المقام نبذة ذكرها الجبرتي المؤرخ الناقد عن الوهابيين في هذا الموضوع لما تضمنته من الفوائد القيمة وحكم تلك الكنوز المحبوسة ولتبيين لك حقيقة الوهابيين الذين وصمهم العاتقة بما هم منه براء قال :

(١) المتغالبين في الدين (ولن يشاد الدين أحد الأغلية) .

إنه في عام ١٢٢١ هـ . وصلت الأخبار الى مصر من الديار المجازية بمسألة الشريف غالب للوهابيين وذلك لشدة ما حصل لهم من المضايقة الشديدة وقطع الجالب عنهم من كل ناحية حتى وصل ثمن الأردب المصرى من الأرز ٥٠٠ ريال والقمح ٣٠٠ وغير ذلك ، فلم يسع الشريف إلا مسالمتهم والدخول في طاعتهم وسلوك طريقتهم وأخذ العهد على دعواتهم وكبيرهم بداخل الكعبة وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها وشرب التبناك في المسعى وبين الصفا والمروة ، وبالملزمة على الصلوات في الجماعة ودفع الزكاة وترك لبس الحرير والمقصبات وإبطال المكوس والمظالم ومصادرات الناس في أموالهم فيكون الشخص من سائر الناس جالسا في داره فما يشعر إلا وأعوان الشريف يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها ويقولون إن سيد الجميع محتاج اليها فما يجد حيلة إلا الطاعة وتصير من أملاك الشريف ، فعاهده الشريف على ترك ذلك كله واتباع ما أمر الله به في كتابه العزيز من إخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والأئمة الى آخر القرن الثالث وترك ما حدث في الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشدائد وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والزخارف وتقبيل الأعتاب والخضوع والتذلل والمناداة والطواف والتذوق والقران وعمل الأعياد والمواسم لها واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال وباقي الأشياء التي فيها شركة المخلوقين مع الخالق في توحيد الألوهية التي بعثت الرسل لمقاتلة من خالفها ليكون الدين كله لله ، فعاهده الشريف على منع ذلك كله وعلى هدم القباب المبنية على القبور والأضرحة فعند ذلك أمنت السبل وسلكت الطرق بين مكة والمدينة وجدة والطائف ورضخت الأسعار حتى بيع الأردب من الحنطة بأربعة ريالات ، وأستمر الشريف غالب يأخذ العشور من التجار بقوله : إن هؤلاء مشركون وأنا آخذ من المشركين لا من الموحدين ، وفي سنة ١٢٢٤ هـ . وصل مسعود الوهابى الى مكة بجيش كثيف وحج مع الناس في حالة أمن ورخاء سعر ، وأحضر أمير الحج المصرى وقال له : ما هذه

العويذات والطبول التي معكم ويقصد بالعويذات المحمل فقال : إشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عاداتهم فقال : لا تأت بذلك بعد هذا العام وإن أتيت به أحرقته وهدم القباب التي بينبع والمدينة وأبطل شرب التنباك في الأسواق وكذلك البدع . وفي سنة ١٢٢٣ هـ . انقطع الحج الشامي والمصرى معتلين بمنع الوهابي للناس عن الحج ، وليس الأمر كذلك فإنه لم يمنع أحدا يأتي الى الحج على الطريقة المشروعة وإنما منع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع مثل المحمل والطبل والزرع ، وقد حج طائفة من المغاربة ولم يتعرض لهم أحد بشيء ، ولما امتنعت قوافل الحج المصرى والشامى وامتنع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل اليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي كانوا يتعيشون منها خرجوا من أوطانهم بأسرهم ولم يمكث إلا الذى ليس له إيراد من ذلك وأتوا الى مصر والشام ، ومنهم من ذهب الى استامبول يتشكون من الوهابي ويستغيثون بالدولة فى خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من إخراج الأرزاق واتصال الصلات والنيابات والخدم فى الوظائف التي بأسماء رجال الدولة كالقراشة والكاسية ونحو ذلك .

ويذكرون أن الوهابي لما استولى على المدينة أخذ ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر المحلاة بالألماس والياقوت العظيمة القدر وعبأ أربع « سبحاير » منها ، ومن ذلك أربع شمدانات من الزمرد وبدل الشمعة قطعة ألماس مستطيلة ونحو مائة سيف أقربتها ملبسة بالذهب عليه الماس والياقوت ونصابها من الزمرد واليشم كل سيف منها عظيم القيمة عليه دمغات باسم الملوك والخلفاء السالفين وغير ذلك فيرون أن أخذه لذلك من الجوائر العظام ، وهذه الأشياء أرسلها ووضعها من وضعها من الأغنياء والملوك والسلاطين الأعاجم وغيرهم إما حرصا على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتى بعدهم أو لنوائب الزمان فتكون مدخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج إليها فيستعان بها على الجهاد ودفيع الأعداء ، فلما تقادمت عليها الأزمنة وتوالت عليها السنون والأعوام وهى فى الزيادة آرتصدت معنى لا حقيقة وارتمت فى الأذهان حرمة تناولها وأنها صارت مالا للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لأحد

أخذها ولا إنفاقها، والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن ذلك لم يدخر شيئا من عرض الدنيا في حياته، وثبت في الصحيحين أنه قال « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » وكثر المال بحجرته وحرمان مستحقيه من الفقراء والمساكين مخالف لشريعته، وإن قال المدخر أكثرها لنوائب الزمان ليستعان بها على مجاهدة الكفار والمشركين عند الحاجة إليها قلنا: قد رأينا شدة احتياج ملوك زماننا واضطرارهم في مصالحة المتغلبين عليهم من قرانات الافرنج وخلو خزائهم من الأموال التي أفنوها بسوء تدييرهم وتفاخرهم فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة بكفالة إحدى الفرق من الافرنج المسلمين لهم واحتالوا على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس والمصادرات والاستيلاء على الأموال بغير حق حتى أفقروا تجارهم ورعاياهم، ولم يأخذوا من هذه المدخرات شيئا ولم ينتفع بها أحد إلا ما يختلسه أغوات الحرم تبعا، وأما الفقراء من أولاد الرسول وأهل العلم والمحتاجين وأبناء السبيل فيموتون جوعا .

ولما كثرت شكاوى أهل المدينة إلى الباب العالي أمر مولانا السلطان محمد علي باشا إلى مصر بجارية الوهابية فخار بهم وانتصر عليهم، وفي ١٨ رجب سنة ١٢٣٣ هـ حضر باقي الوهابية بحريمهم وأولادهم وهم نحو أربعائة نسمة وأسكنوهم في محلات تليق بهم وكان عبد الله بن سعود الوهابي وخواصه من جهلتهم وسكنوا بدار عند جامع مسكة من غير حرج عليهم، وصاروا يذهبون ويحيثون ويرتددون على المشايخ وغيرهم ويمشون في الأسواق، ولما وصل عبد الله بن سعود إلى مصر عمل له موكب عظيم وضربت له المدافع وسكن في بيت إسماعيل باشا ابن محمد علي باشا ببولاق، وفي ثاني يوم تقابل مع محمد علي باشا بمرأى شبرا فأناسه وأجلسه بجانبه وقال له ما هذه المطاولة؟ فقال: الحرب ييجال وكان ما قدره الله فقال: إن شاء الله أرجو فيك عند مولانا السلطان فقال: المقدر يكون، وكان بصحبته صندوق صغير من صفيح فقال له الباشا ما هذا؟ فقال: هذا ما أخذته أبي من الحجره أصحبه معي إلى السلطان، وفتحته فوجد به ثلاثة مصاحف مكلفة ونحو

(١) لم يقبل الاحتفال وضرب المدافع مع أنه على السنة كما يقولون .

ثلثائة^(١) حبة لؤلؤ كبيرة وحبة زمرد كبيرة فقال له الباشا : الذي أخذه من الحجرة أشياء كثيرة فقال : هذا هو الذي وجدته عند أبي فانه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسه بل أخذ كذلك بكار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة فقال الباشا : صحيح وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك ثم ألبسه خلعة^(٢) وانصرف عنه الى بيت اسماعيل باشا المعتدله ، وفي ١٩ المحرم سنة ١٢٣٤ هـ . سافر عبد الله بن سعود الى الاسكندرية ومنها الى الأستانة ومعه خادم لزومه ، وفي جمادى الاولى وصلت الأخبار عن عبد الله المذكور أنه لما وصل الى دار السعادة طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون وقتلوا أتباعه أيضا في نواح متفرقة هـ .

هذا ما يتعلق بالهدايا الثمينة والتعليقات النفيسة وسيأتي وصف الرسوم والنقوش البديعة التي بالمسجد عند الكلام على عمارة السلطان عبد المجيد له ، وأكثر جهات المسجد به سور وآيات وقصائد في أغراض شتى ، نذكر لك منها ما ينفسح له المجال إذا دخلت من باب السلام تجد مكتوبا على الحائط الذي عن يمينك بالخط الثلث الجميل قول الله جل شأنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ - الى قوله - لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ وبعد ذلك قوله تعالى ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ثم قوله عز شأنه ﴿ قَالُوا أَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ ثم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ - الى قوله - إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ثم قوله بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ - الى قوله - وما كنت لديهم إِذْ يُخْتَصِمُونَ ﴾ صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ورضى الله تعالى عن أصحاب سيدنا رسول الله أجمعين . ثم قوله بعد البسملة ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا

(١) لم يبيع الجواهر ليستعين بها على الحرب الشرعي وكيف يهديها للسلطان وهو في غنى عنها وربما كان هو الذي أهداها أولا . (٢) لم يستجيز نفسه لبس هذه الخلعة ويستنكر الحمل .

مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا — الى قوله — وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ
 وَيَكِلَا) اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ثم قوله بعد البسملة
 (وما أرسلنا من رسولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ — الى قوله — وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)
 صدق الله العظيم . ثم قوله بعد البسملة (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين
 الحق — الى قوله — سِيَمَاهُمْ فِي وجوههم من أثر السجود) صدق الله العظيم .
 وفوق ذلك مكتوب في لوحة : قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
 عنه فانتهوا) وهذه الكتابات كلها في سطر واحد يتدنى من باب السلام مارا
 بالحائط القبلي ، وفي سطر تحت هذا مكتوب بالخط العريض قال الله تعالى (وما
 تفعلوا من خيرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزِدُّوا فَإِن خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)
 صدق الله العظيم . وبعد ذلك قوله (أولئك يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)
 ثم قوله بعد البسملة (إنما يعمر مساجدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
 وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ — الى قوله — واللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)
 صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
 وسلم ورضى الله تعالى عنهم وبعد ذلك البسملة فتقوله تعالى (مثل الذين
 يُنْفِقُونَ أموالهم في سبيلِ اللَّهِ كمثل حَبَّةِ أَنْبَتٍ سَبَعِ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ
 — الى قوله — وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ) صدق الله العظيم . بسم الله الرحمن الرحيم
 (إنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)
 صدق الله العظيم . وفي سطر ثالث تحت هذين قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
 (فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ — الى قوله — لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ
 مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ) ثم قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم . (فإذا
 قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا
 وعلى ربهم يتوكلون) ثم بسم الله الرحمن الرحيم (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) — الى

آخر السورة — صدق الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين
أجمعين وهذا الختام تجاه الوجه الشريف ثم

بنور رسول الله شرفت الدنيا * ففي نوره كل يحيى ويذهب

براه جلال الحق للخلق رحمة * فكل السورى فى بره يتقلب

بدا مجده قبل أنشاء رمزه * وأسمائه من قبل فى اللوح تكتب

أنظر نظام السطور وشكلها فى (الرسم ١٨٥) ومكتوب على عضادتي باب

السلام من الخارج أربعة أسطر بالخط الثالث الجميل ، فى الأول منها قال الله تعالى :

﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾ . ﴿وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج

صدق — إلى قوله — وإذا مسه الشر كان يؤوساً﴾ وفى السطر الثانى بعد

البسملة قوله تعالى ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله

واليوم الآخر — إلى قوله — وكان الله قويا عزيزاً﴾ .

وفى السطر الثالث :

رسول الله إني مستجير * بجهاك والزمان له اعتداء

وجهاك يا رسول الله جاه * رفيع ما لرفعته انتهاء

وظنى فيك يا طه جميل * ومنك الجود يعهد والسخاء

وحاشا أن أرى ضيما وذلا * ولى نسب بمدحك واتماء

رجوتك يا ابن آمنة لآتى * محب والمحب له رجاء

عسى بك تتجلى عنى كربى * وكم كرب له منك انجلاء

وكم لك يا رسول الله فضل * تضيق الأرض عنه والسماء

وكم لك معجزات ظاهرات * كضوء الشمس ليس له خفاء

وأنت لنا على خالق عظيم * ونحن على العموم لك الفداء

ومكتوب على الباب الذى على يمين المحراب النبوى فى الفاصل النحاسى قال

صلى الله عليه وسلم : « شفاعتى يوم القيامة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها »

وفى الباب الذى على يساره « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » .

ومكتوب في المسجد قصيدة البوصيري المشهورة بالبردة والتي مطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سلم * مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

وكذلك أسماء الله الحسنى وأسماء أهل بدر الى غير ذلك وكل هذا مكتوب

بالخط الجميل المحلى بماء الذهب .

والمسجد مفروشة أروقه بالسجادات التركية الجميلة المقسم كل منها بالرسم الى سجادات صغيرة الواحدة منها تكفي المصلي وترشده الى القبلة ، أما صحنه مفروش بالحصباء كما أسلفنا ، وبالمسجد ٥٧ أغا وأكثرهم يقوم بخدمة الحجرة النبوية (المقصورة) وله ٤٦ خطيباً يتناوبون الخطبة و ٣٨ إماماً و ٣١ وكيل إمام و ١٨ مدرّسا يدرّسون المذاهب الثلاثة الحنفي والمالكي والشافعي و ٥٠ مؤذناً و ٢٦ وكيل مؤذن و ١٢ محافظاً على النظام — مشدا — ٥١ كاساً و ١١ بواباً و ١٠ سقائين و ٤ يجبدون المياه و ٧٥٠ يقومون بتنظيف القناديل وملئها وإسراجها ، و ٢٦ ما بين صائغ وخائط وسراج وغيرهم ... وأول من رتب الأغوات لخدمة المسجد والحجرة نور الدين الشهيد في أول دولة الأكراد رتب آتني عشر وشرط حفظهم لكتاب الله تعالى وربع العبادات وأن يكونوا جبوشاً فإن لم يوجدوا فأرواما فإن لم يوجدوا فتكارنة فإن لم يوجدوا فهنودا، وقيل : أول من رتبهم السلطان صلاح الدين الأيوبي رتب أربعة وعشرين وجعل عليهم شيخاً يقال له بدر الدين الأسدي .

ووقف عليهم قريتي نقادة و قبالة على شاطئ النيل بالصعيد وكذلك وقف ثلث قرية سنديس ووقف ثلثها الباقيين الملك الصالح عماد الدين وذلك في سنة بضع وأربعين وسبعائة . ثم صار سلاطين الغرب والسودان يرسلون أغوات من قبلهم للخدمة ، بل كل من رغب في ذلك يرسل حتى زادوا على المائتين في بعض الأحيان، وكثيراً ما كانت تور بينهم العداوة والبغضاء وكثيراً ما كان فيهم أهل خير وصلاح، ولهم الآن مراتب من قبل سلاطين آل عثمان وأوقاف بالمدينة وغيرها وترسل اليهم من أهل البرهدايا كثيرة يتسلمها رئيسهم المعروف بالمستسلم ويقسمها

بينهم بالسوية (انظر في الرسمين ١٨١ و ١٨٢) شكل الأغوات ، والذي في الأول منهما يسمى حسن أغا أهدها الى المسجد أحد أمراء بخارى ، والثاني عبد اللطيف عبد القادر من أغوات سراى السلطان عبد الحميد وكلاهما بواب للحجرة النبوية ، وقد رتب السلطان محمود بالمسجد ٣٩ قارئاً يتلون القرآن وصحيح البخارى وشفاء القاضى عياض ودلائل الخيرات والأحزاب والصلوات ولو قصر الأمر على تلاوة القرآن وعين للصحيح والشفاء من يقوم بدراستهما لكان ذلك أجدى ، ورتب السلطان عبد الحميد لمثل هذا ١٥٧ قارئاً ورتبت والدته ثمانية فأولئك ٢٠٤ قارئاً لو كانوا مفسرين وقائمين بتعليم العامة لحولوا أهل المدينة فاطبة عن الأمية وأوردوهم من العلوم متاهلها العذبية .

وعلى البناء الخمس حول قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ستائر من الحرير وكذلك على كل أبواب المقصورة وعلى المخاريب الثلاثة النبوية والسليمانية والعثمانية ، وللمنبر ستارة ، وللمذئبة الرئيسية ستارة ، وللشبكة التى على الحجرة النبوية ١٨ ستارة ، وعلى شبابيك مقدم الحجرة ٤ ستائر ، وللمتهد ستارة وللمنبر علمان ، وهناك إحدى عشرة ستارة من الأطلس الأخضر مسبلة من رأس قبة الحجرة إلى سطح أرضها ، انظر الستائر ضمن (الرسم ١٨٨) .

تاريخ المسجد النبوى

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من هجرته نزل بقباء وأقام فيها بضعة عشرة ليلة أسس فيها مسجد بقاء ثم تحول منها الى المدينة فلتقاه أهلها فرحين وخرجت ذوات الحدود تمشد :

أشرق البدر علينا * واختفت منه البدور

مثل حسنك ما رأينا * قط ياوجه السرور

رسم نموذج اثنين من الاغوات بالمسجد النبوي

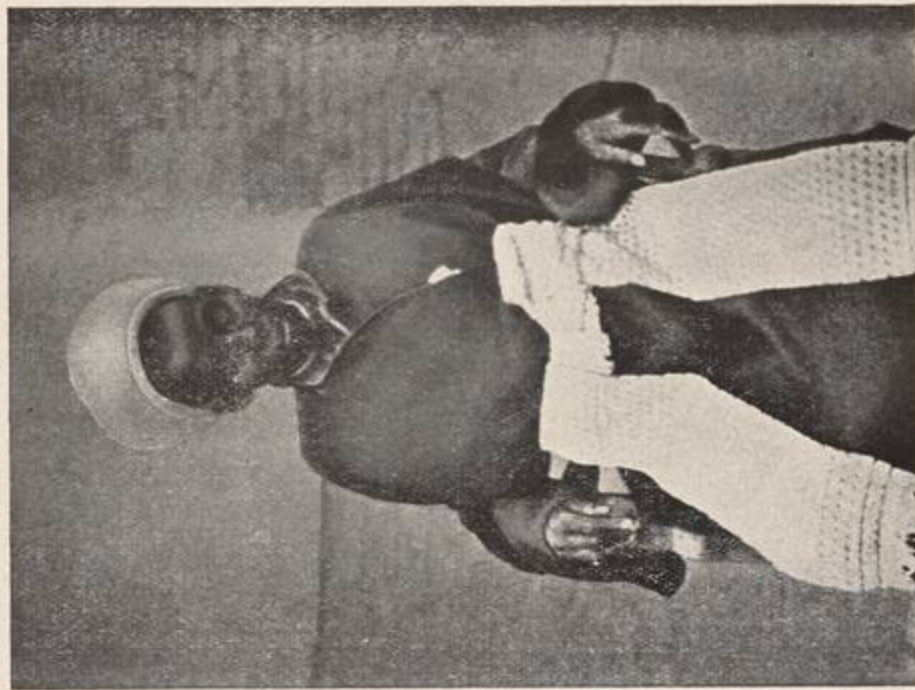


حسن بن البخاري

احد اسراء بخاري

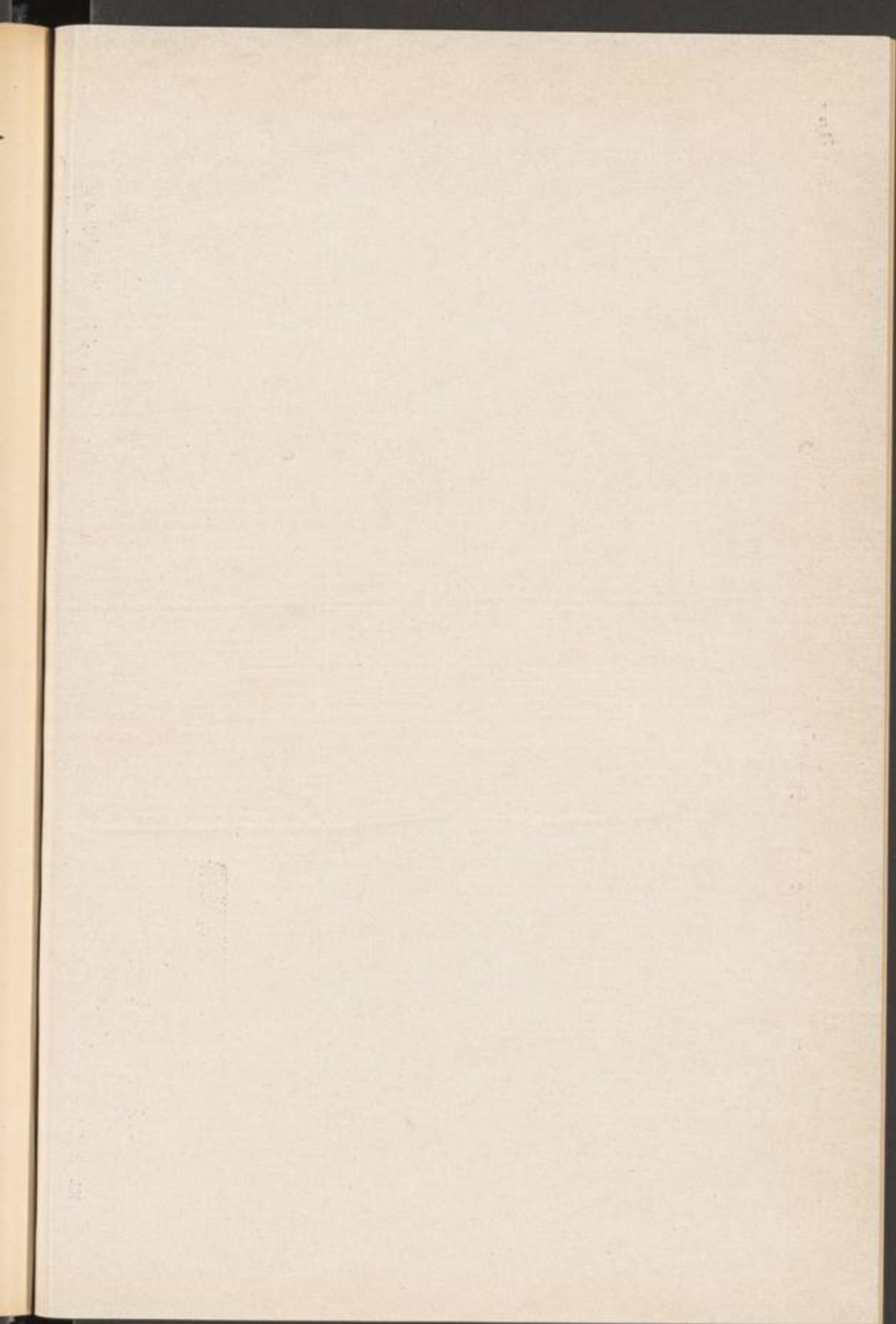
قدمه خدمة المسجد النبوي

181. A photo of one of the unichs of the Mohammedan Mosque.



عبد الطيف اغا عبد القادر بواب الهجرة النبوية الشريفة

181. A photo of one of the unichs of the Mohammedan Mosque.



ونخرجت جوار من بني النجار أخواله صلى الله عليه وسلم يضربون بالدفوف ويقال :

نحن جَوَارٍ من بني النجار * يا حبذا عهد من جار
 فقال صلى الله عليه وسلم أتحببني؟ قلن : نعم يا رسول الله ! فقال : الله يعلم
 أن قلبي يحببكن ، وكان كل جماعة يعرضون عليه التزول بدارهم وهو يقول خلوا سبيل
 ناقتي فإنها مأمورة فحيث بركت نزلت ، فلما أتت موضع المسجد بركت وهو عليها
 وفي رواية عند بيته المشهور الآن بالحجرة الشريفة ثم قامت من غير أن تزجر
 وسارت غير بعيد وبركت تجاه دار أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه فترتل هناك
 وهي شرقى المسجد فأقام عنده بهذه الدار حوالى سبعة أشهر ولا تزال هذه الدار
 قائمة للآن ، وفي جدارها القبلى محراب يتبرك الناس به ثم أراد صلى الله عليه وسلم
 أن يبنى مسجده الشريف عند الموضع الذى بركت فيه ناقتة أولا وكان مربدا
 — موضعا يحفف فيه التمر — لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الأنصار وكانا
 فى حجر أسعد بن زرارة فسأوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فقالا : بل نهبه لك
 يا رسول الله فأبى حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير ، وكان جدارا ليس له سقف
 وقبلته إلى بيت المقدس وكان يصلى فيه ويجمع أسعد بن زرارة قبل مقدم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، وكان فيه شجر غرقم ونخل وقبور للمشركين ، فأمر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالنخل والشجر فقطعت وصفت فى قبلة
 المسجد ، وكانت مساحة المسجد ٧٠ ذراعا فى ستين أى نحو ٣٥ مترا من جنوبه
 لشماليه فى ٣٠ من شرقه لغربه ، وكان أساسه قريبا من ثلاثة أذرع بنى بالحجارة ،
 وبنيت الجدر باللبن وكان صلى الله عليه وسلم يبنى معهم وينقل اللبن والحجارة وهو
 يقول : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة ، وجعل عمده
 الجذوع وسقفه الجريد وكان به ثلاثة أروقة فى الجهة القبلىة وله رحبة وثلاثة
 أبواب ، باب فى جهته الجنوبية وكانت قبلته إلى بيت المقدس أى فى الجهة
 الشمالية ، وصلى الى هذه القبلة سبعة عشر شهرا ثم تحول إلى المسجد الحرام

والباب الثاني باب عاتكة أو باب الرحمة الذي به الآن، والثالث باب آل عثمان وهو باب جبريل الآن وقد سد الباب الأول لما حوت القبلة وجعل بدله باب يقابله في الجهة الشمالية، ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من بناء المسجد بنى بعائشة في البيت الذي بناه لها شرق المسجد وهو مكان حجرته اليوم كما بنى بجانبه بيتا آخر لسودة، وبنى في أوقات مختلفة بيوتا لأزواجه الأخرى كانت جنوبي المسجد يفصلها عنه طريق عرضه خمسة أذرع، وكل هذه البيوت دخلت في المسجد في إمرة عمر بن عبد العزيز على المدينة، ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر مفتح سنة سبع من الهجرة زاد في المسجد من جهة الشرق والغرب والشمال حتى صار مربعا طول ضلعه ١٠٠ ذراع أو ٥٠ مترا وهو الذي تراه ملونا باللون الأخضر الفاتح في (الرسم ١٧٤) الذي أخذناه من رسم كبير عمله مهندسو الأتراك وطبعه بنفقته في ألمانيا خليل أفندي القازاني، واستأذناه في تصغيره فأذن لنا كتابة. ولما كان زمن عمر بن الخطاب زاد في المسجد من جهته الجنوبية نحو خمسة أمتار ومن جهته الغربية عشرة ومن الشمالية خمسة عشر مترا، ولم يزد شيئا من الجهة الشرقية، ودخلت في الزيادة الجنوبية دار العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل له ستة أبواب، بابان في الجهة الغربية حذاء باب الرحمة وباب السلام، وبابان في الجهة الشرقية الثاني منهما حذاء باب النساء، والأول باب آل عثمان الذي لم يتغير، وبابان في الجهة الشمالية، وكان تجديد عمر للمسجد سنة ١٧ هـ وكان بناؤه باللين والجريد وعمده من الخشب، وفي سنة ٢٩ هـ أعاد عثمان بن عفان بناء المسجد وزاد فيه رواقا من جهة الشرق والشمال والغرب والقبلة، واستقر الأمر على زيادته القبلية إلى يومنا هذا، وبنى جدر المسجد بالحجارة المنقوشة والقصة - الحصن - وجعل عمده من حجارة منقورة أدخل فيها عمد الحديد وصب فيها الرصاص وسقفه بالساج، وجعل أبوابه ستة كما كانت في عهد عمر، وقد سد بعد البابان الشماليان وما أحدث من الأبواب في أطراف المسجد، وبنى بأبوابه الأربعة المعروفة حتى زيد الباب الخامس الشمالي في عمارة السلطان عبد الحميد

وقد أخذ عثمان مقصورة على مصلاه في المسجد وكانت صغيرة من لبن وفيها كوة ينظر الناس منها الى الإمام ثم جعلها عمر بن عبد العزيز من ساج ثم جردها المهدي من ساج أيضاً ونزل بأرضها الى أرض المسجد وكانت مرتفعة عن سطحه نحو ذراعين ، ثم جدد الوليد بن عبد الملك المسجد على يد عامله على المدينة الإمام العادل عمر بن عبد العزيز وابتدأ ذلك التجديد في سنة ١٨٨ هـ . وأتتهى منه في سنة ١٩١ هـ . وقد زاد في المسجد من جهة الغرب — ولم يزد بعد في هذه الجهة شيء كبير — والشمال والشرق فأدخل في المسجد حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت جنوبي المسجد وشماليه بعد أن هدم بناءها وكانت أبوابها شارعة في المسجد ، واقتطع أيضاً جزءاً من حجرة عائشة أدخله في المسجد وذلك من جهة الروضة وأقام على الحجرة ذلك البناء الخماسي الذي تسدل عليه الكسوة اليوم ، ولم يجعله مربعة عدولاً به سنن الكعبة حتى لا يتخذها الناس قبلة ، وقد بنى المسجد بالحجارة المطابقة والقصة وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، ونقش حيطانه بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه من الساج وحلاه بماء الذهب ونقش زعوس الأساطين والأعتاب بالذهب ، ولما حج الوليد وقدم الى المدينة بعد فراغ عمر من عمارة المسجد أخذ ينظر في جدره وسقفه وتوشه وجميل شكله حتى اذا تم النظر التفت الى أبان بن عثمان وقال أين بناؤنا من بناؤكم ؟ قال أبان : بيننا بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس . ثم زاد المهدي العباسي في المسجد من جهة الشمال وعلى زيادته استقر المسجد من هذه الجهة وكان بدء البناء سنة ١٦١ هـ ، والفراغ منه سنة ١٦٥ هـ . وفي ليلة الجمعة أول رمضان سنة ٢٥٤ هـ . أحترق المسجد من شعلة تركها موقد المصابيح فالتهمت ما حولها ثم امتدت الى المسجد جميعه ولم يبق منه إلا قبة كانت بصحن المسجد أقامها الناصر لدين الله سنة ٥٧٦ هـ . لحفظ بها ذخائر المسجد وكان فيها وقت الحريق المصحف العثماني وأشياء أخرى ، وقد حاول أهل المدينة إطفاء هذا الحريق ففاجهم وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وقد كتب الى الخليفة المستعصم بالله عبد الله ابن المنتصر بالله بذلك الحريق فأرسل الصناع والآلات في موسم الحج وبدأ تجديد

المسجد سنة ٦٥٥ هـ . وأرسل أخشابا ومواد للعمارة الملك المظفر صاحب اليمن وكذلك فعل نور الدين علي بن المعز صاحب مصر والظاهر بيبرس البندقداري وفي أيامه تمت العمارة، وفي سنة ٧٠٥ هـ . وتاليها جدد الملك الناصر محمد بن قلاوون سقف المسجد شرقي رحبته وغربيها، وفي سنة ٧٢٩ هـ . زاد رواقين في المسقف القبلي مما يلي صحن المسجد ثم حصل فيها خلل بفقددهما الأشرف برسباني سنة ٨٣١ هـ . وجدد الظاهر جقمق سنة ٨٥٣ هـ سقف الروضة وبعض سقف أخرى حصل فيها خلل ، وفي سنة ٨٧٩ هـ . أجرى الملك الأشرف قايتباي عمارة هامة بالمسجد شملت بعض سقفه وعمده وجدره ومآذنه . وفي ليلة الثالث عشر من رمضان سنة ٨٨٦ هـ . أبرقت السماء وأرعدت إرعادا شديدا أيقظ النائمين وأتقضت صاعقة على هلال المئذنة الرئيسية قضت على رئيس المؤذنين الذي كان يهلال بالمئذنة وانتقلت الى سقف المسجد فالتهمت وانتشرت بالمسجد جميعه وصارت ترمي بشرر كالقصر كان يتساقط على المنازل المجاورة ولا يؤثر فيها ، وقد تهدمت جدر المسجد وتداعى أكثر أساطينه واحترقت المقصورة والمنبر والكتب والمصاحف ولم يسلم من طغيان النار إلا الحجر الشريفة والقبة التي بالصحن وسلمت في الحريق الأول ، وقد مات بهذا الحادث بضعة عشر شخصا رحمهم الله برحمته الواسعة ، ولم يبلغ الخبر الأشرف قايتباي وجه الأمير سنقر الجمالي الى المدينة لعمارة المسجد ومعه ما يزيد على مائة صانع والآلات اللازمة وشرعوا في العمارة فبدأوا بالمئذنة الرئيسية فبنوها ثم بنوا الجدار القبلي والشرقي الى باب جبريل وزادوا في عرضه يسيرا ووسعوا المحراب العثماني وأقاموا عليه قبة على رهوس الأساطين التي حوله بعد أن دعموا كل أسطوانة بأخرى وربمادعموا الواحدة بأربع ، وأقاموا على جدر الحجر النبوية قبة فوق السقف الذي كان عليها وجعلوا فوق القبة قبة أخرى أقيمت على الأساطين والدعائم التي أحدثوها فضيقت الجهة الشرقية فخرجوا بجدار المسجد ذراعين ورعا ، وأحدثوا أسطوانة في رأس مثلث الحجر وأقاموا قبة كبيرة تحيط بها ثلاث صغيرة بين الحجر النبوية والجدار القبلي وقبتين آخرين أمام باب السلام من الداخل ، وبنوا هذا الباب

بالرخام الأسود والأبيض وزخرفوه كما زخرفوا المحراب العثماني وأعادوا ترقيم الحجرة الشريفة وما حولها والجدار القبلي وصنعوا منبرا واتخذوا "دكة" للمؤذنين من الرخام وخفضوا أرض مقدم المسجد حتى ساوت أرض المصلى النبوي واتخذوا محرابا مجوّفا للرسول صلى الله عليه وسلم في دعامة أقاموها بين المنبر والقبر على حدّ مسجده الأصلي وزخرفوا هذا المحراب بالرخام الملون وجعلوا المقصورة في محلها الأول، وبنوا الجدار الغربي من باب الرحمة الى باب السلام، وبنوا مئذنة باب الرحمة وجعلوا الأعمدة قصيرة فوقها عقود من الآجر عليها السقف من الخشب، وبنوا مدرسة بجوار المسجد بين باب السلام وباب الرحمة ولا تزال باقية للآن تعرف بالمحموية، وقد أتفق قايتباي على هذه العمارة ما قيمته ١٢٠٠٠٠ دينار أو ما يقرب من ٦٠٠٠٠ جنيه ولما انتقلت الخلافة الى آل عثمان وأصبحت لهم السيطرة على الحرمين خلفوا ملوك مصر في القيام بما يحتاج اليه المسجد النبوي ففي سنة ٩٨٠ هـ عمّرهُ السلطان سليم الثاني وبنى به قبلة جميلة تراها غربي المنبر النبوي على حد المسجد الأصلي من الجهة القبليّة وقد وشاها بالفسيفساء المنقوشة بماء الذهب وكتب اسمه على ظهرها بانخط الثلث الجميل، وفي سنة ١٢٣٣ هـ بنى السلطان محمود القبّة الشريفة ثم أمر بترميمها ودهانها باللون الأخضر سنة ١٢٥٥ هـ ثم كانت العمارة الكبيرة التي قام بها السلطان عبد المجيد وقد بدأت في سنة ١٢٦٥ هـ وانتهت في سنة ١٢٧٧ هـ وسببها أن شيخ الحرم - المسجد النبوي - داود باشا كتب الى السلطان عبد المجيد بأن المسجد النبوي مضى عليه ما يقارب أربعة قرون دون أن تقوم به عمارة هامة حتى آل كثير منه الى التخرّب، فأرسل السلطان من قبله من استبان الحقيقة وتعرف حال المسجد ونباه به فأمر بعمارته ووكّل أمر ذلك إلى رجال اتّخبهم فاخاروا أن يقتطعوا الأحجار والأعمدة من هضاب بوادي العقيق عند آبار علي، ومهدوا الطريق للعربات وفتحوا بابا بالسور مما يلي باب الرحمة لتتم منه العربات ولا تزال أبنية المدينة وشرعوا في هدم المسجد جزء جزء وجهة جهة حتى لا يعطل الناس عن الصلاة بهذا المسجد المبارك وكلما نقضوا جزء قديما أقاموا مكانه جديدا حتى أمّوا العمارة

في ثلثي عشرة سنة ، وقد تناولت المسجد كله خلا المقصورة وما فيها وبعض جدر لم ينقضوها لإحكام أساسها وإتقان بنائها فلم ينقضوا الجدار الشمالي ولا الغربي إلا الجزء الذي يلي المئذنة المجيدية ولم ينقضوا المحراب العثماني لإتقانه وحسن صنعه وغيروا الأعمدة القديمة بأعمدة أخرى أكثرها قطعة واحدة يرتكز كل منها على مربع حجرى وفي عاؤه مثله ، وأقاموا عليها عقودا من الحجر الأحمر المنحوت وعلى تلك العقود قبابا في كثير منها طاقات وشبابيك بها الشبكات النحاسية التي تشبه الزرد والزجاج الملون يتفذ منه الضوء إلى جوف المسجد ، وترى في (الرسم ١٨٣) قباب المسجد ، والقبة الخضراء من خلفها قبة العشرة والمآذن هي من الشرق إلى الغرب الرئيسية ، فمئذنة باب السلام فمئذنة باب الرحمة ، وترى في الرسم أسرة جريد فوق السطوح ينام عليها المدينون في الصيف ولم يعيدوا من الأعمدة القديمة إلا أعمدة كانت بالروضة مرصحة بالرخام الأبيض والأحمر ومذهبة فأعادوها ، واستحدثوا أعمدة ملصقة بالجدر لتقوم عليها القباب ووسعوا الأروقة الشمالية والشرقية والغربية ، فجعلوا في الجهة الشمالية رواقين بدل ثلاثة وكذلك الجهة الشرقية وجعلوا في الغربية ثلاثة بدل أربعة من المئذنة المجيدية إلى باب الرحمة ، ولم يوسعوا الأروقة القبليّة التي تحاذى الصحن وإنما أضافوا إليها رواقين مما يلي صحن المسجد حتى غطت الأروقة القبليّة التي تسامت الصحن أرض المسجد الأصلي الذي كان به أروقة ثلاثة في جهته القبليّة ، وباقيه رحبة في الجهة الشمالية وخرجوا بالجدار الشرقي من المئذنة الرئيسية إلى باب جبريل خمسة أذرع وربما فوسع ما بين المقصورة والجدار وكان قبل ضيقا ، وحدث من ذلك فجوة بين المئذنة الرئيسية والجدار الشرقي الجديد جعلوا بها خلوة فوقها أخرى يصعد إليها بسلم من الداخل ويوضع فيها بعض لوازم الحجرة ، وجددوا باب هذه المنارة بالحجر الأحمر المنحوت وهو باب غربى يجلس أمامه الخطيب ، وبنوا بين باب جبريل وباب النساء في الخارج مكانا به صنابير - حنفيات - للوضوء ، وبنوا باب جبريل بمخدّ الباب الأصلي كما أعادوا بناء باب السلام بشكل نغم ، وجعلوا أمامه من الداخل قبة عظيمة ، وكان بشمالى

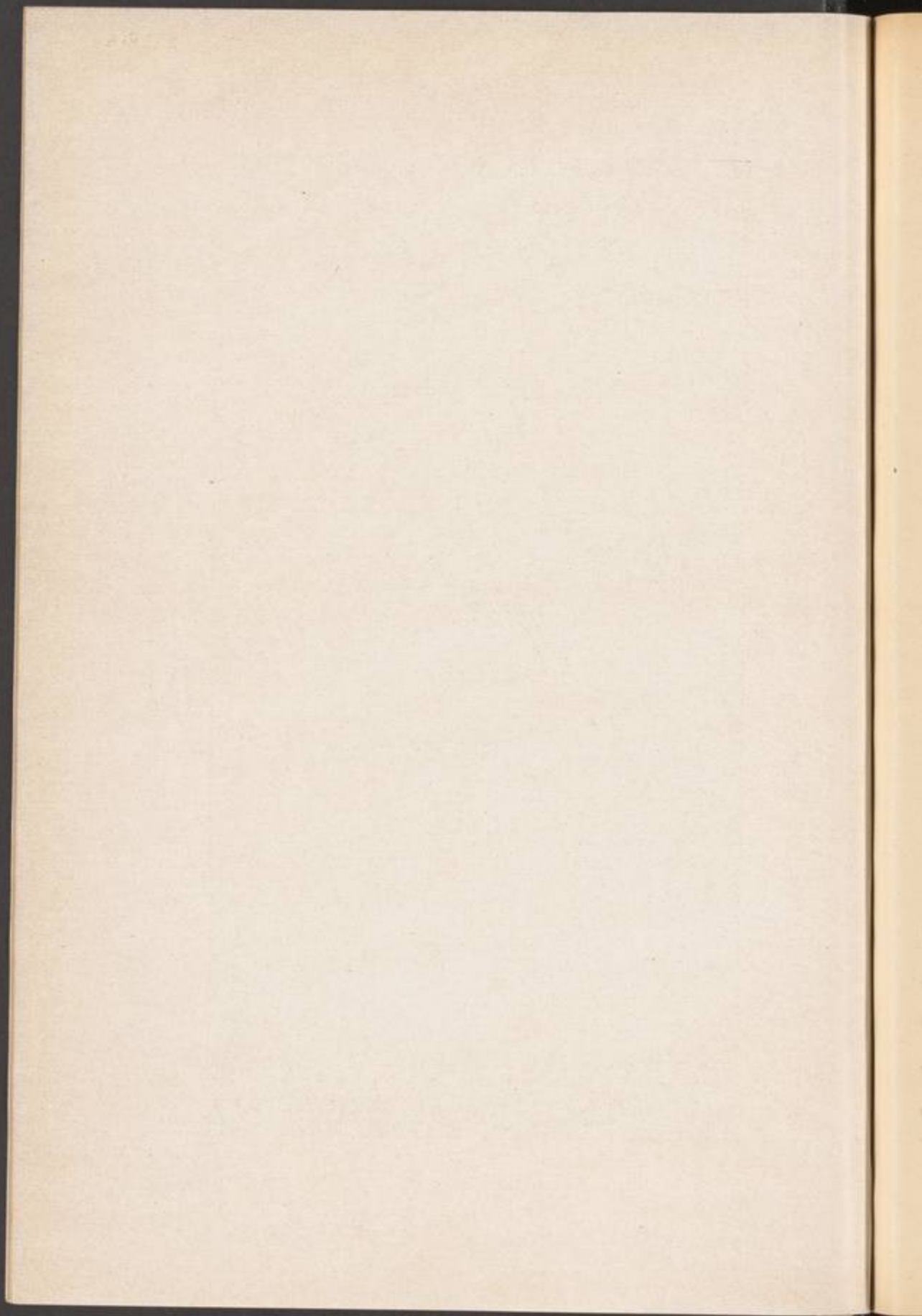
المسجد مخزن ومخبز ودور، فاشترت الدور وهدم الكل، وبنى مكانه ساحتان بكل منهما أربع حجرات جعلت الشرقية منهما مكتبا والغربية مخزنا ولكل منهما باب داخلي في المسجد وآخر خارجي، والساحة الشرقية هي طرقة الباب المجيدى الذى أحدث فى شمالى المسجد أثناء هذه العمارة، وبين هذين البنائين مكان للوضوء، وقد تقدم وصف ذلك فلا داعى لتكراره، وبنوا المئذنة المجيدية على أبدع شكل وأجمل منظر بعد أن حفروا لها أساسا عظيما وهدموا القبة التى كانت بصحن المسجد مخزنا للزيت لأنها كانت تلوثه وأستعاضوا عنها بالمخزن الشمالى الغربى، وبنوا أطراف دكة الأغوات وجعلوا بأركانها قوائم ثبت بها "درازين" من الصفر وجددوا دكة أخرى جنوبى هذه وأخفض منها وجعلوا عليها "درازين" من الصفر أيضا، وبها محراب التهجد الذى حلوه بماء الذهب، ويفصل هذه الدكة عن دكة الأغوات الطريق الى باب النساء، وبنوا المحراب الذى على يمين الداخل من باب النساء وكذلك بنوا المخزن الذى فى شرقى دكة الأغوات وهو طبقتان وبجانبه ميضأة، وكان أحدث فى شرقى المسجد تجاه الصحن حظيرة صغيرة لخليلة السلطان محمود لما قدمت المدينة بعد سنة ١٢٥٠ هـ وكانت أرضها مرتفعة عن سطح المسجد فسويت به ووسعت بطول ثلاثة أعمدة فى عرض الرواقين ثم وسعها شيخ الحرم محمد حافظ باشا سنة ١٢٨٠ هـ الى الشكل الذى تراها به الآن فى (الرسم ١٧٧)، وصارت المكان الخاص بصلاة النساء، وكان على حد المسجد النبوى من جهته القبلىة "درازين" من الخشب فرفعوه وبنوا مكانه حاجزا مسننا من الحجر الأحمر المنحوت عليه "درازين" من الصفر المشتبك بعضه ببعض وجعلوا به أربع فتحات أشبه بالأبواب واحدة يمين المحراب السلمايى أو الحنفى وثانية عن يساره وكذلك الأمر بجوار المحراب النبوى الذى لم يغير هو ولا المنبر فى هذه العمارة، وكانت الجهة الغربية والشمالية والشرقية مرتفعة أرضها عن مقدم المسجد فسويت به حتى أصبح الجميع مستويا، وكان صحن المسجد مسامتا لأرضه تخفض عنها، وفى أثناء التخفيض ظهرت بركة كبيرة مبنية بالأجر والجص والخشب لها درج فى جوانبها والماء ينبع من فوارة

في وسطها تأتي من العين الزرقاء ، وقد تقدم الكلام على هذه البركة أثناء حديث العين الزرقاء — ولا يكون الماء بهذه البركة إلا أيام الموسم — وبعد أن أتوا البناء ربحوا أرض المسجد كلها والنصف الأسفل من الجدار القبلي ونقشوا في القباب كلها رسوما تمثل أشجارا مختلفة وأزهارا شتى وجداول جارية وإن شئت فقل في كل قبة حديقة زانت سماء المسجد، والنقش في القباب القبلية أجمل منه في القباب الأخرى ، وصقلوا الأساطين ودهنوها بلون يشابه لون الحجر ونقشوا في رءوسها أكفا ذهبية وأتادوا تذهيب المحراب النبوي والمنبر وصبغوهما باللأزورد وذهبوا المحراب السلجوقي أو الحنفي وزخرفوه ، ووصل بعد ذلك من الأستانة عبد الله بك زهدى الخطاط الشهير فكتب في ثلاث سنين ما تراه بقبب المسجد وجدره وأساطينه من الآيات والقصائد وأسماء النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد بلغت نفقات هذه العمارة ثلاثة أرباع مليون من الجنيهات الجديدة جزى الله مسديها جزاء وفاقا .

محاريب المسجد النبوي — به الآن ستة محاريب : (١) المحراب النبوي بالروضة على يسار المنبر ولم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم محراب محجوف وإنما كان يصلى بهذا المكان أو قريبا منه ، وأول من أحدث المحراب المحجوف عمر ابن عبد العزيز وإلى المدينة في خلافة الوليد ، وإنا لنشك في صحة تلك النسبة إليه فإن عمر أرمي الناس لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن تجوف المحراب سنة نصرانية فكيف يُسْتَنَّ عمر بسنة النصارى ، وكان موضع هذا المحراب صندوق به

(١) قد عثرنا على رسالة في دار الكتب السلطانية ألقها السيوطي بين فيها بدعة المحاريب المحوفة وأقام الدليل على ذلك من السنة متكلمًا على أسانيد الأحاديث سندًا سندًا ، وقد نقلنا هذه الرسالة في عصر الأحد ٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٦ هـ (١٦ ديسمبر سنة ١٩١٧ م) وأولها الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى « وبعد » فهذا جزء سميته بإعلام الأديب بمحدث بدعة المحاريب لأن قوماً يخفى عليهم كون المحراب في المساجد بدعة ، وظنوا أنه كان في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه ولم يكن في زمنه قط محراب ولا في زمن الخلفاء الأربعة فما بعدهم إلى آخر المائة الأولى وإنما حدث في أول المائة الثانية مع ورود الحديث =



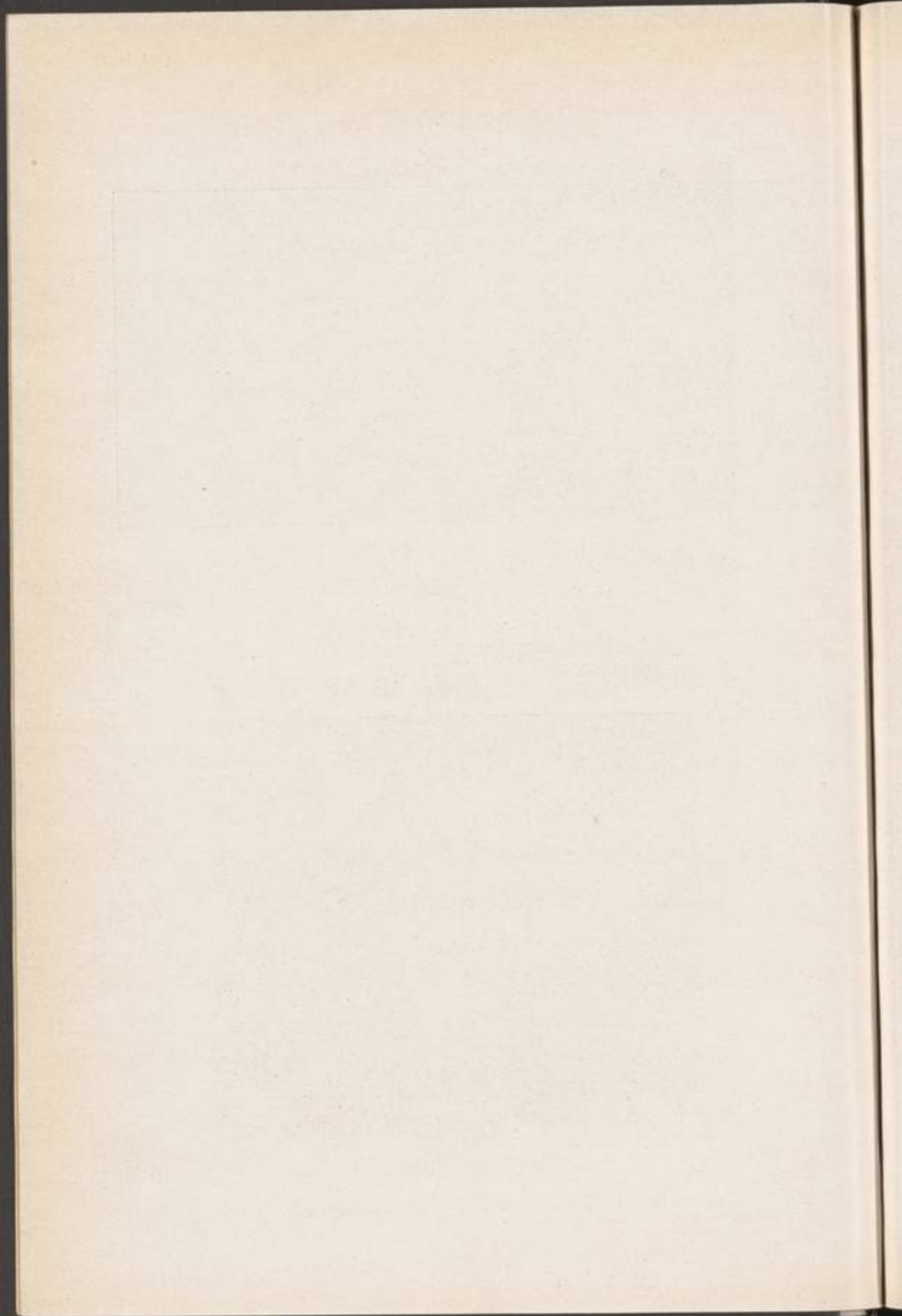
الرفقة الشريفة والشيخ محمد الطاهر الكاظمي في مكة المكرمة



الرفقة الشريفة والشيخ محمد الطاهر الكاظمي في مكة المكرمة

184. The Holy Niche in the Prophet's Mosque at Medina.

الحمد لله رب العالمين



الحجرات العتيقة في المسجد النبوي

(عثمان بن عفان)



185. A view of the Kibla of Osman Ibn Affan in the Mosque of Medina.

الحجرات النبوية في المسجد النبوي



الحجرات النبوية في المسجد النبوي

186. A view of the Soliman Place of Prayer in the Mohammedan Mosque.

مصحف كبير أرسله الحجاج بن يوسف الى المدينة المنورة حين أرسل الى أمهات القرى بمصاحف ، أنظر في (الرسم ١٨٤) شكل المحراب النبوي وبالرسم الطيب ابراهيم سليمان والشيخ محمد سالم طوموم نجح صهرنا وعبد اللطيف أغا خادم الحجرة والشيخ يوسف المرجاوى إمام المحمل ؛ (٢) المحراب العثماني في حائط المسجد القبلي وهو محدث في مصلى عثمان بالناس وكان حول المصلى مقصورة من لبن اتخذها عثمان لما طعن عمر يتقى بها الأشرار - وقد ذكرنا ذلك قبلا وترى هذا المحراب في (الرسم ١٨٥) ؛ (٣) المحراب الحنفى ويعرف اليوم بالمحراب السليمانى وهو غربى المنبر على حد المسجد القديم من جهة القبلة وقد بناه « طوغان شيخ » بعد سنة ٨٦٠ هـ . وكان الناس من عهد الرسول يصلون الى إمام واحد يقف بالمحراب النبوى وفي أيام الموسم يقف بالمحراب العثمانى من الزحام فأراد طوغان أن يصلى بالحنفية إمام لهم بالمحراب الذى أحدثه ، فقام المصلحون الواقفون عند السنة في وجهه فما كان منه

= بالنهى عن اتخاذه وأنه من شأن الكنايس وأن اتخاذه في المساجد من أشرط الساعة ، ثم ذكر المؤلف ما أخرجه البيهقي في سننه الكبرى من أن أول من أحدث المحراب المجوف عمر بن عبد العزيز وما أخرجه أيضا عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا هذه المذابح يعنى المحارب ، وتكلم على رجال هذا الحديث وبين أنه حديث ثابت ثم ذكر ما رواه البزار في مسنده عن عبد الله بن مسعود أنه كره الصلاة في المحراب وقال : إنما كانت للكنايس فلا تنهوا بأهل الكتاب يعنى أنه كره الصلاة في الطاق وذكر حديثا مرسلًا رواه ابن أبى شيبة في مصنفه عن موسى الجهنى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تزال هذه الأمة أوقال أمتى بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذابح كذابح النصارى ثم ذكر ما رواه ابن أبى شيبة أيضا عن أبى ذر أنه قال : إن من أشرط الساعة أن تتخذ المذابح في المساجد ، وروى أيضا عن عبيد ابن أبى الجعد قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون : إن من أشرط الساعة أن تتخذ المذابح في المساجد يعنى الطافات ، وذكر أيضا ما رواه عبد الرزاق في مصنفه عن كعب قال : يكون في آخر الزمان قوم يزينون مساجدهم ويتخذون بها مذابح كذابح النصارى فإذا فعلوا ذلك صب عليهم البلاء ، وذكر بعد ذلك حديث الطبراني في الأوسط عن جابر بن أسامة الجهنى قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بالسوق فقلت : أين تريد يا رسول الله ؟ قال : تريد أن نخط لقومك مسجدا فأبيت وقد خط لهم مسجدا وقرزى قبلته خشبة فأقامها قبلة ، وفي آخر الرسالة أنها تمت على يد مصطفى بن يحيى بن أيوب بن يحيى الشافعى وأن ذلك في يوم السبت ٣ ذى الحجة سنة ١٢٨١ هـ . في الساعة ١١ والدفقة ٥

إلا أن سعى في الدولة المصرية حتى أجازت له ما رغب فيه، فكان يصلي بالحنفية
 إمام لهم بالمحراب البدعي بعد صلاة الناس وراء إمام شافعي يقف بالمحراب النبوي
 وكانا يصليان التراويح معا، وأستمر الأمر على ذلك إلى سنة ١٢٢٩ هـ . أيام السلطان
 محمود فسعى محمد علي باشا الذي قدم إلى المدينة زائرا بعد فتنة الوهابية — لدى الدولة
 في تقديم إمام الحنفية على إمام الشافعية فقسم الأمر بينهما وصار كل منهما يصلي
 يوما وليلة في المحراب النبوي ويوما وليلة في محراب الحنفية ولا يتقدم إمام الشافعية
 إلا في صلاة الصبح ويصلي إمامهم بالمحراب النبوي في أيام المواسم بعد انصراف
 إمام الحنفية من المحراب العثماني — شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وفرقوا
 جماعات المسلمين في عبادة توحد بين القلوب فاللهم اهدنا صراطك المستقيم . وقد
 رخم هذا المحراب بالرخام الأبيض والأسود السلطان سليمان سنة ٩٣٨ هـ . ولهذا
 سمي بالمحراب السلیمانی ومكتوب على هذا المحراب بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قَدْ نَرَى
 تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ . ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
 وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ انخ صدق الله العظيم وصدق نبيه الكريم ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ
 الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ صدق الله العظيم اللهم صل على سيدنا محمد
 وآله، أنظر المحراب في (الرسم ١٨٦) وتجد به « الملك الحق المبين » وامرأة ساجدة
 أمامه ؛ (٤) محراب التهجد وهو خلف حجرة فاطمة خارج المقصورة الدائرة عليها،
 وعلى الحجرة الشريفة من جهة الشمال ويقال إنه في متجد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم، والمعروف أن تهجده في غير قيام رمضان كان ببيته، وقد جدد هذا المحراب
 في عمارة السلطان عبد الحميد وكتب فيه ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَنِّي
 أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَجْهُدًا ﴾ ؛ (٥) محراب فاطمة جنوب محراب التهجد داخل
 المقصورة مبني على الأسطوانة الملاصقة للصندوق المقام على قبر فاطمة المزعوم ؛

(٦) المحراب الذي شمالى دكة الأغوات أو مسطبتهم وهو محدث في العمارة الأخيرة وكان في موضعه مصلى مشايخ الحرم في الأعصر الحالية ويصلى به الآن شيخ الحرم صلاة التراويح .

المنبر النبوي — كان صلى الله عليه وسلم يخطب غير مستند الى شيء ثم خطب الى جذع يعتمد عليه اذا طال قيامه ثم بدا له أن يتخذ منبرا فاتخذ من الطرفاء (الأئمة) ذا درجات ثلاث وكان يقف على الثالثة ، فلما خطب أبو بكر نزل درجة ثم عمر درجة ثم على درجة يكبر كل سلفه ، وقام عثمان على الدرجة السفلى ست سنين ثم رقي حيث كان يرقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتقده الصحابة وهو أول من كسا المنبر ثيابا قبطية ، ولما قدم معاوية الى المدينة عام حج حرك المنبر وأراد أن يخرج به الى الشام فكسفت الشمس يومئذ حتى رؤيت النجوم ، فأعتذر معاوية الى الناس وقال : أردت أنظر الى ماتحته وخشيت عليه من الأرضة ، وزاد فيه مروان عامله على المدينة ست درجات من أسفله وقال : إنما زدت فيه لما كثرت الناس فصار المنبر تسع درجات بالمجلس ، وكان الخلفاء يقفون على السابعة وهي الأولى من المنبر النبوي ، واستمر المنبر على هذا حتى احترق المسجد سنة ٦٥٤ هـ . فاحترق ثم جدد المظفر صاحب اليمن منبرا له رمانتان من الصندل وضع موضع الأول سنة ٦٥٦ هـ . ثم غير بمنبر أرسله الظاهر بيبرس ، ثم غير هذا بمنبر للظاهر برقوق أرسله سنة ٧٩٧ هـ . ثم استبدل الأخير بمنبر أرسله المؤيد سنة ٨٢٠ هـ . وقد احترق سنة ٨٨٦ هـ . فأقام أهل المدينة منبرا من الآجر المطلي بالنورة غير بمنبر من الرخام بعث به الأشرف قايتباي سنة ٨٨٨ هـ . ثم نقل هذا الى مسجد قباء ووضع مكانه منبر من الرخام أرسله السلطان مراد سنة ٩٩٨ هـ . ولا يزال الى يومنا هذا ، ولهذا المنبر اثنتا عشرة درجة ثلاث منها خارج بابه وتسع منها داخله وهو من عجائب الدنيا لا يوجد له مثل ، هذا وقد روى بضعة عشر رجلا من الصحابة أن الجذع الذي كان يخطب اليه صلى الله عليه وسلم حن إليه لما فارقه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده عليه فسكن ، والراجح أن ذلك الجذع مدفون بين المنبر ومصلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ومكتوب على المنبر بأعلى بابه الأبيات الآتية :

أرسل السلطان مراد بن سليم * مستريدا خير زاد للعباد
دام في أوج العلاء سلطانه * آمننا في ظله خير البلاد
نحو روض المصطفى صلى عليه * ربنا الهادي به كل العباد
منبرا قد أسست أركانه * بالهدى واليمن من صدق الفؤاد
منبرا يعلى الهدى إعلانه * دام منصوبا لأصحاب الرشد
قال سعد ملهما تاريخه * عمر منبرا سلطان مراد

سنة ٩٩٨ هـ

انظر شكل الخطيب يوم الجمعة في (الرسم ٣٢٦) لابسا عمامة تسمى الكودبان^(٢)
حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصورة — كان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم بيت في الجنوب الشرقى للمسجد يعرف ببيت عائشة وكان جنوبيه
بيت حفصة يفصله عنه طريق ضيق وكانت بقية البيوت التي يسكنها أزواجه التسع
جنوبي المسجد الى محاذة محرابه الآن وشرقيه الى ما بعد باب النساء وفي شماليه
الى ما يحاذى منبره صلى الله عليه وسلم بين باب الرحمة وباب النساء ولم يكن ملاصقا
للمسجد منها إلا بيت عائشة رضى الله عنها، وكان له بابان : أحدهما غربى داخل
المسجد ، والآخر شمالي وقيل غير ذلك ، وكان في كل بيت من بيوت أزواجه حجرة
مبنية بالجريد عليه أكسية الشعر أما البيوت فكانت من اللين والجريد ولم تكن
السقوف مرتفعة بل كانت قصيرة تنال باليد ، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ . دفن بحجرة السيدة عائشة رأسه الى الغرب
ووجهه الشريف نحو القبلة ، ولما توفى أبو بكر في ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ .
دفن الى جانبه من جهة الشمال رأسه خلف منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ولما طعن عمر استأذن عائشة أن يدفن مع صاحبيه فأذنت له ، فلما توفى في ٢٧
ذى الحجة سنة ٣٢ هـ . دفن في جوارهما شمالي أبي بكر رأسه عند منكبه وبذلك

(١) الأوج : ضد المبوط . (٢) كهنة عمارة الخلفاء العباسيين وملوك آل عثمان .

كان بيت عائشة قسمين قسم به القبور وقسم كانت تسكنه وبينهما حائط، وكانت تدخل أحيانا حيث القبر سافرة فلما دفن عمر لم تدخله إلا مقنعة محافظة على الحجاب في الحياة وفي انمات فله هذه الآداب وتلك الأخلاق .

وقد أعيد بناء الحجرة باللبن في عهد عمر رضى الله عنه ولما كانت خلافة الوليد ابن عبد الملك أدخل عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز بيوت الأزواج في المسجد وأقام بناء حول الحجرة التي بها القبور جعله محمسا ولم يجعله مربعا خشية أن يستقبله الناس كما يستقبلون الكعبة، وقد ذرع السهودي الحجرة الداخلية فإذا بضلعها الجنوبية من الداخل عشرة أذرع وثلاث ذراع، وضلعها الشمالية أحد عشر ذراعا و $\frac{5}{3}$ من الذراع، وطول كل من الضلعين الشرقية والغربية $7\frac{5}{8}$ أذرع — الذراع ٤٩ سنتيا — وارتفاع الحجرة ١٥ ذراعا، وطول الضلع الجنوبية من الدائر الخمس ١٥ ذراعا إلا قليلا، وطول الشرقية منه $12\frac{1}{2}$ ذراعا وطول الغربية $16\frac{1}{2}$ ، وطول الضلعين الشرقية والشمالية $12\frac{1}{2}$ ، وطول الغربية الشمالية ١٤ ذراعا، وارتفاع الدائر الخمس من أرض المسجد ثلاثة عشر ذراعا وثلاث، وبين جدر الحجرة والدائر الخمس فضاء واسع من جهة الشمال ونحو ذراع من جهة الشرق والجنوب ولكنه يضييق الى شبر تجاه وجهه صلى الله عليه وسلم، أما الجداران الغربيان فليس بينهما فضاء ولم يتغير هذا الوضع الى يومنا هذا .

وكانت الحجرة مسقوفة بالخشب سمر بعضه فوق بعض وجعل عليه ثوب مشمع ثم أقام عليها أحمد بن البرهان عبد القوي ناظر قوص وقيل الملك المنصور قلاوون سنة ٦٧٨ هـ . قبة مربعة من أسفلها مئمنة من أعلاها صنعت من خشب أقيم على رءوس الأساطين المحيطة بالحجرة وسقفت بالواح منه فوقها ألواح الرصاص منعاً للطر أن يتزل داخل الحجرة، وهذه القبة مبدؤها من سقف المسجد وهو مواز لسقف حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي وصفناه والذي احترق في حريق المسجد الأول سنة ٦٥٤ هـ . وقد جدد القبة الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون . وجدد ألواح الرصاص الأشرف شعبان سنة ٧٦٥ هـ . وكذلك

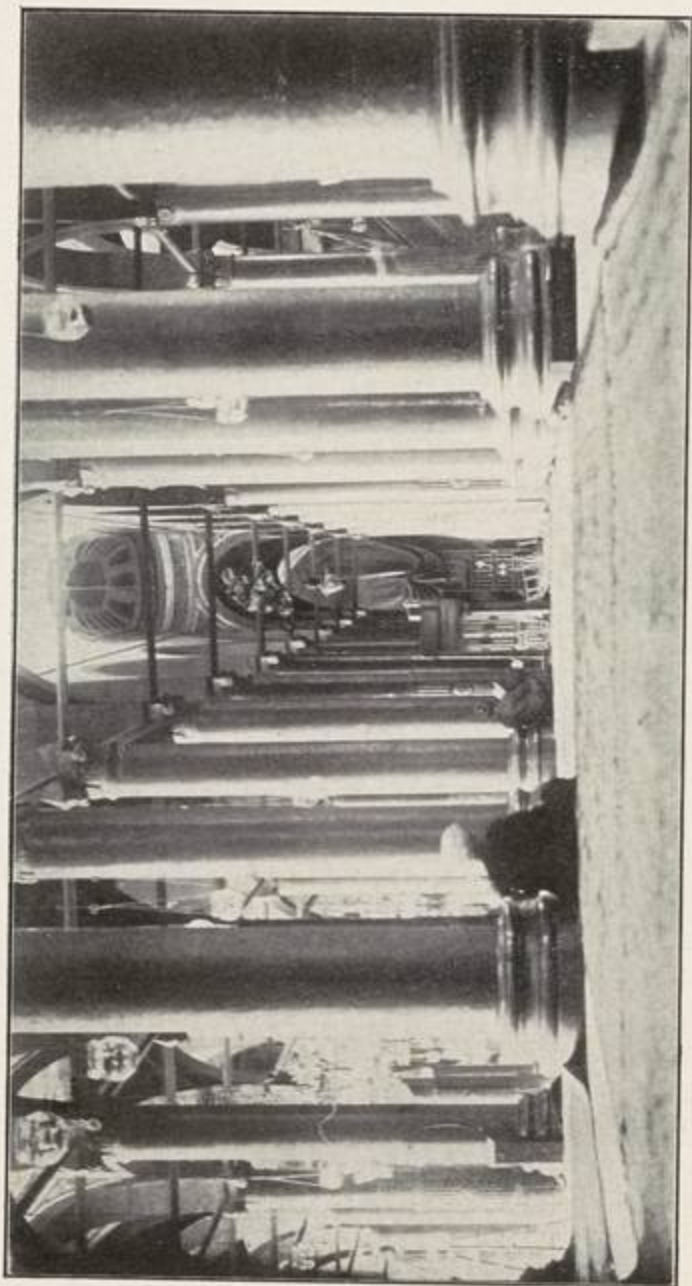
الظاهر جقمق ولما احترق المسجد للزّرة الثانية جدّد الأشراف قايتباي سنة ٨٨٦ هـ .
القبّة وجعلها على حائط الحجرة وبنّاها بالحجر الأسود المنحوت وجعلها بالحجر الأبيض
وكانت قبل من الخشب ، وبلغ ارتفاعها من أرض الحجرة الى مرتكز دلالها
ثمانية عشر ذراعاً وربعا ، وهذه القبّة لا يراها الآن من بأرض المسجد لأن الدائر
الخمس الذي تسدل عليه الكسوة يمنع من رؤيتها ، وقد بنى قايتباي فوق هذه القبّة
قبّة أخرى عظيمة اتخذ لها دعائم وأساطين حول الدائر الخمس ، ولم يكد يتم بناؤها
حتى تسققت أعاليها فأعيد بناؤها محكما بعد أن أخذ لها الجلس الأبيض من مصر
وكان ذلك سنة ٨٩٢ هـ . وهذه القبّة مزينة بالنقوش الجميلة وفيها طراز كتب
في جهته الغربية : أنشأ هذه القبّة الشريفة العالية المعترف بالتقصير الراجي
عفو ربه القدير قايتباي ، وفيها من الشبابيك والطاقت ست وسبعون ، وقد حدث
بها شقوق في زمن السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد فأمر بتجديدها فهدم أعاليها
وأعيد بناؤها متقنا وذلك سنة ١٢٣٣ هـ . ثم أمر بصبغها فصبغت باللون الأخضر
وكان لونها قبل أزرق لون الرصاص الذي عليها ثم صارت تصبغ باللون نفسه كلما
خف سابقه من تأثير الشمس .

وقد حفر حول الحجرة خندق عميق صب فيه الرصاص حتى لا يستطيع أحد
أن يصل الى جثة النبي صلى الله عليه وسلم كما حاول ذلك بعض النصارى
سنة ٥٥٧ هـ . في زمن الملك العادل نور الدين الشهيد ولما فطن لذلك أمر بهذا
الحاجز الرصاصي .

وكان في الجدار القبلي من الخارج تجاه رأسه صلى الله عليه وسلم مسار من فضة
وضع علامة على الرأس فعوض ذلك بقطعة من الألماس أقل من بيضة الحمام وتحتها
قطعة أخرى أكبر منها وكتاها مشدود بالذهب والفضة ويطلق عليهما الكوكب
الدرّي وقد أهداه الى الحجرة السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان ، والقطعة الكبيرة
تساوى ٨٠٠٠٠ دينار ، وتحت هاتين القطعتين حجر من الألماس مرصع بالجواهر
الكرّيمة المشدودة عليه بالذهب والفضة أهداه السلطان مراد بن السلطان أحمد خان

Faint, illegible text, possibly bleed-through from the reverse side of the page. The text is arranged in several lines and appears to be a list or a series of entries, but the characters are too light to be read accurately.

قسم من الروضة النبوية والحجرة المشرفة قرب المسجد النبوي بالمدينة المنورة



الروضة النبوية والحجرة المشرفة

188. Section of the Prophet's Rawdah (Sacred burial place) and the Holy Sepulchre as seen from the West in the Prophet's Mosque at Medina.

سنة ١٠٤٧ هـ . وفي سنة ١١٥٤ هـ . أرسلت جواهر أخرى مما غنمها المسلمون من فتح بلغراد فوضعت تحت الأعمار السابقة، وفي سنة ١٢٩١ هـ . أهدت الملكة العادلة أخت السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود صفيحة من الذهب طولها ثلاثة أرباع الذراع في عرض أربعة أصابع كتب فيها بخط جميل : لا إله إلا الله محمد رسول الله وذلك بأحرف ذهبية مثبتة في الصفيحة مرصعة بالألماس البرلنتي ولها سلسلة ذهبية علقت بها فوق الكوكب الدرزي ومكتوب على الحجر في جهاتها المختلفة شعر ريك أبي قلبي أن يخط منه إلا هذين البيتين

إني توسلت بالمختار أشرف من * رقى السماوات به الواحد الأحد

رب الجمال تعالى الله خالقه • فشله في جميع الخلق لم أجد

(أنظر الرسم ١٨٠) ففيه الجهة الغربية الشمالية من الحجر وبه النجفة الكبيرة وشباك حديدي بالحجر من جهة الغرب وهو مسبوك بالرصاص، وفي (الرسم ١٨٨) الحجر من الجهة الغربية القبالية وظاهر بوسط الرسم باب الوفود ويسمى باب التوبة وستائر الحرير الأخضر، وترى بجوار الباب شباكاً في الحظيرة النحاسية بجواره شخص يقرأ في كتاب فشخص آخر، وكذلك ترى في وسطه «كلوبا» للإضاءة كالذي نراه بمصر ولكن بدل بذلك مصابيح كهربائية، وهذه الأعمدة التي تراها في الروضة بينها عوارض خشبية دقت فيها مسامير لمنع العصافير أن تنقف عليها حتى لا يلوث المسجد .

وحول الدائر الخمس وقبر فاطمة المزعوم سور نحاسي مستطيل يطلق على ما بداخله المقصورة، وأقول من أحدث هذا السور الظاهر بيبرس سنة ٦٦٨ هـ . وكان من خشب وكان ارتفاعه نحو القامتين فزاد في طوله الملك العادل «كتبغا» حتى وصله بسقف المسجد ثم جعل في سنة ٨٨٠ هـ . من الشباك النحاسية وجعل متصلًا بالعقود التي حول الحجر وجعل سور نحاسي مشبك يفصل حجرة فاطمة أو قبرها المزعوم

عن الدائر الخمس وما يليه - وكل هذا في زمن ^(١) قايتباي - فصار لفاطمة مقصورة مستقلة ولكنها تتصل بالمقصورة الكبيرة بباين، والحجرة تطلق في عرف أهل المدينة على المقصورة وأبوابها تسمى أبواب الحجرة الخ، وللمقصورة ستة أبواب: باب قبلي يسمى باب التوبة، وباب شرقي يسمى باب فاطمة، وباب غربي يطلق عليه باب الوفود، وباب شامي يسمى باب التهجذ، وبابان على يمين المثلث ويساره داخل المقصورة، وأول من كسا الدائر الخمس الخيزران أم هارون الرشيد كسته من الزنابير وشبائك الحرير ثم ابن أبي الهيجاء وزير ملك مصر كساها الديباج الأبيض عليه الطرز والحمامات المرقومة، وجعل عليه زنارا من الحرير الأحمر كتبت فيه سورة يس ثم أرسل المستضيء بعد ذلك بستين كسوة من الديباج البنفسجي المطرز عليها اسمه وضعت مكان الأولى، ثم كساه الديباج الأسود الخليفة الناصر ثم صارت ترسل الكسوة من مصر كل ٦ سنين من الديباج الأسود المرقوم بالحرير الأبيض وعليها طراز منسوج بالذهب والفضة ثم ملوك آل عثمان من بعد ذلك، وكما وردت كسوة جديدة قسمت القديمة، وقد تقدم ذكر الستائر التي للأبواب والمحاريب وغيرها ويقال أن أول من جعل الستائر على الأبواب زياد بن عبيد الله الحارثي سنة ١٣٨ هـ . أنظر قطعة من كسوة الدائر الخمس في (الريم ١٨٧) .

أبواب المسجد - ذكرنا فيما سلف أثناء الكلام على عمارة المسجد نبذاً متعلقاً بالأبواب ونقول هنا إن الأبواب التي كانت بالمسجد بعد زيادة المهدي أربعة وعشرون باباً بخوخة أبي بكر رضي الله عنه أربعة في القبلة خاصة غير عامة وعشرون عامة، ثمانية في المشرق وثمانية في المغرب، منها خوخة الصديق وكانت شارعاً في الرحبة وأربعة في الجهة الشامية، وقد سدت هذه الأبواب أثناء العمارات

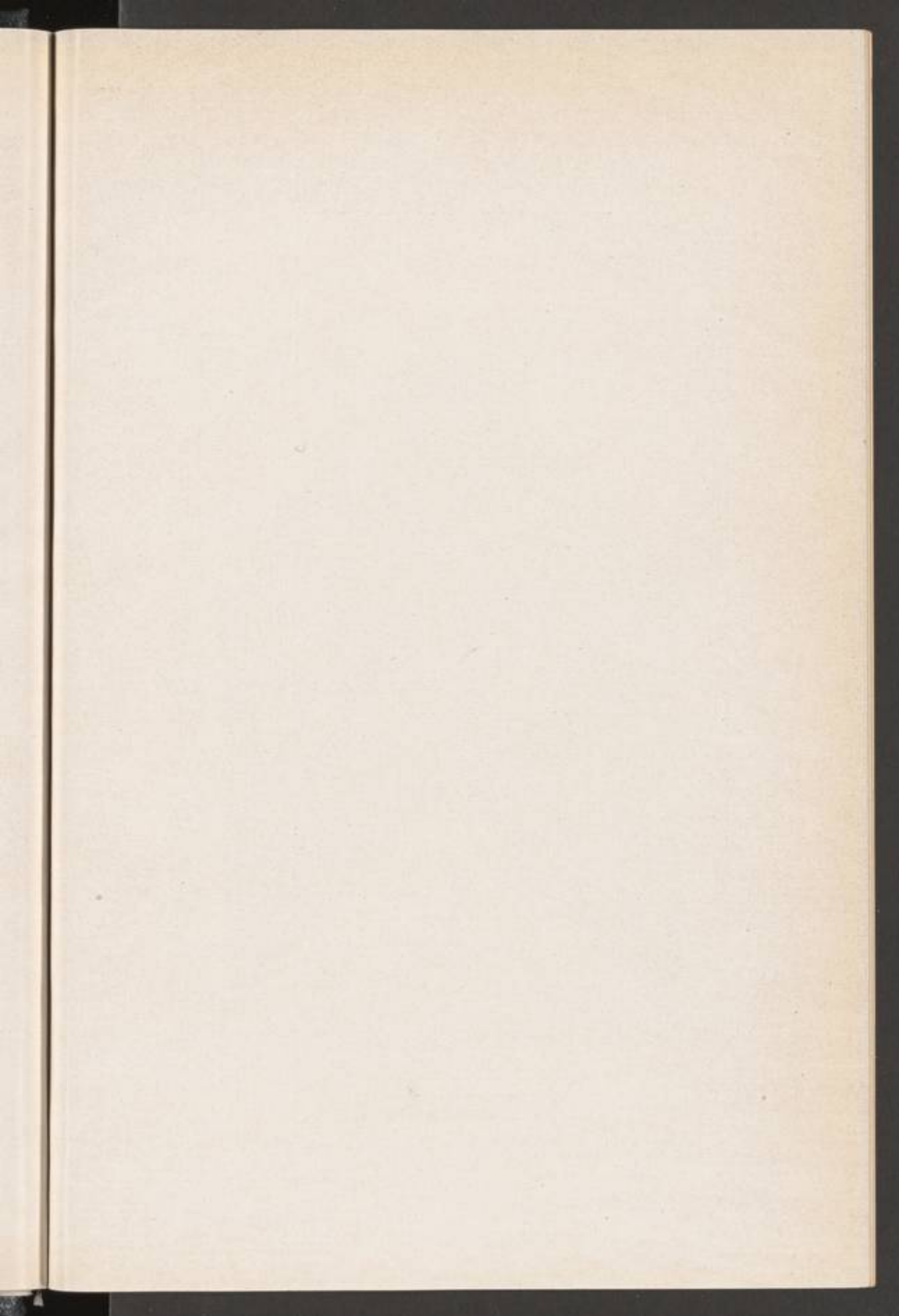
(١) وقد جاء في الجزء الثاني من تاريخ ابن أبياس (ص ٢٢٠ و ٢٢٢) أن قايتباي أرسل هذه الشباك النحاسية مع الحمل في شوال سنة ٨٨٨ هـ وأن زنتها ٤٠٠ قطار حملها إلى المدينة ٧٠ جملاً وأرسل معها مصحفًا كبيرًا نادر المثال حل على حمل بمفرده، وهذا المصحف بخط شاهين النوري الذي مات ولم يمه فآمنه الشيخ خطاب بأمر السلطان .

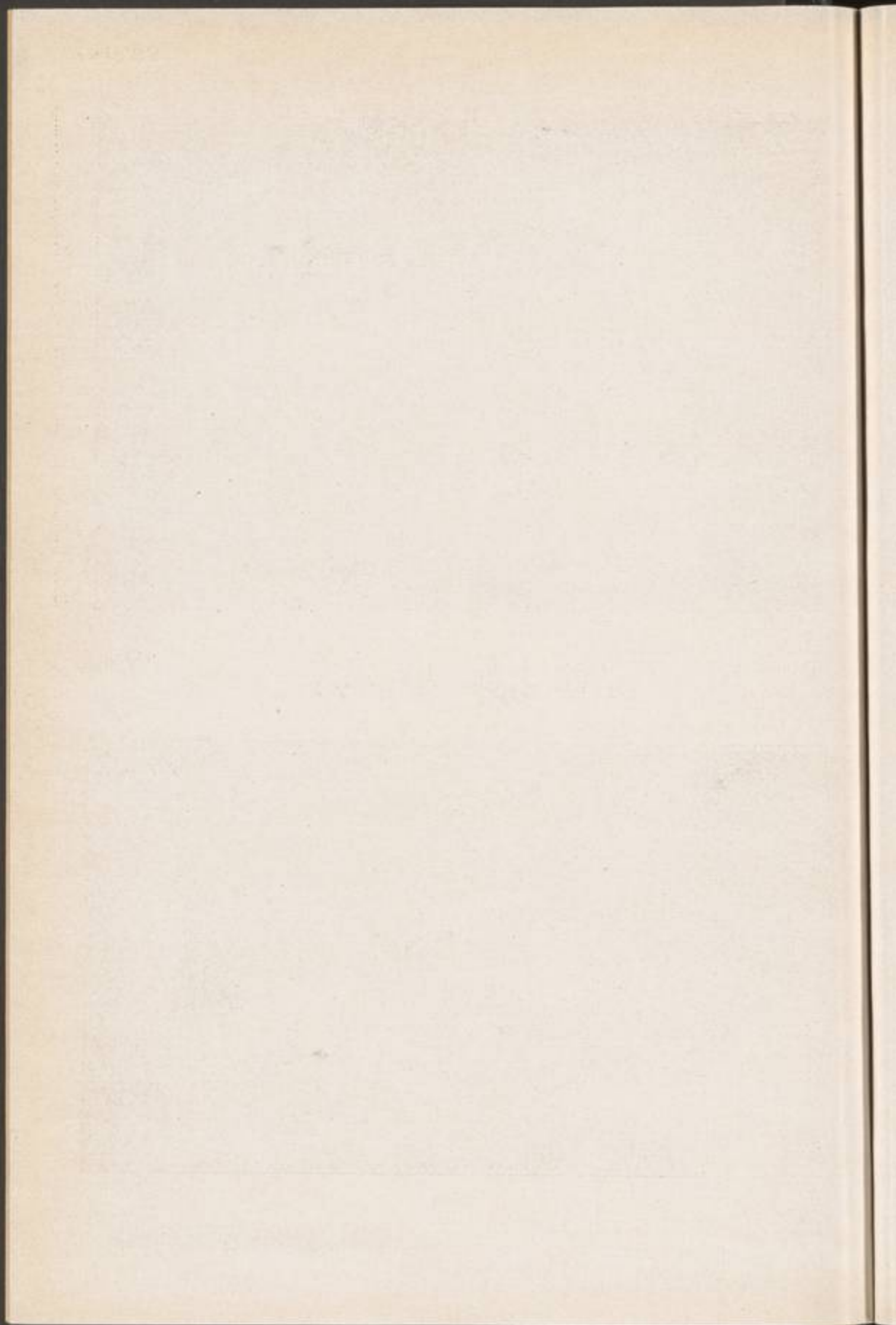
مِنْظَرُ كِسْوَةِ الْحَجْرَةِ النَّبَوِيِّ الشَّهِيدِ مِنْ الدَّلْحَانِ

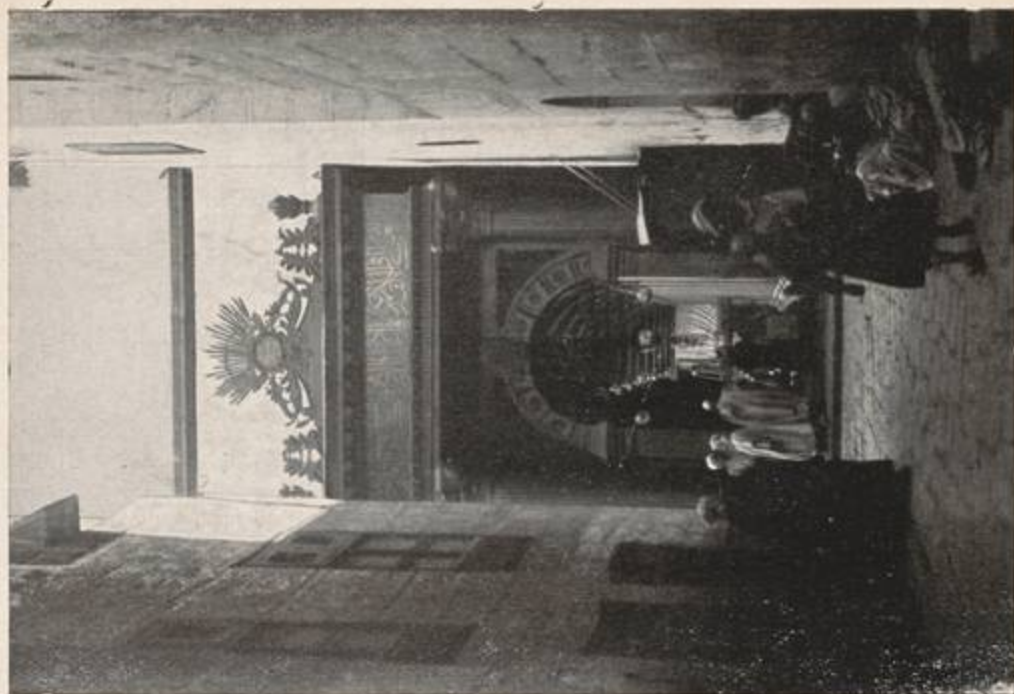


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

187. Cover of the Prophet's Sepulchre as seen from inside.







189. The door of Mercy in the Prophet's Mosque at Medina.

باب السلام في المسجد النبوي بالمدينة المنورة



190. The door of El Salam in the Prophet's Mosque at Medina.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

المختلفة ولم يبق منها إلا الأربعة التي في شرق المسجد وغربه ، أما الذي في الشمال فأحدث في عمارة السلطان عبد المجيد كما قدمنا بخمسة الأبواب خمسة . (١) باب السلام في المغرب وكان يعرف بباب مروان لملاصقته لداره التي كانت في قبلة المسجد مما يلي الباب المذكور ، وفي موضع تلك الدار ميضأة أنشأها المنصور قلاوون سنة ٥٦٨٦ هـ . ثم أبدل بها أخيراً مدرسة السلطان بشير أغا ، ونقلت الميضأة الى غربي المسجد مقابل رأس الزقاق المعروف بزقاق الزرندي على يمينك وأنت ذاهب الى الباب المصري ، والزقاق يدخلون في الأكثر من هذا الباب لكون طريقه أخصر الطرق من باب المدينة ، ومكتوب على هذا الباب ﴿ إِنْ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ ﴾ وذلك بالنحاس الأصفر ، وعليه من الخارج الكتابة الآتية : فذاك أبي وأمي يارسل الله اللهم أيد بالنصر والعز السلطان عبد العزيز خان بن السلطان عبد المجيد خان — الى أن يصل بالنسب الى رأس الأسرة العثمانية السلطان عثمان خان — أيد الله ملكه الى آخر الزمان ونهاية الدوران أنظر (الرسم ١٩٠) ؛

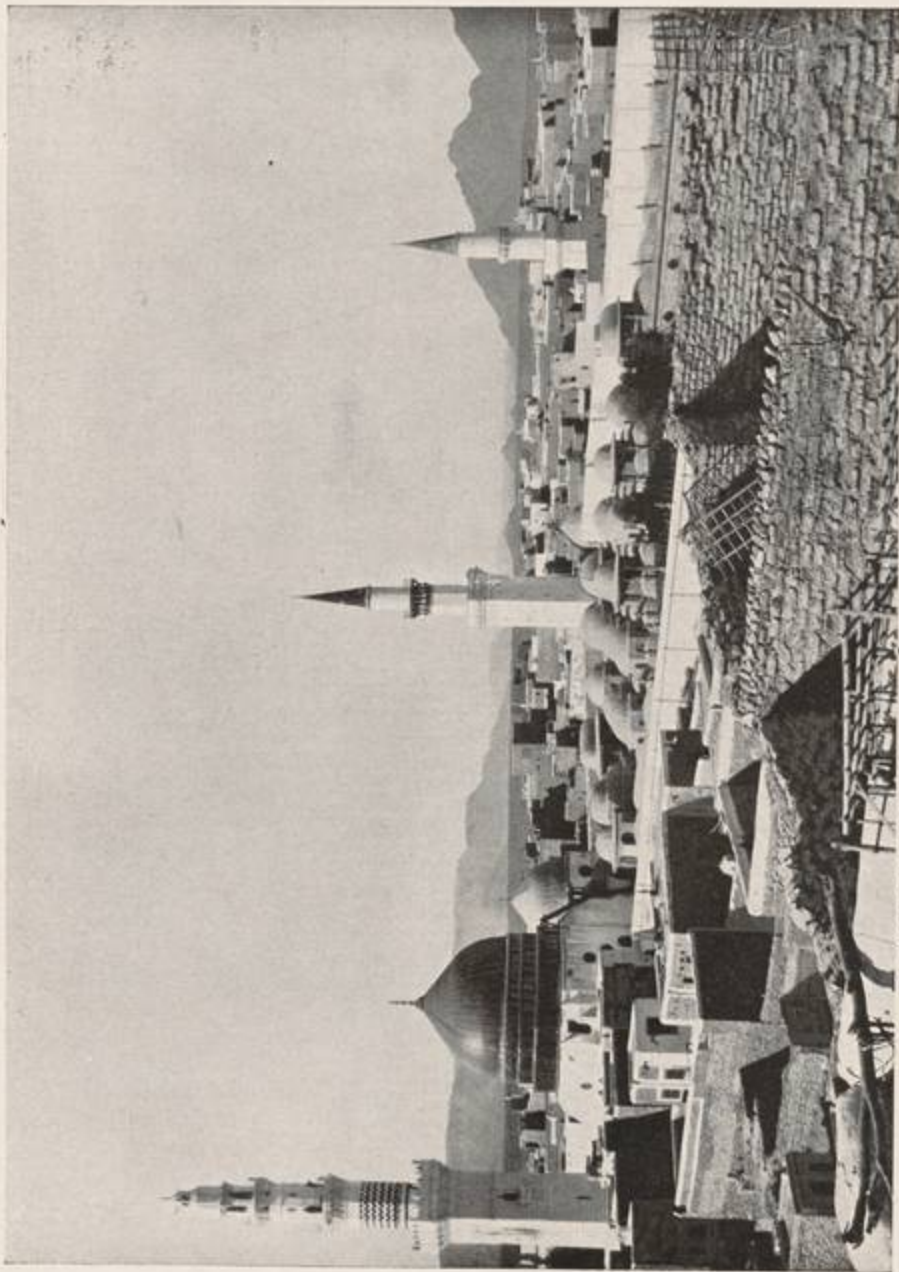
(٢) باب الرحمة في الغرب أيضاً وكان يعرف ببيت عائكة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية لمقابله لدارها وبباب السوق لأن السوق أولاً كان في هذه الجهة أما الآن بفحة باب السلام ويقال أن سبب تسميته بباب الرحمة أن أعرابياً دخل منه يوم الجمعة فطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يستمطر فدعا فمطروا سبعا حتى روى الناس والزرع ، ثم دخل منه في الجمعة التالية فطلب من الرسول أن يدعو برفع المطر خوفاً على الأبنية وخشية الغرق فأنقشت السحب عن المدينة ، وهذه القصة في صحيح البخاري ومكتوب على هذا الباب من الخارج قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ومن الداخل قوله ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ أنظر (الرسم ١٨٩) وقد جرت سنة أهل المدينة بإدخال جنائزهم من هذا الباب تفاؤلاً بأن الله يرحم موتاهم ، وخارج هذا الباب صناير — حنفيات — للوضوء كتب على بنائها ما يأتي :

أعظم بخير خليفة سلطاننا * عبد المجيد المجدى الأمر الرشد
المفدق الحرمين جارى فضله * من فيض عين خزان دوما يمد
من هذه بعض أوقاف له * تجرى معيناً بالظهور لمن ورد
تاريخها بحريم أرفع مسجد * حنفية يبق بها النفع الأبد

سنة ١٢٦١

وبين باب الرحمة وباب السلام حجرة يعرف بابها بنوخة أبى بكرضى الله عنه
وهى فى محاذة خوخة أبى بكر التى كانت بالحدار الغربى بالمسجد الأصبلى ، وكان
بينهما أيضا دار القضاء التى كانت لعمر بن الخطاب وأوصى أن تباع فى دينه فبيعت
من معاوية فسميت دار قضاء الدين ، وقد هدمها زياد بن عبيد الله الحارثى فى ولايته
سنة ١٨٨ هـ . وجعلها رحبة للمسجد ثم بنى فى مكانها الحصن الذى كان يتزله
أمراء المدينة ثم صارت رباطا لغيث الدين سلطان بنجاله سنة ٨١٤ هـ . ثم دخلت
فى رباط ومدرسة الأشرف قايتباى اللذين بناهما سنة ٨٨٨ هـ . ثم صارت المدرسة
محكمة يتزل بها قضاة المدينة ، ولما انتقلوا إلى المحكمة التى بالساحة تخربت المدرسة
فأقام السلطان عبد المجيد على أنقاضها مدرسته التى بها المكتبة العظيمة وبنى بجوارها
دارا لناظر المدرسة سنة ١٢٣٧ هـ . ثم جددهما السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٧ هـ ؛
(٣) الباب المجيدى أو باب التوسل فى شمالى المسجد وهو من إنشاء السلطان
عبد المجيد سنة ١٢٦٧ هـ . وعلى يسار هذا الباب وتجاهه مكانان للوضوء بالثانى منهما
بيوت أدب ؛ (٤) باب النساء فى الجهة الشرقية وهو من محدثات عمرضى الله عنه
سمى بذلك لأن عمر قال حين بناه : لو تركناه للنساء ، وكان فى مقابلة هذا الباب دار
رَيْطَةَ ابنة السفاح العباسى ، وفى شرقها دار أبى بكرضى الله عنه التى فى موضعها
الآن زاوية الشيخ عبد القادر الجيلانى أو زاوية السمان ومكتوب على هذا الباب
(الله ولى التوفيق) قال الله تبارك وتعالى جل وتقدس ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ
الزَّكَاةَ — الآيَة — ﴾ صدق الله ربنا العظيم وصدق نبيه الكريم ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى
فى بيوتكنَّ من آياتِ الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا ﴾ ومكتوب على المصراع
الأيمن (يا مفتاح الأبواب) وعلى الأيسر (أفتح لنا خير باب) ثم عكس ذلك بالكتابة ،

وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِالْإِسْلَامِ هُمُ الْبَارِعُونَ فِي حَجَرٍ نَبْتُهُ هَجْرِيَّةٌ

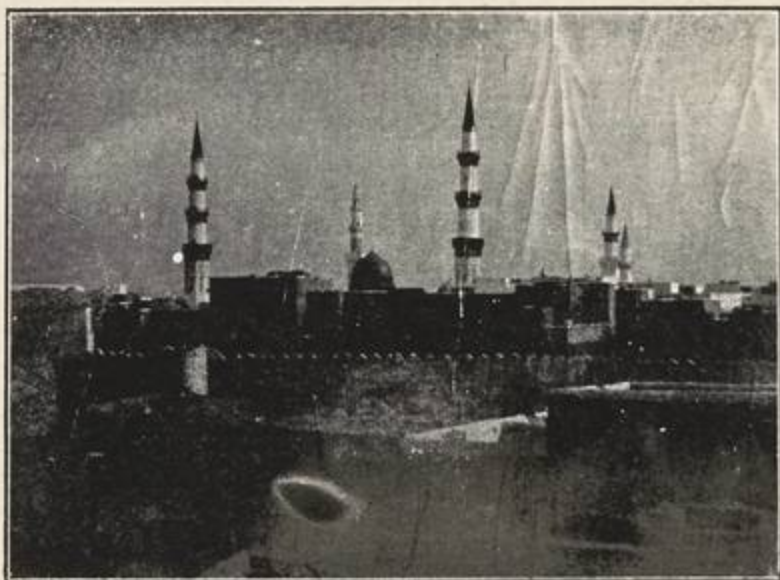


حَدَّثَنَا أَبُو طَيْبٍ وَالتَّحْقِيقُ فِي التَّحْقِيقِ الْعَلَاءُ فِي هَيْئَةِ الْمَسْجِدِ النَّبِيِّ

183. The view of the domes of Mohamed the Prophet, Abu Bakr and Omar at Nabi Mosque

THE UNIVERSITY OF CHICAGO
LIBRARY
540 EAST 57TH STREET
CHICAGO, ILL. 60637
TEL: 773-936-3300

منائر المسجد النبوي وسور المدينة من الجهة الشرقية بالبقيع سنة ١٣٢١



191. The interior of the Mosque of Medina as seen from the North.

قصر عبلة في طريق الوجه سنة ١٣٢٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ
 إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ الْعَظِيمِ

192. The Palace of Abla on the route from Al Wagh.

ومكتوب على هذا الباب من الداخل فوق العقد ((لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا))
وتحت العقد فوق العتبة، قال الله تعالى في كتابه الكريم ((وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَاعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا)) ؛ (٥) باب جبريل في الشرق جنوبي باب النساء ويعرف قديماً بباب عثمان لمقابلته دار آل عثمان وسمى بباب جبريل لأنه أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم عند هذا الباب وأمره أن يغزوه بنى قريظة بعد انصرافه من غزوة الخندق .

ومكتوب على هذا الباب البديع الصنع بالخط الثالث الجميل ، قال الله العليم الخبير في كتابه العزيز ((فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ)) صدق الله خالقنا رب العالمين ومكتوب على مصراعيه ((جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَعَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ)) .

مآذن المسجد — لم يكن بالمسجد مآذن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده وإنما كان يؤذن على أسطوانة بدار عبد الله بن عمر التي تعرف الآن بدار العشرة وهي في قبلة المسجد، وكان بلال يرق إليها على سبعة أقتاب — القتب الإكاف على قدر ستام البعير — فلما كانت زيادة الوليد أحدث عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة أربع مآذن في كل زاوية مئذنة، وكانت المئذنة التي عند باب السلام مظلة على دار مروان فلما حج سليمان بن عبد الملك أذن المؤذن فأطل عليه فأمر بتلك المئذنة فهدمت إلى أن أعادها في سنة ٧٠٦ هـ . السلطان محمد بن قلاوون وقيل أعادها شيخ الخدم شبل الدولة كافور المظفرى ، والمئذنة التي بباب الرحمة أنشأها قايتباي ، وكل المآذن حصل فيها تجديد وترميم إلا المئذنة المذكورة ، أنظر المآذن في (الرسم ١٧١) الذي ترى فيه سور المدينة من الجهة الشرقية ، وأنظر الرسمين (١٨٣ و ١٧٨) وقد سبق عد المآذن والكلام على عمارتها وترميمها فلا داعي للتكرار .
تجدير المسجد — أول من جمعه عمر بن الخطاب ثم تبعه الخلفاء إلى يومنا هذا فيؤتى كل عام بمقدار من العود والعنبر وغيرهما من أنواع الطيب ويحمر به .

المسجد ليلة الجمعة ويومها والحجرة كل ليلة ، وكانت الحجرة في زمن عمر من فضة وقد أهدى الى المسجد كثير من المجامر الذهبية والفضية المرصعة بالجواهر الثمينة ، وأكثر المهسدين من ملوك آل عثمان وقد جعلوا لمن يقوم بالتجمير كل شهر خمسمائة قرش رزقا معلوما كل شهر .

آداب زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم — يحسن بنا في هذا المقام أن نورد لك نبذة مما كتبه في مناسك الحج شيخ الاسلام ابن تيمية عن الزيارة الشرعية والزيارة البدعية قال : وإذا دخل المدينة قبل الحج أو بعده فإنه يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي فيه ، والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، ولا تشد الرحال إلا إليه وإلى المسجد الحرام وإلى المسجد الأقصى هكذا ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وهو مروى من طرق أخر ، ومسجده كان أصغر مما هو اليوم وكذلك المسجد الحرام لكن زاد فيهما الخلفاء الراشدون ومن بعدهم وحكم الزيادة حكم المزيد في جميع الأحكام ثم يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فإنه قال : ما من رجل يسلم على إلا رد الله على روجي حتى أرد عليه السلام — رواه أبو داود وغيره — وكان عبد الله بن عمر يقول إذا دخل المسجد : السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت ثم ينصرف ، وهكذا كان الصحابة يسامون عليه ويسامون عليه مستقبلى الحجرة مستدبرى القبلة عند أكثر العلماء كالشافعي وأحمد . وأبو حنيفة قال : يستقبل القبلة فمن أصحابه من قال يستدبر الحجرة ومنهم من قال يجعلها عن يساره ، واتفقوا على أنه لا يستلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها ولا يصلى إليها وإذا قال في سلامه : السلام عليك يا رسول الله يا نبي الله يا خيرة الله من خلقه يا أكرم الخلق على ربه يا إمام المتقين فهذا كله من صفاته بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك إذا صلى عليه مع السلام فهذا مما أمر الله به ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة فإن هذا كله منهي عنه باتفاق الأئمة ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك ، ولا يقف عند القبر

للدعاء لنفسه فإن هذا بدعة لم يكن يفعلها الصحابة إنما كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده فإنه صلى الله عليه وسلم قال : اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد وقال : لا تجعلوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني وقال : أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة عليّ فقالوا : كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي بليت قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فأخبر أنه يسمع الصلاة والسلام من القريب وأنه يبلغ ذلك من البعيد وقال : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد — يحذر ما فعلوا — قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ولكنه كره أن يتخذ مسجداً — أخرجاه في الصحيحين — فدفتته الصحابة من موضعه الذي مات فيه من حجرة عائشة ، وكانت هي وسائر الحجر خارج المسجد من قبله وشرقيه حتى أدخلها عمر بن عبد العزيز في المسجد ومن ضمنها حجرة عائشة التي بناها منحرفة عن القبلة مسنمة لثلاثي يصلي أحد اليها فإنه قال صلى الله عليه وسلم : لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها . رواه مسلم عن أبي مرثد الغنوي .

وزيارة القبور على وجهين زيارة شرعية وزيارة بدعية ، فالشرعية المقصود بها السلام على الميت والدعاء له كما يقصد ذلك بالصلاة على جنازته ، فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه ، فالسنة أن يسلم على الميت ويدعوه سواء كان نبياً أو غير نبى كما كان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسالمين وأنا إن شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم ، وهكذا يقول إذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابة أو غيرهم أو زار شهداء أحد وغيرهم ، وليست الصلاة عند قبورهم أو قبور غيرهم مستحبة عند أحد من أئمة المسلمين بل الصلاة في المساجد التي ليس فيها قبر أحد من الأنبياء والصالحين وغيرهم أفضل من الصلاة في المساجد التي فيها ذلك باتفاق أئمة المسلمين بل الصلاة في المساجد التي على القبور إما محرمة وإما مكروهة .

والزيارة البديعة أن يكون مقصود الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت أو بقصد الدعاء عند قبره أو بقصد الدعاء به فهذا ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا استحبه أحد من سلف الأمة وأئمتها، وقد كره مالك وغيره أن يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اللفظ لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بل الأحاديث المذكورة في هذا الباب مثل قوله : من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة، وقوله : من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي، ومن زارني بعد مماتي حلت عليه شفاعتي ونحو ذلك كلها أحاديث ضعيفة بل موضوعة ليست في شيء من دواوين الاسلام التي يعتمد عليها ولا نقلها إمام من أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا نحوهم ولكن روى بعضها البزار والدارقطني ونحوهما بأسانيد ضعيفة، ومن عادة الدارقطني وأمثاله أن يذكروا هذا في السنن ليعرف وهو وغيره يبينون ضعف الضعيف من ذلك، فإذا كانت هذه الأمور البديعية منها عنها عند قبره وهو أفضل الخلق فالنهي عن ذلك عند قبر غيره أولى وأحرى .

وإلى هنا تم الكلام على المدينة وحرمتها ومسجدها وآثارها وأن أوان الرحيل إلى ديارنا فلنسر على بركة الله تعالى .

السفر من المدينة

الاحتفال بالسفر من المدينة — جرت العادة أن يقيم ركب المحمل زينة قبل سفره بليلة وقد أقمنا هذه الزينة مساء يوم الأحد ٢٣ المحرم سنة ١٣١٩ هـ . وقد هرع الأهالي والضباط والعساكر العثمانية لمشاهدتها ، وقد أحيينا هذه الليلة بتلاوة المولد النبوي ، والقائم بتلاوته جندي من الحرس يحسن إلقاءه ويحيد قراءة القرآن بصوت جميل ويعرف القراءات ، وقد اشتد الزحام حتى اضطرت لاستحضار جميع كراسي الأمير والأميرين وفرشت جميع ما عندنا من السجادات و"الأكمة" وشرفنا جمع من الأكابر من بينهم السيد علي زين العابدين الحبشي العفيف القانع والنق الزاهد وقد هاديته من ملابس كنت أحضرته معي من مصر وبرزاجتين

صغيرتين بهما روح النعناع والبرتقال، وقد منا لكل من حضر الشربات والشاي ووزعنا عليهم قراطيس صغيرة فيها الملابس كعادة أهل المدينة والحجاز وآستمرت الحفلة إلى الساعة السادسة بعد الغروب .

ويحسن بنا فى هذا المقام أن نذكر كلمة عن الزينة التى يقيمها ركب المحمل فى الجهات المختلفة فنقول : الزينة تصرف من نظارة الحربية بعد أن تكتب لها نظارة الداخلية وهذه تكتب أمير الحج بتسامها ، وهاك نص الكتاب الذى ورد للأمير فى حج سنة ١٣٢٥ هـ . رقم ٢٥٠٥

أمير الحج المصرى « سعادتلو افندم » الأمل أن تأمروا حضرة « قومندان » الحرس بأن يتوجه لنظارة الحربية لمقابلة مدير المهمات لاستلام « الفشيك » (الأسهم النارية) اللازمة للعمل وقد أخطرنا نظارتى المالية والحربية بذلك .

١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٧ م و ١٤ ذى القعدة سنة ١٣٢٥ هـ

عن وكيل الداخلية موريس بونينو

ختم

وهاك ما صرف من كل نوع لكل بلدة من البلاد الآتية :

البلد	الزينة	الزينة	الزينة	الزينة	الزينة	الزينة	الزينة
جدة	١	١	١	١	١	١	١
عرفات	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢
منى	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢
مكة	١	١	١	١	١	١	١
بنبع - عمل بها زينة ولم تدرج	—	—	—	—	—	—	—
المدينة	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢
جبل الطور	١	١	١	١	١	١	١
الجملة	٩	٨	١٠	٥	٤	٤	٤

المرحلة الأولى من المدينة إلى بئر سيدنا عثمان - في الساعة العاشرة العربية من يوم الاثنين ٢٤ المحرم سنة ١٣١٩ هـ . تحرك ركبتنا من المدينة بيني الأوبة بعد الجولة وقد وصلنا بئر رومة المعروف ببئر عثمان بعد ساعة ونصف من بدء السير وهي في شمال المدينة الغربي مبينة بالأجر والملاط (المونة) بناء متقنا وقطرها أربعة أمتار وعمقها اثنا عشر مترا وماؤها شديد العذوبة .

وبجوارها حجرة وحوض ليلياه ومصلى وفي جنوبها بمسيرة ١٥ دقيقة مسجد القبلتين الذي قدمنا وصفه وقد وجدت في حجر بأعلاه (جدهه السلطان سليمان سنة ٩٥٠ هـ) وهو مسجد صغير حوله مزارع فيها القثاء والخيار والبطيخ وغيرها وقد بتنا عند هذه البئر والطريق من المدينة إليها سهل به من النبات أزواج شتى وفيه بعض الجبال . وقد حضر إلى بئر عثمان مودعا رئيس خدم الحجرة والمودعين والشيخ محمد الأديب وكيل فراشة الجنب العالى ومدرس بالمسجد النبوي .

المرحلة الثانية من بئر رومة إلى بئر الظعيني - كما عزمنا على السفر عند تمام الساعة الحادية عشرة من ليلة الثلاثاء ٢٥ المحرم ولكنا انتظرنا سلطان المكلة والشجر ليرافق المحمل إلى الوجه وأرسلنا قسما من الفرسان ليساعده في التحميل ويصحبه في الطريق ، وقد بدأنا السير في منتصف الساعة الثالثة نهارا سالكين طريقا سهلا مدة ساعة ثم أرضا حجرية مدة ٤ ساعات ونصف ثم أرضا سهلة مدة ٣ ساعات فوصلنا إلى بئر الظعيني وكانت الجبال في مبدأ السير متقاربة على بعد ٤٠٠ ياردة ثم أخذت نثناء شيئا فشيئا حتى كنا في ميدان فسيح عند محطتنا ببئر الظعيني ، وكان سيرنا نحو الشمال الغربي ٥ ساعات ونصفا ونحو الغرب ساعة ونصفا ثم نحو الشمال الغربي ساعة ونصفا وبالخطبة بئران مالحتان في حاجر الجبل الغربي تحيط بهما الأشجار عمق الواحدة منهما ٦ أمتار، ويسمى كل منهما المندسة - وخشب الحريق بهذه الجهة كثير جدا .

المرحلة الثالثة من بئر الظعيني إلى الملايح - سرنا في منتصف الساعة الحادية عشرة من ليلة الأربعاء ٢٦ المحرم نحو الشمال الغربي خمس ساعات وربعا

ثم إلى الشمال ساعتين ، والطريق كله ميدان فسيح سهل يُتباعده فيه الجبال وتكثر فيه الأشجار والحشائش وخشب الحريق وقد بلغنا آبار الملايح في الساعة السادسة نهرا بعد أن استرحنا بالطريق ربع ساعة ، وهناك آبار خمس ماؤها من المطر فإذا لم يكن مطر فالماء به بعض الملوحة وعمق الواحدة ٣ أمتار وكان الحرّ شديدا في هذا اليوم سموما قتالا ولكن الله سلم .

المرحلة الرابعة من الملايح إلى قصر عبلة أو الشجوة — سرنا في الساعة ٩ والدقيقة ٤٠ من ليلة الخميس ٢٧ المحرم وبلغنا قصر عبلة (الرسم ١٩٢) بعد المغرب بساعة بعد أن استرحنا بالطريق خمس ساعات فمدة السير ١٠ ساعات و ٢٠ دقيقة وكان سيرنا إلى الشمال الغربي ساعتين و ٣٠ دقيقة وإلى الغرب ساعة واحدة و ٥٠ دقيقة فالشمال الغربي ٦ ساعات والطريق واد متسع يسمى « وادي الحمض » به حنظل كثير وخشب للحريق وأكثر الأرض صالح للزراعة ، وفي منتهى الطريق أرض حجرية سهلة ذات مسالك — مدقات — قطعناها في ساعتين وكان الحرّ سموما .

المرحلة الخامسة من قصر عبلة إلى آبار الحلو — قمنا من القصر بعد المغرب بساعة من ليلة الجمعة ٢٨ المحرم وسرنا إلى الساعة الخامسة ليلا واسترحنا إلى تمام الساعة الحادية عشرة وتابنا السير إلى الساعة الرابعة والدقيقة ٤٥ نهرا حيث كنا بآبار الحلو وماؤها مالخ ذو تين زائد لعدم استعماله ولم يشرب منه حاج واستصحبنا بعضه في القرب خشية أن نضطر إلى الشرب منه وسقينا منه الحيوانات فأدّر بولها إدرارا شديدا حتى أن الفرس الذي كنت أعلاه كان يبول كل ١٠ دقائق بالتقريب ، وبهذه المحطة أثل كثير ورمال وقد رحلنا منها بعد الاستراحة لتفقدان الماء الصالح بها وقد ضل عنا جمل عليه خيام لأمير المنكبة أثناء سرّانا فأرسلنا من الأعراب من أحضره فكافأه الأمير على ذلك بجنتين وبتينين ، وكان اتجاهانا إلى الشمال الغربي ٤ ساعات وإلى الشمال الشرقي ٤ ساعات و ٥٥ دقيقة وإلى الشمال الغربي ساعة والطريق رملي سهل تكتشفه الجبال ويكثر به خشب الحريق .

المرحلة السادسة من آبار الحلو إلى آبار الحفائر أو النقارات — بدأنا السير وقت الغروب إلى الشمال الغربي وحططنا الرحال بعد الساعة السادسة برع ساعة ثم تابعنا السير في الساعة الحادية عشرة ليلا ووصلنا "آبار الحفائر" تمام الساعة الرابعة من يوم السبت ٢٩ المحرم فمدة السير ١١ ساعة و١٥ دقيقة ، والطريق سهل لتباعد عنه الجبال من الجانبين وفي آخره مسيرة ساعة نشوز — تبات — كثيرة والأرض حجرية غير مستوية تسع القطارين والثلاثة والآبار في ميدان رحب أرضه سبخة وعدتها اثنا عشر بئرا مبنية أفواهاها بالأحجار ومن تحت محفورة وعمقها ثلاثة أمتار وماؤها به بعض الملوحة والحطب كثير والحرا لاغ والأرض لا تستقر عليها قدم إذا هطلت عليها الأمطار .

وقد تجمع بهذه المحطة الأعراب على أمير الممكلة يزنيون له السفر إلى ينبع و يعدونه الراحة والأمن ولما كنت أعلم من مكرهم ما لا يعلم كلمت نجله بأني لا أرضى بانفصال الأمير عن ركبتنا إلا إذا حرر كتابا بأنه تركنا رغبة واختيارا وأنا غير مسئولين إذا جد له حادث ففكر الأمير وارتأى رأينا ومتابعة السير صحبتنا .

المرحلة السابعة من الحفائر إلى الفقير — في منتصف الساعة الحادية عشرة من ليلة الأحد مستهل صفر سنة ١٣١٩ هـ . قمنا من الحفائر سائرين نحو الجنوب الغربي في أرض سبخة متماسكة وبعد مسيرة ساعة و٥٥ دقيقة لقينا أشجارا كثيفة سرنا في خلالها أربع ساعات إلا ربعا وقبل منتهائها بمسيرة ساعة وربع وجدنا كثيرا من شجر «الدوم» به ثمر ناضج أخذ منه كثير من الجحاج ، وقد وصلنا الفقير في الساعة الخامسة نهارا بعد أن سرنا ٦ ساعات ونصفا ، وبالفقير آبار أربع تشبه آبار الحفائر بناء وعمقا وطعما .

المرحلة الثامنة من الفقير إلى العقلة — تمام الساعة العاشرة من ليلة الاثنين تاني صفر سرنا من الفقير إلى الشمال الغربي سبع ساعات واسترحنا سنا وتابعنا السير إلى الشمال الغربي ثلاث ساعات وربعاً وإلى الجنوب الغربي أربعاً إلا ربعاً فوصلنا العقلة في نهاية الساعة السادسة ليلا فمدة السير ١٤ ساعة والجبال كانت متجافية عن

الطريق في بدء السير وبعد مسيرة ٣ ساعات و ٥٠ دقيقة تدانت فمررنا بمضيق ذى ارتفاع وانخفاض وبعده بربع ساعة مررنا ببناء قديم على اليسار طوله ٥٠ مترا وارتفاعه متران ويقال له قصر عنتره أو إصطبل عنتره وقد سرنا من الفقير ٦ ساعات في أرض رملية سهلة بها أشجار قليلة ثم تكاثر الشجر بعد ذلك وهو متفرق فارح ، وعلى مسيرة ثمان ساعات ونصف من الفقير وجدنا أرضا حجرية غير مستوية من تأثير السيول بها فسرنا فيها بين الجبال الشاخمة والأشجار العتيقة التي طوحت السيول بكثير منها ، وقد أوقدنا منها لإنارة الطريق الذى صعب مسلكه وتكاثر به الحصى ، الكبير والطريق من قبل العقلة بساعة رملى سهل قد استوت أرضه وكثرت فيه حجارة الأرانب الجبلية وكانت أقدام الإبل والحيل والبغال تقوص فيه إلى ٢٠ سنتيا ، وبالعقلة شوك كثير يسمى لزيق وهو مستدير يشبه ترس الساعة له أسنان حادة كأطراف الإبر إذا دخل في الجسم أو الملبس لا يخرج منه إلا بصعوبة ، والماء بها مالح لا يشرب وقد دلنا على ماء مطر يبعد عن الطريق مسيرة نصف ساعة أحد الأعراب نظير مكافأة قدمناها له .

المرحلة التاسعة من العقلة إلى المطر — عند تمام الساعة التاسعة من يوم الثلاثاء ثالث صفر قمنا من العقلة وسرنا إلى الشمال الغربى ست ساعات بننا بعدها في الطريق ثم واصلنا السير عند الساعة العاشرة ليلا فوصلنا محطة المطر أو العجلة تمام الساعة الخامسة من يوم الأربعاء رابع صفر وهناك استرحنا ، وقد سرنا من العقلة ٧ س و ٣٠ ق في أرض سهلة رملية متماسكة بها حشائش جيدة وسرنا بعد ذلك ساعة ونصفا في أرض حجرية صعبة غير منتظمة ملأتها السيول بالأحجار وبعدها بنصف ساعة وجدنا على ميمتنا خورا كثير الأشجار قطعناه في ١٧ دقيقة وهو ينتهى إلى جبل ينحدر منه من ارتفاع ١٢ مترا سلسل (سلسول) ماء قدر ما تخرجه الساقية صاف لونه عذب طعمه يشرب منه الأعراب القاطنون هنالك وكذلك دوابهم ولا يسقى منه زرع بل تستغه الأرض بلا جدوى مع أن نزوله مستمر ليلا ونهارا ، وهذا السلسل يأتى من الأمطار التي تهطل على رءوس الجبال وهو يبعد عن محجة الطريق مسيرة ١٧ دقيقة بسير الحيل المعتاد وقد شاهدت سمكة صغيرة

في الماء المتكوّن منه في سفح الجبل ولو بحث الانسان في أرض الخور قليلا لنبع ماء عذب أصله من ماء السلسل الذي سلك في الأرض يتابعه ، وعربان هذه الجهة يسكنون قن الجبال ولحم ولأغنامهم سرعة عجيبة في النزول منها والصعود عليها مع علوها ووعورة مرتقاها ولكنها العادة تيسر العسير وتذل الصعب ، والأغنام عندهم ربيعة الثمن وقد ساومت واحدا منهم في كبش حتى أبلغت ثمنه ٣ ريالات مصرية فلم يقبل مع أنه يساع في الجهات الأخرى بريال أو يزيد نصفاً ، ويظهر أنهم يجالون قيمة النقود فالشراء منهم شاق . وقد وجدنا مع امرأة قريبة لبن حامض فأبت إلا أن تبيعها بثمن فأحش فباعتنا الكوز الذي يسع نصف رطل بنصف قرش ومن العجب أنها كانت تأخذ الثمن ونفسها راغبة عن إعطاء اللبن ، والطريق بعد الخور رملي سهل تثناءى عنه الجبال وتكثر فيه الأشجار وكان الخو حاراً ، وللبن الحامض تأثير في دفع الظمأ .

وقد سرق الأعراب خمسة جمال من مرافق الركب الذين يسبقونه عادة في السير فيتركون إبلهم ترعى الحشائش وكانوا على مسيرة ٣٠ دقيقة من ركب الحمل وهذه الجهة وإن لم تكن تابعة لسلیمان باشا بن رفادة فإن له عليها سيطرة فلما نبأناه بالسرقة بعث من قبله من أحضر خمسة الجمال قبل مغادرتنا لمدينة الوجه .

المرحلة العاشرة من المطر إلى الخوتلة — قبل غروب شمس الأربعاء رابع صفر بساعة رحلنا من المطر أو العجلة أو المترأو الناضوح كما يقولون سالكين نحو الشمال الغربي فوصلنا الخوتلة عند تمام الساعة السادسة ليلاً وقد سرنا قبل الخوتلة في أرض حجرية ساعتين ونصفاً منها ساعة ونصفها في عمبة ذات تعاريج وارتفاع وانخفاض بها مضيق لا يتر منه إلا الجمل تلو الجمل وقد وقفت عنده حتى مر جميع الركب بسلام . وبالخوتلة ثلاث آبار مائها حلو وعمق الواحدة منها ثلاث قامات ليست مبنية وبها سوق كبيره أصناف المطعومات أقامه سلیمان باشا بن رفادة كبير مشايخ قبيلة "بلي" لركب المحمل المصري وقد قابلنا سعادته بهذه المحطة ورفقته نحو خمسين من الأعراب يركبون الهجن ومسلحين ببنادق من نوع «مرتيني هنري» وقد زار الأمير

والأمين ورئيس الحرس وضباطه في خيامهم وزاروه وذبح لركب المحمل وموظفيه غنما كثيرة قدم لهم طعامها ودعاه الأمير ورئيس الحرس للغداء فلبى وأعد له الأول سرادقا بيت فيه ويجلس وأرسل له الموسيقى والمزمار البلدى يشفقان سمعه ، وبالخوتلة خشب الحريق كثير وقد أخذنا منه ما يكفيننا مدة الإقامة بمدينة الوجه والسير إليها . لأن الخشب بها نادر يجعل كحزم الفجل وتباع الواحدة بقرش صحيح وقد أقننا بالخوتلة يوم الخميس والجمعة خامس وسادس صفر سنة ١٣١٩ هـ .

المرحلة الحادية عشرة الختامية من الخوتلة إلى الوجه - في منتصف الساعة العاشرة من ليلة السبت سابع صفر غادرنا الخوتلة وجدنا بنا السير حتى الساعة الخامسة نهارا حيث استرحنا أربع ساعات ونصف ثم تابعنا السير بقية اليوم وليس التالى كله ووصلنا إلى مدينة الوجه بعد الساعة الأولى بنحو خمس دقائق من صباح الأحد ثامن صفر فمدة السير ٢٣ ساعة منها ساعة ونصف سرناها إلى الشمال الغربى وساعتان وثلاث إلى الغرب ورابع ساعة نحو الجنوب الغربى وثمانى عشرة ساعة ونصف نحو الشمال الغربى ونصف ساعة نحو الجنوب الغربى وقد سرنا أربع ساعات وه دقائق فى أرض رملية سهلة تكتنفها الجبال المتقاربة وبها شجر "الدوم" ثم سرنا فى سهل اتسعت أرجاؤه وقلت أشجاره واستوت أرضه الرملية المتماسكة ، وبعد مسيرنا ١١ ساعة وه دقائق من الخوتلة مررنا بنشوز كثيرة تمثل جسرا يقطع الطريق من الغرب إلى الشرق وبعد ساعتين دخلنا مضيقا قطعناه فى ٣٥ دقيقة به أشجار على جانبيه ثم أخذ الطريق ينفسح شيئا فشيئا مع كثرة التعاريح به وقلة الأشجار ، وقد رأينا على يمينتنا قبل أن نصل إلى الوجه بنصف ساعة كثيرا من شجر النخيل وعلى ثلث ساعة من الوجه نزل معسكرنا فى مكان به سوق يباع فيه ما يلزم الانسان والحيوان وما أحسن ما قاله العياشى فى رحلته عند رؤية مدينة الوجه :

وشربنا من مياه عذبة * شرهها يجلو عن القلب الحزن
نحمد الله الذى أسعفنا * ورأينا ذلك الوجه الحسن

وقد قَدِمَ الينا محافظ الوجه وقاضيه الشرعى وكبير تجاره وأكبره وضباط
حاميته التى تتألف من نحو ٥٠ جنديا وهنثوا الأمير بوصوله سالما وانصرفوا بعد
شرب القهوة ، وقد قابل المحافظ سلطان المكلة وعين له بضعة جنود تقوم بحراسته
مدة إقامة بالوجه ولا أعلم أن الأمير أهدى شيئا للمحافظ أو غيره .

الوجه — الوجه قرية صغيرة على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر إلى الشمال .
بها ما يقرب من ١٥٠ بيتا منها ذو الطبقة وذو الطبقتين بنيت بالحجر الخام والملاط
ويسكنها حوالى ٥٠٠ نسمة أصلهم من الصعيد والقصير ، وبها قلعة ذات مدفعين
وثلاثة مساجد وزاويتان وحوانيت على الشاطئ ومثانية صهاريج يحفظ بها ماء
المطر ويباع للأهالى ولركب المحمل عند قدومه وتساوى القرية ثلاثة أرباع القرش
والسمك فى هذه الجهة كثير جدا ورخيص حتى تباع السمكة التى طولها متر
بقرشين صحيحين مع أنها من النوع الجيد والحبوب بها عالية الثمن وعيشها شمسى
كالذى يصنعه أهل الصعيد ويحجر أهلها فى المسلى والأرز والشعير والبقول والحبوب
الأخرى وترد إليها هذه الأشياء من القصير والسويس على مراكز شرعية .

وللبدة محافظ ملكى وأمين جمرى وأمين حساب وقاض شرعى وكاتب وقدم
عسكرى من المشاة والمدفعية وملايئمتهم ثمانية من الجوخ الأسود الجسد الذى لم تر
مثله لجنده مكة والمدينة وجدة ، ولا تمر بالبلدة بواخر البريد أو غيرها إلا مرة
فى السنة أو مرتين وليس بها طبيب ويقولون إن مركزه بالعقبة ومركز الصيدلى
بالوجه ، شتان بين مشرق ومغرب . وقد رأيت طفلا صغيرا لأمين الجمرى بعينه
رمد فأعطيته زجاجة قطرة ، وبالبلدة مكتب صغير لم أجد به شيئا من كتب
التعليم فأرسلت له مصحفا مجزأ وكثيرا من جزءى عم وتبارك بعلم فيها أولاد
الفقراء .

وصول باخرة النجيلة — عند وصولنا إلى الوجه وصلت باخرة النجيلة لتقلنا إلى السويس ولذلك لم نلبث بالوجه إلا يوما وبعض يوم فبعد ظهر الثاني أخذنا نزل الأمتعة إلى المركب وأتمنا إزالتها في صباح اليوم الثالث ونزل الركب والحيوان والمحمل في احتفال ؛ ولما كانت الباخرة معدة لركبنا فقط لم تكن بها أماكن خالية لسلطان المكّة وحاشيته والضرورة قاضية بسفره معنا لندرة البواخر بهذا الثغر أو عدمها فأعدنا له مكانا بظهر الباخرة نصبنا فيه الخيام ليستتر بها الأمير وحشمه .

وقد حضر معنا من المدينة ٤٩ شخصا من قراء الحجاج الذين أكثرهم من المغاربة الذين تدربوا على تحمل المشاق مهما صعبت ، اختاروا مرافقة المحمل بعد التنبيه عليهم بأن المحمل لا يستطيع حملهم ولا يكلف بماء أو زاد لهم والباخرة ترفض إقلاهم . ولما حضروا إلى الوجه كلمت ربان الباخرة في ترحيلهم فأبى فلما علم المحافظ كرر عليه الرجاء في قبولهم لأن البلد فقير لا يستطيع مساعدتهم بشيء فإن تخلفوا عن الباخرة تعرّضوا للهلاك فقبلهم الربان فضلا منه ومنة وسافروا معنا إلى الطور فالسويس .

من الوجه إلى الطور — أقبلت بنا باخرة النجيلة من ثغر الوجه في الساعة السابعة العربية من يوم الثلاثاء عاشر صفر سنة ١٣١٩ هـ . ووصلت مرسى الطور في منتصف الساعة السادسة من يوم الأربعاء عاشر، فمدة السير اثنتان وعشرون ساعة ونصف كان البحر في خلالها هادئا غير أن الهواء اشتد بعض الاشتداد في منتصف الليل . وعند رسو الباخرة أقبل طيب المحجر الصبحى وكشف على الحجاج وأمر بتزولهم إلى المحجر ونزول أمتعتهم لتبخيرها ولم يخبر من أمتعة الموظفين إلا ما كان منها للخدم ، وقد توجهنا إلى المحجر بقطار السكة الحديدية ومكثنا به ثلاثة أيام واحتفل بنا في الليلة الأخيرة ناظر المحجر فأقام زينة حضر إليها موظفو المحمل جميعا ونجمل سلطان المكّة نيابة عن والده والقسس والرهبان وتلامذتهم وجميع

الموظفين من وطنيين وأجانب، وقد أظرب الحضور موسيقى المحمل ومزماره وبعد تناول المرطبات ألقى خطبة تلميذ من تلامذة الرهبان الفرنسيين وتلاه الشيخ السنباطي بدعوة من الأمير فألقى كلمة ثم صرخت الموسيقى بالنشيد الخديوي وهتف الحاضرون وانتهت الحفلة في الساعة الخامسة ليلاً .

من الطور إلى السويس — بعد أن مكثنا بالمحجر الصحي ثلاثة أيام من ظهر يوم ١١ إلى ظهر يوم ١٤ أذن لنا بالسفر فأبحرت بنا الباخرة في منتصف الساعة العاشرة من يوم السبت ١٤ صفر ووصلنا السويس في منتصف الساعة الأولى من صباح الأحد ١٥ صفر فمدة السير ١٥ ساعة، وقد حضر طبيب المحجر الصحي بعد قدومنا بساعة وكشف على الركاب فلم يجد شيئاً فصرح للباخرة بالدخول إلى الرصيف وقبل نزولنا من الباخرة حضر المحافظ وهنا الأمير بالقدم سألنا واتفق معه على أن يكون الاحتفال بالمحمل في الساعة الحادية عشرة العربية من اليوم نفسه وكان الاحتفال شبيه الاحتفال الذي وصفناه عند إبحارنا من السويس وعند نزولنا من الباخرة إلى البر كشف علينا طبيب انجليزي فوجدنا مطهرين من الأمراض وقد دعانى مع الأمير والأميرين محافظ السويس مصطفى بك ماهر لتناول العشاء على مائدته فلبينا الدعوة وحضرنا إلى منزله الجميل فبالغ في الحفاوة بنا فشكرنا له صنيعه وكان المحافظ في الذهاب مصطفى بك عبادى خلفه مصطفى بك ماهر .

أمير المملكة والشحر — لما كنا بالمحجر الصحي بالطور كتب رئيسه إلى مجلس الصحة البحرى يستأذنه في سفر الأمير إلى السويس بفترة معدن فكانت الإجابة أن يقيم مع حاشيته في عيون موسى حتى تأتى له باخرة تنقله فأبرق إلى اللورد كرومر ليساعده في مرافقة المحمل إلى السويس فخبر اللورد مجلس الصحة فأذن له ولنجله فقط بالإقامة في السويس أما باقى الحشم فيبقى بعيون موسى ولكن ساعده الأطباء حتى تمكن هو وجميع صحبه من الإقامة في السويس بالباخرة حتى أقلته إلى مصوع باخرة تليانية استأجرها بستائة جنيه ومن مصوع نقله باخرة أخرى إلى عدن التي تبعد

عن المكاملة مسيرة أربع وعشرين ساعة في البحر بسير الباخرة وكل موظفى المحجر من كبير وصغير خدم الأمير طمعا في مكافأته وهداياه ولكن لم ينالوا شيئا ويظهر أن الأمير قل ماله ونفدت هداياه لأنه طلب من مصلحة المحجر الصحى أن يكتب لها صكا - شيكا - بعشرة آلاف روبية وتسامه بدلها نقدا فاستأذنت من المالية فأذنت على شرط أن تكون الروبية بمخسة قروش ونصف فأبى الأمير شرطها لأنه يخسر فى ذلك مائة جنيه إذ الروبية تساوى ستة ونصف لانخسة ونصف لأن الجنيه الانجليزى ١٥ روبية ، ولما نزل بالسويس أبرق إلى عدن أن حوّلوا لى بالسويس مبلغ عشرة آلاف روبية وكذلك أبرق الى التجار الحضرميين بمصر فحضروا اليه وله عايمهم نفوذ وله بهم علاقات تجارية .

من السويس إلى القاهرة - أقلنا القطار فى منتصف الساعة الأولى من صباح الاثين ١٦ صفر سنة ١٣١٩ هـ . وبلغنا محطة القاهرة فى الساعة الثامنة إلا ربعا من نهار اليوم نفسه وبعد أن نزل الحجاج من القطار سير بالمحمل إلى العباسية فوصلها فى الساعة ٨ والدقيقة ٢٥ وهناك أنزلت الأمتعة وحملتها العربات إلى المعسكر ، وفى الساعة الحادية عشرة العربية أركب المحمل وسار يحف به ا لبرس والموسيقيون من خمس السرايات إلى شارع العباسية فالمعسكر وكان تراحم الناس على النظر إليه شديدا ، وفى يوم الخميس ١٩ صفر أقيم له الاحتفال المعتاد بميدان محمد على بالقلعة وفى ختامه سار المحمل بحرسه ومعه قسم من الجيش إلى شارع الصليبية فالسيدة زينب فالناصرية فالمالية وهناك وضع المحمل فى مكانه المعتاد ورجع الحرس إلى العباسية وبقي بها حتى سلم مهماته وأنفض المعسكر وصرح لجميع القوّة بالأجازة الحرة حتى الذين لا يستحقونها ليكون الفرح عاما والسرور شاملا ففته الشكر على ما وفق والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

وهاك جدولا بخط السير من بدء السفر الى منتهاه :

جدول خط السبيل من مصر الى الجواز ثم الى مصر سنة ١٣١٨ و ١٣١٩ هـ

من	الى	التاريخ	مدة السير	المياه	معلومات عامة
القاهرة	السويس	١٥ ذي القعدة ١٣١٨ هـ	١٥ ساعة		السير بالسكة الحديدية المصرية . في البانزة في البحر الأحمر .
السويس	جبة	٦ مارس سنة ١٩٠١ م	٦٧	بالطريق آبار صغيرة . يختلف علم مياهها .	» على الإبل في طريق سهل بين جبال من الجابيين وبه جلة أماكن للإسترخاء وتناول الشاي والقهوة وسبع فلاح يتاحد يحافظ على الإبل وحيت الحريق به قليل ويحتاج الماء الى دليل .
جبة	مكة	٢٣ من ذي القعدة ١٩٠٢ هـ	٢٣	المياه عذبة من بحرى بين زبيدة .	الطريق سهل والجبال على شاطئيه لا يحتاج فيه الى دليل لكثرة السائرين فيه وبه كثير من الباعة والقهاوى ولابيات به والناجر أادر والسير من الآن فصاعدا على عربون الإبل .
مكة	مكة	٨ ذي الحجة	٢	المياه بالوادي شديدة الندوة بحرى في بحرى	الطريق كثير الاضواء بحرى نادرة وصل أخرى بين جبال تتباعد من ٦٠ الى ٤٠٠ متر والحطبة بينان فسبح به مرعى وينبأ طريق يوصل الى السالف .
مكة	مكة	٨	٢	المياه عذبة من بئر البرود	الطريق بين جبال يتسنى تجوز كثير الأشجار وبعض أرضه زراعى ويكثر اضواء الطريق قرب الوادي ويحيا نسيه الثوب والنخل والدمى ولكن الطريق بين جبال يتسنى تجوز كثير الأشجار وبعض أرضه زراعى ويكثر اضواء الطريق قرب الوادي ويحيا نسيه الثوب والنخل والدمى ولكن
مكة	مكة	١٠	٢	المياه عذبة من بئر البرود	الطريق بين جبال يتسنى تجوز كثير الأشجار وبعض أرضه زراعى ويكثر اضواء الطريق قرب الوادي ويحيا نسيه الثوب والنخل والدمى ولكن
مكة	مكة	١٠	٢	المياه عذبة من بئر البرود	الطريق بين جبال يتسنى تجوز كثير الأشجار وبعض أرضه زراعى ويكثر اضواء الطريق قرب الوادي ويحيا نسيه الثوب والنخل والدمى ولكن
مكة	مكة	١٢	٢	المياه عذبة من بئر البرود	الطريق بين جبال يتسنى تجوز كثير الأشجار وبعض أرضه زراعى ويكثر اضواء الطريق قرب الوادي ويحيا نسيه الثوب والنخل والدمى ولكن
مكة	مكة	٢٨	٦	المياه عذبة من بئر البرود	الطريق بين جبال يتسنى تجوز كثير الأشجار وبعض أرضه زراعى ويكثر اضواء الطريق قرب الوادي ويحيا نسيه الثوب والنخل والدمى ولكن
مكة	مكة	٢٩	٧	المياه عذبة من بئر البرود	الطريق بين جبال يتسنى تجوز كثير الأشجار وبعض أرضه زراعى ويكثر اضواء الطريق قرب الوادي ويحيا نسيه الثوب والنخل والدمى ولكن

الإحلال واحدا من وجبته بنته وسرطاه مقلقة وواحدة من كثير من
سنة ٥٠٠ ميلاديا
١٩٠١ م
١٩٠١ م

الطريق بين جبال يتسدى بجود كبير الأبخجار بعض أرضه زراعى وكثير البحار الطريق قرب الوادى ويجوشه البيرت والنخل والموى ولكن الزراعة قليلة والبيوت قليلة جدا إلا جملا واحدا يزره ويخشبه ينوز ومرعاه معتقود ولصومه كثير ون .	المياه بالوادى سيديدة الندوة تجري في بحرى كثيرة من رطب بمكة	٧	—	٢٩	وادي الليون	بر البرود
في أول الطريق جور أرضه غير مستوية بده أرض حجر به محبة صبة اللولك والجبال متباعدة وبالبركة مياه مطر كثيرة وغاية كثيفة ولصومس ونخشب حرق .	المياه بالوادى سيديدة الندوة تجري في بحرى كثيرة من رطب بمكة	١٠	١٥	٢	البركة	الضرية
بالطريق ثلاث عقيبات قطعت الواحدة في ربع ساعة وهو بين جبال عتية أرضه صالحة للزراعة ولا مرعى به .	بالبركة حوض مربع ٥٠ مترا في ٥٠ وبها جود كبير والماء في أيام المطر فقط .	١١	٢٠	٤	حاذأ	البركة
الطريق أرضه خصبة يقل به نخشب الطريق به ملاحه مسيرة خمس ساعات بصعب سلكها اذا نزل المطر ولا ماء الطريق إلا ما يخلف من الأمطار .	الماء من المطر . لا ماء بالمضاب .	١٠	—	٥	المضاب	حاذأ
بالطريق ملاحه سهلة مسيرة أربع ساعات ثم عتية ساعة اولها وأكثرها صعب المسالك والمرعى قليل وصفية بده الشرف وهو صغيرة بها الغنم والابن والسمن والمطاشش والمثب وفيها لصومس سرقوا حشاا مريضا واسترد نهم وأصيب أحدكم برصاصة في عنقه .	بصفية ٣٦ بزأ في مائها بعض اللوحة عنى كل منا ١٣ قامة .	١٣	—	٧٦	صفية	المضاب
الطريق سهل جدا كبير الأبخجار ليس به مرعى .	بالطريق مياه المطر كثيرة بالخسرة ٦ آار عذبة المياه وماء المطر كبير يجميع في بركة .	١٠	—	٨	السورجية	صفية
أكثر الطريق خيران متشابهة ذات أخجار كثيرة عالية في الجانبين به عتية مسيرة ساعتين ونصف أولها سهل ووسطها منحدرة وآخرها مضيق بين جبال متاخمة ولا مرعى بالطريق وما يخرج به تمام المطاشش .		١٢	—	٩	الخيرية	السورجية

(تابع) جدول خط السير من مصر الى الجيز ثم الى مصر سنة ١٣١٨ و ١٣١٩ هـ

معلومات عامة

الطريق سهل عظيم الاتساع تآمت عن الجبال صالح للزراعة حال من المرعى وفي اقله ناهية كثيرة مسورة ساعتين ونصف .

الطريق سهل شسع صالح للزراعة وفي آخره عقبة جيرية ذات ارتفاع وانخفاض وانثناء. تتآرت فيها الجبال قطعت في ساعة ونصف والماء بالطريق كثير ولا مرعى وسياج بالدير القم والسمن واللين «الطنش» وحشيش البام.

ارض الطريق جيرية صعبة ذات مدقات متباعدة مرتفعة ومنخفضة لا يسع الملق الا جملة يسيرة به والمدقات مسورة ٧ ساعات ونشب الطريق قاسل والمرعى مدموم .

الطريق سهل ليس به حشيش للحيوان وبه شوز جيرية .

الطريق سهل بين جبال به مرعى للجمال كثير من نشب الطريق وبيضان الطعني فسح جدا .

يكثر بالطريق نشب الطريق والحواء سموم لا يطاق .

الطريق واد منيع به ارض جيرية ذات مدقات سهلة مسورة ساعتين وبه حشاش للحيوان والربح سموم .

الطريق بين جبال ولى سهل لا مرعى به ويكثر فيه نشب الطريق وبالآبار قليل كثير مسورة ربع ساعة .

المياه

مدة السير

التاريخ

الى

من

—

١٢ ساعة

١٠ الحرم سنة ١٣١٩
١٦ مايو سنة ١٩٠١

غزابة

الجيرية

بالسد بركة عرضها ١٠٠ أمتار في طول ١٠٠٠

٩

١١ الحرم سنة ١٣١٩

الدير

غزابة

مازدا عذب وفي سفح الجبل مياه من المطر .

١٢

»

المدينة

الدير

بزرعتان عذب الماء .

١

»

بزرعتان

المدينة

بالطنش بزان ما لعنان .

٨

»

الطنش

بزرعتان

بالسلاطع خمس حفائر عذبة الماء، زمن المطر .

٧

»

الاطاليع

الطنش

لا ماء .

١٠

»

قصر عجلة

الاطاليع

آبار المطر خمس وماؤها منقذة من ملوحة واكثرها صالحة للشرب .

٩

٤٥

»

آبار المطر

قصر عجلة

الطريق بين جبال ولى سهل لا مرعى به ويكثر فيه نشب الطريق وبالآبار قليل كثير مسورة ربع ساعة .

٩

٤٥

»

آبار المطر

قصر عجلة

١٨ مايو سنة ١٩٠١

١٨ مايو سنة ١٩٠١

كشف بالمقذوفات « الخرطوشات »

التي أطلقت من مدفع كروب قطر ٦ في حجة سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م

العدد	التاريخ	المكان	السبب
٢١	١٦ القعدة - ٧ مارس	السويس	الاحتفال بسير موكب المحمل .
٢١	١٧ » - ٨ »	»	قيام بانارة المحمل من ميناء السويس .
٧	١٩ » - ١٠ »	جدة	الوصول الى جدة .
٢١	١٩ » - ١٠ »	»	» » » لعدم الاجابة في الأتزل .
٢١	٢٠ » - ١١ »	»	الاحتفال بسير موكب المحمل .
٧	٢٣ » - ١٤ »	»	سفر ركب المحمل من جدة .
٢١	٢٥ » - ١٦ »	مكة	وصول ركب المحمل الى مكة .
٢٢	ليالى الاقامة بمكة	»	منع المدخول بالمعسكر .
٦٣	٢٨ القعدة - ١٩ مارس	»	الاحتفال بزيارة الشريف والوالى .
٤٩	٨ الحجة - ٢٨ »	الطريق من مكة لعرفة	الذهاب الى عرفات والوصول اليها .
٧٥	٩ » - ٢٩ »	عرفة ومزدلفة	الافاضة من عرفة والوصول الى مزدلفة .
١٠٥	١٠ » - ٣٠ »	منى	الاعلان بدخول الأوقات الخمسة .
١٠٥	١١ » - ٣١ »	»	» » »
٢١	١١ » - ٣١ »	»	تسريف والى .
١١	١١ » - ٣١ »	»	زيارة أمير الحبيب الشامى .
١٠٥	١٢ » - ١ أبريل	»	الاعلان بدخول الأوقات الخمسة .
٦٣	١٣ » - ٢ »	»	بدخول الفجر والظهر والعصر .
٤٣	٣٠ » - ١٩ » ١٣ المحرم - ٢ مايو	بين مكة والمدينة	الإعلام بالراحة أو القيام .
٢١	١٣ » - ٢ »	المدينة	الوصول الى المدينة .
٤٢	١٤ » - ٣ »	»	زيارة محافظ المدينة .
٢١	١٥ » - ٤ »	»	إدخال المحمل في المسجد النبوى .
٢١	٢٧ » - ١٦ »	»	إخراج المحمل من المسجد النبوى .
٦٧	٦ صفر - ٢٥ »	بين المدينة والوجه	الاعلام بالحلل والترحال .
٢١	٦ » - ٢٥ »	الوجه	الوصول الى الوجه .
٢١	٩ » - ٢٨ »	»	القيام من الوجه .
٢١	١٠ » - ٢٩ »	الطور	الوصول الى الطور .
٢١	١٣ » - ١ يونيو	»	القيام من الطور .
٢١	١٤ » - ٢ »	السويس	الوصول الى السويس .
٢١	١٤ » - ٢ »	»	الاحتفال بالمحمل في السويس .
٢١	١٥ » - ٣ »	القاهرة	وصول المحمل الى الحصوة بالنابسة .

جريدة الطلقات أو المقذوفات وأما «الكيسون» الذى استعمل فى ١٣٢٠ لأن بعضه كان غير جيد ١١٠٠

ختم الرحلة الأولى

الى هنا بتوفيق الله ومعونته أتممتنا رحلة سنة ١٣١٨ هـ . وكان تمام نقلها من المذكرات الصغيرة الى الأصل الذى ننقل عنه الآن فى يوم الأحد ١١ رمضان سنة ١٣١٩ هـ . ثم كتبناها للترجمة الأخيرة تهيئة لطبعها وأضفنا اليها ما وقفنا عليه من المعلومات القيمة عن المسجد الحرام والمسجد النبوى وبلدتى مكة والمدينة وما بالأولى من مشاعر ومناسك ، فوصفنا كل ذلك وصفا دقيقا محيطا وذكرنا عن كل نبذة تاريخية حسب ما وصل اليه علمنا وحققنا كل مسألة حامت حولها الريب والشكوك وفرغنا من تدوين ذلك على الشكل الذى تراه فى صباح الأحد ١٩ ذى القعدة سنة ١٣٤٢ هـ و ٢٢ يونيه سنة ١٩٢٤ م . بعد أن مكثنا فى تسطيرها وتأليفها ستة أشهر إلا أياما وبقى علينا أن ندون فى المجلد الثانى رحلات سنى ١٣٢٠ و ١٣٢١ و ١٣٢٥ هـ . وسترى فيها ما لم ترفى الرحلة الأولى لاختلاف الطرق التى سلكناها فى كل حجة وستبعتها بخاتمة فيها مباحث قيمة لن تظفر بها فى أى كتاب . وإنا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمدنا بروح من عنده تسهل لنا اتمامها وطبعها وإخراجها للتقارئ فى أكمل حلة وأحسن جلباب والله يهدى الى سواء السبيل ما
السواء

إبراهيم رفعت باشا

ابن سويفى بن عبد الجواد بن مصطفى.

تمت الرحلة الأولى وبتمامها تم المجلد الأول وذلك بمطبعة دار الكتب المصرية
فى عهد حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر
فى شعبان سنة ١٣٤٣ هـ — مارس سنة ١٩٢٥ م

Handwritten text block, likely the beginning of a letter or document, located in the upper middle section.

Main body of handwritten text, consisting of several lines of cursive script, occupying the central portion of the page.

Handwritten text block, possibly a signature or a closing phrase, located in the lower middle section.

Final handwritten text block at the bottom of the page, possibly a date or a reference.

الفهرس الهجائى للجزء الأول

صحيفة	(١)	صحيفة
الأزلام والاستقسام بها ٣١٤		آبار الحلو ٤٨٥
الاسكندرية وفتحها ١٦٤		آسيا . فتح أواسطها ١٦٩
الاسلام . أقطاره وانتشاره بالسياسة ١٦٦ و١٧٤		أبواب المسجد الحرام . وصفها ومواقعها ٢٢٩
اسماعيل عليه السلام وقبره ٣٠٧		أحد وشبلة أژه وغزوة ومشة حجرة به ١٥٧ و١٨٥ و٣٨٥
أسواق العرب الهامة فى الجاهلية ... ٣١٢		الاحرام . إتيان محظوراته ١١٩
الأشراف . عبد الله بك ومحسن بك ولدا الشريف محمد باشا ٧٨		الاحرام والتطيب له ٧٦
الأشراف . مرتباتهم ٣٧		إحرام المرأة ١٠٢
الأشهر الحرم . تعظيمها فى الجاهلية ٣١٣		الاحرام وأنواعه ومحظوراته ... ١٠١ و١٠٣
الأفاضة فى الجاهلية ومن كان يليها ... ٣١٥		إحرام النساء ٧٨
الإفراد ١٠٥		الاحرام واستفلال الحرم بالمحمل ... ٩٠
أفريقية . انتشار الاسلام فيها ... ١٧٤		الاحرام . حيض المحرمة ٧٩
أكرام المكين للعباد فى الجاهلية ... ٣١٦		الاحرام . الغسل له ونيته ١٠٦ و١٠٥ و٧٦
أمراء مكة منذ فتحها لآن ٣٥٥		الاحرام . ما يصنع بالمحرم اذا مات ... ٨٧
إمرة الحج . شرعيها والعناية باختيار من يتولاها وتولى الأمراء والملوك لها وواجباتها واختصاص أمير الحج القضاى والوظائف التابعة للامرة		الاحرام . هل يجب على من مر بالمواقيت لا يريد حجاً ولا عمرة ١٠٠
فيما سلف ٢٩٥ - ٣٠٠		أغوات المسجد النبوى . القسرى الموقوفة عليهم ٤٥٩
أمير مكة والشحر ٤٩٢		الاحساء ١٤٧
الأندلس وفتحها ١٦٥		الاحسان وأثره فى النفوس الشريرة ... ٣٧٨
إهلال المكين ١٠٦		الإحصار ١١٥
أردية المدينة ٤٣٤		الأزرق . داره بمكة ١٩٢

صحيفة

- البواخر وتيجاتها ١٦
بدر وغزوتها ١٥٦

(ت)

- تبوك . غزوتها ١٦٠
الترك . نمو دولتهم ١٧٢
التفت . إزلاته ١٠٢
تكية السيدة فاطمة ١٨٦
التلية . أثرها في النفس . نظمها
لأبي نواس ٤٦
التلية . متى تقطع وأحكامها ١٠٥ و ٩٠
التلية في الجاهلية ٣١٥
التبوع . شروطه وكفارته عند مالك ١٢١ و ١٠٣
التبعم . حوض به وصهرج ومصلى ٣٤١
تكيئا مكة والمدينة وما يتفق فيها
ومرتبات أهلها ١٨٥

(ث)

- الثنايا . عينها وقبتها بأحد ٣٩٣
ثنية كداء ٣٠

(ج)

- جبل الرحمة . بدعة الوقوف عليه ٤٦
جبل سلع ٣٨٩
جدة . رسوم مرقبها ووصفها ومياها
وسكانها وتجارها وإقامتنا بها
في سنة ١٣١٨ هـ . ومن زراعتها ١٦ - ٢٣
جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب
الأربعة ١٢٩
جزائر البحر الأبيض . فتح الاسلام لها ١٦٦

صحيفة

- أهل مكة والمدينة ومراتبهم ٢٠١
أوروبا . دخول الاسلام في جنوبها الشرقي ١٧١

(ب)

- باب بنى شيبة ٣٢
باب الكعبة وتاريخه وسنائه ٢٧٦
بابليون . أخذ هذا الحصن ١٦٤
بادية بلاد العرب ١٤٧
بئر أريس ٣٩٨ و ٤٢٨
بئر الأعراف ٤٢٨
بئر أنا ٤٢٨
بئر أنس ٤٢٨
بئر البرود وما هنالك من الأبنية الأثرية ٣٧٠
بئر رومة ٤٨٤ و ٤٢٩
بئر الطعنين ٤٨٤
بئر غرس ٤٣٠
بحرة ومسجدها ٢٧
بداية المجتهد كتاب في الفقه ٩٧
البركة ٣٧٣
بريكة الشويب ٣٧٧
بستان داود باشا ٤٣١
البيقع . مقبرته وقبابه وزيارة الرسول
صلى الله عليه وسلم له ٤٢٥ و ٣٣٣
بلاد العرب . جغرافيتها . الحدود
والشواطئ وأهمية موقعها وجوها
ونباتها وحيوانها وداخليتها ووصفها
وأقسامها وفتحها ١٥٦ - ١٤٣
بلاد المغرب . فتحها ١٦٥
بلاد الملايو وانتشار الاسلام فيها ... ١٧٦

صفحة	صفحة
الحج . شروط وجوبه وصحته ... ٩٧	الجمار . رميا وحصى الرمي وحكته ٩٣ و ٨٩ و ٤٨
حج المرأة ... ٩٩	ووقته والدعاء بعده والمسافات ١٣٦ و ١١٣ و ٢٢٨
الحج عن الأب الكبير والأم الكبيرة ٨٩	بين الجمار وفكاهات الحجاج عندها
الحج عن الميت ... ٩٨	الجماع من الحرم وهدية ... ١٢٢ و ١٠٢
الحج . فسحة الى العمرة ... ١٠٤ و ٨٤	الجاويون وشكوى حجاجهم من العربان وظلمهم فى المعاملة والضرائب ... ٦٦
الحج . فقه المذاهب فيه ... ٩٧	الجمال وأجرها فى طرق الحجاز وكيفية توزيعها والضرائب عليها ... ٦٧ و ٦٥
الحج فى الجاهلية . إجماعه ومحرماته فيها ٣٠٨	جداول بخطوط السير من مصر الى الحجاز ثم الى مصر فى الحجرات الأربع ٤٩٤
الحج . قرآن الرسول صلى الله عليه وسلم فيه ٧٥	
الحج . متى فرض ... ٧٥	
الحج . المشى فيه ... ٣٥	
الحج . مفسداته ومفواته وقضاؤه والمضى فيه اذا فسد ... ١٢٣ و ١٢١	
حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . القباب التى أقيمت عليها ... ٤٧٣ و ٤٦٤	
الحج والعمرة . التحلل منهما ... ١٢٣	
الحج . من يقوم بؤمره ... ١١١	
الحج . موقف الحلة والخمس فيه ... ٢٣٣	
الحجر وعماراته ... ٣٠٥ و ٢٦٦	
الحجر الأسود . استلامه وتقبيله وحكمة هذين ... ٣٠٤ و ٢٦٤ و ١٣٢ و ٨٢	
الحجر الأسود . تاريخه والسجود عليه ومزيته ومن وضعه ... ٣٠٢ و ١٣٣	
حجرات زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ٤٦٢	
حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . بناء الدائر الخمس عليها فى عهد الوليد ٤٧٣ و ٤٦٣	
حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . الحاجز الرصاصى حولها ... ٤٧٤	
حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . حظيرة فاطمة التى بجانبها ... ٤٧٦	
	(ح)
	الحجاز ... ١٤٥
	حجرات المؤلف . تواريخها ... ٣
	حجة الوداع . مواقف النبي صلى الله عليه وسلم للدعاء فيها ... ١٦٠ و ٦٣ و ٧٥
	حج الرسول صلى الله عليه وسلم ستة عشر ٣١٨
	الحجاج . قراء المغاربة منهم ... ٤٩١
	حج أبى بكر بالناس ستة مان وإبطال النسيء ٣١٧
	الحج . إجارة النفس له ... ٩٩
	الحج . أحكامه فى المذاهب الأربعة وجدول بذلك ... ١٢٩ و ٧٥
	الحج . ادخاله على العمرة ... ١٠٧
	الحج واستطاعته المباشرة أو بالنيابة ... ٩٨
	الحج . أنواعه والأحكام به ... ٩٩
	الحج . الإلهلال والتقليد والأشعار فيه ٧٦
	الحج . تذكيره بنشأة الاسلام وتغذيته للايمان ... ١٤١
	الحج . حكم مناسكه ... ١٢٩
	حج الصبي ... ٩٨ و ٩٥

صفحة

(خ)

- خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ... ٣٩٩
 خديجة بنت خويلد . دارها وعمارتها
 ونبذة من تاريخها ... ١٨٩ و ٣١
 خطبة الكتاب ... ١
 خطب الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة
 الوداع ... ٣١٨ و ٩٠ و ٨٥
 خطبة النساء . صفحتها في الجاهلية ... ٣١٥
 خطبنا العتيقة من أسباب تأخرنا ... ٣٣٤
 الخطر . الاحتياط له ... ٣٧٦
 الخندق . غزوته ... ١٥٧
 الخوئلة . آبارها ... ٤٨٨
 خير . فتحها ... ١٥٩
 الخيزران . دارها ... ١٩٢

(د)

- دار الندوة ... ٢٣٩
 الدماء . ما تحجب فيه من أفعال الحج
 وما لا تحجب فيه ... ١٢٤
 الدهناء ... ١٤٨
 الديون . موعد سداها عند المدنين ... ٤٤٤

(ذ)

- ذراع الحديد وذراع اليد . التحقيق
 في بيان طولها ... ٣٤١
 ذوطوى . المبيت بها ... ٨١

(ر)

- الرحلات . الباعث على تأليفها وترتيبها ٤
 الرحلة الأولى سنة ١٣١٨ هـ وختامها ٤٩٩ و ٥

صفحة

- حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .
 صفحتها في عهد عمر رضى الله عنه ٤٧٣
 حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . قبر
 النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه فيها ٤٧٢
 حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .
 المقصورة النعاسية التي حولها ... ٤٧٥
 الحجرية بالطريق الشرقى ... ٣٧٧
 الحجون ... ٣٣٨ و ٣٠
 حدة ... ٢٧
 الحديبية وصلحها ... ١٥٧
 الحديث الحسن والحديث الصحيح ... ٨٩
 الحرم المكي . أعلامه وأبعادها عن
 المسجد الحرام وأول من وضعها
 ونزيت الأعلام ... ٢٢٤
 الحرم المكي . تعظيمه في الجاهلية ... ٣١٣
 حرم المدينة ... ٤٧٧
 حضرموت ... ١٤٦
 الحطيم ... ٣٠٥ و ٢٦٦
 الحلة والحس ... ٣٠٨
 الحفائر ولصوصها ... ٤٨٦ و ٣٧٧
 حكم مناسك الحج وأسرارها ... ١٣١
 الحلق . أفضلته عن التقصير في التحلل ٨٤
 الحلق . حكم الترتيب بينه وبين الرمي والنحر ١١٤
 حمام موسى ... ٢٢٧
 حمزة . مصرعه وضريحه وبعض الأشعار
 التركية المكتوبة عليه وبعض
 المعمرين لمسجده ... ٣٩٠
 حنين . غزوتها ... ١٦٠
 حواء . قبرها المزعوم ... ٢٢

صحيفة

- سواكن . عادات أهلها فى الزواج والختان ٣٤٨
 سور المدينة ٤١٠
 السورجية ٣٧٦
 السيول بمكة . تأثيرها وتاريخها ١٩٧
 السفر من المدينة الى الوجه ٤٨٢
 السكة الحديدية الحجازية . انشاؤها
 وقهر الحجاج على مساعدتها ... ٧١
 سليمان باشا ابن وفادة بكمه ٤٨٨
 سيوة . عادات أهلها وتجارهم . رحلة
 اليها والى السلموم ٣٤٨
 السويس . اقامتها بها فى سنة ١٣١٩ هـ
 وتقد النظام فى مراسمها سنة ١٣٢١ هـ
 والمسافة بينها وبين جدة ١٥ و ٤٩٢

(ش)

- الشام . فتحها ١٦٢
 الشرك . لا يقرب عليه مسل وتهدم مواضعه ٣٤٩
 الشريف على باشا ٦٥
 الشورى فى الاسلام ٣٨٦
 الشريف عون الرقيق باشا . بستانه
 وضرابه الطالمة ٥٣ و ٦٤ و ٧١
 الشريف . مرتبه والتخلع المهداه اليه ٥٠

(ص)

- صادق باشا العظم ٣٨١
 الاصطياد فى الحرم وأكل الصيد ... ١٠٣
 الصفا والمرودة والدعاء عليهما والسعي بينهما ٣٢٠ و ٨٣ و ٣٤
 صفيية ٣٧٥
 صلاة التراويح فى المسجد النبوى ... ٤٤٤
 صلاة الجمعة بقرعة ومنى وعدم وجوبها
 على المسافر ١١٢

صحيفة

- الرسائل البرقية . الشروع فى إنشاء
 خط لها بين مكة والمدينة ٣٨٠
 الركن اليمانى . استلامه وتقبيله ... ٨٢
 الرمل فى الطواف ٣٣
 الرى والحلق والنحر والترتيب بينها ... ١١٤
 رى الجمار الثلاث بعد الزوال ٩٣
 روسيا . انتشار الاسلام فيها ... ١٧٥
 رابغ . الاحرام حذامها ووصفها ... ١٥

(ز)

- زبيدة وعينها ومبدأ حجراها ٣٥٣
 الزواج والطلاق عند قريش فى الجاهلية ٣٠٨
 زواج المحرم ١٠٣
 زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم
 حجراتهن ٤٧٢ و ٤٨١
 زيادة صدقة الحبوب ٣١١
 زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ... ٤٨٠
 زيارة القبور ٤٨١

(س)

- السعي بين الصفا والمروة . تركه
 أو تقديمه . حكمه . صفته .
 شروطه . وقته . المشى فيه والركوب ٨٣ و ١٠٩ و ١٢٥
 السفر من السويس الى القاهرة
 فى سنة ١٣١٩ هـ ٤٩٣
 سقاية العباس بن عبد المطلب ٢٥٩
 سلطان المملكة والشجر . مرتبه وأمانته
 ومساعدته للفقراء وهداياها لمواطنى
 المحمل وحاله مع عمريان ينبع ... ٤٠٠
 سواقي المدينة وطريقة إنحراج المياه منها ٣٩٩

صحيفة

- طواف الأفاضة وترك الرَّمَل فيه ... ٩٢
 الطواف . تقسيم الجهات بين المَطُوفين ٦٣
 طواف الجاهلية وطواف النساء فيها
 عرايا ... ٣١٠
 الطواف . استلام الأركان فيه وأنواعه ١٠٨
 الطواف وركناته والركوب فيه والرَّمَل
 وحكته والاضطباع في الرَّمَل
 وشروطه وصفته ... ١٣٩ و ١٢٥ و ١٠٧ و ٨٣
 طواف العربان وما يقولون فيه ... ٣٥
 طواف القدوم ... ٣٣
 الطواف . نكسه ونسيان بعض أشواطه ١٢٤
 طواف الوداع والواجب في تركه
 وسقوطه عن الخائض ... ١٢٥ و ٩٤ و ٩٢
 الطور . اقامتنا فيه سنة ١٣١٩ هـ
 وسفرنا منه الى السويس ... ٤٩١
 الطور . مدينته ومبانيها ومجمره ومرفأه
 وضواحي المدينة والحجاج النازلون
 به وآباره وسكانه والبريد والبرق به
 وقلعته وجبله ... ٢٣٣ - ٢٣٩
 الطريق من مكة الى عرفات ومشاعر
 الحج فيه ... ٤٢ و ٣٣٨

(ع)

- عادات المدنيين في الزواج والمهر
 والجهاز والمآتم والأعياد وإفطار
 الصائمين والولادة والجنائيات
 وهداياهم الى حجرة الرسول صلى الله
 عليه وسلم ... ٤٤٢
 عثمان نوري باشا العادل ... ١٩٧
 العراق وفتحته ... ١٦٧
 العربان . قسوتهم ... ٥٩ و ٦٨

صحيفة

- صلاة العيد . هديه صلى الله عليه وسلم فيها ٤٢١
 الصلاة . قصرها في مكة وعدم تحديد
 القصر بمسافة ... ٨٤ و ٨٦
 الصلاة لادين بدونها ... ٣٥٠
 الصيد . الحلال منه للحرم والحرام
 وقتله وأكله وجزائه ... ٧٨ و ١١٦ و ١١٨
 الصين . انتشار الاسلام فيه ... ١٧٦
 الصرة . إسهاد تسليمها ... ٦

(ض)

- ضب . طريق ... ٣٤٠
 ضحيح الكون من فطائع عون ... ٢٧٦
 ضرائب الغنم ... ٦٥
 الضرائب في الاسلام ... ٦٦
 ضواحي المدينة ... ٤٤٦

(ط)

- الطائف . طريق الجنامية اليه . وصفه
 وهواؤه وفواكهه ... ٣٤٤
 الطائف عادات أهله وغزواته وطريق
 « الكرا » بينه وبين مكة والمسافة
 بينهما ... ٣٤٧
 الطريق بين جدة ومكة ... ٢٤
 الطريق الشرق بين مكة والمدينة .
 محطاته ومراحله ... ٣٦٩
 الطريق من عرفة الى مزدلفة ... ٤٧
 الطريق من المدينة الى قُباء ... ٣٩٩
 الطريق من المدينة الى الوجه . محطاته
 ومراحله ... ٤٨٤
 الطريق من مزدلفة الى منى ... ٤٨

صحيفة

- عين عرفة وعمارتها وخطبة فايتباي
 في العمارة ٢١٥
 عين مكة وعمارتها ٢١٤
 عين وادي حنزة ٤٣٣
 عسفان . مرور هود وصالح بهذا
 الوادي ٧٩
 العقلة ٤٨٦

(غ)

- غار ثور وزيارتنا له واختفاء الرسول
 صلى الله عليه وسلم فيه وصعوبة
 المرتقى اليه ووصفه وزيارته العياشي له ٦٠
 غار المرسلات ٣٢٦
 الغدير ٣٧٩ و ٣٧٤
 غرابة ٣٧٩
 غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم .
 بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر
 ومكة وحنين ١٥٦
 غار حراء . زيارته ووصفه وخزانه وجبله ٥٦

(ف)

- فارس . فتحها ١٦٩
 فاطمة الزهراء . قبرها المزعوم ... ٣٨٣
 فاطمة هانم الأميرة التركية . مأثرتها العظيمة ٢١٩
 الفدية . فدية الأذى . فدية قص الأطفار
 فدية الحلق . موضع الفدية ... ١١٩
 القرمات السلطاني (وصية) الاحتفال
 بتلاوته في منى ٤٩
 الفيل . واقعه ١٥٤
 الفقير ٤٨٦

صحيفة

- عربان القلاع الحجازية ٣٢٨
 العرب البائدة والقحطانية والاسماعيلية ١٥٠
 العرب . بلادهم وتاريخهم قبل الاسلام
 ويعده ١٤٣
 العرب . حريمهم مع الفرس ١٦١
 العرب . دينهم قبل الاسلام . الاسلام
 فيهم ١٥٤
 عرفة . إفاضة النبي صلى الله عليه وسلم
 منها . الإفاضة قبل الغروب ١٢٥ و ٨٧
 عرفة . تنظيم ميدانها ٢٠٩
 عرفة . الخروج اليها والوقوف بها وصفته
 وحكمه وشروطه وأذان الظهر بها
 وقصر الصلاة فيها وفي منى ومزدلفة ١١٠
 عرفة . موقف الرسول صلى الله عليه
 وسلم بها ودعاؤه وميدانها وجبالها
 وسوقها ومناظر الحج بها ... ٣٣٥ و ٨٦ و ٤٤
 عرفة . الوقوف بها وخطبة النبي صلى
 الله عليه وسلم بواديتها ... ١٢٥ و ٨٥
 عساكر البيشة وحراسة الطريق ... ٧٤
 عسير ١٤٦
 وادي العقيق ٤٣٤
 قلها الحرم الغريبان ٢٨
 عمات ١٤٧
 عمرو بن لحي . شرائعه في الجاهلية ... ٣١٤
 العمرة . حكمها . عملها في أشهر الحج .
 تكرارها في السنة الواحدة ... ٣١٣ و ٩٩
 عمر . قصة إسلامه ١٩٤
 عين الأزرق أو العين الزرقاء . ومصرفها ٤٣٠
 عين زبيدة . إيصالها لمكة . ثريتها لها .
 أهميتها . وصف مجراها ... ٢١٩ و ٢٠٩
 عين السلطان ٤٣٣
 عين شمس . واقعتها ١٦٤

صحيفة

الكعبة . الجهات المسامة لكل ركن

من أركانها ٢٦٤

الكعبة . حجرها الأسود ٢٦٤

الكعبة . دخولها . الدخول بالأحذية ٣١٢ و ٩٥

الكعبة . داخلها ٢٦٤

الكعبة . الدماء عندها ٨١ و ٣٢

الكعبة . سداتها وتاريخها ٢٩٨

الكعبة . شاذرواتها ٢٦٣

الكعبة . صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

ودخوله فيها ٣٠٠

الكعبة . طيبها ٣٠٠

الكعبة . عمل نطاقين لها من النحاس

المغلف بالذهب ٢٧٤

الكعبة . غسلها ومواعيد فتحها وإحرامها ٤٠

الكعبة . كسوتها . تاريخها . الأطنان

الموقوفة عليها . إشتاد وقف هذه

الأطنان . الكسا القديمة . أجزاء

الكسوة بالتفصيل . صنع الكسوة

تفقاتها . حكم بيعها . خطاطها .

ستارة باب التوبة . كيس مفتاح

الكعبة ٢٨١ - ٣٠٠

الكعبة . معاليقها ٢٧٨

الكعبة . مقامها ٢٦٣

الكعبة . ملزمها ٢٦٧

الكعبة . مزياتها ٢٧٥ و ٢٦٦

الكسوة . اشهاد تسليمها والاحتفال

بنقلها من مصنعها بالخرقش ٦

(ل)

اللات . صنم ٣٤٩

لباس الحجرم ١٠١

صحيفة

(ق)

القادية وواقعتها ١٦٧

القباب على القبور . تحريمها في الشريعة

الاسلامية ٣١ و ٣٥٠

قبة حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ٤٧٣

قبة السبق ٢٨٩

قبر عبد الله بن عمر ٢٩

القبور . زيارتها الشرعية والبدعية .

أدعية الزيارة وضرائها المحدثه ٤٨١ و ٤٢٧

القدس . فتحها ١٦٣

القراومة . تاريخهم وشرائعهم ٣٠٣

القران ١٠٥

قريش . إمارتها بحكمة وفضائلها ١٥٢ و ٣٠٨

قصر عترة ٤٨٧

قلاع الطريق بين جدّة ومكة ٢٦

قهاوى الطريق بين جدّة ومكة ٢٨

(ك)

الكسوة . تاريخها ٢٨١

الكسوة . وصفها ٦

الكعبة . اخدام الأغاوات لها ٣٠٠

الكعبة . آسماؤها وأخلاقها ٢٦٢ و ٢٦٣

الكعبة . برقعها ٢٩٣

الكعبة . بابها وستارته وحليته ٢٧٦

الكعبة . بناؤها وعمارتها ٢٦٨

الكعبة . تحيتها الطواف بها ٨٢

الكعبة . تفسير كونها أول بيت وضع

للناس ٢٦٨

صحيفة

- المحمل . انتراجه من المسجد النبوى ... ٣٩٩
 المحمل . استقباله خارج المدينة فى محرم
 سنة ١٣١٩ هـ ... ٣٨٢ ...
 المحمل . بانثرته التى ألقته وقبده نظامها ١٤
 المحمل . التبرك به ... ١٣ ...
 موظفوه ... ٥ ...
 المدينة المتورة . أسماؤها وأبوابها ... ٤١١ و ٤٠٧
 المدينة المتورة . أرضها وزروعها
 وبساتينها ومياه الرى بها .. ٤٢٧ ...
 المدينة المتورة . أهلها . خلقهم .
 كرمهم . جنسهم . لوتهم .
 تجارهم . مكابلهم وموازيتهم .
 عملتهم . أسواقهم . عاداتهم ... ٤٣٨
 المدينة . أوديتها ... ٤٣٤ ...
 المدينة . جوتها ... ٤٤٥ ...
 المدينة . حاراتها ... ٤١٠ ...
 المدينة . حرمها ... ٤٢٧ ...
 المدينة . دخولها فى محرم سنة ١٣١٩ هـ ٣٨٣
 المدينة . سواقها ... ٣٩٩ ...
 المدينة . سورها ... ٤١٠ ...
 المدينة . قراها أو ضواحيها ... ٤٤٦ ...
 المدينة . مبانيها ... ٤١٤ و ٤٠٧
 المدينة . مساجدها ... ٤١٤ ...
 المدينة . مقابرها ... ٤٢٧ و ٤٢٥
 المدينة . مناختها ... ٤١٣ ...
 المدينة . مناهلها ومساقها ... ٤٣١ ...
 مرتبات الأهالى والأشراف وطريقة
 صرفها ... ٧٣ ...
 المرتبات . بيعها ... ٧٠ ...

صحيفة

(م)

- الماء . ما يتجسه ... ٤٢٩ ...
 مآذن المسجد الحرام ... ٢٣٤ ...
 المازمين . طريق ... ٣٤٠ ...
 محاريب المسجد النبوى ... ٤٦٨ ...
 محافظ المدينة . زيارته ووليته ... ٣٨٤ ...
 المحرم . تعابيه ... ١٠٢ ...
 محسر . إسماع السير فى هذا الوادى ... ٣٩٩ و ٩٠
 المحصب . نزول النبي صلى الله عليه وسلم
 به وميته فيه ... ٣٣٨ و ٩٤ ...
 مجد صلى الله عليه وسلم . آداب زيارته
 وفضل الصلاة فى مسجده والسلام
 عليه فى قبره وما نهى عنه عند
 زيارته وعرض الصلاة عليه ... ٣٨٣ و ٤٨٠
 مجد صلى الله عليه وسلم . دعاؤه فى غزوة
 الخندق ... ٤١٦ ...
 مجد صلى الله عليه وسلم . مقدمه الى المدينة ٤٦٠
 مجد صلى الله عليه وسلم . مولده بمكة
 وعمارة البناء الذى عليه ... ١٨٦ ...
 مجد صلى الله عليه وسلم . نشأته وكتابه
 للقوقس ووفاته ... ١٥٥ ...
 محمد حسين الطيب الهندى ... ٢١ ...
 المحمل . الاحتفال بسفره من مكة
 الى المدينة سنة ١٣١٨ هـ ... ٣٦٩ ...
 المحمل . الاحتفال بإدخاله المسجد
 النبوى ... ٣٨٤ ...
 المحمل . الاحتفال به فى السويس
 سنة ١٣١٨ هـ ... ١٤ ...
 المحمل . الاحتفال به قديما ... ٣٠٨ ...
 المحمل . الاحتفال بسفره من المدينة
 سنة ١٣١٩ هـ ... ٤٨٢ ...

صحيفة	صحيفة
المسجد الحرام . صحته ... ٢٢٨	المروة . الدعاء عليها ... ٨٤
المسجد الحرام . صلاح الجماعة فيه وبدعة	مربوط . عادات أهلها ... ٣٤٨
تعدد الأئمة ... ٢٥١	المزدلفة . أفعالها . الجمع فيها بين
المسجد الحرام . قتال أمامه بين حرب	المغرب والعشاء والرحيل منها
وهذيل . قتاديله ... ٢٦٠	قبل الفجر للضعفة
المسجد الحرام . الكعبة وسطه ... ٢٦١	مساجد عائشة ... ٣٤١
المسجد الحرام . مأذنه ... ٢٣٤	مساجد المدينة ... ٤١٤
المسجد الحرام . مدارسه ومساحه ... ٢٤٢	المسافات بين أماكن الطريقين بين مكة
المسجد الحرام . مساحته ومصلى النساء به ٢٢٧ و ٣٦١	وعرفات ... ٣٤٠
المسجد الحرام . مظلة المؤذنين فيه ... ٢٣٧	المسافة بين مدن والمكة ... ٤٩٢
المسجد الحرام . مقام إبراهيم فيه ومقاس	المسافة بين مكة وأمهات المدن الإسلامية ... ٣٦٧
المقام وتحليله وكسوته وقتناه ... ٢٣٧	مستشفى الغرباء ... ١٨٤
المسجد الحرام . محاشيه ... ٢٢٩	مسجد أبي بكر ... ٤٢٢
المسجد الحرام . منبره وتاريخه وعادات	مسجد أبي بن كعب ... ٤٢٠
الخطباء فيه ... ٢٥٢	مسجد الاجابة ... ٤١٧
المسجد الحرام . موظفوه ... ٢٦٠	مسجد بنى قريظة ... ٤١٩
المسجد الحرام . مواقف الأئمة فيه	مسجد البيعة وشجرة الرضوان ... ٣٢٧ و ٢٢٨
في الصلوات المفروضة وبدعة اتخاذ	المسجد الحرام . أبوابه وأروقته وأول
هذه المواقف ... ٢٤٨	من اتخذ داراً لأول من جده واحترانه
مسجد حمزة بن عبد المطلب شهيد أحد ... ٣٩٠	سنة ٥٨٠ هـ وتعميره سنة ٥٨٠ هـ
مسجد الخيف . وتاريخه وما يفعله	وأعمدته وأغوائه
الذكاة والمغاربة فيه ... ٣٢٢	المسجد الحرام . بناء السلطان سليم له
مسجد الزاوية ... ٤١٧	سنة ٩٧٩ هـ ... ٢٤١
مسجد سليمان ... ٤١٧	المسجد الحرام . توسعته وعمارته وحاله
مسجد السقيا ... ٤١٨	في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
مسجد الصخرات ... ٣٣٧ و ٤٥٠	والخلفاء ووصفه الآن ... ٢٣٥ و ٢٢٧
مسجد علي بن أبي طالب ... ٤٢٢ و ٤١٧	المسجد الحرام . زيادات الملوك فيه ... ٢٣٦
مسجد فاطمة والشمس ... ٤١٦	المسجد الحرام . زعم وتاريخها وماؤها
مسجد الفتح ... ٤١٦	وفوائده ... ٢٥٥
مسجد الفسح وما قيل فيه ... ٣٩٣	المسجد الحرام . سقاية العباس فيه ... ٢٥٩

صفحة	صفحة
المسجد النبوي . سلب نقاشه وحكمها	مسجد القضيح ٤١٨
وضعا وأخذاً ٤٥٢	مسجد قباء . زيارته . تأسيسه ووصفه
المسجد النبوي . قبر فاطمة المزعوم فيه ٤٥٠	الآن وفي القرن التاسع ٣٩٤
المسجد النبوي . القبة المحضراء به ... ٤٥١	مسجد القبلتين ٤١٤
المسجد النبوي . قناديله وتعليقاته ... ٤٥١	مسجد قرح ٣٣٤
المسجد النبوي . الكتابات التي في جدره	مسجد المائدة ٤٢٠
وأبراهه ٤٥٦	المسجد المؤسس على التقوى ومسجد
المسجد النبوي . مآذنه ٤٧٩ و ٤٦٧	الضرار ٣٩٤
المسجد النبوي . محاريبه ٤٦٧ و ٤٤٩	مسجد منى ٣٢٨
المسجد النبوي . محازنه ٤٤٩	المسجد النبوي . أبوابه وأعمدته ... ٤٤٨ و ٣٧٦
المسجد النبوي . مصابجه ٤٥٠	المسجد النبوي . احترامه سنة ٨٨٦ هـ ٤٦٤
المسجد النبوي . المصاحف التي به ... ٣٨٥	المسجد النبوي . أغوائه ٤٥٩
المسجد النبوي . مقاسه ٤٤٨	المسجد النبوي . البركة التي في صحته ... ٤٦٧ و ٤٣١
المسجد النبوي . مقصورته النحاسية ... ٤٥٠	المسجد النبوي . تاريخه ٤٦٠
المسجد النبوي . مكتبه العلمي ٤٤٩	المسجد النبوي . تحجيره ٤٧٩
المسجد النبوي . منبره وتاريخه ٤٧١	المسجد النبوي . حاله في عهد الرسول
المسجد النبوي . موظفوه ٤٥٩	صلى الله عليه وسلم ٤٦١
المسجد النبوي . ميضآته ٤٤٩	المسجد النبوي . حجرات زوجات الرسول
المسجد النبوي . نقفات عمارته المحجديه ٤٦٨	صلى الله عليه وسلم حوله ٤٦٢
المسجد النبوي . وصفه الآن ٤٤٨	المسجد النبوي . الحجرات التي في شماله
مسجد نيمرة ٣٣٦ و ٤٥٠	المسجد النبوي . حديثه ٤٤٩
المسعى بين الصفا والمروة وطوله ... ٣٢١	المسجد النبوي . حظيرة النساء فيه ... ٤٦٧ و ٤٥٠
المسوق الحسيري ونقشاته في سنتي	المسجد النبوي . الخطاط الذي كتب
١٣٢١ و ١٣٢٥ هـ ٣٢٧ و ٣٢٤	ما فيه ٤٦٨
مسيط ٣٢٧	المسجد النبوي . دوارقه ٤٣١
المشعر الحرام . الوقوف به والمبيت ٣٢٢ و ٨٨ و ٤٧	المسجد النبوي . روضه ٤٥١
المصاحف بالمسجد النبوي ٣٨٥	المسجد النبوي . زخرفته وحكمها ... ٤٦٨ و ٤٦٣
مصادر الرحلات . الكتب الدينية	المسجد النبوي . زيادات الملوك فيه
والتاريخية والرحلات ٣٦٢	وعماراته ٤٦٢

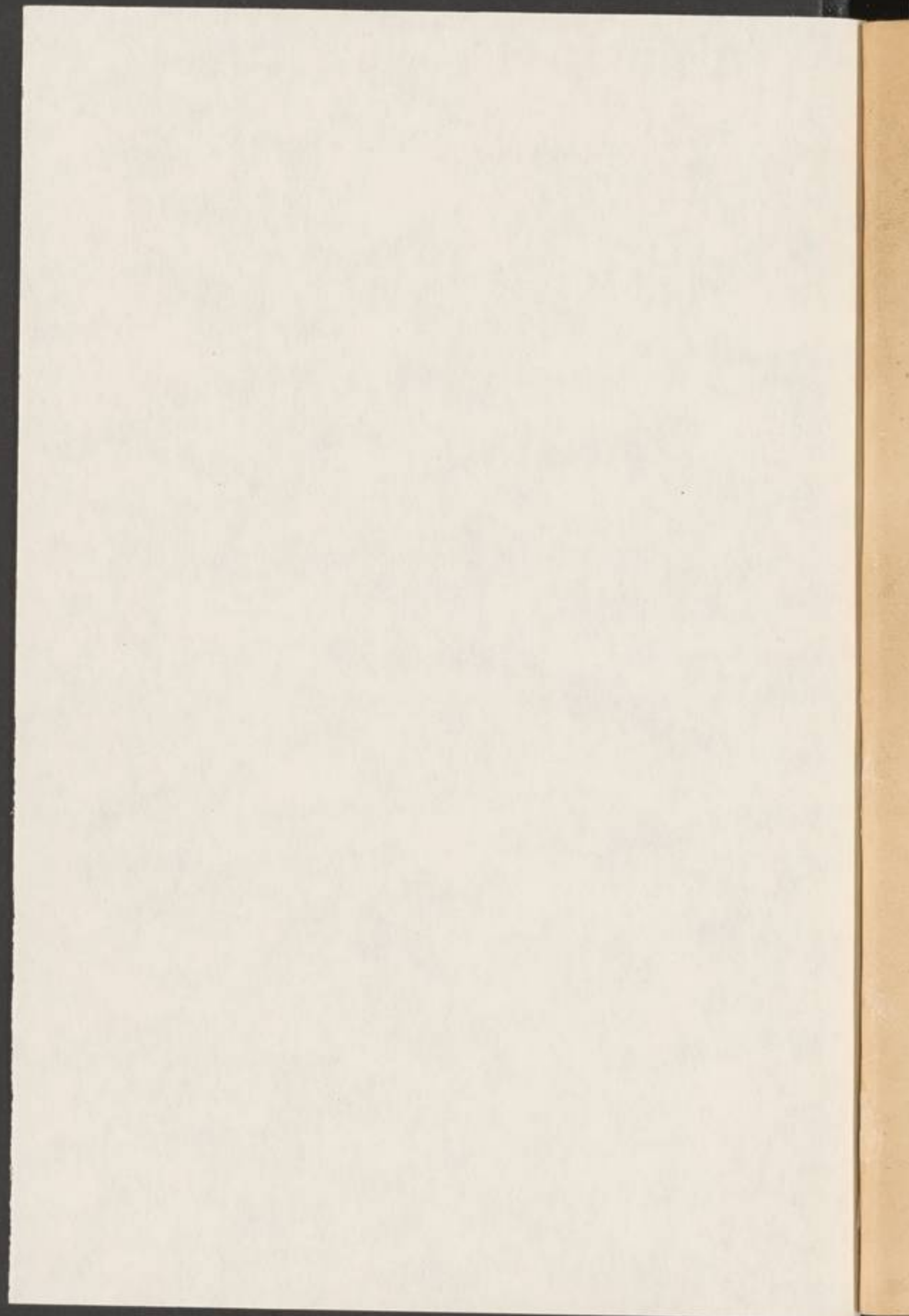
صحيفة	صحيفة
١٨٢ مساجدها . مكة	١٦٣ مصر والنوبة . فتحهما
١٨٣ مستشفياتها . مكة	٤٢٠ مصر والنوبة . فتحهما
١٨٣ مصانعها . مكة	المضيضة السلطانية « المسافر خاتة »
مكة . من استقبلونا سنة ١٣١٨ هـ	والا-انفال يفتحها ٥٤
حين دخولها ٢٩	المطاف ٢٦٧
مكة . ولوع أهلها بالطرب ٣٨	المعجن ٢٦٧
مكتبات المدينة وتعداد ما فيها من الكتب ٤٢٢	المطر ٤٨٧
المككة والشحر . سلطانها ولباس أهلها	المعلاة والقبور التي بها ٣٠
وطعامهم وبيوتهم وزينتهم	مقام ابراهيم وكسوته وستارة بابيه ... ٢٩٥ و ٢٤٢
وسلاحهم ونسائرها ٤٠٠	مكة . أسماؤها ١٧٧
المكوس . تاريخها ٦٨	مكة . إمارة قريش بها ١٥٢
الملاليج ٤٨٣	مكة . أماكنها الشهيرة ١٨٤
الملزم ٢٦٧ و ٩٥ و ٣٤	مكة . ارتفاع مواضعها الشهيرة عن
مناخة المدينة ٤١٣	سطح البحر ٣٥٣
منبر المسجد الحرام ٢٩٦ و ٢٥٢	مكة . أمراؤها منذ فتح مكة لآن ... ٣٥٥
المنبر النبوى ٤٧١	مكة . بيوتها وحوانيتها ١٨٤
منى . أرضها سواء بين الناس ٩١	مكة . تكاياها ١٨٣
منى . إنشاء خزان ليلها بها في عهد صاحب	مكة . جوفها ٢٠٦
الجلالة ملك مصر ٣٧	مكة . حماماتها ١٨٣
منى . الزاوير فيها سنة ١٣١٨ هـ	مكة . سكانها . جنسهم . أخلاقهم .
والزينات ٥٢	لباسهم . لغتهم . دينهم . عاداتهم .
منى . جاراتها ٣٣٩	تجاريتهم . علمتهم ٢٠٧ - ١٩٧
منى . خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بها	مكة . سيولها ١٩٧
سنة ١٠ هـ ٩٣ و ٩٠	مكة . صهاريجها ١٨٣
منى . ذبائحها وسوقها ٥٣	مكة . عادة أهلها بعد موسم الحج ... ٦٣
منى . سقوط الميت بها عن المغدورين	مكة . فتحها ١٥٩
دون الرى ٩٤	مكة . قلاعها ١٨٣
منى . الميت بها أيام التشريق ... ٩٣ و ٨٥	مكة . قهاوتها ١٨٤
منى . منحرجها ومقجرها والبناء بها ورفع	مكة . مدارسها ١٨٢
الحصيات منها وتطهيرها من الوثنية ٣٣٩	

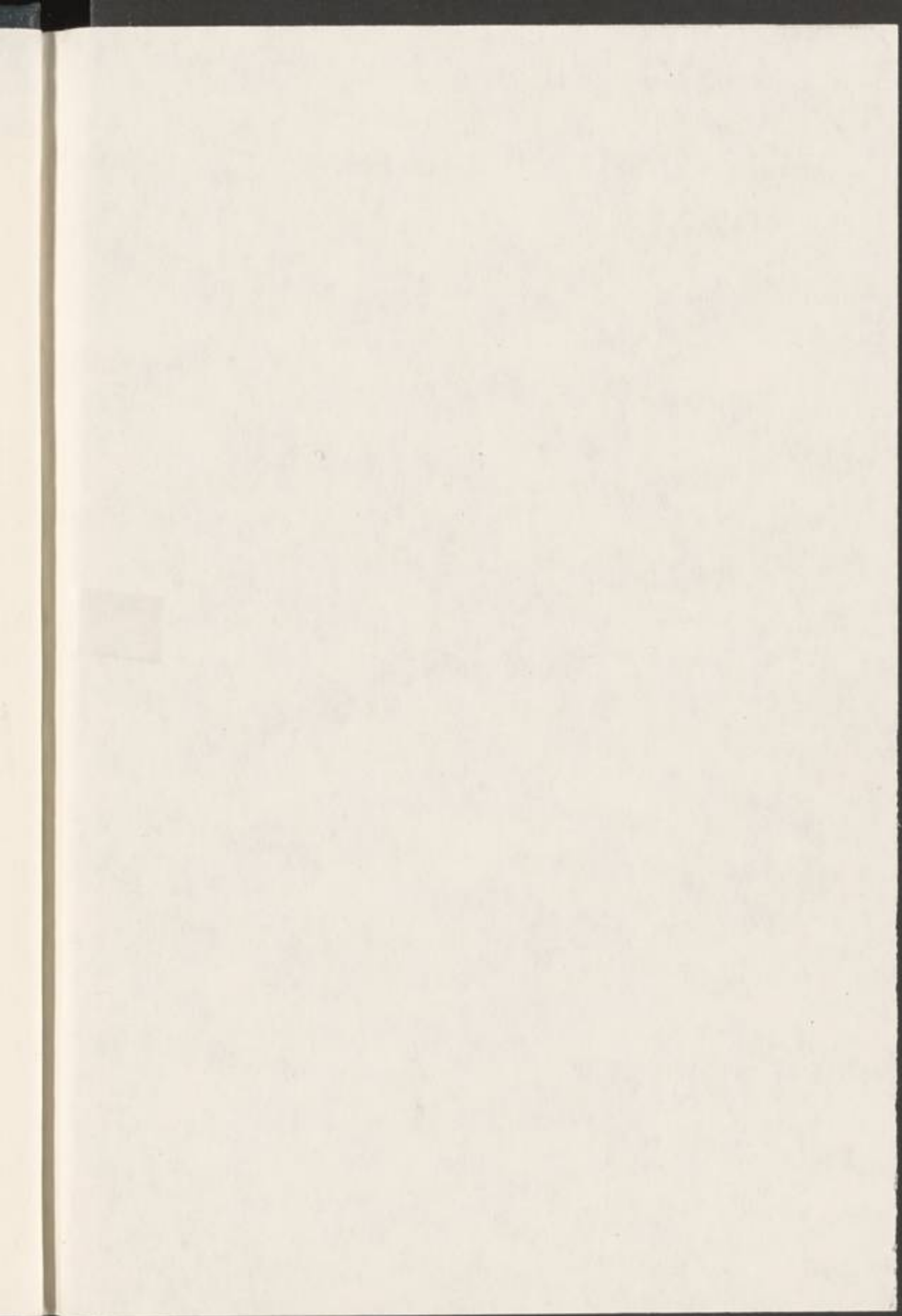
صحيفة	صحيفة
الهدى . منحره ومكان سوقه ووقت النحروصفته والانتفاع به وبلحمه وحكم عطبه ١٢٦٩١-١٢٨	منى . ميدانها وبعدها عن عرفة ومشتملاتها ٣٢٢
الهدى . نحر النبي صلى الله عليه وسلم له بيده ٩١	مهرة ١٤٧
هدية صلى الله عليه وسلم فى صلاة العيد ٤٢١	مواقف الأئمة من المسجد الحرام فى الصلوات المقروضة ٢٤٨
الهدى . هديه صلى الله عليه وسلم فيه ٩٥	المواقيت . نحريتها ٢٢٤ و ١٠٠
الخصاب ٣٧٤	الموالد فى المدينة ٤٤٣
الهدى وفتحها ١٧٠	الميت . الاستغاثة به وحكمها ٣٩٢
(و)	ميزاب الكعبة وتاريخه ٢٦٧-٢٧٥
وادي العميق ٤٣٤	المحمل . قطاره ومن أين يقومان والاحتفال بسفره ١٢
إقطاعه لبلال بن الحارث . وصفه . عرصاته ٤٣٥	مكة . الزيارات فيها ٣٦ و ٣٨
جمواته ٤٣٦	موظفو المحمل ومراتبهم وملاحظات بشأنهم ٥
قصوره وحنانه ولحجه من تاريخه ... ٤٣٧	(ن)
وادي الليمون وقناته وسوقه ... ٣٧١	النبات جزاؤه . الصيام أو الاطعام ... ١١٦ و ١١٩
وادي فاطمة وقبر ميمونة ومسجدها ... ٣٧١	نجد ١٤٨
الوجه . رخص السمك فيه وذاق الحبوب ٤٨٩	النجيلة بانحة ٤٩١
الوجه . موظفوه ٤٨٩	النحر والحلق والرعى والترتيب بينها ... ١١٤
الوجه . السفر منه الى الطور والمسافة بينهما ٤٩١	التخولية ٤٤٠
الوهابيون ٤٥٢	النسب . وإحلال الأشهر الحرم ... ٣١٦
رفعهم للظالم . عقيدتهم . رأيهم فى المحامل ٤٥٣	نمرة . نزول النبي صلى الله عليه وسلم بها ٨٥
سبب محاربتهم للدولة العثمانية ... ٤٥٤	(هـ)
محاربة محمد على باشا لهم ٤٥٥	الهاشميون والأمويون والخلاف بينهم ١٥٣
(ى)	الهدى . حكمه وجنسه وسنه وكيفية سوقه ١٢٥
اليرموك . واقعه ١٦٢	الهدى . حكمته ١٤٠
اليمن ١٤٦	

الصواب	الخطأ	١٥٠	١٥١	الصواب	الخطأ	١٥٢	١٥٣
والأبود	والأبود	١٩	٢٨٩	وارزفهم	وارزفهم	٩	١
الكرداسية	الكرداسية	٥	٢٩٨	متعبدا	متعبدا	١٩	٢
باينين	ماينين	٢٠	٢٩٩	غارفور	غارفور	١	٦٢
وبلاى	وبلاى	١٥	٣٠٣	الثقل	الثقل	٢٤	٩٤
طعام	طعام	٢٣	٣٠٩	دفا	دفا	٢٤	٩٦
ولا بالمزدلفة	ولا بالمزدلفة	٢	٣١٣	بدنه	بدنة	٦	١١٤
ولا يبنى	عمرة	٢٠	٣١٣	وكذلك	وكذلك	٣	١٢٤
عمرة	عمرة	٢٠	٣١٣	العمره	الحج	٩	١٥٩
وتريد	ويريد	١٤	٣٢٢	العمره	الحجة	٩	١٥٩
العرقة انظر معسكرنا	الى عرقة	٧	٣٢٤	وابقى	وابنى	١١	١٦٣
في الرسم ١١٩				الحكمة رسم ٦٠ مكرر	الحكمة	٩	١٧٨
١٢٩	١٩٢	١	٣٣٧	خايتنا	حليقا	٢٢	١٨٠
الحادين الحرم	الحدين الحرم	١٥	٣٤٠	المسجد	المسجد	٧	١٨١
ونسبى	ونسى	٦	٤١٩	وهى	أى	٤	١٨٢
المعاد	المعاذ	٣	٤٢١	انتشر	النسر	٤	٢٠١
ويكشف	ويكشف	٩	٤٣١	فقط ويميدان عرفات	فقط	١٣	٢٠٨
فشافنى	فشافنى	٩	٤٣٦	سبعة أحواض تراها			
المختلفة	المختلفة	٢٣	٤٣٦	في الرسم ٧٧			
حجت	حجت	١	٤٣٧	بالتقنات	بالتقنات	٢٢	٢٢١
الشهير انظر قصره	الشهير	٣	٤٣٨	أوان	أوانى	٣	٢٥٩
في الرسم ٣٢٥				أمه تديسن	أمه تدين	٣	٢٦٢
مسعود	مسعود	٢٣	٤٥٣	أسود	اسودا	٨	٢٧٢
١٩١	١٧١	٢١	٤٧٩	ودرجها	وجدرها	١٥	٢٧٣
صدحت	صرخت	٣	٤٩٢	اليمانية	ايمانية	٣	٢٨٢

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٦٣/١٩٢٤/٣٠٠٠)

F







Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

